THE BOOK WAS DRENCHED

TIGHT BINDING BOOK

فهرست الجزء الثالث

من كتاب نهر الذهب في تاريخ حلب

صحيفة

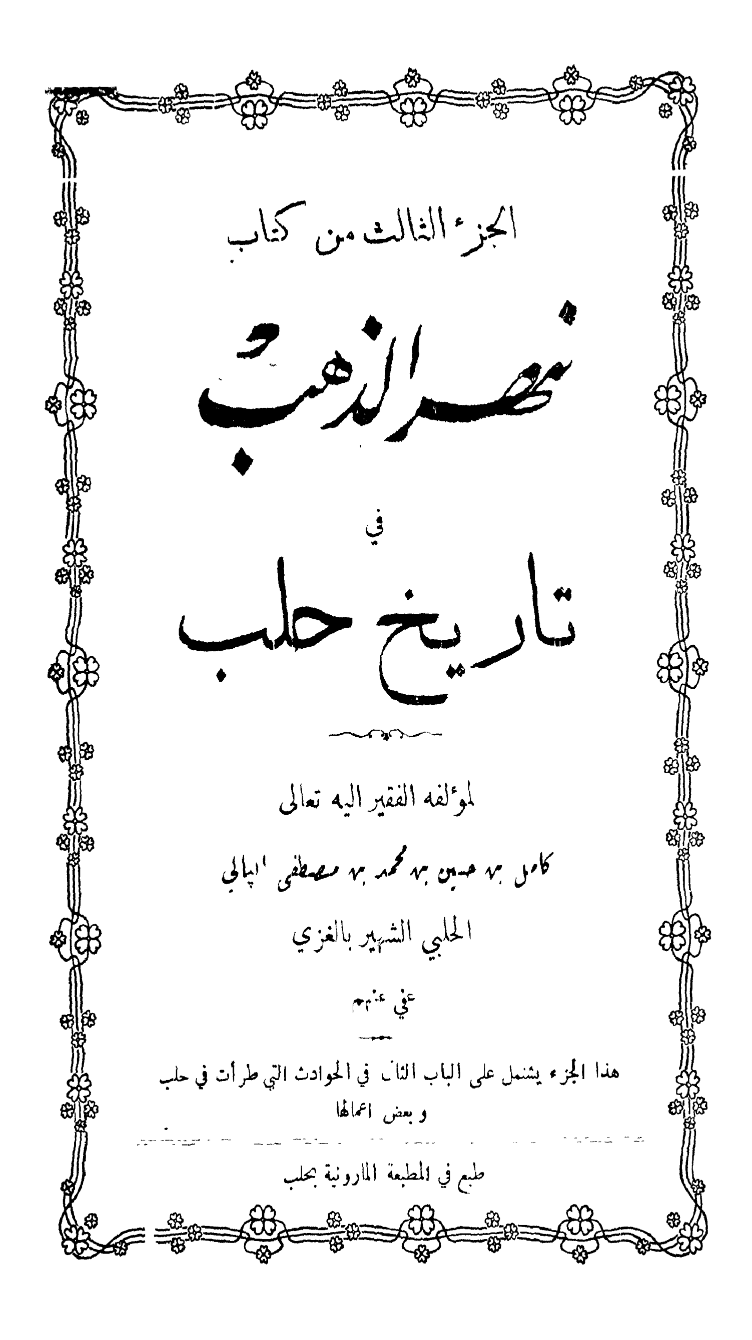
صحيفة

صحيفة

صحيفة

تمت فهرست هذا الجزء





الجزء الثالث من كتاب

نهر الذهب

في

تاريخ حلب

لمؤلفه الفقير اليه تعالى

كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى البالي

الحلبي الشهير بالغزي

عفي عنهم

هذا الجزء يشتمل على الباب الثاني في الحوادث التي طرأت في حلب
وبعض اعمالها

طبع في المطبعة المارونية بحلب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الدائم الباقي وكل ما سواه فانٍ المحيط واسع علمه بما يكون وما قد كان والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خيرة بني الانسان وتابعيهم باحسان ما توالى الجديدان وتعاقب الحدثان . وبعد فيقول العبد الفقير الى الله تعالى كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى الغزّي البالي الحلبي — هذا هو الجزء الثالث من كتابي (نهر الذهب في تاريخ حلب) وهو الجزء الضّام بين دفتيه الباب الثاني المخصص بذكر ما طرأ في مدينة حلب وبعض اعمالها وما نشأ فيهما من الحوادث والكوارث التي هي تنقل الدول وتبدّل الحكام والحروب والزلازل والصواعق والحرائق والاوبئة والطواعين والفتن والقحط والغلاء والمجاعات وغير ذلك من الكوائن والنوازل المعدودة من غرائب الأمور وعجائب المقدور

افتتحت هذا الباب باجمال اشرت به الى الأمم التي اوطنت حلب واصقاعها والدول التي تولتها قبل الفتح الأسلامي واعقبته باجمال آخر المعت به الى الدول والرجال الذين تولوا حلب وحكموا فيها بعد الفتح ثم اتيت بفصل ذكرت فيه خلاصة من خبر فتحها عن يد المسلمين ثم افضت بذكر ما كان فيها وفي بعض اعمالها من الحوادث في زمن كل دولة

من الدول التي تولت احكامها مرتباً اياها على السنين بادئاً بذكرها منذ سنة (١٦) ﻫ منتهياً منها بالسنة التي يصد فيها القلم عن شوطه صادّ محكم وقضاء محتم

وكنت اعددت لهذا الباب مسودة يربو مجموعها على الفي صحيفة نحوت بها منحى الأسهاب والأطناب ثم عدلت عن هذا المنحى الى سبيل الايجاز والاختصار ارضاء لاكثر الناس الذين تميل رغباتهم الى الوجازة وتملّ من الاطناب والاطالة ومن الله استجدي الامداد واستهدي بنور هدايته الى سنن الرشاد والسداد

اجمال في ذكر الأمم التي اوطنت حلب واصقاعها والدول التي تولتهما قبل الفتح الاسلامي

اول من اوطن هذا الصقع الاراميون اي بنو ارام بن سام وهم الكلدان ثم السريان · وفي اثناء وجودهم في هذا الصقع كان فرار الخليل من النمروذ فجاء الى حلب وبقي فيها مدة ثم قصدت حلب احدى طائفتي الحثيين وهم من ولد حث بن كنعان رابع ابناء حام وكانوا يسكنون جبال امانوس فتغلبوا على الاراميين وطردوهم من صقع حلب واسسوا في هذه النواحي مملكة قوية كادت تضاهي المملكة المصرية في وقتها · والحثيون مختلف في جنسيتهم فالجراكسة يزعمون انهم هم

الحثيون وبعضهم يرى انهم هم اللاتين ومن الناس من يزعم انهم عرق تاتاري والله اعلم

امتدت سطوة الحثيين الى جميع سوريا والجزيرة وبلاد اليونان وآسيا الصغرى وبلاد ايطاليا وتغلبوا على مصر ويقال ان الملوك الرعاة فيها كانوا منهم . ثم ان ملوك مصر تغلبوا على الحثيين في هذه الجهات وملكوها منهم وهم تدمس الاول وتدمس الثاني وذلك قبل الهجرة المحمدية بنحو ٢٧٠٨ سنة او اقل بنحو ١٥ سنة ومن آثار اولئك المصريين في حلب الحجر الاسود المحرر بقلم الهيروكليف بجدار جامع القيقان الذي اشرنا اليه في الكلام على محلة العقبة في الجزء الثاني : ثم ان الحثيين حاربوا المصريين واخرجوهم من حلب واصقاعها فمشى عليهم تدمس الثالث وملك منهم صقع حلب وغيرها من بلاد سوريا فصالحوه على ما ملكه من بلادهم وبقيت بايديهم الى ان نقضوا الصلح في ايام رعمسيس الثاني فقصدهم مع من اجتمع اليه من سكان سوريا وتألب عليه بقية ملوكها وحشدوا لقتاله جيشاً جراراً كان منه مع ملك حلب فقط ثمانية عشر الف مقاتل ونشبت الحرب بين الفريقين قرب بحيرة قادس او قدس وهي بحيرة حمص فكان الظفر لرعمسيس وتمزق جيش الحثيين وغرق الكثير من حاميته وكان من جملة الغرقى ملك حلب غير انه نشل من الماء ونكس فعاودته الحياة ثم وقع الصلح بين الامتين وبقي صقع حلب في يد الحثيين الى ان اكتسح خلفاء موسى اريحا وسبوا واحرقوا وخربوا ثم فتحوا عمان فارتفعت العماليق الى ارض سوريا وهي قنسرين

وتغلبوا على مدينة حلب واتخذوها حصناً لهم وما برحوا منها حتى قصدهم ايواب بن سيرو يا وزير داود واخذها منهم وذلك قبل الهجرة المحمدية بنحو ١٦٦٥ او اقل بنحو ٤٢ سنة

حكى بعض احبار اليهود في كتاب له انه وجد في قلعة حلب سنة ١٢٢٠ هـ حجر مكتوب فيه بالعبرانية ما ترجمته (انا ايواب ابن سيرو يا اخذت هذه القلعة)

لم تزل هذه الاصقاع تحت سلطة الفلسطينيين حتى اخرجهم منها ملوك بابل قبل الهجرة بنحو ١٣٠٣ سنة وعلى رأي فينكلار الالماني بنحو ١٤٧٦ سنة : وكانت هذه الامة تعبد الاصنام وكان لهم في جبل سمعان صنم يعبدونه اسمه نبو (ذكرناه في الكلام على الملل والنحل في حلب وجهاتها قبل الفتح الاسلامي في الجزء الاول من المقدمة)

وقرأت في كتاب بابيلونيا وشيريا لمؤلفه فينكلار الالماني اشهر علماء التاريخ وكتابه هذا مطبوع باللغة الالمانية سنة ١٨٩٢ م انه في سنة ٨٥٤ ق م خرج سلمناصر من نينوى وسار الى وادي البليخ واستولى على ملك شيخ جمو الذي قتله شعبه لضعفه ولما بلغ سلمناصر الفرات اجتازه على سفينة من الجلود واتى الموضع المعروف باسم سور او تيراسباط وهو على ضفة الفرات فعقد هناك جمعية دعا اليها جميع الملوك الذين يدفعون اليه الجزية وهم سنكار وامير قاركمش وقوندابيسبي وامير كمخ وارامي وامير غوزي ولاللي وامير ملتينه وخياني امير دولة كبر وكابرودا امير باتين وكركم التي عاصمتها مركاسي (مرعش) وبعد انقضاء هذه الجمعية

فارق سلمناصر او تيراسباط وقصد خلمن (حلب) ودخلهـا وقرب فيها الذبائح للوثن (رمن) وهو على رأي فينكلار معبود الحلبيين اذ ذاك ثم قال فينكلار قال بعض المؤرخين كانت حلب في ايام الدولة البابلية مدينة تجارية حرة مستقلة مستدلاً على ذلك بعدم ورود ذكرها في الحروب التي نشبت بين البابلية وبين دول سيريا وفلسطين وان سبب استقلالها هو خطورة موقعها الجغرافي المتوسط بين آسيا الكبرى والصغرى فكانت مستقلة باتفاق سائر الدول : وقال بعض المحققين ان سوريا كانت في تلك الايام ذات حضارة تفوق مـا كانت عليه منها جميع المملكة الاشورية مستدلاً على ذلك بنقل الوثن (رمن) من سوريا الى نينوى وعبادة اهلها اياه مع معبودهم الوطني فلو لم تكن سوريا في ذلك الزمن ارقى من نينوى حضارة ومدنية وصناعـة لما اختار اهـل نينوى الوثن (رمن) ونقلوه الى عاصمتهم واتخـذوه معبوداً لهم مع وجود معبودهم . واستدل بعض علماء التـاريخ من الآثار العاديات على ان الوثن (رمن) هذا كان آله العواصف في سوريا وانه سنه ٢٠٠٠ ق م بني له هيكل في نينوى اه كلام فينكلار

قلت لم تزل حلب تحت سلطة البابليين حتى ملك الساسانيون في ايام الملك دارا نينوى وامتـدت سطوتهم الى سوريا و بقيت في ايديهم حتى اخذهـا منهم اسكندر المكدوني وصارت حلب موطناً لليونانيين واحسنوا الى اهلها فتخلقوا باخـلاقهم واعتنى اليونانيون بسورية الشمالية وجددوا فيها عدة بلدان كانطاكية وافامية والسويدية ثم ان سليقوس

نيكادور احد الملوك اليونانيين لما استولى على انطاكية بعد ٢١ سنة من جلوسه قبل الهجرة بنحو ٩٤٥ سنة - جدد بناء مقدار النصف المتهدم من حلب وهو الذي بنى القلعة على التل المشهور بابراهيم الخليل وامر اليهود بان يترددوا للتجارة الى هذه البلدة و يقيموا فيها وفرض عليهم بعض الضرائب فاستوطنوها وكثر عددهم فيها حتى بلغت مساحة دورهم مقدار نصف ساعة طولاً وكان لهم فيها عدة معابد

لم تزل حلب في حوزة اليونانيين الى ان انتزعها منهم الرومان سنة ٦٤ او ٦٥ ق م وملكوا معها سوريا وانطاكية وجعلوا حلب عاصمة ملكهم وقبل الهجرة المحمدية بنحو ٤٩٨ سنة امر الايمبراطور تريان اللاتيني بضرب السكة بحلب وكان مرسوماً على احد جانبيها صورته وعلى الجانب الآخر كلمة (برويا) وقبل الهجرة بنحو ٥٢ سنة حاربت الفرس الملك كيروليس الشرواني في انطاكية وحلب وقنسرين ومنبج واحرقوا منبج وانطاكية وقنسرين اما حلب فقد كان فيها من قبل الملك كيروليس بطريق يقال له موغان (واليه تنسب كنيسة موغان وحمام موغان في حلب) صالح الفرس على حلب بدراهم دفعها اليهم ثم جدد الملك كيروليس ما تهدم من سورها وقت المحاربة وذلك من باب الجنان الى باب النصر وكان بناؤه من القرميد الغليظ ولم تزل بايدي الرومان حتى فتحت تحت راية المسلمين في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

اجمال في ذكر الدول والرجال الذين تولوا حلب بعد ان فتحها المسلمون

اول دولة حكمت حلب دولة عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين ثم بقية الراشدين ثم الدولة الاموية ثم المروانية ثم العباسية العراقية ثم استقل بها احمد ابن طولون في سنة ٢٦٤ واستمر بها هو واعقابه من بعده الى ان ضبطها منهم الأفشين ثم عادت لبني طولون وكانوا هم والأفشين يخطبون باسم خلفاء الدولة العباسية العراقية وفي سنة ٢٨٦ عادت لحكم الدولة العباسية المذكورة ثم في سنة ٣٢٩ استولت عليها الدولة الأخشيدية فلم تطل مدتهم بها وانتقلت الى الدولة الحمدانية سنة ٣٣٣ ثم استولت عليها الدولة الأخشيدية مدة ثم عادت الى سيف الدولة سنة ٣٣٦ وكانت الدولة الأخشيدية والحمدانية يخطبان فيها باسماء خلفاء الدولة العباسية العراقية وفي ايام سيف الدولة استولى عليها الروم مدة قليلة ثم بارحوها وعاد اليها سيف الدولة ثم استولت عليها الدولة العلوية المصرية فلم تطل مدتها وانتقلت منها لى الدولة المرداسية سنة ٤١٤ و بعد مدة عادت لحكم الدولة العلوية المذكورة ثم في سنة ٤٣٣ عادت للمرداسيين ثم في سنة ٤٤٩ عادت للدلة العلوية وفي سنة ٤٥٢ رجعت للمرداسيين وخطبوا فيها باسم خلفاء الدولة العلوية المصرية ثم في سنة ٤٦٢ صاروا يخطبون باسم خلفاء الدولة العباسية العراقية وفي سنة ٤٧٣ دخلت تحت سلطة شرف الدولة مسلم ابن قريش صاحب الموصل وفي سنة ٤٧٨ اقتتل مسلم المذكور مع سليمان ابن قطلمش السلجوقي صاحب قونيه فانكسر مسلم

وقتل وانهزم عسكره وكان الشريف ابو علي الحسن بن هبة الله مقدم الاحداث في حلب ورئيسها فانفرد بها وكان سالم ابن مالك العقيلي بقلعتها وهو ابن عم مسلم المذكور وكان اخو مسلم ابراهيم ابن قريش محبوساً فقصده بنو عقيل واخرجوه وملكوه حلب ثم دخلت تحت سلطة السلجوقية واقاموا فيها عاملاً من قبلهم اقسنقر جد نور الدين محمود زنكي وفي سنة ٤٩٠ كان واليها رضوان ابن تتش السلجوقي فخطب للمستعلي بامر الله العلوي المصري اربع جمع ثم اعاد الخطبة باسم الخلافة العباسية العراقية وفي سنة ٥١١ دخلت في حوزة الدولة الأرتقية حكام ماردين وهم من اتباع السلاجقة ثم نزعت منهم الى اقسنقر البرسقي صاحب الموصل سنة ٥١٥ واستناب بها ولده الى سنة ٥٢٢ وفيها استولت عليها الدولة الاتابكية الزنكية ثم في سنة ٥٧٨ انتقلت الى الدولة الايوبية ثم في سنة ٦٥٧ استولى عليها التتر المنسوبون الى جنكزخان ثم بارحوها ثم عاودوها في سنة ٦٥٨ ثم فارقوها ودخلت بعدهم في دولة الاتراك مماليك الدولة الايوبية وفي سنة ٨٠٢ استولى عليها تمرلنك اشهراً ثم عادت الى دولة الاتراك المماليك وفي سنة ٨٩٢ استولت عليها الدولة الجركسية مماليك دولة الاتراك واستمروا فيها الى سنة ٩٢٢ وفيها دخلت في المملكة العثمانية القائمة على انقاض احد فروع الدولة السلجوقية وفي سنة ١٠١٤ عصي علي باشا الجانبولاد على الدولة العثمانية واستقل بحلب وغيرها سنتين ثم اخضعته الدولة واستردت ما كان استولى عليه من بلادها التي من جملتها حلب وفي سنة ١٢٣٥ استولى عليها اهلها مدة اشهر ثم رجعت

لحكم الدولة وفي سنة ١٢٤٨ استولى عليها مع غيرها ابراهيم باشا ابن محمد علي باشا خديوي مصر واستمرت بايدي المصريين الى سنة ١٢٥٥ وفيها عادت الى الدولة العثمانية مع بقية ما اخذته منها خديوية مصر وفي سنة ١٢٦٦ استولى اهلها عليها عدة ايام ثم اعيدت الى الدولة وفي سنة ١٣٣٧ خرجت من حكم الدولة العثمانيـة ودخلت تحت حكم الدولة العربية الفيصلية المسيطرة على سوريا وبعـد سنة انضمت الى الوحدة السورية تحت الانتداب الفرنسي

خبر فتح حلب عن يد المسلمين

فتحت حلب في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٥ من الهجرة النبوية ايام الخريف سنة ٦٣٣ ميـلادية عن يد خالد بن الوليد وابي عبيدة رضي الله عنهما وكان فتحها صلحاً وفتح قلعتها عنوة قال الواقدي ما ملخصه بعد ان صالح اهل قنسرين ابا عبيدة وخالداً على مال معين ودخلا قنسرين واختطا بهـا مسجداً بلغ ذلك اهـل حلب فخافوا وكان رئيساً عليهم يوقنا و يوحنا اخوان يسكنان القلعة وكان ابوهمـا قبلهما يملك حلب الى الفرات وكان هرقل ملك الروم يهـابه لشجاعته ودهائه وقد انتزعه من رومية خوفاً منه فجـاء الى العواصم واستخلص قلعة حلب لنفسه وحصنها وسكنها وكان ولده الصغير منزوياً عن الرآسة الى الترهب ولما بلغه خبر قدوم ابي عبيدة اشار على اخيه بالصلح فابى الا الحرب وسار بجيوشه الجرارة التي منهـا ١٢ الف فارس الى

كفاح ابي عبيدة قبل ان يصل الى حلب وكان ابو عبيدة بقنسرين غير عالم بالحال قد جهز كعب بن ضمرة ومعه الف فارس وسيره الى حلب لفتحها فسار كعب حتى اذا صار على نحو ستة اميال من حلب دهمه يوقنا واشتعلت الحرب بينهما وكان ابو عبيدة مشغولاً مع مشايخ اهل حلب ورؤساءهم قدموا عليه الى قنسرين يطلبون منه الصلح والأمان بعد ان سار يوقنا لقتاله وسلكوا الى قنسرين غير الطريق الذي سلكه يوقنا ولما صالحهم ابو عبيدة وآمنهم رجعوا الى حلب وقبل ان يصلوها فشا خبر صلحهم حتى بلغ يوقنا وهو يحارب كعباً وكعب في غاية القلق والضجر وقد تلف من عسكره زهاء مائتي رجل من اعيان الصحابة فلما سمع يوقنا خبر الصلح اضطرب جيشه وارتد على عقبه ثم ان ابا عبيدة لما ابطأ عليه خبر كعب نهض بعسكره يريد حلب وعلى المقدمة خالد بن الوليد فما كان غير قليل حتى اشرف على كعب وعلم بما دهمه ثم ساروا جميعاً الى حلب فرأوا يوقنا وجنوده قد احدقوا باهل البلد يريدون قتلهم وهم يقولون ويلكم صالحتم العرب ونصرتموهم علينا ثم ادخل يوقنا عبيده على اهل البلد وجعلوا يقتلونهم على فرشهم وابواب منازلهم فنظر يوحنا من القلعة الى البلد ورأى القتل في اهله فعارض اخاه يوقنا فلم يفعل فاغلظ له الكلام فغضب عليه وقتله وكانت رايات المسلمين قد اشرفت عليهم ولما سمع خالد ضجيج اهل البلد وبكاءهم قال لابي عبيدة هلك اهل ذمتك وحمل على جماعة يوقنا فلم ينج منهم سوى من لجأ الى القلعة ودخل المسلمون حلب من باب انطاكية وحفوا حولهم بالتراس داخل الباب

و بنوا ذلك المكان مسجداً وكان يوقنا تحصن بالقلعة مع شرذمة من جنده
واستعدوا للحصار ونصب المجانيق ونشر السلاح على الاسوار ثم ان
خالداً وابا عبيدة سألا عن يوقنا فاخبرا بشأنه مع اخيه يوحنا وانه قتله
والقاه في رأس سوق الساعة (محله سوق الضرب) فكفنه ابو عبيدة
وصلى عليه ودفنه في مقام ابراهيم (مقبرة الصالحين) ثم ان المسلمين
جدوا في حصار القلعة وشنت غاراتهم في بقية البلاد الى الفرات ثم
زحفوا على القلعة فلم يفوزوا منها بطائل لحصانتها وصادف الروم غرة
فهجموا على المسلمين ووضعوا السيف فيهم ثم جد المسلمون في قتالهم
فدحروا الروم واقتطعوا منهم زهاء مائة رومي ثم خرج علافة المسلمين الى
وادي بطنان ليأخذوا الميرة منه وقد صالحهم اهله فاختار يوقنا الفاً من
فرسانه وسيرهم في الليل فالتقوا بالمسلمين قرب الصبح واقتتل الفريقان قتالا
شديداً وقتل من المسلمين ثلاثون رجلاً كلهم من طيء وانهزم الباقون
وملكت الروم اثقالهم ومواشيهم ثم عقروا المواشي وكمنوا في الجبل خوفاً
من المسلمين وقد عزموا على الرجوع الى القلعة ليلاً ولما رجع المسلمون
الى ابي عبيدة واخبروه بما جرى سير لقتال الروم الكامنين خالداً ومعه
بعض رجال صناديد فسار اليهم وكمن لهم حتى خرجوا من مكمنهم في
اوائل الليل وثب خالد عليهم فدهشوا وولوا منهزمين وغنم المسلمون جميع
اثقالهم ورجعوا الى ابي عبيدة وقد انتبه لمكايد الروم وسد عليهم المسالك
حول القلعة حتى لو طار طائر لاقتنصوه واقام القوم على ذلك مدة حتى
ضجر ابو عبيدة وكتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخبره الخبر

و يستأذنه بالانصراف عن قلعة حلب لصعوبة مأخذها وقلة العسكر فبعث اليه عمر عصبة من حضرموت واقاصي اليمن من همدان ومدان وسبا ومأرب زهاء اربعمائة فارس وثلاثمائة مطية مردوفين ومائة واربعين ماشياً فاخذ لهم من مال الصدقات سبعين بعيراً ليتعقبوا عليها وكتب اليه ينهاه عن الانصراف عن القلعة او تسلم اليه وان يبث الخيل في السهل والوعر والضيق والسعة واكناف الجبال والاودية ويشن الغارات في حدود الغارات و يصالح من صالحه و يسالم من سالمه وكان من جملة هذه العصبة مولى من موالي بني طريف من ملوك كنده يقال له دامس و يكني ابا الاهوال كان اسود بصاصاً كالنخلة السحوقة اذا ركب الفرس العالي تخط رجلاه بالأرض وكان شجاعاً قوياً ذا حيلة و براعة فطلب من ابي عبيدة ان يؤمره على ثلاثين فارساً فامره وقال له دامس ترحل انت بجيشك على فرسخ منا وتأمر جماعتك بقلة الحركة والاستتار ما استطاعوا و يكون لك رجال ثقاة يتجسسون عن اخبارنا فاذا بشروك بظهورنا على اعدائنا فتلحق بنا ان شاء الله تعالى فاجابه ابو عبيدة الى ما طلب ونهض لوقته بجيشه وسار مسافة فرسخ كأنه يريد الانصراف ونهض دامس بجماعته حتى اتوا كهفاً في الجبل وكمنوا فيه ففرح الروم وظنوا ان المسلمين قد انصرفوا عن قتالهم وارادوا ان ينزلوا من القلعة و يتبعوا المسلمين فنهاهم يوقنا ولما كان الليل عمد دامس الى جلد ماعز فالقاه على ظهره واخرج كعكاً يابساً وقال لاصحابه اتبعوني فسار نحو القلعة واطار رجلين الى ابي عبيدة ليبعث لهم الخيل عند طلوع

الفجر وصعد دامس ومن معه الى الجبل تحت الظلام يمشي على اربع وكلما احس بشيء قرض في الكمك كأنه يقرض عظماً واصحابه من ورائه يقفون اثره حتى لاصقوا السور وكان الظلام شديداً فأتى من السور مكاناً قريباً قد نام حرسه واختار سبعة من رجاله اقوياء وجلس القرفصاء وامر احدهم ان يجلس على منكبيه ويعتمد بقوته على الجدار ففعل وامر الثاني ان يفعل مثله ثم لم يزل يصعد واحداً بعد واحد الى ان صعد الثامن فامر ان يستوي قائماً ثم امر الثاني من تحته واحداً بعد واحد الى ان قام هو فاذا الثامن قد وصل الى شرافة السور فتعلق بها واستوى على السور فوجد حارس ذلك المكان نائماً ثملاً فرماه الى اصحابه ثم ادلى عمامته لصاحبه ونشله اليه ثم حذف لهما دامس حبلاً وجعلوا ينشلون بعضهم الى ان تكاملوا على السور وكان آخرهم دامس فاستبقاهم مكانهم وقصد بابي القلعة فرأى الحرس سكارى نائمين ففتح البابين وتركهما مردودين وعاد الى اصحابه وقد قرب الفجر فاقام خمسة منهم على الباب وارسل واحداً يستعجل خالداً ومشى بالباقين نحو دار يوقنا فصاحوا وجاءتهم الابطال وصاح يوقنا باصحابه فاتوا من كل جانب وقاتلوا قتالاً شديداً فلم يفدهم ذلك شيئاً واشتبك الفريقان ببعضهما وبينما هم في هذه المعمعة اذ دخل عليهم خالد بن الوليد في جيشه وحينئذٍ طلبت الروم الامان وكان قد وصل ايضاً ابو عبيدة فآمنهم واسلم يوقنا وجماعة من ساداتهم فرد عليهم اموالهم واهاليهم واستبقى الفلاحين واخذ عليهم العهود الا يكونوا الا مثل اهل الصلح والجزية واخرجهم من القلعة وغنم

المسلمون من القلعة ما لا يحصى واخذ الناس في حديث دامس وحيله وعجائبه وعالجوا جراحه الكثيرة حتى برئت اه

حوادث حلب ايام امير المؤمنين عمر بن الخطاب

ولما كان ابو عبيدة في حلب نقض اهل قنسرين فرد اليهم السمط ابن الأسود الكندي فحصرهم ثم فتحها فوجد فيها بقراً وغنماً فقسم بعضها فيمن حضر وجعل الباقي في المغنم وكان في حاضر قنسرين قديماً بنو طيء نزلوه بعد حرب الفساد التي كانت بينهم حين نزل الجبليين من نزل منهم فلما ورد ابو عبيدة عليهم اسلم بعضهم وصولح كثير منهم على الجزية ثم اسلموا بعد ذلك بسنين الا من شذ منهم :

﴿ حاضر حلب ﴾

وكان بقرب مدينة حلب حاضر يجمع اصنافاً من العرب من تنوخ وغيرهم فصالحهم ابو عبيدة على الجزية ثم اسلموا وجرت بينهم وبين اهل حلب حرب اجلاهم فيها اهل حلب فانتقلوا الى قنسرين

قال البلاذري ما خلاصته كان بقرب حلب حاضر يدعى حاضر حلب يجمع اصنافاً من العرب من تنوخ وغيرهم جاء ابو عبيدة بعد فتح قنسرين فصالح اهله على الجزية ثم اسلموا بعد ذلك وكانوا مقيمين واعقابهم به الى بعيد وفاة امير المؤمنين الرشيد ثم ان اهل ذلك الحاضر حاربوا اهل مدينة حلب وارادوا اخراجهم عنها فكتب الهاشميون من

اهلها الى جميع من حولهم من قبائل العرب يستنجدونهم فسارعوا الى انجادهم واجلوا اهل الحاضر عنه واخربوه وتفرق اهله في البلاد وذلك في فتنة الأمين ابن الرشيد وقال ياقوت والذي شاهدناه من حاضر حلب انها محلة كبيرة كالمحلة العظيمة بظاهر حلب بين بنائها وسور المدينة رمية سهم من جهة القبلة والغرب و يقال لها الحاضر السليمانية ولا نعرف السليمانية واكثر سكانها تركمان مستعربة من اولاد الاجناد وفيه جامع حسن منفرد تقام فيه الخطبة والجمعة والاسواق الكثيرة من كل ما يطلب ولها والٍ يستقل بها

﴿ اول مدربة في الأسلام ﴾

وفي سنة ١٦ ادرب خالد وعياض بن غنم وهي اول مدربة كانت في الأسلام

﴿ تأمير خالد ﴾

ورجع خالد من مدربته واتته الامارة من عمر رضي الله عنه على قنسرين فاقام خالد اميراً من تحت يده ابا عبيدة عليها الى سنة ١٧

﴿ عزل خالد ابن الوليد عن قنسرين ﴾

في سنة ١٧ عزل خالد عن قنسرين لانه تدلك بدردي الخمر واسرف باجازة الأشعث ابن قيس

اقول ارى ان عزله كان من الخليفة سياسة حينما رأى القلوب تميل اليه لشجاعته ودرايته وسخائه نخشي ان يستولي على اهواء الناس فتميل قلوبهم لاستخلافه فيحدث ما لا تحمد عقباه

على ان ما اراه كاد يكون صريحاً في كلام امير المؤمنين حيث قال له مستعطفاً (يا خالد والله انك عليَّ لكريم وانت اليَّ لحبيب) وكتب الى الأمصار اني لم اعزل خالداً عن سخطة ولا خيانة ولكن الناس فخموه وفتنوا به فخفت ان يوكلوا اليه فاحببت ان يعلموا ان الله هو الصانع والا يكونوا بعرض فتنة اه

كيف يكون عزله مسبباً عن التدلك بالدزدي وهو جائز شرعاً وعن توسعه باجازة الأشعث وامير المؤمنين يعلم ان ذلك من ماله وان خالداً في منزلة من العفاف تجعله بعيداً عن الغلول وعزة نفسه وتمسكه في دينه يأبيان عليه ان يكون غالاً

خبر من جلدوا في الخمر

في سنة ١٨ كتب ابو عبيدة الى عمر كتاباً يذكر فيه ان نفراً من المسلمين اصابوا الشراب فامر بجلدهم فلم يعودوا الى شربه

❊ طاعون عمواس ❊

فيها كان طاعون عمواس بالشام مات فيه خمسة وعشرون الف صحابي وهو اول طاعون بالاسلام واستقام شهراً ولما بلغ عمر رضي الله عنه خبر

هذا الطاعون خشي منه على ابي عبيدة فكتب اليه يستقدمه فلم يرض ابو عبيدة ان يفوز بنفسه و يترك جنده عرضة للطاعون و كتب الى عمر بهذا المعنى فكتب اليه عمر بان يرفع المسلمين عن تلك الاراضي فرفعهم منها ثم طعن رضي الله عنه وقد نزل الجابية وقبل ان يموت استخلف على الجيوش والعمال معاذ ابن جبل فطعن ابنه عبدالرحمن ومـات ثم طعن معاذ براحته ومات و كان ابو عبيدة قد استخلف على قنسرين حين طعن عياضا بن غنم فاقره عمر بن الخطاب رضي الله عنه

﴿ خبر عام الرمادة ﴾

فيها اصاب الناس بالمدينة المنورة مجاعة عظيمة وقحط وسفت الريح ترابا كالرماد واشتد الجوع حتى آوت الوحوش الى الأنس فكتب عمر الى العمال يستمدهم لاهل المدينة فكان اول من قدم عليه ابو عبيدة باربعة الاف راحلة طعام فولاه قسمتها فيمن حول المدينة فقسمها وانصرف الى عمله

﴿ بقية الحوادث في ايام سيدنا عمر ﴾

وفي سنة ٢٠ مات عياض بن غنم واستخلف عمر بن الخطاب بعده على حمص وقنسرين سعيد ابن عامر بن جذيمة الجمحي ثمات فيها وقيل مات سنة ١٩ وقيل سنة ٢١ وعلى كل فقـد كان الامير على دمشق وحوران وحمص وقنسرين والجزيرة في سنة ٢١ عمير ابن سعد ابن عبيد الأنصاري و كان الامير فيها على البلقاء والاردن وفلسطين والسواحل وانطاكية ومعرة مصرين معاوية

ايام عثمان رضي الله عنه

وفي سنة ٢٥ غزا معاوية الروم فبلغ عمورية فوجد الحصون بين انطاكية وطرسوس خالية فجعل عندها جماعة من اهل الشام والجزيرة حتى انصرف ثم غزا الصائفة يزيد بن الحر العبسي وفعل فعل معاوية وهدم الحصون الى انطاكية وفي سنة ٢٦ غزا معاوية قنسرين وكان عمير بن سعد قد طال مرضه فاستعفى عثمان فاعفاه وضم حمص وقنسرين الى معاوية فاجتمعت له في هذه السنة ولاية الشام كلها فولى معاوية على حمص عبد الرحمن بن خالد وعلى قنسرين حبيباً بن مسلمة بن مالك الفهري

ايام علي بن ابي طالب

وفي سنة ٣٦ فرق علي رضي الله عنه عماله على الأمصار فبعث سهلاً ابن حنيف على الشام وكان معاوية متغلباً عليه فلما وصل الى تبوك لقيته خيل فقالوا له من انت قال انا امير قالوا له على اي شيء قال على الشام قالوا ان بعثك عثمان فحيهلا بك وان كان غيره فارجع قال او ما سمعتم بالذي كان يعني استشهاد عثمان قالوا بلى فرجع الى علي

— حوادث ايام بني امية —

ايام معاوية

سنة ٤٢ مات حبيب بن مسلمة الفهري بأرمينية وكان اميراً عليها لمعاوية : قلت اظن ان معاوية استعمل حبيباً هذا على ارمينية في هذه

السنة وضم قنسرين الى حمص وعاملها عبد الرحمن بن خالد وهذا غير بعيد لأن الذي مصر قنسرين يزيد بن معاوية لا معاوية انما معاوية رتب خراج قنسرين في هذه السنة اربعمائة الف وخمسين الف دينار ورتب حلب للخلفاء من بني امية لمقامهم في الشام وكون الولاة في ايامهم بمنزلة الشرط لا يستقلون بالأمور والحروب وولاة الصوائف ترد كل عام الى دابق واقام منهم جماعة بنواحي حلب منهم سليمان بن عبد الملك اقام بدابق حتى مات

❋ تجنيد قنسرين وتسمية حلب بالعاصمة ❋

حكى الطبري في تاريخه ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه لما عزم على فتح الشام سمى لكل امير امره على الجيوش كورة فسمى لأبي عبيدة كورة حمص وليزيد بن ابي سفيان كورة دمشق ولشرحبيل بن حسنة كورة الأردن ولعمرو بن العاص وعلقمة بن محمد كورة فلسطين فدل هذا على ان الشام لما كان بايدي الروم كان منقسماً الى هذه الكور الأربع وكانت قنسرين مضافة الى كورة حمص اه ثم لم تزل الشام كذلك حتى ولي الخلافة يزيد بن معاوية فجعلها خمسة اجناد جند فلسطين وجند الأردن وجند دمشق وجند قنسرين قال ياقوت في معجمه وسمى الجند جنداً لأنه جمع كورة والتجنيد التجميع وقيل سميت كل ناحية جنداً لأنهم كانوا يقبضون فيه اعطياتهم وكانت الجزيرة مع قنسرين جنداً فافردها عبد الملك وصارت الجزيرة جنداً برأسه

وكان من جملة جند قنسرين انطاكية ومنبج وتوابعهما فلما استخلف الرشيد افرد قنسرين بكورها فصيرها جنداً وافرد منبج ودلوك ورعبان وقورس وانطاكية وتيزين وما بين ذلك من الحصون فسماها العواصم لأن المسلمين كانوا يعتصمون بها من العدو اذا انصرفوا من غزوهم وجعل مدينة العواصم منبج واسكنها عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس في سنة ١٧٣ فبنى فيها ابنية مشهورة وذكرها المتنبي في مدح سيف الدولة فقال

لقد اوحشت ارض الشام طرّاً   سلبت ربوعها ثوب البهاء
تنفس والعواصم منك عشر   فيوجد طيب ذلك في الهواء

قال ياقوت في موضع آخر العاصم هو المانع ومنه قوله تعالى (لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم) وهو صفة فلذلك دخله الألف واللام والعواصم حصون موانع وولاية تحيط بها بين حلب وانطاكية كان قد بناها قوم واعتصموا بها من الاعداء واكثرها في الجبال وربما دخل في هذا ثغور المصيصة وطرسوس وتلك النواحي وزعم بعضهم ان حلب ليست منها بدليل قولهم قنسرين والعواصم وحلب من اعمال قنسرين والشيء لا يعطف على نفسه

✵ عمال قنسرين وحمص من سنة ٤٥ الى سنة ٥٩ ✵

وفي سنة ٤٥ توفي عبد الرحمن بن خالد عامل حمص وما والاها وكان اهل الشام قد مالوا اليه فدس اليه معاوية سماً فمات قلت ومن

هذه السنة الى حدود سنة ٨٦ لم اطلع على اسماء عمال الخلفاء على قنسرين وحمص ولعل العمال عليهما في هذه المــدة هم امراء الصوائف والمشاتي يخرجون الى الروم و يرجعون الى احدى البلدتين بعــد انقضاء غزوهم فان البلدتين من اعظم ثغور الروم فلا يستبعد ان يكونا محل اقامة الامراء المذكورين ايام تقاعــدهم عن الغزوات وانهم كانوا يقومون بوظائف العمال في اثناء ذلك و يستخلفون اذا غزوا ولما كان هــذا من المحتمل عقلاً ادرجت ضمن الحوادث اسمــاء الأمراء المذكورين في سني خروجهم الى الغزوات الى سنة ٨٦ المذكورة وعلى هذا المنوال رتبت ذكرهم في سنوية ولاية حلب المعروفة باسم السالنامــة : فاقول في سنة ٤٦ كان مشتي مالك بن عبدالله بارض الروم ومثلهــا في سنة ٤٧ وسنة ٤٩ ولم يغز سنة ٤٨ وفي سنة ٥٠ كانت غزوة بسر بن ارطاة وسفيان بن عوف الازدي بارض الروم وفي سنــة ٥١ كان مشتي فضالة بن عبيد بارض الروم وغزوة بسر بن ارطاة الصائفة وفي سنة ٥٢ كانت غزوة سفيان بن عوف الروم وشتى بارضهم وتوفي بها في قول فاستخلف عبدالله بن سعد الفزاري وقيل الذي شتى بارضهم هذه السنة بسر بن ارطاة ومعه سفيان المذكور وغزا الصائفة محمد بن عبدالله الثقفي وفي سنة ٥٣ كان مشتي عبــد الرحمن بن ام الحكم الثقفي بارض الروم وفي ٥٤ كان مشتي محمد بن مالك بارض الروم وصائفة معن بن يزيد السلمي وفي سنة ٥٥ كان مشتي سعيــد بن عوف وقيل عمرو بن محرز وقيل عبدالله بن قيس الفزاري وقيل مالك بن عبدالله وفي سنة ٥٦ كان

مشتى جناد بن ابي امية وقيل عبد الرحمن بن مسعود وقيل عياض بن الحرث وفي سنة ٥٧ كان مشتى عبدالله بن قيس وفي سنة ٥٨ ه غـزا الروم مالك بن عبدالله الخثعي وفي سنة ٥٩ كان مشتى عمرو بن مرة الجهني

— ايام يزيد بن معاوية —

❋ وصول رأس الحسين رضي الله عنه الى حلب ❋

وفي سنة ٦١ قتـل الحسين بن علي رضي الله عنهما بكربلا واحتز رأسه الشريف شمر بن ذي الجوشن وسار به وبمن معه من آل الحسين الى يزيد في دمشق فمر بطريقه على حلب ونزل به عنـد الجبل غربي حلب ووضعه على صخرة من صخراته فقطرت منـه قطرة دم عمر على اثرها مشهد عرف بمشهد النقطة وقـد المعنا الى ذلك في الكلام على المشهد في باب الآثار

— ايام معاوية بن يزيد بن معاوية ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان —

❋ غزوات بني امية الروم وغير ذلك ❋

وفي سنة ٦٦ كان على الشام عبد الملك بن مروان والظاهر انه كان يقوم بادارة البلاد الشامية بنفسه لضيق مملكته حينئذٍ لوقوع اكثرها تحت يد المتغلبين وفي سنة ٧٣ غزا الروم صائفة محمد بن مروان ومثلها في سنة ٧٤ وسنة ٧٥ و ٧٦ و ٧٧ غزا الروم صائفة الوليد بن عبدالملك

وفي سنة ٧٨ اصاب اهـل الشام طاعون شديد حتى كادوا يفنون فلم يغز تلك السنة احد قيل وفيها اصاب الروم اهل انطاكية وظفروا بهم وفي سنة ٨١ سير عبد الملك بن مروان ابنه عبيد الله ففتح قاليقلا وفي سنة ٨٢ غزا محمد بن مروان ارمينية وفي سنة ٨٥ غزا الروم مسلمة بن عبد الملك

☀ ايام الوليد بن عبد الملك ☀

وفي سنـة ٨٧ غزا مسلمة المذكور الروم وفتح عدة حصون وقيـل هشام بن عبد الملك وفي سنة ٨٨ غزا مسلمة بن عبـد الملك والعبـاس بن عبد الملك الروم وفتحوا الجزيرة وعـدة حصون من عمورية وغزا العباس الصائفة من ناحية البذندون وفي سنة ٩٠ غزا مسلمة الروم وفتح الحصون الخمسة التي بسورية قال ابن العديم ما ملخصه ان الوليد بن عبد الملك لما ولي الخلافة سنة ٨٦ ابقى محمد بن مروان على ولايته حتى عزله سنة ٩٠ بأخيه مسلمة فدخل مسلمة حران وكان محمد بن مروان يتعمم وبيده المرآة فبلغه الخبر ان مسلمة يخطب على المنـبر فارتعد وسقطت المرآة من يده وقال هكذا تقوم الساعة بغتة فقـام ابن محمد للسيف يثب على مسلمة فقـال له ابوه مه يا بني ولاه اخوه وولاني اخي وكان اكثر مقام مسلمة بالناعورة بنى فيها قصراً بالحجر الصلد وحصناً بقي منه برج الى زماننـا (زمان ابن العديم) قلت ذكر ياقوت الناعوره فقال الناعورة الدولاب موضع بين حلب و بالس فيه لمسلمة بن عبدالملك

قصر من حجارة وماؤه من العيون و بينه و بين حلب ثمانية اميال اه

وفي سنة ٩١ غزا الصائفة عبد العزيز بن الوليد ومقدم الجيش مسلمة ابن عبد الملك وفي سنة ٩٢ غزا مسلمة بن عبد الملك الروم وفتح ثلاثة حصون وفي سنة ٩٣ غزاهم وفتح ماسيه وحصين الحديد وفيها كان الزلزال بالشام ودام اربعين يوماً فخربت البلاد وكان معظم ذلك في انطاكية وفي سنة ٩٥ انتقضت قنسرين وكان العباس بن الوليد يغزو الروم ففتح هرقلة وغيرها وعاد الى قنسرين وفتحها

﴿ يام سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ﴾

وفي سنة ٩٩ ولي سليمان بن عبد الملك من قبله على الاحص هلال بن عبد الأعلى ثم ولي عليها الوليد بن هشام المعيطي

﴿ ايام يزيد بن عبد الملك وهشام اخوه ﴾

وفي سنة ١٠١ عزل الوليد هذا من قبل يزيد بن عبد الملك لأنه كان مرائياً وولي على قنسرين الوليد بن القعقاع بن خليد العبسي وقيل الذي ولي العمل على قنسرين من قبل يزيد هو عبد الملك بن قعقاع بن خليد العبسي واليهم كان ينسب خيار بني عبس والى ابيهم كانت تنسب القعقاعية قرية في بلد الفايا وفي سنة ١٠٨ كان طاعون شديد بالشام وفي سنة ١١٣ غزا معاوية بن هشام ارض الروم فرابط من ناحية مرعش ثم رجع وفي سنة ١١٥ وقع طاعون بالشام وسرى الى العراق وامتد الى السنة بعدها وفي سنة ١١٩ غزا الوليد بن القعقاع ارض الروم

﴿ ايام الوليد بن يزيد بن عبد الملك ﴾

وفي سنة ١٢٥ ولي الوليد الخليفة على قنسرين مكان الوليد بن القعقاع يزيد بن عمر بن هبيرة لوحشة بين الوليد الخليفة و بين بني القعقاع و بعد ان عزله الخليفة بعث به الى يزيد بن عمر بن هبيرة المذكور فعذبه واهله حتى مات

﴿ ايام يزيد الناقص بن الوليد بن عبد الملك وابراهيم المخلوع ومروان بن محمد ﴾

وفي سنة ١٢٦ خرج يزيد الناقص على الوليد الخليفة ووثب عليه فقتله واخذ عامله في دمشق وسير اخاه مسرور ابن الوليد الى قنسرين وقيل سير اخاه بشر ابن الوليد وفي سنة ١٢٧ قبض مروان بن محمد بن الحكم الخليفة على مسرور بن الوليد والي قنسرين وعلى اخيه بشر وقتلهما بحلب وولي حلب وقنسرين عبد الملك بن الكوثر الغنوي وفي سنة ١٢٨ خرج على مروان الخليفة سليمان بن هشام بن عبد الملك فامسكه مروان بخساف واستباح عسكره وفيها كان الحكم وعثمان بن الوليد بن يزيد محبوسين بقلعة قنسرين حبسهما اخوهما يزيد الناقص فنهض اليهما عبد العزيز بن الحجاج و يزيد بن خالد القسرى وقتلاهما وقتلا معهما يوسف بن عمر الثقفي فقبض مروان على القاتلين المذكورين وصلبهما وفي سنة ١٣٠ غزا الصائفة الوليد بن هشام فنزل العمق وبنى حصن مرعش

﴿ حوادث ايام الخلفاء العباسيين ﴾

— ايام عبدالله السفاح —

في ربيع الآخر سنة ١٣٢ بويع ابو العباس السفاح واسمه عبدالله بن محمد بن علي فجهز عبدالله بن علي بن عبدالله بن العباس في جيش عظيم لقتال مروان بن محمد الخليفة الاموي فالتقى معه بالزاب من ارض الموصل فهزم مروان وتبعه عبدالله بن علي حتى نزل بمنبج ، فبعث اليه اهل حلب بالبيعة وقلد عبدالله المذكور اخاه عبد الصمد حلب وقنسرين ثم سارا الى حلب فبايعه ابو الورد مجزأة بن الكوثر بن زفر الكلابي وكان من اصحاب مروان ثم انصرف عبدالله من حلب وارسل قائداً من قواده في مائة وخمسين فارساً الى الناعورة وكان بها مسلمة بن عبد الملك وكان معه اهله فاستجار مسلمة بابي الورد الكلابي فلم يلتفت اليه واغتاظ الكلابي وخرج من مزرعته خساف في عدة من اهل بيته وخالف وبيض (لبس البياض الذي هو شعار الامويين) وقتل القائد ودعا اهل حلب وقنسرين لنقض البيعة العباسية فقصده من دمشق عبد الصمد في زهاء عشر الاف فارس فقتل ابو الورد وانهزم اصحابه وامن عبدالله اهل حلب وقنسرين فبايعوا وسودوا (لبسوا السواد الذي هو شعار العباسيين) وفي سنة ١٣٣ لبس الحمرة بحلب العباس بن محمد المعروف بالسفياني وجده معاوية بن ابي سفيان فقصده من قبل السفاح العباسي عطاء العكي فانهزم السفياني وفتح العكي حلب عنوة ولم يبق

فيها من الأموبين احد وفي هذه السنة تغلب عبدالله بن محمد بن علي على حلب وقنسرين وديار ربيعة ومضر وسائر الشام

﴿ ايام ابي جعفر المنصور ﴾

وفي سنة ١٣٧ ولى عبدالله على حلب ابا عبدالله زفر بن عاصم بن عبدالله بن يزيد الهلالي وفيها سير المنصور ابا مسلم الخراساني لقتال عبدالله فانتصر عليه ابو مسلم وكتب اليه المنصور بولاية الشام جميعه وحلب وقنسرين وان يقيم له نوابًا في بلاده ففعل ثم استوحش المنصور من ابي مسلم فعزله وولى على حلب وقنسرين وحمص صالحًا بن علي بن عبدالله بن العباس فنزل حلب وابتنى بها خارج باب النيرب قصرًا بقرية بطياس بالقرب من النيرب قال ابن العديم وآثاره باقية الى الآن

قلت محل هذا القصر يعرف الان بكرم القصر وهو بستان فستق مملوك لبعض الاهلين اه قال ابن العديم ومعظم اولاد صالح بن علي ولدوا ببطياس وقد ذكره البحتري وغيره في اشعارهم قلت تقدم فيما جاء بمدح حلب شيء من ذلك وفي سنة ١٣٩ غزا صالح بن علي الصائفة مع ابنه الفضل باهل الشام وهي اول صائفة في خلافة بني العباس وغزا مع صالح اختاه ام عيسى ولبانة بنتا علي وكانتا نذرتا ان زال ملك بني امية ان يجاهدا في سبيل الله وفي سنة ١٤١ خرج بحلب وحران قوم يقال لهم الراوندية زعموا انهم كالملائكة وصعدوا تلاً بحلب وقد لبسوا الحرير فطاروا منه وكسروا وهلكوا وفيها حج بالناس صالح بن علي

— ضرب النقود في حلب —

وفي سنة ١٤٦ ضرب صالح بحلب سكة على احد جانبيها (ضرب هذا الفلس بمدينة حلب سنة ١٤٦) وعلى الجانب الآخر (مما امر به الأمير صالح بن علي اكرمه الله) وفي سنة ١٥٢ مات صالح وتولى مكانه حلب وقنسرين ابنه الفضل واختار العقبة فسكنها وفي سنة ١٥٤ ولى المنصور على حلب وقنسرين موسى بن سليمان الخراساني وفي سنة ١٥٧ ضرب السكة بقنسرين وعلى احد جانبيها (ضرب هذا الفلس بقنسرين سنة ١٥٧) وعلى الآخر (مما امر به الأمير موسى مولى امير المؤمنين) وفي سنة ١٦٢ خرج على الخليفة المهدي عبد السلام بن هاشم الخارجي فارسل له المهديا جنوداً كثيرة فهرب منهم الى قنسرين فلحقوه وقتلوه فيها

— قدوم المهدي الخليفة الى حلب —

وفي سنة ١٦٣ قدم الخليفة المهدي الى حلب عازماً على الغزو فتلقاه العباس بن محمد الى الجزيرة وانزله في عمله ثم وصل المهدي الى حلب ونزل بقصر بطياس وولى على حروب حلب وقنسرين والجزيرة وخراجها وصلاتها عليا بن سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس وولى حلب والشام جميعه هارون وامر كاتبه يحي بن خالد ان يتولى ذلك كله بتدبيره ثم عرض المهدي العسكر بحلب واغزا ابنه هارون الروم

﴿ قتل الزنادقة في حلب ووصول رأس المقنع اليها ﴾

في هذه السنة جمع محتسب حلب عبد الجبار الزنادقة من الأطراف الى المهدي فقتلهم وقطع كتبهم بالسكاكين ووصل اليه وهو بحلب رأس المقنع وكان زنديقاً مبتدعاً ظهر في خراسان سنة ١٥٩ واستغوى جماعة وكثرت اتباعه وعاثوا في الأرض فساداً الى ان هلك في هذه السنة وهي سنة ١٦٩

﴿ ايام الهادي والرشيد ﴾

وفي سنة ١٧٣ ولى الرشيد حلب وقنسرين عبد الملك بن صالح بن علي فاقام بمنبج وابتنى فيها قصراً لنفسه وبستاناً الى جانبه كان يعرف به وقد سبق لنا في الكلام على منبج منادمة الرشيد مع عبد الملك حين زاره في قصره

﴿ عمال حلب من سنة ١٧٥ الى سنة ١٩٣ ﴾

وفي سنة ١٧٥ عزل الرشيد عبد الملك عن حلب وقنسرين وبعد سنة ولى عليها سليمان بن عيسى ثم ولى الشام جميعه موسى بن يحيي بن خالد وفي سنة ١٧٨ ولى الرشيد الشام جميعه جعفر بن يحيي بن خالد فتوجه اليه سنه ١٨٠ واستخلف عليه عيسى بن العكي وفي سنة ١٨٢ ولى الرشيد حلب وقنسرين اسماعيل بن صالح بن علي واقطعه الحوانيت التي بباب انطاكية الى رأس الدلبه وكانت له ثم عزله وولى مكانه عبد

الملك بن صالح وفي سنة ١٨٧ بلغه عنه انه يحدث نفسه بالخلافة فعزله وولى على حلب وقنسرين ابنه القاسم بن الرشيـد وفي سنة ١٨٨ رابط القـاسم ابن الرشيد بدابق وفي سنة ١٩٠ خرج الروم الى عـين زربه والكنيسة السوداء واغاروا فاستنقذ اهل المصيصة مـا كان معهم من الغنيمة وفي سنة ١٩٣ ولى الرشيد على حلب وقنسرين من قبـل ابنه القاسم خزيمة بن خازم وفيها جعل الأمين مع اخيه القاسم مخافة ابن ابي يزيد وولى خزيمة ابن خازم الجزيرة

❋ حوادث ايام الأمين في حلب ❋

وفي سنة ١٩٤ عزل الأمين اخاه القاسم عن حلب وقنسرين والعواصم وسائر الأعمال وولاها خزيمة بن خازم ثم في سنة ١٩٦ عزله وولى عليها عبد الملك بن صالح بن علي ثالثة وفي ذي العقدة سنة ١٩٦ مات عبـد الملك بن صالح بالرقة

❋ حوادث ايام المأمون في حلب ❋

وفي سنة ١٩٧ ولى المأمون خزيمة بن خازم حلب وقنسرين وقيـل الوليد بن طريف ثم ورقه عبد الملك ثم يزيد بن يزيد وفي سنة ١٩٨ ولى المأمون حلب والشام جميعه طاهر بن الحسين وفي سنة ٢٠٦ ولى المأمون مصر والشام جميعه عبدالله بن طاهر وفي سنة ٢١٣ ولى المأمون حلب وقنسرين والعواصم والثغور ابنه العبـاس وامر له بخمسمائة الف درهم وفي سنة ٢١٤ ولى المأمون حلب وقنسرين وبقيـة ما كان بيد

ولده اسحق بن ابراهيم بن مصعب بن زريق نيابة عن ولده العباس ثم عزله في هذه السنة وولى ورقة الطريفي نيابة عن ولده العباس



﴿ قدوم المأمون الى حلب ﴾

وفي سنة ٢٠١ قدم المأمون حلب للغزاة ونزل بدابق وولى حلب عيسى بن علي بن صالح نيابة عن ابنه العباس وولى قضاء حلب عبيد بن جنادين اعين مولى بني كلاب بعد ان امتنع عبيد عن القضاء وهدده المأمون وفي سنة ٢١٨ اناب المأمون عن ابنه العباس عبيدالله بن عبد العزيز بن الفضل بن صالح صاحب قصر بطياس

﴿ حوادث ايام المعتصم بحلب ﴾

وفي سنة ٢٢٣ كان المعتصم عائداً من غزاة الروم فقبض على العباس لما بلغه من عزمه على مخالفته ثم استطعم العباس فاطعم طعاماً كثيراً وحبس عنه الماء وادرج في مسح فمات في منبج ودفن بها وولى المعتصم حلب وقنسرين حربهما وخراجهما وضياعهما عبيدالله بن عبد العزيز وفي سنة ٢٢٥ ولى المعتصم الشام جميعه والجزيرة ومصر اشناس التركي وكان نائب اشناس على حلب وقنسرين عبيدالله ابن عبد العزيز وفي سنة ٢٣٠ مات اشناس وولى حلب وقنسرين عبيدالله ابن عبد العزيز وبعده ولى عليهما وعلى العواصم في هذه السنة عبيدالله محمد بن صالح بن عبدالله ابن صالح فكانت سيرته غير محمودة وكان احمر اشقر فلقب بالسماقة لشدة حمرته ويقال انه اول من اظهر البرطيل بالشام واوقع عليه

هذا الأسم وكان يعرف بالرشوة يعطى على غير اكراه وكان صموتاً لا يسمع له كلام الا بالأمر والنهي

حوادث حلب ايام الواثق

وفي سنة ٢٣١ ولى الواثق على الثغور والعواصم واعمالها احمد بن سعد بن مسلم بن قتيبه وامره بحضور الفداء مع خاقان وميخائيل صاحب الروم فامضى الفداء في هذه السنة ثم غزا شاتيا فاصاب الناس شدة فوجد الواثق عليه وعزله وولى على ما ذكر نصر بن حمزه الخزاعي

حوادث حلب ايام المتوكل

وفي سنة ٢٣٢ ولى المتوكل حلب وقنسرين والعواصم الشار باميان احد قواد المتوكل وكان الوالي على جند قنسرين من قبل الشار باميان علي بن اسماعيل بن صالح بن علي فكانت ايامه حسنة ثم ولى الشار باميان مكانه عيسى بن عبيدالله بن عبد العزيز بن الفضل وفي سنة ٢٣٥ ولى المتوكل علي مظالم جند قنسرين والعواصم والنظر في امور العمال طاهرا بن محمد بن اسماعيل بن صالح ولما وافاه مرسوم الخليفة بالتولية كان في مرضه الذي مات فيه فولى على قنسرين والعواصم والثغور وديار ربيعة ومضر والموصل وغير ذلك ابنه المنتصر بن المتوكل فكانت الولاة تأتي من قبله وفيها امر المتوكل ان يكتب الى الآفاق بان يؤمر اهل الذمة باستعمال الغيار

❊ حادث غريب ❊

وفي سنة ٢٤٢ وقع طائر ابيض دون الرخمة على دلبــة بحلب لسبع مضين من رمضان فصاح يا معشر الناس الله الله اربعــين مرة ثم طار وعاد من الغد وصاح اربعين صوتاً فكتب صاحب البريد بذلك محضراً واشهد فيه خمسمائة انسان سمعوه قال ابن العديم بعد ان حكى هذه الحادثة ولا يبعــد عندي ان تكون الدلبة هي التي ينسب اليهــا رأس الدلبة « قلت » كان محلها سوق الحمام وسمع في هذه السنة اصوات هائلة من السماء وتزلزلت نيسابور وتقلعت جبال من اصولهــا ونبع الماء من تحتها ووصلت الزلزلة الى الشام والثغور

وفي سنة ٢٤٥ كثرت الزلازل في الدنيا وتهدم من انطاكية كثير من الدور وابراج السور

— ولاة حلب ايام المنتصر والمستعين والمعتز —

وفي سنة ٢٤٧ ولى المنتصر الثغر الشامي وصيفا التركي وفي سنة ٢٥٠ مات وصيف المذكور وولى المستعين حلب وقنسرين موسى بن بغــا وفي سنة ٢٥١ ولى حلب والعواصم ابا تمام ميمون بن سليمان صدقــة بن عبد الملك بن صالح وفيها بويع المعتز بالله وامتنع عليه اهل حلب واقاموا على الوفاء للمستعين فحاصرهم احمد المولد فلم يجيبوا ثم اجابوا و بايعوا للمعتز وفي سنة ٢٥٢ ولى احمد المولد على جند حلب وقنسرين والعواصم صالحا بن عبيدالله وحده صاحب قصر بطياس . وفي سنــة ٢٥٣ ولى حلب

وقنسرين والعواصم ابو تمام ميمون بن سليمان ثانية وفي سنة ٢٥٤ مات ابو تمام المذكور بالرقة وولى صالح بن وصيف احد قواد المعتز على عمله ابا الساج ديوداد في ربيعها الاول وفي سنة ٢٥٥ تغلب احمد بن عيسى بن شيخ علي الشامات

— اول العمال الاتراك في الشام —

وفي سنة ٢٥٦ مات احمد المذكور وولى الشام احمد بن طولون مع انطاكية وطرسوس وغيرها من البلاد

— اعمال حلب ايام المعتمد —

وفي سنة ٢٥٨ عقد المعتمد لأخيه ابي احمد الملقب بالموفق على حلب وقنسرين والعواصم فاستناب فيها سيما الطويل احد قواد بني العباس ومواليهم فابتنى بظاهر حلب عند باب انطاكية داراً حسنة لها بستان كان يعرف ببستان الدار وبهذه الدار سميت محلة باب انطاكية الدارين تثنية دار احدهما هذه والثانية دار بناها قبله محمد بن عبد الملك بن صالح واحد الدارين تعرف بالسليمانية على حافة نهر قويق وحاضر السليمانية يعرف بها وهو حاضر حلب وجدد سيما الطويل الجسر الذي على نهر قويق قريباً من داره وركب عليه باباً اخذه من قصر بعض الهاشميين بني صالح بحلب يقال له قصر البنات وبه كان يعرف بدرب البنات والقصر يعرف بام ولد اسمها بنات كانت لعبد الرحمن بن عبد الملك الهاشمي وسمى سيما باب الجسر المذكور باب السلامة وفي سيما

الطويل يقول البحتري شعرا

فردت الى سيما الطويل امورنا وسيما الرضى في كل امر نحاوله

﴿ حوادث ايام بني طولون ﴾

وفي سنة ٢٦٤ عصى احمد بن طولون على مولاه ابى احمد الموفق واظهر خلعه ونزل الى الشام فجفل منه سيما الطويل الى انطاكية فنزل عليها ابن طولون وحاصرها وفتحها عنوة وقتل سيما واستولى على حلب والشام وفي سنة ٢٦٥ توجه احمد بن طولون الى مصر وولي على حلب مملوكه لؤلؤا

﴿ سنة ٢٦٧ خبر الزلزلة ﴾

فيها كانت زلزلة عظيمة بالشام ومصر والجزيرة وافريقيا والاندلس وكان قبلها هدة عظيمة قوية وفي سنة ٢٦٨ خرج بكار الصالحي من ولد عبد الملك بن صالح بين حلب وسلميه ودعا لابى احمد الموفق فوجه اليه لؤلؤ قائداً يقال له يوذر فاخفق سعيه ثم ظفر لؤلؤ ببكار وقبض عليه سنة ٢٦٨

﴿ عصيان لؤلؤ على مولاه ﴾

فيها عصى لؤلؤ على مولاه احمد بن طولون وكاتب ابا احمد الموفق بالمسير اليه وقطع الدعاء لمولاه في مدنه جميعها حلب وقنسرين وحمص وديار مضر ووافقه اهل الثغور على ذلك واخرجوا نواب مولاه منها

فوافاه مولاه من مصر سنة ٢٦٩ في مئة الف وقبض على حرمه و باع ولده و كان لؤلؤ هرب الى ابى احمد الموفق

— قصد ابن طولون الثغور وموته —

في سنة ٢٧٠ قصد ابن طولون الثغور فاغلقها اهلها في وجهه فعاد الى انطاكية ومرض وولى حلب عبدالله بن الفتح ثم شخص الى مصر ومات بها ثم ولى ابنه ابو الجيش خمارويه — ابا موسى محمد بن العباس الكلابي ثم كاتب خمارويه ابا احمد الموفق بان يقره على حلب ومصر وسائر البلاد التي كانت في يد ابيه و يدعي له على المنابر فلم يجبه الموفق الى ما طلب فاستوحش خمارويه وولى حلب القائد احمد بن دوغباش عامل الرقة

وفي هذه السنة تواقع اسحق بن كنداج عامل الموصل والجزيرة للخليفة مع ابن دوغباش عامل حلب لخمارويه

— سنة ٢٧١ اتفاق اسحق مع محمد بن ديوداد بن ابي الساج — المعروف بالافشين

فيها طمع المذكوران في الشام فسارا اليها باتفاق مع الموفق وملكا دمشق وولى الموفق ابن ديوداد حلب واعمالها ثم قدم احمد بن الموفق الى حلب بجيشه الجرار فدخلها في ربيع الآخر منها ثم سار الى قنسرين وهي لأخي القصيص التنوخي وحاضر طيئ لطيئ وعليها سور وقلعة ثم سار الى شيزر فكسر العسكر المقيم بها ثم تواقع مع خمارويه على

الطواحين قرب بلد الرملة فكانت الغلبة اولاً لابن الموفق ثم انعكس الحال وكسر وتفرقت عساكره وخرج عليه ابن ديوداد قبل وقعة الطواحين وجاء الى حلب واستولى عليها ومعه اسحق بن كنداج وفي سنة ٢٧٣ نزل خمارويه الى حلب وصالحه ابن ديوداد ودعا له على المنابر وحمل خمارويه لوجوه اصحاب ابن ديوداد مائتي الف دينار ولكاتبه نيفاً وعشرين الف دينار ثم راسل خمارويه ابا احمد الموفق فاجابه واقره على ما بيده وفي سنة ٢٧٥ صعد خمارويه من الشام الى مصر فعاد ابن ديوداد الى فساده فقصده خمارويه فهرب منه وعبر الفرات وخمارويه في طلبه فهرب الى الموفق ابن المتوكل فاحسن اليه وفي سنة ٢٧٦ ولى خمارويه حلب غلام ابيه طغج بن جف والد الاخشيد

❊ عود حلب الى العباسيين وحوادثهم فيها ❊

وفي سنة ٢٨٦ قلد المعتضد حلب وقنسرين ولده ابا محمد علي وولى ابو محمد بن المعتضد من قبله على حلب ابنه الحسن بن محمد المعروف بكوره الخراساني واليه تنسب دار كوره داخل باب الجنان بحلب والحمام المجاورة لها وكانت خربت ولم يبق منها اثر وكان كاتب محمد بن المعتضد يومئذٍ الحسين بن عمرو النصراني فقلده النظر في هذه النواحي وفي سنة ٢٨٧ خرج وصيف خادم الأفشين على الخليفة المعتضد فضم المعتضد الثغور الى كوره وكان قد اسر وصيفاً المذكور واتى به الى حلب فاقام بها يومين ووجد في بستان من بساتينها مالاً اقر به وصيف انه كان

دفنه بذلك البستان ايام مولاه الأفشين وقدره ستة وخمسون الف دينار فحمل الى المعتضد

﴿ حوادث ايام المكتفي ﴾

وفي سنة ٢٨٩ صرف المكتفي الخليفة الحسن بن كوره عن ولاية حلب وولى عليها احمد بن سهل النوتجاني وذلك في جمادي الآخرة منها ثم في سنة ٢٩٠ صرفه عنها وولى مكانه ابا الأغر خليفة بن المبارك السلمي ووجهه لمحاربة القرمطي صاحب الخال فانه كان قد عاث في البلاد وغلب على حمص وحماه ومعرة النعمان وسلمية وقتل اهلها وسبى النساء والأطفال فقدم ابو الأغر حلب في عشرة الآف فارس وانفذ القرمطي سرية الى حلب فخرج اليها ابو الأغر الى وادي بطنان فكبسه غلام القرمطي وقتل عامة اصحابه وسلم ابو الأغر في الف رجل ولجأ الى قرية من قرى حلب واقام القرامطة كالمحاصرين لحلب فلما كان يوم الجمعة سلخ رمضان سنة ٢٩٠ تسرع اهل حلب للخروج للقاء القرامطة فمنعوا وكسروا قفل الباب وخرجوا ووقعت الحرب بين الفريقين ونصر الله الحلبيين واعانهم ابو الأغر فقتل من القرامطة خلق كثير وعاد الحلبيون يوم عيد الفطر وفي سنة ٢٩٠ ولى المكتفي حلب عيسى غلام النوشري وفي آخر هذه السنة توجه عيسى الى مصر لمحاربة الطولونية واستخلف على حلب ولده ولما رجع الى حلب صرفه المكتفي منها الى مصر وولى حلب ابا الحسن ذكاء بن عبدالله الأعور سنة ٢٩٢

وكان كريماً يهب و يعطي واليه كانت تنسب دار ذكاء والى جانبها دار حاجبه فيروز انهدمت وصارت تلاً نسفه الملك الظاهر وظهر فيه بقايا من الذخائر كالزئبق وغيره وكان موضع سوق الصاغــة وكان وزير ذكاء وكاتبه ابا الحسن محمد بن عمر بن يحيي النفري واليه كانت تنسب حمام النفري وداره هي المدرسة النفرية

✵ حوادث ايام المقتدر ✵

وفي سنة ٢٩٥ عاثت بنو تميم في بــلد حلب وافسدوا فساداً عظيماً وحاصروا ذكاء في حلب فكتب المقتدر الخليفة الى الحسين ابن حمدان في انجاد ذكاء في حلب وكان ابن حمدان بالرحبة فسار الى بني تميم ولقي منهم جماعة بخناصرة واوقع بهم واسر بعضهم وانصرف ولم يجتمع بذكاء وفي سنة ٣٠٢ ولى المقتدر الشام ومصر مؤنسا الخادم نيابة عن ابنه ابي العباس بن المقتدر فاستناب مؤنس الخادم عنه في حلب ابا العباس احمد بن كيغلغ في هــذه السنة وهو الذي مدحه المتنبي بقوله (كم قتيل كما قتلت شهيداً) وكان احمد المذكور اديباً ظريفاً ومن شعره قوله

قلت له والجفون قرحي قد اقرح الدمع مــا يليها
ما لي ســيف لوعتي شبيه قال وابصرت لي شبيها

ثم ولى مؤنس الخادم على حلب في هذه السنة ابا قابوس محمودا بن جلك الخراساني وكان جباراً عنيداً منحرفاً عن اهل البيت وفي سنة ٣١٢ عزل مؤنس الخادم ابا قابوس وولى مكانه وصيف البكتمري الخــادم

وفي سنة ٣١٦ عزل وصيفاً وولى مكانه هلالاً بن بدر ابا الفتح غلام المعتضد وفي سنة ٣١٧ عزل هلالاً وولى مكانه وصيفاً ثانية فمات في حلب يوم الثلاثاء ثامن ذي الحجة منها وكان كاتبه عبدالله والد ابي العباس احمد بن عبدالله الشاعر المعروف بابن الكاتب وفي سنة ٣١٨ ولى على حلب الأمير احمد بن كيغلغ ثانية وفي سنة ٣١٩ ولى على حلب غلام مؤنس الخادم وهو طريف بن عبدالله السبكري الخادم وكان شهماً كريماً حاصر بعض حصون اللاذقية وقهر اهلها واحضرهم معه الى حلب مكرمين واضيفت اليه حمص مع حلب

✻ حوادث ايام القاهر ✻

وفي سنة ٣٢١ قبض الخليفة القاهر مولاه مونس الخادم وولى حلب ودمشق بشرى الخادم فاقر بشرى طريفاً على عمله وسار الى حمص لقتال ابن طغج فكسر بشرى واسر وخنق ووصل الأمير ابن كيغلغ الى حلب واتفق مع محمد بن طغج

✻ حوادث ايام الراضي الخليفة ✻

وفي سنة ٣٢٤ قلد الراضي حلب واعمالها بدرا الخرشني فبلغ خبره طريفاً وكانت حلب واعمالها بيده فانفذ صاحبا له الى ابن مقلة ليتوسل له بتجديد العهد وبذل له عشرين الف دينار وكان الخرشني وصل الى حلب فدافعه طريف رجاء ان يقضي اربه فزحف الخرشني على طريف

في ارض حلب فانهزم طريف وتسلم حلب الخرشني فاقام بهـا مدة ثم طلبه الخليفة فسار اليه واستناب طريفاً وقلده حلب واعمالها وفي اواخر هذه السنة قلد الراضي ابا بكر الأخشيد محمـدا بن طغج مصر واعمالها مضافاً الى ما بيده من الشام وفي سنة ٣٢٥ استناب الأخشيد بحلب ابا العباس احمد بن سعيد بن العباس الكلابي وفيها وردت بنو كلاب من نجد واغاروا على المعرة واسروا واليها واكثر جنوده فخرج اليهم ابو العباس والي حلب وخلص منهم والي المعرة وفي سنة ٣٢٧ دخـل حلب والياً عليها ابو بكر محمد بن رايق وقيل كان دخوله اليها سنة ٣٢٨ ولما وصل اليها استناب بهـا خاصة محمد بن يزداد وسار لقتـال الاخشيد فهزم الاخشيد وسلم دمشق الى ابنه مزاحم ثم جرى بين ابى بكـر و بين الاخشيد وقعة ثانية في الحفار اسر فيها مزاحم فرجع ابن رايق وخلص ولده فقتل اخو الاخشيد فكفنه ابن رايق ووضعه في تابوت و بعث به الى الاخشيد اخيه مع ابنه مزاحم الذي كان مأسوراً وقال مـا اردت قتل هذا وهذا ولدي لتقيده به فاحسن الاخشيد الى محمد المذكور ورده على ابيه

— حوادث ايام المتقي —

❋ استيلاء الدولة الاخشيدية على حلب وحوادثهم فيها ❋

وفي سنة ٣٢٩ سير الاخشيد كافوراً من مصر ومعـه عسكر ضخم وفي مقدمته ابو المظفر مساور ابن محمد الرومي فوصـل الى حلب هو

و كافور والتقيا مع محمد بن يزداد والي حلب من قبـل رايق فكسراه واسراه واخذا منه حلب وتولاها مساور بن محمد الرومي ممدوح المتنبي بقوله

امساور ام قرن شمس هذا ام ليث غاب يقدم الاستاذا

يريد بالاستاذ كافوراً والى كسرة بن يزداد اشار بقوله

هبك ابن يزداد حطمت وصحبه اترى الورى اضحوا بني يزداذا

ومساور هـذا هو صاحب الدار التي كانت تعرف بدار ابن الرومي بالزجاجين بحلب وتعرف ايضاً بدار مستفاد وهي شرقي المدرسة العمادية التي جددها سليمان ابن عبد الجبـار ابن ارتق وتنسب الى بني العجمي ثم ان الاخشيد اتفق مع ابن رايق على ان يبقي بيـد ابن رايق حمص وحلب و يحمل الى الاخشيد مالاً معلوماً و يزوجه ابنته وفي سنة ٣٣٠ قتل ابو بكر بن رايق المذكور و كان شهماً مقداماً سخياً لكنه عظيم الكبر مستبد برأيه غير موفق للصواب و كان نائبـه بحلب احمد بن علي بن مقاتل ومعه مزاحم ابن رايق

﴿ حوادث ايام المتقي وابتداء امر بني حمدان في حلب ﴾

ولما قتل ابن رايق كان امير الامراء عند المتقي الخليفة العباسي ناصر الدولة ابن حمدان اخو سيف الدولة فقلد ناصر الدولة ديار مضر عليا بن خلف وانفذ معه عسكراً و كتب الى يانس المؤنسي ان يعاضـده و كان والياً على ديار مضر من قبل ناصر الدولة فسارا الى احمد بن مقاتل ومزاحم

وانتصرا عليهما في وادي بطنان وملكا منهما حلب ثم ان عليا بن خلف سار الى الاخشيد وصار وزيراً عنده ثم عتا عليه فاعتقله الاخشيد ومات في حبسه و بقي يانس والياً على حلب سنة ٣٣١ واتفق مع الاخشيد ودعا له على المنابر وفي هذه السنة في ربيع الآخر منها وصل الروم الى قرب حلب ونهبوا وخربوا البلاد وسبوا خمسة عشر الف نسمة

﴿ سنة ٣٣٢ وابتداء امر بني حمدان في حلب واعمالها ﴾

في هذه السنة تقرر بين تورون احد قواد الخليفة و بين ناصر الدولة ابن حمدان ان يكون للاول اعمال البصرة وما اليها وللثاني الموصل واعمال الشام فاستعمل ناصر الدولة على طريق الفرات وديار مضر وجند قنسرين والعواصم وحمص — ابا بكر محمدا بن علي بن مقاتل ثم استبدله بابن عمه ابي عبدالله الحسين بن سعيد بن حمدان فاقبل هذا من الموصل ومر في طريقه على الرقة فمنعه اهلها فقاتلهم وظفر بهم واحرق بعض البلدة واسر اميرها محمد بن حبيب البلزمي ثم سار الى حلب وكان فيها يانس المونسي واحمد بن العباس الكلابي من قبل الاخشيد فهربا الى حمص واستولى ابو عبدالله على هذه البلاد واقام في حلب ووافاه الاخشيد ابو بكر محمد بن طغج فاجفل عنه ابو عبدالله الى الرقة لضعفه عن لقائه

﴿ حوادث ايام المتقي بالله والمتكفي بالله سنة ٣٣٣ ﴾

ولما وصل ابو عبدالله الى الرقة وجد فيها الخليفة المتقي بالله فلم يأذن

لابي عبدالله بالدخول اليها واستدعى المتقي الاخشيد فاتى اليه واكرمه كما ان الاخشيد بره ووصله ثم كتب الخليفه له عهداً على الشام ومصر على ان يكون له ولابنه ابي القاسم انوجور الى ثلاثين سنة وعاد الاخشيد الى حلب .

❋ استيلاء سيف الدولة على حلب

وفيها سار الاخشيد الى مصر وولى حلب ابا الفتح عثمان بن سعيد الكلابي فحسده اخوته الكلابيون واستدعوا سيف الدولة عليا بن حمدان ليولوه على حلب فقدم اليها سيف الدولة برضاء اخيه ناصر الدولة وقد عرف اختلاف الكلابيين وضعف ابي الفتح عن لقائه فاستولى على حلب وهو الاستيلاء الاول في هذه السنة ولم ير كيداً من الكلابيين ولا من غيرهم . ولما دخل الى حلب عزل قاضيها بن ماثل وولى مكانه ابن الهيثم الرقي وكان ظالماً يأخذ تركة من مات الى سيف الدولة

❋ غزو سيف الدولة ارض الروم ❋

فيها غزا سيف الدولة ارض الروم فهتك بلد الصفصاف وعرسوس وغنم وعاد

❋ قصد جيوش الاخشيد حلب واستيلاؤ عليها ❋

وما كاد سيف الدولة يستقر في حلب بعد عوده من غزو ارض الروم حتى بلغه زحف جيوش الاخشيد على حلب مع قائده وخادمه كافور و يانس المونسي فبدرهما سيف الدولة وهما في الرستن واوقع بهما و بعساكرهما واسر

منهم اربعة الاف وغنم جميع ما معهما ثم اطلق الاسرى وتوجه الى دمشق ثم خرج منها الى الأعراب ولما عاد اليها منعه اهلها فبلغ الاخشيد ذلك فقصده نخام سيف الدولة عن لقائه لقلة عسكره لان اكثرهم استأمن الى الاخشيد ثم تواقعا بارض قنسرين فدارت الدائرة على سيف الدولة وولى منهزماً الى الرقة ودخل الاخشيد حلب وعادت اصحابه في نواحيها وقطعوا اشجارها الكثيرة وبالغوا بايذاء الناس لميلهم الى سيف الدولة

﴿ سنة ٣٣٤ وعود سيف الدولة الى حلب وهو الاستيلاء الثاني ﴾

ثم في ربيع الاول من هذه السنة تقرر الصلح بين الاميرين على ان تكون حلب وحمص وانطاكية لسيف الدولة ودمشق للاخشيد على ان يدفع عنها الى سيف الدولة اتاوة سنوية

— استيلاء سيف الدولة على دمشق —

ثم ان سيف الدولة اغتنم فرصة خلو دمشق من الحامية لانسحاب جيوش كافور وانوجور منها الى مصر لكفاح المغربي الذي استولى عليها فتوجه سيف الدولة الى دمشق واستولى عليها ثم تبين فيه لاهلها امارات الطمع فكاتبوا كافورا فحضر اليهم ومعه انوجور بن الاخشيد

— سنة ٣٣٥ حرب سيف الدولة مع كافور —

فتحارب في هذه السنة سيف الدولة في اكسال مع كافور فانكسر سيف الدولة وولى منهزماً الى حمص فحشد وعاد الى مرج عذراء وتواقع

فيه مع كافور فانكسر ايضاً وانهزم الى الرقة ودخل كافور الى حلب وولى عليها يانس المونسي

﴿ الفداء بالثغور بين المسلمين والروم ﴾

فيها كان الفداء بين المسلمين والروم على يد عامل سيف الدولة في الثغور وكان عدد الاسرى ٢٤٨٠ وفضل للروم على المسلمين ٢٣٠ اسيراً فوفاهم سيف الدولة من ماله

— سنة ٣٣٦ —

وفي شهر ربيع الآخر من هذه السنة اقبل سيف الدولة الى حلب وكبس يانس المونسي فانهزم الى سرمين فارسل سيف الدولة اليه من يتعقبه فانهزم وحده الى اخيه بميافارقين . ثم تجدد الصلح بين سيف الدولة وابن الاخشيد على الصفة التي كانت بينه وبين الاخشيد دون الاتاوة السنوية واستقر سيف الدولة بحلب وهو الاستيلاء الثالث وعمر داره في ارض الحلبة واجرى اليها الماء من قويق

وفيها كان الغلاء بالشام وأُكلت الحمير والهررة والصبيان ومات خلق كثير

﴿ سنة ٣٣٧ غزو سيف الدولة الروم وانكساره وغير ذلك ﴾

فيها غزا سيف الدولة الروم فانكسر واخذ الروم مرعش واوقعوا باهل طرسوس . وفيها ملك سيف الدولة حصن برزيه وفي ذلك يقول

ابو الطيب « وفاؤكما كالربع اشجاه طاسمه » — وفيها استنقذ سيف الدولة ابا وائل تغلب بن داود بن حمدان لما اسره الخارجي الذي نجم في شعبان هذه السنة وفي ذلك يقول ابو الطيب « الام طماعية العاذل »

✲ سنة ٣٣٩ غزو سيف الدولة الروم ✲

فيها غزا سيف الدولة الروم واوغل وفتح حصوناً كثيرة وسبى وغنم ثم اخذ الروم عليه المضايق فهلك من كان معه ونجا سيف الدولة في عدد يسير

✲ سنة ٣٤٠ موت يماك التركي ✲

فيها مات يماك التركي مملوك سيف الدولة وكان مقدم مماليكه وكانوا اربعة الاف مملوك شراء ماله ورثاه ابو الطيب بقوله « لا يحزن الله الامير فانني »

✲ سنة ٣٤١ قصد الروم مدينة سروج ✲

فيها قصد الروم مدينة سروج وسبوا وغنموا وخربوا مساجدها وانصرفوا فتبعهم سيف الدولة وظفر بهم وبنى مرعش وفي ذلك يقول ابو الطيب « فديناك من ربع وان زدتنا كربا

✲ مد نهر قويق ✲

وفي شتاء هذه السنة مد نهر قويق حتى احاط بدار سيف الدولة ودورها سبعة الاف ذراع وسماها السيفية فخرج ابو الطيب من عنده

فبلغ الماء الى صدر فرسه فقال في ذلك الارجوزة التي مطلعها « حجب ذا البحر بحاراً دونه »

— سنة ٣٤٢ خروج سيف الدولة الى ديار مضر — وايقاعه بالدمستق واسره ابنه

في حاشية من ديوان للمتنبي مخطوط محفوظ عندي ما صورته فيها رحل سيف الدولة من حلب الى ديار مضر لاضطراب البلاد بها فنزل حران فاخذ رهاين بني عقيل وقشير وعجلان وحدث له بها رأي في الغزو فعبر الفرات الى دلوك الى قنطرة صنجة الى درب القلة فشن الغارة على ارض عرقة وملطية وعاد ليعبر الفرات من درب موازد فوجد العدو قد ضبطه عليه فرجع وتبعه العدو فعطف عليه فقتل كثير من الارمن ورجع الى ملطية وعبر قباقب وهو نهر حتى ورد المخاض على الفرات تحت حصن يعرف بالمنشار فعبر الى نهر هنزيط وسمنين ونزل بحصن الران ورحل الى سميساط فورد عليه بها من خبره ان العدو في بلد المسلمين فاسرع الى دلوك وعبرها فادركه راجعاً على جيحان فهزمه واسر قسطنطين بن الدمستق وجرح الدمستق في وجهه وكان الايقاع به يوم الاثنين لعشر خلون من ربيع الاول فقال ابو الطيب يصف ما كان في جمادي الآخرة من هذه السنة « ليالي بعد الظاعنين شكول »

— سنة ٣٤٣ سير سيف الدولة الى الحدث — وايقاعه بجيوش الدمستق

وفي الحاشية المذكورة ما صورته

في هذه السنة سار سيف الدولة نحو حصن الحدث لبنائها وكان اهلها اسلموها بالأمان الى الدمستق سنة ٣٣٧ فنزلها سيف الدولة يوم الاربعاء لاحدى عشرة ليلة بقيت من جمادي الآخرة من سنة ٣٤٣ وبدأ في يومه بخط الأساس وحفر اوله بيده ابتغاء ما عند الله تعالى فلما كان يوم الجمعة نازله ابن النقاس دمستق النصرانية في نحو خمسين الف فارس وراجل من جموع الروم والأرمن والروس والبلغر والصقلب والخزرية ووقعت المصادمة يوم الاثنين انسلاخ جمادى الآخرة من اول النهار الى وقت العصر وان سيف الدولة حمل عليه بنفسه في نحو خمسمائة من غلمانه واصناف رجاله فقصد موكبه وهزمه وظفر به وقتل نحو ثلاثة الاف رجل من مقاتلته واسر خلقاً من استخلاديه واراخيته فقتل اكثرهم واستبقى البعض واسر نوذس الأعور بطريق سمندوا والقنذوا وهو صهر الدمستق على ابنته واسر ابن بنت الدمستق واقام على الحدث الى ان بناها ووضع آخر شرافة منها بيده في يوم الثلاثا لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب فقال ابو الطيب في ذلك وانشده اياها بعد الوقعة بالحدث « على قدر اهل العزم تأتي العزائم »

اقول هذه النبذة ساقها العكبري في شرح هذه القصيدة مع تصرف

قليل ببعض الفاظها وقد غلط ابن الأثير فـذكر اسر ابن الدمستق في هذه الوقعة ولعل الذي اوقعه بهذا الوهم قول المتنبي في هذه القصيدة

وقد فجعته بابنه وابن صهره وبالصهر حملات الأمير الغواشم

على ان الفجع بابنه في هذا البيت لا يستلزم حصوله في هذه الوقعـة انما هو اخبار عنه في الوقعة الاولى

وقد غلط بعض المؤرخين في هاتين الوقعتين غلطتين احداهما توهمه انهما وقعة واحدة وثانيهما فهمه من عبارة العكبري انها افادت ان ابن الدمستق اسر في هذه الوقعة مع ان عبارة العكبري لا يستفاد منهـا انه اسر ولا قتل في هذه الوقعة كما يظهر ذلك بداهة لمن قرأهـا · على ان ذكر اسره في قصيدة المتنبي التي انشدها في الوقعة الاولى صريح حيث يقول

على قلب قسطنطين منه تعجب وان كان في ساقيه منه كبول

— ايقاع سيف الدولة ببني كلاب —

وفيها احدث بنو كلاب حدثاً بنواحي بالس وسار سيف الدلة خلفهم فادركهم بعد ليال على بعد ١٢٠ ميلاً من حلب فاوقع بهم ليلاً فقتل وملك الحريم وابقى واحسن فقال ابو الطيب « بغيرك راعياً عاث الذئاب »

— سنة ٣٤٤ ورود رسول ملك الروم —

في محرم هذه السنة ورد على سيف الدولة فرسان طرسوس واذنه والمصيصة ومعهم رسول ملك الروم في طلب الهدنة والفداء فقال ابو الطيب «اراع كذا كل الانام همام»

— خروج سيف الدولة الى الأعراب وايقاعه بهم —

في الحاشية المذكورة ما خلاصته :

في هذه السنة تجمعت عامر بن صعصعة وعقيل وقشير والعجلان اولاد كعب بن ربيعة بن عامر بمروج سلمية وكلاب بن ربيعة ومن ضامها بماء يقال له الزرقاء بين خناصرة وسورية وتشاكوا بما لحقهم من سيف الدولة وتضافروا على حربه وكانوا في كثرة من عددهم وعددهم وقد زين لهم ذلك قواد من كعب كانوا في عسكر سيف الدولة فركضوا على اعماله فقتلوا صاحبه بناحية زعرايا يعرف بالمربوع من بني تغلب وقتلوا الصباح بن عمارة والي قنسرين . ثم ان سيف الدولة اشتغل عن النهوض اليهم بوفود طرسوس فتمادت ايام مسيره وزاد ذلك في طمع البوادي ثم قدم مقدمة الى قنسرين في يوم السبت لليلة خلت من صفر هذه السنة فاقامت المقدمة احد عشر يوماً املاً ان ترعوي البادية فلم يرتدعوا فبرز سيف الدولة الى ضيعة يقال لها الراموسة على ميلين من حلب في يوم الثلاثا لاحد عشر ليلة خلت من صفر وسار عنها في يوم الاربعاء فنزل تل ماسح وراح منه فاجتاز بمياه الخيار فطواها وتلقته

مشيخة من بني كلاب وغيرهم فطرحوا نفوسهم بين يديه وسألوه قبول تسليمهم اليه وقصد سلمية فلما كان سحر يوم الجمعة لاربع عشرة خلت من صفر تجمعت الأعراب كعب ومن ضامها من اليمن في عدتها وعدتها وحبسوا ظعنهم بماء يقال له حيران على نحو مرحلة من سلمية و بعضهم بماء يقال له القرقلس وراءه ووافت خيولهم مشرفة على عسكر سيف الدولة من كل ناحية فركب لهم ووقع الطراد فلم يمض الا ساعات حتى ركب اكتافهم وولوا واستحر القتل والاسر بآل المهيا ووجوه عقيل وقوادها واسر خو يلد بن عوسجة بن منصور بن المهيا وشداد النعمي وجه بني نعمة فاطلق جميعهم منا عليهم مع عدد كبير اسروا واطلقوا وقتل من جمهم نيفا وخمسين رجلاً واخذ منهم نحو مايتي فرس ودروع من كان عليها ورحل سيف الدولة ضحوة نهار الجمعة متبعاً لهم فاسرعوا الترحيل بيوتهم فوافى ماء حيران بعد الظهر فوجد اثار جفلتهم وسار الى ماء القرقلس وامر بالنزول عليه ثم عن له رأي في اتباعهم فرحل لوقته الى ماء الغنثر يوم السبت النصف من صفر وتسع بقين من حزيران وقدم خيلا فلحقت مالهم وحازته فنزل على الغنثر قبل نصف الليل وقد امتلأت الارض من الاغنام والجمال والهوادج والرحال وقد تفرقت خيولهم واشتبهت عليهم الطرق فوقع اصحابه على عدة منهم فقتلوهم وسار وقت السحر الى تدمر فنزل ماء الجباه على سبعة وعشرين ميلاً من الغنثر وتفرقت خيله في طلب الفلول فساقت الماشية وقتلت عدة وسار سيف الدولة من تدمر نحو السماوة فقتل واسر وصفح عما ملكه من الحريم ثم رجع

من السماوة شفقة عليهم من الاستئصال لان الكثير منهم يموتون عطشاً وجوعاً وقد قصد فريق منهم جهة القلمون مما يلي دمشق ثم عاد سيف الدولة الى معسكره ومر بطريقه على جماعة من تلك الجموع اسروا وعجزوا عن الهرب فبرهم وزودهم واقام بتدمر يومين و بث الخيل ليتعرف اخبارهم فظفرت خيوله بمال منقطع واقوام فصفح عنهم ورحل نحو اركه ثم نحو السخنة ثم نحو عرض والرصافة والرقة فتلقاه اهلها ثم نحو حلب فوصل اليها يوم الجمعة لست خلون من شهر ربيع الاول من هذه السنة فقال ابو الطيب يمدحه و يذكر ما جرى « تذكرت ما بين العذيب و بارق »

مسير سيف الدولة الى الدمستق في حصن الحدث

في جمادى الأولى من هذه السنة نهض سيف الدولة الى الثغر لما ورد عليه من الدمستق وجيوش النصرانية قد نزلوا على حصن الحدث ونصبوا عليه مكايد وقد انجدهم ملكهم باصناف العسكر من البلغر والروس والصقلب في عدد وعدد فسار سيف الدولة من حلب فلما قرب من الحدث رحل العدو الى حصن رعبان وخرج اهل الحدث واخذوا آلة سلاح العدو واعدوه في حصنهم وعاد سيف الدولة الى حلب فقال ابو الطيب « ذي المعالي فليعلون من تعالى »

اقول ذكر العكبري ان هذه الحادثة كانت في سنة ٣٤٠ وهو غلط والصواب انها كانت في هذه السنة وهي سنة ٣٤٤

❊ سنة ٣٤٥ غزو سيف الدولة الروم ❊

في الحاشية المذكورة ما خلاصته : ان سيف الدولة غزا من حلب ومعه ابو الطيب وقد اعد الآلات لعبور ارسناس فاجتاز بحصن الران ثم اجتاز بحيرة سمنين ثم بهنزيط وعبرت الروم والارمن ارسناس وهو عظيم الجرية والبرد فسبح الخيل حتى عبرته خلفهم الى تل بطريق وهو مدينة لهم فغرق جماعته واحرق تل بطريق وقتل من وجد فيها واقام اياماً وعقد بها سمريات ليعبر السبي فيها ثم اقفل فاعترضه البطريق في الدرب بالجيش وارتفع في ذلك الوقت سحاب عظيم وجاء مطر جود ووقع القتال تحت المطر ومع البطريق نحو ثلاثة الاف قوس فابتلت اوتار القسي فلم تنفع فانهزم اصحابه ثم انهزم بعد ان قاتل وابلى وعلقت به الخيل فجعل يحمي نفسه حتى سلم واتصل بسيف الدولة خبر يأنس سبط الدمستق شمشقيق البطريق في متابعته الغارة على اطراف ديار بكر وتقديره انه آمن بعد سيف الدولة فسار سيف الدولة في يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من محرم سنة ٣٤٥ ولما وصل الى حران لقيته وجوه بني نمير لائذين به وسألوه العفو عن كل شيء كان انكره عليهم فاجابهم الى ذلك وتنكب طرق الجادة واخذ على حصن الران الى حصن الحمة الى حصن ارقبين وجميعها له وفي يده ودخل منه غازيا في يوم السبت لأربع بقين منه وقد كان البطريق ومن تجمع اليه من البطارقة ورد الدرب للغارة على بلد آمد فلما اشرف سيف الدولة ولوا منهزمين

ونزل سيف الدولة بشاطئ بحيرة سميساط وخيوله تركض وتأسر وتحرق وتسبي ثم سرى في يوم الاحد بغلامين من غلمانه الى شط ارسناس وسار في اثرهما فنزل ضيعة تعرف بأنجى في لحف حصن زياد وعادت سريته غانمة سالمة و بكر فسار الى شط ارسناس فنزل على حصن اشوان بازاء مدينة يقال لها الاشكونية وهي مسكن البطريق وكان اخذ معه سفناً مخلعة واطوافاً فلما خيم بشاطئ النهر يوم الاثنين لليلتين بقيتا من المحرم عبر بعض خيوله سابحة الى ناحية الاشكونية فسبت وغنمت وابتدأ بعمل السفن والاطواف ففرغ من عدة منها في بقية يومه وباكر تعبير الرجال فيها في يوم الخميس فقصد مدينة تل البطريق فاحرقها وانكفأ الى اخرى يقال لها اسفوان فالحقها باختها وشن الغارات في تلك الاطراف و بلغ ذلك من الروم مبلغاً عظيماً وعاد الى سواده وعسكره ظافراً غانماً ورحل يوم السبت لثلاث خلون من صفر فقصد بلداً يقال لها هورى فاحرقه وما اجتاز به من بلاد الروم وسبى وقتل ورحل في يوم الاحد فنازل حصناً يقال له دارم وفيه مقاتلة للروم من يوم الثلاثا الى يوم الخميس حتى قارب فتحه فبلغه تجمع الروم في عددهم ومددهم واخذهم الدروب وتقديرهم اعتراضه في يوم الجمعة فنزل منزلاً ببطن سمنين بعد عبره عقبة هاموته و بكر في يوم السبت لعشر خلون من صفر قافلاً الى الدرب المعروف بدرب بافسايا فلما توسط وظهرت قوافل اعدائه انفذ اليهم من ناوشهم فاستظهر عليهم ثم كروا وصبروا وامر سيف الدولة بضرب خيمة بموضعه وصعد الى جموعهم وهم عند

انفسهم مستظهرون في مواضعهم فحمل عليهم فولوا ووضع السيف فيهم فقتل فيما قتل اربعة الاف رجل منهم ابن بلنطس البطريق وابن فشير فارس النصرانية وزروان مرح قلزور وارجوزان وعدد يطول ذكرهم وغنم الرجال ما يفوق الاحصاء من الدواب والبغال والحلي والديباج وسار طالباً لفلهم في طبراش وصعوده وهبوطه واحتاج في بعضه الى الترجل والمشي وكان انصرافه عن الفل بعد العصر وسار نحو آمد فدخلها في آخر نهار يوم الاحد لعشر خلون من صفر سنه ٣٤٥ فانشده ابو الطيب في آمد قصيدته التي مطلعها « الرأي قبل شجاعة الشجعان »

سنة ٣٤٧ الزيادة في الآذان

قال المقريزي في الخطط المصرية اول من اذن بالليل محمد وعلي خير البشر الحسين المعروف باميراشكنبه ويقال اسكنبه وهو اسم اعجمي معناه الكرش وهو ابن علي بن اسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن ابي طالب وكان اول تأذينه بذلك في حلب ايام سيف الدولة سنة ٣٤٧ ولم يزل الآذان بحلب يزاد فيه حي على خير العمل ومحمد وعلي خير البشر الى ايام نور الدين محمود زنكي فلما فتح المدرسة الكبيرة المعروفة بالحلوية استدعى ابا الحسن عليا بن الحسن بن محمد البلخي اليها فجاءه ومعه جماعة من الفقهاء والقى بها الدروس فلما سمع الآذان امر الفقهاء ان يصعدوا المنارة وقت الآذان وقال لهم مروهم ان يؤذنوا الآذان الشرعي ومن امتنع منهم كبوه على رأسه

ففعلوا ما امرهم به و بطلت هذه الزيادة : قلت سيأتي ذكر هذا في حوادث سنة ٥٤٣ : وذكر ابن الوردي حادثة ابتداء الزيادة في الآذان سنة ٣٦٩ ايام سعد الدولة ابي المعالي شريف بن سيف الدولة لا في ايام ابيه كما ذكره المقريزي فليحرر

اما زيادة الصلاة والسلام عقيب كل آذان فقد التزمت في حلب سنة ٧٩٢ : قال ابو ذر في تاريخه في ترجمة الملك الظاهر برقوق الجهاركسي — وفي ايامه سنة ٧٩٢ احدثوا في حلب السلام على النبي عليه السلام عقيب كل آذان و يقال ان ذلك عن امره و كان هذا قد احدث في العام الاول ثم قال واخبرني والدي انهم كانوا يصلون على آدم عقيب الآذان وسببه ان شخصاً زعم انه رأى في منامه آدم فقال له انا ابوكم ولا تذكروني ولا تصلون عليّ فاخبر بذلك الحاكم فامر بالصلاة عليه اه

❋ سنة ٣٤٨ غزو الروم طرسوس والرها ❋

في هذه السنة غزت الروم طرسوس والرها فقتلوا وسبوا وعادوا سالمين

❋ سنة ٣٤٩ غزو سيف الدولة الروم ❋

فيها غزا سيف الدولة الروم فابلى فيهم وفتح عدة حصون وسبى واسر وغنم و بلغ خرشنة ثم ان الروم اخذوا عليه المضايق واستردوا جميع ما معه ووضعوا السيف في اصحابه وتخلص هو في ثلاثمائة رجل بعد جهد

ومشقة وفي ذلك يقول المتنبي «غيري باكثر هذا الناس ينخدع»

﴿ الجليد والبرد ﴾

وفيها جاء الجليد والبرد حتى جمد الفرات والقدور على النار و يبس الزيتون في المعرة و كفر طاب وفي سنة ٣٥٠ خرج كمين من الروم على قفل بين انطاكية وطرسوس فاخذ الرجال وقتل كثيرا منهم و كان معهم صاحب انطاكية فتخلص منهم

﴿ سنة ٣٥١ استيلاء الروم على عين زربه ﴾

فيها زحف الدمستق بجيوشه الجرارة على مدينة عين زربه وتسلمها من اهلها بعد ان امنهم ثم غدر بهم فقتل الرجال والنساء والصبيان ومات كثير من اهلها في الطرقات ونهب الروم جميع اموالهم واستولوا على اربعة وخمسين حصناً ثم انصرف الدمستق على ان يعود بعد عيده وخلف جيشه بقيسارية و كان ابن الزيات صاحب طرسوس خرج في اربعة الآف طرسوسي فقتل الدمستق اكثرهم وقتل اخا ابن الزيات فعاد ابن الزيات لطرسوس و كان قطع بها الخطبة لسيف الدولة فاعادها اهل البلد له وراسلوه وعلم ابن الزيات بذلك واشتد عليه هذا الامر فصعد الى روشن في داره والقى منه نفسه الى النهر تحته وغرق وراسل اهل بغراص الدمستق و بذلوا له مائة الف درهم فاقرهم وترك معارضتهم وفي هذه السنة اعاد سيف الدولة بناء عين زربه : وفيها بعد ان انصرف الدمستق الى بلاده وقضى صومه وعيده بها خرج الى قيسارية جريدة

ولم يعلم به سيف الدولة

❋ استيلاء الدمستق على حلب ❋

فتوجه الدمستق الى حلب و كبسها وقد اعجــل الامر سيف الدولة عن الجمع والاحتشاد فخرج اليه بمن معه فقاتله ولم يكن له به قبــل لقلة عسكره فقتل اكثرهم وقتل جميع اولاد داود بن حمــدان وانهزم سيف الدولة في نفر يسير وظفر الدمستق بدار سيف الدولة المعروفة بالدار ين خارج حلب فوجد فيها لسيف الدولة ثلاثمائة بدرة دراهم واخذ له الفاً وار بعمائة بغل وسلاحاً لا يحصى وخرب الدار وملك الحــاضر وحاصر المدينة فقاتله اهلها من ثلمة من السور ثلمها الروم فقتــل من الروم خلق كثير وفي الليل عمر الحلبيون هذه الثلمة فتأخر الروم الى جبل الجوشن ثم ان رجال الشرطة قصدوا منازل التجار لينهبوها فلحق الناس اموالهم ليمنعوها وخلا السور منهم فاغتنم الروم الفرصة وتسوروا ونزلوا وفتحوا الابواب ودخلوا البلد بالسيف يقتلون من وجدوا حتى ضجروا وتعبوا و كان في حلب الف وار بعمائة اسير رومي فخــلصوهم وجمعوا السلاح وسبوا بضعة عشر الف صبي وصبية واخذوا من الاموال ما قدروا علي حمله واحرقوا المساجد والجامع الاعظم واحترق معه مكتبته التي كانت تشتمل على عشرة الاف مجلد في فنون شتي و كانت عدة عسكره ســـفي هذه الواقعة مائتي الف رجل منهم ثلاثون الف مدرع وثلاثون الفا للهدم واصلاح الطرقات وتنحية الثلوج عنها وار بعة الاف بغل تحمل

الحسك من الحديد ولما دخل الروم البلد قصد الناس القلعة فمن دخلها نجا بنفسه واقام الدمستق تسعة ايام واراد الانصراف عن حلب ثم بدا له ان ينزل على القلعة فانفذ ابن اخت الملك وكان معه وبقي الدمستق بعسكره على باب البلد فتقدم المذكور ومعه سيفه وترسه وتبعه الروم ولما قرب من باب القلعة التي عليه حجر فسقط ورمي بخشب فقتل فاخذه اصحابه وعادوا الى الدمستق فلما رآه قتيلاً قتل جميع من كان معه من اسرى المسلمين وكانوا الفا ومائتي اسير وعاد الى بلاده ولم يعترض لسواد حلب وامر اهله بالزراعة والعمارة ليعود اليه في العام الثاني وفي هذه السنة اسرت الروم ابا فراس الحمداني من منبج وكان متقلداً لها

امتناع اهل حران على عاملها

وفي سنة ٣٥٢ امتنع اهل حران على صاحبها هبة الله بن ناصر الدولة الحمداني وكان متقلداً لها ولغيرها من ديار مضر من قبل عمه سيف الدولة فعسفهم وظلمهم وكان هبة الله عند عمه بحلب حين قيامهم على نوابه فسار اليهم سيف الدولة وابن اخيه وحصروهم واقتتلوا اكثر من شهرين ثم لما رأى سيف الدولة شدة الامر اجابهم الى ما طلبوا ودخل هبة الله البلد

الايغال في بلاد الروم

وفيها دخل اهل طرسوس بلاد الروم غزاة ودخل ايضاً نجا غلام سيف الدولة من درب آخر فاوغل اهل طرسوس في بلاد الروم حتى

دخلوا قونيه وعادوا و كان سيف الدولة ينتظر الغزاة على راس درب من تلك الدروب ولم يسر معهم لانه كان مريضاً ولما صح خاف هبة الله وهرب الى حران واشاع ان عمه مات وتحالف مع اهلها على الحرب والسلم فارسل سيف الدولة غلامه نجا الى حران وهرب هبة الله الى الموصل ونزل نجا على حران وقبض اهلها وصادرهم على الف الف درهم وشرط عليهم تأديتها بخمسة ايام بعد الضرب المبرح بحضرة عيالاتهم واهليهم فباعوا ما يساوى ديناراً بدرهم لعدم وجود من يشتري غير اصحاب نجا ثم افترق اهل حران و بقيت بلا والٍ وسار نجا الى ميافارقين حيث كان سيف الدولة

❊ سنة ٣٥٣ عصيان نجا على سيف الدولة ❊

فيها عصا نجا على سيف الدولة بطراً بما صار معه من الاموال التي اخذها من اهل حران وانضم اليها ما اخذه بعد من ابي الورد المستولي على كثير من ارمينية حينما قصده نجا وقتله واخذ امواله وقلاعه و بلاده خلاط وملا ذكرد وموش فتمكن بهذه الاموال واظهر العصيان على مولاه سيف الدولة فقصده سيف الدولة ليقاتله على عصيانه فهرب منه واستولى سيف الدولة على بلاده ثم كاتبه يرغبه و يرهبه حتى حضر عنده فاكرمه واعاده الى مرتبته ثم وثب عليه غلمان سيف الدولة لانه تعرض الى احدهم فقتلوه وطرحوه في مجرى الماء والاقذار الى الغد ثم دفن

﴿ سنة ٣٥٤ استيلاء تقفور على المصيصة ﴾

فيها حاصر تقفور ملك الروم المصيصة وفتحها عنوة ثم رفع السيف عمن بقي من المسلمين ونقلهم الى الروم وكانوا مائتي الف ثم امن اهلها وكان بها اربعون الف فارس وسار اهلها عنها في البر والبحر وجهز معهم من يحميهم الى انطاكية ولقيهم اهل انطاكية بالبكاء والنحيب وكان في مقدمة الطرسوسين رجل يقرأ اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا الى قوله تعالى ربنا الله

﴿ مخالفة اهل انطاكية سيف الدولة ﴾

وفيها اطاع اهل انطاكية احد مقدمي الطرسوسين وخالفوا سيف الدولة واسم المقدم رشيق فساروا الى حلب وقاتلهم قرعويه غلام سيف الدولة وحاجبه وعامله بحلب وكان سيف الدولة بميافارقين فارسل سيف الدولة عسكراً مع خادمه بشارة وقاتلا رشيقا فقتل رشيق وهرب اصحابه الى انطاكية ولما عاد سيف الدولة الى حلب اجتمع على حربه ابن الاهوازي رجل كان يضمن الارحاء بانطاكية وهو الذي كان امد رشيقا بماله وزين له العصيان على سيف الدولة وكان مع ابن الاهوازي في هذه الوقعة دزبر الديلمي خليفة رشيق فقتل ابن الاهوازي ودزبر وقتل من ولاتهما خلق كثير : وفيها خرج مروان عامل سيف الدولة على السواحل وهو رجل من القرامطة كان استأمن الى سيف الدولة فامنه واستعمله على السواحل فلما تمكن قصد حمص وملكها وملك غيرها

فسار اليه بدر غلام قرعويه وواقعه عـدة وقعات واتفق ان بدراً رمى مروان بنشابة مسمومـة وان بدرا اسره اصحاب مروان نخلص مروان من النشابة وقتل بدر و بعد ايام مات مروان

❊ سنة ٣٥٥ الفداء بين سيف الدولة و بين الروم ❊

فيها تم الفداء بين الروم و بين سيف الدولة فسار سيف الدولة بالبطارقة الذينهم في اسره الى الفداء ففدى بهم ابا فراس وغلامه روطاس وجماعة من اكابر الحلبيين ولما لم يبق معه من الاسرى احد اشترى الباقين كل نفس باثنين وسبعين ديناراً حتى نفذ ما معه من المال فاشترى الباقين ورهن عليهم بدنته الجوهر المعدومة النظير ثم لما لم يبق احـد من اسرى المسلمين كاتب تقفور الملك الرومي على الصلح وهـذه من محاسن سيف الدولة

❊ سنة ٣٥٦ وفاة سيف الدولة و بقية حوادث دولته في حلب ❊

فيهـا مات سيف الدولة بحلب ونقـل الى ميافارقين وهو اول من ملك حلب من بني حمـدان اخذها من ابن سعـد الكلابي نائب الاخشيد كما تقدم وملك البلاد بعده ابنه ابو المعالي سعد الدولة شريف وفي ربيع الآخر سنة ٣٥٧ قتل الحارث ابو فراس الحمداني ابن عم سيف الدولة كان مقيماً بحمص فجرى بينـه و بين ابى المعالي بن سيف الدولة وحشة وطلبـه ابو المعالي فانحـاز الى صدد من قرى حمص فارسل ابو المعالي عسكراً مع قرعويه الى صدد و كبسوه وقتلوه وفي سنة ٣٥٨ دخل ملك الروم الشام بلا ممـانع وسار الى طرابلس واحرق حمص وكان

اهلها اخلوها واقام بالشام شهرين واتى على الساحل نهباً وتخريباً وملك ثمانية عشر منبرا وعاد بالاسرى والاموال وفيها استولى قرعويه على حلب واخرج ابن استاذه ابا المعالي فأقام عند والدته بميافارقين ثم بحماه وفي سنة ٣٥٩ ملك الروم انطاكية بالسيف وقتلوا اهلها وسبوا عشرين الف صبي وصبية وقصدوا حلب فتحصن قرعويه بالقلعة وملكوا المدينة وكان ابو المعالي محاصرا حلب فتباعد عنهم ثم حصروا القلعة فخرج اليهم جماعة من الحلبيين وتوسطوا الصلح واستقر الامر على هدنة مؤبدة على مال يحمله قرعويه الى الروم وعلى ان لا يمكن اهل القرى من الجلاء ليبتاع منهم الروم لوازمهم اذا مروا عليهم في الغزوات وكان مع حلب حماه وحمص وكفرطاب والمعرة وافامية وشيزر وما بين ذلك من الحصون والقرايا وسلم الحلبيون الرهائن الى الروم وعاد الروم عن حلب وتسلمها المسلمون وفيها صالح قرعويه ابن استاذه ابا المعالي وخطب له وكان ابو المعالي بحمص وخطب هو وقرعويه بحلب للمعز العلوي صاحب مصر وفي سنة ٣٦٢ حدث في بلاد الشام زلزال هدم الحصون من انطاكية وغيرها وهلك به خلق كثير وفي سنة ٣٦٦ قوي امر بكجور بحلب وكان استنابه مولاه قرعويه فاستفحل امره وقبض على مولاه قرعويه وحبسه في القلعة فكتب اهل حلب الى ابي المعالي وكان مقيماً في حماه فسار الى حلب وحصر قلعتها اربعة اشهر ثم ترددت الرسل بين ابي المعالى وبكجور واستقر الصلح بينهم على ان يكون بكجور اميناً ويوليه ابو المعالي حمص فاستلم ابو المعالي القلعة وسير بكجور الى حمص كما اتفقا . قلت : هذه

الحادثة ذكرها في ذيل المختصر في حوادث سنة٣٦٥ وفي سنة ٣٧٣ كتب بكجور الى العزيز بمصر ان يوليه دمشق فاجابه وتسلمها بكجور وانتقل اليها من حمص

✵ سنة ٣٧٨ : عصيان بكجور وقتله ووفاة ابي المعالي ✵

في هـذه السنة عصي بكجور بدمشق وارسل العزيز عسكر العزلة فهرب منها ثم امنه العزيز فسار بكجور الى الرقة واستولى عليها وفي سنة ٣٨١ سار بكجور من الرقة لقتال ابي المعالي بحلب فاقتتلا قتالاً شديداً وانكسر بكجور وهرب ثم اخذ اسيراً في بعض بيوت العرب واحضروه الى ابي المعالي فقتله ثم سار ابو المعالي الى الرقة و بها اولاد بكجور وامواله فحصرها فاستأمنوا فامنهم وحلف ان لا يتعرض اليهم ولا الى مالهم فسلموه الرقة فغدر بهم واخذ اموالهم وعاد الى حلب فلحقه فالج في جنبه الأيمن فاحضر الطبيب ومد اليه يده اليسرى فقال الطبيب هات اليمنى فقال ما تركت لي اليمين يميناً ومات بعد ثلاثة ايام في هذه السنة وعهد الى ولده ابي الفضائل وجعل مولاه لؤلؤا مدبر امره وفيها استضعف العزيز بالله خليفـة الفاطميين في مصر – ابا الفضائل وطمع في تملك حلب منه فجهز بقيـادة منجوتكين جيشاً جراراً فكتب ابو الفضائل الى ملك الروم يستعينه على جيش العزيز فاقبل اليه احـد قواده في خمسين الفا ولما التقى الجيشان لم يثبت جيش الروم وشدد الجيش المصري الحصار على حلب حتى اضطر ابو الفضائل الى طلب الصلح من منجوتكين فصالحه

على مال دفعه ولما وصل خبر الصلح الى الخليفـة لم يرضه ذلك وامر منجوتكين ان يعود الى حصـار حلب فاضطر ابو الفضائل ان يعود الى الاستنجاد بملك الروم فاقبل اليه بجيش عظيم اجفل منه جيش الخليفـة الى دمشق ومر ملك الروم بحلب فتلقاه ابو الفضائل بالاكرام ثم سار ملك الروم الى بلاد الشام فهدم واحرق وسبى

﴿ ٣٩٩ : وفاة لؤلوء وخلفه ابنه ﴾

فيها توفي لؤلوء مدبر امر ابي الفضائل وخلفـه مرتضي الدولة ابن لؤلوء وكان ظالمًا

﴿ سنة ٤٠٢ : انقراض دولة بني حمدان من حلب ﴾

في هـذه السنة اغار صالح بن مرداس في ٥٠٠ فارس على حلب وطالب مرتضي الدولة بجوائز الكلابيين مستضعفين اياه بسبب تسلط حكومة مصر عليـه فاحتال مرتضى الدولة على الكلابيين وادخلهم الى حلب واغلق عليهم ابوابها وقتل منهم نحو ٢٠٠ واسر ١٢٠ بينهم صالح وتزوج جابرة امرأة صالح باكراه اهلها على زواجها وقيل بل اكره صالح على طلاقهـا : ثم ان صالحًا نقب حائط السجن والقى نفسه من سور القلعة وهرب واجتمعت عليـه بنو كلاب ونزلوا على قرية تل حاصـد فألف مرتضي الدولة جنـدًا من اهالي حلب فيهم اليهود والنصارى واخلاط من الناس ووقعت المصادمة عنـد تل حاصد فانكسر جيش مرتضي الدولة واسر وقيده صالح بالقيد الذي كان في رجلـه ثم افتدى

نفسه بمال وعاد الى حلب

﴿ سنة ٤٠٦ : عصيان فتح على مولاه مرتضي الدولة ﴾

فيها عصى فتح على مولاه مرتضي الدولة وكاتب الحاكم واظهر طاعته وخطب باسمه ولقب بمبارك الدولة والتجأ مرتضي الدولة الى الروم في انطاكية

﴿ سنة ٤١٤ : استيلاء المرداسيين على حلب ﴾

في هذه السنة ضعف امر الدولة الفاطمية بمصر وطمع عرب البادية بالشام والجزيرة وتحالفوا على اقتسامهما فيما بينهم على ان تكون حلب الى عانة لصالح والرملة الى مصر لحسان ابن مفرج الطائي ودمشق واعمالها الى سنان بن عليان فزحف صالح الى حلب وقاتل عليها ابن ثعبان او شعبان الكتامي والي حلب من قبل المصريين فاستولى صالح على حلب

﴿ حوادث الدولة المرداسية في حلب ﴾

سنة ٤١٥ : دفن قاضي حلب حياً

في هذه السنة قبض صالح على قاضي حلب ابن ابي سامة ودفنه حياً في القلعة فقال بعضهم في ذلك

وأد القضاة اشد من   وأد البنات عمي وعيا
ادفنت قاضي المسلمين   م بقلعة الشهباء حيا

﴿ سنة ٤١٦ : اسناد صالح الوزارة الى تاذرس النصراني ﴾

فيها استوزر صالح بن مرداس تاذرس النصراني و كان عنده صاحب السيف والقلم

﴿ سنة ٤١٨ خروج صالح الى المعره واجتماعه بابي العلاء ﴾

في هذه السنة خرج صالح الى المعرة للايقاع باهلها لانهم خربوا الماخور لحضر اليهم صالح واعتقلهم وصادرهم واستدعى ابا العلاء الى ظاهر المعرة ومما خاطب به ابو العلاء صالحاً قوله : مولانا السيد الاجل اسد الدولة ومقدمها وناصحها كالنهار الماتع اشتد هجيره وطاب ابراده وكالسيف القاطع لان صفحه وخشن حداه خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين : فقال صالح : قد وهبتهم لك ايها الشيخ : فقال ابو العلاء بعد ذلك في المزوميات هذه الأبيات

تغيبت عن منزلي برهة ستير العيوب فقيد الحسد
فلما مضى العمر الا الأقل وحم لروحي فراق الجسد
بعثت شفيعاً الى صالح وذاك من القوم رأي فسد
فيسمع مني سجع الحمام واسمع منه زئير الأسد
فلا يعجبني هذا النفاق فكم نفقت محنة ما كسد

﴿ سنة ٤٢٠ : قتل صالح وولده الأصغر وولاية ابنه نصر حلب ﴾

في هذه السنة جهز الظاهر صاحب مصر جيشاً لقتال صالح صاحب حلب وحسان صاحب الرملة فاقتتلوا على الاردن عند طبرية وقتل

صالح وولده وحمل رأسهما الى مصر ونجا ابنه نصر لحضر الى حلب وملكها ولقب شبل الدولة

وفي هذه السنة خرج الروم من انطاكية للزحف على حلب لحار بهم اهلها وهزموهم

﴿ سنة ٤٢١ : خروج ملك الروم من القسطنطينية الى حلب ﴾

في هذه السنة خرج ملك الروم من القسطنطينية في ثلثمائة الف مقاتل وقيل في ستمائة الف للزحف على الشام معهم ملك البلغار وملك الروس والالمان والخزر والأرمن والبلجيك والفرنج ولما اقتربوا من حلب لحقهم عطش شديد ووقع الخلف بين امرائهم وملوكهم فرحل الملك وتبعهم شبل الدولة والعرب واهل السواد حتى الأرمن يقتلون و ينهبون حتى لم يسلم من اموالهم شيء واسر جماعة من اولاد ملوكهم وكان اسم ملك الروم ارمانس. وفي ذلك يقول الامير ابو الفتح ابن ابى حصينة المعري قصيدة طويلة انشدها شبل الدولة بظاهر قنسرين مطلعها

ديار الحي مقفرة يباب كأن رسوم دمنتها كتاب

﴿ سنة ٤٢٩ : قتل شبل الدولة ﴾

في هذه السنة زحف الدزبري (وهو قائد العلوي صاحب مصر) على حلب فتغلب عليها وقتل شبل الدولة

﴿ سنة ٤٣٣ موت الدزبري واستيلاء ابي علوان على حلب ﴾

فيها مات الدزبري بحلب فاسرع اليها ابو علوان ثمال بن صالح

المرداسي الملقب بعز الدولة وملكها : وفيها نقل رأس يحيى عليه السلام من بعلبك الى مقام ابراهيم في القلعة

❊ سنة : ٤٤٠ وصول عساكر مصر الى حلب ❊

فيهـــا وصلت عساكر مصر الى حلب في جمع عظيم فخرج اليهم ثمال بجموعه وقاتلهم الى الليل ثم عاد الى المدينة ثم في الغد والذي بعده خرج اليهم وقاتلهم فرحلوا عن حلب ولولا رحيلهم في تلك الليلة لاغرقهم المطر

❊ سنة ٤٤١ : زحف المصريين على حلب ❊

فيها وصل عسكر من مصر الى حلب بقيادة رفق فهزمهم الحلبيون واسر رفق ومات عندهم

❊ سنة ٤٤٩ : تنازل ثمال عن حلب الى المصريين ❊

فيها تنازل ثمال عن حلب الى المصريين فسلموها الى الحسن بن ملهم

❊ سنة ٤٥٢ و ٤٥٣ و ٤٥٤ ❊

فيهـــا اساء بن ملهم السيرة في اهل حلب فكاتبوا محمودا بن صالح المرداسي فحضر وتسلم حلب وسير المصريون اليها ناصر الدولة بن حمدان فجرح واسر واستتب ملك حلب وقلعتها لمحمود : وفي سنة ٤٥٣ استولى ثمال على حلب مرة ثانية بمعاونة المصريين : ثم في سنة ٤٥٤ ملكـها منه اخوه عطية فقصده ابن اخيه محمود بن نصر وغلبه عليها فملكها منه وفيها جاءت برقة وتبعها صيحة سقط لها الناس لوجوههم ومات فيها كثير من

الطيور بمعرة وفي سنة ٤٥٧ اقطعت معرة النعمان للملك هارون بن خان ملك الترك فيما وراء نهر جيحون اخذها حربا وخراجاً فاقام بها يسيراً ثم انتقل الى حلب وولى المعرة الامير فارس الدولة يانس الصالحي وفي سنة ٤٥٩ كان بالبلاد سوى الروم غلاء عظيم وموت لا سيما في حلب فانه مات فيها في رجب خاصة زهاء اربعة آلاف ومات جماعة من ساداتها وفي سنة ٤٦٠ فتح من الافرنج حصن ارتاح على يد الملك هارون بن خان حاصره خمسة اشهر وهو فتح عظيم كانت اعماله بمقدار اعمال الشام من الفرات الى العاصي الى افاميه الى باب انطاكية الى الاثارب واحصى قوم المفقودين من الفرنج في هـذه السنة الى رمضانها في الدرب الى افامية قتلاً واسراً فكانوا ثلاثمائة الف وفي سنة ٤٦١ اخذ ملك الروم حصن منبج وشحنه رجالا وعدة ثم وقف على عزاز ساعة ورحل عنهـا وفتك في جماعته الموت والغلاء فرجع خائباً وفيها جمع قبطان انطاكيـة وقسها المعروف بالبخت جموعاً وطـلع الى حصن اسقوبا من قرى المعرة حسن له ذلك قوم من بني ربيع من اهل الجوزق ففتحوه وقتلوا واسروا رجاله وواليه نادر الـتركي فبلغ الخبر الامـير عز الدولة محمود بن نصر المرداسي وهو يسير في ميدان حلب فسار اليهم ولم يدخل حلب ومعه نحو خمسين الفاً من الترك والعرب واخذه من النصارى وقتل منهم الفين وسبعمائة نفس وهذا الحصن عمره حسين بن كامل بن سليمان العمري المرشدي الكلابي ومعه جماعة من المعرة وكفر طاب وضياعهما في سنة ٤٥٦ واكمل عمارته بمدة يسيرة فتعجب الناس لسرعة عمارته ثم في سنة ٤٦١ اقترض

محمود بن نصر المرداسي من الروم اربعة آلاف دينار ورهن ولده نصراً عليها وعلى هدم الحصن المذكور فجمع الناس من المعرة وكفرطاب على هدمه وهدموه فقال بعضهم

وهدوا بايديهم حصنهم ... واعينهم حزناً تدمع

عجبت لسرعة بنيانه ... ولكن تخريبه اسرع

وفي سنة ٤٦٢ استولى الروم على منبج وقتلوا اهلها ونهبوها ثم رحلوا عنها لجوعهم وفي سنة ٤٦٣ قطع محمود بن نصر المرداسي والي حلب خطبة المستنصر العلوي بمصر وخطب للقائم العباسي فثار الشيعة في حلب ونهبوا حصر الجامع وقالوا هذه حصر علي فليأت ابو بكر بغيرها وفيها وصل السلطان محمد الب ارسلان الى حلب فبذل له محمود بن نصر الطاعة ولم يطأ بساطه فلم يرض الب ارسلان بذلك فدخل محمود ووالدته عليه فاحسن اليهما واقر محموداً على حلب وشرط عليه ازالة افعال الشيعة فان اكثر اهل حلب صاروا شيعة من وقت مجيء الفاطميين اليهم وفي سنة ٤٦٧ مات محمود بن نصر المرداسي وكان ظالماً غاشماً يصادر الناس وقد ملك بعده ابنه نصر فمدحه ابن حيوس بقصيدة منها

ثمانية لم تفترق مذ جمعتها ... فلا افترقت ما افتر عن ناظر شفر

ومنها

فجاد ابن نصر لي بالف تصرمت ... وآلى عليهم ان سيخلفها نصر

فاجازه نصر بالف دينار في طبق فضة وقال لو قال عوض سيخلفها سيضعفها لاضعفتها له وقد اجتمع الشعراء بباب نصر وامتدحوه وتأخرت

صلته عنهم وفيهم ابو الحسن احمد بن محمد بن الزبيدة المعري الشاعر فنظم ابياتاً وسيرها الى نصر مطلعها

على بابك المحروس منا عصابة　　مفاليس فانظر في امور المفاليس
وقد قنعت منك الجماعة كلهم　　بعشر الذي اعطيته ابن حيوس
وما بيننا هذا التفاوت كله　　ولكن سعيد لا يقاس بمنحوس

فاعطاهم مائة دينار وقال والله لو قالوا بمثل الذي اعطيته ابن حيوس لاعطيتهم مثله

— سنة ٤٦٨ ملك نصر منبج وقتله في حلب —

في يوم عيد الفطر قتل نصر هذا وهو في احسن زي وكان الزمان ربيعاً واحتفل الناس في الفطر وتجملوا بافخر ملابسهم ودخل ابن حيوس فانشد نصرا قصيدة منها

صفت نعمتان خصتاك وعمتا　　حديثهما حتى القيامة يوثر

فجاس نصر وشرب الى العصر وحمله السكر على الخروج الى التركمان في الحاضر وهم الذين كانوا ملكوا اباه حلب فاراد نصر نهبهم وحمل عليهم فرماه تركي منهم في حلقه فقتله في اليوم المذكور وملك بعده حلب اخوه سابق

﴿ انقراض دولة بني مرداس ودخول حلب تحت سلطـة شرف الدولة ثم حكم الشريف بها ثم دخولها تحت سلطة الدولة السلجوقية وغير ذلك من الحوادث الى سنة ٤٩١ ﴾

وفي سنة ٤٧٢ حصر حلب ابو المكارم شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران المقلد بن المسيب صاحب الموصل ودام حصاره لها الى ابتداء سنة ٤٧٣ وكان الشريف ابو علي الحسن بن هبةالله الحسيني الهاشمي مقدم الاحداث بحلب هو رئيس المدينة فتمكن وقويت يده وسلم المدينة الى ابي المكارم المذكور فتسلمها ثم تسلم قلعتها واستنزل منها سابقاً ووثابا ابني محمود المرداسي وفيها كان انقراض ملك بني مرداس من حلب وفي سنة ٤٧٧ سار سليمان بن قطلمش السلجوقي صاحب قونيـه واقسراي وغيرهما الى الشام وملك انطاكية بمخامرة الحاكم بها من جهةالروم وكانت بيدهم من سنة ٣٥٨ فافتتحها سليمان في هذه السنة ولما سمع شرف الدولة صاحب الموصل وحلب بذلك ارسل الى سليمان يطلب منه ما كان يحمله اليه اهل انطاكية فقال سليمان كان ذلك على سبيل الجزيـة ولم يعطه شيئاً ثم اقتتلا في الرابع والعشرين من صفر سنة ٤٧٨ في طرف اعمال انطاكية فانهزم عسكر شرف الدولة وقتل في المعركة بعد ان قتل بـين يديه اربعمائة غلام من احداث حلب وعندها انفرد الشريف ابو علي الحسن بن هبـةالله بولاية المدينة وسالم بن مالك العقيلي بقلعتهـا فبنى الشريف قلعته خارج حلب في هذه السنة وسكنها خوفاً على نفسه ولما

قتل شرف الدولة قصد بنو عقيل اخاه ابراهيم بن قريش وهو محبوس فاخرجوه وملكوه ثم ان سليمان بن قطلمش ارسل الى ابن الحتيتي العباسي مقدم اهل حلب يطلب منه تسليم حلب اليه فاستمهله بن الحتيتي الى ان يكاتب ملك شاه وارسل ابن الحتيتي يستدعي تتش السلجوقي صاحب دمشق فسار تتش الى حلب وجرت بينه و بين ابن عمه سليمان بن قطلمش وقعة انهزم فيها عسكر سليمان بن قطلمش وقتل سليمان نفسه وقيل قتل في المعركة ومن المصادفة الغريبة ان سليمان هذا لما قتل نفسه لفه تتش بكساء في صفر هذه السنة وارسل به الى ابن الحتيتي ليسلم اليه حلب نظير ما فعل المقتول سليمان المذكور بشرف الدولة في صفر السنة الماضية ولما وصلت جثة سليمان الى ابن الحتيتي اجاب تتش بالمطاولة لى ان يرسم ملك شاه في امر حلب فحاصر تتش حلب وملكها واستجار ابن الحتيتي بالامير دانق بن اكسك وكان من مقدمي تتش فاجاره واما القلعة فكان بها مسلم ذ قتل مسلم بن قريش سالم بن مالك بن بدران بن عم مسلم المقتول فحاصر تتش القلعة سبعة عشر يوماً ثم بلغه خبر وصول اخيه ملك شاه فرحل عن حلب واما ملك شاه فانه اقبل الى حلب من اصفهان لمكاتبة ابن الحتيتي له وفتح في طريقه حران والرها وكانت بيد الروم وسار الى قلعة جعبر واسمها الدوسرية وعرفت بجعبر سابق الدين القشيري شيخ اعمى طال مكثه في هذه القلعة وكان يقطع الطريق هو واولاده و يخيف السابلة فامسكه السلطان ملك شاه وامسك اولاده وملك منهم القلعة ثم سار السلطان ملك شاه الى منبج وملكها وسار الى

حلب وتسلمها وتسلم قلعتهـا من سالم بن بدران العقيلي بن عم شرف الدولة المقتول وعوض السلطان ملك شاه سالماً عن قلعة حلب قلعة جعبر ثم ان السلطان ملك شاه سار عن حلب واستخلف بها قسيم الدولة اقسنقر جـد نور الدين زنكي الشهيد وفي سنة ٤٨١ سار اقسنقر صاحب حلب بعساكره الى قلعة شيزر وفيها صاحبها نصر بن علي بن منقذ وضيق عليه ونهب الربض ثم صالحه وعاد الى حلب وفي سنة ٤٨٢ عمرت منـارة جامع حلب وقام بعملها القاضي ابو الحسن بن الخشاب وكان بحلب بيت نار قديم ثم صار اتون حمام فاخذ ابن الخشاب حجـارته وبنى بها الماذنة المذكوره فسعى به بعض حساده الى اقسنقر زاعمـاً ان هذه الحجارة لبيت المال فقال ابن الخشاب لاقسنقر يا مولانا اني عملت بهذه الحجارة معبدا للمسلمين وكتبت عليه اسمك فان رسمت غرمت ثمنها وكتبت عليها اسمي فاجابه اقسنقر الى اتمام مشروعه دون ان يغرمه شيئاً وفي سنة ٤٨٤ نزل اقسنقر مساعداً تتش صاحب دمشق بامر اخيه ملك شاه على فتح حمص فملك تتش حمص وعرقة وافامية وفيها كان بالشام وغيرها زلازل كثيرة ففارق الناس مساكنهم وانهدم بانطاكية كثير من المساكن وهلك تحتها عالم كثير وخرب من سورها تسعون برجاً وفي سنة ٤٨٦ و ٤٨٧ طلب تتش السلطنة لنفسه بعد ان توفي اخوه ملك شاه مقتولاً في السنة قبلها واتفق تتش مع اقسنقر صاحب حلب وخطب له باغي سيان صاحب انطاكية وبوزان صاحب الرها وفتح ومعه اقسنقر نصيبين عنوة وملك الموصـل واستولى على ديار بكر وسار الى اذربيجان وكان ابن

اخيه بركياروق بن ملك شاه قد استولى على كثير منها فلما علم اقسنقر ان ملك شاه له ولد يصلح للسلطنة تخلى عن تتش ولحق ببركياروق فضعف تتش وعاد الى الشام وكان اقسنقر قد جمع في الشام جموعاً كثيرة وامد بركياروق بالامير كربغا فاقتتل مع تتش عند نهر السبعين قريباً من تل السلطان فانحاز بعض عساكر اقسنقر الى تتش وانهزم الباقون وثبت اقسنقر فاسر فقال له تتش لو ظفرت بي ماذا كنت تصنع قال كنت اقتلك فقتله صبرا وسار الى حلب وملكها واسر بوزان وقتله واسر كربغا وسجنه بحمص واستولى على حران والرها ثم على البلاد الجزيرية ثم استناب على حلب ابا القاسم حسن بن علي الخوارزمي وسار لقتال ابن اخيه بركياروق فالتقيا بالري وقتل تتش في سنة ٤٨٨ فجاء ولده رضوان الى حلب ولحقه جماعة من قواد ابيه ولحقه اخوه دقاق وكان مع رضوان اخوان صغيران ابو طالب وبهرام وكلهم مع ابي القاسم نائب ابيهم في حلب كالضيوف وهو المستولي على البلد ثم كبس رضوان ابا القاسم ليلاً واحتاط عليه ثم طيب قلبه فخطب لرضوان بحلب وكان مع رضوان باغي سيان صاحب انطاكية فسار باغي الى انطاكية ومعه ابو القاسم الخوارزمي واما دقاق اخو رضوان فكاتبه والي قلعة دمشق سرا ليملكه دمشق فسار اليها وملكها واستقر رضوان في حلب بلا منازع وفي سنة ٤٨٩ كان* رئيس الاحداث بحلب رجلاً يعرف بالمجن بركات ابن فارس الفوعي وكان في مبدأ امره لصاً محتالاً فاستنابه قسيم الدولة وولاه رياسة حلب فوشى بيوسف بن ابق فسلطه عليه فاخذه وقتله

ثم عصى المجن على الملك رضوان فحبسه ثم قتله بعد ان عذبه : وفيها اقتتل رضوان مع اخيه دقاق عند قنسرين وانكسر دقاق وولى مهزوماً وفي سنة ٤٩٠ خطب رضوان في حلب للمستعلي بامر الله العلوي المصري اربع جمع ثم قطعها واعاد الخطبة العباسية خوف العاقبة

﴿ وصول الفرنج الصليبيين الى انطاكية وغيرها من بلاد حلب ﴾

للحروب الصليبية اسباب كثيرة واخبار طوال يضيق كتابنا هذا عن استقصائها وانما نأتي منها هنا على ذكر نبذ يسيرة تتعلق بحلب وبعض اعمالها فعلى من احب الاطلاع على تفاصيل اخبار تلك الحروب الطاحنة التي استغرق امدها نحو مائتي سنة ان يرجع الى الكتب والاسفار المتداولة المؤلفة فيها خاصة بمختلف اللغات ما بين عربي واعجمي فنقول: في سنة ٤٩١ وصل الافرنج الصليبيون الى انطاكية وحصروها وكان بها باغي سيان فظهر له شجاعة عجيبة ثم هجم الافرنج على انطاكية واخذوها عنوة وقتلوا بها مقتلة عظيمة واجفل عنهم باغي في الليل ثم في الصباح ندم على الهرب وتذكر اهله والمسلمين في انطاكية وغشي عليه من الاسف حتى عجز عن الركوب فمر به ارمني يقطع الخشب فقطع رأسه وحمله الى الافرنج بانطاكية ولما شاع اخذ انطاكية سار كربغا صاحب الموصل ومعه عساكره الى مرج دابق وجاء دقاق من دمشق وطغتكين اتابك وجناح الدولة صاحب حمص وغيرهم من الامراء والعرب وحصروا انطاكية وتضايق الفرنج حتى طلبوا من كربغا ان يطلقهم فامتنع ثم ان

كربغا اساء السيرة فيمن معه وخبثت نياتهم وكان اشتد الخناق على الفرنج فخرجوا من انطاكية واستماتوا في قتال المسلمين فهرب المسلمون وقوي الفرنج بما غنموه من القوت والسلاح وفي سنة ٤٩٢ سار الفرنج الصليبيون الى المعرة وملكوها وقتلوا فيها زهاء مائة الف وسبوا واقاموا فيها اربعين يوماً وفي ذلك يقول بعض المعربين

معرة الاذكياء قد حردت عنا وحق المليحة الحرد
في يوم الاثنين كان موعدهم فما نجا من خميسهم احد

وفي سنة ٤٩٣ كان الغلاء شديداً في حلب وفيها توجه الملك رضوان الى الفرنج لقتالهم واخراجهم من بلاد حلب فكسر وعاد الى حلب وفي سنة ٤٩٤ ملك الفرنج سروج من ديار الجزيرة واكثروا قتلاً واسراً وفي سنة ٤٩٥ قتل الاسماعيلية فضل الله الزوزني قاضي حلب لانه كان يندد بمعتقدهم فاعاد رضوان القضاء الى ابي غانم · وفيها اغار الفرنج على بلاد حلب الشمالية وعاثوا فيها فساداً وبلغوا كفر لاثا فكبسهم بنو عليم وظفروا بهم وانجلى الفرنج عن بلاد حلب الغربية وفي سنة ٤٩٦ اغار الفرنج على الرقة وقلعة جعبر وبعض جهات الرها فخرج اليهم معين الدولة سقمان وشمس الدولة جكرمش واوقعا بهم واجلياهم عن مواقعهم بعد ان فتكا بهم فتكا ذريعاً وفي سنة ٤٩٧ اغار الفرنج على قلعة جعبر فساقوا المواشي واسروا من وجدوا وكانت قلعة جعبر والرقة لسالم بن بدران سلمها اليه ملك شاه لما تسلم منه قلعة حلب كما مر وفي سنة ٤٩٨ تقاتل الملك رضوان صاحب حلب مع الفرنج عند يبرين فانهزم المسلمون وقتل منهم

واسر وملك الفرنج ارتاح وفي سنة ٤٩٩ ملك الفرنج حصن افاميه وفي سنة ٥٠٤ ملك الفرنج حصن الاثارب على ثلاثة فراسخ من حلب وقتلوا فيه الفي رجل واسروا الباقي ثم ملكوا زردنا ففعلوا كذلك وقصدوا منبج ومسكنه فوجدوهما خاليتين فعادوا وصالح رضوان صاحب حلب الفرنج على اثنين وثلاثين الف دينار يحملها لهم مع خيل وثياب وبذلت اصحاب البلاد للفرنج الاموال وخافوهم لانهم لم يبق لهم ممانع عن البلاد اذ الملوك السلجوقية مشغولون ببعضهم فصالحهم اهل صور على سبعة آلاف دينار وابن مقنذ صاحب شيزر على اربعة آلاف والكردي صاحب حماه على الفي دينار

✵ وفد من حلب الى بغداد للاستغاثة بالخليفة وطلب ✵ النجدة منه على الصليبيين

ولما اشتد خطب الفرنج بالبلاد الشامية وعظمت شوكتهم سار جماعة من اهل حلب وساداتها الى بغداد مستنفرين على الفرنج فلما وردوا بغداد اجتمع معهم خلق كثير من الفقهاء وغيرهم وقصدوا جامع السلطان واستغاثوا ومنعوا الناس من صلاة الجمعة وكسروا المنبر فوعدهم السلطان محمد بن بركياروق السلجوقي بانفاذ العساكر للجهاد فلما كانت الجمعة الثانية قصدوا جامع القصر بدار الخلافة ومعهم اهل بغداد فمنعهم صاحب الباب فغلبوه ودخلوا الجامع وكسروا شباك المقصورة والمنبر وبطلت الجمعة ايضاً فارسل الخليفة الى السلطان اشارة يأمره بالاهتمام بهذا

الفتق ورتقه فتقدم السلطان الى من معه بالمسير الى بلادهم والتجهز للجهاد وسير ولده مسعود مع الامير مودود صاحب الموصل وانقضت السنة وفي سنة ٥٠٥ سارت العساكر التي جهزها السلطان لقتال الصليبيين بالشام فساروا الى سنجار وفتحوا عدة حصون وحصروا مدينة الرها ثم رحلوا عنها ليطمع الفرنج و يعبروا الى الفرات فيتمكن المسلمون منهم فكان هذا خطأ من المسلمين لان الفرنج لما عبروا الفرات جاؤا بالميرة والقوت الى اهل الرها فتقووا بعد ان ضعفوا و كاد المسلمون يأخذونهم ثم ان الفرنج رجعوا الى الشام وطرقوا اعمال حلب ونهبوا وافسدوا واسروا وسبب ذلك ان رضوان صاحب حلب لما عبر الفرنج الى الجزيرة قام الى ما اخذه الفرنج من اعمال حلب فاستعاد بعضه ونهب منهم وقتل فلما عادوا قابلوه بعمله واما العساكر السلطانية فانهم لما سمعوا برجوع الفرنج الى الشام رحلوا الى الرها وحصروها فروها امراً محكماً قد قويت نفوس اهلها بالذخائر التي تركت عندهم فلم يجد المسلمون فيها مطمعاً فرحلوا عنها وعبروا الفرات فحصروا قلعة تل باشر خمسة وار بعين يوماً , لم يقدروا عليها فوصلوا الى حلب فاغلق الملك رضوان ابواب البلد في وجوههم ولم يجتمع بهم فرحلوا الى المعرة ثم خبثت نياتهم وتفرقوا ولم يحصل بهم الغرض

﷼ سنة ٥٠٧ : وفاة رضوان وما جرى بعده ﷼

في هذه السنة مات الملك رضوان بن تتش السلجوقي صاحب حلب وقام بعده ابنه الب ارسلان الاخرس وعمره ست عشره سنة و كان

رضوان غير محمود السيرة قتل اخويه اباطالب و بهرام ولما ملك الاخرس استولى على الامور لؤلوء الخادم ولم يكن للاخرس معه الا اسم السلطنة ومعناه للؤلوء وسمي اخرس لحبسة في لسانه وقتل الاخرس اخويه كما فعل ابوه وجرى على قاعدة ابيه في امر الاسماعيلية واعطاهم قلعة الشريف فقبح فعله القاضي بن الخشاب وحمله على كبتهم وردعهم فاجابه الى ذلك وقتل منهم كثيراً في هذه السنة وكانوا قد كثروا في حلب في ايام ابيه رضوان لانه كان يستعين بهم لقلة دينه حتى خافهم ابن بديع رئيس حلب واعيان اهلها وممن قتل الاخرس من الاسماعيلية مقدمهم ابو طاهر وعدة جماعة من اصحابه واخذ اموال الباقين وأطلقهم فتفرقوا في البلاد وفي سنة ٥٠٨ قتل الاخرس بعض غلمانه بقلعة حلب واقاموا اخاه السلطان شاه بتدبير لؤلوء الخادم وفيها كانت زلزلة شديدة بديار الجزيرة والشام وغيرهما فخربت كثيراً من الرها وحران وسمياساط ومسكنة وغيرها وهلك خلق كثير تحت الردم

❊ انتهاء الدولة السلجوقية بحلب ودخولها تحت سلطة بني ارتق ❊
وحوادثهم فيها وهم من فروع الدولة السلجوقية

وفي سنة ٥١١ قتل لؤلوء الخادم وكان قد حكم في دولة سلطان شاه ودولة اخيه الاخرس من قبله كما اراد ثم عزم على ان يقتل سلطان شاه كما قتل اخاه من قبله ففطن لذلك اصحاب سلطان شاه ورصدوا فرصة يقتلون بها لؤلوءاً حتى اذا خرج يوماً الى قلعة جعبر ليجتمع بالامير سالم

ابن مالك العقيلي قصده وصاحوا ارنب ارنب واوهموا انهم يتصيدون ورموه بنشاب فقتل وهو يبول عند قلعة نادر ونهبوا خزانته ثم استعيدت منهم وولي اتابكية سلطان شاه شمس الدين الخواجي ياروقطاش و بقي شهراً وعزلوه وولوا ابا المعالي ابن المقلمي الدمشقي ثم عزلوه وصادروه وكانوا خائفين من الفرنج فسلموا البلد الى نجم الدين ايلغازي ارتق صاحب ماردين ولما تسلمها لم يجد فيها مالاً ولا ذخيرة لان لؤلؤا الخادم كان قد فرق الجميع فصادر ايلغازي جماعة من الخدم وصانع الفرنج وهادنهم وسار الى ماردين وخلف بحلب ابنه حسام الدين تمرتاش وفي سنة ٥١٣ سار الفرنج الى نواحي حلب وملكوا بزاعة وغيرها وخربوا بلد حلب ونازلوها ولم يكن فيها من الذخائر ما يكفيها شهراً فخافهم اهلها وصانعوهم على ان يقاسموهم املاكهم حتى الاملاك التي بباب حلب ثم ارسل اهل حلب رسولاً الى بغداد يستغيثون و يطلبون النجدة فلم يغاثوا وكان ايلغازي بماردين يجمع العساكر فسار الى الفرنج والتقى بهم عند تل عفرين في نصف ربيعها الاول فهزمهم وقتل منهم كثيراً وممن قتل سرخال صاحب انطاكية وفتح عقيب الوقعة الاثارب وزردنا وفي سنة ٥١٤ سار ايلغازي الى الفرنج واقتتل معهم عند دانيث البقل من بلد سرمين وظفر بهم ثم اجتمع ايلغازي واتابك طغتكين صاحب دمشق وحصروا الفرنج في معرة قنسرين يوماً وليلة فضايقهم ثم افرج عنهم خوفاً ان يستقتلوا و يخرجوا للمسلمين فيظفروا بهم وكان ايلغازي يخاف من التركمان الذين يحاربون معه لانهم كانوا يجتمعون للطمع فيحضر احدهم

ومعه جراب فيه دقيق وشاة و يعد ساعات الغنيمة فاذا طال مقـامهم تفرقوا ولم يكن مع ايلغازي ما يفرقه فيهم وفي سنة ٥١٠ عصى سليمان بن ايلغازي على ابيهِ بحلب فبغته ابوه وسمل عيني من حسن له العصيان وقطع لسانه وهو امير اسمه ناصر كان التقطه ارتق والد ايلغازي ورباه وقطع ايلغازي اطراف رجل حموي من بيت قرناص وسمل عينيه لانه من جملة المزينين لولده العصيان والحموي المذكور كان محسناً اليه ايلغازي ومرأسه على حلب فجزاه بهذا الجزاء ثم اراد ايلغازي ان يقتـل ولده فمنعته رحمة الوالدية فافلته فهرب الى دمشق واستناب ايلغازي بحلب سليمان بن اخيه عبد الجبار الملقب ببدر الدولة وفي سنة ٥١٥ اغار الفرنج على حصن الاثارب واسروا وغنموا : وفيها هدمت قلعة الشريف وفي سنة ٥١٦ بنيت مدرسة بحلب لاصحاب الشافعي وهي مدرسة الزجاجية التي تكلمنا عليها في باب الاثار في الكلام على محلة الجلوم وفي سنة ٥١٧ اغار الفرنج على حلب واعمالها وعجـز عن مقاومتهم بدر الدولة وسلمهم حصن الاثارب ليكفوا عن بلاده و يهادنوه فبعد ذلك استقام امر الرعية باعمال حلب وجلبت الاقوات وغيرهـا ولما سمع بلك بهرام بن عم بدر الدولة ان ابن عمه سلم الاثارب للفرنج سار من حران وكان قد ملكها الى جهة حلب ونازلها في ربيع الاول منها وضايقها واحرق زروعها فسلمهـا والقلعة اليه ابن عمه بدر الدولة بالامان في غرة جمادي الاولى منها

﴿ انتهاء دولة بني ارتق بحلب ودخولها في حوزة اقسنقر البرسقي ﴾ صاحب الموصل وحوادث ايامه فيها وهو من رجال الدولة السلجوقية

وفي سنة ٥١٨ قبض بهرام الارتقي على حسان البعلبكي صاحب منبج وملك منه منبج وحصر قلعتها فاتاه سهم فقتله ولم يعرف الرامي وتفرق عسكره وخلص حسان وعاد الى منبج وكان مع بلك بهرام ابن عمه حسام الدين تمرتاش صاحب ماردين وهو ابن ايلغازي بن الارتق فحمل تمرتاش بلك بهرام الى ظاهر حلب وتسلمها واستناب بها وعاد الى ماردين وفيها اجتمعت الفرنج وانضم اليهم دبيس بن صدقة صاحب الحلة وهو شيعي صحبهم املاً ان يستميل لنفسه اهل حلب لتوافقهم بالمذهب فحاصروا حلب واخذوا ببناء بيوت لهم بظاهرها فعظم ذلك على اهلها ولم ينجدهم صاحبها تمرتاش لايثاره الرفاهية واقاموا يزاحفون حلب و يقطعون الاشجار و يخربون المشاهد و ينبشون القبور و يحرقون من فيها بعد ان نبشوا ضريح مشهد الدكة ولم يجدوا فيه شيئاً فاحرقوه وعبثوا بالمصاحف واستخفوا بها وسخروا من الاسلام وفعلوا غير ذلك من الفظائع التي نجل كتابنا عن ذكرها ولما اشتد الخطب على الحلبيين كاتبوا اقسنقر البرسقي صاحب الموصل فسار اليهم وخام الفرنج ومن معهم عن حلب لقدوم البرسقي وتسلم حلب وقلعتها وعلى اثر حادثة هذا الحصار عمد القاضي ابو الحسن بن يحيي بن الخشاب الى اربع كنائس وصيرها مساجد

وهي كنيسة هيلانة والحدادين وموغان والمقدمية وبه كان انتهاء دولة بني ارتق من حلب وفي سنة ٥١٩ اخذ البرسقي كفرطاب من الفرنج ثم سار الى عزاز فهزمته الفرنج وقتل من المسلمين خلق كثير فرجع الى حلب واستناب بها ولده عز الدين مسعود ورحل الى الموصل وفي سنة ٥٢٠ كان البرسقي يصلي الجمعة بجامع بالموصل اذ وثب عليه بضعة عشر رجلاً من الاسماعيلية فقتلوه وكان البرسقي مملوكاً تركياً شجاعاً ديناً حسن السيرة ولما سمع ابنه مسعود بمقتله في حلب فارقها وسار الى الموصل واستقر بملكها

✵ دخول حلب في حوزة الدولة الاتابكية وحوادثها فيها ✵ وهي من فروع الدولة السلجوقية

وفي سنة ٥٢٢ في محرمها ملك اتابك عماد الدين محمود زنكي مدينة حلب وذلك ان البرسقي لما قتل وسار ابنه مسعود الى الموصل استناب بحلب قيماز ثم عزله بقتلغ فلما قدم قتلغ من الموصل الى حلب امتنع قيماز من تسليم حلب اليه وقال له بيني وبين مسعود علامة لم ارها ولا اسلمك حلب الا بها وكانت العلامة بينهما صورة غزال وكان مسعود حسن التصوير فعاد قتلغ لاحضار العلامة من مسعود فوجده قد مات فرجع الى حلب وعرف الناس بموت مسعود فسلم البلد اليه رئيسها فضائل بن بديع واطاعه المقدمون واستنزلوا قيمازا من القلعة واعطوه الف دينار فتسلم قتلغ القلعة في الرابع والعشرين من جمادي الاولى سنة

٥٢١ وبعد ايام ظهر منه جور وعسف عظيمان ومـد يده الى الاموال لاسيما التركات وقرب اليه الاشرار فنفرت منه القلوب وكان بالمدينة بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار الارتقي الذي كان صاحبها قديماً فاطاعه اهل البلد واقاموه والياً عليها ليلة الثلاثا ثاني شوال سنة ٥٢١ وقبضوا على كل من كان بالبلد من اصحاب قتلغ وكان اكثرهم يشربون في البلد صبيحة العيد وزحفوا الى القلعة فتحصن قتلغ فيها بمن معه وحصروه ووصل الى حلب حسان صاحب منبج وحسن صاحب بزاعة لاصلاح الامر فلم يصلح وسمع الفرنج بذلك فتقدم جوسلين بعسكره الى حلب فصونع بمال وانصرف عنها ثم وصل صاحب انطاكية في جمع من الفرنج فخندق الحلبيون حول القلعة ومنع عنهـا الداخل والخارج واشرف الناس على خطر عظيم الى منتصف ذي الحجة سنة ٥٢١ وكان عماد الدين زنكي قد ملك الموصل والجزيرة وسير الى حلب الامير سنقردراز والامير حسن قراقوش ومعه توقيع عماد الدين بالشام فاجابه اهل حلب وتقدم عسكر عماد الدين زنكي الى سليمان وقتلغ بالمسير الى عماد الدين زنكي فسارا اليه وهو بالموصل فاصلح بينهما ولم يرد احدهما الى حلب وكان قراقوش في مدة غيابهما كالوالي على حلب ثم ان عماد الدين زنكي سار الى حلب وملك في طريقه منبج وبزاعة وطلع اهل حلب لتلقيه واستبشروا بقدومـه ودخل حلب ورتب امورها ثم قبض على قتلغ وسلمه الى ابن بديع فكحله فمات وكان ملك عماد الدين زنكي لحلب وقلعتها في محرم سنة ٥٢٢ وفي سنة ٥٢٤ جمع عماد لدين زنكي عساكره وسار من الموصل الى الشام وقصد حصن

الأثارب لشدة ضرره على المسلمين فان اهله الفرنج كانوا يقاسمون اهل حلب على جميع اعمالها الغربية حتى على رحى بظاهر باب الجنـان بينها وبين سور حلب عرض الطريق والغالب على الظن انهـا رحى عربية فنازل عماد الدين الحصن واجتمع عليه الفرنج فارسهم وراجلهم فرحـل عماد الدين عن الأثارب الى حيث اجتمع الفرنج والتقى بهم واقتتل معهم اشد قتال فانتصر عليهم وانهزم الفرنج واسر كثيراً من فرسانهم وقتـل منهم مقتلة عظيمة بقيت منهـا عظام القتلى على سطح الارض زمناً طويلاً ثم عاد المسلمون الى حصن الأثارب واخذوه عنوة وقتلوا واسروا كل من فيه وخرب عمـاد الدين ذلك الحصن من ذلك اليوم وفي سنة ٥٣٠ سارت عساكر اسوار نائب عماد الدين زنكي بحلب ومعه عساكر حلب وحماه الى بلاد الفرنج بنواحي اللاذقية واوقعوا بمن هناك من الفرنج وكسبوا من الجواري والمماليك والاسرى والدواب ما ملأ الشام من الغنائم وعادوا سالمين وفي سنة ٥٣١ نازل عماد الدين حصن بعرين وكان به الافرنج فضيق عليهم وطلب الفرنج منـه الامان فقرر عليهم تسليم الحصن وخمسين الف دينار يحملونها اليـه فرضوا بذلك واطلقهم وتسلم الحصن والدنانير وكان عماد الدين مدة اقامته على الحصن المذكور قد استخلص المعرة وكفرطاب من الفرنج وحضر اهل المعرة وطلبوا املاكهم التي كانت لهم قبل ان يأخذ الافرنج المعرة فطلب عماد الدين منهم كتب املاكهم فذكروا انها عدمت فكشف في ديوان حلب عن الخراج ورد كل ملك لصاحبـه حسب مفهوم الديوان وفي سنة ٥٣٢

وصل الروم الى بزاعه وهي على ستة فراسخ من حلب وحاصروها وملكوها
بالامان ثم غدروا باهلها وقتلوا منهم واسروا وسبوا وتنصر قاضيها وجملة
من تلف بها من اهلها او بعمائة نسمة ثم رحل الروم الى حلب ونزلوا
على قويق وزحفوا على حلب وجرى بين اهلها وبينهم قتال كثير قتل
فيه من الروم بطريق كبير وعادوا خاسرين واقاموا ثلاثة ايام ورحلوا
الى الأثارب وملكوها وتركوا فيها سبايا بزاعه وتركوا عندهم من الروم
من يحفظهم وسار الروم جميعهم من الأثارب الى شيزر فخرج اسوار
نائب زنكي بحلب بمن معه واوقع بمن في الأثارب من الروم فقتلهم وفك
اسرى بزاعه وسباياها وفي سنة ٥٣٣ جاءت زلزلة عظيمة بالشام والعراق
وغيرهما من البلاد فخربت كثيراً وهلك تحت الردم عالم كثير وهدمت
الدور والمنازل وتوالت بالشام وخربت كثيراً من البلاد لاسيما حلب فان
اهلها فارقوا بيوتهم وخرجوا الى الصحراء ودامت من رابع صفر الى تاسع
عشره وفي سنة ٥٣٩ فتح اتابك عماد الدين زنكي مدينة الرها واستردها
من الفرنج الصليبيين مع غيرها من البلاد الجزرية وكان فتحاً عظيماً
وفي سنة ٥٤١ قتل عماد الدين زنكي قتله جماعة من مماليكه منازلاً قلعة
جعبر ودفن بالرقة ولما قتل كان ولده نور الدين محمود زنكي حاضراً
عنده فاخذ خاتمه من اصبعه وجاء الى حلب وملكها وفيها راسل جوسلين
الفرنجي صاحب تل باشر وما جاورها اهل الرها وكلهم من الأرمن
بان يمتنعوا عن المسلمين ويسلموا البلد اليه ففعلوا وملك جوسلين البلد
دون القلعة فاسرع نور الدين الرحيل اليه من حلب ولما قارب الرها

خرج منها جوسلين هارباً ودخلها نور الدين ونهبها وسبى اهلهـا فلم يبق منهم احد وفي سنة ٥٤٢ دخل نور الدين صاحب حلب بلاد الفرنج وفتح منها مدينة ارتاح بالسيف وحصر مابوله وبصرفوت وكفر لاثا وفي سنـة ٥٤٣ كان بين نور الدين و بين الفرنج مصاف بارض يغرى من العمق فانهزم الفرنج وقتل واسر منهم جماعـة كثيرة وارسل نور الدين الى اخيه سيف الدين غازي صاحب الموصل من الاسرى والغنيمة قال في الروضتين في اخبار الدولتين وفي رجب هـذه السنة ورد الخبر من ناحية حلب بان صاحبها نور الدين امر بابطال حي على خير العمل في اواخر تأذين الغداة والتظاهر بسب الصحابـة وانكر ذلك انكاراً شديداً وساعده على ذلك جماعة من اهل السنة بحلب وعظم هذا الامر على الاسماعيلية واهل التشييع وضاقت صدورهم به اهـ وقـد تقدم في هذا كلام في ايام سيف الدولة الحمداني

وفي هذه السنة ايضاً كان الغلاء العـام من خراسان الى العراق الى الشام الى بلاد المغرب

﴿ سنة ٥٤٤ حصر نور الدين قلعة حارم وغير ذلك ﴾

فيها حصر نور الدين حصن حارم فجمع البرنس صاحب انطاكية الفرنج وسار الى نور الدين فاقتتلوا وانتصر نور الدين وقتل البرنس وانهزم الفرنج وكثر فيهم القتل وملك بعد البرنس ولده بيمند وهو طفل وتزوجت امه باخر تسمي البرنس ثم ان نور الدين غزاهم ثانية فقتل منهم كثيراً واسر

وكان فيمن اسر البرنس الثاني زوج ام بيمند وفيها زلزلت الارض زلزالاً شديداً

❋ سنة ٥٤٥ استيلاء نور الدين على فامية ❋

فيها سار نور الدين الى فامية وحصر قلعتها وملكها من الفرنج وكان الفرنج قد اجتمعوا وساروا لنور الدين ليرحلوه عنها فملكها قبل وصولهم

❋ سنة ٥٤٦ انهزام نورالدين واسر حامل سلاحه ❋
ثم اسر جوسلين وغير ذلك

فيها عزم نور الدين على قصد بلاد جوسلين احد فرسان الفرنج ودهاتهم فجمع جوسلين جموعاً كثيرة وسار نحو نور الدين فهزمه وقتل واسر من عسكره جمعاً كثيراً وكان من جملة الاسراء السلاح دار ومعه سلاح نور الدين فارسله جوسلين الى مسعود بن قلج ارسلان صاحب قونيه واقسراي وقال هذا سلاح زوج ابنتك وسآتيك بما هو اعظم منه فعظم ذلك على نور الدين وهجر الملاذ وافكر في امر جوسلين وجمع التركمان وبذل لهم الوعود ان ظفروا به فاتفق ان جوسلين طلع للصيد فكبسه التركمان وامسكوه فبذل لهم مالاً فاجابوه الى اطلاقه فبلغ ذلك نور الدين وارسل عسكراً كبسوا التركمان الذين عندهم جوسلين واحضروه الى حلب ولما اسر جوسلين حبسه نور الدين في قلعة حلب وسار لفتح بلاده وقلاعه فملكها وهي تل باشر وعين تاب ودلوك وعزاز وتل خالد

وقورس والراوندان و برج الرصاص وحصن البـاره و كفر سود و كفر لاثا ومرعش ونهر الجوز وغير ذلك وفي هذه السنة حضر مجير الدين مع خواصه الى حلب وهو صاحب دمشق ودخل على نور الدين و بذل له الطاعة فاكرمه نور الدين غاية الاكرام واقامــه نائباً عنه في دمشق فرجع اليها مجير الدين فرحاً مسروراً

﴿ سنة ٥٤٧ انكسار الفرنج عند دلوك ﴾

فيها احتشد من الفرنج جيش كثيف وقصدوا نور الدين وهو ببلاد جوسلين ليمنعوه عن ملكهـا فالتقوا به عند دلوك وجرى بينه و بينهم قتال عنيف انتهى بانهزامهم وقتل واسر منهم عدد عظيم وعاد نور الدين الى دلوك فملكها

﴿ سنة ٥٤٩ ملك نور الدين دمشق وغيرها ﴾

فيها كاتب نور الدين اهل دمشق واستمالهم بقصــد ان يملكها خوفاً عليها من الفرنج لانهم تغلبوا بتلك الناحية واطلقوا من دمشق من ارادوا اطلاقــه من النصارى فسار نور الدين الى دمشق وحاصرها ففتحت له من الباب الشرقي وملكها وحصر مجير الدين صاحبهـا في قلعتها و بذل له اقطاعا من جملته مدينة حمص فسلم مجير الدين القلعــة وسار الى حمص فصرفه نور الدين عنها بسكنة وفيها ملك نور الدين قلعة تل باشر من الفرنج

❋ سنة ٥٥١ حصار نور الدين حارم ومصالحته الفرنج على نصف اعمالها ❋

في هذه السنة حاصر نورالدين قلعة حارم وضيق عليها فاجتمع الفرنج وساروا نحو نور الدين فكتب اليهم بطريق الحصن يعرفهم بقوة المسلمين و يقول لهم ان لقيتموهم هزموكم واخذوا حارم وغيرها وان حفظتم انفسكم منهم قدرنا على الامتاع ففعل الفرنج ما اشار به عليهم وراسلوا نورالدين في الصلح واستقر الامر بينهم على مناصفة ولاية حارم بين الافرنج و بين نور الدين

❋ خبر الزلزال وغيره ❋

وفي سنة ٥٥٢ في تاسع عشر صفر وافت زلزلة عظيمة وتلاها عدة زلازل اثرت في حلب تأثيراً ازعج اهلها وهدمت عدة حصون من حمص وحماه و كفر طاب وافامية ولم يسلم من عطب هذه الزلازل في البلاد الشامية الا النادر وكان معظم هذه الزلازل بحماه ثم بحلب وكان يتبع الزلزلة صيحات مختلفة كالرعود القاصفة وقد هلك بها كثير من الخلق حتى حكي ان بعض المعلمين بحماه فارق المكتب لمهم فجاءت الزلزلة فاخربت الدور وسقط المكتب على الصبيان جميعهم قال المعلم فلم يأت احد يسأل عن صبي كان في المكتب وجملة من هلك في احدى هذه الزلازل عشرة الاف نسمة وهلك اكثر بني منقذ تحت الردم

بشيزر وهم حكامها فسار اليها نور الدين وملكهـا وفيها اهتم نور الدين بعمارة القلاع والاسوار التي هدمتها الزلزلة واغار على الفرنج ليشغلهم عن قصد البلاد

﴿ سنة ٥٥٤ مرض نور الدين وغير ذلك من الحوادث ﴾

في هذه السنة مرض نور الدين مرضاً شديداً ارجف بموته بقلعـة حلب فجمع اخوه امير ميران بن زنكي جمعا وحصر قلعـة حلب وكان شيركوه بحمص وهو من اكبر امراء نورالدين فسار الى دمشق ليستولي عليها وبها اخوه نجم الدين ايوب فانكر ايوب عليـه ذلك وحسن له الرجوع الى حلب وقال له ان كان نور الدين حياً خدمته وان كان قد مات فانا في دمشق فافعل ما تريد فعاد شيركوه الى حلب مجداً وجلس نور الدين في شباك يراه الناس فلما رأوه تفرقوا عن اخيـه امير ميران واستقامت الاحوال

﴿ اخبار الحوادث من سنة ٥٥٥ الى نهاية سنة ٥٥٨ ﴾

في سنة ٥٥٥ قصد ربنلد ملك ايطاليا البلاد التي استولى عليهـا نور الدين من جوسلين ونهب فيها من يقطنها الارمن والسريان وعاد الى انطاكية وقبل وصوله اليها خرج اليـه مجد الدين نائب حلب واخذه اسيراً وقيـده واحضره الى حلب وفي سنة ٥٥٨ كان نور الدين نازلاً في البقيعـة تحت حصن الاكراد فكبس عسكره الفرنج وهجموا على

خيمته فركب نور الدين مسرعاً وساق ورجله في الـ نجة فنزل كردي وقطعها وقتل الكردي ونجا نور الدين فاحسن الى مخلفيه ووقف لهم اوقافاً ثم سار نور الدين الى بحيرة حمص ونزل عليها وتلاحق به من سلم من المسلمين

❋ سنة ٥٥٩ اخذ قلعة حارم ❋

فيها اخذ الدين قلعة حارم من الافرنج وقتل واسر منهم كثيراً وكان من جملة الاسرى البرنس صاحب انطاكية والقومص صاحب طرابلس وفيها سار نور الدين الى بانياس واخذها من الفرنج وكانت بايديهم من سنة ٥٤٣ وفي سنة ٥٦٢ عصى غازي بن حسان صاحب منبج على نورالدين فسير اليه عسكراً اخذ وهامنه واقطعها نورالدين قطب الدين نيال بن حسان اخا غازي المذكور فبقي فيها الى ان اخذها منه صلاح الدين يوسف بن ايوب سنة ٥٧٢ وفي سنة ٥٦٣ اقام نورالدين بقلعة الرها مدة ثم عاد منها الى حلب وضربت خيمته في رأس الميدان الاخضر وكان مولعاً بضرب الكرة وربما دخل الظلام فلعب بها بالشموع وكان صلاح الدين الايوبي يركب بكرة كل يوم لخدمة نور الدين في لعب الكرة لان صلاح الدين كان عارفاً بادابها وفي سنة ٥٦٥ كانت زلزلة عظيمة خربت بلاد الشام لاسيما حلب فقد فعلت بها ما لم تفعله بغيرها و بلغ الرعب بمن نجا من اهلها كل مبلغ فكانوا لا يقدرون على ان يأتوا الى بيوتهم السالمة خوفاً من الزلزلة فانها عاودتهم غير مرة

ولا ان يقيموا بظاهر حلب خوفاً من الفرنج ثم ان نور الدين قام بعمارة القلاع والاسوار من غير حلب و بعــده جاء الى حلب و باشر عمارتها بنفسه وكان يقف على البنائين بشخصه حتى احكم عمارتها واما الفرنج فان الزلزلة اثرت في بلادهم اشد تأثيراً من بلاد الاسلام فاجتهدوا في تعميرها واشتغل كل من المسلمين والفرنج بعمارة بلاده عن صاحبه

❊ اتخاذ حمام الزاجل ❊

وفي سنة ٥٦٧ امر نور الدين باتخاذ الحمام الهوادي التي تحمل البطائق وتطير بها الى اوكارها وكان سبب ذلك اتساع بــلاده التي تستوعب ما بين النوبة الى حد همذان ولا يتخللها سوى بلاد الفرنج فربما نازلوا بعض الثغور ولا يصل خبرهم الى نور الدين الا وقد بلغوا الغرض فحينئذ امر بتعليم الحمام ورتب لها ولمعلميها ارزاقاً وافية فوجد بها راحة كبيرة فان الاخبار صارت تصل اليه بوقتها لانه كان في كل ثغر رجال مرتبون ومعهم من حمام المدينة التي تجاورهم فاذا رأوا او سمعوا امراً كتبوه لوقته وعلقوه على الطائر وسرحوه الى المدينة التي هو منها في ساعته فتنقــل الرقعة منه الى اخر من البلد الذي يجاورهم في الجهة التي فيها نور الدين وهكذا الى ان تصل الاخبار فانحفظت الثغور بذلك حتى ان طائفة من الفرنج نازلوا ثغــراً لنور الدين فاتاه الخبر لومــه فكتب الى العساكر المجاورة لذلك الثغر فكبسوا العدو وظفروا به والفرنج آمنون لذلك لبعد نور الدين عنهم وهذه الطيور وصفهــا بعضهم بقوله : الطيور ملائكة

الملوك يشير الى انها تنزل على الملوك من جو الهواء نزول الملائكة من السماء مع فرط ما فيها من الامانة : قلت. ولا ادري متى بطل استخدام الحمام من بلادنا غير ان جاك سواري دي بورسلمون ذكر في الصحيفة ١٠١٨ من الجزء الاول من كتابه القاموس التجاري العام في اثناء الكلام على تجارة حلب ان من جملة ما امتاز به تجار حلب استخدامهم الحمام بنقل الاخبار اليهم من اسكندرونه قال وهي حمام يعانون تربيتها وتعليمها في بيوت مخصوصة من حلب وينقلونها الى اسكندرونه بالاقفاص فاذا حدث لديهم في اسكندرونه خبر مهم كتبوه في بطاقة وعلقوها في رقاب الحمام وسرحوها نحو حلب فتأتيها طلباً لفراخها في برهة ثلاث ساعات ا ه (وكان طبع قاموسه المذكور سنة ١٧٢٣ م وهي سنة ١١٣٦ هجرية) وفي سنة ٥٦٨ فتح نور الدين مرعش واخذ بهسنا وفي سنة ٥٦٩ توفي الملك العادل نور الدين محمود ابن عماد الدين زنكي صاحب الشام وديار الجزيرة وغيرهما وجلس مكانه على سرير الملك ابنه الملك الصالح اسماعيل وكان لم يبلغ الحلم فتولى تربيته الامير شمس الدين محمد ابن المقدم

❊ ملك صلاح الدين يوسف بن ايوب دمشق وغيرها ❊

في سلخ ربيع الاول سنة ٥٧٠ ملك صلاح الدين بن ايوب مدينة دمشق وحمص وحماه وسببه ان شمس الدين ابن الداية المقيم بحلب ارسل لسعد الدين كمشتكين دزدار قلعة الموصل من قبل المرحوم نور الدين

الى الملك الصالح يستدعيه من دمشق الى حلب لاخماد الفتن التي قامت في حلب بين الشيعة واهل السنة وليكون مقامه في حلب فسار الملك الصالح مع سعد الدين المذكور الى حلب ولما استقر بها قبض على شمس الدين ابن الداية الذي طلبه وقبض على اخوته وعلى رئيس الشيعة ابن الخشاب واخوته واستبد سعد الدين كمشتكين بتدبير الملك الصالح نخافه اتابكه الامير شمس الدين محمد بن المقدم و بقية الامراء في دمشق وكاتبوا صلاح الدين ابن ايوب صاحب مصر ليملكوه دمشق فاقبل اليهم على الفور وسلموه اياها دون ادنى مشقة ولما سمع من في حلب ان دمشق صارت لصلاح الدين خافوا منه وارسلوا يهددونه فلم يأبه بتهديدهم ونادى بعسكره بالاستعداد لقصد الشام الاسفل ورحل متوجهاً الى حمص فتسلمها ثم الى حماه فاطاعه صاحبها جرديك والتمس منه ان يكون واسطة صلح بينه و بين اهل حلب فاجابه صلاح الدين الى ذلك فجد جرديك الى حلب واجتمع بالملك الصالح والامراء واشار عليهم بصلح السلطان صلاح الدين فاتهموه بالمخامرة معه وحبسه سعد الدين كمشتكين مدبر الملك مع اولاد الداية المتقدم ذكرهم فبلغ الخبر السلطان وهو بحماه فرحل من وقته وسار الى حلب ونزل على انف جبل الجوشن فوق مشهد الدكة ثالث جمادي الاخرة وامتدت عساكره من الخناقية الى السعدي نخاف الحلبيون ان يسلموه البلد كما فعل اهل دمشق فامر الملك الصالح ان ينادي باجتماع الناس الى ميدان باب العراق فاجتمعوا حتى غص الميدان بالناس فوقف الملك الصالح في رأس الميدان من

الشمال وقال لهم يا اهل حلب انا ربيبكم ونزيلكم واللاجئ اليكم كبيركم عندي بمنزلة ابي وشابكم كاخي وصغيركم كولدي وخنقته العبرة وعلي نشيجه فافتتن الناس وماجوا ورموا عمائمهم وضجوا بالبكاء والعويل وقالوا نحن عبيدك وعبيد ابيك نقاتل بين يديك ونبذل اموالنا وانفسنا لك واقبلوا على الدعاء والترحم على ابيه وكان الشيعة منهم اشترطوا على الملك الصالح ان يعيد اليهم شرقية الجامع يصلون فيها على قاعدتهم القديمة وان يجهر بحي على خير العمل والاذان والتذكير في الاسواق وقدام الجنائز باسماء الائمة الاثني عشر وان يصلوا على امواتهم خمس تكبيرات وان يكون عقود الانكحة الى الشريف الطاهر ابي المكارم حمزة بن زهرة الحسيني وان تكون العصبية مرتفعة والناموس وازع لمن اراد الفتنة واشياء كثيرة اقترحوها مما كان ابطله نور الدين رحمه الله فاجابهم الملك الصالح الى جميع ما طلبوا واما السلطان صلاح الدين فانه ارسل الى حلب رسولاً يعرض بالصلح فامتنع كمشتكين فاشتد السلطان حينئذ في قتال البلد فتفاوض الملك الصالح وجماعته في اعمال الحيلة فقر رأيهم على ان يراسلوا سنانا صاحب الحشيشة ويقال لهم الاسماعيلية والباطنية في ان يدس الى السلطان من يغتاله ووعدوه على ذلك باموال جمة وعدة من القرى فجاء نفر من الاسماعيلية الى جبل الجوشن واختلطوا بالعسكر فعرفهم احد من كان مجاورهم في بلادهم فوثبوا عليه وقتلوه في موضعه وجاء قوم للدفاع عنه فجرحوا بعضهم وقتلوا البعض وبدر من الاسماعيلية احدهم وبيده سكينة مشهورة

ليقصد السلطان و يوقع به فلما وصل الى باب الخيمة اعترضه طغريل امير جاندار فقتله وطلب الباقون فقتلوا بعد ان قتلوا جماعة فلما يأس الحلبيون من مرادهم في السلطان كاتبوا قمص الافرنجي صاحب طرابلس وضمنوا له اشياء كثيرة متى رحل السلطان عن حلب فاغار قمص على حمص والجأ السلطان صلاح الدين ان يسير اليه فنكص القومص راجعاً الى بلاده وتم الغرض من رحيل السلطان عن حلب

﴿ ملك صلاح الدين بزاعه وعزاز ثم منازلته حلب ﴾

في سنة ٥٧١ ملك صلاح الدين بزاعه ثم نازل عزاز وفي ليلة الاحد حادي عشر ذي القعدة وثب عليه من الاسماعيلية احدهم في زي جندي من جند صلاح الدين وضرب الاسماعيلي رأس السلطان بسكينة صدتها صفائح الحديد المدفونة في رأسه لكنها لفحت خده فخدشته فقوي قلب السلطان وحاش رأس الاسماعيلي وجذبه اليه ووقع عليه وركبه وادركه سيف الدين بازكوح فاخذ حشاشة الاسماعيلي و بضعه وجاء آخر فاعترضه احد الامراء وجرح الاسماعيلي ومات بعد ايام ثم جاء آخر فعانقه الامير علي بن ابي الفوارس وضمه من تحت ابطيه وبقيت يد الاسماعيلي من وراء الامير و يد الامير من ورائه لا يتمكن من الضرب فنادى الامير اقتلوني معه فقد قتلني واذهب قوتي فطعنه ناصر الدين بن شيركوه بسيفه وخرج آخر من الخيمة منهزماً فثار عليه اهل السوق فقتلوه و بعد هذه النازلة رجع السلطان الى خيمته خائفاً مذعوراً

والدم يسيل من خده واخذ بالتحرز من ذلك اليوم ثم بعد ان تسلم السلطان قلعة عزاز بالامان رحل عنها ونازل حلب في منتصف ذي الحجة وحصرها وبها الملك الصالح الذي كان حالف السلطان صلاح الدين في السنة قبلها ثم نكث عن محالفته وحالف صاحب الموصل فسار صلاح الدين لفتح بلاده ونازل حلب وبقي محاصرها الى تمام السنة ثم طلبوا منه الصلح فاجاب واخرجوا اليه بنتاً صغيرة لنور الدين فاكرمها واعطاها شيئاً كثيراً وقال لها ما تريدين فقالت اريد عزاز وكانوا علموها ذلك فسلمها اليهم واستقر الصلح ورحل السلطان صلاح الدين عن حلب في عاشر المحرم سنه ٥٧٢ وفي سنه ٥٧٣ قبض الملك الصالح على سعد الدين كمشتكين احد امرائه لاستبداده بالامور وكانت حارم له فطلبها منه الملك الصالح فابى فعذبه عذاباً اليماً حتى مات ولم يجبه لطلبه ثم وصل الفرنج الى حارم وحاصروها اربعة اشهر فارسل الملك الصالح اليهم مالاً وصرفهم عنها اما اهلها فلم يزالوا ممتنعين عن الملك الصالح فحاصرهم وتسلمها منهم وفي سنة ٥٧٧ توفي الملك الصالح وكان اوصى بملك حلب الى ابن عمه عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي صاحب الموصل فسار مسعود المذكور من الموصل الى حلب وملكها فكاتبه اخوه عماد الدين بن مودود صاحب سنجار في ان يعطيه حلب ويأخذ منه سنجار فاجابه وتسلم كل منهما بلد الآخر

﴿ استيلاء السلطان صلاح الدين الايوبي على حلب ﴾

وفي سنة ٥٧٨ سار السلطان صلاح الدين من مصر الى الشام وقصد تل باشر وتسلمها ثم عينتاب لحاصرها وتسلمها ثم قصد حلب ونزل في في صدر الميدان الاخضر في سادس عشر المحرم سنة ٥٧٩ وسير المقاتلة يقاتلون و يباسطون عسكر حلب ببانقوسا و باب الجنان غدوة وعشية وكان مع السلطان جيش ضخم ولما تحقق عماد الدين بن مودود صاحب حلب ان ليس له قبل بالسلطان وكان قد ضجر من اقتراح الامراء عليه وجبهم اياه ارسل الى السلطان رسولاً وهو حسام الدين طمان يلتمس منه اعادة بلاده عليه وهو يسلم حلب الى السلطان صلاح الدين فاجاب السلطان الى ذلك وفي يوم السبت ثامن عشر صفر منها نشر سنجق السلطان الاصفر على القلعة وضربت له البشائر وفي ذلك الوقت باشر عماد الدين نقل امتعته من القلعة ولم يترك بها شيئاً و باع في السوق ما لم يقدر على حمله وكان السلطان شرط على نفسه انه ما يريد سوى الحجر واطلق السلطان لعماد الدين بغالاً وخيلاً وجمالاً برسم حمل ما يحتاج الى حمله وفي يوم الاحد تاسع عشر صفر اصطنع عماد الدين للسلطان في الميدان الاخضر دعوة حافلة سر منها السلطان سروراً زائداً و بينما هو في غاية مسرته ولذته اذ اخبره شخص بموت اخيه بوري وكان جرح في اثناء محاصرة حلب فلما علم السلطان بموته وهو مسرور في الدعوة المذكورة وجد عليه في قلبه ولم يظهر الاسف والحزن وامر

بتجهيزه سراً لئلا يتكدر المدعوون ودفن في مقام ابراهيم بظاهر حلب ثم حمله الى دمشق ودفنه بها و بعد ان انقضت تعزيــة الناس للسلطان باخيه خلع على الناس وفرق في وجوه الحلبيين الاموال وقدم لعماد الدين عشرين بقجة صفر فيها مائة ثوب من العنــابي والاطلس والمعتق والممرس وغــير ذلك وعشرة جلود قندس وخمس خلع خاص برسمه ورسم ولده ومائة قنباز ومائة كمــة وحجرتين عربيتين باداتهما و بغلتين مسروجتين وعشرة اكاديش وخمس قطر بغال وثلاث قطر جمال عربيات وقطار بخت ولما فرغ السلطان من الهدية قدم الطعام فاكل عماد الدين ونهض للركوب وخرج السلطان معه الى قرب بابلي وودعه وسار عماد الدين لبلاده ورجع السلطان وصعد القلعة من باب الجبل وسمع منه وهو يصعدها قوله تعالى قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء الى آخر الآية وقال و لله ما سررت بفتح مدينة كسروري بهذه وقد تبينت الان اني املك البلاد وعلمت ان ملكي قد استقر وثبت ثم صار الى المقام وصلى ركعتين ثم عاد الى المخيم في الميــدان واطلق المكوس والضرائب وسامح باموال عظيمة وجلس للهناء بفتح حلب فهناه جماعة من الشعراء بعدة قصائد ذكرها العماد صاحب كتاب الروضتين

ومن عجيب الاتفاقات ان محي الدين بن الزكي قاضي دمشق مــدح السلطان بقصيدة منها قوله

وفتحكم حلباً بالسيف في صفر   مبشر بفتوح القدس في رجب

فكان الامر كما ذكر فان السلطان فتحت له القدس في رجب سنة ٥٨٣

❊ فتح حارم وغير ذلك من الحوادث ❊

ثم ان السلطان طلب حارم من صاحبها سرخك الذي كان ولاه الملك الصالح فامتنع عليه وكاتب سرخك الفرنج ففطن اهل حارم بذلك ووثبوا عليه وامسكوه وسلموا حارم الى صلاح الدين فتسلمها وقرر امرها وامر حلب و بلادها واقطع عزاز سليمان بن جندر احد الامراء وجعل في حلب ولده الملك الظاهر وسار عنها في غرة ربيع الاول من السنة المذكورة و بعد مضي ستة اشهر طلب الملك العادل وهو اخو السلطان صلاح الدين ان يوليه على حلب فولاه عليها واستدعى ولده الملك الظاهر الى دمشق فخرج من حلب في غاية الاسف عليها فقد كان احبها حباً شديداً ووافقه ماؤها وهواؤها وكان خروجه منها واستلام عمه لها في رمضان منها وفي سنة ٥٨٢ اخذ السلطان حلب من اخيه الملك العادل واقطعه عنها حران والرها واعاد ابنه الملك الظاهر اليها

❊ استيلاء صلاح الدين على بيت المقدس واخذه من حلب ❊ منبراً للمسجد الاقصى

وفي سنة ٥٨٣ في رجب فتح بيت المقدس على يد السلطان صلاح الدين فدخلها ورتب امورها واعاد جامعها الى ما كان عليه ثم امر ان يكتب الى حلب باحضار منبر كان هياءه لبيت المقدس الملك العادل نورالدين محمود زنكي اشتغله له نجار بحلب يعرف بالاختريني من قرية

اختر ين لا نظير له في البراعة والصنعة فاحضر المنبر المذكور وجعل في الجامع الاقصى

﴿ استيلاء الملك الظاهر على سرمينية من الفرنج ﴾ واستيلاء ابيه على در بساك

وفي سنة ٥٨٤ ارسل السلطان ولده الملك الظاهر صاحب حلب الى سرمينية فحصرها وضايقها وملكها من الفرنج واستنزل اهلها على قطيعة قررها عليهم وهـدم الحصن وعفر اثره واطلق جماً غفيراً من اسرى المسلمين الذين كانوا بهذا الحصن وما جاوره من الحصون وفيهـا سار السلطان صلاح الدين فنزل على جسر الحديد بالقرب من انطاكية فاقام عليـه اياماً حتى تلاحق به من تأخر من العسكر ثم سار الى در بساك وحاصرها ثم تسلمها بالامان على شرط ان يخرج منها اهلها بثيابهم فقط ثم سار الى بغراس وتسلمها على شرط در بساك ثم ارسل اليه بيمند صاحب انطاكية الفرنجي يطلب منـه الصلح بشرط ان يطلق كل اسير مسلم عنده فاجابه السلطان لذلك وتهادنوا ثمانية اشهر وفي ثالث شعبان منها دخل السلطان حلب وسار منها الى دمشق وجعل طريقه على قبر عمر بن عبدالعزيز ليزوره وفي سنة ٥٨٧ قتل يحيى السهروردي الفيلسوف بقلعة حلب على ما يذكر في ترجمته

﴿ وفاة صلاح الدين وولايات البلاد بعده ﴾
وما كان من الحوادث الى سنة ٦٠٠

وفي سنة ٥٨٩ توفي السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب بدمشق على ما يذكر بترجمته وترك سبعة عشر ولداً ذكراً وبنتاً واحدة وكان اكبر اولاده صاحب دمشق الملك الافضل نور الدين علي وكان الملك العزيز عثمان صاحب مصر اصغر منه والملك الظاهر صاحب حلب اصغر منهما

فاستقر بحلب بعد وفاة السلطان صلاح الدين ولده الملك الظاهر غياث الدين غازي وبحماه وسلمية والمعرة ومنبج وقلعة نجم الملك المنصور ناصر الدين محمد بن الملك المظفر تقي الدين وبحمص والرحبه وتدمر شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شاذي وبشيزر سابق الدين عثمان ابن الداية وبصهيون وحصن برزيه ابو قبيس وناصر الدين بن كورس بن خمار دكين وبتل باشر بدر الدين دلارم ابن بهاء الدين ياروق وبعرين وكفر طاب وفامية عز الدين ابراهيم بن شمس الدين وفي سنة ٥٩٦ كان الملك الافضل والملك الظاهر محاصرين دمشق وفيها الملك العادل ابن ايوب ثم وقع بين الافضل والظاهر وحشة افضت الى انصرافهما عن دمشق وتوجه كل واحد منهما الى مقره وبعد ان انصرفا خرج الملك العادل في اثر الملك الافضل ووقع بينهما مصاف انكسر فيه الملك الافضل واخذ منه الملك العادل مصر صلحاً على ان يعوضه عنها

ميافارقين وغيرها ولما استقر الملك العادل بالملك كاتبه ابن اخيه الملك الظاهر صاحب حلب وصالحه وخطب له بحلب وبلادها وضرب السكة باسمه واشترط الملك العادل على الظاهر ان يكون خمسمائة فارس من خيار عسكر حلب في خدمة الملك العادل كلما خرج الى البيكار والتزم الظاهر بذلك وفي سنة ٤٩٧ كان الملك الظاهر مجداً في تحصين حلب خوفاً من عمه الملك العادل وفيها توفي عز الدين ابراهيم بن محمد وصارت بلاده بعده وهي منبج وقلعة نجم وفامية وكفرطاب لاخيه شمس الدين عبد الملك فسار اليه الملك الظاهر وملك منه منبج وعصى عليه شمس الدين بالقلعة فحصره الملك الظاهر واستنزله بالامان واعتقله وملك منه القلعة ثم سار الملك الظاهر الى قلعة نجم فملكها وبها نائب شمس الدين المذكور ثم ارسل الملك الظاهر الى الملك المنصور صاحب حماه يبذل له منبج وقلعة نجم على ان يصير معه على عمه الملك العادل صاحب مصر فاعتذر اليه صاحب حماه بيمين في عنقه للملك العادل على ان يواليه فلما آيس منه سار الى المعرة واقطع بلادها واستولى على كفرطاب وكانت لشمس الدين المتقدم ذكره ثم سار الى فامية وبها قراقوش نائب شمس الدين ايضاً فلم يتيسر له تملكها فرحل عنها وتوجه الى حماه وحاصرها في اليوم السابع والعشرين من شعبان هذه السنة وبقي عليها الى ايام من رمضان وجرى بينه وبين الملك المنصور قتال شديد وجرح الملك الظاهر بسهم اصابه في ساقه ثم صالح الظاهر المنصور على ثلاثين الف دينار صوريه ورحل عنها الى دمشق وبها الملك المعظم بن الملك العادل

فنازلها الظاهر واخـوه الملك الافضل وانضم اليهما عـدة من امراء الصالحية واتفق الملكان الظاهر والافضل على انهما اذا فتحا دمشق يتسلمها الملك الافضل ثم يسيران معاً الى مصر و يأخـذانها من الملك العادل و يتسلمهـا الملك الافضل وحينئذٍ يتسلم دمشق الملك الظاهر ولما قرب على الملكين افتتـاح دمشق حسد الملك الظاهر اخاه الافضل على ملكها ووقعت الوحشة بينهما وتفرق عسكرهما وابطلا القتال وراسلا الملك العادل وصالحاه ورحل كل منهما الى مستقره وفيها كان بالجزيرة والشام والسواحل زلزلة عظيمة هدمت عدة مدن وفي سنة ٥٩٨ خرب الملك الظاهر قلعة منبج خوفاً من انتزاعها منه واقطع منبج عماد الدين احمـد بن سيف الدين علي بن محمد بن احمـد المشطوب وفيها ارسل قراقوش نائب شمس الدين بافاميه الى الظاهر بتسليم فاميه بشرط ان يعطى شمس الدين اقطاعا يرضاه فاقطعه الملك الظاهر الراوندان و كفر طاب ومفردة المعرة وهو عشرون ضيعة معينة من بـلاد المعرة وتسلم فاميه ثم عصي شمس الدين بالراوندان فسار اليه الظاهر واخضعه وفيها سار الملك العـادل من دمشق ووصل الى حمـاه ونزل على تل صفرون و بلغ الظاهر وصوله الى حمـاه بقصد حلب ومحاصرتهـا فاستعد للحصار وراسله وتم الصلح بينهما على ان يأخذ من الظاهر اماكن معلومة وتدفع لمن اختـار الملك العادل وفي سنة ٥٩٩ اخرج الملك العـادل من مصر الملك المنصور محمد بن الملك العزيز الى الشام فسار بوالدته واخوته واقام بحلب عند الملك الظاهر

❋ قصد ابن لاوون الارمني انطاكية وغير ذلك ❋

وفي سنة ٦٠٠ نازل بن لاوون ملك الارمن انطاكية فتحرك الظاهر ووصل الى حارم فارتد ابن لاوون على عقبه وفيها كانت زلزلة عظيمة عمت مصر والشام والجزيرة و بلاد الروم وصقلية وقبرس والعراق وغيرها وخربت سور مدينة صور وفي سنة ٦٠٢ كثر فساد ابن ليون الارمني صاحب الدروب في ولاية حلب فنهب وخرب واسر وسبى فسار اليه الظاهر بجموع كثيرة وحصل بينهم عدة وقعات كانت عاقبتها وخيمة على عسكر المسلمين ثم جد الظاهر في قتاله فهرب منه وتحصن بمساكنه من الجبال

❋ مجيء الملك الاشرف الى حلب ❋

وفي سنة ٦٠٥ وصل الى حلب الملك الاشرف موسى اخو الظاهر وكان راجعاً من دمشق الى بلاده فتلقاه الملك الظاهر بالترحاب وانزله بالقلعة و بالغ في اكرامه وقام بجميع لوازمه ولوازم عسكره اتم قيام و كان يحمل اليه في كل يوم خلعة كاملة وهي غلالة وقبا وسراويل وكمة وفروة وسيف وحصان ومنطقة ومنديل وسكين ودلكش وخمس خلع لاصحابه واقام على ذلك خمسة وعشرين يوماً وقدم له تقدمة وهي مائة الف درهم ومائة بقجة مع مائة مملوك منها عشر بقج في كل واحدة منها ثلاثة اثواب اطلس وثوبان خطاي وعلى كل بقجة جلد قندس كبير

ومنها عشر في كل واحدة خمسة اثواب عنابي بغدادي وموصلي وعليها عشرة جلود قندس صغار ومنها عشرون في كل واحدة خمس قطع مرسوسي ودبيقي ومنها اربعون في كل واحدة خمسة اقبية وخمس كمام وحمل اليه خمسة حصن عربية بعدتها وعشرين اكديشاً واربعة قطر بغال وخمس بغلات فائقات بالسروج واللجم وقطارين من الجمالين وخلع على اصحابه مائة وخمسين خلعة وقاد الى اكثرهم بغلات واكاديش ثم سار الملك الاشرف الى بلاده الشرقية وفيها امر الظاهر باجراء القناة على ما تقدم بيانه في الكلام على القناة وفي سنة ٦٠٦ نقض الظاهر الصلح مع الملك العادل وفي سنة ٦٠٨ ارسل الظاهر القاضي بهاء الدين ابن شداد الى الملك العادل يستعطفه ويخطب بنته ضيفه خاتون فتزوجها الملك الظاهر وزالت الاحن بين الملكين وفي سنه ٦٠٩ في المحرم عقد الظاهر على ضيفه خاتون وكان المهر خمسين الف دينار وتوجهت من دمشق الى حلب واحتفل الظاهر لملتقاها وقدم لها اشياء كثيرة نفيسة وفي سنة ٦١٠ ولد للظاهر من ضيفه خاتون ولده الملك العزيز غياث الدين محمد وفي سنة ٦١٣ توفي الملك الظاهر ولما اشتد به مرضه عهد بالملك بعده الى ولده الصغير الذي ولد له من ضيفه خاتون بنت الملك العادل وكان عمر الولد اذ ذاك ثلاثة اعوام فجعل اتابكه ومربيه خادماً رومياً اسمه طغريل الطواشي ولقبه شهاب الدين وهو من خيار عباد الله احسن السيرة بعد وفاة الظاهر وعدل في الاحكام وازال المكوس والضرائب التي كانت مرتبة في ايام الظاهر وفي سنة ٦١٥ قصد عزالدين

كيكاوس ابن كيخسرو صاحب بلاد الروم ولاية حلب وسبب ذلك
انه كان بحلب رجلان يسعيان بالناس الى الملك الظاهر فلما مات الظاهر
ابعدهما طغريل وكسد سوقهما وخشيا على نفسيهما من الناس فقصدا
كيكاوس المذكور وزينا له قصد حلب فعزم على ذلك واشار عليه بعض
اصحابه ان يصحب معه احداً من بيت ايوب لان اهل البلاد تحبهم
فيسهل عليه مقصده فصحب معه الملك الافضل وسارا معاً متفقين على
ان ما يفتحانه من بلاد حلب يكون للملك الافضل وما يفتحانه من
بلاد الجزيرة يكون لكيكاوس ولما وصلا الى قلعة تل باشر وفتحاها
اخذها كيكاوس لنفسه خلاف ما اتفقا عليه فاشمأز الملك الافضل
وقال هذا اول الغدر ثم فترت همته وتوانى عن المسير معه اما شهاب الدين
طغريل فانه لما بلغه تحرك كيكاوس المذكور كتب الى الملك الاشرف بن
صلاح الدين وكان صاحب الجزيرة يستدعيه ليدين له بالطاعة ويخطب
باسمه ويجعل السكة باسمه ويأخذ ما اختاره من اعمال حلب فاجابه الى ذلك
وسار بعسكره لقتال كيكاوس فلقى عسكر كيكاوس عند منبج واشتد
القتال بينهم وانهزم عسكر كيكاوس وشتت شملهم وسار الملك الاشرف
الى قلعة تل باشر واستردها وارسلت عساكر كيكاوس الى حلب اسرى
ودقت البشائر وفي سنة ٦١٦ كان الملك الاشرف بظاهر حلب يدبر
امرها ويرتب جنودها واقطاعاتها وفي سنة ٦١٩ فوض طغريل مدير
المملكة الحلبيه امر الشغر وبكاس الى الملك الصالح احمد بن الملك الظاهر
ابن صلاح الدين فسار الملك الصالح اليهما وملكهما واضاف اليه الروج

والمعرة ومصرين وفي هذه السنة استفاض بحلب نبأ عظيم جدير ان يعد من الاقاصيص الخرافية حكاه ياقوت في كتابه معجم البلدان في الكلام على كاز خلاصته : ان اهل تلك الناحية شاهدوا هناك تنيناً عظيماً كالمنارة اسود اللون ينساب على الارض والنار تخرج من فيه ودبره فاحرق عدة مزارع ونحو اربعمائة شجرة لوز وزيتون وبيوت وحركاهات للتركمان ومر كذلك نحو عشرة فراسخ ثم ظهرت سحابة رفعته حتى غاب عن العيون وقد لف بذنبه كلباً ينبح

قلت لعل هذا التنين هشيم ممتد على مسافة طويلة اشتعل ورآه الناس على بعد فحسبوه تنيناً فان اشتعال الكلاء اليابس كثير الوقوع فقد حدث في سنة ١٢٩٨ وانا في مدينة ويران شهر اشتعال هشيم في صحراء الخابور استمر عدة ايام

وفي سنة ٦٢٠ وصل الملك الاشرف من مصر ومعه خلعة وسنجق سلطاني من اخيه الملك الكامل لابن اخيه الملك العزيز بن الملك الظاهر صاحب حلب وعمره يومئذ عشر سنين فخلع على الملك العزيز واركبه في الدست وفيها اتفق كبراء الدولة الحلبية مع الملك الاشرف على تخريب قلعة اللاذقية فارسلوا عسكراً هدمها وفي سنة ٦٢٤ انتزع طغريل الشغر وبكاس من الملك الصالح وعوضه عنهما عينتاب والراوندان وفيها ظفر جمع من التركمان باطراف اعمال حلب بفارس مشهور من الفرنج الداوية بانطاكية فقتلوه فعلم الداوية بذلك فساروا وكبسوا التركمان وقتلوا منهم واسروا وغنموا من اموالهم فبلغ ذلك طغريل فراسل الفرنج وتهددهم

بقصد بلادهم واتفق ان عسكر حلب قتلوا فارسين كبيرين من الداوية ايضاً فاذعنوا بالصلح وردوا الى التركمان كثيراً من اموالهم وحريمهم واسراهم وفي سنة ٦٢٦ اشخص الملك العزيز صاحب حلب الى الملك الكامل وكان بدمشق يخطب بنته فاطمه خاتون التي هي من الست السودا ام ولده ابى بكر العادل بن الكامل وفي سنة ٦٢٧ ولد الملك الناصر يوسف بن الملك العزيز صاحب حلب وفي سنة ٦٢٨ قلت الامطار بديار الجزيرة والشام ولا سيما حلب واعمالها فانها كانت قليلة جداً وغلت الاسعار بالبلاد وكان اشدها غلاء حلب فاخرج طغريل كثيراً وتصدق بصدقات دارة وساس البلاد سياسة حسنه بحيث لم يظهر للغلاء اثر وفيها قصد الفرنج الذينهم بالشام مدينة جبلة من المدن المضافة الى حلب ودخلوها واخذوا منها غنيمة واسرى فسير اليهم طغريل عسكراً استردها منهم وفك الاسرى وفي سنة ٦٢٩ استقل الملك العزيز بن الملك الظاهر بملك حلب وفيها وصلت زوجة الملك العزيز بنت الملك الكامل وكان يوم دخولها الى حلب يوماً مشهوداً وفي سنة ٦٣٠ اخذ الملك العزيز شيزر تسلمها من شهاب الدين يوسف بن سابق الدين وقد هناه بها يحيى بن خالد القيسراني بقوله :

يا ملكاً عم اهل الارض نائله   وخص إحسانه الداني مع القاصي
لما رأت شيزر ايات نصرك في   ارجائها القت العاصي الى العاصي

وفي سنة ٦٣١ توفي شهاب الدين طغريل الطواشي اتابك حلب وفي سنة ٦٣٢ توفي الملك الظاهر داود صاحب البيرة ابن السلطان صلاح

الدين وملك البيرة ابن اخيه الملك العزيز صاحب حلب وفي سنة ٦٣٤ خرج الملك العزيز الى حارم للصيد ورمى البندق واغتسل بماء بارد فحم ودخل حلب وتوفي في ربيع الاول من هذه السنة وكان عمره ثلاثاً وعشرين سنة وشهوراً وكان حسن السيرة في الرعية وتقرر في الملك بعده ولده الملك الناصر يوسف وعمره نحو سبع سنين وقام بتدبيره وبتدبير الدولة شمس الدين لؤلوء الارمني وعز الدين عمر بن مجلي وجمال الدولة اقبال الخاتوني والمرجع في الامور الى والدة الملك العزيز ضيفة خاتون بنت الملك العادل وفيها توجه عسكر حلب مع الملك المعظم توران شاه عم الملك العزيز فحاصروا بغراس وكان قد عمرها الفرنج الداوية بعدما فتحها صلاح الدين وخربها وقد اشرف العسكر على اخذها ثم رحلوا عنها بسبب الهدنة مع صاحب انطاكية ثم ان الفرنج اغاروا على ربض دربساك وهي حينئذٍ لصاحب حلب فوقع بهم الحلبيون وولى الفرنج منهزمين وكثر فيهم القتل والاسر وعاد عسكر حلب بالاسرى ورؤس الفرنج وكانت هذه الوقعة من اجل الوقائع وفي سنة ٦٣٥ توفي الملك الكامل صاحب مصر ولما سمع الحلبيون بوفاته اتفقوا على اخذ المعرة وحماه من الملك المظفر صاحب حماه وهو جد ابي الفدا المشهور صاحب التاريخ والجغرافية وسبب ذلك ان الملك المظفر كان وافق الملك الكامل على قصد حلب فمشى عسكر حلب الى المعرة وانتزعوها من يد الملك المظفر وحاصروا قلعتها ثم ساروا الى حماه وحاصروها وبها الملك المظفر ونهب العسكر الحلبي بلاد حماه واستمر الحصار على حماه حتى

خرجت هذه السنة وفيهـــا عقد لسلطان الروم غياث الدين كيخسرو بن كيقبـــاذ بن كيخسرو على غازية خاتون بنت الملك العزيز صاحب حلب سابقاً وهي صغيرة حينئذ ثم عقد للملك الناصر يوسف بن الملك العزيز على اخت كيخسرو وهي ملكه خاتون بنت كيقباذ وخطب لغياث الدين بحلب وفي سنة ٦٣٦ كتبت ضيفة خاتون صاحبـــة حلب بنت الملك العادل الى عسكر حلب ان يرحلوا عن محاصرة حماه فرحلوا عنها وكان قد طال حصارهم لها ولحقهم الضجر واستمرت المعرة في ايدي الحلبيين وفي سنة ٦٣٨ نزل الملك الحافظ ارسلان شاه بن الملك العادل عن قلعة جعبر وبالس وسلمها الى اخته ضيفة خاتون صاحبة حلب وعوضته عنهما عزاز وبلاداً معها تساوي مـــا نزل عنه وسبب ذلك ان الملك الحافظ اصابـــه فالج فخشي على نفسه من تغلب اولاده فاقترب من حلب كيلا يمكنهم التعرض اليه

اجمال في الاتراك

نتكلم بهذا الاجمال على الاتراك لان حلب دخلت تحت حكم الكثير من دولهم كما علمت مما اسلفناه ومما نثبته بعد فوجب ان نعرف شيئاً من احوالهم فنقول :

﴿ اجناس الترك ومساكنهم ﴾

اتفقت كلمة اهل التاريخ على ان اجناس الترك اكثر اجناس العالم وان مساكنهم بلاد الشرق . منهم امة تقطن فيما بين البحر المنجمد الى اصفهان يقال لأولهم (ياقوت) ولآخرهم (تركمان)

ومنهم امم تقطن فيما بين سواحل (هوانغ هو) الى اواسط روسيا في آسيا يقال لأولهم (يغور) ولآخرهم (تاتار) ثم الاتراك العثمانيون

وامم تقطن اواسط اسيا وشرقي اوروبا وكثير منهم من يعيش في ليتوانيا

ويمكن ان نقسم هذه الامم الى ثلاثة اقسام

القسم الاول شعوب شرقية اي سكان شرقي اسيا

القسم الثاني وسطية

القسم الثالث غربية

فالشعوب الشرقية يقال لهم (ياقوت) و (التاي)(١)

ويقال لهم (يغور) و (بولو) و (تارانج) و (سبيريا)

والشعوب الوسطية يقال لهم قيزغير وهم القازاق : وكلمة خيرسز مأخوذة من هذه الكلمة و (ازبك) وهم من نسل او يغور المعروفين

---

(١) كلمة التاي اصلها (آلا تايغ) وهي اسم لجبال آلاطاغ . ومعنى آلا باللغة التركية الساطع ومعنى طاغ الجبل فيكون معنى هذه الكلمة الجبل الساطع وسبب تسميته بهذا الاسم اشراقه ولمعانه لوجود الثلج عليه في اكثر الاوقات كما قاله صاحب كتاب تلفيق الاخبار اه

الان في اوربا باسم (اوار) وهم يسكنون بلاداً قريبة من ختن وكاشغر وتورقان وخاميل جنوبي جبال هملايا وهم يميلون الى العثمانيين وان كانوا منفكين عنهم . وكلمة اويغور اسم للصحراء المعروفة باسيا العليا وتركستان هي المحاطة شرقاً بالخطاي وهي الصين الشمالي وغرباً بخوارزم وبحيرة آرال وشمالاً بسبيريا وجنوباً بالتبت وبخارى الكبرى ولغة اويغور من لغة الاتراك الاصلية وتسمى چغتاي نسبة الى چغتاي ابن جنكزخان

ومن الشعوب الوسطية ايضاً تاتارنهر (وولغا) و (باشقير) او (باشقرد) تحريف (بوزقير) وهي البرية البيضاء : ومن تلك الشعوب ايضاً (قاراچاي) و (چوواش) و (چرمش) وهي شعوب تحكمها الروس نصارى ومسلمون ووثنيون والشعوب الغربية يقال لهم تركمان و (ازربايجان) و (يوروك)

❋ تركستان وتاتارستان ❋

في كتاب تلفيق الاخبار ان القبائل المعروفة باسم تركستان وتاتارستان يحدها شرقاً مملكة الصين وجنوباً ممالك الهند والفرس والروم والبحر الاسود وشمالاً منتهى المعمور وغرباً نهر الطونه ودنيستر وو يستوله على ان من كان من هذه القبائل في اقليم ما وراء النهر وفرغانه وكاشغر وتبت وفي حدود الفرس والروم واوربا لم يزل يوجد فيهم طوائف رحالة نزالة خصوصاً من كان منهم باقياً في اقليمهم الاصلي المعروف

باسم دشت قبجق وهو المشهور بصحراء قزاق وقزغيز فهم حتى الان في حالة البادية يسكنون خركاهات اي خياماً على هيئة قباب بيض مخروطة الشكل قطر المتوسط منها ثمانية اذرع وارتفاعها ما بين سبعة او ستة اذرع مصنوعة من قضبان صلبة مشبكة ببعضها على طرز جميل مغشاة بلبد بيضاء متينة ملونة في كل قبة منها سرير مفروش بديع مزين بعظام الجمل على شكل جميل · وهي تقوض في كل خمسة عشر يوماً الى ثلاثين يوماً وتضرب في مروج يجاورها غدران فما هي الا رياض مزدانة بانواع الزهور صحيحة الهواء لا يحس فيها بقمل ولا ببرغوث ولا نمل ولا بعوض ولا ذباب كأنها نموذج من جنة الخلد تسمع في اشجارها تغريد الاطيار التي تسبح في غدرانها فالنوم فيها لذيذ واليقظة الذ واجمل وسكان هذا الاقليم يعانون تربية المواشي كالغنم والبقر والجمال والخيل واعز ماشية عندهم الخيل لانهم يتغذون من لحمانها والبانها · وهم على جانبٍ عظيم من السخاء وقرى الضيوف والعطف على الفقراء · هذا مع تسلط الدولة الروسية عليهم واستئثارها بكثير من خيرات اراضيهم الخصبة دونهم وسلبها منهم حقوقهم المدنية وحريتهم القومية والوطنية والشخصية وتداخلها في معتقداتهم وعاداتهم واخلاقهم بحيث ماتت هممهم وذهب نشاطهم وتساوت عندهم الحياة والممات

﴿ كلمة تورك ﴾

قال بعض الباحثين في طبقات الامم ان كلمة تورك مأخوذة من كلمة

توكو وهي اسم امم كانت في العصر السادس من الميـلاد تسكن قرب (آلتاي) وحوالي او يغور وان هذه الامة من نسل (هونغ نو) المذكورين في تواريخ الصين الذين كانوا قبل عصرين من الميلاد يشنون الغارات على ممالك الصين مدة اربعة قرون حتى اضطرت ملوك الصين الى بنـاء السد الكبير وان امة التوكو هذه اقامت في هذه المدة دولة عظيمة انقسمت بعد ذلك الى قسمين احدهما التوكو ومنهـا تناسل جميع امم الترك والقسم الآخر الأو يغور ومنها تناسلت امم المجر والفينوا وهم اهل فينلانديا

✻ لغة الاتراك ✻

لغة الاتراك ولغة المغول والفينوا كل منهما متفرع من لغة التاتار الذين يقال لهم (اولو التاى) اي الخطاي او يقال لهم (توران) او (او يغور) وهي قريبة من لغة التركمان : وكانت هي لغة السلاجقة والعثمانيين وقد صارت الان هي اللغة التركية . على ان الشبه بـين لغة العرق التركي وبين لغة العرق المغولي بعيد غير ان تشابه الاوصاف البدنية بينهما يدل على قربهما من بعضهما

✻ توران او طوران ✻

الاتراك العثمانيون يقولون انهم من اصل توراني نسبة الى توران وهو كما قال صاحب تلفيق اخبار نقـلاً عن العمري اسم مملكة الخواقين كانت بيد افراسياب التركي ملك الترك وهي من نهر بلخ الى مطلع الشمس

على سمت الوسط فما اخذ عنه جنوباً كان بلاد الهند وما اخذ عنه شمالاً كان بلاد القفجق والجراكسة والروس والماجار ومن جاورهم من طوائف الامم المختلفة سكان الشمال و يدخل في توران ممالك كثيرة وامم مختلفة منها غزنه والباميان والغور وما وراء النهر وهو جيحون نحو بخارى وسمرقند والخجند والخوقند وغير ذلك · و بلاد تركستان واستروشنه وفرغانه و بلاد صاغون وسرام و بلاد الخطا وآلمايغ الى قراقوم وهي قرية جنكزخان وفيها كان مولده ومنشاؤه ثم ما وراء ذلك من بلاد الصين وصين الصين كل هذه الممالك العظيمة سلاطينها وملوكها مسلمون (اي في عصر العمري) المنقولة عنه هذه المقالة

﴿ اصل الاتراك ودياناتهم ﴾

الاتراك من نسل يافث و كانوا بادية رحلاً نزلاً يعيشون عيشة البدو و يأكلون الكلاب والفأر وما يجدونه من الصيد و يدينون بالوثنية المعروفة باسم (پت برست) : ومنهم من يعبد النار و بعضهم يعبد الهاً في الشمس و يسمون رهبانهم شامان ومن هؤلاء بقية تقطن في شمال سبيريا والجزائر الملحقة بالمحيط الهادي · ورهبانهم يشدون في اوساطهم اذناب الخيل و يعلقون عليها الطبول احياناً ليطردوا بها الشيطان على زعمهم و يدعون علم السحر و يعتقدون الجن والملائكة و يسمون اكبرهم الشيطان

﴿ متى بدأ الدين الاسلامي ينتشر في الاتراك ﴾

لم اظفر بقول صريح يبين التاريخ الذي بدأ فيه بزوغ شمس الاسلام على عالم الامم التركية : وانا لا استبعد ان يكون بدأ نجم الاسلام يسطع في سماء الممالك التركية منذ سنة ٢٢ هـ في خلافة امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك حينما فتحت قزوين وزنجان عن يد البراء بن عازب واذربيجان عن يد سماك بن خرشه الانصاري والباب عن يد عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي ثم حينما غزا عبد الرحمن هذا بلنجر وهي المدينة البيضاء وراء الباب في بلاد الخزر وقيل هي بلدة حاجي طرخان وهو الصحيح غزاها عبد الرحمن بامر الخليفة عمر ولم يجسر احد من اهلها على لقائه فهربوا منه واعتصموا في الجبال وقالوا ما اجترأ علينا الا ومعه الملائكة تمنعهم من الموت . ثم تتابعت غزوات المسلمين على الخزر والترك فتذامروا سنة ٣٢ في خلافة عثمان رضي الله عنه وقالوا كنا لا يقرن بنا احد حتى جاءت هذه الامة القليلة فصرنا لا نقوم لها فقال بعضهم ان هؤلاء لا يموتون وما اصيب منهم احد فلهذا ظنوا انهم لا يموتون فقال بعضهم افلا تجربون فكمنوا لهم في الغياض فمر بالكمين نفر من الجند فرموهم منها فقتلوهم : قال ابن الاثير في كتابه الكامل ثم غزا عبد الرحمن نحو بلنجر وكان الترك قد اجتمعت مع الخزر فقاتلوا المسلمين قتالاً شديداً وقتل عبد الرحمن فاخذ اهل بلنجر جسده وحملوه في تابوت فهم يستسقون به . وفي معجم البلدان ان الذي قتل في هذه الوقعة سليمان بن ربيعة الباهلي لا عبد الرحمن فليحرر

والقصة مذكورة في المعجم في الكلام على باب الابواب

وسطع نجم الاسلام في الاتراك ايضاً حينما فتحت الجبـال المحيطة بارمينية وقد قيل في اهلها انهم استحلوا الاسلام وعدله اذ من المستبعد عقلا ان يحترم اهل بلنجر جسد عبد الرحمن او سليمان على الرواية الاخرى و يعتقدوا فيه البركة والكرامة و يضعوه في تابوت و يستسقوا به وان يكون اهل الجبال المحيطة بارمينية قد استحلوا الاسلام وعـدله وان لا يكون الاسلام خامر قلوب بعض اناس منهم طابت سرائرهم وصفت قرائحهم وتنورت بصائرهم فميزوا الرشد من الغي واتضح لهم ما هم عليه من العمى وما عليه دين الاسلام من الهدى فاستهجنوا نحلتهم واستحسنوا ذلك الدين فقبلوه ودانوا به وانا لا ادعي بانهم في ذلك التاريخ ارتضوا هذا الدين ودخلوا فيه افواجاً وانما اقول انه لا بد وان يكون دخل فيه افراد منهم فاخفوا اسلامهم حين لا يمكن اعلانه · على ان عدم تصريح المؤرخين ببدء انتشار الاسلام في الامم التركية لا يستلزم عدم انتشاره فيهم في ذلك التاريخ والا للزم ان لا يكون الاسلام انتشر اذ ذاك في الفرس ايضاً لان المؤرخين لم يصرحوا ببدءه فيهم ولا في غيرهم كأنهم استغنوا عن ذلك لان شيوع هـذا الدين قديماً في الامم التي حار بهـا المسلمون كان معلوماً بالضرورة اذ كانت الدعوة الى التدين بالاسلام او بذل الجزية تتقدم كل مناجزة فكانت الامة التي يحار بها المسلمون لا تخلو عمن يرضى منها بالاسلام او بالجزية فيقبل منـه و يناجز الباقون من الامة الذين لا يرضون باحد الامرين

ومما يستبعده العقل ايضاً ان تكون الامم التركية خالية عمن اتبع هدى الاسلام واتخذه ديناً في جميع الحروب التي ادار رحاها عليهم قتيبة بن مسلم وابنه مسلم ويزيد بن المهلب ومسلم ابن سعيد الكلابي ونصر بن سيار وغيرهم من قادة المسلمين مع انه لم يصرح احد من المؤرخين باسلام احد من الاتراك في اثناء جميع تلك الحروب

هذا وان كثيرين من الاتراك كانوا ينشأون على دين الاسلام وهم مماليك الخلفاء والوزراء واهل الوجاهة من المسلمين وقد التفت اليهم الخلفاء العباسيون واعتنوا بشأنهم واحلوهم لديهم المنزلة العليا لما كانوا يرونه من شجاعتهم وصدقهم حتى ان الخليفة المعتصم ومن بعده من الخلفاء صار لا يثق ولا يعتمد الا على الجندي التركي وقد بنى الخلفاء للاتراك بلدة خصوصية وصاروا يزوجون رجالهم بنسائهم ويدرون عليهم الانعامات فنموا وكثروا ونالوا من الدولة العباسية الرتب العالية ونشأ منهم رجال اولو كفاءة واقتدار فتولوا باستعدادهم الولايات والاقطاعات وشاع ذكرهم في الاقطار وغبطهم اخوانهم الاتراك في اصقاعهم وشاهدوا حسن احوالهم وتحققوا بان تدينهم بدين الاسلام هو الذي رفعهم الى تلك المراتب العالية وبدل ما كانوا عليه من الهمجية بالمدنية الحقة والرقي الى معارج الكمالات الانسانية فاعتقدوا صحة الاسلام واقبلوا عليه يدخلون فيه افواجاً وفي سنة ٣٤٩ اسلم منهم دفعة واحدة نحو مائتي الف خركاه على ما ذكره ابن الاثير في كتابه الكامل في حوادث السنة المذكورة وهو عدد عظيم لا شك ولا ريب انه لم يدخل في الاسلام الا اقتفاء

لاثار غيره من قومه · وذكر في تاريخ الدولة العثمانية الذي ترجمه من النمسوية محمد عطاء الله افندي احد افاضل الاتراك العثمانيين ان سالور من اعقاب طاغ خان دان بدين الاسلام مع الفي بيت من قومه بعد سنة ٣٥٠ﻫ وان سالور تسمى من ذلك التاريخ بجناق خان او قره خان وسمى من تبعه على الاسلام (تركمان) : وقد يواخذ محمد عطاالله افندي بعدم ذكره مائتي الف بيت التي ذكر اسلامها ابن الاثير واقتصاره على ذكر اسلام الفي بيت الا ان يكون غلط في بيان العدد وظنه الفي بيت · وهذا الاحتمال يصح فيما لو كان تاريخه الذي بينه موافقاً للتاريخ الذي بينه ابن الاثير وليس الامر كذلك كما علمت كما ان ابن الاثير قد قصر بالافصاح عن اسم زعيم تلك الطوائف العظيمة التي اسلمت في التاريخ المذكور وعن بيان اسمها وسبب اسلامها · وذكر ابن الاثير في كتابه المذكور في حوادث سنة ٣٥١ ان طائفة من الاتراك نزلت في هذه السنة على بلاد الخزر فانتصر الخزر باهل خوارزم فلم ينصروهم وقالوا لهم انتم كفار فان اسلمتم نصرناكم فاسلموا الا ملكهم فنصرهم الخوارزميون وازالوا الاتراك عنهم ثم اسلم ملكهم بعد ذلك

قال محمد عطاءالله افندي ما معناه ان كلمة تركمان مركبة من ترك ايمان او من ترك مان اي انسان ترك لان مان معناه الانسان ونظيره قره مان وششمان ان انسان اسود وانسان سمين

ثم ان هؤلاء التركمان نزح بعضهم الى غربي ارمنستان والبعض الآخر الى السواحل الشرقية من بحر خزر وانقسموا الى تركمان غربيين

والى تركمان شرقيين والمواضع التي اقاموا فيها تسمى اليوم بلاد التركمان .
وقد خلف چناق خان ابنه موسى خان فنشأ على الاسلام واجتهد في
رقي قومه وجمع اليه العلماء وانشأ الجوامع والتكايا والمكاتب اهـ كلام
محمد عطاء الله افندي قلت ثم خلف موسى خان ابن عمه شهاب الدولة
هارون بغرا خان ابن سليمان ايلك خان وكان خيراً ديناً يحب ان يكتب عنه
مولى رسول الله وهو الذي استولى على بخارى من يد السلالة السامانية .
وفي سنة ٤٣٥ حارب ايلك خان الاتراك الباقين على الوثنية فاسلموا
وضحوا يوم عيد النحر بعشرين الف راس غنم وكانوا عشرة الاف
خركاه وكانوا قبل الاسلام يطوفون البلاد بنواحي بلاساغون وكاشغر
ويفسدون في الارض ولا يأوون المدن لخوفهم فلما اسلموا امنوا على
انفسهم فتفرقوا في البلاد ودخلوا مدنها قال ابن الشحنه ما ملخصه وفي
سنة ٦٩٥ قدمت القورانة الى بلاد المسلمين هاربين من قازان بن ارغون
بن بغا بن هلاكو وكانوا نحو عشرة الاف انسان فانزلهم السلطان كتبغا
بالساحل واحسن اليهم لانهم جاؤا مسلمين واعطاهم الاقطاعات
وسيأتي لنا ان سلجوق اسلم هو وقومه وان اكثر اولاد جنكزخان واحفاده
اسلموا متتابعين واسلم معهم اكثر شعوبهم . وسنذكر ذلك مفصلاً في
الفصل الآتي الذي عقدناه في الكلام على جنكزخان : والخلاصة ان
الاتراك قد نشطوا الى الاسلام منذ اوائل القرن الثاني الى اواخر القرن
السابع من الهجرة فدخلوا فيه افواجاً ولم يبق منهم من لم يسلم سوى التاتار
والخطاي في نواحي الصين وسوى امة ياقوت وچوواش المتقدم ذكرهما

﴿ السلاجقة والعثمانيون من اصل واحد ﴾

السلاجقة والعثمانيون ينتسبون الى اب واحد وهو (اوغوزخان ابن قره خان) وهو اول من وضع للاتراك قوانين واعتنى بمدنيتهم ومن جملة آثاره الهلال الذي هو شعار الدولة العثمانية وكان العلم الذي يركز فيه الهلال يقال له ماهچه توغ اي العلم الهلالي والعرب يسمونه طوق وكان مرفوعاً على اعالي دار الملك في مدينة سراي هلال من ذهب زنته قنطاران بالمصري . وكان اوغوز خان معاصرا لخليل الرحمن ابراهيم عليه السلام وكان يدين بالوثنية ثم دان بدين ابراهيم وخرج على ابيه وحاربه مدة اربعين سنة ثم ترك مقر ابيه (قره قوم) وقيل (اور) وسار الى الجنوب واستقر في مدينة (ياسي) اشهر مدن تركستان في ذلك الزمان وهي البلدة التي ينسب اليها المرشد الشيخ احمد الياسوي النقشبندي . ثم ان اوغز خان عظم شأنه وامتدت فتوحاته من سيروم الى بخارى فقسم مملكته بين اولاده الستة وهم كون خان وكوك خان واي خان ويلديز خان وطاغ خان ودكز خان . وخرج اولاده مرة للصيد على نية ان يصطادوا شيئاً يتفاءلون به على مستقبلهم فظفروا بقوس وثلاثة اسهم فقدموها الى ابيهم فاعطى الاسهم كوك خان ودكز خان واعطى القوس اولاده الآخرين فاخذوه وكسروه ليقتسموه فيما بينهم فسمى الاولين (اوجوق) اي الاسهم الثلاثة وسمى الاخرين (بوز يجيلر) اي المخربين واعطى ميسرة جيشه الاولين وميمنته الآخرين

وبعد وفاته اقتسم اولاده مملكته فيما بينهم فاخذ اصحاب الميسرة عشائر الاتراك الشرقيين واصحاب الميمنة عشائر الاتراك الغربيين · ويقال ان كل واحد من اولاده المذكورين ولد له اربعة اولاد وصار كل واحد منهم ابا عشيرة فانقسم الاوغوزيون الى اربع وعشرين عشيرة · ثم ان امراء الميمنة المقيمين قبلاً في تركستان استولوا على ما بين سيحون وجيحون في الغرب وتقدموا الى داخل المضايق حتى بلغوا نهر الطونه وذكر مؤرخوا الاتراك ان الملوك من الاغوزيين والسلاجقة والعثمانيين منسوبون الى خانات الميمنة الاغوزيون من اعقاب طاغ خان والسلاجقة من اعقاب دكزخان والعثمانيون من اولاد كوك خان · وكان الاغوزيون قبل الاسلام يحاربون الاكاسرة وبعده صاروا يحاربون خلفاء المسلمين الى ان دانوا بدين الاسلام

❊ السلاجقة ❊

الدولة السلجوقية تنسب الى سلجوق بن تقاق اي القوس الجديد وكان تقاق شهماً عاقلاً وكان مقدم الاتراك الاوغوز عند ملك الترك بيغو وقد اراد الملك ان يسير الى بلاد الاسلام ليوقع بها فنهاه تقاق ووبخه وشج رأسه ثم اصطلح معه وولد له سلجوق ولما كبر قدمه ملك الترك لنجابته ثم سعت به امرأة الملك الى زوجها فخافه سلجوق وسار بجماعته ومن اطاعه من الجند من ديار الحرب الى دار الاسلام فاسلموا جميعاً واستمروا على غزو كفار الترك وتوفي سلجوق عن ١٠٧ سنين من عمره

وترك من الاولاد ارسلان وميكائيل وموسى ومن هؤلاء الاولاد واعقابهم نشأت الدولة السلجوقية التي عم حكمها المملكة العباسية سوى قليل منها وامتد حكمها في العالم الاسلامي من حدود الصين الى آخر حدود الشام مدة ٢٧٠ سنة وذلك من سنة ٤١٩ الى سنة ٦٩٩ وقد تفرع منها فروع بعضها من اصل آل سلجوق وهي الفروع التي حكمت في كرمان وحلب ودمشق وبقية بلاد الشام والعراق وكردستان واسيا الصغرى المعروفة بالاناضول وهي اطول الفروع عمراً · وبعضها متفرع عنها من مماليكها ووزرائها وهي عشرون فرعاً اشهرها الفرع الزنكي الذي منه نورالدين محمود زنكي والارتقية حكام ماردين وديار بكر والخوارزمية حكام خوارزم · وقد امتد حكم هذا الفرع من سنة ٤٩٨ الى ٧٠٣ ثم دخلت في حوزة العثمانيين وغيرهم

— جنكزخان —

قال في كتاب تلفيق الاخبار وغيره ما خلاصته لما مات كون خان ابن اغوزخان خلفه اخوه آي خان ثم خلف هذا يلدزخان احد احفاد اوغوز خان ثم ولده نيكزخان ثم ولده منكلي خان ولما اسن هذا فوض امر السلطنة الى ولده ايل خان جميع هذه الملوك تعد من ملوك المغل · وان ايل خان هذا هو الذي تحارب مع ملوك التاتار وانجلى الحرب بينهم عن قتله وتشتت شمل امة المغل واسر التاتار ولده قيان وولداً آخر لأخي ايل خان اسمه نكوز فهربا من الاسر مع زوجتيهما ولجأا الى الجبال ودخلا

اليها من شعب ضيق لا يمكن ان يسلكه سوى انسان واحد وداخل هذا الشعب فضاء واسع فيه مياه غزيرة ومروج واسعة واشجار ملتفة فاقاما هناك وتناسلا و كثرت اعقابهما حتى ضاق بهم ذلك الفضاء وقد مضى عليهم مدة اربعمائة سنة وكانوا يتناقلون عن اسلافهم ان وراء هذا الشعب ممالك واسعة كانت وطنهم فعمدوا الي مكان من الجبل فيه معدن الحديد والنحاس فجمعوا فيه الاحطاب واضرموا فيها النار حتى ذاب ما فيها من الحديد والنحاس وانفتح الممر (وهذا هو السد على رأي بعضهم) فخرجوا من هذا الممر كالجراد المنتشر الى فضاء واسع وملكهم يومئذ (برته چينه) من اعظم ملوك الاتراك المغل قوة و بأساً فتحارب مع التاتار هو واعقابه من بعده ادهارا طويلة الى ان كانت الغلبة للمغل على التاتار ولما آلت سلطنة المغل الى يولدزخان ابن منكلي خان ابن تميرتاش خان من نسل قيان الماسور الهارب ابن ايل خان — كان له ولدان فماتا وخلف احدهما ولداً اسمه (ديون بيان) وترك الآخر بنتاً اسمها (آلان قوا) فتزوج ديون بيان ابنة عمه آلان قوا وتسلطن على المغل بعد جده ثم مات ديون بيان فخطب زوجته كثيرون من كبراء قومها فلم تجبهم فزعم مؤرخو المغل بان آلان قوا بينما كانت ذات ليلة نائمة مع طائفة من النساء اذ ظهر لها نور ساطع في خلاله شخص ابيض اللون مشرب بصفرة فلامسها وقيل بل رأت النور فقط قد دخل فمها او جيبها فحملت منه وولدت ثلاثة اولاد احدهم بوزنجرخان وهو الجد الاعلى لجنكزخان وجميع خواقين التاتار والمغل ويقال لذرية هؤلاء

الاولاد الثلاثة (نيرون) اي الاصيل والقازاق يسمون ذرية جنكزخان (آق سو ياك) اي العظم الابيض ومن نسل بوزنجــوخان بيسوكا خان والد جنكزخان وهو اكبر اولاده وكانت ولادة جنكزخان في غرة محرم سنة ٥٤٩ والطالع في الميزان والسبعــة السيارة كلهــا مجتمعة في البروج المذكورة ولما ولد كان كفه مملوءاً من الدم فقال العراف سيكون سفاكاً للدماء ويملك اكثر الربع المسكون وسمــاه والده تموجــين ولما بلغ من العمر ثلاث عشرة سنــة مات ابوه بيسكا فتسلطن تموجين بعده الا ان قبائل المغل استضعفته لصغر سنه فتفرقوا عنه وقامت الفتن فيما بينهم وتقلبت الايام على تموجين وجرعته مرارتهــا عدة مرات ثم ساعدته الاقدار وتغلب على من ناواه من الاعداء والاغيار وكسر اكبر اعدائه في ذلك الزمان وهو علي اونك خان اكبر خواقين تركستان ومن ذلك الوقت تلقب بلقب جنكزخان ومعناه ملك الملوك وذلك في سنة ٥٩٩ وكان بلغ من العمر ٤٩ سنة وقد غلب على ممالك الخطا والتون خان وكان خوارزم شاه ومحمد خان اوقع بهم واضعفهم وغلب جنكزخان على الصين واستولت هيبته على القلوب وانتشر صيته في العالم وكان امياً لا يقرأ ولا يكتب وليس له قانون ولا كتاب شرعي فامر وزراءه وخواصه ان يضعوا له خطاً وكتاباً قانونياً سماه اليسق من احــكامه صلب السارق وخنق الزاني والاكتفاء بشهادة الواحد عليه وان الحق لمن سبق بالشكوى الى الحكومة صادقاً كان ام كاذباً واستعباد الاحرار وتوارث الملاح وتوريث نكاح الزوجة لاقارب الزوج وعدم العدة والاقتصار

على زوجات معدودات والعمل بقول الجواري والصبيان واخذ الجار بالجار ومعاقبة البرئ بالمجرم ومنع عفو الحاكم وان عفا المحكوم له وغير ذلك

﴿ اسباب خروجه الى الممالك الاسلامية ﴾

واما اسباب خروجه الى الممالك الاسلامية فهي ان السلطان محمد خوارزم شاه خالف الخليفة الناصر لدين الله وحاربه واراد الخليفة ان ينتقم منه فارسل الى جنكز خان يحرضه على خوارزم شاه غير ان جنكز خان لم يجب الخليفة لطلبه لعهد سابق بينه وبين خوارزم شاه لم يرد نقضه وذلك انه لما ضخم ملكه واستولت على الارض هيبته اراد ان يمضي باقي عمره بالراحة والدعة وان يسالم من حوله من الملوك ويلتفت الى تعمير ملكه ورفاهية رعيته · وكان يحب المسلمين ويعظم شعائر الدين الاسلامي فارسل في حدود سنة ٦١٢ رسلاً الى خوارزمشاه وهم محمود بلواج الخوارزمي وعلي خواجه البخاري ويوسف الانزاري فعقدوا مع خوارزمشاه معاهدة واسسوا بين المملكتين مودة ومحبة ثم عادوا الى جنكزخان فسر بما فعلوا وبسبب ذلك لم يجب الخليفة على طلبه وبعد ثلاث سنوات على هذه المعاهدة قدم جماعة من بلاد جنكزخان الى انزار بلدة بثغر بلاد خوارزمشاه فيها والٍ من قبله اسمه اينالجق له قرابة من خوارزمشاه ثم غير اسمه وسماه غاير خان فلما وصل التجار الجنكيزيون الى هذه البلدة وهم زهاء اربعمائة رجل معهم الاموال الكثيرة خاطب

بعضهم غاير خان باسمه الاول لانه لم يعرف ان اسمه قد تبدل فغضب عليه غاير خان وعلى من معه وطمع فيما لديهم من الاموال فارسل الى خوارزمشاه يقول له ورد على ثغرنا من اطراف مملكة جنكزخان جواسيس بزي التجار فامره بقتلهم فقتلهم جميعاً و كانوا مسلمين ولم يسلم منهم سوى واحد عاد الى جنكزخان واخبره بالحال فارسل جنكزخان يطلب من خوارزمشاه غاير خان ليقتص منه فقتل خوارزمشاه الرسول ولما علم بذلك جنكز اشتد غضبه وعزم على قصد خوارزمشاه فخرج اولاً الى فضاء واسع وصعد على تل و كشف رأسه ووضع خده على التراب وتضرع الى الله تعالى وطلب منه النصر على خوارزمشاه فعل ذلك مدة ثلاثة ايام حتى سمع صوت هاتف يبشره بنيل مراده وهكذا كان دأبه كلما عزم على امر يهمه ولهذا يقول بعضهم ان جنكز كان مقراً بوجود الباري تعالى · ثم ان جنكزخان مشى على بلاد الاسلام واستولى على جند يسابور واندركان و بخارى وغيرها من بلاد فارس وتركستان وازال مملكة خوارزمشاه وشتت شمله فمات شر ميتة وقتل وسبى وعظمت بليته على الاسلام حتى قال بعضهم ما دهى الاسلام بداهية اعظم منها · وذكر بعضهم ان جملة من قتل جنكزخان وولده هولاكو من المسلمين سبعة عشر الف الف نسمة · ولما مات جنكز خان قام بعده حفيده هولاكو ابن تولي خان ابن جنكزخان واستولى على العراقين وقرض الخلافة العباسية ببغداد وملك الموصل وديار بكر والجزيرة والشام وغير ذلك من البلاد

وذكر بعضهم لقيام جنكزخان على بلاد الاسلام وتسلطه على خوارزمشاه و بلاده سبباً آخر روحانياً . وهو ان المولى بهاء الدين البلخي والد المولى جلال الدين الرومي صاحب كتاب المثنوى كان ابن اخت السلطان خوارزمشاه وكان مريدوه واتباعه في طريقته لا يحصون كثرة وكان فخر الدين الرازي صاحب التفسير الكبير ينكر على البهاء طريقته ومسلكه فقال الفخر يوماً لخوارزمشاه ان لك اسم السلطنة ولابن اختك معناها فاغتاظ خوارزمشاه من هذا الكلام وارسل يقول لابن اخته : ليتفضل علينا مولانا باستلام الملك منا والجلوس مكاننا ففهم البهاء المقصود من كلامه وقال للرسول قل لمن ارسلك نحن نذهب ولكن يجيء مكاننا قوم آخرون ولا يتركون خوارزمشاه ايضاً ثم خرج البهاء باهله وعياله وكثير من اتباعه الى بلاد الروم (بر الانضول) وتوطن في قونيه واكرمه سلطانها علاء الدين السلجوقي ثم كان ما كان من قيام جنكزخان على خوارزمشاه واستيلائه على بلاده بسبب انكسار قلب بهاء الدين وتأثره من خاله . . وهناك سبب آخر روحاني يذكرونه لمصيبة خوارزمشاه بحادثة جنكزخان وهو ان تركان خاتون ام السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه كانت تحضر مجلس وعظ الشيخ مجد الدين البغدادي وكان له اضداد يحسدونه على ذلك فاخبروا خوارزمشاه وهو سكران بان والدته تزوجت بالشيخ مجدالدين فقال في الحال ارموه في البحر فرموه في جيحون فلما بلغ خبره الشيخ نجم الدين البكري دعا على خوارزمشاه وخر ساجداً ثم رفع رأسه وحمد الله وقال طلبت من الله

دية ولدي مجد الدين فاعطاني ملك خوارزمشاه ولما سمع بذلك خوارزمشاه وكان قد صحا من سكره ندم على ما فعل وسار حافياً مكشوف الرأس حاملاً فوقه طستاً مملوءاً ذهباً وقابل الشيخ في المسجد ووقف في صف النعال وقال للشيخ هذا الذهب دية مجد الدية وهذا السيف ورأسي ان اردت القصاص فقال الشيخ نجم الدين كان ذلك في الكتاب مسطورا دية مجد الدين جميع ملكك ويذهب فيه رأسك ورؤس كثيرين من الاكابر والاعيان ونحن على اثرك فرجع خوارزمشاه مغتما مكسوف البال ثم كان من امر جنكزخان ما كان.

هذا وان جنكزخان بعدما فعله ببلاد الاسلام من القتل والتخريب مدة سبع سنين عاد الى بلاده فمر في طريقه على بخارى وطلب من صدر جهان قاضي القضاة وشيخ الاسلام ان يرسل له عالماً بشريعة المسلمين فارسل اليه اثنين من العلماء فسألهما جنكزخان عن حقيقة دين الاسلام. فذكرا له الشهادتين والصلاة والصوم والحج والزكاة فاستحسن الجميع وصدق به الا انه لما ذكرت له الكعبة باسم بيت الله قال ان جميع الدنيا بيت الله وبيته لا يختص بمكان ولما رجع الاثنان من عنده الى شيخ الاسلام اخبراه بما كان من جنكزخان فحكم باسلامه. ثم مات جنكزخان عن ذرية كثيرة تبلغ اربعين ولداً ما بين ذكر وانثى الا ان المعتبر من اولاده اربعة فقط وهم جوجى والعرب يقولون له طوشى او دوشى وجغتاي وتولى واوكداي وقبل وفاته قسم ملكه بينهم فاعطى جوجى دشت قفجق باسرها وبلاد داغستان وخوارزم وبلغار وفسقسين والروس وسواحل

البحر المحيط الغربي وما يؤمل اخذه الى منتهى المعمور واعطى جغطاي بلاد ايغور وما وراء النهر باسرها . واعطى تولى خراسان ومـا يؤمل اخذه من ديار بكر والعراقين الى منتهى حوافر خيولهم . واعطى اوكداي بلاده الاصلية والخطا والصين الى منتهى المعمور من طرف الشرق

﴿ اسلام اولاد جنكزخان ﴾

اول من اسلم من اولاد جغطاي ابن جنكزخان مبارك شاه ابن قرا هلاكو ثم اسلم بعده براق خان ثم طرما شيرين خان واسلم بعده جميع اولاد جغطاي وسائر طوائف المغل والتاتار الغربيين بمـا وراء النهر ثم اسلم توغلق تمير خان ببلاد كاشغر والمغل واسلم معه مائة وستون الفاً من المغل . وفي سنة ٦٩٤ اسلم محمود غازان خان واسلم معه جميع قومه وسبعون الفاً وقيل اربعماية الف من اكابر المغل واعيان التاتار . وكان جوجي مات قبل ابيه جنكزخان وآل ملكه الى ولده ابي المعـالي ناصر الدين السلطان بركه خان ابن جوجي بن جنكزخان وذلك في سنة ٦٥٢ وكان بركه خان اختار الاسلام ديناً وسبب اسلامـه ان سيف الدين الباخرزي كان مقيماً في بخارى فبعث الى بركه خان يدعوه الى الاسلام فاسلم وبعث اليه كتابه باطلاق يده في سائر اعماله بما شاء فرد عليه كتابه ولم يقبله فأعمل بركه الرحلة الى لقائه فلم يأذن له في الدخول عليه حتى تطارح عليه اصحابه وسهلوا الاذن لبركه فدخل عليه وجدد اسلامه وعاهد الشيخ على اظهاره فانجز بركه وعده وحمل سائر قومه على الاسلام

فاسلموا جميعاً واتخـذ المساجـد والمدارس في جميع بلاده وقرب العلماء والفقهاء ووصلهم وكان يحملهم اليه من اقطار العـالم الاسلامي و يبالغ بالاحسان اليهم

وروى غير واحد ان بركه‌خان هو اول من دخل في دين الاسلام من اعقاب جنكزخان وانه هو الذي اتم بناء بلدة سراي وكان اخوه باتو بدأ ببنائها وهي عاصمة دشت قفجق و يقال عنها انهـا هي البلدة المعروفة الان باسم اردهان المحرفة عن اوردي‌خان وكانت من اعظم المدن وضعاً واكثرها للخلق جمعاً مبنية على شط من نهر اتل (وولغا) الذي لا نظير له في العظم وعذوبة الماء وهو قدر النيل ثلاث مرات واكثر

كان عـند بركه‌خان وعند اوزبك‌خان وجان بك بعـده العلامة فخر الدين الرازي والشيخ سعد الدين التفتازاني والشيخ جلال الدين شارح الحاجبية وغيرهم من الفضلاء الحنفية والشافعية وكانت بلدة سراي مجمع العلماء والادباء وكان انتهاء بنائها سنة ٦٥٥ وابتداء خرابها عن يد تيمورلنك سنة ٧٩٨

ومن اعظم حسنات بركه‌خان واكبر اياديه على الاسلام انه قام على ابن عمه هولاكو الكافر الطاغية ينتقم منه مما فعله بالمسلمين والاستيلاء على بغداد وقتله الخليفة . فان بركه‌خان اشهر عليه حرباً طاحنة قصد اشغاله بها عن حرب المسلمين في البلاد الشامية فاهلك من جنود هولاكو مئات الالوف وكسره كسرة شنيعة كانت هي السبب الحقيقي في انكسار جيوش هلاكو ايضاً في الوقعة الشهيرة التي كانت بينهم و بين السلطان

الملك الظاهر بيبرس سلطان مصر على عين جالوت ولولا هـذه الكسرة لكان هولاكو استولى على سائر بلاد الشام ومصر وغـيرها واباد العالم الاسلامي عن آخـره . وكان بين بركه‌خان والسلطان الملك الظاهر مكاتبات عديدة ومودة صادقة اكيدة ومن جملة ما وصل منه الى الملك الظاهر كتاب مسهب يذكر فيه من اسلم من قبائـل التاتار وعشائرهم وعظمائهم وذراريهم وحشمهم وجيوشهم الجـرارة ثم يقول . هؤلاء اسلموا باسرهم وقاموا بالفرائض والسنن والزكاة والغزو والجهاد في سبيل الله وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنـا لنهتدي لولا ان هدانا الله وقرأنا آمن الرسول بمـا انزل اليه من ربه والمؤمنون الآيـة . فليعلم السلطان اني حاربت هولاكو الذي هو من لحمي ودمي لاعلاء كلمة الله العليا تعصباً لدين الاسلام لانه باغ والباغي كافر بالله ورسوله الخ .. وتاريخ هذا الكتاب سنة ٦٦١ ومات هولاكو مقهوراً من بركه‌خان في ربيع الاول سنة ٦٦٣ وكان قد ارتدع قليلاً عن اذية المسلمين وخفض من عداوتهم وقد خامر قلبـه شيء من احوال الدين الاسلامي وشاهد من جماعة الرفاعية بعض الكرامات فاعطاهم ولده نكودار للتربية فاسلم على يدهم وتسمى احمـد وصار سلطاناً بعد اخيه ابغا وكتب الى السلطان الملك الظاهر البندقداري كتاباً مسهباً اخبره فيـه باسلامه وبغير ذلك من المسائل السياسية والدينية واجابه عنه السلطان بكتاب مسهب ايضاً اثبتهما ابن العبري في كتابه مختصر الدول فليراجعـه من احب الاطلاع عليه اهـ

وكانت وفاة بركه خان سنة ٦٦٥ وجميع سلسلة ملوك المغل الذين جلسوا على سرير السلطنة كانوا مسلمين الا انهم لم يكونوا مثل بركه خان في التعصب للدين والحرص على احكامه الى ان جلس على كرسي سلطنة دشت قفجق السلطان الملك غياث الدين محمد اوزبك خان وهو من اعقاب جوجى ابن جنكزخان وكان شاباً حسن الصورة حسن الاسلام شجاعاً قتل عدداً عظيماً من الامراء والاعيان اهل البطش والاستبداد وقتل كثيراً من الايغورية وهم البخشية اي الكهنة والسحرة واظهر كلمة الاسلام وكان جلوسه على سرير الملك في اواخر رمضان سنة ٧١٢ وكان يعد من الملوك السبعة الذينهم كبراء ملوك الدنيا وعظماؤهم وكان عظيم المملكة شديد القوة قاهراً اهل القسطنطينية العظمى مجتهداً في جهادهم وبلاده متسعة والمؤرخون يطلقون عليها مملكة القريم وليست هي القريم وحدها وانما من جملتها القريم والكفا والمجر واوزاق وخوارزم وحاضرته سراي . وجميع من كان في جواره من ملوك طوائف الجركس والروس واللاز كانوا كالرعايا له وكثيراً ما كان يسبي نساءهم وذراريهم ويحملها تجار الرقيق الى اقطار الارض ويبيعونها وكان بينه وبين ملوك مصر مراسلات حبية والرسل بينهما تتردد دائماً وهداياهما الى بعضهما في تواصل مستمر . وكان ملوك الروس يقدمون الى ازبك خان عبوديتهم ويهابونه ولا يخرجون عن اوامره وكان هو الذي ينصب عليهم الكيناز ويعطيه منشور تملكه ومتى اراد عزله عزله ونصب غيره وكان الكيناز عند الروس كالامبراطور . وكان ازبك خان مع هذه السطوة

يرفق بالروس و يحترم كهنتهم وقد ظل الروس تحت سلطة التاتار ملوك الدشت والقريم مدة ١٥٠ سنة الى ان وقع الخلف بينهم ودخل بلادهم تيمورلنك واستولى على قسم عظيم منها وتفرقت كلمة ملوكهم واشتغلوا بقتال بعضهم فاغتنم الروس هذه الفرصة وقاموا نحو بلاد الدشت فطمت بحار غلبتهم عليها وكادوا يعمونها بالاستيلاء لولا ان بزغت في ذلك الوقت شمس الدولة العثمانية على العالم الاسلامي فاوقفت تيار غلبة الروس عليه من جهة القفقاس واستولت على كثير من بلاد خانات القريم المسلمين الذينهم من بقايا اعقاب جنكزخان

ومن الملوك الجنكزية اوكداي خاقان ابن جنكزخان جلس على سرير السلطنة في القريم سنة ٦٢٦ وكان ملكاً عادلاً محباً للمسلمين ولكنه كان كآبائه غير متدين وفي ايام سلطنته وسلطنة من بعده من اولاد جنكزخان مثل منكوخان وقبلاي خاقان انتشر الاسلام في ممالك الصين قاطبة ودامت قطعة الصين في تصرفهم الى سنة ٧٦٩ والجوامع الموجودة الان في پيكين وغيرها من دواخل الصين بنيت في عصر اولئك الخواقين وطائفة دونكان المسلمين من اهل الصين هم من الذين اسلموا في تلك المدة على ان معظم اهل الاصقاع التركية في القريم وغيرها ما زالوا من ذرية جنكزخان واتباع اولاده واعقابه وهم القزاق والتتار و بقية اصناف الترك الذين لم يزالوا على جانب عظيم من التمسك بالدين رغماً عما تنصبه لهم روسيا من الغوائل والعراقل

وخلاصة الكلام ان الاسلام بواسطة الخواقين الجنكزية قد امتد

من الصين الى بلاد الغرب وانهم قد خدموا الاسلام خدمات يحق لها كل مدح وثناء و يجدر بها ان تكون كفارة عما صدر من جدهم الاعلى جنكزخان وهلاكو ابن ابنه في حق المسلمين مما هو محتم مقدور وفي الكتاب محرر مسطور

﴿ شجاعة الاتراك ﴾

اتفقت كلمة الباحثين في طبقات الامم وما يخص كل امة من النعوت والطباع — على ان الاتراك موصوفون من قديم الزمان بالشجاعة والبطولة والفروسية ومعاناة الحروب ومعالجة آلاتها والصبر على ركوب الخيل والحذق بالرمي وغير ذلك من الامور التي يرافقها الظفر والغلبة على العدو مما لا يوجد الا في الجندي التركي

ونحن نأتي هنا بخلاصة في ذلك من رسالة للجاحظ وكتاب تلفيق الاخبار وغيرهما فنقول :

من صفات الجندي التركي انه يدور حول العسكر فوق الخيول ويحيط بعدوه باسرع ما يكون و يشتت شمله لا يعرف الفرار فهو في الحرب طالب غير مطلوب · لا يغتر بعظم جثة الفرس بل هو ينتقي خيولاً مدربة لا يسبقها غيرها يستنتجها عنده و يركبها وهي فلو و يسميها باسماء يناديها بها فتتبعه

كل واحد من فرسان الاتراك فارس وسائس و بيطار وحداد وراع وكل واحد منهم ماهر في هذه الصنائع لا يحتاج فيها الى غيره · اذا

اجتمعت قوة الجندي الفارسي والعراقي والخارجي في شخص واحد لا يعادل ذلك الشخص واحداً من الاتراك . الجيش التركي يقطع مسافة عشرين ميلاً في زمن يقطع فيــه غيره عشرة اميال فانه يفارق سائر العساكر و يميل الى اليمين والشمال و ينزل الى بطون الاودية و يصعد الى قمم الجبال و يصيد بهــذه الكيفية الهــاربين من اعدائه ولو كانوا من مشاهير الابطال

متى وقع اليأس من الصلح والمسالمة وتقرر الحرب فان الاتراك يدافعون عن انفسهم بتحصين مواقعهم العسكرية و يبذلون في ذلك غاية جهدهم من غير ادنى فتور . ومن علو همتهم وصفاء مداركهم لا يخطر بخواطر اعدائهم انتهاز الفرصة عليهم او التشبث بحيلة ما لاغفالهم

قال يزيد بن مزيد في وصف الاتراك — لا ثقلة لابدان الاتراك على الفرس والارض . والتركي يدرك الشيء الذي يجيء من ورائــه كما يدركه من امامه حال كون فرساننا لا يرون الذي يجيء من امامهم . والجندي التركي يعدنا صيداً و يعد نفسه اسداً وفرسه حية . واذا القي الجندي التركي في بئر مربوط اليد يخلص نفسه منها من غير ان يتشبث بحيلة . والجنود الترك يميلون بالطبع الى الكفاف و يرجحون ما ينالونــه بسهولة على كل شيء سواه . و يحبون ان يكون قوتهم من الصيد واموال الغنائم و يثبتون فوق ظهور خيولهم طالبين او مطلوبين من غير هرب ولا فرار

قال ثمامة ابن الابرش حينما كنت اسيراً بايدي الاتراك رأيت منهم

لطفاً واكراماً ورأيت اسبابهم مكملة . الجندي التركي لا يخاف قط بل هو يخيف غيره . والاتراك لا يطمعون في غير مطمع ولا يقعدون عن طلب شيء يريدون تحصيله فمتى حصلوه لا يضيعون شيئاً منه . ويبذلون غاية جهدهم في امر يقدرون عليه الى ان ينالوه وكل امر لا يقدرون عليه لا يضيعون وقتهم في تحصيله . وهم لا ينامون الا اذا غلبهم النوم ومع ذلك لا يكون نومهم ثقيلاً بل هو خفيف جداً بحيث ينامون بالتيقظ والانتباه . وقال ثمامة رأيت مرة في بعض محاربة المأمون صفوف الخيل في طرفي الطريق في اليمين مائة خيل من الاتراك وفي الشمال مائة من الفرسان المختلطة منتظرين مجيء المأمون وكان الوقت حاراً وقد قرب نصف النهار واشتدت الحرارة فنزل الفرسان المختلطة عن افراسهم سوى ثلاثة او اربعة منهم ولم ينزل من الاتراك سوى ثلاثة او اربعة . قال الجاحظ ما خلاصته والجندي التركي من اشد الناس تحملاً للاسفار واصبرهم على تقشف المعيشة وقلة النوم . يخرج غازياً او مسافراً او متباعداً في طلب الصيد فتتبعه رمكته وافلاؤها ان اعياه اصطياد الناس اصطاد الوحش وان احتاج الى طعام فصد دابة من دوابه وتغذى من دمها وان عطش حلب رمكة من رماكه وان اراح واحدة ركب اخرى من غير ان ينزل الى الارض . وليس احد في الارض يصبر عن اللحم كالتركي وكذلك دابته تكتفي باصول النبات والعشب والشجر لا يظلها صاحبها من شمس ولا يكنها من برد . وهو اصبر من جميع اصناف العساكر على ركوب الخيل وقطع المسافات بحيث

اذا طال السري واشتد الحر او البرد على بقية اجناس العساكر واعياهم التعب حتى صمتوا عن الكلام وتمنوا ان لو كانت الارض تطوي لهم واخذ كل واحد منهم يئن انين المريض و يتداوى مما به بالتمطي والتضجع — ترى التركي في هذه الحالة وقد سار ضعف ما سار غيره يرى قرب المنزل ظبياً او ثعلباً او غيره من الاوابد فيركض خلفه كأنه استأنف السير في ذلك الوقت · واذا ازدحم الناس على مسلك وادٍ او قنطرة ضرب التركي بطن برذونه فاقحمه النهر او الوادي ثم طلع من الجانب الآخر كأنه كوكب · واذا انتهى الجيش الى عقبة ترك السير عليها وذهب في الجبل صعداً وتدلى من موضع يعجز عنه الوعل مع ما يبدو على محياه من النشاط والجد

قال الجاحظ والتركي يحب القتال طبعاً وطلباً للغنم ثم لما دان بالاسلام صار يحب القتال طبعاً وطلباً للغنيمة وتديناً ودفاعاً عن الوطن فصار لا يباريه في الحرب احد ولا يدانيه في الصبر على الحر والبرد وقشف المعيشة مدانٍ

حكى ثمامة ابن الابرش قال خرجت من بغداد فرأيت فصيلة من الفرسان الخراسانيين والاعراب وغيرهم قد عجزوا عن امساك فرس ند منهم فمر بهم فارس تركي راكب على فرس هزال ضعيف فلما رآهم عجزوا عن امساكه تصدى هو له فشرعوا يضحكون عليه و يسخرون به قائلين ان الامر الذي قد عجز عنه هؤلاء الاسود كيف يقدر عليه هذا المسكين فلم يمض غير قليل حتى امسك الفرس مع قصر قامته وهزال

فرسه واسلمه اليهم ومضى لسبيله غير ملتفت الى دعائهم ولا الى حسن ثنائهم ومكافأتهم ولا متفاخراً ازاء احتقارهم اياه كأنه لم يصدر منه شيء قط

قلت ان الجندي التركي الان غير الجندي التركي في تلك الازمان غير انه مع ذلك لم تزل له ميزة على سائر اجناس العساكر فهو ما برح معروفاً بالصبر على الحر والبرد وقشف المعيشة ومعاناة مشاق السفر والطاعة لقواده والجرأة على اعدائه والقناعة بالزهيد من الاكل والشرب وقلة الهجوع . وحسبك شاهداً على تفوق الجندي التركي بمزاياه الجندية قول نابليون بنابرته – اعطوني الجندي التركي افتح لكم الدنيا –

كنا نسمع من الجندي العربي في اثناء الحرب العامة تذمراً كثيراً وشكوى مرة من قلة الاكل والشرب ورداءة الطعام وظلم القادة ورداءة الكسوة وغير ذلك من المشقات التي يبديها لنا في صورة ينبوا تحملها عن طوق البشر لانها من المهلكات التي يحرم على الانسان ان يلقي اليها بنفسه وان ذلك من اعظم الاعذار التي تبيح الهرب من الجندية

اما الجندي التركي فاننا كنا نراه في تلك الحرب الطروس في حالة مألوفة له غير مخالفة لعادته فلا يتذمر منها ولا يدعي ما يدعيه الجندي العربي من سوء الحالة ولا يراها صالحة ان تكون عذراً يبيح له الهرب من الجندية

تراه يهجم على عدوه الذي يمطره وابلاً من الرصاص والقنابل وهو جائع عريان غير هياب ولا وجل لا يحدث نفسه بمخالفة امر قائده ولا

بالهرب من الجندية مهما اقترب منه الخطر وحاق به الهلاك

قيـل ان اول من مـدح الترك واثنى على شجاعتهم علي بن عباس الرومي في قوله

اذا ثبتوا فحصن من حديد　　تخال عيوننا منه تحار
وان برزوا فنيران تلظى　　على الاعداء يضرمها استعار

وقال آخر في حق القفجق

وفتية من كماة الترك ما تركت　　للرعد كباتهم صوتاً ولا صيتا
قوم اذا قوبلوا كانوا ملائكة　　حسناً وان قوتلوا كانوا عفاريتا

قال الجاحظ في آخر رسالته : وقـد انتظمت للتركي جميع معدات الحرب ففاق بها جميع الامم ومن حاز هـذه المحاسن فقد حاز مزايا ينطوي تحتها الكرم و بعد الهمة واصالة الرأي والفطنـة والحكم والعزم والحزم والكتمان والثقافة والبصر في الخيـل والسلاح والخبرة بالرجال والبلاد الى آخر ما يحتاج اليه المحارب من اساليب القيادة وتعبئة الجيوش والخدع الحربية

﴿ معارف الاتراك ﴾

كل من كتب شيئاً عن احوال الاتراك اقر بشجاعتهم وشدة بأسهم حتى قال القاضي صاعد بن احمد الاندلسي في كتابه طبقات الامم ان ملوك الترك يسمون ملوك السباع لما اتصفوا به من الشجاعـة وشدة

البأس . غير ان جميع من وصفهم بهذه الاوصاف وخصهم بتلك المزايا قد سكت عن بقية صفاتهم الحميدة ومنهم من عدهم من الامم التي لم تعن بالعلوم والفنون . وقد نشأ ذلك من عـدم التبدر والتبصر في احوال هذه الامة العظيمة وقلة استقصاء اخبارها من منابعها الحقيقية

ان عدم اطلاع المؤرخين على ما للاتراك من المعارف والفنون ناشئ عن كون هذه الامة كانت في الازمان الغابرة اميـة لا تعرف الكتابة ولا القراءة ولا يوجد عندها كتاب مدون ولا كتابة وحسبنا دليلاً على ذلك ان جنكزخان وضع لها كتاباً في شريعـة استنبطها وقلم اخترعـه ولو كان للاتراك قلم يكتبون به او قانون يتعاملون باحكامه لما احتاج جنكزخان الى ما وضعـه واخترعه من الكتاب والقلم اللذين ذكرناهما . ولا يستغرب ذلك فان الامة الجركسية التي قام منها عدة ملوك لم يكن لهم بلغتهم كتاب يقرؤنه ولا قلم يكتبون به

ان من نظر الى عظمة الامم التركية وما كان لها من الحكومات القاهرة في الصين والهند والفرس وبعض جهات اوربا يضطره العقل الى ان يقول ان هكذا امة لا يمكن ان تبلغ سطوتها هـذا المبلغ العظيم دون ان يكون لها قدم راسخ في العلوم والفنون

كيف لا يكون ذلك وقد اشتهر من فلاسفة الاتراك في اوربا الفيلسوف انخرسيس الأسكتي التاتاري المعاصر لسولون رئيس فلاسفة اليونان كما حكى ذلك صاحب كتاب تلفيق الاخبار قال وسبب شهرة هذا الفيلسوف قدومه على اثينا واشتهاره بين اهلهـا دون غيره من

فلاسفة الاتراك الذين لم يفارقوا اوطانهم ولا وضعوا في حكمهم وفلسفتهم كتاباً بل كانوا يتلقون الحكمة من بعضهم شفاهاً و يتناقلونها فيما بينهم تلقيناً · هذا كله قبل ان يدينوا بالاسلام و يستنيروا بنوره و يتعلموا الكتابة والقراءة بالقلم العربي فقد ظهر منهم بعد ذلك رجال احرزوا القدح المعلى والنصيب الاوفر في الفنون والعلوم من منطوق ومفهوم

﴿ علماء الاسلام الذينهم من عرق تركي ﴾

زعم بعض المتشيعين للاتراك المتشبعين من موالاتهم ومحبتهم ان طائفة عظيمة من علماء الاسلام وائمة الدين السادة الاعلام هم من عرق تركي وان الحامل الذي كان يحمل اولئك الاعلام على وضع مؤلفاتهم الدينية باللغة العربية مع ان لغتهم الاصلية تركية · امران : احدهما كون الدين الذي يضعون فيه مؤلفاتهم مستمد من مصدر عربي هو القرآن والحديث اللذان لا يمكن ادراك حقيقة مفاهيمهما ولا يتسع البحث بهما لاستنباط الاحكام الشرعية منهما الا بلغتهما التي ولدا فيها وسطرا على مقتضى قواعدها وضوابطها والامر الآخر كون اللغة التركية الاصلية المعبر عنها باسم جغطاي او باسم قفجق لغة ضيقة مضطربة القواعد لا تصلح لان تكون لغة علمية دينية وادبية اما بعد ان لطفها العثمانيون وادخلوا اليها الوفاً من الالفاظ العربية والفارسية صارت حينئذ صالحة لان يضع بها طائفة من العلماء العثمانيين مؤلفاتهم

يقول اولئك المتشيعون ان علماء الاسلام الذينهم من عرق تركي وان كانت موءلفاتهم باللغة العربية او الفارسية — الا ان لغتهم التي كانوا يتفاهمون بها بين اهليهم وعوامهم كانت هي اللغة التركية المعروفة باسم چغطاي حتى ان سكان تركستان الذي من جملته بخارى ما برح اهلها حتى الان يتفاهمون بين اهليهم وعوامهم بلغة چغطاي وما زال اهل العلوم الدينية الذين يقصدون بخارى من الاقطار التركية — يتلقون علومهم باللغة العربية ويتكلمون فيما بينهم بلغتهم التركية چغطاي او قفجق

وعليه فان العلامة الزمخشري مثلاً هو من عرق تركي بلا شك لانه من زمخشرى احدى قرى بخارى التي هي من امهات تركستان لكن اكثر موءلفاته باللغة العربية وله عدة موءلفات باللغة الفارسية وليس له شيء من المؤلفات باللغة التركية للسبب الذي ذكرناه · وهكذا يقال في العلماء الذينهم من عرق تركي وموءلفاتهم باللغة العربية وهاك اسماء بعض المشتهرين منهم على رأي المتشيعين المذكورين

الرئيس ولا ازيده مدحاً على هذه اللفظة التي صارت علماً عليه حيث اطلقت وهو ابو علي حسين بن عبدالله بن سينا · وتلميذ الرئيس بهمانيار · والامام الحافظ الحجة ابو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري الذي قيل في كتابه (اصح كتاب بعد كتاب الله تعالى) · والامامان الحجتان مسلم والترمذي صاحبا الصحيحين المنسوبين اليهما · والامام الحجة العلامة محمود الزمخشري جار الله صاحب الكشاف وغيره من

المصنفات الشهيرة · والعلامة الاستاذ يوسف السكاك صاحب مفتاح العلوم وقد قيل فيه وفي الزمخشري لولا الكوسج والاعرج لعرج القران كما نزل يراد بالكوسج السكاك و بالاعرج الزمخشري · والامام المطرزي صاحب كتاب المغرب وغيره وهو احد تلامذة الزمخشري · وناشر العلوم العربية الشيخ عبد القادر الجرجاني · وصدر الافاضل رشيد الدين الوطواطي · وعبد الجبار التفتازاني · والامام حجة الاسلام محمد الغزالي الذي قيل في حق كتابه الاحياء اذا فقدت كتب الشريعة اغنت عنها الاحياء · والعلامة صاحب التصانيف الكثيرة ابو حاتم محمد بن حبان البخاري المعروف بغنجار البستي · والشيخ ابو الوليد احمد بن ابي الرجا الازداني شيخ البخاري صاحب الصحيح · وابو محمد بن جرير الطبري صاحب التفسير والتاريخ المشهورين · وابو بكر محمد بن عبدالله الاودني امام اصحاب الشافعي في عصره · وابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري صاحب كتاب الصحاح في اللغة · وابو معشر البلخي – جعفر – من مهرة المنجمين المشهور بالفلكي المتوفي سنة ٢٧٢ وابو نصر محمد بن محمد الفارابي الحكيم الفيلسوف صاحب التصانيف في فنون الفلسفة والموسيقى ونصر بن محمد الختلي شارح القدوري

ومن ادبائهم المبرزين ابراهيم بن العباس الصولي والصولي الشطرنجي وغيرهم من العلماء الاعلام والائمة الفضلاء الفخام الذين يضيق المقام عن ذكر اسمائهم · هذا كله عدا العلماء والفضلاء الذين نشأوا في احضان الدولة العثمانية وتخرجوا في مدارسها ومعاهدها العلمية كشمس الدين

المعروف بابن كمال باشا المشهور بمفتي الثقلين المنسوب لادرنه و بها كانت وفاته سنة ٩٤٠ وابي السعود صاحب التفسير وناظم القصيدة المشهورة التي نوه بذكرها الشهاب الخفاجي في كتابه ريحانة الالباء واثبتها برمتها ومطلعها: ابعد سليمى بغيـة ومرام: وعلي افندي الزنبيلي والانقروي صاحب الفتاوي وعلي افندى صاحب الفتاوي الاخرى والحاج خليفة المعروف بكاتب چلبي صاحب كتاب كشف الظنون وغيره من المؤلفات الجليلة وغيرهم ممن لا يساعدنا المقام على استقصاء اسمائهم

على ان صاحب كتـاب الشقائق النعمانيـة وصاحب تاج التواريخ وصاحب كتاب (اسامي) وصاحب كتاب قاموس الاعـلام وغيرهم من ادباء الاتراك وعلمائهم الذين الفوا بالتاريخ قـد ذكروا في كتبهم طائفة صالحة من علماء الاتراك وادبائهم المخرجين في مـدارس الدولة العثمانية فليراجع هذه الكتب من احب الاطلاع على اولئك الفضلاء

اقول مـا ذكره المتشيعون للاتراك من العلماء المتخرجين في مدارس الدولة العثمانية بانهم اتراك فامر مسلم به واما من ذكروه قبلهم من العلماء والفضلاء بانهم من عرق تركي فليس يصح ذلك في جميعهم ولنا فيه كلام في غير هذا الكتاب نورده حين الاقتضاء

هذا آخر الاجمال الذي اوردناه استطراداً في الكلام على الاتراك ولنرجع الى سرد الحوادث التي لها علاقة في حلب وملحقاتها فنقول:

﴿ سنة ٦٣٧ وفاة شير كوه ﴾

فيها توفي الملك المجاهد شير كوه صاحب حمص وقد استقام ملكاً عليها ٥٦ سنة واستقر بالملك بعده ابنه الملك المنصور ابراهيم

﴿ سنة ٦٣٨ وصول الخوارزمية الى حلب وما جرى من الحوادث الى سنة ٦٤١ ﴾

الخوارزمية طائفة من المسلمين الساكنين في بلاد خوارزم هربوا من بلادهم حينما استولى عليها جنكزخان وجاؤا الى هذه البلاد وقويت شوكتهم وملكوا بعض مدن وقصبات وظاهرهم بعض ملوكها للاستعانة بهم على نواياه وفي هذه السنة اعني سنة ٦٣٨ سار الخوارزميون الى حلب فخرج اليهم عسكرها مع الملك المعظم توران شاه ابن صلاح الدين ووقع بينهم القتال فانهزم الحلبيون وقتل منهم خلق كثير منهم الملك الصالح ابن الملك الافضل بن صلاح الدين واسر مقدم الجيش الملك المعظم توران شاه المذكور واستولى الخوارزميون على اثقال الحلبيين واسروا منهم عدة وكانوا يقتلون الاسير ليشتري غيره نفسه منهم ثم نزل الخوارزميون على حيلان وكثر عيثهم في بلاد حلب وجفل اهل الحواضر والبلاد ودخلوا مدينة حلب واستعدوا للحصار وارتكب الخوارزميون من الزنا والفواحش والقتل ما ارتكبه التتر في بلادهم ثم ساروا الى منبج وفعلوا فيها من القتل والنهب مثلما تقدم ذكره ثم رجعوا الي بلادهم وهي

حران وما معها بعد ان خربوا بلد حلب ثم رحلوا من حران وقطعوا الفرات الى الجبول ثم الى تل عزاز ثم الى سرمين ثم الى المعرة وهم ينهبون ما يجدونه وكان قد وصل الملك المنصور ابراهيم بن شيركوه صاحب حمص ومعه عسكر من عساكر الملك الصالح اسماعيل المستولي على دمشق نجدة للحلبيين فاجتمع الحلبيون مع صاحب حمص وقصدوا الخوارزمية واستمرت الخوارزمية على ما هم عليه من النهب حتى نزلوا على شيزر ونزل عسكر حلب على تل السلطان ثم رحلت الخوارزمية الى جهة حماه ولم يتعرضوا الى نهبها لانتماء صاحبها الملك المظفر الى الملك الصالح ايوب محالفهم ثم سار الخوارزمية الى سلمية ثم الى الرصافة طالبين الرقة وسار عسكر حلب من تل السلطان اليهم ولحقتهم العرب فارمت الخوارزمية ما كان معهم من المكاسب وسيبوا الاسارى ووصلت الخوارزمية الى الفرات في اواخر شعبان هذه السنة ولحقهم عسكر حلب وصاحب حمص قاطع صفين فعمل لهم الخوارزمية ستائر ووقع القتال بينهم الى الليل فقطع الخوارزمية الفرات وساروا الى حران وسار عسكر حلب الى البيرة وقطعوا الفرات منها وقصدها الخوارزمية والتقوا قريب الرها لتسع بقين من رمضان هذه السنة فولى الخوارزمية منهزمين وركب صاحب حمص وعسكر حلب اقفيتهم يقتلون و يأسرون الى ان حال الليل بينهم ثم سار عسكر حلب الى حران فاستولى عليها ومربت الخوارزمية الى بلد عانه و بادر بدر الدين لؤلوء صاحب الموصل الى نصيبين ودارا وكانتا للخوارزمية فاستولى عليهما وخلص من كان

بهما من الاسرى وكان منهم الملك المعظم توران شاه ابن صلاح الدين اسر في كسرة حلب ثم استولى عسكر حلب على الرقــة والرها وسروج ورأس العين وما مع ذلك ثم سار عسكر حلب ومعه نجدة وصلت اليه من الروم وحاصروا الملك المعظم ابن الملك الصالح ايوب بآمد وتسلموها منه وفي سنة ٦٣٩ توفي الملك الحافظ بن الملك العادل بعزاز وهي التي تعوضها عن قلعة جعبر ونقل الى حلب ودفن في الفردوس وتسلم نواب الملك الناصر صاحب حلب قلعة عزاز واعمالها وفي سنة ٦٤٠ كان بين الخوارزمية ومعهم الملك المظفر غازي صاحب ميافارقين و بين عسكر حلب ومعهم الملك المنصور صاحب حمص مصاف قرب الخابور عنــد المجــدل في يوم الخميس لثلاث بقــين من صفر فولى الملك المظفر والخوارزمية منهزمين اقبح هزيمة ونهب منهم عسكر حلب شيئاً كثيراً ونهبت وطاقات الخوارزمية ونساؤهم ايضاً ونزل الملك المنصور في خيمة الملك المظفر واحتوى على خزائنه ووطاقه ووصل عسكر حلب وصاحب حمص الى حلب في مستهــل جمادى الاولى مؤيدين منصورين وفيها توفيت ضيفه خاتون بنت الملك العادل ودفنت بقلعة حلب وهي محــل مولدها سنة ٥٨١ ولما توفيت كان عمر ولدهــا الناصر بن الملك العزيز نحو ثلاث عشرة سنة فاشهد عليه انه بالغ واستلم زمــام المملكة الحلبية والمرجع في الامور جمال الدين اقبال الاسود الخصي الخاتوني وفي سنة ٦٤١ تحرك طائفة من التتر نحو بلاد حلب ففي مختصر الدول لابن العبري انه في هذه السنة غزا يساور نوين الشام ووصل الى موضع يسمى حيلان

على باب حلب وعاد عنها لحفي اصاب خيول التتر وانه بعد ذلك اجتاز بملطية وخرب بلادها ورعى غلاتها و بساتينها وكرومها واخذ منها اموالاً عظيمة حتى خشل النساء وصلبان البيع ووجوه الاناجيل وانية القداس المصنوعة من الذهب والفضة ثم رحل عنها وطلب طبيباً يداويه في سحج عرض له فاخرج اليه والده وسار معه الى خرتبرد فدبره حتى برئ ثم جاء ولم يطل المقام بملطية ورحل باهله الى انطاكية فسكنوها واقحطت البلاد بعد ترحال التتر ووبئت الارض فهلك عالم وباع الناس اولادهم باقراص الخبز اه

﴿ سرد الحوادث من سنة ٦٤١ الى اخر سنة ٦٥٦ ﴾

في هذه السنة وهي سنة ٦٤١ سارت نجدة من حلب مع ناصح الدين الفارسي الى صاحب الروم غياث الدين كيخسرو واجتمعوا معه وقاتلوا التتر فلم ينجحوا وفي سنة ٦٤٤ كان الخوارزمية يحاصرون دمشق فسار اليهم الحلبيون ومعهم الملك المنصور فانكسر الخوارزمية وقتل مقدمهم بركه خان وحمل رأسه الى حلب وجاء الملك الصالح اسماعيل صاحب بعلبك مستجيراً بصاحب حلب الملك الناصر لانه كان معتضداً مع الخوارزمية وفي سنة ٦٤٦ ارسل الملك الناصر صاحب حلب وحاصر حمص واخذها من الاشرف موسى وعوضه عنها تل باشر مضافاً لما بيده من الرحبة وتدمر وفي سنة ٦٤٧ وقع الحرب بين بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل و بين عسكر الملك الناصر صاحب حلب بظاهر نصيبين

وانهزمت المواصلة اقبح هزيمة واستولى الحلبيون على اثقالهم وتسلموا نصيبين ثم ساروا الى دارا وتسلموها بعد حصار ثلاثة اشهر ثم تسلموا قرقيسيا ثم عادوا الى حلب وفي سنة ٦٤٨ كاتب امراء دمشق القيمرية بها الملك الناصر صاحب حلب ليسلموه دمشق وذلك لانهم انفوا من ان يتسلطن عليهم امرأة وهي شجرة الدر زوجة الملك الصالح بعد وفاته بمصر وكان صاحب مصر وهو آخر الايوبية بها فسار الناصر الى دمشق وملكها لثمان بقين من ربيع الاول وعصت عليه بعلبك وعجلون وشميس مدة ثم سلمت اليه وبلغ ذلك اهل مصر فقبضوا على من بها من القيمرية وكل من اتهم بالميل الى الحلبيين وفي منتصف رمضان منها سار الناصر صاحب حلب ودمشق الى مصر ومعه من بني ايوب اهل بيته نحو العشرة وسائر عساكرهم وخرج اليهم المصريون والتقوا بالعباسية وانكسر المصريون وخطب للناصر في تلك الجمعة بمصر وقلعة الجبل ثم انعكس المقدور وكسر الشاميون وقتل عدة امراء منهم وفي سنة ٦٤٩ جهز الملك الناصر صاحب الشام عسكراً الى غزة وخرج المصريون الى السبائخ واقاموا كذلك حتى خرجت السنة وفي سنة ٦٥١ استقر الصلح بين الملك الناصر وبين البحرية بمصر على ان يكون للمصريين الى نهر الاردن وللملك الناصر ما وراء ذلك وكان واسطة الصلح بينهما نجم الدين الباذراني رسول الخليفة وفي سنة ٦٥٢ قدمت ملكة خاتون بنت كيقباد ملك الروم الى زوجها الملك الناصر صاحب الشام وفي سنة ٦٥٣ مشى نجم الدين الباذراني في الصلح بين المصريين والشاميين واتفق الحال ان

يكون للملك الناصر الشام جميعه الى العريش ويكون الحد بئر القاضي وهو بين الواردة والعريش وبيد المعزايبك الديار المصرية ورجع كل لمحله وفي سنة ٦٥٤ توجه كمال الدين العديم الحلبي رسولاً من قبل الملك الناصر صاحب الشام الى الخليفة المستعصم بتقدمة جليلة وطلب الخدمة لمخدومه ووصل شمس الدين سنقر الاقرع من مماليك المظفر غازي صاحب ميافارقين من جهة المعز ايبك صاحب مصر الى بغداد بتقدمة جليلة وسعى بتعطيل خلعة الناصر فتحير الخليفة برهة ايام ثم احضر سكيناً من اليشم كبيرة وقال للوزير اعط هذه السكين رسول صاحب الشام علامة على ان له خدمة عندي في غير هذا الوقت اما الان فلا يمكنني فعاد كمال الدين بالسكين بلا خلعة وفي سنة ٦٥٥ وصل من الخليفة المستعصم الخلعة والطوق والتقليد الى الملك الناصر صاحب الشام وفي سنة ٦٥٦ اشتد الوباء بالشام وخصوصاً بدمشق حتى قل مغسلو الموتى

﴿ وصول التتر الى حلب وما جرى عليها منهم ﴾

في سنة ٦٥٧ تقدم هولاكو ابن تولي ابن جنكزخان الى البلاد الشرقية ونازل الجزيرة وحران واستولى عليهما ثم ارسل الى الملك الناصر رسالة مسهبة يتهدده بها اثبتها ابن العبري في كتابه مختصر الدول واجابه عليها الملك الناصر بجواب يظهر فيه القوة وعدم المبالاة قرأته في رقعة مخطوطة عند صديقنا السيد محمد اسعد افندي العينتابي ولما اطلع

عليه هولاكو اخذ منه الغيظ كل مأخذ وامر ولده اشموط بالاغارة على الشام فقطع الفرات في جمع كثيف ونزل على نهر الجوز وتل باشر ووصل خبره الى حلب من البيرة ونائب الملك الناصر في حلب الملك المعظم فخر الدين توران شاه فجفل الناس من التتر الى جهة دمشق وعظم الخطب واحترز نواب حلب وجمعوا اهل الاطراف والحواضر في داخل البلد وكانت حلب في غاية الحصانة والقوة فلما كان العشر الاخير من ذي الحجة قصد التتر حلب ونزلوا على قرية يقال لها المسلمية وامتدوا الى حيلان وسيروا جماعة من عسكرهم اشرفوا على المدينه فخرج عسكر حلب ومعهم جماعة من العوام والسوقه فاشرفوا على التتر وهم نازلون على هذه الاماكن وقد ركبوا جميعهم ارهاباً للمسلمين ولما تحقق المسلمون كثرتهم كروا راجعين الى المدينة وتقدم الملك الاعظم بان لا يخرج احد بعد ذلك من المدينة وفي الغد رحل التتر من منزلتهم يطلبون المدينة واجتمع عسكر المسلمين بالبواسير وميدان الحصى واجالوا الرأي فيما يعتمدونه فاشار عليهم الملك المعظم ان لا يخرجوا اصلاً لكثرة التتر وقوتهم وضعف المسلمين عن لقائهم فابوا الا الخروج الى ظاهر البلد لئلا يطمع العدو فيهم فخرج العسكر الى ظاهر البلد وخرج معهم العوام والسوقة واجتمعوا كلهم بجبل بانقوسا ووصل جمع التتر الى اسفل الجبل واوكبوا على القرية المعروفة ببابلي فنزل جماعة من العسكر اليهم ليقاتلوهم فلما رآهم التتر اندفعوا بين ايديهم مكراً وخداعاً فتبعوهم ساعة من النهار ثم كر التتر عليهم فولوا منهزمين الى جهة البلد والتتر في اثرهم فلما جاوا

جبل بانقوسا وعليه بقيـــة عسكر المسلمين والعوام اندفعوا كلهم طالبين البلد فاختنق من المسلمين خلق كثير في ابواب البــلد والتتر في اعقابهم فقتلوا من المسلمين جمعاً كثيراً ونازلوا المدينة في ذلك اليوم الى آخره ثم رحلوا طالبين عزاز فتسلموها بالامان ولمــا بلغ الملك الناصر خبرهم وهو بدمشق اشخص كمال الدين بن العديم رسولاً الى الملك المنصور صاحب مصر يستنجده عليهم فرجع بالخيبة واما الملك الناصر فانه خرج من دمشق الى برزه في اواخر هذه السنة وجفل الناس بين يدى التتر وسار من حماه الى دمشق الملك المنصور صاحب حماه ونزل مع الناصر ببرزه وكان ببرزه بيبرس البندقداري صاحب الكرك فاجتمع عند الملك الناصر ببرزة امم عظيمة من العساكر والجفال غير ان الملك الناصر بلغه ان جماعة من مماليكه قاصدين اغتياله فهرب الى قلعة دمشق وخافه مماليكه فهربوا الى جهة غزه وسار البندقداري معهم واما التتر فانهم في صفر سنة ٦٥٨ عادوا الى حلب لان هولاكو بن تولي بن جنكزخان كان قد عبر الفرات بجموعه ونازل حلب وارسل الى الملك المعظم نائب حلب يقول له انكم تضعفون عن لقاء المغل ونحن قصدنا الملك الناصر والعساكر فاجعلوا لنا عندكم بحلب شحنة وبالقلعة شحنة ونتوجه نحن الى العساكر فان كانت الكسرة على عسكر المسلمين كانت البلاد لنا وتكونوا قــد حقنتم دماء المسلمين وان كانت الكسرة علينـــا كنتم مخيرين في الشحنتين ان شئتم طردتموهما وان شئتم قتلتموهما فلم يجب الملك المعظم الى ذلك وقال ليس لكم عندنا الا السيف وكان رسول هولاكو في ذلك صاحب ارزن

الروم فتعجب هولاكو من هذا الجواب وتألم لما علم من هلاك اهل حلب بسبب ذلك ثم سار هولاكو واحاط بحلب ثاني يوم من صفر وفي الغد هجم التتر على حلب وقتلوا من المسلمين جماعة كثيرة منهم اسد الدين بن الملك الزاهر بن صلاح الدين واشتدت مضايقة التتر للبلد وهجموا من عند حمام حمدان في ذيل قلعة الشريف في يوم الاحد تاسع صفر و بذلوا السيف في المسلمين وصعد خلق كثير الى القلعة ودام القتل والنهب من نهـار الاحد الى يوم الجمعة رابع عشر صفـر فامر هولاكو برفع السيف ونودي بالامان ولم يسلم من اهـالي حلب الا من التجأ الى دار شهاب الدين ابن عمرون ودار نجم الدين اخي مردكـين ودار الباز يار ودار علم الدين قيصر الموصلي والخانكاه التي فيهـا ز بن الدين الصوفي وكنيسة اليهود وذلك لفرمانات كانت بايدي المذكورين وقيل انه سلم بهذه الاماكن خمسون الف نسمة ثم ان التتر نازلوا القلعـة وحصروها وكان بها الملك المعظم ومن التجأ اليها من العسكر وفي اثناء محاصرتها وثب جماعة من اهلها على صفي الدين بن طرزه رئيس حلب وعلى نجم الدين بن عصرون فقتلوهما لانهم اتهموهما في الموطأة مع التتر واستمر الحصار على القلعة واشتدت مضايقـة التتر نحو شهرين ثم سلمت بالامان يوم الاثنين حادي عشر ربيع الاول ولما نزل اهلها وكان بها جماعة من البحرية الذين حبسهم الملك الناصر سلمهم هولاكو و باقي الترك الى رجل من التتر يقال له سلطان جق وهو رجل من اكابر القفجاق هرب من التتر لما غلبوا على القفجاق وقدم الى حلب فاحسن اليه الملك الناصر فلم تطب

له تلك البلاد فعاد الى التتر واما العوام والغرباء فانهم نزلوا الى اماكن الحمى المذكورة وامر هولاكو ان يمضي كل من سلم الى داره وملكه وان لا يعارض وجعل النائب بحلب عماد الدين القزويني ووصل الى هولاكو وهو على حلب صاحب حمص الملك الاشرف موسى بن ابراهيم بن شيركوه فاكرمه هولاكو واعاد عليه حمص وكان اخذها منه الملك الناصر وعوضه عنها تل باشر كما تقدم وقدم عليه ايضاً محي الدين التركي نائب دمشق فالتفت اليه وخلع عليه وولاه قضاء الشام وقدم عليه ايضاً جماعة من اكابر حماه وسلموه مفاتيح بلدهم فامنهم ثم رحل هولاكو عن حلب الى حارم وطلب تسليمها من اهلها فامتنعوا ان يسلموها لغير فخر الدين والي قلعة حلب فاحضره هولاكو وسلموها اليه فغضب هولاكو وامر بهم فقتلوا عن آخرهم وسبى النساء ثم رحل عنها الى الشرق وامر عماد الدين القزويني بالرحيل الى بغداد وجعل مكانه بحلب رجلاً اعجمياً وامر هولاكو بخراب اسوار قلعة حلب واسوار المدينة فخربت عن آخرها والقى السيسيون المنضمون الى التتر النار في الجامع الكبير ثم في كنائس النصارى وقتلوا في الجامع خلقاً كثيراً دفنوا في جباب كانت بالجامع للغلة في شماليه اما الملك الناصر فانه لما بلغه اخذ حلب وهو بدمشق هارباً من مماليكه كما تقدم رحل من دمشق بمن معه من العساكر الى جهة الديار المصرية ومعه الملك المنصور صاحب حماه فاقام بنابلس اياماً ورحل عنها الى غزه فاصطلح مع مماليكه الذين كانوا ارادوا قتله ومع اخيه الملك الظاهر ثم رحل عن غزه الى العريش لما بلغه ان التتر

استولوا على نابلس ايضاً وسير رسولاً الى الملك المظفر صاحب مصر يطلب منه المعاضدة على التتر ثم سار الملك الناصر ومن معه الى قطية وبقي بها اياماً خوفاً من ان يدخل مصر فيقع القبض عليه ففارقته العساكر والملك المنصور صاحب حماه الى مصر وبقي معه جماعة يسيرة منهم اخوه الملك الظاهر والملك الصالح صاحب حمص وغيرهما فسار بهم الى جهة تيه بني اسرائيل وكان التتر في هذه المدة قد استولوا على دمشق وجميع الشام عدا غزه فبقي الملك الناصر في التيه متحيراً الى ان عزم على التوجه الى الحجاز وكان معه طبردار له اسمه حسين الكردي فحسن له المسير الى التتر وقصد هولاكو فاغتر بقوله ونزل ببركة زبرا وسار حسين الكردي الى كتبغا نائب هولاكو وعرفه بوضع الملك الناصر فارسل كتبغا اليه وقبض عليه واحضره الى عجلون وكانت عاصية فامرهم الملك الناصر بتسليمها فسلمت للتتر وهدمت ثم ان كتبغا بعث بالملك الناصر الى هولاكو فوصل الى دمشق ثم الى حماه ثم الى حلب فلما عاينها الملك الناصر وما حل بها وباهلها تضاعفت حسراته وانشد

يعز علينا ان نرى ربعكم يبلي وكانت به ايات حسنكم تتلى

ثم سار الى الاوردو وكان بها هولاكو فاقبل على الملك الناصر ووعده برد مملكته الى ما كان عليه

﴿ دخول حلب في حوزة دولة الاتراك المماليك وحوادثهم فيها ﴾

ثم ان الملك المظفر مملوك المعز ايبك صاحب مصر جهز جيشاً كثيفاً لاخراج التتر من الشام وقصدهم والتقى معهم في الغور عند عين جالوت التي هي بليدة بين بيسان ونابلس من فلسطين وكانت وصلت اليهم الاخبار بانكسار جيوش هولاكو وهلاك معظمها بحرب ضروس دارت بينه وبين ابن عمه بركه خان ففت ذلك في اعضادهم وهالهم الامر فانهزموا من امام جيش الملك المظفر اقبح هزيمة وقتل منهم خلق كثير وهرب من سلم منهم لروس الجبال فتبعهم المسلمون وافنوا اكثرهم وبعد ان دخل الملك المظفر دمشق ورتب امورها جهز عسكراً الى حلب لحفظها وفوض نيابتها الى الملك السعيد ابن بدر الدين لولو صاحب الموصل وهو اول نائب بحلب من قبل دولة الاتراك والمفهوم من تاريخ ابي ذر ان اول نائب بحلب من قبل الدولة المذكورة هو الملك الناصر صاحب الشام اولاً وعلى كل فان الملك السعيد لما جاء حلب نائباً سار سيرة رديئة وكان دأبه التحيل على اخذ المال من الرعية فابغضه العسكر اسوء فعله وكان بلغه ان التتر ساروا الى البيرة فجرد اليهم جماعة قليلة من جهة العسكر وقدم عليهم سابق الدين امير مجلس الناصر فاشار كبراء العزيزية والناصرية بان هذا غير موافق للمصلحة وان هؤلاء الجماعة قليلون فيحصل الطمع بسببهم في البلاد فلم يلتفت الى ذلك واصر على مسيرهم فسار سابق الدين المذكور بمن معه حتى قارب البيرة فوقع عليهم التتر

فهرب سابق الدين منهم ودخل البيرة بعد ان قتل غالب من كان معه فازداد غيظ الامراء على الملك السعيد فاجتمعوا وقبضوا عليه ونهبوا وطاقه وكان قد برز الى بابلي ولما استولوا على خزانته لم يجدوا فيها طائلاً فهددوه بالعذاب ان لم يقر لهم بالمال فاقر لهم ونبش من تحت اشجار حائط في قرية بابلي جملة من المال قيل كانت خمسين الف دينار مصرية ففرقت بالامراء وحمل الملك السعيد الى الشغر وبكاس معتقلاً ثم اتفق الامراء العزيزية والناصرية وقدموا عليهم حسام الدين الجوكندار ولما شاع بحلب ان التتر معاودون اليها خام عنهم حسام الدين المذكور بمن معه من العساكر الى جهة حماه اما التتر فانهم ساروا الى حلب وعاودوها في اواخر هذه السنة اعني سنة ٦٥٨ وكان مقدم عسكر التتر بيدرا واجفل اهل حلب الى البلاد القبلية واخرج التتر من بقي من اهلها بعيالهم واولادهم حافين مجردين الى المحل المعروف بقرا الانبياء وبذلوا فيهم السيف فافنوا اكثرهم وسلم القليل منهم ثم تراجع من افلت باسوء حال ولما عاد كمال الدين عمر بن احمد بن عبد العزيز الى حلب بعد ان خربها التتر وكان جافلاً منهم رأى احوال حلب فقال في ذلك قصيدة منها:

هو الدهر ما تبنيه كفاك يهدم … وان رمت انصافاً لديه فتظلم
اباد ملوك الفرس جمعا وقيصرا … واصمت لدى فرسانها منه اسهم
وافنى بني ايوب مع كثر جمعهم … ومـا منهم الا مليك معظم
وملك بني العباس زال ولم يدع … لهم اثراً من بعدهم وهم وهم

واعتابهم اضحت تداس وعهدها تبـاس بافواه الملوك وتلثم
وعن حلب ما شئت قل من عجائب
احل بها يا صاح ان كنت تعلم

ومنها

فيالك من يوم شديد لغامه وقد اصبحت فيه المساجد تهدم
وقـد درست تلك المدارس وارتمت
مصاحفهـا فوق الثرى وهي ضخم
ولكنما لله في ذا مشيئة فيفعل فينا ما يشاء ويحكم

ولعمر ابراهيم الرسعني مقامة في هذه الحادثة اثبت بعضها ابن الوردي في كتابه تتمة المختصر المطبوع فاستغنينا بذلك عن ذكرها هنا للاختصار

وفي محرم سنة ٦٥٨ انكسر جيش التتر على حمص وحماه فاتى فلهم الى حلب واخرجوا من فيها من الرجال والنساء ولم يبق الا من اختفى ثم قتلوا من كان في حلب من الغرباء فقتل منهم جماعة من اهلها ثم عدوا من بقي من الحلبيين واعادوهم الى حلب واحاطوا بها ومنعوا الخروج والدخول اليها فغلت اسعار الاقوات غلواً فاحشاً حتى بيعت التفاحة بخمسة دراهم والبطيخة بار بعين درهماً واكل الناس الميتة سنة ٦٥٩ وذكر ابن العبري الملطي في تاريخه المدني السرياني ان اهل بعلبك خربوا سقف كنيسة السريان الحلبية وكان هو مطرانها في هذه السنة وهي سنة (٦٥٩) فاستحوذ عليه الجنون فذهب الى هولاكو ملك الملوك فزجوه

في السجن في قلعة نجم وهكذا ظلت طائفته الحلبية دون راع ولكنهم كانوا يجتمعون في بيعة الملكين فهجم عليهم التتر وقتلوهم وسبوهم اه وقال صاحب كتاب عناية الرحمن ما خلاصته انه في اواسط القرن الثالث عشر لم يرد من الآثار السريانية ذكر لاساقفة حلب حتى اواخر القرن الخامس عشر قال ولعل سبب ذلك هو ان هولاكو وخلفاءه ابادوا المسيحيين قاطبة من حلب ونواحيها ومن سوريا اه قلت قدمنا ذكر هذه العبارة في الكلام على النصارى بعد الفتح الاسلامي فليراجع

وفي هذه السنة وصل البرنلي الى حلب وكان التتر قد رحلوا عنها وحين قدوم البرنلي اليها كان بها فخر الدين الحمصي جهزه اليها علاء الدين ايدكين البندقداري نائب السلطنة بدمشق للكشف على البيره فان التتر كانوا قد نازلوها فلما قدم البرنلي الى حلب قال لفخر الدين نحن في طاعة الملك الظاهر صاحب مصر فامض اليه واسأله ان يتركني ومن معي في هذا الطرف فلما سار فخر الدين ليؤدي هذه الرسالة تمكن البرنلي واحتال على ما في حلب من الحواصل واستبد بالامر وجمع العربان والتركمان واستعد لقتال عسكر مصر فالتقى الحمصي في الرمل مع جمال الدين المحمدي الصالحي متوجهاً لقتال البرنلي المذكور فانضم اليه ولحق بهما علم الدين سنجر الحلبي ثم عز الدين الدمياطي وساروا جميعاً بمن معهم من العسكر الى حلب وطردوا البرنلي عنها وفيها قتل الملك الناصر يوسف بن الملك العزيز بن الملك الظاهر بن السلطان صلاح الدين الايوبي قتله واخاه وعدة امراء هولاكو في بلاد العجم لما بلغه خبر كسر عسكره

بالشام وكانوا معتقلين معه وفي سنة ٦٦٠ جهز الملك الظاهر عسكراً الى حلب ومقدمهم شمس الدين سنقر الرومي فامنت بـلاد حلب وعادت الى الصلاح ثم تقـدم الملك الظاهر الى شمس الدين المذكور والى الملك المنصور صاحب حمـاه والى الملك الاشرف صاحب حمص ان يسيروا الى انطاكية وبلادها للاغارة عليها واقلاق صاحبها البرنس بيمد فساروا اليها ونهبوا بلادها وضايقوها ثم عادوا فتوجهت العساكر صحبة شمس الدين سنقر الرومي الى مصر ومعهم ما ينوف عن ثلاثمائة اسير

﴿ مبايعة الخليفة في حلب ﴾

وفي هذه السنة وهي سنة ٦٦ قدم حلب ابو العباس احمد بن علي الذي لقب الحاكم بامر الله الاول وكان غائباً وقت الفتنة ببغداد فقدم حلب وبايعه بالخلافـة كثير من الناس ثم كاتب الملك الظاهر بيبرس فاستقدمه الى مصر وبايعه واستمر بها خليفة الى ان توفي سنة ٧٠٦ وفي سنة ٦٦٣ او التي بعدها امسك الملك الظاهر زامـل بن علي امير العرب بمكاتبة عيسى بن المهنا

﴿ استيلاء الملك الظاهر على يافا وانطاكية وغيرهامن البلاد الشامية ﴾

في سنة ٦٦٦ في مستهل جمادي الاخرة منها توجه الملك الظاهر من مصر الى الشام وفتح يافا في العشر الاوسط من الشهر من الفرنج الصليبيين ثم سار ونازل انطاكية في مستهل رمضان وزحف اليها وملكها

بالسيف يوم السبت رابع رمضان وقتـل وسبى وغنم واسر منها شيئاً عظيماً وكانت للبرنس بيمند وله معهـا طرابلس الشام وكان بطرابلس لما فتحت انطاكية وفي ثالث عشر هذا الرمضان استولى الملك الظاهر على بغراس وكانت خالية لانهزام اهلها منها عندما فتحت انطاكية فاستولى عليهـا وشحنها بالرجال والعـدة وفي سنة ٦٧٠ اغار التتر على عينتاب والروج وقميطون الى قرب افامية ثم عادوا وقد وصل الملك الظاهر مع معسكره الى حلب وفي هذه السنة ملك التتر البيره فقصدهم السلطان واوقع بهم فقتل واسر منهم عدد كبير . وفيها اوقع السلطان بطائفةمن التتر كانوا على شاطئ الفرات وفي سنة ٦٧٣ قصد السلطان ابن هيثوم الارمني ملك سيس والمصيصة وفتك بالارمن فتكاً ذريعاً واحرق وسبى وهدم وكان فتحاً عظيماً ثم عاد الى الديار المصرية وفي سنة ٦٧٤ نازل التتر البيرة واسم مقدمهم اقطاي فتوجـه اليهم الملك الظاهر من دمشق فرحلوا عنها وبلغه خـبر رحيلهم وهو بالقطيفة فاتم السير الى حلب ثم عاد الى مصر وفي سنة ٦٧٥ قدم امراء الروم وفوداً على الملك الظاهر وهم بيجار الرومي وولده بهادر واحمد بن بهادر وغيرهم فاجتمع بهم الملك الظـاهر بحلب واكرمهم وعاد الى مصر وفي يوم الخميس لعشرين من رمضان وصل الملك الظاهر لحلب وسار منهـا الى النهر الازرق ثم الى ابلستين والتقى بجمع من التتر فانهزموا وقتـل مقدمهم وغالب كبرائهم واسر منهم جماعة كثيرة من امرائهم ومن جملتهم سيف الدين قلجق وسيف الدين ارسلان ثم سار الملك الظاهر الى قيسارية واستولى

عليها وخطب له في منابرها ثم رحل عنها وحصل للعسكر شدة عظيمة من نفاذ القوت والعلف حتى وصلوا الى العمق فاقاموا شهراً ورحلوا لى دمشق وفي سنة ٦٧٨ عزل عن نيابة دمشق ايدمر اقوش الشمسي وولى نيابة السلطنة بحلب وفي سنة ٦٧٩ توفي ايدمر اقوش الشمسي نائب السلطنة بحلب وولي مكانه علم الدين سنجر الباشغردي

﴿ عود التتر الى حلب ﴾

وفي يوم الجمعة حادي عشر جمادي الاخرة من هذه السنة وصل من عساكر التتر طائفة عظيمة الى حلب وقتلوا من كان بها ظاهراً وسبوا واحرقوا الجوامع المعتبرة ودار السلطان ودور الامراء الكبار وابدوا فساداً كبيراً وكان اكثر من تخلف بحلب قد استتر في المغاير وغيرها واقاموا بحلب يومين على هذه الصورة وفي يوم الثلاثا ثالث وعشرين منه رحلوا عن حلب الى بلادهم وكان السلطان الملك المنصور سار اليهم من مصر ووصل الى غزه فلما سمع برجوعهم عاد الى مصر وفي سنة ٦٨١ ولى السلطان مملوكه شمس الدين قراسنقر نيابة حلب فسار اليها واستقر بها وفي سنة ٦٨٢ كاتب الحكام بقلعة الكختا قراسنقر نائب حلب وسلموها لعسكره وصارت من اعظم الثغور الاسلامية وفي سنة ٦٨٨ جمع تنقرا نائب التتر بملطية جمعاً كثيراً واغار على بلد كركور فجهز اليهم قراسنقر نائب حلب عسكراً وامراء الى بلاد الروم فوصلوا قلعة قراسار وهي من احصن القلاع فحاولوها فيسر الله فتحها عليهم واخذ النائب بها فرس الدين

اسيراً وهو من اعيان امراء المغل ثم قصد العسكر قلعة زمطر ففتحوها عنوةً وقتلوا من فيها من المقاتلة ومن العجائب ان من سلم من هذه الوقعة من اعيان المغل وهرب التجأ الى ملطية فنزلوا بدار كبيرة فسقطت عليهم فماتوا تحت الردم وفي سنة ٦٩٠ كملت عمارة القلعة وكان قد شرع قراسنقر بعمارتها في ايام السلطان الملك المنصور فتمت في ايام الملك الاشرف فكتب اسمه عليها وكان خربها هولاكو سنة ٦٥٨ فلبثت خراباً نحو ثلاث وثلثين سنة

❊ انقراض دولة الصليبيين من سوريا وفلسطين ❊

وفي هذه السنة اعني سنة ٦٩٠ فتح الملك الاشرف صلاح الدين خليل ابن الملك المنصور قلاوون مدينة عكا واخذها من الصليبيين وغنم منها ما لا يكاد يحصى وقد ضعف امر الصليبيين الذينهم بساحل سوريا فاخلوا صيدا وبيروت وصور وغيرها مما كان باقياً في ايديهم وبذلك انتهت دولتهم من سوريا وسواحلها بعد ان كادوا يستولون على مصر

❊ وصول الملك الاشرف الى حلب وفتحه قلعة الروم ❊

وفي سنة ٦٩١ وصل الى حلب الملك الاشرف صاحب مصر ومعه جيش كبير من العساكر قاصداً فتح قلعة الروم من الارمن فسار اليها ونازلها ونصب عليها المجانيق ودام الحصار عليها حتى فتحت بالسيف يوم

السبت حادي عشر رجب وقتل من اهلها وسبي من ذراريها عدة كثيرة واعتصم كتاغيكوس خليفة الارمن فيها وغيره في القلعة ثم طلبوا الامان فامنهم على ارواحهم خاصة وان يكونوا اسرى عن آخرهم ورتب السلطان علم الدين سنجر لتحصينها واصلاحها وعاد الى دمشق وفي مرور السلطان من حلب عزل نائبها قراسنقر المنصوري وولى مكانه سيف الدين بلبان المعروف بالطباخ وكان نائب الفتوحات ومقامه بحصن الاكراد فولى مكانه عز الدين ايبك الخزندار المنصوري وفي سنة ٦٩٢ كتب الملك الاشرف لبعض عسكره بحمص والى صاحب حماه والى عمه الملك الافضل بالمسير الى حلب والمقام بها ارهاباً للتتر فساروا جميعاً ودخلوا حلب يوم الثلاثا تاسع وعشرين شعبان الموافق رابع شهر آب

﴿ افتتاح بلاد سيس ﴾

وفي سنة ٦٩٧ قدم الى حلب يكناس بدر الدين الفخري امير سلاح الملك الصالح وتوجه الى بلاد سيس وصحبته الامير علم الدين سنجر الدوادار وصاحب حماه ونائب صفد وعساكر مصر والشام ومقدم الجميع يكناس المذكور فوصلوا اليها في رجب وشنوا عليها الغارات ونادوا في اطرافها بالثارات فاسروا وحكموا واسروا وغنموا ونازلوا قلاعها واخلوا من السكان بقاعها ولم يزالوا مقيمين عليها حتى اخذوا حموص وتل حمدون وسعلان والنقير وسودان ومرعش وما هو من جنوبي جيحان ثم رجعوا الى حلب فرحين مسرورين فاقاموا بها مدة ثم ساروا

الى اماكنهم

❃ عود التتر الى حلب وما حدث فيها من سنة ٦٩٧ الي ٧١٣ ❃

وفي سنة ٦٩٨ قويت الاخبـار بتحريك التتر نحو البـلاد الشامية وجرد الملك المظفر عسكر حماه الى حلب حتى وصل الى المعرة فبعث اليهم سيف الدين بلبان الطباخ نائب حلب كتاباً بتراخي التتر فعادوا ثم بعث اليهم كتاباً آخر يستحثهم على الحضور فساروا الى حلب ودخلوها في الثالث والعشرين من رمضان ولما قويت هذه الاخبار استخرج السلطان من غالب الاغنياء بمصر والشام ثلث اموالهم لاستخدام المقاتـلة وفي سنة ٦٩٩ سار قازان بن ارغون بجموع عظيمـة من المغل والكرج والمزندة وغيرهم وعبروا الفرات ووصـل بجموعه الى حلب ثم الى حماه ثم سار ونزل على وادي مجمع المروج وسارت اليه عساكر السلطان الملك الناصر واشتبك القتال بين الفريقين وتمت الهزيمة على المسلمين واحتوى التتر على اثقالهم وتبعوا العساكر الى غزة واستولوا على عدة بلاد اعظمها دمشق واستمروا فيها الى ان سمعوا برجوع عسكر مصر اليهم ففارقوها وساروا الى الشرق وفيها دخل قراسنقر الى حلب نائباً بها عن السلطان وفي سنة ٧٠٠ عاد التتر الى الشام وخلت بلاد حلب وسار قراسنقر بعسكر حلب الى حماه واقام التتر ببلاد سرمين وتيزين والعمق وغيرها ينهبون ويقتلون وسارت اليهم العساكر وصادف في هذه المدة تدارك الامطار وكثرة الوحول بحيث عجز عسكر المسلمين عن الاقامة في تلك

المحال لتعذر وصول القوت اليهم فرجع الى مصر كما اتى ودام التتر على افسادهم في بلاد حلب نحو ثلاثة اشهر ثم ارتدوا على اعقابهم دون سبب يعلم ورجع عسكر حلب مع قراسنقر الى حلب وتراجعت الجفال الى اماكنهم وفيها الزم السلطان الملك الناصر محمد اهل الذمة ان يلبسوا الغيار فلبس اليهود عمائم صفرا والنصارى زرقاً والسامرة حمرا بعد ان اجتهدوا في دفع ذلك ببذل الاموال لارباب الدولة فما افادهم وفي سنة ٧٠٣ سارت عساكر مصر وحماه الى حلب وانضم اليهم عسكرها وقصدوا بلاد سيس وحاصروا تل حمدان وفتحوها بالامان من ايدي الارمن وهدموها الى الارض وفي سنة ٧٠٥ في اوائل المحرم المصادف عشرين من تموز ارسل قراسنقر نائب حلب مملوكه قشتمر الى بلاد سيس وكان المملوك المذكور اخرق سكيراً ففرط في حفظ العسكر ولم يطالع العدو فجمع صاحب سيس جموعاً كثيرة من التتر والارمن والفرنج وكبسوا قشتمر ومن معه فولى الحلبيون منهزمين وتمكن التتر والارمن منهم وافنوا غالبهم ومن سلم منهم اختفى في تلك الجبال ولم يصل منهم الى حلب الا قليل حفاة عراة وفي سنة ٧١٠ ولى نيابة حلب سيف الدين قبجق عوضاً عن قراسنقر فلم تطل مدته بها ومات قبل انتهاء السنة وولى مكانه استدمر وولى نيابة السلطنة بالفتوحات بحلب جمال الدين اقوش الافرم ثم ان استدمر المذكور استقر بحلب وصدر السلطان متوغر عليه لجرائم سبقت منه فلم يشعر الا ووصل اليه جم غفير من العساكر المصرية وعساكر حماه وحمص فقبضوا عليه وجهزوه الى مصر مقيداً وضبط ماله

الى بيت المال وكان ذلك في اليوم الحادي عشر ذي الحجة وفي سنة ٧٩١ لما قبض على اسندمر سأل قراسنقر نائب دمشق من السلطان ان يعيده الى نيابة حلب لتعوده عليها فرسم له بما طلب وحضر قراسنقر الى حلب واستقر بها الى اوائل شوال واستأذن للحجاز فاذن له فخرج من حلب واضمر في نفسه العصيان واجتمع بامير العرب مهنا بن عيسى واتفقا على المشاقفة فبلغ السلطان ذلك فسير الى قراسنقر ومهنا يطيب خاطرهما فلم يرجعا عن اصرارهما فجرد اليهما عسكراً فخاما عن لقائه الى جهة الفرات وبقي العسكر بحلب والحاكم عليها المشدون والنظار وليس لها نائب وفي سنة ٧١٢ في العشر الاول من ربيع الاول وصل نائب السلطان الى حلب وهو سيف الدين سودي الجمداري الاشرفي الناصري عوضاً عن قراسنقر المذكور وفيها قويت اخبار التتر وجفل اهل حلب وبلادها وكان وصل الى حلب لمدافعتهم الملك المؤيد ابو الفدا مع عساكره وعسكر دمشق ثم وصل التتر الى بلاد سيس والفرات فعندها رحل الامير سيف الدين سودى مع العساكر الى حماه ودخلها يوم السبت سابع رمضان واقام بظاهر حماه. ونزل بعض العسكر في الخانات وكان البرد شديداً والجفال قد ملؤا البلد وكان التتر نازلين على الرحبة مجدين في حصارها فلما طال حصارهم لها وقع بهم الغلاء ورحلوا عنها في السادس والعشرين رمضان واستولى اهل الرحبه على الات حصارهم وعاد سودى نائب حلب بمن معه من العساكر الحلبية وفي هذه السنة سعى سيف الدين سودى بجر ماء من نهر الساجور الى نهر حلب ففتح له مجرى

انفق عليه نحو ثمانمائة الف درهم نصفها من ماله والنصف الآخر من بيت المال وقبل ان يتم العمل قيل له ان من يسعى بجر ماء من الساجور الى قويق يموت بغتة فترك العمل وذهب ما صرفه سدى وفي سنة ٧١٣ خرجت معرة النعمان من معاملات حماه واضيفت الى معاملات حلب وفي رجب سنة ٧١٤ توفي الامير سيف الدين سودى نائب حلب وكان مشكور السيرة وولى السلطان مكانه الامير علاء الدين الطونبغا الحاجب فوصل الى حلب في اوائل شعبان وقد انتفعت حلب بهذا النائب وعمر جامعه بالميدان الاسود ونقل اليه اعمدة عظيمة من قورس وعمرت بسبب هذا الجامع اماكن كثيرة وقد سبق الكلام عليه في محله الطونبغا في الجزء الثاني وفي سنة ٧١٥ في شعبان سار شطر جيش حلب لحصار قلعة عرقينه من اعمال آمد فتسلموها بالامان بلا كلفة وقتلوا بها طائفة وسلخ اخو مندوه وعلق على القلعة واغار العسكر على قرى الارمن والاكراد ورجعوا سالمين وفي سنة ٧١٦ في نيسان ترادفت الامطار في بلاد حلب وحماه وحمص وحملت السيول وغرقت ضيعة من بلاد حمص ووقع مع المطر في بعض الجهات برد الواحدة في حجم النارنجة وصحبه شيء من السمك والضفادع وطمى السيل على الوهاد واغرق ما مر به وخرب كثيراً من الاماكن وحمل عدة بيوت من العرب والتركمان والاكراد

﴿ غزو بلاد سيس ﴾

وفي سنة ٧٢٠ قدم على حلب عساكر دمشق وساروا جميعاً صحبة الطونبغا نائب حلب الى بلاد سيس وقتحموا نهر جيحان وكان زائداً فغرق به بعض العسكر ثم نازلوا قلعة سيس وزحف العسكر حتى بلغ السور وغنموا منها واتلفوا البلاد والزروع وساقوا المواشي وكان شيئاً كثيراً ثم عادوا وقطعوا جيحان وكان قد انحط ودخلوا حلب في اواخر ربيع الآخر وسار كل لبلده وفي سنة ٧٢٢ قدم الى حلب عسكر مصر ودمشق والساحل وانضم اليهم عسكر حلب وساروا جميعاً صحبة الطنبغا نائب حلب الى اياس من بلاد سيس ونازلوها وملكوها بالسيف وعصت عليهم القلعة اولاً ثم هرب منها الارمن والقوا فيها النار وملكها المسلمون وهدموا منها ما امكنهم وفي سنة ٧٢٣ اجدبت الارض من دمشق الى حلب وانحبس المطر ولم ينبت الا القليل واستسقى الناس فلم يسقوا وفي سنة ٧٢٤ رسم السلطان بابطال المكوس عن سائر اصناف الغلة بالشام فابطلت وكان شيئاً كثيراً وفي سنة ٧٢٥ افتى قاضي القضاة كمال الدين ابن محمد بن علي الزملكاني بتحريم الاجتماع بمشهد روحين ودير الزربه واشباههما ومنع من شد الرحال اليها ونودي بذلك في المملكة الحلبية فانه كان يشتمل على منكرات وبدع وعملت في تحريم ذلك المقامة المشهدية وفي سنة ٧٢٧ في اخر المحرم طلب الطنبغا الى الديار المصرية ثم في صفر وصل الى حلب مكانه الامير سيف الدين ارغون الناصري

وفيها انتزع القاضي ابن الزملكاني كنيسة اليهود المجاورة للعصرونية وقد تكلما على ذلك في ترجمته وفي الكلام على اليهود في المقدمة وفي سنة ٧٣١ نهار الاربعا تاسع صفر وصل نهر الساجور الى حلب فزيد به نهر قويق بساقية بناها الامير ارغون الدوادار وكان يوم وصوله يوماً مشهوداً خرج لتلقيه ملك الامراء وسائر الناس مشاة مكبرين مهللين وكان قبله الامير سودي شرع باجرائه الى حلب فقيل له من جره يموت في عامه فتركه وقيل مثل ذلك لارغون فلم يلتفت الى هذا القول فمات بعد اربعين يوماً وذلك في ربيع الاول وخرجت جنازته مكشوفة عليها كساء خلق من غير ندب ولا نياحية ولا قطع شعر ولا لبس جل ولا تحويل سرج طبق ما اوصى به ودفن بسوق الخيل قبلي القلعة وعملت له تربة حسنة سقفها السماء وقبره دارس وكان متقناً لحفظ القرآن الكريم مثابراً عليه متشرعاً في احكامه كتب بخطه صحيح البخاري بعدما سمعه على الشيخ ابي العباس احمد بن الشحنه الحجار ووزيرة بنت عمر اسعد النجا بمصر في سنة ٧١٥ بقرائة الشيخ ابي حيان واقتنى الكتب النفيسة وكان فيه ديانة رحمه الله وفي جمادي الاولى سنة ٧٣١ عاد الامير علاء الدين الطنبغا الى نيابة حلب وفرح الناس به واظهروا السرور وفي سنة ٧٣٣ في خامس شعبان وصل حلب شادا الامير بدر الدين لؤلوء القندشي وعلى يده تذاكر وصادر المباشرين وغيرهم ومنهم النقيب بدر الدين محمد بن زهرة الحسيني والقاضي جمال الدين بن ريان ناظر الجيش وناصر الدين محمد بن قرناص عامل الجيش وعمه المحبي عامل المحلولات

وعدة ذوات من الحلبيين واشتد به الخطب وانزعج الناس كلهم البر يئون وفتنت الناس في الصلاة يدعون عليه وقال ابن الوردي فيه

قلبي لعمر الله معلول   بما جرى للناس مع لولو
يا رب قد شرد عنا الكرى   سيف على العالم مسلول
وما لهذا السيف من مغمد   سواك يا من لطفه سول

لولو هذا كان مملوكاً لقندش ضامن المكوس في حلب ثم صار ضامن العداد ثم صار منه ما صار وعزل ونقل الى مصر ففعل بها اعظم ما فعله بحلب وعاقب حتى المخدرات وفي سنة ٧٣٥ في شوال عاد عسكر حلب ونائبها من غزاة بلد سيس وقد خربوا بلدادنه وطرسوس واحرقوا الزرع واستاقوا المواشي واتوا بمائتين وار بعين اسيراً وماعدم منهم سوي شخص واحد غرق في النهر وكانوا عشرة الاف سوى من تبعهم . فلما علم اهل اياس بذلك احاطوا بمن عندهم من المسلمين التجار البغاددة وغيرهم نحو الف نسمة وحبسوهم في خان واحرقوهم وقليل من نجا منهم وذلك في يوم عيد الفطر واحترق في حماه مائتان وخمسون حانوناً واحترقت انطاكية الا القليل منها وفي سنة ٧٣٦ وصل الامير سيف الدين ابو بكر الباشري الى حلب وصحب معه منها الرجال والصناع لعمارة قلعة جعبر وكانت خربة من زمن هولاكو وهي من امنع القلاع وقد لحق المملكة الحلبية وغيرها بسبب عمارتها ونفوذ ماء الفرات الى اسفل منها كلفة كثيرة وفي صفر طلب من البلاد الحلبية رجال للعمل بنهر قلعة جعبر ورسم ان يؤخذ من كل قرية نصف اهلها نخلت عدة ضياع بسبب ذلك ثم طلب من اسواق حلب رجال استخرجت

اموالهم وتوجه نائب حلب الى القلعة المذكورة مع قريب من عشرين الف رجل وفي سنة ٧٣٧ توفي الامير الشاب الحسن جمال الدين خضر ابن ملك الامراء علاء الدين الطنبغا نائب حلب ودفن بتربة حسنة بالمقام عملها له والده عند جامع المقام خارج حلب وفي رمضان قدم الى حلب امراء من مصر ودمشق وطرابلس وحماه ومعهم عسكرهم والمقدم على الكل الطنبغا نائب حلب ورحلوا الى بلاد الارمن وحاصروا ميناء اياس ثلاثة ايام ثم قدم رسول الارمن من دمشق بكتاب نائبها يتضمن طلب الكف عنهم على ان يسلموا البلاد والقلاع التي في شرقي نهر جيحان فتسلموا منهم ذلك وهو ملك كبير وبلاد كثيرة كالمصيصة وكوبرا والهارونية وسرفندكار واياس ونجيمة والنقير فخرب المسلمون برج اياس الذي في البحر واستنابوا في البلاد وعادوا منها في ذي الحجة وفيها ورد الامر بالسماح في جميع مراكز المملكة عما يؤخذ على الاغنام الدغالي الداخلة الى حلب وان يقتصر باخذ الرسم على الاغنام الكبار وفيها وقف صلاح الدين يوسف بن الاسعد الدواتدار داره النفيسة بحلب المعروفة اولاً بدار ابن العديم مدرسة على المذاهب الاربعة وشرط تدريسها على القاضي الشافعي والقاضي الحنفي وفي سنة ٧٣٨ في صفر توفي بدر الدين بن محمد بن ابراهيم بن الدقاق الدمشقي ناظر الاوقاف بحلب وفي ايام نظره فتح الباب المسدود الذي بالاموي شرقي المحراب الكبير لانه سمع بمكانه رأس زكريا عليه السلام فارتاب في ذلك فاقدم على فتح الباب بعد ان نهي عنه فوجد باباً عليه تأزير رخام

ابيض ووجد فيه تابوت رخام ابيض فوقه رخامة بيضاء مربعة فرفعت الرخامة عن التابوت فاذا فيها بعض جمجمة فهرب الحاضرون هيبة لها ورد التابوت بغطائه الى موضعه وسد عليه الباب ووضعت خزانة المصحف الشريف على الباب وقد اثرت هذه الهيبة بالناظر المذكور وابتلي بالصرع الى ان عض على لسانه فقطع ومات

وفي العشر الاوسط من ربيع الآخر عزل ملك الامراء علاء الدين الطنبغا عن نيابة حلب وفي العشر الاول من جمادي الاولى قدم الى حلب الامير سيف الدين طوغاى نائباً بها وفي سنة ٧٣٩ نادى مناد في جامع حلب واسواقها وقدامه شاد الوقف بدر الدين تيليك الاسند من امراء العشرات بما صورته معاشر الفقهاء والمدرسين والمؤذنين وارباب الوظائف الدينية قد برز المرسوم العالي ان كل من قطع منكم وظيفته وغمز عليه يستأهل ما يجري عليه فانكسرت لذلك قلوب الناس لان هذا النداء يدل على بغض اهل العلم والدين ثم نكب بدر الدين لكلمة صدرت منه وعقد له بدار العدل يوم العيد مجلس مشهور وافتى العلماء بتجديد اسلامه وعزله وضربه فشمت به الناس وفي سنة ٧٤١ عزل طرغاي عن حلب وكان على طمعه يصلي و يتلو كثيراً وفيها وصل الى حلب نائباً عليها طشتمر سيف الدين الناصري المعروف بحاجي خضر وفيها وصل الى حلب فيل وزرافة جهزهما الملك الناصر لصاحب ماردين وفي سنة ٧٤٢ نهب الطنبغا مال طشتمر حاجي خضر نائب حلب لانه لم يوافقه على رأيه في خلع السلطان وهرب طشتمر المذكور الى الروم

وفيهـا عوقب بحلب لولو القندشي المكاس المتقدم ذكره وعذب بدار العدل حتى مات واستصفى ماله وشمت به الناس

وفي ذي الحجة وصل الامير علاء الدين ايدغمش الناصري الى حلب نائباً في حشمة عظيمـة وخلع على كثير من النـاس واقام الى صفر ثم نقل الى نيابة دمشق وتأسف الحلبيون عليه وفي هذه السنة وهي سنة ٧٤٢ توفي احد امراء حلب بدر الدين محمد بن الحـاج ابي بكر ودفن بجامعه الكائن قرب جسر الدباغة المعروف بمسجد اولاد ابي بكر : وقد اسلفنا الكلام عليه عند ذكر محلة جسر السلاحف من الجزء الثاني : وفي هذه السنة ولي حلب الامير سيف الدين طقزتمر الحموي ودخلها في عاشر صفر سنة ٧٤٣ وفي رجب هذه السنة نقل طقزتمر الى نيابه دمشق وولي مكانه حلب الامير علاء الدين الطنبغا المارداني وفيها وصل علاء الدين القرع الى حلب قاضياً للشافعية واول درس القـاه بالمدرسة قال فيـه كتاب الطهـارة باب الميات بابدال الهـاء تاء قال ابن الوردي فقلت للحاضرين لو كان باب الميات لما وصل القرع اليه ولكنه باب الالوف ثم قال القاضي قال الله تعالى وجعلها كلمة باقية في عنقه مكان في عقبـه فقـال ابن الوردي لا والله ولكنهـا في عنق من ولاه فاشتهر عن ابن الوردي هاتان التنديدتان في الافاق وفيها توفي بحلب الشيخ كمال الدين المهمازي وكان مقبولاً عند الملك الناصر ووقف عليه حمـام السلطان وسلم اليه تربة ابن قره سنقر وبه سميت هذه التربة وفيهـا اعتقل القرع بقلعة حلب معزولاً ثم فك عنه الترسيم وسافر الى القاهرة وفيها توفي

بحلب الحاج معتوق الدبيسري وهو الذي عمر الجامع بطرف بانقوسا ودفن بتربة بجانب الجامع وفي سنة ٧٤٤ في صفر توفي الامير علاء الدين الطنبغا المارداني نائب حلب ودفن خارج باب المقام

﴿ تمزيق كتاب فصوص الحكم ﴾

قال ابن الوردي وفيها مزقنا كتاب فصوص الحكم بالمدرسة العصرونية بحلب عقيب الدرس وغسلناه وهو من تصانيف ابن عربي تنبيهاً على تحريم قنيته ومطالعته وفي ربيع الاول وصل الامير سيف الدين يلبغا اليحيادي نائباً الى حلب وكان حسن السيرة وفيها حاصر يلبغا نائب حلب زين الدين قراجا بن دلغادر التركماني بجبل الدلدل وهذا الجبل ممتنع موقعه في جانب جيحان فلم ينل منه يلبغا طائلاً بل قتل كثير من عسكره واسر واشتهر اسم زين الدين وعظم على الناس شره وكانت هذه الحركة من يلبغا في غير محلها وفيها كانت الزلزلة العظيمة المزعجة العميمة اخربت كثيراً من الاماكن ودخلت الى مصر والشام وتواتر بعدها الزلزال مدة فسكن الناس في الصحاري وتشعث في جامع حلب بعض الجهات وانفتحت منارته ثم التأمت وتهدم كثير من القلاع والحصون ومات تحت الردم خلق كثير وكاد الخراب يعم مدينة منبج وفيها يقول ابن الوردي

منبج اهلها حكوا دود قز … عندهم تجعل البيوت قبورا
رب نعمهم فقد الفوا من … شجر التوت جنة وحريرا

وقال ابو محمد الحسن بن حبيب الحلبي فيمن خرج الى بر حلب خوفاً

من الزلزلة

يافرقة فرقوا وعن حلب نأوا | وتباعدوا لما رأوا زلزالها
ما زلزلت شهباؤنا وتحركت | الا لتخرج عامداً اثقالها

وفي سنة ٧٤٦ في ربيع الاخر نقل يلبغا نائب حلب الى نيابة دمشق وخلفه الامير سيف الدين ارقطاي فابطل الخمور والفجور بعد اشتهارها ورفع عن القرى الطرح وكثيراً من المظالم ورخص السعر وسر به الحلبيون وفيها كتب على باب القلعة وغيرها من القلاع نقرا في الحجر ما مضمونه مسامحة الجند بما كانوا يدفعونه لبيت المال بعد وفاة الجندي والامير وذلك علوفة احد عشر يوماً عن كل سنة امضاها المستوفي في الجندية وهذا القدر هو التفاوت بين السنة الشمسية والقمرية وهذه مسامحة بمال عظيم وفي محرم سنة ٧٤٧ طلب ارقطاي نائب حلب الى مصر فسار اليها وفي ربيع الاول وصل الى حلب الامير سيف الدين طقتمر الاحمدي نائباً عليها ثم في رجب منها سافر الى مصر لوحشة بينه و بين نائب دمشق لانه لم يساعده على خلع السلطان الكامل صاحب مصر والشام ثم في شعبان منها وصل الى حلب نائباً عليها الامير سيف الدين بيدمر البدري وكان عنده حدة وقسوة كرهت فتاة زوجها قبل ان يدخل عليها فلقنت كلمة الكفر لينفسخ نكاحها وهي لا تعلم معناها فامر بيدمر فقطعت اذناها وشعرها وعلق ذلك على عنقها وشق انفها وطيف بها على دابة بحلب وتيزين وهي من اجمل البنات واحياهن فشق ذلك على الناس وعمل النساء عليها عزاء في كل ناحية حتى نساء اليهود وانكرت

القلوب فبعح ذلك قال ابن الوردي

وضج الناس من بدر منير　　يطوف مشرعاً بين الرجال
ذكرت ولا سواء بها السبايا　　وقد طافوا بهن على الجمال

وفي محرم سنة ٧٤٨ وصل الى حلب شهاب الدين بن احمد بن الرياحي على قضاء المالكية بحلب وهو اول مالكي استقضى بحلب وفيها ظهر بين منبج والباب جراد عظيم صغير من بزر السنة الماضية فخرج عسكر من حلب وخلق كثير من فلاحي النواحي الحلبية نحو اربعة الاف نفس لقتله ودفنه وقامت عندهم اسواق وصرفت من الرعية اموال وهذه سنة ابتدأ بها الطنبغا الحاجب من قبلهم وفي المحرم سافر الامير ناصر الدين المحبي من حلب بعسكر لتسكين فتنة ببلد شيزر بين العرب والاكراد فقتل فيها من الاكراد نحو خمساية نفس ونهبت اموال ودواب وفيها ثار الارمن في ياس فنكل بهم امير اياس حسام الدين الشيباني وارسل من روسهم الى حلب وفي منتصف ربيع الاول سافر البدري نائب حلب الى مصر معزولاً انكروا عليه فعله في البنت المتقدم ذكرها وندم على ما فعل وفيه وصل الى حلب نائباً ارغون شاه الناصري في حشمة عظيمة وفي ربيع الاخر قدم على كركر ولختا عصافير كالجراد المنتشر فسار الناس الى شيل غلات البذر وهذا حمام لم يسمع بمثله وفيه وصل تقليد القاضي شرف الدين موسى بن فياض الحنبلي بقضاء الحنابله بحلب فصار القضاة اربعة ولما بلغ بعض الظرفاء ان حلب تجدد بها قاضيان مالكي وحنبلي انشد قول الحريري في اللمحة

ثم كلا النوعين جاء فضله　　منكراً بعـد تمام الجمله

وفي جمادي الآخرة نقل ارغون شاه نائب حلب الى نيـابة دمشق وهو في غاية السطوة مقدم على سفك الدماء بلا تثبت قتل في هذه المدة اليسيرة خلقـاً كثيراً ووسّط وسمر وقطع بدو يا سبع قطع بمجرد الظن وغضب على فرس له ثمينة مرح بالعلافـة فضربه حتى سقط ثم قام فضربه حتى سقط وهكذا عدة مرات حتى عجز عن القيام فبكى الحاضرون على هذا الفرس فقيل فيه :

عقلت طرفك حتى　　اظهرت للناس عقلك

لا كان دهر يولى　　على بني الناس مثلك

وفي اواخر هذه السنة اعني ٧٤٨ وصل الى حلب نائباً فخر الدين اياز نقل اليها من صفد ثم في شوال منهـا الى مصر معتقلاً وفي ذي الحجة وصل الى حلب مكانه سيف الدين الحاج ارقطاي الناصري ولمـا دخل الى حلب اعفى الناس من زينة الاسواق لانها تكررت حتى سمجت

وفي شوال وصل الى حلب من قبل السلطان اسود ليأخذ على كل رأس غنم تباع بحلب وحماه ودمشق درهما فيوم وصوله الى حلب وصل خبر قتل مرسله السلطان فسر الناس بذلك وفيها كان الغـلاء بحلب وحماه ودمشق وحلب اخف غلاء من غيرها واشده بدمشق حتى انكشف الحال وجلا كثير من اهلها الى حلب وغيرها وصلت فيها غرارة الحب الى ثـلاثمائة درهم و بيع البيض كل خمس بدرهم واللحم الرطل بخمسة دراهم واكثر والزيت الرطل بستة او سبعة وفي العشر الاوسط

من آذار في هذه السنة وقع بحلب و بلادهــا ثلج عظيم وتكرر فاغاث الله به البــلاد واطمانت قلوب العباد وجاء عقيب غلاء الاسعار وقلة الامطار وفيها توفي الحاج اسماعيل بن عبــد الرحمن العزازي كان له منزلة عند الطنبغا الحاجب نائب حلب و بنى بعزاز مدرسة وساق اليها القناة الحلوة وانتفع الجامع و كثير من المساجد بهذه القناة وله آثار غير ذلك وفي سنــة ٧٤٩ اسقط القاضي المالكي الرياحي بحلب تسعة من الشهود ضربة واحدة فاستهجن منه ذلك واعيدوا الى عدالتهم ووظائفهم وفيها قتل بحلب زنديقان اعجميان كانا مقيمين بدلوك وفي ذي القعدة ظهر بمنبج على قبر النبي متى وقبر حنظله بن خويلد اخي خديجة رضي الله عنها (وهذان القبران بمشهد النور خارج منبج) وعلى قبر الشيخ عقيل المنبجي وعلى قبر الشيخ ينبوب وهما داخل منبج وعلى قــبر الشيخ علي وعلى مشهد المسيحات شمالي منبج انوار عظيمة وصارت الانوار تنتقل من قبر بعضهم الى قبر بعض وتجتمع وتتراكم ودام ذلك الى ربع الليــل حتى انتبه لذلك اهل منبج وكتب قاضيهم بذلك محضراً وجهــزه الى دار العدل بحلب

✵ طاعون كبير ✵

وفيها كان الفناء العظيم والطاعون العميم الذي جاز البلاد والامصار ولم يسمع به في سالف الاعصار واخلى الديار والبيوت واوقع الناس في علة السكوت وكان اذا طعن به انسان لا يعيش اكثر من ساعة رملية

واذا عاين ذلك ودع اصحابه واغلق حانوته وحضر قبره ومضى الى بيته ومات وقد بلغت عدة الموتى في حلب في اليوم الواحد نحو خمسمائة وبدمشق الى اكثر من الف ومات بالديار المصرية في يوم واحد نحو العشرين الفاً هكذا ورد الخبر واستمر نحو سنة وفني به من العالم نحو ثلثيهم وفيه يقول ابن الوردي

سألت بارئ النسيم — في رفع طاعون صدم
فمن احسّ بلع دم — فقد احس بالعدم

وقد كثرت فيه ارزاق الجنائزية فهم يلهون ويلعبون ويتقاعدون على الزبون ولو رأيت بحلب الاعيان وهم يطالعون من كتب الطب الغوامض ويكثرون في علاجه من اكل النواشف والحوامض ويستعملون الطين الارمني وقد بخروا بيوتهم بالعنبر والكافور والصندل وتختموا بالياقوت وجعلوا الخل والبصل من جملة الادم والقوت: قيل ان هذا الوباء ابتدأ من الظلمات قبل وصوله الى حلب بخمسة عشر عاماً وهو سادس طاعون وقع في الاسلام وعنه قيل انه الموتان الذي انذر به عليه السلام وفي سنة ٧٥٠ نقل الحاج ارقطاي الناصري الى نيابة دمشق فخرج اليها فمات بعين المباركة وحمل الى حلب ودفن بتربة سودى وولي حلب قطليجا الحموي فمات بعد شهر من ولايته فوليها بعده الامير ارغون الكاملي وفي سنة ٧٥١ كثر طغيان العرب والتركمان في بلد سنجار وتمادى بغيهم وفسادهم ونهبوا اموال التجار وقطعوا الطريق فركب اليهم الناصري نائب حماه مع العساكر الشامية وجد في حصارهم بقلعة

سنجار حيث تحصنوا بها وضيق عليهم الى ان نفـذ زادهم وطلبوا الامان فامنوهم وانزلوهم وانقطع فسادهم وزينت حلب يوم قـدوم الناصري منصوراً عليهم مظفراً بهم وفي سنة ٧٥٢ ولي نيابة حلب الامير سيف الدين بيبغاروس القاسمي وفي سنه ٧٥٣ اظهر بيبغاروس العصيان وانضم الى نائب صفد وحماه وطرابلس والامير زين الدين قراجا بن دالغـادر وساروا الى دمشق وحصروها الى ان مشى عليهم الملك الصالح فساروا عنها الى حلب وفي هذه السنة ولي نيابة حلب ثانية سيف الدين ارغون الكاملي وفيها في سلخ شعبان ورد على حلب نائب صفد وحماه وطرابلس ومعهم عدة عربان وتركمان وكانت خاليـة من العسكر والنواب وذلك قبل ان يصل اليها نائبها ارغون الكاملي المذكور وكان عسكر حلب في تجريدة فنزل النواب المذكورون بظاهر حلب من جهة القبلة وعسكرهم قد احاطوا بهم ثم زحفوا على المدينة فقتلوا جماعة من المسلمين واشرفوا على فتح حلب ثم انصرفوا عنها وكانت عاقبة نائبي صفد وحماه القتل في دمشق وعاقبة بيبغاروس القتل تحت قلعة حلب صبراً وفيها ظهر شخص بحلب يعرف بوضاح الخياط وادعى النبوة وذكر انه قيل له يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعاً فسجن واستتيب وفي سنة ٧٥٤ توجه ارغون الكاملي نائب حلب مع العساكر الحلبية الى مدينة البستان في طلب الامير قراجا بن دلغادر مقـدم التركمان ليقبض عليه بسبب اتفاقـه مع بيبغاروس فلما وصلوا اليها وجدوها مقفرة خالية وقد انهزم قراجا المذكور فجاسوا خلال الديار وهـدموا الحصون والاسوار وفي ذلك يقول ابن

حبيب الحلبي مخاطباً لارغون

نازلت ابلستين يا ليث الشري ونزيلك التوفيق والتمكين
اقوت معالمها واقفر اهلها وكذا ديار الظالمين تكون

ثم سار النائب المذكور يتتبع آثار المنهزمين حتى ادرك قراجا المذكور باطراف الروم وقد التجأ الى صاحبها فامسكه وجهزه الى السلطان بمصر فقتله وعاد ارغون الى حلب وفي سنة ٧٥٥ ولي نيابة حلب الامير سيف الدين طاز الناصري فاعتقل بعد ثلاث سنين وفي سنة ٧٥٨ مات ارغون الكاملي بالقدس الشريف وهو صاحب المارستان بحلب داخل باب قنسرين وقد وقف عليه قرية بنش من الغربيات وقد سبق الكلام عليه عند ذكر محلة باب قنسرين في الجزء الثاني وفي سنة ٧٥٩ ولي نيابة حلب سيف الدين منجك الناصري ثم في هذه السنة وليها الامير علاء الدين المارديني وفي سنة ٧٦٠ اجتمع اولاد مهنا ومن تبعهم من العرب وانضم اليهم جمع من بني كلاب وغزوا التركمان في العمق ونهبوا منهم ما يزيد على عشرين الف بعير وتواترت الحروب بينهم وانقطع الطريق واضطرب الناس وفيها ولي نيابة حلب الامير سيف الدين بكتمر المؤمني ثم وليها الامير سيف الدين بيدمر الخوارزمي

﴿ غزو بلاد سيس ﴾

وفي سنة ٧٦١ توجه النائب المذكور صحبة العساكر الحلبية لغزو بلاد سيس فوصلوا اليها ونازلوا اكثر مدنها واسروا وغنموا ثم اتوا الى طرسوس المدفون بها عبدالله المأمون بن هارون الرشيد ففتحوها من ايدي الارمن ومهدوها واصلحوا جوامعها واخذوا ما وجدوا من الخيول والاسلحة ثم دنوا من المصيصة وهي بلدة قديمة يجري بوسطها نهر جيحان فاستولوا عليها ثم فتحوا عدة قلاع في تلك البقاع ثم عادوا الى حلب سالمين وفي هذه السنة ولي حلب الامير شهاب الدين احمد ابن القشتمري وفي سنة ٧٦٢ وليها سيف الدين قطلوبغا الاحمدي وفي سنة ٧٦٣ وليها سيف الدين منكلي بغا الشمسي وفي هذه السنة ولي قضاء المالكية بحلب (احمد بن عبد الظاهر الدميري) عوضاً عن القاضي شهاب الدين الرياحي وبقي الى ان توفي بحلب سنة ٧٦٩ وفي سنة ٧٦٤ وليها ثانية قطلوبغا الاحمدي المذكور فمات بها بعد ثلاثة اشهر وفي سنة ٧٦٥ وليها الامير سيف الدين اشقتمر الماردیني

﴿ ابطال وكلاء الدعاوي ﴾

وفيها امر السلطان الملك الاشرف بابطال الوكلاء المتصرفين بابواب مصر والشام لانهم يتغلبون على الخصوم و يؤذونهم بما هو من كتب صناعتهم و يقبلون على ابطال الحقوق بقواعد معلومة بينهم و يلجئون

موكليهم الى الانكار فقوبل المرسوم الشريف بالطاعة و بطل ما كانوا يعملون وفي سنة ٧٦٦ ولي حلب سيف الدين جرجي وفي سنة ٧٦٧ توجه المذكور ومعه العساكر الى جزيرة من ديار بكر لمنازلة صاحبها الامير خليل بن قراجا دلغادر (١) التركماني وهي من اخصب الجزائر واحسنها وفيها قلعة احكمها صاحبها فشرع جرجي في حصارها وتردد اليها مدة اربعة اشهر فلم يظفر منها بطائل ثم ان صاحبها نزل بالامان من السلطان وتوجه الى الديار المصرية فقوبل بالاحسان وفي هذه السنة وهي سنة ٧٦٧ توجه الامير سيف الدين منكلي بغا وهو اتابك الجيوش بالديار المصرية وصحبته العساكر الحلبية الى مدينة اياس حين بلغهم ان الافرنج

(١) كلمة دلغادر محرفة عن ذي القدر وهي لقب طائفة من التركمان كانت في جهات الاناضول تحت حكم الدولة السلجوقيــة وقد عرفت بالسخاء والشجاعة والبطولة في محاربة اعداء الدولة وكانت مشاغب الارمن قد كثرت في اطراف المملكة السلجوقية وعجزت الدولة عن اخضاعها ولاسيما في مرعش والبستان وما اليهما من تلك الجهات فاقطعت الدولة قراجا بن ذي القدر الجهات المذكورة فقهر فيها الارمن واستفحل امره حتى استولى على عدة بلاد هو واعقابه من بعده وصاروا دولة مستقلة وكانت وفاته سنة ٧٨٨ وكانت مملكة ذي القدرية مرعش وهي عاصمتهم والبستان وملطية وعينتاب وعزاز وخرتبورت و بهسني ودارنده وقيرشهر وقيسارية وحصن منصور وقلعة الروم و بلاد سيس وغير ذلك وهم ينتسبون الى كسرى انوشروان و يقولون ان جدهم الاعلى كان يعرف بذي القدر وقد استمر ملكهم هذه البلاد الى سنة ٩٢٨ وفيها كان انقراض دولتهم عن يد بني عثمان ودخولها في ممتلكاتهم : تلقيت هذه النبذة مشافهة من متصرف مرعش المرحوم عارفي باشا الذي كان قبل توليه المتصرفية رئيس كتاب في مجلس ادارة الولاية

قصدوها في ماية قطعة من المراكب واقبلوا عليها فلما وصلوا وجدوهم قد برزوا الى الساحل ودخلوا المدينة وانهزم اهلها ونهبوا الامتعة والاقوات فتقدمت العساكر لقتالهم ومحو اثر من هجم على المدينة وتواتر قدوم العساكر الاسلامية من القلاع وهرب الافرنج الى جهة البحر فادركوا وقتل منهم جماعة واخذت خيلهم وسلاحهم وتألم كل الافرنج بسبب ذلك واستمرت العساكر في اياس الى ان يأسوا من عود الافرنج ثم رجعوا سالمين غانمين وفي سنة ٧٦٨ ولي منكلي بغا نيابة حلب وفيها تم بناء جامعه ونقش على بابه العبارة التي سبق ذكرها في الكلام عليه عند ذكر محلة ساحة بزه وفي سنة ٧٦٩ طمى نهر قويق وقلع الغراس واخرب بيوتاً كثيرة على شطه واهلك عدة مواش ووصل الى اماكن لم يصل اليها فيما مضى من الازمان وفي سنة ٧٦٩ ولى حلب علاء الدين طنبغا الطويل الناصري ومات مسموماً في آخر هذه السنة دس اليه السم السلطان لما بلغه انه يحاول السلطنة وفي سنة ٧٧٠ ولي حلب سيف الدين اسن بغا ابن ابي بكر ونقل الى مصر بعد ستة اشهر ووليها مكانـه سيف الدين قشتمر المنصوري فقتل في اواخر هذه السنة بوقعـة جرت بينه و بين العرب الكلابيين وغيرهم حيث كثر فسادهم في البر واخافوا السابلة ونهبوا عدة قبائل واستاقوا مواشيهم فقصدهم قشتمر المذكور واشتبك الحرب بينهم وانجلى عن قتله وقتل ولده وتشتت شمل العسكر واستولت العرب على سوادهم وقتلوا منهم جمعاً كثيراً ومن سلم عاد الى حلب باسوأ حال وفي سنة ٧٧١ ولي حلب سيف الدين اشقتمر الماردينى وفي سنـة ٧٧٢ في

جمادي الاولى ظهر في السماء نور ساطع في لون الشفق الاحمر وضحت به مفارق الطرق واستمر من اول الليل الى قرب الثلث الاخير وفي سنة ٧٧٣ ولي حلب عز الدين ايدمر الدوادار الناصري وفيها رسم الملك الاشرف شعبان ان كل شريف من اشراف الديار المصرية والشامية يسم عمامته بسمة خضراء توقيراً لهم ورعاية لحرمتهم وحفظاً لنسبهم فقال في ذلك الشيخ ابو عبدالله المغربي محمد بن جابر الهواري الاندلسي نزيل حلب

جعلوا لابناء الرسول علامة   ان العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوههم   يغني الشريف عن الطراز الاخضر

وقال ابن حبيب

الا قل لمن يبغي ظهور سيادة   تملكها الزهر الكرام بنو الزهرا
لئن نصبوا للفخر اعلام خضرة   فكم رفعوا للمجد ألوية حمرا

وقال محمد بن ابراهيم الدمشقي

اطراف تيجان اتت من سندس   خضر كاعلام على الاشراف
والاشرف السلطان خصهم بها   شرفاً لتعرفهم من الاطراف

وفي سنة ٧٧٤ ولي حلب سيف الدين اشقتمر ثانية وفيها وقع بالشام وبلاده طاعون بلغت فيه عدة الموتى في اليوم نحو مائتي نفس وفي سنة ٧٧٥ ولي حلب سيف الدين بيدمر الخوارزمي وبعد اربعة اشهر وليها مكانه سيف الدين اشقتمر ثالثة

﴿ غزو سيس ﴾

وفي سنة ٧٧٦ وردت المراسيم الشريفة السلطانية من قبل الملك الاشرف شعبان الى نائب حلب اشقتمر بان يغزو سيس و يستخلصها من يد الارمن فتوجه النائب صحبة العساكر الحلبية حتى وصلوا اليها ونازلوها واجتهدوا في حصارها حتى طلب اهلها الامان ودخلها المسلمون ورتبوا فيها نائب السلطان و كان فتحاً عظيماً طال عهد المسلمين بمثله ثم رجع النائب المشار اليه الى حلب ومعه تكفور صاحب سيس وجماعة من امرائه واجناده فجهزهم الى القاهرة حسب المرسوم السلطاني وقد عظم هذا النائب بهذا الفتح وامتدحته الشعراء بما يطول شرحه وفي سنة ٧٧٧ استمر الغلاء بالشام مبتدئاً من سنة ٧٧٦ ففتك باهل حلب واهلك كثيراً من الضعفاء وقد بيع مكوك القمح بثلاثمائة درهم ورطل الخبز بدرهمين فانكشف الستر وانهتك الحجاب واقدم الناس على اكل الميتة والقطط والكلاب وغات جميع الاقوات والمطعومات ووصلت الى سعر لم يسمع بمثله ولم يبرح الحال على ما ذكر حتى فرج الله عن المخلوقات في اواخر السنة : وفي سنة ٧٨٠ ولي حلب سيف الدين منكلي بغا الاحمدي البلدي وعزل بعد خمسة اشهر وولي مكانه سيف الدين اشقتمر رابعة : وفي سنة ٧٨١ ولي حاب سيف الدين تمر باي التمرداشي وعزل في اواخرها

﴿ قصد تمرباي سيس لردع التركمان ﴾

وفيها توجه تمرباي المذكور صحبة العساكر الحلبية الى جهة بلاد سيس لردع طائفة من التركمان عاثوا في تلك البلاد واظهروا فيها الفساد فلما وصل تمرباي الى قرب مدينة اياس سمع به التركمان ففزعوا منه وهابوه وراسلوه بالامان وعاهدوه بالتوبة عن جميع افعالهم الشنيعة وارسلوا اليه جملة من اعيانهم وامرائهم لعقد العهد فلم يقبل منهم بل امر باعتقالهم وركب الى بيوتهم فسبى نساءهم واخذ اموالهم واخرب ديارهم وعند ذلك ثار التركمان واستوحشوا واعملوا الحيلة والخديعة وكمنوا للعسكر بمضيق هناك يقال له باب الملك على شاطئ البحر واوقعوا بهم وكسروهم كسرة شنيعة اتت على اكثرهم واخذوا جميع ما معهم بعد ان فرقوهم شذر مذر وكان ما اخذه التركمان من الحلبيين في هذه الوقعة ثلاثين الف جمل باحمالها وثلاثة عشر الفاً من الخيل المسرجة وغير ذلك قلت : ولاية سيف الدين تمرباي المذكور على حلب ووقوع غزوته المذكورة اخذتهما من درة الاسلاك في دولة الاتراك لابن حبيب الحلبي ذكرهما في حوادث سنة ٧٨١ وذكرهما ابن الخطيب في حوادث ٧٨٠ فليحرر : وفي اواخر سنة ٧٨١ ولي حلب سيف الدين منكلي بغا الاحمدي البلدي وفي سنة ٧٨٢ توفي منكلي بغا المذكور ودفن بتربة له صغيرة خارج باب المقام وبعد سنين قليلة نبش ونقل الى دمشق : وفي سنة ٧٨٣ ولي حلب سيف الدين اينال اليوسفي

﴿ ردع خليل بن دلغادر ﴾

وفيها توجه اينال اليوسفي المذكور بمن معه من النواب والعساكر الى جهة خليل بن دلغادر واخوته ومن معهم من التراكمين الذين تجاهروا بالعصيان ببلاد مرعش وما والاهـا فوصلوا اليهم واجلوهم عن ديارهم ونهبوا اموالهم وهزموهم وركبوا اثارهم الى حدود المالك العثمانية وامنوا السابلة من شرهم كل ذلك وبنو الغادر يكاتبون اينال وجماعته و يطلبون منهم الدخول في الطاعة واينـال لا يلتفت اليهم حتى ورد له المرسوم السلطاني بالعود الى وطنه مع جماعته : وفي هذه السنة ايضاً ولي حلب سيف الدين يلبغا الناصري عوضاً عن اينال اليوسفي

﴿ عزل القضاة الاربع ﴾

وفي سنة ٧٨٥ رفع كتاب من عامل حلب الى القاهرة ان القضـاة الاربعة في حلب تخاصموا وتشاتموا وارسل الاربعة كتباً تتضمن سب كل واحد منهم للآخر فقال الملك الظاهر لا تحل تولية الفساق وعزلهم

﴿ الحرب مع ابن رمضان ﴾

وفي هذه السنة تجاهر بالعصيان احمد ابن رمضان[1] التركماني امير التركمان باذنه واياس وسيس فتوجه الى جهته يلبغا الناصري نائب حلب ومعه العساكر الحلبية وفرقة من العساكر الشامية ومقدمهم اينال اليوسفي وعسكر طرابلس ونائبها ونائب حماه بعسكرها ونواب القلعة ومقدمهم على الجميع يلبغا الناصري ولما وصلت هذه الجموع الى بلاد ابن رمضان انزل الثقل يلبغا الناصري بباب اسكندرون وابقى عنده الامير جلبان الحاجب بحلب والامير شجاع الدين خالد ابن كليكلدي نقيب النقباء بحلب وركب من ساعته بالعساكر جريدة وقت العشاء فاصبح ثاني يوم قبل الظهر بالمصيصة فحشد التركمان واجتمعوا وتقاتلوا على الجسر

---

(١) اول امير تركماني اسس الدولة الرمضانية احمد بن رمضان : في حدود سنة ١٣٣٠ اجتمعت برجل تركماني في حلب يقول انه بقية من الطائفة الرمضانية حضر الى حلب وقصد مقابلتي للاستعلام عن المدرسة الرمضانية التي اسلفت ذكرها في الكلام على محلة قسطل الحرمي من الجزء الثاني فزعم ان الطائفة الرمضانية من سلالة التركمان الامراء الذين قدموا مع سليمان شاه من بلاد خوارزم وانهم لما غرق سليمان شاه في الفرات امام قلعة جعبر فارقوا ولده الامير ارطغرل واوطنوا في نواحي العمق و كانت لهم فيها الرآسة وذلك في حدود سنة ٦٢٢ وان اول من استفحل امره من هذه الطائفة في حدود سنة ٧٧٨ احمد بن رمضان فملك من البلاد اذنه وسيس واياس وتوابعها ثم انتقلت الامارة بعده الى اعقابه وانسبائه الى ان كانت سنة ٧٩٠ فانضوت دولته تحت راية بني عثمان : قلت هذه الدولة تكلم عليها القرماني في تاريخه فلتراجع

فانكسر التركمان وتملك العسكر الجسر واقام به الى حين ان حضرت الاثقال وحضر مملوك نائب سيس واخبر بان سيده الكبير طشبغا امسك ابراهيم بن رمضان اخا احمد المذكور وامه ونائبه فركب يلبغا الناصري مع عساكره جريدة الى اذنه ليقرر امرها فاجتمع التركمان وحشدوا واستوحشوا لجماعتهم والتقوا مع الناصري في مكان وعر وتقاتلوا فانكسر العسكر وقلعت عين الناصري ووقع عن فرسه فعرفه شخص من التركمان فاخذه وآواه واحسن اليه فركبت العساكر الذين كانوا مع الاثقال ومن بقي منهم واجتازوا الجسر وباتوا بالقرب من اياس واصبحوا عليها ثم بعد يومين اخبروا ان الناصري حي قادم عليهم فركبت العساكر وتلقوه وبه جراحات ولم يفقد من العساكر الا القليل وفي ساعة حضوره نادى بالركوب فركب العسكر وطردوا التركمان وقتلوا منهم جماعة ثم انثنى نحو الباب الاسود وباتوا به حتى مضى الليل وحشد التركمان وجمعوا وجاؤا من نحو الجبل عن يسار العسكر والرجالة من وراء العسكر وصار اللاجي من غربيهم فاشتبك بينهم القتال وكر الناصري بمن معه من العساكر على التركمان كرة هائلة كسرهم بها وقتل منهم ما ينوف عن سبعمائة رجل ثم ركب الناصري وعساكره الى بياس ونزلوا شط البحر واستمر القتال بينهم وبين التركمان ليلاً ونهاراً وقد جاء الناصري نجدة من الامير سودون صاحب الحجاب ونائب غيبته فانكسر التركمان كسرة قبيحة وعولوا على الفرار ورجع الناصري بمن معه الى حلب وفي سنة ٧٨٧ امسك الناصري وحبس بالاسكندرية واستقر عوضه بحلب

سودون المظفري واساء السيرة في اهل حلب وفي سنة ٧٨٨ عصى احمد المعروف بمنطاش بملطية واتفق مع مقدم تيمورلنك فاستضعف السلطان سودون فعزله واعاد الناصري الى حلب وفي سنة ٧٨٩ توجه الناصري بعساكره الى سيواس لاخضاع منطاش وصاحب سيواس ومن معهما من التتر فكسر الناصري اولاً ثم ثبت هو ونحو الف جندي معه وكسروا منطاش ومن معه وكانوا نحو عشرين الفاً : وفيها حدث في حلب وانطاكية زلزلة عظيمة هلك تحت الردم في انطاكية خلق كثير

﴿ عصيان الناصري على السلطان ﴾

وفي اوائل سنة ٧٩١ عصى يلبغا الناصري وخرج عن طاعة السلطان فارسل السلطان عسكراً لمحاربته والتقى الجمعان بظاهر دمشق فانهزمت العساكر السلطانية وتبعهم يلبغا بمن معه الى مصر وانحاز اليه اكثر الامراء واختفى السلطان وطلب الامان من يلبغا فامنه ثم قبض عليه وارسله الى الكرك مقيداً واعاد السلطان صالح حاجي الى السلطنة وفي رمضان هذه السنة ولي نيابة حلب من قبل السلطان الصالح حاجي كمشبغا الحموي الامير سيف الدين

﴿ قتال بين اهل بانقوسا وكمشبغا ﴾

وفي شوالها ظهر احمد بن عمر بن محمد ابي الرضا شهاب الدين احد قضاة حلب السابقين في زمن الملك برقوق وكان مستخفياً بحلب فاتفق

مع اهل بانقوسا و بعض الامراء وركبوا على كمشبغا الحموي نائب حلب فقاتلهم ثلاثة ايام في البياضة وانتصر عليهم وامسك القاضي واخذ ماله وسيره معه الى دمشق ومات في الطريق كما سنحكيه في ترجمة القاضي المذكور وسنة ٧٩٢ اطلق الامير كمشبغا نائب حلب الامير طرنطاي الذي كان نائباً بدمشق و بكلمس احد الامراء المصريين وكانا محبوسين بالقلعة من قبل يلبغا الناصري و بعد ان اطلقهما اتفق على قتال البنقوسيين لانهم كرهوا فعله هذا ولم يحبوا توليته على حلب لظلم سابق منه فاستمر القتال بينه و بين البنقوسيين بالبياضة ثلاثة ايام ثم جد في قتالهم وقتل منهم جماعة و بعدها استماتوا في قتاله وحاصروه في القلعـة فلم يتمكنوا منه و بقي الحصار اربعة اشهر الا يومين ثم تصالحوا اياماً قلائل وجـد القتال بينهم وظفر بهم وقتل من اعيانهم وجندهم جمعـاً كثيراً ونهب بانقوسا كما نهبها قبلاً في غير هذه المرة وفيها نزل على حلب منطاش بمن معه من العساكر والعربان في نحو عشرين الف مقاتل فجدوا بالحصار وقطعوا القناة بحلب واجتهدوا في قتال الحلبيين قريباً من عشرين يوماً فلم ينجح سعيهم وذلك لان الامير كمشبغا كان بنى بعض اسور القلعـة واصلحها وعمل لها ابواباً ورمم اسوار حلب واحكمها وكانت خراباً من زمن مجيء هولاكو ابن جنكز خان : قلت منطاش المذكور احد الامراء الذين وافقوا يلبغا الناصري على خلع الملك الظاهر برقوق واعادة الملك الصالح حاجي ثم لما تغيرت نية الناصري على الملك الصالح ورجع الملك الى الظاهر برقوق كما تقدم اظهر منطاش مخالفة الناصري لكونه

صار من حزب برقوق وسار الى البلاد بالخراب والفساد وقصد دمشق وحمص وحماه وحلب وغير ذلك وفي هذه السنة ولي نيابـة حلب من قبل الظاهر برقوق الامير سيف الدين قرا دمرداش الاحمدي وفي شوال سنة ٧٩٣ وصل الظاهر برقوق الى حلب بعد ان مر على دمشق وغيرها وفي العشر الاخير من ذي القعدة من هذه السنة بلغ السلطان عن يلبغا الناصري امور رديئة اوجبت اعتقاله هو وجماعة من اصحابـه ومماليكه فقتلهم في قلعة حلب وفي مستهل ذي الحجة من هذه السنة ولى السلطان نيابة حلب سيف الدين جلبان رأس نوبة الظاهري وخرج من حلب عائداً الى الديار المصرية ونزل على العين المباركة بظاهر حلب ثم سار منها الى جهة منحاه

القبض على منطاش وقتله

وفي سنة ٧٩٤ قبض الامير محمد نعير بن مهنا امير العرب على منطاش وكان السلطان وعده بنيابة ان قبض عليـه فاحضر منطاش الى حلب وحبس بقلعتها ثم قتل بها بعد ان عذب وارسل رأسه الى مصر

وباء عظيم

وفي سنة ٧٩٥ حصل بحلب فناء عظيم بلغت فيـه الوفيات اليومية خمسمائة نسمة ثم تناقص في آخر السنة ومات فيه كثير من الاعيـان والعلماء وكان غالباً في الصغار

❊ قدوم السلطان الى حلب لحرب تيمورلنك ❊

وفي سنة ٧٩٦ بلغ السلطان الملك الظاهر برقوق ان تيمور تحرك نحو بلاده ووصل الى الرها فتوجه السلطان من مصر الى جهة البلاد الشامية ووصل الى حلب واقام بها اربعين يوماً ومهد امور الملك ورجع الى مقر سلطنته بمصر وصحب معه الامير جلبان نائب حلب وولى مكانه الامير سيف الدين تغري بردي صاحب جامع الموازيني الذي تكلمنا عليه في محلة ساحتبزه في الجزء الثاني وفي سنة ٧٩٩ ولي نيابة حلب ارغون شاه نقل اليها من طرابلس فبقي في حلب مدة قليلة ومات : وفي سنة ٨٠٠ ولي نيابة حلب الامير علاء الدين اقبغا الجمالي الهذباني ثم خرج على السلطان وفي سنة ٨٠١ ولى السلطان الملك الناصر ابو السعادة فرج نيابة حلب الامير دمرداش المحمدي الخاصكي

❊ اول تحرش العثمانيين بالمملكة المصرية ❊

في هذه السنة (٨٠١) استولى السلطان بايزيد يلدم خان على ملطيه وتقدمت طلائع جيوشه الى البستان للزحف على حلب فاهتمت حكومة مصر بهذا الامر واعدت جيشاً لكفاح السلطان بايزيد وقررت ان يؤخذ من الاملاك اجرة شهر تنفق على الجيش ثم رجع السلطان الى بلاده دون ان يحصل منه ضرر فعدلت الحكومة المصرية عن ارسال جيشها

﴿ اقتراب شرور تيمورلنك من حلب ﴾

في سنة ٨٠٢ قصدت طلائع جيش تمرلنك بغداد فكسرهم سلطانها السلطان احمد قان فصحبوا معهم قره يوسف ابن محمد التركماني صاحب ديار بكر وماردين وما والاهما وقــدموا حلب بمن معهم من العساكر ونزلوا على نهر الساجور فخرج اليهم الامير دمرداش نائب حلب واستنجد بالامير دقماق نائب حماه وتوجها بعسكرهما الى الساجور فالتقى الفريقان هناك واقتتلا قتالاً شديداً انجلى عن كسر دمرداش واسر دقماق ونهب جميع ميرة العسكر وخيوله واثاثه وقماشه وجفلت البلاد الحلبية ورجع دمرداش في نحو عشرة اشخاص ثم افتدى دقماق نفسه ولحق بمكانه

﴿ اجمال في تمرلنك ﴾

هو تيمور بن طرغاي ابن جغتاي ونسبــه بعضهم الى جنكزخان من جهة النساء وكان طويل القامة عريض الاطراف ابيض مشرباً بحمرة اعرج اليمنى وين جباراً عنيداً قهر الملوك والجبابرة وهو من غلاة الشيعة وكان في ابتداء امره يقطع السبيل هو ورفقاء له فظفر بهم حاكم هراة السلطان غياث الدين فضرب تيمور وامر بصلبه فشفع به ولده واخذه ووكل به من داوى جراحه حتى برئ وقربه اليه وزوجه شقيقته ثم ان تيمور غاضبها في بعض الايام فقتلها وخرج على السلطان واستصفى ممالك ما وراء النهر ثم صاهر المغل وقصد مخدومه الملك غياث الدين ليدخل

في طاعته فظفر به وقتله في الحبس جوعاً لانــه حلف له ان لا يريق له دماً ثم عاد الى خراسان ووضع السيف في اهل سجستان فافنــاهم عن بكرة ابيهم وخرب المدينة واستخلص جميع ممالك العجم واستولى على بغداد وقتل اهلها وبنى من روؤسهم مآذن ولم يترك كبــيراً ولا صغيراً ولا ذكراً ولا انثى الا قتله ثم خرب المدينة بعد ان نهبها ثم مشى منها الى الجزيرة وديار بكر والى الفرات واستعد الظاهر برقوق لمدافعته ونزل تيمور بالرها واخذها ونهبها وبلغه ان طقتمش خان سلطان دشت قفجق في جهات القريم قد وصل في جموع المغــل الى الابواب فاحجم تيمورلنك وتأخر الى قلاع الاكراد واطراف بــلاد الروم واناخ على قرهباغ ما بين اذربيجان والابواب ثم قوي على طقتمش واخذ بلاده وانضمت جموع التتر اليه ثم مشى على الهند واستولى عليها وبلغه خبر وفاة الملك الظاهر برقوق ووفاة احمــد حاكم سيواس فاستناب في الهند وقصد بلاد الاسلام فاتي بغداد وفتحها ثانياً وقصد سيواس وفتحها عنوة وحلف لاهلها انه لا يريق لهم دماً فغدر بهم والقى منهم في الحفر نحو ثلاثة الاف انسان ثم نهب البلد وخربها ومشى الى بهسنى فحاصر قلعتها مدة طويلة وفتحها صلحاً مع ما هو عليه من العتو والعناد ولذلك سببان احدهما متانة القلعة وحصانتها وثانيهما ان نائب قلعة المسلمين التي كانت تعرف بقلعة الروم وهو الناصري محمد بن موسى بن شهري كان يخرج للغارات على معسكر تيمور عندما كان مقيماً على حصار قلعة بهسنى وكان الناصري المذكور ذا قوة وشجاعة ورأي وتدبــير فلم يسع تيمور الا

الانصراف عن قلعة بهسني الى قلعة المسلمين فكاتب نائبها الناصري المذكور بقوله اني اتيت من اقصى بلاد سمرقند ولم يقف احد امامي وسائر ملوك الارض حضروا الي وانت سلطت على جموعي من يشوش عليهم و يقتل من ظفر بهم والان قد مشينا عليك بعساكرنا فان اشفقت على نفسك ورعيتك فاحضر الينا لترى من الرحمة والشفقة ما لا مزيد عليه والا نزلنا عليك وخربنا بلدك وقد قال تعالى (ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون) فاستعد لما يحيط بك ان ابيت الحضور فلم يلتفت الناصري الى كلامه وحبس رسوله فمشى اليه تيمور وبرز له الناصري في اوائل عسكره وقاتله قتالاً شديداً رأى فيه تيمور من الناصري شدة حزم فرجع عن محاربته واخذ في مخادعته فطلب منه الصلح وان يرسل له مالاً وخيلاً فلم ينخدع وتنازل معه الى ان طلب منه جانباً فلم يعطه وعاد عنه تيمور خائباً وعساكر الناصري في اواخر عسكر تيمور قتلاً ونهباً واسراً مع انهم كانوا زهاء ثمانمائة الف عسكري كل ذلك و باب قلعة الناصري لم يغلق يوماً واحداً وفيه يقال

هذا الامير الذي سحت مناقبه ليث الوغى عمت الدنيا مفاخره
ولى تمرلنك مكسوراً اوائله منه فراراً ومذعوراً اواخره

كان الناصري من السلالة العمرية ذا مروءة وصدق ودين وعلم

ثم ان تيمور استولى على حلب ودمشق ، وما بينهما على الوجه الذي نبسطه ثم رجع الى ممالك الروم فكاتب سلطانها السلطان بايزيد خان

الغازي فلم يلتفت الى كتابته وتوجه لقتاله وجمع العساكر على ميل من مدينة انقره ونشبت الحرب بينهم وكانت وقعة عظيمة انكشفت عن اسر السلطان يلدرم بايزيد خان ولما ايقن بالهلاك قال لتيمور اوصيك الا تترك التتر بهذه البلاد فانهم يفسدونها والا تقتل رجال الاروام فانهم ردء الاسلام والا تخرب قلاع المسلمين ولا تجلهم عن مواطنهم : قال هذا وهو مكبل بقفص من حديد قد فغر الموت له فاه لابتلاع حياته بعد سويعات فلم يذهله هذا الموقف الرهيب عن المحاماة عن رعيته ولم تضطره الاثرة بروحه الى التوسل بالدفاع عنها دون الدفاع عن رعاياه

وقد قبل منه تيمور تلك الوصايا وبعد سويعات توفي السلطان بايزيد في قفصه ورجع تيمور الى بلاده فمرض في مدينة انزار وجعل يشرب من عرق الخمر الى ان تفتت كبده ومات في ليلة الاربعاء سابع عشر شعبان سنة ٨٠٧ وحملوا عظامه الى سمرقند وعمره فوق الثمانين وخلف ولدين امير شاه وشاه رخ ولم يكونا معه فجلس على سرير الملك حفيده خليل بن امير شاه وكان ابوه واليًا على ممالك تبريز فقتله قره يوسف حاكم اذربيجان ولما مات خليل المذكور تولى الملك عمه الشاه رخ ثم سطى على ملكهم الفاتحون وتلاشت دولتهم سوى بعض اعقاب لتيمور كانوا سلاطين في جهات من الهند

والناس في امر تيمور مختلفون فمنهم من يعده كافرًا باغيًا لافراطه باراقة دماء المسلمين وتسلط جيوشه على نهب الاموال والارواح وهتك الاعراض ومنهم يقول باسلامه ويعده عاصيًا ويكل امره الى الله تعالى

ومنهم من يزعم انه مصلح كبير لم يقصد من غاراته على بلاد المسلمين غير ردع ملوك الاسلام وجهادهم كي يكفوا عن مظالمهم التي كانوا يعاملون بها رعاياهم و يرعووا عن قتل بعضهم البعض حتى انني سمعت من بعض علماء الاتراك القاطنين في بخارى وقد جمعتني واياهم باخرة كنت ركبتها في سفري الى جهات غزه ان عدداً كبيراً من علماء تركستان وخواصهم يعدون ايقاع تيمور بالبلاد الاسلامية جهاداً مقدساً و يعتقدون فيه الولاية والكرامة و يترضون عنه كما يترضون على اولياء الله واصفيائه وان ما كان يصدر من جيوشه وعساكره من قتلهم البريئين وهتك اعراض المخدرات لم يكن عن علم منه ولا رضاء به

وقد وضع العلماء والمؤرخون كتباً قيمة واخباراً طوالاً في سيرة تيمور وترجمته اكثرها مطبوع متداول واعمها كتاب عجائب المقدور في اخبار تيمور لابن عربشاه وقد اقتصرنا على ذكر هذه النبذة في الكلام عليه طلباً للايجاز

❊ مجيء تيمور الى حلب وما احله فيها من الويل والصخب ❊

هذه الحادثة من اعظم الحوادث التي دهت حلب قديماً وحديثاً واضرت بها ضرراً مخلداً محت آثارها واطفأت انوارها واخذ بها تيمور من الاموال وافنى من النفوس واسر من العلماء وارباب الحرف والصناعات ما لا تحصيه الاقلام ولا يعلم عدده الا العليم العلام وذلك ان تيمور بعد ان اقلع عن قلعة الروم كما حكيناه تقدم الى عينتاب فاجفل

اهل القرى بين يديه وجفل اهل البلاد الحلبية ثم اجتاز برج دابق وفي يوم الخميس تاسع ربيع الاول سنة ٨٠٣ نازل حلب وكان نائبها المقر السيفي دمرداش الخاصكي وقد حضرت اليه عساكر المملكة الشامية كعسكر دمشق مع نائبها سودون وعسكر طرابلس مع نائبها المقر السيفي شيخ الخاصكي وعسكر حماه مع نائبها دقماق وعسكر صفد وغزه فاختلفت اراؤهم فمن قائل ادخلوا المدينة وقاتلوا من الاسوار وقائل اخرجوا الى ظاهر البلد تلقاء العدو بالخيام فلما رأى نائب حلب اختلافهم اذن للناس في اخلائها والتوجه حيث شاؤا وكان نعم الرأي لو فعلوا فلم يوافقوا على ذلك وضربوا خيامهم في ظاهر البلد تلقاء العدو وحضر قاصد تيمورلنك فقتله نائب دمشق قبل ان يسمع كلامه وبئسما فعل ثم ان النواب ومعهم بعض العساكر والعامة خرجوا الى جهة بابلي تحت مشهد الشيخ فارس وسمع بعضهم دمرداش وهو يقول للتتر انا اذا حماتم انكسر او كلاماً مثل هذا ولما وقف الحلبيون والتقى الجيشان قرأ ابن القلعيني قوله تعالى (يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال) الآية وكان صيتاً واستمر القتال يوم الخميس والجمعه ولما كان يوم السبت حادي عشر الشهر المذكور ركب تيمور وجمع وحشد والفيلة تقاد بين يديه وهي ثمانية وثلاثون فيلاً وزحف على حلب فانخزل دمرداش وانحاز اليه سراً يعلمه المخازي وانهزم المسلمون بين ايدي التتر وجعلوا يلقون انفسهم من الاسوار والخنادق والتتر في اثرهم يقتلون ويأسرون وقد احالت العساكر بالحوافر اجساد العامة وجرى من دخول المنهزمين

بالابواب من فساد الاجساد وذهاب المهج ما اذهب العقول واما سودون نائب دمشق فانه قاتل على باب النيرب قتالاً عظيماً وحمل عليه معظم جيش تيمور وهو ثابت صابر الا انه لما شاهد الغلبة دخل حلب ودخلها جيش تيمور ينهبون الاموال ويحرقون المباني ويخربونها ويقتلون الكبار والصغار ويفتضون الابكار ويأخذون المرأة ومعها ولدها الصغير على يدها فيلقونه من يدها ويفسقون بها فلجأ النساء عند ذلك الى الجامع الكبير ظناً منهنّ ان هذا يقيهن من ايدي الكفرة وصارت المرأة تطلي وجهها بطين او بشيء يشوه محاسنها فيأتي ذلك العلج اليها ويغسل وجهها ويتناولها ويتمسح بالاوراق الشريفة ودام هذا الحال من يوم السبت الى يوم الثلاثا ومع ذلك فان طائفة من عساكر التتر لم يزالوا يشتغلون بنقب القلعة وبها جميع النواب وخواص الناس واكثر اموالهم ونفائس امتعتهم وفي يوم الثلاثا المذكور وهو رابع عشر ربيع الاول اخذ تيمور القلعة بالامان ونزل اليه دمرداش وخلع تيمور عليه وصعدها في اليوم الثاني فدخل مقام الخليل واسف رأسه عند عتبته وقبلها ثم جلس في المقام وطلب علماء حلب وقضاتها فحضر اليه القاضي شرف الدين موسى الانصاري والعلامة محب الدين ابن الشحنة وكمال الدين ابن العديم وعلاء الدين ابي الحسن علي ابن خطيب الناصرية وغيرهم فاوقفهم ساعة ثم امر بجلوسهم وطلب من كان معه من اهل العلم وقال لأميرهم وهو المولى عبد الجبار ابن العلامة نعمان الدين الحنفي وكان والده من العلماء المشهورين بسمرقند قل لهم اني

سائلهم عن مسئلة سألت عنها علماء سمرقند و بخارى وغيرهما من البلاد التي فتحتها فلم يفصحوا عن جوابهـا فلا تكونوا مثلهم ولا يجاو بني الا اعلمكم وافضلكم وليعرف ما يتكلم فاني خالطت العلماء ولي بهم اختصاص والفة ولي في العلم طلب قديم قال ابن الشحنة وكان بلغنا عنه انه يعنت العلماء في الاسئلة ، ويجعل ذلك سبباً لقتلهم او تعذيبهم فقال القاضي شرف الدين عن ابن الشحنه هذا شيخنا ومدرس هذه البلاد وفقيهنا اسئلوه والله المستعان فقال عبد الجبار لابن الشحنة سلطاننا يقول انه بالامس قتل منا ومنكم فمن الشهيد قتيلنا ام قتيلكم فوجم الجميع وقالوا في انفسهم هذا الذي بلغنا عنه من التعنت فسكت القوم قال ابن الشحنه وفتح الله عليّ بجواب سريع بديع وقلت هذا سوءال سئل عنـه رسول الله صلى الله عليه وسلم واجاب عنه وانا مجيب بمـا اجاب به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن الشحنه قال لي صاحبي القاضي شرف الدين بعـد انقضاء الحادثة والله العظيم لما قلت هذا سوءال سئل عنـه رسول الله صلى الله عليه وسلم واجاب عنه وانك لمحدث زماننا وعالمنا قد اختـل عقله وهو معذور فان هذا سوءال لا يمكن الجواب عنه في مثل هذا المقام ووقع في نفس عبد الجبار مثل ذلك والقى تيمور سمعه و بصره اليّ وقال لي عبد الجبار يسخر من كلامي كيف سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف اجاب قلت . جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان الرجل يقاتل حمية و يقاتل شجاعة و يقاتل ليعرف مكانه فأينا في سبيل الله فقال عليه السلام من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا

فهو في سبيل الله ومن قاتل منا ومنكم لاعلاء كلمة الله فهو الشهيد فقال تيمور خوب وقال عبد الجبار ما احسن ما قلت وانفتح باب المؤانسة وقال تيمور اني رجل نصف آدمي وقد اخذت بلاد كذا وكذا وعدد سائر ممالك العجم والعراق والهند وسائر بلاد التتر فقلت اجعل شكر هذه النعمة عفوك عن هذه الامة ولا تقتل احداً فقال اني والله لم اقتل احداً قصداً وانما انتم قتلتم انفسكم في الابواب ووالله لا اقتل منكم احداً وانتم آمنون على انفسكم واموالكم وتكررت الاسئلة منه والاجوبة منا وطمع كل احد من الفقهاء الحاضرين وجعل يبادر الى الجواب ويظن انه في المدرسة والقاضي شرف الدين ينهاهم و يقول اسكتوا ليجاوب هذا الرجل فانه يعرف ما تقول يريد بالرجل ابن الشحنة واخر سؤال سأل عنه ما تقولون في علي ومعاوية و يزيد فاسر شرف الدين الى ابن الشحنة وكان الى جانبه ان اعرف كيف تجاوبه فانه شيعي فلم يفرغ ابن الشحنة من سماع كلام تيمور الا وقد قال القاضي علم الدين ابن القفصي الصيفي المالكي كلاماً معناه ان علياً اجتهد واصاب وله اجران ومعاوية اجتهد واخطأ وله اجر واحد فتغيظ تيمور لذلك ثم اجاب القاضي ابو البركات موسى الانصاري الشافعي بان معاوية لا يجوز لعنه لانه صحابي فقال تمرلنك ما حد الصحابي فاجابه ان كل من رأى النبي صلى الله عليه وسلم فقال تمرلنك فاليهود والنصارى رأوه فاجابه بشرط ان يكون مسلماً واجاب شرف الدين ايضاً باني رأيت حاشية على بعض الكتب انه يجوز لعن يزيد فقط فتغيظ لذلك ووعدهم بالقتل وقال علي على الحق

ومعاوية ظالم ويزيد فاسق وانتم حلبيون تبع لاهل دمشق وهم يزيديون قتلوا الحسين فاخذ ابن الشحنة في ملاطفته بالاعتذار عن المالكي بانه اجاب بشيء وجده في الكتاب لا يعرف معناه قال في كنوز الذهب فلم يقبل وقال اريد منكم مالاً وانتم اعلم ببعضكم بعضاً فاخذوا الورقة وكتبوا فيها اسماء من عليهم المال وقدر ما على كل واحد وقصد بذلك ان يعلم درجتهم في المال ثم اخذ بعد ذلك في مصادرة الناس وعقوبتهم ثم ان تيمور عاد الى حلمه في ذلك المجلس قال ابن الشحنه واخذ عبد الجبار يسئل مني ومن شرف الدين فقال عن ابن الشحنة هذا عالم مليح وعن شرف الدين هذا رجل فصيح قال ابن الشحنه فسألني تيمورلنك عن عمري فقلت مولدي سنة تسع واربعين وسبعماية وقد بلغت الان اربعاً وخمسين وقال للقاضي شرف الدين كم عمرك قال انا اكبر منه بسنة فقال تيمورلنك انتم في عمر اولادي انا عمري اليوم بلغ خمساً وسبعين سنة وحضرت صلاة المغرب واقيمت الصلاة وامامنا عبد الجبار وصلا تيمورلنك الى جانبي قائماً يركع ويسجد ثم تفرقنا وفي اليوم الثاني غدر بكل من في القلعة واخذ جميع ما كان فيها من الاموال والاقمشة والامتعة مما لا يحصى قال ابن الشحنه اخبرني بعض كتابه انه لم يكن اخذ من مدينة قط مثل ما اخذ من هذه القلعة ولا ما يقاربه وعوقب غالب المسلمين بانواع العقوبات وحبسوا بالقلعة ما بين مقيد ومزنجر ومسجون ومرسم عليه ونزل تيمورلنك من القلعة بدار النيابة وصنع وليمة على زي المغل ووقف سائر الملوك والنواب في خدمته وادار عليهم

كؤس الخمر والمسلمون في عقاب وعذاب وسبي وقتـل واسر وجوامعهم ومساجدهم ومدارسهم وبيوتهم في هـدم وحرق وتخريب ونبش الى آخر ربيع الاول ثم طلبني ورفيقي القاضي شرف الدين واعاد السؤال علينا فقلت له الحق كان مع علي وليس معاوية من الخلفاء فانه صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الخلافة بعدي ثلاثون سنة وقد تمت بعلي فقال تيمورلنك قل علي على الحق ومعـاوية ظالم فقلت قال صاحب الهداية يجوز تقلد من القضاء ولاة الجور فان كثيراً من الصحابة والتابعين تقلدوا القضاء من معـاوية وكان الحق لعلي في نوبته فانسر لذلك وطلب الامراء الذين عينهم للاقامـة بحلب وقال لهم ان هذين الرجلين نزول عندكم بهذه البلدة فاحسنوا اليهما والى الزامهما واصحابهما ومن ينضم اليهما ولا تمكنوا احداً من اذيتهما ورتبوا لهما علوفة ولا تدعوهما في القلعة بل اجعلوا اقامتهما بالمدرسة يعني السلطانية التي تجـاه القلعة وفعلوا ما اوصاهم به الا انهم لم ينزلونا من القلعة وقال لنا الذي ولي الحكم منهم بحلب الامير موسى ابن الحاجب طغاي اني اخاف عليكما والذى فهمته من نسق تيمور انه اذا امر بسوء فعل بسرعة ولا محيد عنه واذا امر بخير فالامر فيه لمن وليـه وفي اول يوم من ربيع الآخر برز الى ظاهر حلب متوجهـاً نحو دمشق وثاني يوم ارسل يطلب علماء البلد فرحنا اليه والمسلمون في امر مريج وقطع رؤس فقلنا ما الخبر فقيل ان تيمور يطلب من عسكره رؤساً من المسلمين على عادته التي كان يفعلها في البلاد التي اخذها فلما وصلنا اليه ارسلنا رسولاً يقول له اننا قد حضرنا

وهو حلف ان لا يقتل احد منا صبراً فعاد اليه ونحن ننظره و بين يديه لحم سليق في طبق يأكل منه فتكلم معه يسيراً ثم جاء الينا شخص بشيءٍ من ذلك اللحم فلم نفرغ من اكله الا وزعجة قائمة وتيمور صوته عالٍ وساق شخصاً هكذا وآخر هكذا وجاءنا امير يعتذر و يقول ان سلطاننا لم يأمر باحضار روُس المسلمين وانما امر بقطع روُس القتلى وان يجعل منه قبة اقامة لحرمته على جاري عادته ففهموا عنه غير ما اراد وانه قد اطلقكم فامضوا حيث شئتم قلت وحكى القرماني عن بعض الثقـاة انه شاهد بظاهر حلب قد بني شبه المآذن من روُس الرجال مرتفعة البناء دورها نيف وعشرون ذراعاً وعلوها في الهواء نحو عشرة اذرع بارزة وجوههـا تسفي عليها الرياح وعدتها عشرة ثم قال ابن الشحنه وركب تيمورلنك من ساعته وتوجه نحو دمشق فعدنا الى القلعة ورأينا المصلحة في الاقامة بها واخـذ الامير موسى في الاحسان الينا وقبول شفاعتنا وتفقداحوالنا مدة اقامته بحلب وقلعتها وتأتينا الاخبار بان السلطان الملك الناصر فرج قد نزل الى دمشق وانه كسر تيمور ومرة نسمع بالعكس الى ان انجلت القضية عن توجه السلطان الى مصر بعد ان قاتل تيمور قتـالاً شديداً اشرف منه تيمور على الكسرة والهزيمة ولما كان سابع عشر شعبان المعظم من السنة المذكورة وصل تيمور عائداً من الشام الى الجبول شرقي حلب ولم يدخل حلب بل امر المقيمين بها من جهته بتخريب القلعة واحراق المدينة ففعلوا ونزلوا من القلعة وطلبني الامير السيد عز الدين وكان من اكبر امرائه وقال ان الامير تيمور قان يسلم عليك و يقول ان عنده

مثلك كثيراً وهذه البلاد باب مكة وليس بها عالم فلتكن انت بها وقد رسم باطلاقك ومن معك من القضاة فاطلب من شئت واكثر لاروح معكم الى مشهد الحسين واقيم عندكم حتى لا يبقى من عساكرنا احد وكان القاضي شرف الدين لا يفارقني وطلبنا من تأخر من القضاة في القلعة واجتمع منا نحو الفي مسلم وتوجهنا صحبة المشار اليه لمشهد الحسين واقمنا به ننظر الى حلب والنار تضرب في ارجائها وبعد ثلاثة ايام لم يبق من التتر احد ونزلنا الى بيوتنا بالمدينة فاستوحشنا منها ولم يقدر احد منا على الاقامة ببيته من النتن والوحشة ولم يمكن السلوك في الازقة من ذلك كما قال

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر

قال ابو ذر في تاريخه واما الجامع الكبير فكانت القتلى فيه من الباب الشرقي الى البركة وصار الناس يمشون على القتلى الى بعد ذهاب هذه المحنة فدفنوا بالحجازية من الجامع قال ابن خطيب الناصرية في تاريخه وقال الشعراء في هذه الحادثة المدلهمة عدة قصائد فمن ذلك ما قاله بعض اهل الادب

ياعين جودي بدمع منك منسكب طول الزمان على ما حل في حلب
من العدو الذي قد امّ ساحتها ناح الغراب على ذاك الحمى الخرب
ويلاه ويلاه يا شهبا عليك وقد كسوتني ثوب حزن غير منسلب
من بعد ذاك العلا والعز قد حكمت بالذل فيك يد الاغيار والنوب

وحين جاء قضاء الله ما دفعت عنك الجيوش ولا الشجعان بالقضب
واصبح المغل حكاماً عليك ولم يرعوا الجار ذي القربى ولا الجنب
وفرقوا اهلك السادات وانتشروا في كل قطر من الاقطار بالهرب
وبدلوا من لباس اللين ذا خشن نعم ومن راحة الابدان بالتعب
وكل ما كان من مال لديك غدا في قبضة المغل بعد الورق والذهب
وخربوا ربعك المعمور حين غدوا يسعون في كل نحو منك بالنكب
وخرقوا من بيوت الله معظمها وحرقوا ما بها من اشرف الكتب
كذا بلادك امست وهي خالية واصبحت اهلها بالخوف والرعب
لكن مصيبتك الكبرى التي عظمت سبي الحريم ذوات الستر والحجب
من كل آنسة لا شمس تنظرها ولا يراها سوى ام لها واب
يأتي اليها عدو الدين يفضحها ويجتليها على لاه ومرتقب
غلت يمينك يامن مدها لسنا ذاك الجمال وشلت منك بالعطب
ولا نقول سوى سبحان من نفذت احكامه في الورى حقاً بلا كذب
قضى وقدر هذا الامر من قدم بحكم عدل جرى في اللوح والكتب
فنسأل الله بالمختار سيدنا محمد ذي التقى والطهر والحسب
ان لا يرينا عدوا ليس يرحمنا ولا يعاملنا بالمقت والغضب
صلى عليه آله العرش خالقنا والآل والصحب سادات الورى النجب

قال ابن الشحنة وكانت نواب الشام مع تيمور مأسورين فانفلتوا منه اول باول وذكر في كنوز الذهب ان تيمور عرض اسرى بلد الشام ونواحيها فكانوا ثلثمائة الف اسير وستين الف اسير قال ابن الشحنه

وكان السيفي دمرداش الخاصكي حين انفلت منه من حماه حال توجهه الى نحو دمشق توجه نحو السلطان واتفق معه وجاءه تقليد شريف من السلطان باستمراره في نيابة حلب فدخلها واخذ في عمارتها ورمم دار النيابة وسكن بها وتراجعت الناس

✵ نزول امير العرب على حلب ✵

وفي هذه السنة نزل على حلب الامير نعير بن جبار امير العرب قاصداً اخراج الامير دمرداش منها لوحشة سبقت بينهما فحاصرها مدة ايام وضايقها وغلا السعر وحصل لاهل حلب شدة عظيمة وكان العسكر بحلب قليلاً جداً فاستنجد الامير دمرداش باحمد بن رمضان امير التركمان فلباه واقبل اليه بخيله ورجله وجاء حلب ودخلها من باب النصر وخرج من باب قنسرين لان القتال بين الحلبيين وبين العرب كان فيما بين حلب وجبرين فاشتد القتال بين الفريقين واشرف الحلبيون والتركمان على النصرة فحال الليل بينهم فرجع الحلبيون والتركمان الى المدينة وعول نعير امير العرب على الهزيمة ولما اصبح الحلبيون والتركمان خرجا للقتال فلم يروا احداً فتتبع التركمان اثار العرب فلم يظفروا بهم غير انهم صادفوا بعض اغنام استاقوها ودخلوا بها الى حلب

وفي سنة ٨٠٤ ولي حلب دقماق عوضاً عن دمرداش لانه اظهر العصيان بحلب فارسل السلطان عسكراً مع دقماق وحاربه وقبض عليه وارسله الى القاهرة

وسنة ٨٠٦ ولي حلب الامير علاء الدين اقبغا الجمالي الهذباني عائداً اليها فاقام بها اربعين يوماً ومات ودفن بتربة انشأها بسوق الخيل واستقر في نيابة حلب السيفي دمرداش عائداً اليها

❊ قتال فارس بن صاحب الباز ❊

وفيها استفحل امر فارس ابن صاحب الباز التركماني امير التركمان بناحية العمق فاستولى على انطاكية والقصير ودركوش فخرج اليه دمرداش ومعه العساكر الحلبية ووصل الى جب الحيات في العمق بين القصير وانطاكية والتقى الفريقان هناك فكسر الامير دمرداش وقتل من عسكره وامرائه جماعة وعاد الى حلب بكرة عيد الاضحى وقوي امير التركماني جداً ثم جمع دمرداش العسكر وتوجه الى انطاكية لقتاله وكتب الى الامير علي باك ابن دلغادر والى احمد بن رمضان مقدمي التركمان في البلاد يستنجدهما عليه فوافياه وهو على انطاكية وابن صاحب الباز بها ومعه الامير جكم فاقام العسكر عليها مدة فلم يظفروا بطائل ورجعوا عنه خائبين واستفحل امره وعظم خطره واستولى على البلاد الغربية باسرها ووصل الى جبل سمعان وتوجه اليه من حلب جماعة اقاموا عنده لاجل اقطاعاتهم واستولى على جانب من بلاد طرابلس كصهيون وصار له من باب الملك الى صهيون واطراف بلد سرمين وبقي نواب حلب ليس لهم حكم في تلك البلاد بالكلية وصاروا كالمحصورين فان هذه البلاد التي استولى عليها هي التي كانت عامرة من اعمال حلب وهي

انطاكيـة والقصير والشغر وديركوش وحارم و بغراس والحلقه وسائر اعمالها و برزيه وصهيون واللاذقيه وجبله وتلك النواحي وعجز النواب عن دفعه للخلف بينهم وقلة العساكر فيهم وصار ابن صاحب الباز في عسكر عظيم الى ان قدر الله كسره على يد جكم حينما تولى نيابة حلب فاستنقذ منه البلاد واراح منه العباد ثم تبعه الى انطاكية وقطع جسر الحديد ونزل شرقيه واستمر يحاصره اياماً ثم شرع في حفر نهر لتحويل العاصي اليه ففر التركماني الى جهة القصير وتبعه الامير جكم بمن معه حتى حاصره في قلعة هناك فطلب الامان فاعطاه فنزل ثم سلمه الى عدو له فقتله وكان على شجاعة عظيمة محباً للخير بنى بحضرة سيدي حبيب النجار بانطاكية مدرسة

﴿ قصد دمشوخجا بلد حلب ﴾

وفي هذه السنة اعني سنة ٨٠٦ نزل على حلب دمشوخجا ابن سالم التركماني نائب قلعة جعبر فافسد القرى ونهبها وقطع السبل وعاقب الرجال ببلد عزاز وارتكب اموراً عظيمة من المفاسد ولم يأخذه رأفة على المسلمين فقدم عليه عدوه نعير بن جبار بن مهنا امير العرب من ناحية الشرق واشتبك القتال بينهما اياماً فانتصر نعير عليه وفرق حزبه ونهب امواله ومزقه كل ممزق وكان دمشوخجا من المفسدين في الارض رئيس اللصوص وقطاع الطريق فاراح الله منه البلاد والعباد

﴿ زلزال عظيم ﴾

وفي صبيحة يوم الخميس عاشر شعبان من هذه السنة زلزلت حلب زلازل كثيرة منها واحدة مزعجة اخربت كثيراً من الاماكن والمساجد بحلب واخربت كثيراً من مدينة الشغر ولم يعهد من قديم الزمان زلزلة مثلها فاجتمعت الفتن والزلازل

﴿ تملك جكم ﴾

وفي سنة ٨٠٧ هرب جكم من السجن في قلعة دمشق وتوجه الى حلب واقام بها مــدة يسيرة فلما قويت شوكته قبض على دمرداش نائب حلب وعلى الحاجب وعلى نائب القلعة وملك المدينة وقلعتها وقطع اسم الملك الناصر من الخطبة وركب بشعار السلطنة وباس له الامراء الارض بحلب وتلقب بالملك العادل

﴿ تواتر الزلازل ﴾

وفيها زلزلت حلب يوم الجمعة ثالث جمادي الاولى وقت الاستواء زلزلة عظيمة فزع الناس لها ولجأوا الى الله تعالى ثم سكنت بعد لحظة ثم زلزلت زلازل كثيرة في السنة المذكورة ولطف الله بعباده

وفي سنة ٨٠٨ ثار نائب القلعة بحلب والحاجب وجماعة من التركمان على جكم واخرجوه من حلب فبلغ السلطان ذلك وارسل تقليــداً الى

علان اليحياوي بنيابة حلب وفي جمادي الاخرة اتى جكم وهجم على حلب وقتل دقماق المحمدي الذي كان نائباً بها قبلاً ونهبها وملك قلعتها وسمع السلطان ذلك فارسل له تقليداً بنيابة حلب ونيابة طرابلس مضافة لنيابة حلب فعد ذلك من النوادر وفي رمضان هذه السنة تحارب جكم مع الباز التركماني الذي سلف ذكره في حوادث سنة ٨٠٦ فملك جكم جميع امواله وقبض جكم على العجل ابن النعير امير العرب بعد ان جرى بينهما مقتلة عظيمة عند قرية زيتان على النهر وولى جكم على العرب ابن العجل

❋ اصل قبيلة أل المهنا ❋

كانت هذه القبيلة من العرب تعرف بآل المهنا وينتهي نسبه الى بدر بن ربيعة وكانت مساكنهم صحراء حلب وحماه وبعض صحراء الخابور وكانوا اولى شوكة وصولة كثيراً ما كان نواب حلب وحماه ودمشق يستعينون بهم على من عاداهم فيجدون منهم قوة ونجدة فوق مأملهم وقد ذكر ابن الخطيب عدة رجال منهم يستحقون الذكر لما عندهم من الشجاعة والكرم والشهامة

وفي ذي القعدة من هذه السنة ولى حلب دمرداش عوضاً عن جكم وفي سنة ٨٠٩ وصل السلطان الى حلب وقرر في نيابتها جركس القاسمي فلما خرج السلطان من حلب رجع جكم اليها وملكها وفر القاسمي ثم ملك جكم دمشق وتلقب بالملك العادل فعند ذلك تحرك عليه قره بلك

نحو آمد فتبعه جكم في عسكر قليل ودخل مضيقاً لا يسعه الفرار فيه فسقط عن فرسه فقبض عليه بعض التركمان وقطع رأسه وجهزه الى مصر

﴿ قصد ابن دلغادر حلب ﴾

وفي سنة ٨١٠ قدم الى حلب علي بن خليل بن قراجا بن دلغادر الشهير بعلي باك التركماني امير التركمان ببلاد مرعش وما والاها قدم اليها لانقاذ ولده المحبوس بقلعتها من قبل الامير جكم فصادف وقت قدومه خلو حلب عن نائب لان نائبها جكم كان قد قتل ولم يقم مكانه نائب ولما وصل ابن خليل الى دابق سير اليه اهل حلب بالرجوع عنهم فطلب ولده منهم ثم جاء الى الميدان الاخضر شمالي حلب ونزل بمن معه من جموع التركمان الازرقية والبياضية وغيرهم وكانوا زهاء خمسة الاف نفر فخرج اهل حلب لقتاله وجرت بينهم وقعة انكسر بها اهل حلب ودخلوا البلد واستمر يحاصر حلب وكان بالقلعة جماعة عصوا ووافقوا ابن خليل المذكور وجعل الحلبيون يقاتلون ابن خليل والتركمان خارج السور و يقاتلون اهل القلعة داخله واهل القلعة يرمون الحلبيين واصر ابن خليل والتركمان على حصار حلب اياماً فجهزوا اليه ولده فلم يفد شيئاً ولم يزده الا بغياً فنهب القرى التي حول حلب وافسد في البر فساداً كبيراً ثم انتقل من الجهة الشمالية ونزل قبلي حلب على السعدي وما حوله وجد في الحصار واشتد اهل حلب لقتاله ولم يكن عندهم من الجند سوى عشرين

فارساً وحصل لاهل حلب ضيق عظيم وطال عليهم ذلك نحو اثنين وار بعين يوماً حتى فرج الله عليهم بقدوم نجدة لهم من طرف حماه وانهزم ابن خليل

﴿ قتال امير التركمان ﴾

وفي هذه السنة ولي حلب تمر بغا المشطوب وفيها عظم شأن كردي باك امير التركمان بالعمق فتوجه لقتاله تمر بغا المشطوب نائب حلب وقاتله اياماً فانكسر ورجع خائباً وتمادى كردي باك في غلوائه حتى خرج عليه الملك المؤيد شيخ فقاتله بالقرب من بقراص تحت جبل اللكام فغلبه وكسره كسرة شنيعة وعاد المؤيد شيخ ظافراً غانماً

وفي ربيع الاول سنة ٨١١ استقر في نيابة حلب الامير دمرداش وفي هذه المرة اكمل بناء جامع الاطروش الذي قدمنا ذكره في الكلام على محلة الاعجام من الجزء الثاني

﴿ ابطال مكر البيض ﴾

وفيها نقش على جدار الجامع الاموي ما صورته لما كان بتاريخ سنة ٧١١ ورد المرسوم الكريم العالي المولوي كافل المملكة الحلبية الملك دمرداش بابطال مكس البيض من المملكة الحلبية وملعون ابن ملعون من يعيده و يجدده . وفي اوائل سنة ٨١٠ جاء الى حلب شاهين بن عبدالله من قبل ملك الامراء شيخ فنزل ببانقوسا يوم الجمعة وزحف على

المدينة و بها نواب الامير دمرداش وحاصرها الى ان اخذها ثاني يوم نهار السبت في العشر الاول من المحرم واستمر بها حاكماً الى العشر الاول من ربيع الاول من السنة المذكورة فصالح شيخ الامير نوروز وجاء نوروز الى حلب من قبل شيخ لانه ملك الشام جميعه وكان سلطان مصر ولى حلب نوروز المذكور سنة ٨١٢ الا انه لم يستطع ان يدخلها خوفاً من شيخ وفي ربيع الاخر من السنة المذكورة اعني سنة ٨١٣ قرر السلطان في نيابة حلب قرقماش بعد ان قهر شيخ ونوروز وغلبهما وفي ذي القعدة منها تصالح شيخ مع السلطان وتولى شيخ من قبل السلطان نيابة حلب ونوروز نيابة دمشق وفي ربيع الاخر سنة ٨١٠ اتفق شيخ ونوروز على العصيان وخرجا وفي سنة ٨١٥ وصل السلطان لدمشق لمحاربتهما وصار يطردهما من بلد الى بلد وكان مع هذا منغمراً في السكر فاعيت العسكر وشغبت عليه العامة وخلعوه وقتلوه في دمشق وكان في هذه البرهة قد ولي دمرداش حلب فاتى اليها نوروز في الربيع الآخر وهرب منه دمرداش وعين نوروز لنيابة حلب يشبك ابن يزدمر وكان بين نوروز وشيخ عهود منها ان يكون شيخ اتابك العساكر بمصر والخليفة هو السلطان ونوروز هو نائب البلاد الشامية ثم لما تسلطن شيخ وخان العهود اظهر نوروز العصيان فخار به السلطان في دمشق وقتله وسار الى حلب وولى نيابتها اينال الصصلاقي وذلك سنة ٨١٧ وفي سنة ٨١٨ اظهر العصيان نائب دمشق قاني باي ووافقه الصصلاقي نائب حلب فحضر السلطان الى حلب وكان النائبان المذكوران فيها ففرا منه فتبعهما

الى العمق وقبض عليهما وذبحهما ثم ولى نيابة حلب اقبـاي الدوادار وذلك كله في السنـة المذكورة · وفي سنة ٨٢٠ سافر نائب حلب اقباي الى القاهرة وكان اشيع عنه العصيان ففرح به السلطان وقرره في نيابة دمشق وقرر في نيابة حلب الامير قجقار القردمي ثم في رجب هذه السنة تغير خاطر السلطان على قجقار القردمي فسجنه وقرر في نيابة حلب يشبك اليوسفي وقرر في نيـابة قلعتها شاهين الاءور شاوي وفي هذه السنة قتل علي عماد الدين النسيمي بحلب وقد تكلمنا عليه في باب التراجم،

﴿ قصد قرا يوسف حلب ﴾

وفي سنة ٨٢١ قصد قرا يوسف التركماني ملك بغداد غزو قره بلك احد امراء التركمان في نواحي الموصل وما والاها فجفل منـه قرا بلك وجاء الخبر الى حلب فجفل اهلهـا ثم ان قرا بلك قطع الفرات فساق خلفه قرا يوسف جريدة وكبسه على عينتاب فنهبها واحرقهـا ووصل الخبر بذلك الى حلب فخاف اهلهـا خوفاً شديداً وخرجوا جرائد على وجوههم النساء والاولاد مشاة حفاة ومنهم من اعتصم في القلعه وسير نائب حلب الى السلطان يخبره بذلك فتهيأ السلطان لمدافعة قرا يوسف والتوجه الى الشام واما قرا يوسف فانه وصل بنفسه الى ناحية تل باشر ووصل قسم من عسكره الى حلب وكانت خالية فتلقاهم الامير يشبك في شرقي بابلي وهو في نحو اربعين فارساً وهم في نحو الخمسمائة فنصر الله

الامـير يشبك على عسكر قرا يوسف ورجع الى حلب منصوراً ثم ارسل قرا يوسف الى حلب رسولاً يقول لهم اني لم ارد حلب وانما اطلب قرا بلك فاخبره اهل حلب ان المذكور توجـه من حلب منذ ايام وعندها اقلع عن حلب ورجع الحلبيون الى اوطانهم

❋ مجيء الامراء الى حلب وقتل يشبك اليوسفي ❋

وفي سنة ٨٢٣ دخل الطنبغا القرشي الامير يوسف حلب وصحبتـه عدة امراء مظهرين ان السلطان جهزهم اليها لحفظ البلاد من قرا يوسف لان السلطان بلغه ان قرا يوسف جمع من العساكر ما لا يحصى وقصد محاربة نائب حلب فاستوحش منهم يشبك اليوسفي نائب حلب وتحفظ منهم ولم يجسروا عليه ولما كان يوم الخميس ثاني عشر المحرم سنة ٨٢٤ ورد هجان و بيده كتاب يخبر بوفاة السلطان الملك المؤيد شيخ فاضطرب الطنبغا وجماعته وتوجهوا الى جهـة مصر وخرجوا من حلب من باب المقام والامير يشبك اليوسفي يراهم ولم يخرج لتوديعهم ولما ابعدوا عن حلب قليلاً ركب اليوسفي في اثرهم فلما بصروا به رجعوا عليه وتقاتلوا ساعة فانتصر الامير الطنبغا وانكسر اليوسفي وقتل وجيء برأسه وعلق على باب القلعة ومن العجيب ان السماط الذي اعده اليوسفي لغـدائه صار غداء الامير الطنبغا وجماعته واستقر الطنبغا في نيابة حلب وفيها عزل الطنبغا عن نيابة حلب ووليها اينال الجكمي ثم في رجب منها وليها تغري و يردي ثم في رابع ذي الحجة منها عزل تغري و يردي لانه شاع عنه

العصيان وولي نيابة حلب مكانه قان بك فتسلم حلب في المحرم سنة ٨٢٥ بعد ان حصل بينه و بين تغري و يردي حرب شديدة وانكسر تغري و يردي وهرب وفي سنة ٨٢٦ ولي حلب جارقطلو وفي ربيع الاخر سنة ٨٣٠ ولي نيابة حلب قصرو وهو الذي احتفل بمشهد عبدالله الانصاري الذي اسلفنا ذكره في الكلام على محلة الكلاسة في الجزء الثاني وفي سنة ٨٣٣ كان الوباء بحلب والشام ومصر وما بينهما وتلف فيه خلق كثير و بلغت فيه الوفيات اليومية في مصر عشرة الاف نسمة ثم صرفه الله بفضله ولطفه وفي سنة ٨٣٦ سار السلطان من الديار المصرية الى الديار الشامية الى حلب ودخلها في يوم مشهود وخلع على القاضي محب الدين ابن الشحنه واقره في قضائه ثم توجه نحو البيرة ونزل على آمد وجرى بينه و بين قرا بلك وقعة عظيمة ثم بلغ السلطان ان قرا بلك سار الى جهة حلب ليأخذها على حين غفلة من السلطان فجهز له عسكراً وادركوه بالقرب من الفرات فحصل بينهم وقعة عظيمة ورجع قرا بلك وعاد السلطان وفي سنة ٨٣٧ في رجب ولي حلب قرقماش الشعباني حاجب الحجاب. وفي سنة ٨٠٩ ولي حلب اينال الجكمي ثانية ثم في رجبها وليها تغري و يرمش التركماني وفي اواخر هذه السنة سار تغري و يرمش ومعه ثمانية مقدمون و كان من جملتهم الامير جقمق الذي صار بعد سلطاناً ساروا جميعاً الى طرد ابن دلغادر عن البلاد الحلبية فطردوه ثم عادوا الى حلب ثم عاد الامراء الى الديار المصرية حسب المرسوم السلطاني وفي سنة ٨٤٢ اظهر العصيان تغري و يرمش نائب حلب

وفي شعبانها ثار عليه اهـل حلب ورجموه بالحجارة ونهبوه واخرجوه والسبب في ذلك ان تغري و يرمش حاصر القلعة واطلع على ان اهل حلب مائلون مع نائبها فنادى مناديه بنهب البلد فثاروا عليـه ثم في شوال سارت العساكر الى حلب لقتال تغري و يرمش نائبها فلما وصلوها وجدوه في جموع كثـيرة من التركمان فوقع بينهم مقتلة عظيمة ثم قبض بعض التركمان الذين مع تغري و يرمش عليه وكاتبوا السلطان بذلك فامر بقتله فقتلوه وارسلوا رأسه للقاهرة وفي شوال هذه السنة ولي حلب الامير جلبان ثم في سنة ٨٤٣ وليها قانباي الحمزاوي ثم نقل منها الى دمشق

﴿ ابطال مكس الكتان وتكسير الخوابي ﴾

وفي سنة ٨٤٦ نقش على جدار الجامع ما صورته : لمـا كان بتاريخ سابع عشر ربيع الاخر سنة ٨٤٦ ورد المرسوم الشريف السلطاني من الملك الظاهر جقمق خلد الله ملكه بابطال مكس الكتان من خان الكتان وملعون من يجدده ونقش ايضاً : لما كان بتاريخ سابع وعشرين ربيع الاخر سنة ٨٤٦ ورد المرسوم الشريف السلطاني من الملك الظاهر جقمق خلد الله ملكه بابطال ما كان يؤخذ من اهل مدينة سرمين عن تكسير الخوابي ابطالاً دائماً ابتغاء لوجـه الله تعالى والله يجزيه الثواب العظيم وفي سنة ٨٤٩ ولي حلب تغري و يردي الجركسي وفيها حدث بحلب طاعون عظيم لم تعلم وفياته اليومية وفي سنة ٨٥١ تقرر في نيابة حلب آق و يردي الساقي الخاصكي ثم استبدل بقان بك البهلوان فتوفي

في ربيع الاول وولي حلب برسباي الناصري فتوفي في جمادي الاخرة وولي حلب تنم وفي سنة ٨٥٢ اعيد قان باي الحمزاوي الى نيابة حلب

﴿ ابطال ما كان يؤخذ من الدلالين ﴾

وفيها نقش على جدار الجامع ما صورته لما كان بتاريخ جمادي الاولى سنة ٨٥٢ ورد المرسوم من الدولة الشريفة العالية الظاهرية مولانا الملك جقمق خلد الله ملكه كافل المملكة الحلبية المحروسة اعز الله انصاره في ابطال ما كان يؤخذ ظلماً من الدلالين في سوق الحراج وان لا يتعرض لهم احد من خلق الله وملعون ابن ملعون من يجددها او يعيدها او يسعى بها

— طاعون —

وفي مسودة كنوز الذهب ما خلاصته في هذه السنة حدث في حلب واطرافها طاعون سرت جراثيمه الى غدير خندق القلعة وافنى ما فيه من السمك وطفت جثثه على وجه الماء وفتك في المحلات الخارجة عن السور لاسيما محلة الكلاسة و بانقوسا اكثر مما فتك في سكان غيرهما من محلات حلب الداخلية وكثرت الوفيات منه في القرى القريبة من حلب حتى نتن هواؤها و بلغت وفياته اليومية في حلب نحواً من خمسمائة نسمة

﴿ ابطال مكس الزيتون من قرى عزاز ﴾

وفيها نقش على جدار الجامع ما صورته : لما كان بتاريخ خامس شهر

ربيع الاول سنة ٨٥٧ رسم المقر الكريم العالي يوسف الخافاني باشارة مخدومه المقر الكريم العالي السيفي المنصوري مولانا الملك الآمر اعز الله انصاره بابطال مكس الزيتون من قرى عزاز ومعاملتها وملعون ابن ملعون من يعيدها او يجددها · وفي سنة ٨٥٩ ولي حلب جانم الاشرفي

﴿ احتفال الناس بماء السمرمر ﴾

قال في مسودة كنوز الذهب ما خلاصته في هذه السنة (٨٥٩) احتفل الناس بوصول ماء السمرمر الى حلب احضر اليها من عين ماء في واد من بلاد العجم وهو محفوظ في ابريق من الصفيح فوضع على مأذنة جامع القلعة زعماً بانه يجلب طير السمرمر الذي هو عدو الجراد : قلت سيأتي لنا في حوادث سنة ٩٦٤ ما فيه البيان لبطلان هذا الزعم وفي سنة ٨٦٣ ولي حلب اينال اليشبكي

﴿ طاعون جارف ﴾

وفيها وقع طاعون بحلب اهلك الحرث والنسل واقفل دوراً كثيرة ومحى عدة بيوت وتوفي فيه جم غفير من العلماء والاعيان ومات فيه بحلب وضواحيها زيادة عن مائتي الف نسمة

﴿ ابطال خانية قلعة القصير ﴾

وفي سنة ٨٦٤ نقش على جـدار الجامع ما صورته : لما كان بتاريخ سلخ شهر محرم سنة ٨٦٤ رسم حضرة مولانا السلطان الملك الاشرف اينال خلد الله ملكه بابطال ما تجدد على المصمة بقلعة القصير عن كل خانية عشرة دراهم وان لا يؤخذ منهم سوى كل خانية درهم واحد على جري عادتهم في الزمان القديم وملعون ابن ملعون من جدد هذه المظلمة . وفي سنة ٨٦٥ توفي اينـال اليشبكي نائب حلب ووليهـا جاني بك التاجي

﴿ ابطال مكس الزيت من قرى عزاز ﴾

وفيها نقش على جدار الجامع ما صورته : لما كان بتاريخ سادس شهر ربيع الاول سنة ٨٦٥ رسم الكريم العالي المولوي الملكي المخدومي السيفي كافل المملكة الحلبية الشريفة المحروسة بابطال مكس الزيت من قرى عزاز و توابعها وملعون ابن ملعون من يجدده الى يوم الدين : وفي سنـة ٨٦٨ ولي حلب بردبك الجمدار . وفي سنة ٨٧١ ولي حلب يشبك البجاسي

﴿ قتال امراء ذي القدرية مع بعضهم ﴾

وفي جمادي الآخرة سمع السلطان بمصر ان رستم بن دلغادر قد

تحـارب مع قريبه شاه سوار كلاهما من امراء الدولة الغادرية فرسم السلطان ان يخرج عسكر حلب لمساعدة رستم وهذا اول باب فتح للشر مع شاه سوار · وفي سنة ٨٧٢ قويت شوكة شاه سوار فقصده عسكر الشام وحلب فكسرهم وقتل كثيرين من الاعيان واستولى على عـدة مدن وقلاع وفي جمادي الاولى ولي حلب عائداً اليهـا بردبك الجمدار وفي سنة ٨٧٣ ولي حلب اينال الاشقر

✲ محاربة شاه سوار ✲

وفيها امر السلطان اولاد الناس ان يخرجوا لمحاربة شاه سوار لانـه عزم على اخـذ حلب وامر السلطان ان من لم يسافر لمحاربة شاه سوار فليحمل الى بيت المال مائة دينار بدلاً وفي شعبان هذه السنة سار العسكر من مصر لمحاربـة شاه سوار فلما وصلوا الى حلب هرب منهم فتبعوه ودخلوا في مواضع ضيقـة فخرج عليهم في سواده الاعظم وقتـل منهم ومن امرائهم ما لا يحصى وكانت وقعة مشهورة ثم رجع العسكر المصري في اسوأ حال · وفي ٨٧٤ ولي حلب قانصوه اليحياوي · وفي سنة ٨٧٦ وصلت العساكر التي جهزها السلطان لمحـاربة الشاه سوار فالتقوا معه واخذوا منه عينتاب وغيرها ثم في الآخرة التقوا معه ثانية وكسروه كسرة شنيعة حتى التجأ الى قلعة زمنطوا فساروا اليه وحاصروه ثم طلب احد الامراء ليخاطبه في الصلح فصعد اليه ومعه القاضي شمس الدين بن اجا قاضي العسكر وتكلما معه فيما قصد وضمنـا له ان اصابه

شيء فلم ينزل فخرجا من عنده واتيا المعسكر وضيقا عليه الحصار فطلبهما ثانياً وتكلم معهما كلاماً طويلاً ونزل معهما ثم غدر به نائب الشام وزنجره واستصفى بلاده وامواله وسيره معه الى القاهرة فشنقه السلطان مع عدة من اصحابه وفي سنة ٨٧٨ ولي حلب قايتباي الحمزاوي

﴿ ابطال مكس السلاح وغيره ﴾

وفيها نقش على جدار الجامع ما صورته : لما كان بتاريخ اول رجب الفرد سنة ٨٧٨ رسم الكريم العالي السيفي خاير بك امير السلاح المقر الكريم العالي السيفي قايتباي الحمزاوي كافل المملكة الحلبية المحروسة بابطال مكس جميع السلاح في سوق السلاح وملعون ابن ملعون من جدد هذه المظلمة ومن سعى بتجديدها كان الله ورسوله خصمه يوم القيامة . وفي سنة ٨٨٢ نقش ما صورته ايضاً : الحمد لله لما كان بتاريخ رجب سنة ٨٨٢ رسم الامير الشريف العالي المولوي الملكي الاشرفي قايتباي خلد الله ملكه وادام اقتداره بمحمد وآله بابطال ما على الدباغين بدير كوش من المكس والمظلمة ونقش ايضاً ما صورته : لما كان بتاريخ ثالث عشر ذي الحجة سنة ٨٨٢ ورد المرسوم الشريف من حضرة مولانا المقر العالي السلطاني الملكي الظاهري قايتباي الحمزاوي كافل المملكة المحروسة اعز الله انصاره بابطال مكس الملح الداخل مدينة حلب وملعون ابن ملعون من يتعرض له او يعيده . وفي سنة ٨٨٤ ولي حلب أزدمر ابن مزيد

﴿ البطش بالحوارنة ﴾

وفي سنـــة ٨٨٥ بطش الحوارنة ببعض اعوان ازدمر فصار يتبعهم ليقتلهم فحصروه مرة بدار العدل فخشى شيخهم ابن سيرك عاقبة امرهم فامرهم ان يطردوه بالسلاح والحجارة صورةً ففعـــلوا فهرب الى دار العدل وقال لازدمر ان لم تنادهم بالامان قتلوك وقتلوني ومتى اطمأنوا فتتبع واقتل فناداهم ازدمر بالامان ثم امسك منهم بعد مـــدة طائفة وامر باحضارهم اليه في يوم الموكب حيث القضاة الاربعة حضور عنده وذلك ليوهم ان قتلهم كان شرعاً فاحضروا اليـــه في اليوم المذكور وامر الجلاد بقتل واحد منهم فضربت عنقه وكان القضاة قد شعروا بخداعه فعارضوا بقتل البقية وحقنت دماؤهم والحوارنة المذكورون هم طائفة من عتاد الابطال كانوا بالدولة الجركسية ذوي بطش وسفك لدماء اعوان الظلمة وكانوا يقولون نحن نقتل فلاناً ونعطي ديته معلاقاً لانهم كانوا قصابين او من ذريتهم ومساكنهم اطراف باب المقـــام وحارة القصيلة قلت واليهم تنسب حارة الحوارنة في ذالك السمت · وفي هـــذه السنة ولي حلب ورديش احد المقدمين وفي ذي الحجة منها ثار اهـــل حلب فقتلوا نائب قلعتها لمظالم احدثها وقتلوا معه حاجب الحجاب

﴿ محاربة علي دولات ﴾

وفي سنة ٨٨٨ عين السلطان تجريدة لحلب لمحاربة علي دولات اخي

شاه سوار بن دلغادر ثم في سنة ٨٨٩ عين السلطان تجريدة ثانية لتقوية للعسكر فانه بلغه ان المرحوم سلطان بايزيد خان الثاني العثماني قد امد علي دولات بالعساكر العثمانية وهذا اول تحرك السلاطين العثمانيين على السلطنة الجركسية وفي ربيع الاول وقع الحرب بين علي دولات والعساكر الجركسية فانكسر العسكر الجركسي وقتل منهم مقتلة عظيمة ثم في شعبان خرج الى علي دولات ورديش نائب حلب وتحارب معه فانكسر العسكر الجركسي وقتل ورديش وغيره من الامراء ثم خرج الى علي دولات الامير تمراز ومعه عدة امراء فتحاربوا معه وكسروه واستولوا على ما كان معه من الالوية العثمانية ودخلوا بها حلب . وفي ذي القعدة ولي حلب عائداً اليها ازدمر امير مجلس

﴿ استرضاء السلطان المصري السلطان العثماني ﴾

وفي ذي الحجة اتفق رأي السلطان وامرائه ان يرسلوا رسولاً الى السلطان العثماني لازالة الوحشة بينهما فارسلوا له تقليداً من الخليفة بان يكون مقام السلطان على بلاد الروم وعلى ما سيفتحه الله على يده وقد شاع ان سبب الفتنة بين السلطانين ان احد ملوك الهند ارسل على يد بعض التجار الى السلطان العثماني هدية حافلة من جملتها خنجر قبضته مرصعة باحجار الكريمة فلما وصل التاجر بالهدية الى جدة احتاط عليها عامل السلطان في جدة وارسلها الى مخدومه السلطان الجركسي فاستحوذ عليها فحقد السلطان العثماني عند ما بلغه ذلك ثم امد علي دولات

بالعساكر وجرى ما تقدم ذكره غير ان السلطان الجركسي بعـد ذلك ارسل الهدية والخنجر الى السلطان العثماني واعتذر منه وقيل السبب في ذلك ان السلطان قايتباي الجركسي آوي جم اخا السلطان بايزيد الثاني وكان جم قد خرج على اخيه فحقد على السلطان قايتباي وكان من امره ما كان

الحرب بين العسكرين العثماني والمصري

وفي سنة ٨٩١ في صفر وقع القتال بين العسكر السلطاني العثماني والمصري فانكسر العسكر العثماني وقبض على احمد بيك ابن هرسك قاضي العسكر العثماني ، على عدة امراء معه وسيروا الى القاهرة

— ابطال اقامة المكاسين —

وفيها نقش على جدار الجامع ما صورته : لما كان بتاريخ عشر من جمادي الاولى سنة ٨٩٠ رسم باشارة الكريم العالي المولوي المالكي المخدومي الكافلي السيفي الاشرفي كافل المملكة الحلبية المحروسة اعز الله انصاره بابطال ما كان بمدينة حلب من اقامة المكاسين وملعون ابن ملعون من يجددها

— ابطال رسم الحنه —

وفي سنة ٨٩٣ نقش على جدار الجامع ما صورته : لما كان بتاريخ رابع عشر شهر جمادي الاخرة سنة ٨٩٣ رسم مولانا المقر العالي السلطان

المكي الظاهري قايتباي الحمزاوي مولانا الملك الآمر كافل المملكة الحلبية اعز الله انصاره بابطال ما كان يأخذ ناظر الحته من سوق الحناويه وملعون من يجدده . وفي هـذه السنة خرجت تجريدة من مصر لم يخرج منها مثلها فوصلت الى آذنه وشرعت في حصارها لاسترادها من يد ابن عثمان فقتل من الفريقين ما لا يحصى واخـذ العسكر المصري آذنه بالامان

﴿ الصلح بين السلطانين ﴾

وفي سنـة ٨٩٦ تم الصلح بين السلطان العثماني و بين المصري وورد العثماني جميع القلاع التي استولى عليها من المملكة المصرية واطلق المصري جميع اسراه وفي شوال هذه السنة وقعت فتنة كبيرة بين اهل حلب و بين نائبها ازدمر وقتل من مماليكه سبعة عشر مملوكاً وقتل من الحلبيين خمسون رجلاً واحرقوا جماعـة من حاشية النائب وكادت حلب تخرب عن آخرها لو لم يتـدارك الامر قانصوه الغوري صاحب الحجاب وقتئذٍ بحلب . وفي سنة ٨٩١ حدث طاعون عظيم بحلب لم تذكر وفياته . وفي سنة ٨٩٩ توفي ازدمر نائب حلب ووليهـا مكانه اينال السلحدار نقل اليها من طرابلس

﴿ منع السقي من ماء الساجور ﴾

وفي سنة ٩٠١ نقش على جدار الجامع ما صورته : لمـا كان بتاريخ

رابع جمادي الآخر سنة ٩٠١ ورد المرسوم الكريم العالي المولوي الملكي المخدوي الكافلي السيفي الاشرفي مولانا الملك الناصر كافل المملكة الحلبية بان لا يسقى من ماء الساجور الواصل الى حلب زرع حاسين وفافين وملعون من يزرع على ماء الساجور زرعاً

— ابطال مكس القطن وغيره من المكوس —

وفي سنة ٩٠٢ نقش على جدار الجامع ما صورته : لما كان بتاريخ رجب الفرد سنة ٩٠٢ رسم الجناب العالي المولوي الملكي المخدومي الكافلي السيفي الاشرفي مولانا الملك الناصر كافل مملكة حلب المحروسة اعز الله انصاره بابطال ما كان يؤخذ من مكس القطن من سوق القطن وملعون ابن ملعون من يجدد غيره ونقش ايضاً في السنة المذكورة امر بابطال مكس المسك والزعفران وآخر بابطال مكس السماق من خان السماق وآخر بابطال ما هو معين عن ختم القماش العراقي والدمشقي والقدسي وآخر بابطال ما كان يؤخذ من وقف نهر الساجور الواصل الى حلب وصورة كل هذه الاوامر على المنوال السابق فلا حاجة الى ذكر نصها وفي سنة ٩٠٣ خرج اق بردى وهرب الى دمشق وحاصرها ونهب ضياعها ثم سار الى حلب فنهب ضياعها وحاصرها نحواً من شهرين فاراد اينال السلحدار صاحب حلب ان يسلمه المدينة فثار عليه اهلها ورجموه وطردوه عنها وحصنوها فانضم اينال السلحدار نائب حلب الى اق بردي وتوجها الى علي دولات والتجآ اليه وفي ربيع الآخر من هذه

السنة ولي حلب جان بـلاط · وفي سنة ٩٠٤ ولي حلب قصروه ابن اينال

— حصار اق بردي حلب —

وفيها رجع اق بردي الى حلب وحاصرها اشد المحاصرة واحرق ما حولها من الضياع واشرف على اخـذ المدينة ثم تم الصلح بينه و بين الامراء الذين قدموا لمحاربته من مصر الى حلب وفيها ولي حلب دولات باي ابن اركماس وفي سنة ٩٠٥ ولي حلب الامير قرقماش ابن ولي الدين ثم في سنة ٩٠٦ وليها اركماس ابن ولي الدين · وفي سنة ٩٠٨ ولي حلب سيباي ابن عبدالله الجركسي المعروف بنائب سيس · وفي سنة ٩٠٩ حاصر القلعة سيباي المذكور لوقوع وحشة بينه و بين نائب القلعة وخرق المدرسة السلطانية من جهتين جهة للدخول واخرى جعلها نصب القلعة فلم يقدر عليها و بلغ فعله هذا الغوري فتغير عليه ثم عفا عنه · وفي سنة ٩١٠ ولي حلب خير بك اخو قانصوه البرجي

هجوم الشيعي على منلا عرب —

في سنة ٩١٥ قدم الى حلب محمد ابن عمر الانطاكي الواعظ المعروف بالروم بمنلا عرب ووعظ في جامعها الاعظم وكان كثير القدح في شاه اسماعيل سلطان تبريز وفي شيعته فحضر في مجلس وعظه شيعي متسلح من اصحاب سفير العجم الوارد الى الغوري صاحب مصر جاء من عنده

الى حلب فهم الشيعي باشهار السيف ليقتــل الشيخ المذكور فعاجله الحلبيون وقتلوه واحرقوه فاضطرب السفير وعرض الحال على الغوري وسبقه خيري بك وعرض على الغوري ان قتله احمد فتنة عظيمة اوقدها السفير فطاب خاطر الغوري ورضي عن الشيخ

نبذة من الكلام على دولة الاتراك المعروفة ايضاً بدولة الاملاك وعلى دولة الجراكسة في مصر والشام

﴿ دولة الاتراك ﴾

اكثر ملوك هذه الدولة مماليك لصلاح الدين الايوبي ولاولاده من بعده وهم يعرفون بالمماليك البحرية نسبة الى بحيرة في اراضي مصر وكان الباعث على تمليكهم ضعف اعقاب صلاح الدين وبلوغ دولتهم طور الشيخوخة والهرم وشيوع اخبار التتر الجنكزيين ووشك قصدهم بلاد الشام فخشي اهل الحل والعقد من المصر يين سوء المغبة وسلطنوا المعز عز الدين ايبك مملوك الملك الاشرف بن صلاح الدين وذلك في سنة ٦٤٨ فقتل سنة ٦٥٥ وتسلطن ولده الملك المنصور نور الدين علي وقتل سنة ٦٥٧ وتولى الملك بعده وزيره الملك المظفر قطمز المعزي وقتل سنة ٦٥٨ وتولى الملك بعده الملك الظاهر بيبرس البندقداري العلائي ومات سنة ٦٧٦ وتولى بعده ولده الملك السعيد محمد بركه خان وخلع

نفسه سنة ٦٤٨ وتولى بعده اخوه الملك العادل سلامش فخلع نفسه وخلفه الملك المنصور قلاوون الصالحي النجمي ومات سنة ٦٨٩ وتولى بعده صلاح الدين خليل وقتل سنة ٦٩٣ وقام بعده اخوه الملك الناصر وخلع في سنة ٦٩٤ وخلفه الملك المنصور لاجين المنصوري وقتل سنة ٦٩٨ وتولى بعده الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون ثانية وخلع نفسه سنة ٧٠٨ وقام بعده الملك المظفر بيبرس الجاشنكير فقبض عليه بعد احد عشر شهراً وتسلطن بعده الملك الناصر محمد ثالثة ومات سنة ٧٤١ وتولى بعده ولده الملك المنصور ابو بكر فخلع سنة ٧٤٢ وتولى بعده الملك الاشرف علاء الدين كوچك فخلع وتولى بعده الملك الناصر شهاب الدين احمد ومات سنة ٧٤٣ وتسلطن بعده اخوه الملك الصالح عماد الدين اسماعيل ومات سنة ٧٤٦ وخلفه اخوه الملك العادل شعبان ومات سنة ٧٤٧ وقام بعده اخوه الملك المظفر زين الدين حاجي وقتل سنة ٧٤٨ وخلفه اخوه الملك الناصر حسن وخلع نفسه سنة ٧٥٢ وتولى بعده الملك الصالح صالح بن الملك العادل محمد بن قلاوون وفقد سنة ٧٦٢ وخلفه الملك المنصور محمد بن الملك المظفر حاجي بن محمد قلاوون وخلع سنة ٧٦٤ وخلفه الملك الاشرف شعبان بن حسين بن الناصر بن قلاوون وخنق سنة ٧٧٧ وتولى بعده اخوه الملك الصالح حاجي وخلع سنة ٧٨٤ وهو آخر ملوك دولة الاتراك المماليك وبه كان انقراض دولتهم وكان ابتداؤها سنة ٦٤٨ وانتهاؤها سنة ٧٨٤ فكانت مدتها ١٣٦ سنة وعددهم ٢٥ ملكاً وقد بلغت طور الشيخوخة والهرم واستفحل امر مماليكهم

الجراكسة ونبغ منهم رجال بالبطولة والشجاعة وجودة التدبير فانتقلت الدولة اليهم وعرفت بدولة الجراكسة المماليك

﴿ دولة الجراكسة ﴾

ابتدأ سلطان هذه الدولة في مصر والشام سنة ٧٨٤ وانقرضت سنة ٩٢٢ فكانت مدتها ١٣٨ وعدد ملوكها ٢٣ اولهم السلطان الملك الظاهر سيف الدين برقوق بن نص العثماني الجركسي تولى الملك سنة ٧٨٤ ثم قبض عليه في سنة ٧٩١ ثم اعيد الى السلطنة سنة ٧٩ وفي سنة ٨٠١ تسلطن ولده الملك الناصر فرج وفي سنة ٨٠٨ تولى ولده المنصور عبد العزيز ثم في سنة ٨٠٥ اعيد والده الملك الناصر فرج فقتل واضيفت السلطنة الى الخليفة المستعين بالله العباس فجمع بين الخلافة والسلطنة ستة اشهر ثم خلع منهما وتسلطن الملك المؤيد شيخ وفي سنة ٨٠ حضر الملك المؤيد شيخ الى حلب وامر بعمارة سورها الجواني وكان خرب معظمه في حادثة تمرلنك وقد جمع الملك المؤيد شيخ القضاة واستشارهم في امر السور وكان في ذلك خراب مساجد وجوامع واسواق قال علاء الدين ابن خطيب الناصرية في تاريخه الدر المنتخب فاشرت عليه ان لا يفعل فاصر على بناء السور الجواني ورسم به ثم سافر نحو القاهرة ورسم باخراج دراهم من حلب ومعاملتها وغيرها وجهز الدراهم لحلب لعمارة السور الجواني فشرع بعمارته وعمر منه جانب كبير اشار به ولما مات بطل العمل مات الملك المؤيد شيخ سنة ٨٢٤ فتسلطن بعده ولده الملك المظفر احمد

وقبض عليه في هذه السنة وتسلطن بعده الملك الظاهر ططر فمات في هذه السنة ايضاً وتسلطن بعده ولده الملك الصالح محمد وخلع سنة ٨٢٥ وتسلطن بعده الملك الاشرف برسباي وفي سنة ٨٤١ عهد بالسلطنة الى ولده الملك العزيز ابي المحاسن يوسف فخلع سنة ٨٤٢ وخلفه الملك الظاهر ابو سعيد جقمق وخلع نفسه سنة ٨٥٧ وتولى بعده ولده الملك المنصور عثمان وخلع في هذه السنة وخلفه الملك الاشرف ابو النصر اينال وفي سنة ٨٦٥ خلع نفسه وعهد بالسلطنة الى ولده الملك المؤيد ابي الفتح احمد فخلع في هذه السنة وتولى الملك بعده الملك الظاهر ابو سعيد خوشقدم وهو غير جركسي توفي سنة ٨٧٢ وخلفه الملك الظاهر بلباي الاتابكي فخلع بعد مدة وتسلطن بعده الملك الظاهر ابو سعيد تمربغا الاتابكي وخلع بعد شهرين وولي الملك بعده ابو النصر قايتباي المحمودي الظاهري سنة ٨٧٢ ومات سنة ٨٩١ فولي ولده الملك الناصر محمد بن قايتباي وقتل سنة ٩٠٤ وولي مكانه خاله الملك الظاهر ابو سعيد قانصوه فاعتقل وولي بعده صهره الملك الاشرف جانبلاط سنة ٩٠٥ فقتل وتسلطن بعده الملك العادل طومان باي سنة ٩٠٦ فقتل فتولى بعده الملك الاشرف قانصوه الغوري وهو آخر ملوك الدولة الجركسية ولما اراد المماليك ان يولوه السلطنة شرط عليهم ان لا يقتلوه اذا ارادوا غيره بل يعلموه بارادتهم فيخلع نفسه متى شاؤا وقد بقي في السلطنة الى سنة ٩٢٢ وفيها كان مقتله في محاربة السلطان سليم العثماني على ما نبينه

مقتل السلطان قانصوه الغوري واستيلاء السلطان سليم العثماني على مصر والشام

في سنة ٩٢٢ تقدم السلطان سليم العثماني بجيوشه الى البلاد الشامية ليستولي عليها و يستخلصها من يد السلطان قانصوه الغوري وقد اختلف في اسباب قيامه فقيل هي ان السلطان سليم لما غزا العجم مر بعساكره على البيرة فمنع علي دولات اهل مرعش من ان يبيعوا الاقوات عساكر سليم واباح لاهل مرعش ان ينهبوا احمال اقوات العساكر العثمانية فمات اكثرهم جوعاً فاستاء السلطان سليم من ذلك وكتب الى الغوري يستأذنه بحرب علي دولات فكتب اليه بانك اذا امكنك ان تقتله فافعل وكتب الى علي دولات يحرضه على السلطان سليم وكان قصده من تحريض الطرفين ان يتخلص من احد عدويه ففطن السلطان سليم لذلك وقصد حرب الغوري وقيل ان السبب هو ان السلطان قانصوه اظهر ان مجيئه الى حلب لم يقصد منه سوى ايقاع الصلح بين السلطان سليم و بين الشاه اسماعيل الصفوي وقد كتب الى الشاه مع رسول بعثه خفية كتاباً يعده فيه بالنجدة على السلطان سليم فوقع الكتاب بيد السلطان سليم وتجرد لمحاربة الغوري

وقيل ان مجيء السلطان سليم الى هذه البلاد كان باستدعاء من اهلها تخلصاً من الحكومة المصرية لما كانت تجريه على اهل هذه البلاد من العسف والظلم ومصادرة الاموال حتى كثرت العوانية لكثرة ما يصغي

اليهم وسلب كثير من الاغنياء اموالهم حتى عادوا فقراء و كانت التركات تأخذها الحكومة وتبقي ورثة الميت فقراء وقد اشار الى هـذه المظالم القرماني في تاريخه والشيخ زنبل ورضي الدين الحنبلي في كتابهما وغيرهم من المؤرخين

وقال بعض المفكرين من الاتراك ان سبب مجيء السلطان سليم الى البلاد الشامية والقطر المصري - عارض وان السلطان سليم لم يكن في حملته هذه قاصـداً فتح سورية بل كان الغرض منها ان يقصد بهـا حرب الشاه اسماعيل و يزيل دولته و يستولي على مملكته لغرضين احدهما تخليص الناس من كفره وظلمه وثانيهما وهو المقصد الاعظم فتح الطريق الى الشرق الاقصى واستيلاؤه على ما فيه من الدويلات الاسلاميـة المتبعثرة وجعل العالم الاسلامي جميعه تحت راية واحدة لا تقوى على تمزيقها عواصف الايام والليالي مهما كانت عظيمة : هذا هو الذي كان يقصده من هذه الحملة و بقية الحملات التي كان يجهزها لغزو بلاد العجم غير انه لما تحقق ان السلطان الغوري حليف الشاه اسماعيل وظهيره بدأ به قبل ان يبدأ بمقصده الاصلي لانه عد سلطان مصر عقبـة كؤود تعوق سيره الى تلك البلاد والله اعلم

هذا وان السلطان الغوري قبل ان يخرج من مصر اعـد من جهاز السفر والات الحرب ولوازمه ما لم يسمع بمثله بحيث كان عـدد جيشه وعدد محاربيه يفوق عدد وعدة الجيش العثماني اضعافاً مضاعفة ثم خرج السلطان الغوري من مصر ومعه الخليفة والقضاة الاربع يوم السبت ١٦

ربيع الآخر سنة ٩٢٢ وكان معه ٩٤٤ اميراً وبينما هو في الطريق
ورد عليه من نائب حلب خيري بك كتـاب يقول فيه ان ابن عثمان
ارسل قاصداً ومعه كتاب لمولانا فابقيت القـاصد وارسلت الكتاب
فلما فكه السلطان وقرأه فاذا فيه عبارة حسنة والفاظ رقيقـة منها انه
ارسل يقول له انت والدي واسألك الدعاء واني ما زحفت على بلاد علي
دولات الا باذنك وانه كان باغياً عليّ وهو الذي اثار الفتنة بين والدي
والسلطان قايتباي حين جرى بينهما ما جرى وان البلاد التي اخذتها
من علي دولات اعيدها لكم فانشرح الغوري وجماعته من هذا المكتوب
واستبشروا بالصلح وكان ذلك كله احتيالاً من ابن عثمان ثم ورد عليـه
من سيباي نائب دمشق كتاب آخر فيه ان العبـد سمع بان حضرة
السلطان يريد السفر الى قتال ابن عثمان وان المملوك يقوم بهذا الامر
وتمدوه بالعساكر المنصورة وان خيري بك ملاح علينا ومكاتيبه لا تنقطع
من عند ابن عثمان في كل وقت فلم يلتفت الغوري الى مكتوب سيباي
حذراً منه لانه كان له رمّال يقول له يلي الحكم بعـدك حرف السين
فكان يحاذر من سيباي ظناً منه انه هو المراد بالسين ولما دخل الغوري
دمشق زينت له سبعة ايام وفرش سيباي تحت حوافر فرسه شقق
الحرير وازدحمت عليه المماليك بسبب نثر الذهب والفضة ثم رحـل الى
حمص ومنها الى حلب فدخلها يوم الخميس عاشر جمـادي الآخرة سنة
٩٢٢ وكان دخوله اليها من باب المقام متوجهاً الى الميدان الاخضر في
موكب عظيم وابهـة زائدة ومعه امراؤه والقضاة الاربعة والخليفة

المتوكل على الله العباسي وجماعة من مشايخ الصوفية ذوي الاتباع ومعهم الاعلام وخيري بك كافل حلب حامل بجانبه القبة والطير فنزل بالميدان المذكور ثم حضرت اليه كفال مملكته بعساكرها ولما بلغ السلطان سليم نزول الغوري الى حلب عجب من ذلك وخفي عليه السبب فاوفد على الغوري لكشف خبره قاضي عسكره زيرك زاده وقراجا باشا ومعهما هدية حافلة ولما مثلا بين يديه سألهما عن السلطان سليم فقال له القاضي هذا ولدك وتحت نظرك فقال له الغوري لولا انه مثل ولدي ما جئت من مصر الى هنا باهل العلم حتى اصلح بينه و بين اسماعيل شاه ثم اجزل عطاءه وصرفه ثم ان الغوري نادى بالرحيل لمقابلة السلطان سليم ورحل في النصف الآخر من رجب من السنة المذكورة وقد اودع جميع امواله واموال امرائه عند اهل حلب وصحب معه قضاة حلب وجماعة من الصوفية ومعهم الربعات والاعلام واظهر انه بصدد الاصلاح بين السلاطين وكان الغوري قد ارسل مغلباي الدوادار قاصداً الى السلطان سليم وصحبته عشرة عساكر من خيار عسكره لابسين احسن الملابس وعلى رؤسهم الخود ومع مغلباي كتاب يتضمن طلب الصلح فيما بين السلطان سليم وشاه اسماعيل فلما وصل القاصد المذكور الى السلطان سليم ودخل عليه ومعه العساكر العشرة اغتاظ السلطان سليم وقال لمغلباي الم يكن عند استاذك رجل من اهل العلم يرسله لنا وانما ارسلك بهؤلاء العشرة ليرعب بهم قلوب عسكري و يخوفهم ولكن انا اكيده باعظم من هذا ثم امر بالعساكر العشرة فضربت رقابهم وحبس مغلباي و بعد يومين

اراد ان يلحقه بهم فشفع به متصرف عينتاب فتركه حياً ولكنه حلق لحيته واخلق ثيابه واركبه على حمار معقور اعرج وقال له قل لاستاذك يجتهد جهده وانا سائر اليه ولم يقرأ كتاب الغوري لشدة غيظه ولما رجع مغلباي الى الغوري على هذه الحالة عسر عليه ذلك وصمم على قتال السلطان سليم وامر كربتاي بان يكشف خبر السلطان سليم ويرجع على الفور فلما وصل كربتاي الى قيصرية وجد اهلها قد قفلوا ابوابها وتأهبوا لقتال الجراكسة لما بلغهم عنهم ما فعلوه بحلب واهلها ووجد نائب عينتاب قد انحاز الى السلطان سليم فرجع كربتاي واخبر الغوري بعصيان قيصرية وعينتاب وان عسكر السلطان سليم قد اقبلت طلائعها فارتج عسكر الجراكسة لما فشا فيهم هذ الخبر ووقع فيهم الخلل وعند ذلك انتبه الغوري وجمع الامراء والاعيان وتحالفوا على الصدق فيما بينهم وقام من بينهم الامير سيباي نائب دمشق وقبض على خيري بك نائب حلب وجره من طوقه بين يدي الغوري وقال يا مولانا اذا اردت الظفر بعدوك فاقتل هذا الخائن فقام الامير جانبردي الغزالي وقال يا مولانا ان قتلته افتتن العسكر وقتل بعضهم بعضاً وطمع العدو وضعفت شوكتكم وكان هذا الكلام مكيدة من الغزالي ثم ان الغوري امر ان ينادى بالرحيل والنزول على حيلان وفي اليوم الحادي والعشرين رجب ركب الغوري وخرج من ميدان حلب وبات بمن معه في حيلان وفي الغد امر العسكر بالرحيل الي مرج دابق حيث جعله موعداً للسلطان سليم فرحلوا واقاموا به فلما كان اليوم السابع والعشرين رجب لم يشعروا الا

وقد دهمتهم عساكر السلطان سليم وعندها ركب الغوري وصار يرتب العسكر بنفسه وكان حوله اربعون مصحفاً مغلفة بالحرير الاصفر على رؤس جماعة من الاشراف وفيهم مصحف بخط الامام عثمان بن عفان (رضه) وكان على الميمنة سيباي وعلى الميسرة خاير بك ثم التحم الفريقان للقتال فما كان غير ساعة حتى لاحت الغلبة على العثمانيين واخذ الجراكسة منهم سبعة سناجق وكاد السلطان سليم يهرب او يستأمن غير ان الغوري اراد ان يكر بالقرانصة الذين طالما حاول نكبتهم وهم جند الدولة العام فنادى بمماليكه الجلبان (وهم عسكره الخاص) الذين نوى في استبداداتهم قهر القرانصة ان يكفوا عن القتال ويتركوا القرانصة يقاتلون وحدهم فكفوا وقد شعر القرانصة بمكره فتغيرت نياتهم وقد جد الجيش العثماني باطلاق نيران المدافع فصارت تمطر على الجيوش المصرية وابلاً من القنابل المهلكة فاضطربوا وخافوا وصاروا ينادون العثمانيين باعلى اصواتهم لسنا ممن كفر بالله حتى تحرقوننا بالنار وبينما هم في هذا الاضطراب والارتباك اذا بالسلطان سليم قد رمح بجواده وشق الصفوف وبيده سيف عمر بن الخطاب (رضه) وصاح في امرائه صيحة ردوا بها على الجراكسة كالبحر اذا سال بعرض الوادي وما زال السلطان سليم وعسكره سائرين حتى جاؤا الى صف الغوري وهرب خاير بك والغزالي ومن معهما ونادوا باعلى اصواتهم تجاه خيام الغوري بان السلطان سليماً قد احاط بكم والغوري قد قتل وانكسرنا فتبعهم الجلبان وتشتت العسكر وظنوا ان الغوري قتل حقاً وكان هذا الفعل من خاير بك وصاحبه

مكيدة للغوري اما الغوري فصار ينادي الهاربين يا سادات الشجاعة صبر ساعة فلم يلتفتوا اليه ولما تحقق الغوري ان الكسرة عليه نزل عليه خلط فالج ارخى حنكه فطلب ماء فاتوا به فشرب قليلاً والفت فرسه ليهرب فسقط على الارض وطلع الدم من فمه فامر الامير علان عبداً من عبيده ان يقطع رأسه و يرميه في الجب خوفاً من ان يظفر به السلطان سليم فيمثل به في البلاد ففعل العبد ما امره به الامير علان وقيل ان الغوري لما شعر بنزول الخطب مات فجأة فمر به بعض عسكر السلطان سليم فحز رأسه واحضره الى السلطان فامر بقطع رأس هذا العسكري وقال له ليس لك ان تدخل بين الملوك وعلى كل حال فلم يعلم للغوري خبر ولم يوقف له على اثر ولما شاع خبر موت الغوري زحف عسكر السلطان سليم على من كان حول الغوري وقتلوا عدة امراء من الجراكسة وغيرهم وفقد المصحف العثماني ونهب عسكر الغوري وجلس السلطان سليم في مخيم الغوري واخذ جميع ما فيه و كان شيئاً يفوق العد والاحصاء من الذهب والفضة والملبوس وغير ذلك وهو كالقطرة من بحر بالنسبة لما ابقاه الغوري وامراؤه عند اهل حلب ثم ان السلطان سليماً بقي ليلة في مرج دابق وذهب اكثر عسكر الغوري قاصدين حلب فمنعهم اهلها لما قاسوه منهم عند مجيئهم واما خاير بك فانه دخل حلب وزين لمحمد ابن الغوري و كان ابقاه ابوه على خزائنه بقلعة حلب ان يسافر بالعسكر الى مصر و يتبوأ موضع ابيه ووعده المساعدة على ذلك وكان هذا من خاير بك تمام المكيدة ليأخذ حلب الى السلطان سليم

بغير حرب فصدقه محمد ابن الغوري وتوجه بالعسكر قاصدين مصر وسار معه خاير بك فلما وصلوا حماه بقي بها خاير بك وفارق محمد ابن الغوري معتذراً له واما السلطان سليم خان فانه سار من مرج دابق الى حلب وخرج اهلها لملاقاته عند الميدان الاخضر ومعهم العلماء والصلحاء حاملين المصاحف على رؤسهم يستقبلونه و يهنونه بالفتح و يسئلونه الرفق والصفح فقابلهم بالجميل

– حوادث الدولة العثمانية في حلب – ودخل السلطان حلب في رجب سنة ٩٢٢ وتسلم قلعتها بالامان وطلع اليها فرأى فيها ما ادهشه من الذهب والفضة وغيرهما ثم جمع بامره من تجار حلب مال كثير سموه مال الامان وصاروا يبذلونه بطيب خاطرهم لخوفهم يومئذ على النفس ولم يحصل بحلب وجيشه مقيم عليها من القحط ادنى شيء مع كثرة جيوشه ورام منلا زيرك قاضي عسكره ان يعرض للسلطان في مدارس حلب لنزول العسكر فلم يقبل منه السلطان عرضه بل امرهم ان لا يبيت منهم بحلب ديار ثم برز امره بالتفتيش على ودائع الجراكسة التي كانت عند بعض الناس فجمعوا منها ما لا يحصى واتهموا الاصيل صلاح الدين ابن السفاح بشيء منها وعذبوه عليه ولما كان يوم الجمعة نزل السلطان الى الجامع الكبير وصلى فيه ودعا له الخطيب وسماه حامي الحرمين ولما فرغ من صلاته ارسل الى الخطيب يأمره بان يبدل بعد هذا كلمة حامي بخادم ثم خلع عليه واستمرت عادة هذه الخلعة مع ولاة حلب الى اواخر ايام العثمانيين في اول جمعة يصلونها بجامع حلب وكان اطلاق كلمة خادم

الحرمين الشريفين على السلاطين العثمانيين لاول مرة في مدينة حلب وقد سر السلطان سليم من هذه الكلمة وتفاءل بها خيراً وقد بقي في حلب عشرين يوماً وجعل عليها احمد ابن جعفر المشهور بقراجا باشا والياً وكمال الدين ابن الحاج اليـاس الرومي الحنفي المعروف بابن الچكمكچي قاضياً وامر كريم چلبي عبدالله باشا زاده ان يحرر املاك لوائهـا ليعين ضريبة الاملاك بموجبها ثم رحل السلطان من حلب الى دمشق في العشرين من شعبان فلما وصلها تلقاه اهلها كما فعل الحلبيون فامنهم وصلى بها الجمعة وتصدق بها سراً واعلاناً ثم حسن له خاير بك ان يتوجه الى مصر للاستيلاء عليها فسار نحوها واستولى عليها في خبر يطول شرحه ثم عاد الى دمشق وامر ببناء التكية الصالحية ثم الى حلب الا انه نزل بمرج دابق واقام به نحو شهرين ثم سار الى تخته قسطنطينية

— صلب حبيب بن عربو — وفي هذه السنه صلب تحت القلعة الامير حبيب ابن عربو من طائفة معتبرة من امراء القصير من اهـل السنة والجماعة لاتهامه بانه جمع بين تسعة نسوة في آن واحد

— قتل طومان جماعة السلطان سليم - وفي سنة ٩٢٣ ارسل السلطان سليم خان جماعة من الامراء والقضاة الى طومان باي في مصر بالامان فقتلهم عن آخرهم وكان من جملتهم ابو بكر ابن عبـد البر بن محمد و يتصل نسبه بمحب الدين ابن الشحنة

— نفي جماعة من الحلبيين الى طربزون — وفي سنة ٩٢٥ ورد امـر السلطان لوالي حلب بسوق ستين رجلاً من تجار حلب الى طربزون

فحصل القبض عليهم في ليلة واحدة بحيث صاروا يأتون بالرجل وهو لا يشعر بما اريد فيه ثم سيقوا الى طرابزون ثم ورد امر آخر بنفي من في حلب من الاعاجم الى القسطنطينية فسيقوا اليها و برز امر آخر بسوق اهل بيوت القلعة لاتهامهم بانهم اخفوا خزانة مال الغوري بعد ما كان السلطان اقر القلعيين على ما كانوا عليه من المكث فيها فسيقوا الى القسطنطينية ايضاً

— الاستئذان عن عقود الانكحة — وفي هذه السنة صدرت اوامر القضاة الى العلماء ان يأخذوا اذناً منهم اذا ارادوا عقد نكاح وذلك بقصد اخذ رسوم معلومة جعلوها لصندوق المحكمة الشرعية

— هبوب عاصفة شديدة - وفيها هبت ريح عاصفة ذهبت برأس منارة زاوية الاطغاني وطرابزون جامع الصيفي و بعض حجارتها وتاج الشرافة الكائنة فوق باب قبلية جامع الاموي بحلب وبعض جدران متوهنة وقلبت كثيراً من الاشجار العظام ورفعت رجلاً كان في الفلاة قدر ذراعين عن الارض ثم القته في مكان آخر

— اشهار جان بردي العصيان وقتله -- وفي سنة ٩٢٦ اشهر العصيان جان بردي الغزالي ابن عبدالله الجركسي و كان والياً على دمشق من قبل الدولة العثمانية وقد خلصه السلطان سليم من ايدي الغوريين وولاه دمشق فلم يظهر معه هذا المعروف العظيم بل عندما توفي السلطان سليم وجلس مكانه ابنه السلطان سليمان نبذ العهود والمواثيق وتجاهر بالعصيان وتسلم قلعة دمشق ثم وجه جماعة مع مملوكه قانصوه المقرفع فقبض على

والي حمص وقتله ثم دخل حماه وقد فر قاضيها وواليها الي حلب واوقع الحمويين في امر مريج ثم حضر جانبردي بنفسه وجمع من الاعراب والتركمان جمعاً عظيماً واخذ في محاصرة حلب وكان واليها قراجا باشا المتقدم ذكره فلم ينل من فعله هذا طائلاً وآل امره الى ان حز رأسه في سنة ٩٢٧ في معركة كانت بينه وبين قراجا باشا المرسل بعسكره اليه قبلاً ولما حز رأسه اشترته زوجته بمال جزيل ودفنته

— عزل قراجا باشا عن حلب وبيان اغلاط في سالنامة سنة ١٣٠٣ —

وفي اواخر هذه السنة اعني سنة ٩٢٦ عزل عن ولاية حلب قراجا باشا وامره السلطان سليمان بسوق السفن الى جهة بلغراد فساقها وقتل على حصار بلغراد شهيداً سنة ٩٢٨ ذكر هذا في در الحبب

✻ تنبيه ✻ لم نعلم من ولي حلب بعد قراجا باشا المذكور وما ذكره في سالنامة الولاية المطبوعة في حلب سنة ١٣٠٣ من ان الوالي بعده خسرو باشا سنة ٩٥٢ فهو غلط محض لما عرفت من ان قراجا باشا توفي في سنة ٩٢٨ اللهم الا ان تكون حلب بقيت بدون والٍ طول هذه المدة على ان خسرو باشا نقل من ولاية حلب الى مصر سنة ٩٤١ كما افاده في در الحبب واعلم ان مثل هذا الغلط الفاحش وقع كثيراً في السالنامة المذكورة في ذكر اسماء الولاة العثمانيين بحيث قدم بعضهم على بعض وذكر منهم من لم يتول حلب بالمدة واهمل من تولاها زمناً طويلاً ولهذا لم نعول عليها في ذكر الولاة الا من لم نقدر على تحرير زمنه ذكرناه وعزوناه اليها لتكون العهدة عليها وبعد ان حررنا اسماء الولاة على قدر ما

في وسعنا صححنا جدول الولاة في سلنامة الولاية على مقتضى ما حررناه وذلك منذ فتح حلب الى يومنا هذا ومن يراجع السالنامة المطبوعة سنة ١٣٠٣ وما قبلها يظهر له ذلك جلياً وفي سنة ٩٣٠ حدث طاعون مهول لم يبق ولم يذر

— صلب نائب حلب اي قاضيها — وفي سنة ٩٤١ دخل الى حلب مجتازاً منها الى آمــد ابراهيم باشا ابن عبدالله باشا الرومي وامر بصلب نائبها محمد بن حمزة لما بلغه عنه من الظلم والتجاهر بالرشوة وشرب الخمر وحضوره الى المحكمة ورائحته مشمومة منه

— مقتل قرا قاضي — في سنة ٩٣٤ كان قرا قاضي علي ابن احمــد علاء الدين الرومي متولياً على خطــة تفتيش اوقاف حلب وامــلاكها والنظر على الاموال السلطانية فبالغ في جمعها وتثميرها حتى اخرج حكماً سلطانيــاً بمنع توريث ذوي الارحام من الشافعيــة بخصوصهم وضبط التركة لبيت المال واراد ان يجعل ملح المملحة المضبوط لبيت المــال اغلى من الفلفل زاعماً ان الناس احوج الى الملح منه ومنع بيع حنطــة كانت مخزونة للسلطان سليمان خان مع ان السنة كانت مجدبة والقحط والغلاء مستوليين ولما اجتمعت هذه الاسباب واراد الله انفاذ امره فيــه حضر لصلوة الجمعة خامس شعبان من السنة المذكورة في الجامع الكبير فقــام عليه غوغاء الناس واسافلهم وكثر لغطهم فيه ثم كــبروا ووثبوا عليه وقتلوه ضرباً بالنعال ورجماً بالحجارة وقتلوا معــه احمد بن ابي بكر الاصلي العريقي الحلبي لانه كان يعضده في اعماله ومن العجب ان قصاباً

شق بطن احمد المذكور واخذ من شحمه شيئاً بيده والناس يرونه ولم يردعه احد عن فعله وقد سحبوه الى تلة عائشة بالقرب من السفاحية ليحرقوه فترامى عليه اهله وسحبوه وخلصوه كما ان السفلة المذكورين جروا جثة قرا قاضي وجردوه من ثيابه ليحرقوه فخلصه جماعة من اهل الخير وخبئوه في الميضأة الى ثاني يوم ثم غسلوه ودفنوه ولما بلغت هذه الفعلة مسامع الدولة ارسلت للتفتيش على قاتليه والانتقام منهم عيسى باشا حفيد ابراهيم باشا المتقدم ذكره وعندما قارب حلب حصل للناس فزع عظيم وقلق جسيم وذلك انه نزل بالميدان الاخضر في غرة محرم سنة ٩٣٥ ودعا اليه سائر الاكابر والاعيان والتجار وحبس مشايخ المحلات وائمتها الامن عصم الله ثم اطلق الائمة وقبض على بعض الموظفين بالجامع الكبير وشدد عليهم ووضع بعضهم في السلاسل واخذ في الفحص عن المتهمين فمنهم من اقروا ومنهم اضطرب ومنهم من عراه ليضربه فلم يقر ثم استخرج من من السجلات اسماء آخرين وجمع المتهمين عن آخرهم وامر بتقييد جميع الحاضرين من الخواص والعوام ثم عفا عن الخواص الا انه لم يطلق منهم احداً بل كلهم باتوا عنـده في الميـدان ورجعت خيولهم الى دورهم لا يدرون ما يفعل بهم ولم يزل العسكر متسلحين واقفـين بين يديه حتى ظن انه يضرب اعناق الجميع وفي ثاني يوم ارسل شرذمة من العسكر الى سجن حلب واحضروا منه بضعاً وعشرين انساناً من المتهمين بهذه الحادثة فقتلهم في نهار واحد وسجن الباقين وبقي الاكابر من العلماء وغيرهم عنده الى عصر اليوم الثاني وهم في وجـل عظيم بحيث لا يجسر احد من

المتخلفين من اهل حلب على ان يأتي بخبر المرسم عليهم عنده او يصل اليهم من بعيد ثم اطلق طائفة منهم واخرى من المتهمين وابقى عنده العلماء ليلة ثانية لكن مع الاكرام والاحترام في الغداء والعشاء ثم امر ان يسجن في سجن القلعة وجامعها طائفة من العلماء وغيرهم بعد ان عين معهم طائفة من عسكره متسلحين يسوقونهم الى القلعة ما بين ماش مربوط اليدين وآخر مسلسل العنق على وجه لا يعلمون عاقبة امرهم ثم كان مآله ان نفي اكثرهم الى رودس واقاموا بها اعواماً حتى اطلق سراحهم بشفاعات وكفالات الا البعض منهم

— عيسى باشا وحالته — وفي سنة ٩٣٥ استقر عيسى باشا والياً في حلب وكان عالماً فاضلاً في عدة فنون حتى في الطب الا انه كان عنده قوة غضبية بحيث اذا اشتد غضبه خمش يديه بيديه فادماها وهو لا يشعر بذلك فاذا سفك دم المغضوب عليه سكن ما به وكان يعتاد لبس الثوب الاحمر يوم الغضب كما كان ذلك عادة لبعض المتقدمين من الجراكسة ولم اعلم من تولى حلب بينه وبين قراجا باشا وفي سنة ٩٣٩ حدث طاعون شديد اهلك خلقاً كثيراً

— مجيء السلطان سليمان الى حلب — وفي سنة ٩٤٠ عاد السلطان سليمان خان من فتح تبريز ومر بطريقه على حلب وطاف على مزاراتها وكان بركابه ابراهيم باشا الوزير الاعظم المتقدم ذكره وفي سنة ٩٤١ نقل خسرو باشا من ولاية حلب الى كفالة مصر ولم ارَ من صرح بتاريخ دخوله والياً على حلب ويفهم من در الحبب ان والي حلب قبله

موسى بك المشهور بابن اسفند يار الخالدي وعلى هذا فيكون موسى بك بين خسرو باشا و بين عيسى باشا وفهم من در الحبب ايضاً ان الوالي على حلب بعد خسرو باشا حسين بك قال و كان كثير القتـل بغير سجل شرعي سفاكاً للدماء على صورة قبيحة من تكسير الاطراف والاحراق بالنار والمحرق حي متناولا للرشا لا نفع له توفي وهو والٍ على حلب في جمادي الاولى سنة ٩٤٩ ودفن خارج الكلاسه ولم اقف على من تولى حلب بعده الى ان دخلها واليــاً مصطفى باشا البيوقلي كما يأتي وفي سنة ٩٥٠ حدث طاعون جارف لم تعلم وفياته اليومية وفي سنة ٩٥١ دخل حلب والياً عليهــا مصطفى بن بيوقلي باشا الرومي فتتبع قطاع الطريق ليلاً ونهاراً بنفسه وعسكره واظهر سطوته في اللصوص وربمــا جاءه النذير عن طائفة من دعار الاكراد وغيرهم من مكان كذا فركب عليهم في الحال بثياب البذلة

— حريق — وفي هذه السنة وقع الحريق ليلاً بالحوانيت الكائنة تجـاه جامع الاطروش والسوق لذي وراءه لخضر الولي بنفسه ووقف ونادى مناديه ان لا يقرب الحوانيت الا اربابها وقطع النار عنها ثم نادى ان يرفع اهل حلب السقائف المعمولة من البواري لسرعــة عمل النار فيها وان يعملوا السقائف من الخشب ففعلوا وجدد في ايامه سقائف لم تكن قبلاً حتى ارتفع ثمن الخشب لكثرة العمل بحلب

— طاعون وغلاء وغيرهما - وفي هــذه السنة وقع طاعون جارف توفي فيه ما لا يحصى من الاشراف والاعيان والعلماء وحصل مع هــذا

الطاعون غلاء عظيم واحترق نهر قويق بحيث صار النـاس يمرون به وخاف النـاس من اللصوص خوفاً شديداً بسبب سطوة مصطفى باشا والي حلب وقامت زوبعة عظيمة قصمت ظهور الناس رعباً ووقع مطر غزير في عينتاب والناس في صلاة الجمعة فلم يشعروا الا والسيول حفت بهم واغرقت كثيراً من بيوتهم وفي سنة ٩٢٥ قـدم الى حلب عمر بن محمد بن محمد الحصكفي الاصل متوجهاً الى الباب العالي بقطعة من خشب ذكر انها من قدح النبي صلى الله عليه وسلم واخبر ان القدح كان في بيت ابيه برمته فاخذ منه السلطان الغوري نصفه وسيباي نائب دمشق ربعه وبقي منه ربع شرب به بعض اركان الدولة الرومية مستغيثاً به من فالج اعتراه فشفي فاخذ منه قطعة ثم وثم الى ان بقي منه احد عشر قيراطاً طلبها من ابيه السلطان سليمان خان فارسلها معه بعـد ان رفقه بحجة شاهدة بصحة انهـا من القدح الشريف ودخل بها الشيخ المذكور الى الحضرة السلطانية ثم عاد وهو منعم عليه ذاكراً ان ربع القدح الذي كان اخذه سيباي وصل الى الخزائن المعمورة السليمانية وجعل في رأس رايته التي تصحبه للجهاد . وفي اثناء هذه السنة عزل عن ولاية حلب مصطفى باشا ووليها سنان باشا بن عبدالله الخادم الرومي كان في اول امره خادماً عند السلطان سليم خان

— توريث ذوي الارحام من الشافعية — وفي هذه السنة حكم قاضي حلب بتوريث ذوي الارحام من الشافعية من مورثهم مخالفـاً للحكم السلطاني الذي اخرجـه قرا قاضي المتقدم ذكره وفي سنة ٩٢٦ عاد

السلطان سليمان خان من غزو بلاد العجم ودخــل حلب وامر بعمارة القسطل المنسوب اليه في ظاهر باب الفرج بحلب وكان مع السلطان ولده جهانكر فمرض بحلب وتوفي بعد ايام من مرضه فامر والده بغسله فغسل وصلى عليه تحت القلعة وام بالناس امام السلطان الذي كان معه ثم ساروا بالنعش الى الفردوس تفاؤلاً بان يسكنه الله جنــة الفردوس وهناك شقوا بطنه وجوفوه ودفنوا امعا‌ءه ووضعوه في صندوق فساروا به الى القسطنطينية فدفنوه بها

— قدوم كوهر ملكشاه الى حلب — وفي سنـة ٩٥٩ قدمت الى حلب كوهر ملكشاه ابنة عائشة السلطانة بنت السلطان بيـاز يد خان وكان قدومها من الحج الشريف على ولدها محمد باشا ابن توقه كين والي حلب صاحب جامع العادلية فخرج الحلبيون لملاقاتها وادخلوها حلب في ابهة زائدة ومشهد عظيم ثم توفيت في السنة نفسهــا ودفنت ببيت اشتراه لها ولدها المذكور قرب السفاحية ثم حصل بجواره بعد خرابه مسجد رتب فيه ثلاثون قارئاً يقرؤن في كل يوم ختمة ولكل قارئ درهم والمفهوم من هذه الحادثة ان والي حلب في هــذه السنة هو محمد باشا عادلي وغلط في السالنامة المتقدم ذكرها اذ ذكره في سنــة ٩٧٢ فانه في هذه السنة لم يكن حياً فضلاً عن كونه والياً في حلب فقد توفي بالروم سنة ٩٦٤ كما نبــه على ذلك في در الحبب ولم اقف على من كان بينه وبين سنان باشا من الولاة ولم اطلع على تاريخ انفصال سنان باشا وابتداء ولاية محمــد باشا في حلب فليحرر وفي سنة ٩٦٠ ولي حلب

بير بك بن خليل اخو قباد باشا الاتي ذكره قريباً وفي سنة ٩٦١ ولي حلب قباد باشا بن خليل بن رمضان القرماني

— طاعون — وفي سنة ٩٦٢ حدث طاعون جارف اهلك العباد واطار الرقاد وتلف فيه ما لا يعد ولا يحصى وقدر بعضهم انه هلك فيه عشر سكان حلب

— احضار ماء السمرمر الى حلب — وفي سنة ٩٦٤ ارسل قباد باشا والي حلب رجلاً اعجمياً الى ما وراء اصبهان لاحضار ماء السمرمر الى حلب بسبب جراد مهول كان بها وحقيق عوده اليها وحسن قباد باشا لارباب الاموال ان يجمعوا للرسول مالاً فجمعوا له ما ينوف على مائتي دينار سلطاني ودفعوا له بعضها ووعدوه بالباقي اذا عاد بالمراد فذهب وعاد في سنته ومعه الماء فخرج الناس الى لقائه ودخلوا به بالتهليل والتكبير ولما كان من تمام خاصة هذا الماء ان لا يدخل تحت سقف كما زعموا كان مستصحبه اذا وصل الى بلدة يسحبه بحبل من فوق بابها حتى وصل الى حلب فسحب من فوق سور باب قنسرين الى ان اريد سحبه من اعلى سور القلعة فعارض دوزدارها ومنع ذلك وعندها وضعوه على قبة التكية الخسروية وكان الجراد قد غرس في الارض فاخذت الحكومة بجمعه من اطراف حلب وهو كالذباب فجمعوا منه بضبط قاضي حلب مائتي الف كيل استانبولي على كل بيت كيلان فيما زعموا والقوه في الحفر والابار المهجورة فلم يمض القليل من الزمان الا و كبر ما بقي وزحف على البساتين فحرك الماء المذكور ليجيء السمرمر بتحريك الشيخ محمد الكواكبي

ومعه مريدوه فلم يغد فزعم الناس ان خاصته انقطعت اذ لم يكن الوارد به من اهل الصلاح والشرط ان يكون منهم · قلت ادركنا في زماننا ان جماعة من الدراويش المنسوبين الى الطريقة البكداشية يحضرون الى البلاد الشامية في اكثر السنين التي يشيع فيها غرس الجراد ويحضرون معهم اباريق من الصفيح ضمنها ماء السمرمر فيعلقونها على جبهة منبر الجامع الكبير ويأخذون عليها من ولاة حلب عطية جرت العادة على اخذها منهم وقد لاحظتها في سنين كثيرة فلم ار منها اقل فائدة

— غدر والي حلب بالحلبيين — وفي هذه السنة ايضاً انفصل قباد باشا فسر الناس بذلك سروراً عظيماً اذ تخلصوا من ظلم صوباشيه واظهر واحد من الحلبيين لقاضي حلب امراً بالتفتيش على الصوباشي المذكور فارسله القاضي مع الامر صحبة المحضر باشي الى قباد باشا وتبعه باقي المدعين على الصوباشي وجماعة من غوغاء الناس ينتظرون ماذا يؤول اليه حال المتخاصمين ووقفوا بباب دار الحكومة ودخل المدعي المذكور والمحضر باشي الى قباد باشا فامسكه عنده يومين ثم جدع انفه واطلقه واظهر ان القاضي اشار اليه بذلك مع المحضر باشي وانه لو لم يفعل به ذلك لهجم الناس عليه وقتلوه كما قتلوا قرى قاضي السالف ذكره ثم كتب قباد باشا الى الباب العالي ان الحلبيين اجتمعوا متسلحين بباب الحكومة ليقتلوه ويدخلوا منزل الحضرة السلطانية الذي حل ركابها فيه قديماً واما قاضي حلب فانه حامى عن الحلبيين وكتب عكس ما كتب الوالي غير ان عرض الوالي وصل الى الباب العالي قبل عرض القاضي وشاع في حلب

انه سينفي منها جماعة الى بغداد ولما وصل عرض القاضي طلب المحضر باشي الى الباب العالي فاحضره القاضي لديه واشهد على اقراره جماعة ثقاة بانه لم ير احداً متسلحاً بباب الحكومة ثم توجه الى الباب العالي وبرأ الحلبيين عن تهمة قباد باشا ثم امر الباب العالي فرهاد باشا ان يسير الى حلب ويفحص عن حقيقة هذه المادة فحضر وفحصها من دوزدار القلعة وغيره وظهر له ان الحلبيين مظلومين فيها وفي هذه السنة استقر فرهاد باشا والياً في حلب وكان عادلاً عفيفاً عارفاً ظريفاً مطرح الكلفة له ولع بالحديث حتى انه كان يقول انا احفظ ثلاثمائة حديث الا انه اكب على صنعة الكيمياء ولما كان يوم الجمعة بعد دخوله الى حلب صلى الجمعة بالجامع الكبير وبعد فراغ الصلاة طلب الخطيب وامره ان يذكر في الخطبة الحسن والحسين قبل الستة الباقين من العشرة فاضطرب الناس لذلك

— خروج الجراد — وفي سنة ٩٦٥ شاع ان الجراد خرج في بعض القرى فخرج بعض الناس لجمعه بامر فرهاد باشا وكان الناس في قحط عظيم وصل فيه رطل الخبز الى عشرة دراهم وبينما هم على هذه الحالة اذ نادى مناد من قبل الوالي بخروج اهل حلب الى ظاهر المدينة لاستقبال ماء السمرمر فخرج الناس الى قرية بابلي ورجعوا كانهم جراد منتشر مع الماء فرفع الى مأذنة القلعة دون ان يدخل تحت سقف لئلا تزول خاصيته وبات اهل حلب في سرور عظيم وبعد ايام ظهر الجراد في بعض معاملات حلب فخرج الوالي بنفسه اليه واخرج خلائق كثيرة ما بين عوام يجمعونه وخواص يناظرونهم وبقي الجمع نحو اسبوع الى ان دفنوا منه بالحفر

والآبار ما لا يدخل حصر وانتفع الناس بذلك منفعة بالغة وفي سنة ٩٦٧ ظهر جراد صغير في حلب العتيقة فنادى القاضي احمد بن محمود بن عبدالله الخالدي بالصيام ثلاثة ايام والتوجه الى الله تعالى بالدعاء لرفعه بعد ان خرج كوالي حلب فرهاد باشا الى المكان الذي هو فيه في خلائق من اهل حلب ونواحيها يزيدون على عشرة الاف رجل يجمعون الجراد في قلاع التوت والبسط و يدفنونه في الارض بعد قتله وبقوا هناك نصف شهر وهم في مسافة نصف يوم وعندهم سوق و بينهم لهو ولعب و بينما هم كذلك اذ مطرت السماء لا على ناحيتهم بل على ناحية حلب برداً كالبندق والعفص وربما وقعت واحدة نحو وقية في ساعة كادت الصواعق تقع بها فاتلف كثيراً من الخضر والبقول وما بدا انعقاده من الفواكه وفي سنة ٩٧٢ ولي حلب ارناود سنان باشا كما في حديقة الوزراء

﴿ تنبيه ﴾ لم اظفر بمادة تسفر عن حوادث حلب من سنة ٩٦٨ الى سنة ٩٩٨ اما ولاة حلب في هذه المدة فاني ذاكرها نقلاً عن سالنامة الولاية وان كان بعضها خطأ فان العهدة على مرتبها . حرر في سالنامة سنة ١٣٠٣ ان والي حلب سنة ٩٧٣ عادلي محمد باشا وقد علمت ما فيه قلت ذكر المحبي في الخلاصة ان حسن باشا ابن محمد باشا صرف من كفالة حلب الى دمشق سنة ٩٨٥ ولعل والي حلب سنة ٩٨٧ الوند علي باشا كما يستفاد مما كتب على الباب الشمالي احد ابواب الجامع الكبير وفهمت من كتاب وقف جامع البهرمية ان بهرام باشا كان والياً في حلب سنة ٩٩١ ولم اعلم متى عين ثم متى انقضت ولايته اه قال في

السالنامة المذكورة وفي سنة ٩٤٤ ولي حلب رضوان باشا وفي سنة ٩٩٥ حسن باشا وفي سنة ٩٩٩ الحاج احمد باشا وفي سنة ١٠٠٢ محمد باشا اه

— الشركة الشرقية في حلب — قال في مجلة المقتطف وفي سنة ٩٨٩ تشكلت الشركة الشرقية بامر الملكة اليصابات الانكليزية و بعد ذلك بزمن يسير فتحت محلاً للتجارة في حلب مع بلاد فارس والهند في الطريق البري وعين للدولة الانكليزية قنصل عرفه السلطان مراد خان الثالث وكان في حلب وغيرها من الممالك العثمانية كثير من المحلات التجارية الفرنسوية اه وفي سنة ١٠٠٨ كانت وفاة احمد بن موتياب باشا امير الامراء بحلب وواليها ودفن بمحلة الجلوم

— حريق في حلب وفساد من العرب — وفي ابان ولاية موتياب احمد باشا وقع الحريق في سوق العطارين وذهب للناس اموال كثيرة قيل سببه ان بعضهم نسي في الكانون بعض النار وقيل ان جماعة الباشا فعلوا ذلك ليغرموا الناس بالاموال والاول اولى وفي ايام هذا الوالي ايضاً وقع من العرب فساد كثير لم يعهد مثله وقد بنى الوالي المشار اليه مدرسة وشرط لمدرسها في اليوم عشر قطع فضية وقيل عشرين عثمانياً صحيحاً ورتب ثلاثين قارئاً يختمون في كل يوم ختماً و بنى له مدفناً ووقف على ذلك خاناً و بعض دكاكين اه ذكر ذلك كله الشيخ ابو الوفا العرضي في معادن الذهب ولم يذكر متى ولي الباشا المذكور حلب ولا عين مكان مدرسته وما وقفه عليها وعلى المدفن وفي هذه السنة اعني سنة ١٠٠٨ عين والياً على حلب امير الامراء الحاج ابراهيم باشا

– فتك ابراهيم باشا بالانكشارية وذكر شيء من فظائعهم –

وفي ربيعها الآخر فتك ابراهيم باشا بالانكشارية الدمشقيين وكانوا قد استطالوا على فقراء حلب وافحشوا في ظلم الرعايا جاعلين وسيلة ذلك تحصيل الاموال السلطانية فيتوصلون الى اغراضهم الفاسدة حتى تزوجوا النساء في حلب وصارت لهم قرى واملاك فعرض الوالي ذلك الى السلطان فورد امره باجلائهم عن حلب الى بلادهم دمشق فامرهم بالرحيل فلم يرحلوا وجمعوا جموعهم بالقصير واستعدوا للمحاربة ونهبوا الاموال فتمكن ابراهيم باشا منهم وقتل سبعة عشر من اعيانهم ورفع روؤسهم على الرماح ثم عرض على الدولة ان تجعل قولا اي جيشاً لمدينة حلب فلم تجبه وعزل عن ولاية حلب في اليوم الحادي عشر شوال سنة ١٠٠٩ صرح بعزله مصطفى نعيما في تاريخه الروضتين وبعد ان عزل ابراهيم باشا من ولاية حلب ولي مكانه علي باشا وكانت الدولة استصوبت رأي ابراهيم باشا الذي سبق ذكره بتخصيص حلب بقسم من الجنود ولما دخل حلب علي باشا الجديد كتب القول الجديد ورتبه على هيئة قول الشام وغيرها فلم يجد ذلك نفعاً وزاد الدمشقيون في عتوهم وغلوائهم وبقيت في ايديهم خدمة الدفتردار ودار الوكالة وابواب قناصل الافرنج وكان من جملة اعمالهم الفظيعة انهم يعطون مال السلطنة عن القرية ويأخذون من اهلها اضعافاً مضاعفة وتبقى اهل القرية جميعاً خدمة لهم يأخذون منهم جميع محاصيلهم ولما وصل ضررهم الى هذه الزادة جمع علي باشا زعماءهم بمحضر من العلماء والامراء وامرهم بالخروج

من حلب ونادى النـاس عليهم ان لا يستوطنوا بحلب فخرجوا وقوي عليهم الحلبيون وطردوهم واساؤا اليهم حتى انهم قتلوا منهم عسكرياً فتوجـه الدمشقيون الى الشام وحشدوا وجمعوا واستعانوا ورجعوا الى محاربة الحلبيين وفي اثناء غيابهم عين والياً على حلب بشير باشا ثم سعى بولاية حلب شريف باشا كافل دمشق فعينه اليها السردار حسن باشا ورفقه بعساكر دمشق وسيره معهم الى حلب فوصل شريف باشا اليها ودخلها من باب المقام وخرج من باب بانقوسا الى الميدان فوجـد بشير باشا والعساكر الحلبيـة ناصبين خيامهم هناك وهم على عزم التوجه الى حسن باشا السردار المذكور وكان في دمشق فـنزل شريف باشا مع الدمشقيين في قرية بابلي واذا بالمساء ورد تقرير بشير باشا بولاية حلب من جانب السردار المذكور متأخر التاريخ ففي اليوم الثاني وقعت محاربة عظيمة بين الاميرين واتخذ كل منهما متاريس وامر بشير باشا باطلاق المدافع من قلعة حلب على شريف محمد باشا والدمشقيين فتوقف شريف باشا عن المحاربة وارتحل بعسكره ليلاً ولما وقعت هـذه الفتنة عرض بشير باشا الى حسن باشا السردار واقعة الحال وطلب منـه الاستعفاء فاجابه الى ما طلب وارسل الى حلب متسلماً من قبل شريف باشا وكان الدمشقيون رجعوا الى دمشق وتقووا وعادوا الى حلب ومعهم نحو عشرة آلاف عسكري ولم يكن عند الحلبيين سوى نحو الف وخمسمائة عسكري فخرج الحلبيون لمحاربة الدمشقيين وهم في قريـة الراموسة ودام الحرب بينهم من الصبـاح الى قرب العصر فانكسر الحلبيون ورجعوا واكثرهم

مثخن بالجراح وفي الليل دخل الدمشقيون الى المحلات الخارجـة عن السور فلما طلع النهار اغلق الحلبيون ابواب المدينة سوى باب قنسرين ووضعوا عليها المدافع واتخذ الدمشقيون المتاريس عند باب النصر و باب بانقوسا وصاروا يرمون بعضهم بالمدافع وفي كل ثلاثة ايام يخرج الحلبيون الى جانب باب قنسرين و يحاربون الدمشقيين وقد خرج غالب اكابر حلب الى القلعة خوفاً من هجوم الدمشقيين على اسوار حلب و كان معظم ذلك في شهر رمضان سنة ١٠١٠ ولما قدم حلب يحيى افندى بن بستان قاضياً عليها انزله الدمشقيون عندهم خارج البـلد ونسبوا الحلبيين الى العصيان على السلطان فاحضر القاضي علماء حلب وامراءهـا وكتبوا محضراً الى حسين باشا الجانبلاط كافل كلز يطلبون حضوره ليصلح بينهم و بين الدمشقيين فحضر بعد ثلاثة ايام بعساكر كثيرة ودخـل الجامع الكبير واحضر العلماء والاعيان وقال هذه فتنة لا تنطفي الا بقتل خليل كيخيه كبير القول الحلبي ومحمد جاويش من الشور بجيـه وجمال الدين منهم ايضاً فابى الحلبيون ان يعطوا واحـداً منهم وطال الكلام وكثر اللغط حتى رضي الدمشقيون بوضع الثلاثة في القلعة ساعـة من النهار اهانة لهم واطفاء للفتنة فرضي الحلبيون بذلك وحلفوا بالله على المصحف ان الدمشقيين الذين لهم دور في حلب يقيمون في دورهم ومن لم يكن له دار منهم يرجع الى وطنه ثم فتحوا باب الفرج لقضاء حوائج الدمشقيين ووقف به ثلاثون رجلاً من القول الحلبي حرساً ورقباء على من دخله من الدمشقيين بسلاح وفي ثالث يوم هجم الدمشقيون وقتلوا من كان

بباب الفرج واخذوا في نهب دار محمد جاويش المتقدم ذكره فثار الحلبيون وخرجوا الى القلعة فارسل يقول لهم حسين باشا الجانبلاط كان عند الدمشقيين حرارة فانطفئت بنهب دار محمد جاويش وعفى الله عما مضى فانخدع الحلبيون وسكنوا اما الدمشقيون فانهم زادوا في طغيانهم واستطالوا على نهب دور الحلبيين ولما رأى حسين باشا ان الداء عضال ولى الى كلز وقال سلط الله الكلاب على البقر واخذ الدمشقيون في محاصرة القلعة ووضعوا المتاريس في سوق السراجين وكان الحلبيون يهجمون على الدمشقيين و يقتلون منهم فدخل الدمشقيون ليلاً من تحت القسطل المقارب لباب القلعة ووضعوا النفط والقطران واحرقوا جسر باب القلعة وعجز الحلبيون بعده من الوصول الى الدمشقيين وفي غضون ذلك ورد حلب والياً عليها حسن باشا ابن علي باشا الوند فرشاه الدمشقيون بخمسين الف قرش فامر برفع القتال حتى يصدر امر الدولة باستخدام احد القولين في حلب ثم لما نزل الحلبيون من القلعة ورؤا دورهم متهدمة واموالهم منهوبة وامارات الغدر تلوح على الدمشقيين قالوا في انفسهم تغدوا بهم قبل ان يتعشوا بكم فهجموا عليهم واثخنوهم بالجراح والقتل ثم وقع الفشل فيهم وعادوا الى حصار قلعتهم وشدد الدمشقيون الحصار عليهم حتى رضوا بترك الخدمة بالكلية الى الدمشقيين فرفع الدمشقيون عنهم الحصار وآمنوهم اذا نزلوا فانخدع الحلبيون ونزلوا من القلعة فلم يشعروا الا والدمشقيون قد هجموا عليهم واخذوا في قطع رؤسهم بحضور الوالي والقاضي وهما ساكتان حتى جمعوا من رؤس

الحلبيين مقدار القبة و كان ذلك في يوم عرفة من السنة المذكورة وهي سنة ١٠١٠ وصفا الوقت للدمشقيين واخـذوا استخدام بيت القاضي و بيت الصوباشي و بيت القنصل و بيت الدفتردار واستولوا على حلب اكثر من استيلائهم الاول وتزوجوا ببنات اعيـان حلب وعاد ظلمهم وعسفهم وفي اوائل سنة ١٠١١ قـدم حلب واليا عليها نصوح باشا المشهور بناصيف باشا فاخـذ يمهد اسباب ازالة ضرر الدمشقيين سراً و يستعد لكبتهم خفيـة لانهم صاروا اولى قوة ومنعة وطغوا و بغوا وخافهم الكبير والصغير من اهل حلب واستولوا على اكثر قراها بحيث قلت الاموال السلطانية وصار اهل القرى كالارقاء لهم ولمـا استحكم نصوح باشا من امره واستعد لكبحهم اخذ في رفع ايـديهم عن القرى واجلائهم الى بلادهم وحصل بينه و بينهم وقعة عظيمة و كان مساعده عليهم حسين باشا كافل كلز ففروا بين يديه هار بين الى حمـاه ثم جمعوا وحشدوا وجاؤا الى كلز وحاصروها وخربوا مـا حواليهـا من القرى كالبـاب وعزاز وقرى حلب ونهبوا الاموال وهتكوا النساء وافتضت عدة ابكار ودخل بعض اشقيائهم بكلز الحمام وفعلوا افاعيل جاهلية ثم تلاقوا مع نصوح باشا وابن الجانبولاط خارج كلز يوماً واحداً ثم انهزموا وعادوا الى دمشق ثم رجعوا الى قرب حماه وتظاهروا بقطع الطريق وضربوا على حمص وحماه ضرائب من المال واعترضوا القوافل وجرموهم فتقـدم اليهم نصوح باشا واطلق عليهم المدافع فلم يكن غير ساعـة حتى انهزموا وعادوا الى دمشق ونهبوا قراها وعاثوا خلالها في الفساد وكان ذلك في

سنة ١٠١٢ ولما استهلت سنة ١٠١٣ تفرقوا عن بعضهم لعجزهم وانقطع امرهم عن حلب وكفى الله المؤمنين القتال

— تبييض القلعة — وفي هذه السنة بيض نصوح باشا قلعة حلب واجرى عليها بعض الترميم فقال بعضهم مؤرخاً

يمناً قلعة الشهباء اضحت | عروساً عرفها مسك يفوح
وقالت ارخوا اعني بياضي | فأرخها مبيضها نصوح

— قيام نصوح باشا على حسين باشا الجانبولاط وما جرى بينهما —

ولما صفى الوقت لنصوح باشا والي حلب صار يشيع بين الناس انه يريد قتل حسين باشا الجانبولاط والي كلز زاعماً انه عاصٍ على الدولة مع ان حسين باشا المذكور لا يستحق من نصوح باشا هذا الجزاء بعد ان ساعده على انكشارية دمشق وليس هو عاص على الدولة كما زعم نصوح باشا بل كانت الدولة تراعيه نظراً لما عنده من الشهامة والشجاعة وبقاؤه في كلز والياً زمناً طويلاً لا لعصيانه على الدولة انما كانت الدولة ترى في عزله بعض الصعوبة وتخشى من وقوع فتنة من عشيرة الجانبلاط اذا هي عزلته فكانت تغضي عنه الطرف وتقنع منه بالمال وهو في غاية الطاعة ولما بلغه تهديد نصوح باشا اياه اخذ في جمع العساكر فسمع بذلك نصوح باشا وخرج بعساكره جريدة الى كلز فقابله حسين باشا بعساكره الكثيره وكسره كسرة شنيعة وانهزم نصوح باشا في عسكر قليل الى حلب وبعد ايام قلائل اخذ في الاستعداد ثانياً لمحاربة حسين باشا وبذل الاموال وحشد الابطال وبينما هو كذلك اذ ورد على حلب قبجي باشي

من قبل السردار سنان باشا ابن جغال يخبر نصوح باشا بالاوامر السردارية انه قد صار حسين باشا كافل الممالك الحلبية وعزل نصوح باشا منها فغضب لذلك نصوح باشا غضباً شديداً وامتنع عن تسليم حلب لحسين وقال اذا ولوا حلب عبداً اسود فاني اطيعه الا ابن الجانبولاط وكتب الى الدولة ان امراء العشائر لا تصلح ان تكون ولاة للدولة فما مضى اسبوع الا وقد اقبلت عساكر حسين باشا الى قرية هيلانة فاستقبلهم نصوح باشا فانكسر وعاد الى حلب ونزل حسين باشا مع عساكره في محلات حلب خارج السور واغلق نصوح باشا ابواب المدينة وسدها بالاحجار وفتح باب قنسرين وحرسه بعساكر اوقفهم هناك وقطع حسين باشا الماء عن حلب ومنع الميرة والطعام عن داخل حلب ونصب المتاريس على اسوار البلد وحف نصوح باشا عساكره على الاسوار مع المدافع وقام بين الفريقين حرب مهولة واخذ حسين باشا في حفر اللغوم والاحتيال على اخذ البلد واخذ نصوح في حفر السراديب لدفع اللغوم وعم الحلبيين انواع الكدر من المبيت على الاسوار وحفر السراديب ومصادرة الفقراء والاغنياء كل يوم لطعام السكبانية وعلافتهم واغلاق الدكاكين وتعطل الصناعات وحرق الاخشاب للطعام والقهوة بسبب قطع حسين الميرة حتى الحطب ونزل البلاء من جانب السماء على حلب فبيعت الحنطة المكوك بمائة قرش ريالي وجرة الشيرج بثمانية قروش ورطل لحم الخيل الكدش بنصف قرش والتينة الواحدة بقطعة واوقية بزر البطيخ باربع قطع واعظم من في البلد يجد اكل البصل والخل

من احسن الاطعمة وكان بعضهم يأخذ الشمع الشحمي و يضعه في طعام الارز والبرغل وكانت العساكر لا تجد التبن بل كانوا يأخذون الحصر و ينقعونها في الماء و يطعمونها للخيل وكان كل فقير يغرم في اليوم قرشين والمتوسط عشرة والغني عشرين واستمر الحصار نحو اربعة اشهر وايام كل ذلك كان في سنة ١٠١٣ و بينما كان الحال كذلك اذ قدم الى حلب قاضياً عليها السيد محمد المشهور بشريف افندي فنزل خارج المدينة واخذ يسعى في الصلح فتم على يده ولم يثق نصوح الا بايمان السكبانية وعهودهم فحلفهم جميعاً بالسيف على ان يكون آمناً على نفسه وامواله وانه اذا تعرض له حسين باشا يقاتلونه معه ثم امر القاضي نصوح باشا ان يذهب بنفسه الى حسين و يصالحه فاجابه وتوجه نصوح الى منزل حسين فاكرمه وسقاه شربة سكر بعد ان شرب منها حسين امامه تأميناً له فشرب نصوح ثم خرج من البلد بعساكره وطبوله وزموره دون ان يتعرض له احد بسوء واستولى حسين باشا على ولاية حلب وشحنها بالسكبانية وصادر الاغنياء والفقراء لاجل علوفتهم

— قتل حسين باشا — وفي سادس عشر جمادي الآخرة سنة ١٠١٤ كانت كسرة الوزير سنان باشا ابن جغال ببلاد العجم وكان قد ارسل الى حسين باشا بالتوجه اليه ليكون معه في محاربتهم فتثاقل حسين باشا عن التوجه وتباطأ ولما رجع سنان باشا من الكسرة تلاقى مع حسين باشا في وان فاتهمه بالمخامرة على الدولة وخنقه في الحال وقطع رأسه وكان ذلك في السنة المذكورة

– عصيان علي باشا على الدولة وما آل اليه امره –

ولما سمعت عشيرته بحلب انه قتل ظلماً وعدواناً ثارت فيهم الحمية وقاموا على قدم وساق سيما ابن اخي المقتول علي باشا فانه استشاط غضباً وتحترق غيظاً وكان هو وكيل غيبة المقتول فحشد اليه اخلاط الناس وغوغاءهم وتغلب على حلب ولما اتصل الخبر بالدولة ارادت ان تتدارك الخرق وتجبر الكسر فارسلت بمنشور ايالة حلب الى علي باشا فازداد عتواً وجمع جمعاً عظيماً من السكبان حتى صار عنده ما يزيد على عشرة آلاف فارس ومنع المال المرتب عليه ونهب في تلك الاطراف ودبر على قتل والي حلب حسين باشا وكان ولاه السلطان عليها لما بلغه خروج علي باشا عن الطاعة وكان حسين باشا المذكور وصل الى أذنه فارسل علي باشا الى حاكمها الخارجي ايضاً المعروف بجمشيد ان يصنع لحسين باشا ضيافة و يقتله فيها ففعل ونما خبره الى الاقطار واستمر علي في حلب يظهر الشقاق الى ان ارسل الامير يوسف بن سيفا صاحب عكا الى باب السلطنة رسالة يطلب فيها ان يكون اميراً على عسكر الشام والتزم بازالة ابن الجانبولاط عن حلب فجاءه الامر على ما التزم فجمع عساكره والتقى مع ابن الجانبولاط في قرب حماه فانكسر ابن سيفا واستولى ابن الجانبولاط على اثقاله وفر ابن سيفا الى دمشق وسار ابن الجانبولاط الى طرابلس واستولى عليها وضبط ما وجده فيها من الاموال وفي يوم السبت من اواسط جمادي الآخرة سنة ١٠١٤ التقى ابن الجانبولاط بعسكره مع عساكر دمشق في وادي دمشق الغربي فما مر مقدار جلسة خطيب الا

وانكسر عسكر دمشق وتقدم ابن الجانبولاط لنهب دمشق ثم صالحوه على مائة وعشرين الف قرش ورحل عنهم عائداً الى حلب وفي طريقه صالح ابن سيفا وصاهره ثم سار الى حلب وجائته الرسل من جانب السلطنة تقبح عليه ما فعله بالشام فكان تارةً ينكر فعله وتارةً يحيل الامر على عسكر الشام وشرع بسد الطرقات وبقتل من يعرف انه سائر الى طرف السلطنة واخاف الخلق ونفذ حكمه من آذنه الى نواحي غزه وانقطعت احكام السلطنة من البلاد المذكورة سنتين ووقعت الوحشة وانقطعت الطرقات الى ان امر السلطان وزيره الاعظم قويجي مراد باشا السردار بالمسير الى ابن الجانبولاط وغيره من العصاة في نواحي اذنه وسيواس وغيرهما فخرج الوزير من اسكدار ومعه من العساكر الرومية ما يزيد على ثلاثمائة الف ما بين فارس وراجل فمر في طريقه على الخوارج المذكورين واباده ثم قصد جهة حلب ولما بلغ خبره مسامع ابن الجانبولاط وضع اثقاله بقلعة حلب وحصن اسوار البلد وتأهب لملاقاة العساكر وارسل فرقة من اجناده لتحصين جبل بقرص ليمنعوا العساكر من المرور غير ان مراد باشا لم يأتِ من هذا الطريق المضيق انما اتى من جبل قاز فلم يشعر ابن الجانبولاط الا وعساكر الوزير قد دهمته وكان الحرب نهار الثلاثا ثالث رجب سنة ١٠١٦ بارض مرج دابق من اعمال قنسرين وكان مع ابن الجانبولاط من العسكر زهاء اربعين الفاً وقد انضم الى الوزير ذو الفقار رستم باشا حاكم مرعش ومعه عساكر ذي القدرية فلما اشتبك الحرب بين الفريقين كادت تكون الغلبة لابن الجانبولاط

عادت الكرة عليه وقتل من عسكره نحو سبعة وعشرين الفاً وولى منهزماً لا يلوي على احد حتى وصل الى مسقط رأسه كلز فلم يقر له قرار فيها وجاء الى حلب وصادر عدة من اغنيائها وصعد القلعة ومعه بعض رؤساء عسكره فاستقام ليلة ونزل منها معولاً على الفرار فخرج من باب بانقوسا فصاحت عليه النساء من الاسطحة بالويل والثبور وعظائم الامور وصرن يقذفن عليه القذر والنجسات وبعد ان خرج من حلب اختفى ببعض بساتينها اما مراد باشا فانه في ثاني يوم من الوقعة توجه الى حلب واجتاز بطريقه الى كلز للتفتيش على ابن الجانبولاط فلم يره فضبط جميع امواله لبيت المال وتوجه منها الى حلب فوصل اليها في التاسع عشر رجب وضرب خيامه في الميدان الاخضر واستقبله اعيان البلدة ووجهاؤها وهنؤه بالظفر والنصر ثم التفت الوزير الى استخلاص القلعة من ايدي بعض اعوان الجانبولاط فرام محاصرتها فتحقق من فيها بان كل محصور مأخوذ فطلبوا من الوزير الامان فانزلهم بامانه وكانوا نحو الف رجل وكان منهم نساء ابن الجانبولاط فلما نزلوا بادروا الى تقبيل ذيل الوزير فاشار الى النساء ان يسكن في مكان معلوم وفرق الرجال على ارباب المناصب وطلع الى القلعة ورأى فيها ما لا يدخل تحت الحصر من اموال ابن الجانبولاط فضبطه كله الى بيت المال ثم شرع بتجسس في حلب على الاشقياء واتباعهم فقتل منهم جماعة وقرر الراحة في حلب وولى عليها حسين باشا وولى قضاءها جشمي افندي قاضي العسكر ونظم امور العسكر واكمل الشتاء في حلب ثم اقلع عنها واما ابن الجانبولاط فانه هرب الى

ملطية ثم سار منها الى الطويل الخارج على الدولة في بلاد الاناطولي واراد ان يتحد معه فقال له الطويل انا وان كنت مسمى بالعاصي لكنني ما وصلت في العصيان الى رتبتك فرحل عنه بعد ثلاثة ايام وسار الى العبد السعيد ومعه ابن قلندر فتلقوه وعظموه وارادوا ان يجعلوه رئيساً عليهم فشرط عليهم شروطاً لم يقبلوها فخرج من عندهم وتوجه الى برصه ودخلها ليلاً واتصل بحاكمها وعرفه بنفسه فتحير منه وقال له ما سبب وقوعك فقال ضجرت من العصيان فاوصلني الى السلطان فوصله وسأله السلطان بقوله ما سبب عصيانك فقال ما انا بعاصٍ انما اجتمعت على فرق الاشقياء وما خلصت منهم الا ان القيتهم في فم جنودك وفررت اليك فرار المذنبين فان عفوت فانت اهل لذلك وان اخذت فحكمك الاقوى فعفا عنه واعطاه حكومة طمشوار داخل بلاد الروم فبقي بها سنة ثم عاد الى ديدنه الاول وتجاهر بالعصيان فبرز الامر بقتله وارسل رأسه الى باب السلطنة وكان ذلك في حدود ١٠٢ قال مصطفى نعيما الحلبي في تاريخ الروضتين ان عشيرة الجانبولاط من عشائر الاكراد في سنجق كاز في قرب حلب وان حسين باشا المقتول عم علي باشا المذكور هو اكبر رجالهم وكانت له اعمال تستحق الذكر لان الدولة العثمانية كانت تأمره بالسفر شرقا وغرباً فيسرع الاجابه هو وعشيرته ويبلي في عدوها بلاءً حسناً . قلت ذكر في در الحبب في ترجمة احد اجداد المذكور على ما اظن ان اصل هذه العشيرة من جبال القصير وانهم كانوا في مبدأ امرهم منحرفين عن السنة: ذكر في السالنامه ان الوالي في حلب سنة ١٠١٧

حسن باشا والظاهر انه تحريف حسين باشا الذي عينه مراد باشا السردار كما تقدم وذكر في السالنامة ان الوالي على حلب في السنة المذكورة ملك محمد باشا

— قتل ملحد — وفي سنة ١٠١٨ قتل في حلب ابو بكر الارمنازي شهد عليه جماعة بالكفر فضربت عنقه تحت القلعة وجاء الناس بالنفط والقطران وحرقوه حتى صار رماداً وفيها ولي حلب سنان جكك باشا وفي سنة ١٠١٩ توفي سنان باشا المذكور بحلب وفي اوائل سنة ١٠٢٠ ولي حلب قره دده باشا وفي سنة ١٠٢٤ في شعبان وصل الى حلب داماد محمد باشا الوزير الاعظم السردار متوجهاً الى وان فبقي في الميدان هو وعسكره الى انقضاء الشتاء وفي ابتداء الربيع رحل عنها وكان ذلك في ربيع الآخر سنة ١٠٢٥ وفيها ولي حلب ككجي احمد باشا ثم في سنة ٢٦ ١ وليها محمود باشا ثم في سنة ١٠٢٧ وليها قره قاش محمد باشا ثم في سنة ١٠٢٨ وليها حسن باشا وفي سنة ١٠٢٩ قدم حلب منفياً داماد محمد باشا المتقدم ذكره فتوفي بها ودفن في تكية الشيخ ابي بكر وفي سنة ١٠٣٠ ولي حلب يوسف باشا وفي سنة ١٠٣٣ وليها كوسا مراد باشا

— شغب الانكشارية — وفي سنة ١٠٣٥ طغت الانكشارية في حلب وقد حضر اليها حافظ باشا وكان في ديار بكر فتواطئوا على قتل رئيس كتابهم مالقوج افندي فعول على الفرار وسعى في تهريبه من بين ايديهم احمد اغا المعروف بقره مذاق من الرجال الاقدمين في الوجاق الواقفين

انفسهم في خدمة السلطان عثمان فوثب الانكشارية وحزوا رأسه بالموسى وطرحوا جسده في مذبلة الخندق وفيها اعني سنة ١٠٣٥ ولي حلب مصطفى باشا ووليها في سنة ١٠٣٧ سليمان باشا وفي سنة ١٠٣٩ محمد باشا مرة ثانية وفي سنة ١٠٤٠ مرتضي نوغاي باشا وفيها وصل الى حلب السردار الاعظم محمد باشا فتلقاه واليها مرتضي نوغاي باشا الى قرب قلعة بقراص وعمل له ضيافة حافلة عند جسر مراد باشا وبعد سبعة ايام من دخوله الى حلب رتب في دار الحكومة ديواناً حضره اعيان البلدة واركان استانبول والقى خطاباً بين فيه حسن قيام مرتضي نوغاي باشا بخدمة الدولة والملة الا انه اتهمه بقصور كان منه في تأخير بعض جماعة امر السلطان بقتلهم ثم في الليلة الثالثة من مجيئه الى حلب قتل رجلاً امر السلطان بقتله وارسل رأسه الى استانبول ثم عزل نوغاي باشا عن حلب ووجه رتبة الوزارة الى احمد باشا احد الاغوات السلحدارية وجعله والياً في حلب وفي اليوم التاسع عشر من السنة المذكورة وصل الى حلب احمد باشا المذكور وتسلم زمام الامور

– شغب الانكشارية – وفي عشرين شعبان اجتمعت الانكشارية بوسيلة طلب ارزاقهم ورفضوا عدة مستخدمين منهم اغاتهم محمد اغا الكوسه وكاتبهم وكتخداهم ثم تجمهروا وهجموا على المأمورين المذكورين وقتلوا اغاتهم المذكور ثم كف شرهم وقتل بعض زعمائهم ورد كيدهم في نحورهم

– ابطال التدخين بالتبغ – وفي سنة ١٠٤٥ وردت الاوامر

السلطانية المشددة بابطال التدخين بنوعي التتن والتنباك ونودي على من يشربهما بجزاء القتل

— استطراد في الكلام على هذه الحشيشة —

قيل ان وصول هذه الحشيشة الخبيثة الى البلاد الشامية كان في حدود سنة (١٠٠٠) ويستدل القائل على ذلك ببيتين هما

قال خلي عن الدخان افدني   هل له في كتابكم ايماء
قلت ما فرط الكتاب بشيء   ثم ارخت يوم تأتي السماء

جملة (يوم تأتي السماء) تبلغ بالجمل (١٠٠٠) او (٩٩٦) اذا لم تحسب الهمزة

اما منشأ هذا النبات فهو جزيرة اسمها (تبغو) في اميركا احضر بزره منها الى بلاد البورتكيز بعض نوتية الاسبان ثم نقل منها الى فرنسا بواسطة رجل اسمه (ثيفت) فزرع في فرنسه الا ان الناس لم يلتفتوا اليه لان النساء تكره ريحته وبعد عشرة اعوام قدم الى فرنسه سفير البورتكيز واسمه يوحنا ثيكوت واهدى الملكة كاترينا شيئاً من بزر هذا النبات وزعم ان التدخين به له فوائد عجيبة فاقبل الناس في فرنسه على استعماله وذلك في سنة ١٥٦٠ م الموافقة سنة ٩٦٨ ﻫ وسماه الناس حشيشة الملكة او حشيشة السفير او حشيشة الرئيس الاعظم او حشيشة الصليب او الحشيشة المقدسة فلم ترق هذه الاسماء للرجل (ثيفت) واحتج على دار الفنون بتسميته باسم السفير دون اسمه مع كونه هو اول من احضره الى فرنسه وحينئذ الغى الفرنسويون اسمه ثيكوت

وسموه تبغاً باسم الجزيرة التي هي منشاؤه ثم حرف هذا الاسم الى تباكو عند التليان وتبا عند الفرنسيس و توبوكو عند الانكليز والتبغ عند العرب وتنباكو عند الفرس وتوتون عند الاتراك وتتن او دخان عند عامة العرب اه وفي سنة ١٠٤٥ عزل عن حلب احمد باشا وواليها يوسف باشا ابن امير كونه فاساء السيرة في اهل حلب واستنفر قلوبهم فلم يصبروا له واضطربوا منه لانه صادر كثيرين منهم فسمعت الدولة بذلك وعزلته واعادت احمد باشا المتقدم ذكره وكانت ولاية يوسف باشا لحلب شهرين وفي سنة ١٠٤٧ كان والي حلب بويني اكري محمد باشا صاحب الوقف المشهور به في حلب وفي سنة ١٠٤٨ في حادي عشر ربيعها الاول وصل الى حلب السلطان مراد خان وبقي فيها ستة عشر يوماً ثم رحل عنها الى استانبول وكان قدومه الى حلب من بغداد وفيها قتل في حلب عشرون شخصاً احس بهم الحاكم انهم يشربون الدخان سراً وفي سنة ١٠٥٠ ولي حلب حسين باشا نصوح باشا زاده وفي سنة ١٠٥٢ عزل عن حلب حسين باشا المذكور وسبب عزله انه صار ذا ثروة عظيمة فحسده بعض اقرانه واشاع لدى الحضرة السلطانية بانه عازم على العصيان فعزله عن حلب وجرى له بعد عزله مصاف في قرب اسكدار مع العساكر السلطانية انكسر عسكره وقتل وولي حلب بعده سياوش باشا فبقي في حلب اياماً واساء السيرة جداً حتى جهز الحلبيون وفداً الى استانبول للشكاية عليه فعزل عن حلب في رمضان هذه السنة ووليها جعته لرلي عثمان باشا وفي سنة ١٠٥٤ قدم السلطان

ابراهيم خان الى ادرنه وولي حلب ابراهيم باشا سلحدار الخاصه

— فساد العرب والايقاع بهم — وفيها كثر فساد العرب في نواحي حلب وانقطعت السابلة وكان امير هؤلاء العرب المتمردة الامير عساف وكان له من قبل الدولة راتب معلوم ولما زاد طغيانهم اراد ابراهيم باشا والي حلب ان يعمل الحيلة في القبض على عساف المذكور وكان يريد ان يعزله عن امرة العرب الا انه رأى ذلك لا يجديه نفعاً فان عسافاً لا يعترف بالعزل في ذلك الحين ثم ان ابراهيم باشا خطر له ان يرسل الى عساف رسولاً يدعوه الى ضيافة يصنعها له في حلب فقال له الرسول ان عرب البادية لا تأوي المدن بل الا ما قاربها فامر ابراهيم باشا ان تصنع وليمة حافلة في قرب حلب على بعد خمس ساعات منها تقريباً ثم سار الباشا الى محل الضيافة بالمهمات والعساكر ومعه الهدايا واشاع ان هذه الوليمة مصنوعة الى سلطان البر يعني به عسافا وكان الرسول قد سبق الى الامير عساف ودعاه الى هذه الضيافة فاجابه اليها بعد ان استوثق منه على عدم الغدر وعاد الرسول الى ابراهيم باشا واخبره وحذره من الغدر بالامير عساف في خصوص هذه الضيافة وكان الامير عساف قد تجهز للقدوم على هذه الضيافة ومعه جم غفير من العربان خوفاً من ان يغدر به الباشا ولما وصل الى محل الضيافة غدر به الباشا واراد ان يقتله واستدرك الفرط وانفلت من قبضته وعاد الى اشد مما كان عليه من الافساد وقطع الطريق ولما سمعت الدولة بغدر ابراهيم باشا وعدم وفائه وسوء تدبيره عزلته عن حلب وولت مكانه درويش باشا المعزول

عن ولاية بغداد فقدم حلب وتلافى خطر العربان الذي كان من اهم الامور في ذلك الزمان وارسل من قبله رسولاً يدعو عسافاً بالرفق واللين الى طاعة السلطان وجهز معه هدايا ثمينة لعساف وكان الرسول في ذلك علي آغا كجك جد مصطفى نعيما الحلبي صاحب تاريخ الروضتين (وجد الاسرة الشهيرة في حلب باسم راغب زاده القاطنة في محلة السفاحية) فوصل الرسول المذكور الى عساف وبسط له الكلام وتلطف به ووبخه على عصيانه وعظم من امره وامر هذه العشيرة المعروفة بعشيرة ابي ريش وقال له لا ينبغي ولا يليق بادنى فرد من افراد هذه العشيرة ان يشهر على السلطان العصيان فاجابه عساف بقوله ياعلي والله ما لي ذنب في هذا العمل وانما الذنب فيه لابراهيم باشا ثم ان عسافاً استدعى بثلاثة دروع كان لبسها في يوم الضيافة وصار يري علي آغا الثقوب التي حصلت من اطلاق الرصاص وكانت احدى الرصاصات قد ثقبت الدرع ووصلت الى بدنه فحلف له الامير عساف ان جرح هذه الرصاصة بقي يبصق منه الدم شهرين فسلاه علي اغا وذكر له ان الدولة لم تعزل ابراهيم باشا الا لما اجراه معك من الغدر فرضي حينئذٍ عساف وتعهد لعلي اغا بالامن والامان واهداه مقدار عشرة خيول وجهز معه الى الدولة عدة خيول واعطاه حوالة على حلب بالفي ذهب للدولة وفي سنة ١٠٥٦ ولي حلب ملك احمد باشا كما يفهم من حديقة الوزراء وفي شعبان سنة ١٠٥٧ ولي حلب احمد باشا الدباغ كتخدا موسى باشا وفي اواخر هذه السنة ولي حلب ابشير باشا نقل اليها من دمشق فبقي بها اشهراً ثم صرف

عنها في اوائل سنة ١٠٥٨ وولي مكانه موستاري مصطفى باشا وفي ذي الحجة سنة ١٠٦٠ ولي حلب ابشير باشا وهذه هي الولاية الثانية ولم يتيسر له ان يتداول منشور الولاية الا في اوائل سنة ١٠٦١ وعندما اخذه كان في استانبول فتوجه الى حلب ودخلها في ربيع الاول من السنة المذكورة قال نعيما في وقائع سنة ١٠٦٢ ما معناه ان ابشير باشا كان في مبدأ امره على جانب عظيم من الصلاح حتى كان يظن فيه انه ولي من اولياء الله تعالى ومع هذا فقد كانت اتباعه غاية في الظلم والجور ولاقى الناس في زمانه من الجور والعسف ما لم تلقه في زمن غيره ثم ان ابشير باشا سرى مسرى اتباعه وشغب في جمع المال وصادر الناس وساءت سيرته واشتهر ظلمه وانعكست افكاره وصار يظهر منه حمق عجيب وفشا الظلم في ايام ولايته الصدارة العظمى وجارت الولاة ولاقت حلب من طيار باشا ظلماً عريضاً وفي سنة ١٠٦٥ قتل ابشير باشا بعد ان ولي الصدارة وكان على جانب عظيم من الغنى والثروة بحيث لم يكن له مثيل في عصره ومع هذا فلم يبق له اثراً غير الوقف الذي اسلفنا ذكره في الكلام على محلة الشمالي من الجزء الثاني ولم يزل ابشير باشا والياً بحلب حتى اجتمعت رجال الدولة على ان يكون صدراً اعظم وذلك في اواخر سنة ١٠٦٤ ووافق السلطان على ذلك وارسل اليه الختم مع امنائه فوصلوا الى حلب في غرة محرم سنة ١٠٦٥ وفي اواخر محرم توجه الى دار السعادة وتقلد منصب الصدارة وعند ما رحل من حلب ولي عليها مكانه مصطفى باشا طيار زاده بدراهم اخذها منه لنفسه ولغيره

— حصار السيد احمد باشا حلب — وفي سنة ١٠٦٦ ولي الصدر الجديد حلب السيد احمد باشا وكان من المشهورين بالجور والظلم فسمع به الحلبيون ولم يقبلوه وزادهم فيه بغضاً مصطفى باشا والي حلب الذي لم يبرح منها فانه لما سمع بقدوم السيد احمد باشا الى حلب جمع اليه اعيان البلدة ورؤساءها وكبارها وصغارها وحذرهم من السيد احمد باشا وخوفهم من ظلمه وجوره ومصادرته الناس وذكر لهم غير ذلك مما نطوى عليه من الامور المنفرة القلوب فنفروا من السيد احمد باشا ووعدوه بالمساعدة والمعاضدة عليه اما احمد باشا فانه ارسل متسلماً من طرفه الى حلب فطرده الحلبيون عنها وشحنوا القلعة بالمهمات والعدة والعدد واستعدوا لمدافعته او تذهب ارواحهم وكان احمد باشا قد وصل الى حلب فاخبره متسلمه عن جميع ما فعله الحلبيون فغضب غضباً شديداً وحاصر حلب وقطع القناة عنها وضايقها مضايقة شديدة وخرب اكثر مباني البلدة الخارجة عن السور واحرق شيئاً كثيراً من البساتين وكان يقاتل حلب قتال مكتف مؤنة الاكل والشرب وغيرهما والحلبيون يقاتلونه قتال مضطر الى شربة ماء فضلاً عن الطعام وامتدت المحاصرة شهرين كاملين فاضطرب الحلبيون اضطراباً عظيماً وقد اصبحت الامور فوضى في حلب وقام الدعار ينهبون الدكاكين ويتعرضون لبعض البيوت وكان رؤساء البلدة قد كتبوا الى الدولة يلتمسون منها غير هذا الوالي ويشتكون من فعله معهم فكتبت الدولة اليه تردعه عن هذا الفعل القبيح فلم يرتدع وزاد في طغيانه فكتب الحلبيون الى الدولة ثانياً

يتضجرون منه و يرجون غيره فكتبت اليه الدولة بالانصراف عن حلب ولته سيواس وولت حلب مرتضي باشا المنفصل عن بغداد وفي نصف ربيع الآخر من سنة ١٠٦٧ نقل مرتضي باشا الى دمشق فامتنع اهلها من تسليمها اليه فولي ديار بكر وولي حلب مكانه جلالي ابازه حسن باشا وهو من اولاد السباهية و كان ظالمًا غاشمًا و كان حاكم التركمان قبل ان يولى حلب وفي سنة ١٠٦٨ خرج على الدولة ابازه حسن باشا ووافقه عدة ولاة ثم اجتمعوا في صحراء قونيه وحشدوا اليهم عسكرًا ضخمًا من مشاة وفرسان وعاثوا وافسدوا وصادروا الغني والفقير فتداركت الدولة ردعهم وولت حلب ادرنه‌لي‌سوختة محمود باشا في السنة المذكورة وطرد الحلبيون متسلم ابازه ومن معه من العساكر الى خارج المدينة وتلقوا محمود باشا بالترحاب ثم سيرت الدولة لردع ابازه وحزبه مرتضي باشا السردار وكان ابازه ومن معه في بلاد قونيه فقصدهم مرتضي باشا بعسكره ولما سمعوا بقدومه رجعوا نحو حلب وخيموا في عينتاب فوصل السردار الى حلب وتوسط الصلح بين ابازه وجماعته و بين مرتضي مفتي عينتاب فحضر ابازه بمن معه الى حلب لاتمام الصلح وعقد شروطه فتمكن منهم السردار وقتلهم عن آخرهم داخل حمام في السراى وقطع رؤسهم وحشاها تبنًا وارسلها الى استانبول ورمى جثثهم امام قسطل السلطان خارج باب الفرج وممن قتل في هذه الوقعة ابازه حسن باشا واحمد باشا ابن الطيار واخوه مصطفى باشا وصاري كنعان باشا وكتخدا مصطفى باشا وعبد الوهاب قاضي معسكر ابازه وغيرهم ما ينوف عن ثلاثين رجلًا وكان

قتلهم في سنة ١٠٦٩ وكان مع السردار مرتضي باشا قوناقجي علي باشا صحبه معه من الاناضول وبعد قتل المذكورين ولاه حلب وعزل عنها سوخته محمود باشا المتقدم ذكره , في سنة ١٠٧٠ ولي حلب خصكى محمد باشا وذلك بعد ان حصلت الدولة منه سبعمائه كيس من الدراهم كانت في ذمته من مال بغداد ومصر وكان ولي عليهما وفي هذه السنة طغى نهر قويق وهطلت السماء بالمطر الغزير حتى طافت اكثر المحلات المجاورة للنهر وغرقت البساتين وتهدمت عدة بيوت داخل البلد وخارجها وفي سنة ١٠٧١ عزل عن حلب خاصكي محمد باشا واشخص الى استانبول وسبب عزله انه غش سكة النقود التي كان يضربها بحلب وسعى في رواجها بين الناس فتداولتها الايدى وفشا الفساد وتعطلت التجارة واختل نظامها فعرض الصدر الاعظم ذلك على مسامع السلطان فامر بعزل الولي المذكور واحضاره الى استانبول فعزل واحضر وفي عشرين شوال منها ضربت عنقه وعنق كتخدا كاتب ديوانه وصرافه امام قصر الموكب في استانبول وفيها حصل غلاء كبير في حلب بيع فيه رطل الخبز بست بارات . ذكر في سالنامة الولاية ان والي حلب في هذه السنة ابو النور محمد باشا ورأيت في بعض المجاميع ان واليها في هذه السنة ميراخور يوسف باشا وفي سنة ١٠٧٥ صاري حسين باشا وكان في هذه السنة مع المعاصرين قاضي قسطنطينية على ما حكاه راشد في تاريخه وفي سنة ١٠٨٠ كان بحلب طاعون كبير احصى بعضهم الجنائز التي خرجت من باب المقام في احد ايامه فقط فكانت الف جنازة الا واحدة فعلق بعض

الناس على باب المقام كاباً ايكون تمام الالف وفيها ولي حلب ابراهيم باشا وكان يعرف بابراهيم اغا وعين سلفه حسين باشا سر عسكر وكان ابراهيم باشا مع المحاصرين قلعة قندية فارسل الى حلب متسلماً كسلفه ثم في اواخر هذه السنة ولي حلب حسين باشا سلحدار السلطان وولي سلفه مصر وفي اوائل ذي الحجة سنة ١٠٨٢ ولي حلب قپلان مصطفى باشا وكان مع العساكر في محاربة القرم فعين متسلماً من طرفه كاملاً فه وفي سنة ١٠٨٣ عين سرداراً اكرم علاوة على ولاية حلب وفي سنة ١٠٨٥ ولي حلب ابراهيم باشا نقل اليها من دمشق وولى سلفه قپلان مصطفى باشا ديار بكر ولا اعرف متى عزل ابراهيم باشا المذكور عن حلب غير ان واليها في ابتداء سنة ١٠٨٩ كان حسين باشا وكان ظالماً غاشماً وفيها حررت بيوت الاشراف والانكجرية ولم احقق عددهما وفي اواخر هذه السنة ولي حلب قره محمد باشا وكان يعرف بقره محمد بك

— فساد العربان والتنكيل بهم وفي سنة ١٠٩٣ كثر فساد العرب في برية دمشق وحلب وعظم ضررهم واخشوا بالسلب والاغارة على القوافل حتى ضجت منهم الولايات وصدرت اوامر الدولة الى والي حلب ودمشق وبغداد وطرابلس ان يبذلوا جهدهم بالقبض على اميرهم ملحم فعندها عزم قره محمد باشا والي حلب على ان يأخذ ملحماً بالحيلة فوسط حاكم المعرة اغا شريف مكة بينه وبين ملحم فاجتهد المذكور في احضار ملحم الى حلب وحلف له على انه يطلب له العفو من السلطان ويجعله اميراً على العربان وكان حاكم المعرة داهية وكان متهماً بانه يقاسم

الامير ملحم بالغنائم ويسعى له في بيع ما يلزمه منها فاراد ان ينفي الظنة عن نفسه بمكيدة ملحم وسعى في احضاره واجتهد غاية الجهد الى ان رضي معه ملحم للحضور بعد ان استوثق منه بالايمان المغلظة فحضر معه الى قرية جبرين وكان قد ارسل الى الوالي يخبره بذلك فانفذ له الوالي خلعة وخيلا ليغريه بالدخول الى حلب على انه يحلف له فيها على ما تقدم فركب ملحم الى حلب ولحقه من عشيرته خمسون فارسا ينهونه عن الدخول الى حلب والحوا عليه بالرجوع فقبل منهم ورجع الى مخيمه وقال لاخي الشريف المتقدم ذكره لا سبيل الى دخولي المدينة فاني آليت على نفسي ان لا ادخل بين الجدران وتحت السقوف لانها تضيق صدري فاذهب وقل للوالي ان كان يريد محالفتي فليأت الى هنا ولما لم ينجح سعي اخي الشريف في اقناع ملحم رجع الى الوالي واخبره بما جرى وحين رجوعه اصحبه ملحم باثنين من بني عمه وبمستشاره وهو اعرابي طاعن في السن فلما تمثلوا بين يدي الوالي قابلهم بالبشاشة وخلع عليهم واحسن مثواهم ثم ارسلهم الى بيت اخي الشريف وركب في الليل سراً ومعه خمسمائة عسكري بالعدة الكاملة وقصد مخيم ملحم في جبرين وكان ملحم قد رحل من مخيمه وابقى فيه خمسين من قومه فخار بهم الوالي وبعد ان دافعوا عن انفسهم دفاع الابطال قتل بعضهم واسر منهم ثمانية عشر وفر الباقون ثم استدل الوالي من الفلاحين على الامير ملحم وتبع اثره الى ان دهمه بغتةً عند الصبح في وادٍ بين جبلين بحيث لم يره الامير الا عند ما وصل اليه وكان مع الامير عدد يسير من جماعته فاركن الى الفرار

واراد ان يجتاز من نهر هناك فترحلت به فرسه فتوكأ على رمحه لانتشالها من الوحل فانكسر الرمح وكان الوالي قد ادركه والبندقية في يده واحاطت به العسكر وقبضوا عليه وساقوه اسيراً الى حلب فكبلوه بالحديد ومن اسروا معه من قومه ثم قتلوا الجميع صبراً سوى الامير ، كانوا عندما يقتلون احدهم يخرقون اكتافه ويغرسون فيها فتائل مشعلة مصنوعة من المرخ والشمع ويطوفون به البلد ثم يقطعون رأسه ويرمون جثته في مستنقع الخندق واتفق ان واحداً من هؤلاء الاسراء كان شاعراً عند الامير ملحم لم يغمس يده في دم ولم يشن غارة قط فبينما كانوا يطوفون به على تلك الحالة اذ لمح ضابطاً سبقت له يد عنده فذكره بها وقال له انني لم اكن لصاً ولا قاطع طريق انما كنت شاعراً عند الامير فتضرع له الضابط عند الوالي وخاصه من العقاب والقتل ثم ان الوالي ارسل ملحماً الى ادرنه حيث كان السلطان اذ ذاك فبعد ان نظر السلطان الى ملحم ملياً امر بقتله وقد صعب ذلك على رجال الدولة لانهم كانوا يرجون خلاصه والعفو عنه ليكون كافلاً قمع غارات العرب حسب شجاعته المفرطة وفي هذه السنة اعني سنة ١٠٩٣ كملت عمارة خان الوزير وفيها نقل قره محمد باشا الى ديار بكر ومحمود باشا والي ديار بكر الى حلب ثم في هذه السنة نفسها ورد الامر الى محمود باشا بالحضور الى استانبول ليكون قائممقام الصدارة في استانبول وولي حلب قره بكر باشا وفي سنة ١٠٩٤ كان قره بكر باشا مع المجاهدين في بلاد بلغراد وله متسلم في حلب وفي سنة ١٠٩٦ ولي حلب مع السردارية مصطفى باشا قره حسين باشا

وكان في حرب بلغراد فجعل متسلماً في حلب وفي سنة ١٠٩٦ ولي حلب مع الوزارة ابراهيم باشا محافظ ايالة بدون وكان مع المجاهدين في بلغراد فجعل متسلماً في حلب

— غلاء وقتل ابن جحازي — وفي هذه السنة حصل غلاء بحلب وارتفع سعر اردب الحنطة الى خمسة وعشرين قرشاً فنادى المتسلم ان يباع الاردب بخمسة قروش وكان عبدالله بن محمد جحازي نقيب الاشراف قد ارتشى من المحتكرين بالف قرش على ان يباع الاردب بخمسة وعشرين قرشاً ولما نادى المتسلم بما ذكر اسرها له في نفسه وبعد ايام قلائل دعا المتسلم الى منزله وسقاه شراباً مسموماً مات منه المتسلم بعد ثمانية ايام فخرج ابن جحازي في جنازته الى مقبرة الصالحين وكان الناس قد سئموا من ابن جحازي لظلمه وجوره فبينما هو منصرف من الجنازة اذ صاحت امرأة هذا قاتل المتسلم فتبعها رجل من العوام واتصل الصوت بالرجال والصبيان والنساء وضربه رجل بحجر اصاب رأسه وعثرت به فرسه وانكب على وجهه فهجم الناس عليه وقتلوه رجماً بالحجارة في قرب المكان المعروف بقبة الصوت شمالي مقبرة الصالحين وذهب دمه هدراً وذلك في يوم الاربعا سابع عشر جمادي الاولى من السنة المذكورة وفي سنة ١٠٩٧ ولي حلب عبدي باشا وفيها حصل في حلب طاعون خفيف لم تطل مدته وفيها شبت النار بسوق بانقوسا وامتد الحريق من باب بانقوسا الى المكان المعروف بالورشة حتى اصبحت هذه المسافه من الجانبين رماداً وفي سنة ١٠٩٨ ولي حلب الوزير سياوش باشا

وكان في محاربة القرم وله متسلم في حلب وفيها صار الوزير سياوش باشا صدراً اعظم وولي حلب عثمان باشا وفي سنة ١١٠٠ احترق روشن القلعة وكانت ساعة مفزعة جداً ولا اعرف متى عزل عثمان باشا غير ان والي حلب سنة ١١٠١ كان خليل باشا وكان مع العسكر في حصار قلعة شهر كوي وله متسلم في حلب وفي سنة ١١٠٢ حصل بحلب طاعون عظيم بلغت فيه الوفيات اليومية نحو سبعمائة نسمة وفي سنة ١١٠٤ ولي حلب جعفر باشا محافظ بغداد وله بحلب متسلم ثم في هذه السنة وليها مكانه طورسون محمد باشا فعين له متسلماً في حلب

— وضع حد لقرى المقاطعات — وفي هذه السنة صدرت اوامر الدولة الى ولاتها في حلب ودمشق وديار بكر وماردين وادنه وملطية وعينتاب وغير هذه الولايات من بقية الممالك العثمانية ان تكون قرى المقاطعات الاميرية كالملك لذويها مدة حياتهم ويجوز لمن اراد منهم بيع قرية من قراه ممن شاء فتوجه على المشتري بمنشور سلطاني واذا مات احد منهم يقع ما يملكه منحلاً فيعرض للمزايدة العلنية وتتقدم اولاد الميت على غيرهم اذا تساويا بالقيمة وقد جعلت الدولة على كل قرية من القرى المذكورة مالاً مقطوعاً سنوياً يأخذه صاحبها من اهل القرية على ثلاثة اقساط وكان هذا العمل من الدولة مساعدة عظيمة للفلاحين واستنقاذاً لهم من الظلم والجور لان ارباب المقاطعات كانوا يدفعون مقاطعاتهم في كل سنة التزاماً لمن رغب ذلك منهم فيخرج الملتزم الى القرية ويتسلط على اموال اهلها فلا يبقي ولا يذر وفي سنة ١١٠٧ ولي حلب

ثانية جعفر باشا محافظ باغراد وعين سلفه طورسون محمد باشا الى سيواس وفي سنة ١١٠٨ ولي جعفر باشا محافظة طمشوار وولي حلب مكانه عثمان باشا قائممقام استانبول ثم في هذه السنة نفسها ولي حلب عثمان باشا والي دمشق وهو غير عثمان باشا القائممقام

--- غلاء عظيم - وفيها كان الغلاء العظيم بحلب وقلت الاقوات وصار الناس يزدحمون على الافران لاخذ الخبز ازدحاماً عظيماً بحيث يؤذون بعضهم فامر الوالي بسد ابواب الافران وان يبقى فيها طاقة صغيرة يتناول الناس منها الخبز على قدر سد الرمق فسمي غلاء الطاقة وامتد اربعة اشهر وفي سنة ١١٠٩ عين عثمان باشا والي حلب لمحافظة قلعة الروملي وولي حلب مكانه حسن باشا السلحدار قائممقام ادرنه وفي سنة ١١١٠ في غرة شعبان منها ابطل قاضي حلب محمد بن عبد الغني بدعة قديمة وهي ان مشايخ قرى جبل سمعان كانوا يجمعون بامر نائب محكمة جبل سمعان من القرى في كل ثلاثة اشهر مبلغاً من الدراهم يشترون به دجاجاً يقدمونها الى مطبخ قاضي حلب وفي هذه السنة ولي حلب حسن باشا والي قرمان ثم في سنة ١١١١ وليها علي باشا وفي سنة ١١١٢ عين علي باشا لمحافظة البصرة وكان وقع فيها اختلال عظيم فسار اليها لاصلاح الخلل وولي حلب يوسف باشا قائممقام وفي جمادي الاولى سنة ١١١٥ ولي حلب جورليلي علي باشا السلحدار وكان في ادرنه فسافر الى استانبول ليتناول منشور الولاية فولاه السلطان على عمل خاص به وولى حلب مكانه محمد باشا الجركس متصرف لواء القدس

الشريف وفي سنة ١١١٦ ولي حلب الحاج قيران حسن باشا المعزول عن حانية وولي سلفه محمد باشا الجركس الرقة ثم في هذه السنة ولي حلب ابازه سليمان باشا السلحدار وكان يعرف بسليمان آغا وفي سنة ١١١٧ ولي حلب ابراهيم باشا والي شهر زور وولي سلفه ابازه سليمان باشا اغريبوز وفي سنة ١١١٩ ولي حلب عبدي باشا والي سيواس وولي سلفه ابراهيم باشا ارضروم وفي سنة ١١٢٠ ولي حلب تبردار محمد باشا الصدر السابق وولي سلفه عبدي باشا الاناطول وفيها جدد مرقد نبي الله زكريا في اموي حلب وفي شعبان سنة ١١٢٢ ولي حلب ثانية ابراهيم باشا السلحدار والي شهر زور وفي سنة ٩٩٢٥ ولي حلب والرقة معاً طوبال يوسف باشا ولته الدولة عليهما ليتمكن من تنكيل نصوح باشا امير الحاج لانه كان عازماً على مشاققة الدولة والخروج عليها وفي اوائل سنة ١١٢٧ ولي حلب ثانية محمد باشا الجركس ثم فيها طلب الى استانبول وعين قائممقام وولي حلب علي باشا مقتول زاده وكان في استانبول فعين متسلماً الى حلب وسافر هو للمحاربة في المورة بعد ان عين سرداراً وكان من معه في المحاربة عبد الرحمن اغا الحلبي باش جاويش فابلى هذا الرجل في العدو بلاء حسناً وسمعت الدولة خبره فعينته والياً على حلب وولت سلفه علي باشا على الاناطول وفي هذه السنة زحف على حلب من الشرق جراد عظيم اتلف الزروع وغلت الاسعار وعز القوت وفي سنة ١١٢٨ ولي حلب مصطفى باشا وكان في محاربة المجر فعين متسلماً في حلب ثم وليها في هذه السنة سليمان باشا السلحدار وهو الصدر

الاسبق وفي سنة ١١٣٠ وليها عثمان باشا فسافر الى ادرنه ومنها الى موقع المحاربة في جهات صوفية وترك متسلماً في حلب وهو غير عثمان باشا صاحب المدرسة الرضائية المنسوبة اليه وفي اوائل سنة ١١٣١ ولى حلب مورهلى علي باشا وفيها وقع في حلب طاعون جارف اهلك خلقاً كثيراً واستمر مدة على حدو واحد واختبأ الوالى وحاشيته وفي اواخر هذه السنة حول الوالى المذكور الى محافظة قنـديه وولى حلب رجب باشا وكان في دمشق اميراً على الحاج وقد ضجر الدمشقيون من ظلمه وجوره وهو صاحب السراي في محلة بحسيتا والبستان الكائن في شرقي الميدان الاخضر المشهور ببستان الباشا وحوض الماء الذي بجانب البستان من غربيه وفي سنة ١١٣٣ زاد طغيان العرب المعروفين بالعباسيين في صحراء حلب وكثر ضررهم على السابلة وعسر على الولاة ردعهم فعين الباب العالي حسن باشا والي بغداد رئيس عسكر الى شهر زور والموصل وديار وعين علي باشا مقتول زاده والي الرقـة رئيس عسكر الى حلب وقرمان ثم انفذت الى هؤلاء الولاة الاوامر المؤكدة بشن الغارات ومتابعتها على العربان المذكورين فتناوشتهم العساكر من كل جانب واذاقوهم انواع المعاطب والمصائب فكف ضررهم ومنع خطرهم وفي هذه السنة وقع في حلب طاعون كبير لم تذكر وفياته وفيها ولي رجب باشا مصر القاهرة فسافر اليها وبقي بها اشهراً ولم يستقم امره فاعيد الى ولاية حلب وولي في غيبته عارف احمد باشا رئيس الكتاب وفي سنة ١١٣٥ اصيب حلب بزلزلة مهولة دمرت اكثر بيوتها وقتلت كثيرين من اهلها وفي سنة ١١٣٦

ولي رجب باشا تفليس وولي حلب مكانه كورد ابراهيم باشا نقل اليها من طرابلس الشام وفي سنة ١١٣٧ ولي حلب علي باشا بن نوح افندي رئيس الحكماء متصرف ادرنه وشرطت عليه الدولة في توليتها اياه حلب ان يسافر مع العسكر الى الجهة الشرقية اي ناحية تبريز في بلاد العجم وولي سلفه ابراهيم باشا لواء خوى على هذا الشرط ايضاً وفي سنة ١١٣٨ رأت الدولة من علي باشا ما سرها في سفره الى جهة العجم وفتح تبريز فانعمت عليه بالوزارة وولته ايالة الاناطول وولت على حلب مكانه محمد باشا سلحداراً سلفه في ايالة الاناطول وفي ثامن جمادى الاولى من هذه السنة ولي حلب ثانية عارفي احمد باشا نقل اليها من ولاية سيواس وشرطت عليه الدولة ان يبذل الجهد في تنظيم حالة الموالي العربان في ضواحي حلب ويتكفل في محافظة ما حول الرقة والقدس الشريف وعينت سلفه محمد باشا السلحدار سر عسكرا وفي سنة ١١٤٠ وفد على حلب من الشرق جراد كثير اتلف الزروع وغلت الاقوات وعزت البقول والخضر وفي اواسط محرم سنة ١١٤١ ولي حلب علي باشا صهر الحضرة السلطانية وفي سنة ١١٤٢ ولي حلب الوزير كوجك مصطفى باشا وفي ربيع الآخر سنة ١١٤٠ وليها ابراهيم باشا والي ارزن الروم سابقاً وولي سلفه كوجك مصطفى باشا لواء ايج ايل ولما ولي ابراهيم باشا المذكور ولاية حلب كان في استانبول فاستثقل من بقائه بها الصدر الاعظم محمد باشا واستحثه على السفر الى محله فعزم على ذلك وخرج من استانبول الى اسكيدار بنية التوجه نحو حلب فاجتمع اكابر الدولة واهل الديوان على ان يسند اليه منصب

الصدارة واجابهم السلطان على ذلك وارسل له ختم الصدارة وعين سلفه الصدر السابق محمد باشا واليا لحلب وكان ذلك في اليوم الثالث عشر من رجب الفرد من السنة المذكورة وفي هـذه السنة تمت عمارة جامع الرضائية المعروف بالعثمانية وصار لذلك يوم مشهود وفي شعبان سنة ١١٤٥ ولي محمد باشا ولاية ديار بكر ولم احقق من جاء بعده وفيهـا وقع في حلب طاعون عظيم اقفل دوراً كثيرة وفي سنة ١١٤٦ نزلت صاعقة في بستان القبار وقتلت ثلاثة اشخاص

غلاء شديد وقتل شيخ المداراتية — وفي سنة ١١٤٧ كان الغـلاء بحلب شديداً وهاج الناس وقاموا ينهبون ما يرونه من الخبز في الافران وصادفوا خليلاً المرادي شيخ المداراتية يقبض ثمن الطحين من الخبازين ومعه صرة دراهم فطمعوا به ولحقوه لاخذها واحس بمرادهم وحرك دابته للهرب منهم فلحقوه وادركوه عند جامع قسطل الحرمي ولمـا ضايقوه اراد الدخول للجامع ليحتمي به منهم فمنعه قوامـه خوفاً من ان يقتل فيسئلوا عن دمه فهرب الى البرية فتبعوه وقتلوه رجماً بالحجارة ولم يعلم قاتله ثم في هذه السنة قدم الى حلب والياً عليها احمد باشا بولاد فاشتكى اليه اولاد خليل المقتول فاخذ بالفحص عن قاتليه ولم يظفر بهم وآل امره الى ان اخذ جريمة وافرة من المحلة المذكورة وفي سنة ١١٥٠ ولي حلب عثمان باشا المعروف بوقته بمحصل حلب صاحب المدرسة الرضائية بحلب

— وصول سفير العجم الى حلب — وفي اوائل سنة ١١٥٣ ولي حلب

يعقوب باشا وولى عثمان باشا ادنه وفي شوال هذه السنة وصل الى حلب سفير طهماس قولي المدعو بنادر شاه من مملكة ايران مجتازاً منها الى استانبول واحتفلت له الدولة العثمانية اظهاراً لابهة السلطنة ومعه تسعة افيال على ظهورهم التخوت فدخلوا من باب النيرب وشربوا من قسطل علي بك وهم امام السفير المذكور كل هنية يقفون لسلامه ويأمرهم الفيال فيطأطؤن خراطيمهم حين السلام وكان يوم وصولهم يوماً مشهوداً حضر فيه اهل القرى كلها لاجل مشاهدة الفيلة واسم هذا السفير حجى خان كان من اهل العناد والطغيان وكان قدم سفير آخر من طهماس المذكور واجتاز بحلب عاشر شوال سنة ١١٤٥ لجمع الاسارى الا انه لم يكن بهذه الابهة وخرجت اليه نساء الاعاجم اللاتي اسرتهن الدولة العثمانية قبلاً واستولدن في حلب وغيرها من الممالك المحروسة فمنهن من ابى اتباعه ومنهن من تبعه لارتكاب القبائح علناً

— القزالة الانكليزية في حلب — وفي هذه السنة اعني سنة ١١٥٣ كانت القزالة من الانكليز في حلب فكان لهم فيها قنصل وعشرة تجار وقسيس وكاتب اسرار وطبيب وفي سنة ١١٥٥ ولى حلب حسين باشا وفي هذه السنة كثر ظلم القاضي وتظاهر بالفسوق والرشوة فتألب عليه العامة وهجموا عليه وهو في المحكمة ورجموه ونهبوا المحكمة وفي سنة ١١٥٦ وقع بحلب طاعون عظيم اهلك خلقاً كثيراً واشتد فساد العربان في البر وفي ذي القعدة سنة ١١٥٧ ولى حلب الحاج احمد باشا الصدر الاسبق السرعسكر وفي اوائل سنة ١١٥٨ قتل الباشا من اليكجرية

مقتلة عظيمة بسبب ظلمهم وفسقهم وتحصن البهلوان في القلعة و بقي بها الى ان ولى حلب علي باشا حكيم باشي زاده الصدر الاسبق وهذه الولاية الثانية نقل اليها من بوسنه وولى سلفه الحاج احمد باشا ايالة الاناطول فكان ذلك في هذه السنة اعني سنة ١١٥٨ ثم فيها اعيد لولاية حلب الحاج احمد باشا الصدر الاسبق لما ظهر للدولة من لزوم وجوده فيها لقمع العربان وتحرك العجم في ممالك ايران وفي شهر ذي الحجة سنة ١١٥٩ ولي حلب احمد باشا كوبر يلي زاده متصرف قندية وولى سلفه الحاج احمد باشا الصدر الاسبق قندية وقبل ان ينتقل احدهما لمحله الجديد صدرت ارادة سلطانية بابقاء كل منهما في محله الاول فبقي الحاج احمد باشا الصدر الاسبق في حلب و بقي احمد باشا كوبر يلي زاده في قندية وفي جمادي الآخرة سنة ١١٦٠ ولي حلب حسين باشا والي وان وولى سلفه الحاج احمد باشا الصدر الاسبق ديار بكر وفي هذه السنة امرت الدولة ان يجلب من ذنه الى قلعة حلب ستون مدفعاً وفيها جاء الى حلب كور وزير وقتل جمعاً كثيراً من اليكجرية ولم احقق هل جاء كور وزير لقمع اليكجرية خاصة ام جاء والياً في حلب بعد عزل واليها حسن باشا وفي سنة ١١٦١ كسفت الشمس بين الصلاتين الى وقت الغروب وظهرت عدة نجوم وفي سنة ١١٦١ ولي حلب اسماعيل باشا عثمان باشا زاده وفي محرم سنة ١١٦٤ ولي حلب سعد الدين باشا ابن العظم نقل اليها من طرابلس الشام وولى سلفه اسماعيل باشا ولاية طرابلس المذكورة وفي هذه السنة كان الغلاء بحلب شديداً حتى ثار الناس في يوم الجمعة

وتعطلت الصلاة والاذان وطلعت النسوة الى المآذن وفي محرم سنة ١١٦٥ نقل سعد الدين باشا الى صيدا ووليها على وجه المالكانه وولى حلب مكانه السيد احمد باشا والي صيدا واغاة اليكجرية سابقاً ولما استقر بحلب اخذ بالظلم والجور وصادر كثيرين بلا حق ونفى عدداً وافراً من اعيان حلب الى بيلان لمعارضتهم اياه لظلمه فاضطرب الحلبيون وحرروا به محضراً عاماً الى الدولة ذكروا فيه ظلمه وجوره والتمسوا تبديله ومجازاته فاجابتهم الدولة الى ما طلبوا وعزلته عن حلب وولته القارص تبعيداً له وولت حلب صاري عبد الرحمن باشا مير ميران وذلك في شعبان السنة المذكورة ثم في شوالها توفي عبدالرحمن باشا بحلب وعينت الدولة لتحرير تركته علي بك ميراخور مصطفى باشا زاده وولت حلب مكانه الحاج احمد باشا الصدر الاسبق نقل اليها من آذنة وهذه الولاية الرابعة وفي ثاني عشر شوال سنة ١١٦٦ توفي احمد باشا بحلب وولى مكانه عبدالله باشا الصدر الاسبق وفي اواخر سنة ١١٦٨ وليها راغب باشا العالم الكبير صاحب سفينة الراغب كما يفهم ذلك من تاريخ واصف ثم في ربيع الاول سنة ١١٦٩ عين راغب باشا لمنصب الصدارة وجاءه ختمها الى حلب فسافر الى استانبول وولي حلب بعده امير الحاج الحاج اسعد باشا ابن اسماعيل باشا عظم زاده ثم في سنة ١١٧٠ وليها عبدي باشا فراري ثم في اليوم الثاني عشر رجب ولي حلب علي باشا قائم مقام الصدارة

برد وغلاء — وفي هذه السنة وقع في حلب برد شديد وجمد الماء واستقام الجليد من اول كانون الثاني الى آخر آذار وفيها كان الغلاء

شديداً و بيع شنبل الحنطة فيه بعشرة قروش والشعير بسبعة والحمص والعدس بستة ورطل الدبس بنصف القرش والعسل بقرش وربع والسمن بقرش وثلاثة ارباع والخبز باثنتي عشرة بارة قال في السالنامة ان والي حلب سنة ١١٧١ حسين باشا عبد الجليل زاده وهكذا رأيت في بعض المجاميع لكن ذكر في حديقة الوزراء وفي تاريخ واصف ان واليها في السنة المذكورة محمد باشا محسن زاده فلعله بدل واليان في هذه السنة وفي هذه السنة وقع في حلب كساد عظيم حتى لم يبق في المدينة سوى اربعة الاف نول مشتغلاً وتعطل قدرها اضعافاً مضاعفة قال واصف وفي شوال هذه السنة سافر محمد باشا والي حلب الى استانبول ليكون زفافه على بنت السلطان وفي عشرين من الشهر المذكور حول محمد باشا الى ولاية ديار بكر وولي مكانه عبدالله باشا جتجي الصدر الاسبق ابن ابراهيم الحسيني الجرمكي نسبة الى جرمك بليدة من اعمال ديار بكر فوصل الى حلب في محرم سنه ١١٧٢ ونزل بالميدان الاخضر ثم سافر الى عينتاب وكلز وعاد الى حلب فعزل عنها الى دمشق وولي مكانه عبدي باشا فراري وهي الولاية الثانية

— غلاء عظيم — وفيها اشتد الغلاء في ديار بكر وعم تلك الديار بل سرى الى جميع البلاد و بيع شنبل الحنطة بحلب باحد عشر قرشاً واما نواحي ديار بكر واورفه وماردين فانهم اكلوا الميتة بل اكل بعض الناس بعضهم وثبت ذلك لدى الحاكم حتى ان قسطنطين الخوري الحلبي الطرابلسي ذكر في مجموع له ان جملة من مات جوعاً في حلب ٨٧ الف

انسان منهم ١٢ الفا نصارى و ٥ آلاف يهودي والباقي مسلمون سوى من ترك البلاد ونزح الى غيرها وفي اواخر هذه السنة ولي حلب مصطفى باشا الوزير محصل التوقيع في موره سابقاً ثم في رجب سنة ١١٧٣ ولي حلب عبدالله باشا فراري وهي الولاية الثالثة

- زلزال مهول — وفي فجر يوم الثلاثا ثامن ربيع الاول من هذه السنة المصادف لابتداء كانون الاول حصل زلزلة عمت جميع البلاد الشامية بحلب ودمشق وحمص وحماه وانطاكية وشيزر وحصن الاكراد وجميع بلاد الساحل كصيدا وصفد وغزه والقدس فخربت البلاد وتدحرجت الصخور من اعالي الجبال وانفتحت في الارض الاخاديد ونضبت عيون وانفتح اخرى واضطربت السفن في مياه عكا حتى زحف بعضها الى البر وخرجت الاسماك الى الرمل ونقل منه الناس ما لا يحصى وكان هذا الزلزال اخف ما يكون في حلب وقد اتصلت الزلازل في كل اسبوع مرتين وثلاثة الى ليلة الاثنين سادس ربيع الثاني فزلزلت بعد العشاء المحال المذكورة باسرها واستقامت بدمشق ثلاث درج وخرب غالب دمشق وانطاكية وصيدا وقلعة البريج ولم تزل الزلازل متصلة الى انتهاء السنه المذكورة ثم اعقبها بدمشق وقراها وما والاها طاعون جارف عمرت غالب مساجد دمشق التي هدمتها الزلزلة من وصايا الاموات في هذا الطاعون وفي سنة ١١٧٤ توفي عبدالله باشا فراري في حلب ودفن بتكية الشيخ ابي بكر ووليها مكانه بكر باشا وكان يعرف ببكر افندي امين المطبخ وفي سنة ١١٧٥ ولي حلب

مصطفى باشا الصدر الاسبق وكان مقيما في مصر بلا منصب وولي مصر بكر باشا والي حلب قبله وفيها وقع بحلب طاعون شديد بلغت وفياته اليومية مائة وتسعين نسمة وفي الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة ١١٧٧ اسند لمصطفى باشا منصب الصدارة فسافر الى استانبول

— ولاية محمد باشا العظم حلب وابطاله بدعة الدومان وغيرها —

وفي هذه السنة ولي حلب محمد باشا بن مصطفى باشا ابن فارس ابن ابراهيم الشهير بعظم زاده نقل اليها من ولاية طرابلس الشام ودخلها في رابع عشر شعبان وكانت مجدبة فحصل بقدومه كثرة امطار ورخاء اسعار ورفع عن اهلها من البدع ما كان ثلما في الاسلام فاثلج بذلك الصدور واحيا معالم السرور منها منكر كان حدث بها سنة ١١٧١ وذلك انه جرت العادة في بعض محلاتها ان تفتح حانات القهوة ليلاً ويجتمع بها اوباش الناس الى ان زاد البلاء وفجرت النساء مع ما انضم الى ذلك من شرب الخمور وفعل المنكرات وانواع الفساد فحانت منه التفاتة الى ذلك فقصده متخفياً وازاله في ثاني يوم حيث نبه على الحانات ان لا تفتح ليلاً ومن جملة ما رفع من المظالم بحلب ايضاً بدعة الدومان عن حرفة الجزارين وكان حدوثه بحلب سنة ١١٦٠ والدومان اسم لمال يجمع من ظلامات متنوعة يستدان من بعض الناس باضعاف مضاعفة من الربا ويصرفه متغلبوا هذه الحرفة في مقاصدهم الفاسدة وطريقتهم في وفائه ان يباع اللحم باوفى الاثمان للناس من فقراء واغنياء وتؤخذ الجلود والاكارع والرؤس والكبد والطحال بابخس ثمن من فقراء

الجزار ين جبراً وقهراً كل ذلك يصدر من اشقيــاء الجزار ين ومتغلبيهم الى ان هجر اكل اللحم الاغنياء فضــلاً عن الفقراء واعضل الداء واتفق انه في سنة ست وسبعين كان قاضياً بحلب المولى احمد افندي الكر يدي فسعى في رفع هذه البدعة فلم تساعده الاقدار فباشر بنفسه محاسبة اهل هذه الحرفة الخبيثة ورفعها وكتب عليهم صكوكاً ووثائق وسجلها في قلعة حلب فلما عزل عاد كل شيء الى ما كان عليه فلما كان اواخر محرم سنة ١١٧٨ قبض الوالي المذكور على رئيسهم المعروف بكاور جحي وقتله وابطل تلك البدعة السيئة وصار لاهل حلب بذلك كمال الرفق والاحسان وامتدحه شعراؤها بعدة قصائد ذكر المرادي بعضها وفي جمادي الاولى سنة ١١٧٧ ولدت امرأة من عشيرة الموالي طفلين ملتصقين ببعضهما شاهده الوف من الناس ثم مات احدهما وعاش الآخر ساعتين ومات وفي السنة المذكوره اعني سنــة ١١٧٨ اجتمع اكابر اهل حلب وقدموا للدولة محضراً في سوء حال قاضيهم مصطفى افندي ابن احمــد افندي داماد غير المذكور آنفاً وبينوا فيه ظلمه وحرصه وارتكابه وبرهنوا على ذلك فعزلته الدولة عن حلب ونفته الى قونيه وفي شوال هذه السنة ولي حلب احمد باشا مير ميران وسماه في تاريخ ابن ميرو محمد باشا وقال انه حاز رتبة الوزارة في حلب لظفره بعصاة من اهل بياس وقــد ولي سلفه عظم زاده ولاية الرقة وفي خامس ذي القعدة منها هجم خنزير بري على المدينة نهاراً ولما دخلها اشتد عــدوه ولم يزل هكذا حتى دخل الجامع الكبير والناس والكلاب يركضون وراءه فاغلقوا ابواب الجامع وعاجلوه

برجم الحجارة حتى قتلوه وفي جمادي الآخرة سنة ١١٧٩ انعم حضرة السلطان برتبة الوزارة على احمد باشا والي حلب وفيها كان الغلاء شديداً بحلب بيع فيه رطل الخبز باثنتي عشرة بارة وفي شوال سنة ١١٨٠ ولي حلب علي باشا كور احمد باشا زاده

— نفي نقيب الاشراف محمد افندي طه زاده — وفي محرم هذه السنة صدر الامر السلطاني بنفي السيد محمد طه زاده نقيب اشراف حلب وسبب ذلك انه بقي زمناً طويلاً في نقابة حلب واكتسب شهرة عظيمة واتسعت دنياه وصار نافذ الكلمة مسموع الامر رئيساً بين اقرانه فاعتصب عليه عدة من رجال حلب واعيانها ورؤسائها وزعموا انه طغى و بغى وجار وظلم وعاقب وعذب وسلب الاموال بغير حق وفعل ما لم يكن جائزاً في الشرع المطهر وقدموا في هذه المثالب محضراً الى الدولة يلتمسون فيه من عدلها عزله ومجازاته على فعله فصادف هذا المحضر قبولاً وعزلته الدولة ومحت اسمه من جريدة الموالي وكان حائزاً باية ازمير ونفته الى ادرنه ولما صدر الامر بنفيه كان والده احمد افندي في استانبول فاخذ يدافع عن ولده حسب الشفقة الابوية و يقيم الحجة على اخصامه في دحض مازعموه في ولده حتى خيف من وقوع فساد بينه و بينهم فأمرت الدولة ان يلحق بولده و ينفى الى ادرنه وقد رأيت في بعض المجاميع انه استقام في المنفى ستة اعوام ونقل فيه الى عدة بلدان كقبرص وغيرها وفي ذى القعدة من هذه السنة ولي حلب حمزه باشا السلحدار وفوضت اليه التحصيلات فكان بحلب والياً ومحصلاً وولى سلفه علي

باشا محافظة القارص وفي شوال سنــة ١١٨١ ولي حلب باغلقجي زاده محمد امين باشا ثم في سنة ١١٨٢ ولي الصدارة وولي حلب مكانه رجب باشا وفيها حصل وقعة عظيمة بين اليكجرية والدالاتية وخرب عــدة محلات بهذه الوقعة وفي سنة ١١٨٣ محت الدولة اسم رجب باشا من دفتر الوزارة ونفي الى ديمتوقه وسبب ذلك انه لما دخل حلب استأجر داراً فسيحة واسكنها خمساً وعشرين جارية واشتغل بهن ليله ونهاره واهمل امر الحكومة وبقي الناس فوضى وقد ولي حلب بعده محمد باشا احمد باشا زاده متصرف سلانيك سابقاً ثم بعد مدة قليلة نقل الى محافظــة ودين وولي حلب مكانه محمد باشا نقل اليها من ولاية روملي

— فتنة بين الاشراف والانكشاريه — وفيها حصل بين الاشراف واليكجرية وقعة عظيمة واشتد القتال والنهب ونهبت قيسرية العرب تحت القلعة ونفيت عدة اشراف وفي رمضانها المصادف لتموز وقع مطر غزير اخرب اماكن عديدة من جملتها مكتب في محلة باحسيتا انهدم على عشرة اولاد من اليهود وحاخام وامرأة وفي محرم سنة ١١٨٤ عــين محمدباشا والي حلب سر عسكراً ووليها مكانه عبدالرحمن باشا فوصل اليها في رجب

— فتنة بين الاشراف والدالاتية وفيهــا كانت الفتنة قائمــة بين الاشراف والدالاتيه والاشراف هم الغالبون نحــاصر الوالي حلب وقطع القوافل عنها ثم دخلها وقت الفجر من باب قنسرين وهــاج الاشرف واطلقوا عليــه الرصاص وعظمت الفتنة بينهم وبين الدالاتية واستمر

الحرب اربعا وعشرين ساعة ثم هرب الاشراف وهجم الدالاتية على سوق الجمعة ونهبوا البيوت والدكاكين وقيسرية العرب واحرقوا جملة من بيوتها وقبض الوالي على نقيب الاشراف وحبسه ثم نفاه وفي جمادي الآخرة منها اجتمع جم غفير من العلماء والعوام ودخلوا المحكمة الشرعية وطلبوا رفع بعض بدع وامور منحرفة عن الدين فاجيبوا الى ما طلبوا وفي سنة ١١٨٥ ولي حلب محمد باشا عظم زاده وكان الاشراف في قيام وثورة فاغلقوا دونه ابواب حلب ومنعوه من الدخول اليها واشتعلت نار الحرب بينهم نحواً من اربعين يوماً ثم في غرة ربيع الثاني منها وصل اليه المدد فغلبهم ودخل حلب وجازى المفسدين وفيها ولي حلب حسين باشا الداماد ثم وليها في سنة ١١٨٦ الحاج عثمان باشا وسنة ١١٨١ محمد باشا وفي سنة ١١٨٩ ولي حلب محمد باشا بن محمد باشا عثمان بك زاده وكان سكيراً فبقي بها اياماً قلائل وحول عنها الى ولاية الرقة وولي حلب مكانه چتالجه لي علي باشا وكان ظالماً غاشماً اضر بالناس ضرراً فاحشاً فتشكى منه الحلبيون الى الدولة فاجابتهم بعزله عنهم وولت حلب عزت باشا محافظ القارص وفي ذي الحجة سنة ١١٩١ تحول عزت باشا الى متصرفية القدس وابراهيم باشا المير ميران متصرف القدس الى حلب وفي محرم سنة ١١٩٣ المصادف كانون الاول وقع في حلب ثلج عظيم واشتد البرد حتى تلف كثير من شجر الرمان والزيتون والتين وفيها كان والي حلب مراد باشا ثم عزت باشا ثانية وفيها اشتد الغلاء بحلب وبيع رطل الخبز بزلطه وهي ثلاثون بارة وفي جمادي

الاولى منها المصادف ايار وقع برد كثير الواحدة منه في حجم الجوزة فاتلف ثمر الشجر و بعض المزورعات وفي سنة ١١٩٤ ولي حلب عبدي باشا الكبير كما يستفاد من تاريخ جودت وفي السالنامة انه وليها في السنة الماضية و سنة ١١٩٥ وليها يوسف باشا اكبر اولاد محمد باشا عظم زاده وفي سنة ١١٩٦ وليها ابراهيم باشا ثم صرف عنها الى القارص ووليها مكانه خزينه دار شاهين علي باشا ثم في سنة ١١٩٧ وليها مصطفى باشا والي قرمان وفي سنة ١١٩٨ وليها احمد باشا متصرف لواء اوخري وفي ثاني يوم من ربيع الاول سنة ١١٩٩ ولي حلب ثانية شاهين علي باشا ثم عبدي باشا ثم في شوالها وليها ارحاجي مصطفى باشا وفي اليوم الرابع من شعبان هذه السنة المصادف شهر تموز في الساعة الثالثة منه كسفت الشمس وظهرت عدة نجوم وامتد كسوفها نحو ساعتين وفي شوال سنة ١٢٠٠ ولي حلب بطال حسين باشا ابن الحاج علي باشا والي ايالة ارضروم وولي ارحاجي مصطفى باشا ايالة ارضروم

— غلاء عظيم وفي هذه السنة ابتدأ الغلاء في حلب لانقطاع المطر و يبس نهر قويق ودام يبسه الى الاربعينية وغلت اسعار القوت اولاً ثم فقدت من البلدة بالمرة فاضطر الناس لاكل حب الخروب وحب القطن وعجو المشمش المر يحلونه و يأكلونه ومن الناس من اكل الدفل الذي يخرج من النشاء المعروف بالدوسة ومنهم من اكل امعاء الحيوانات واحشاءها و بيع شنبل الحنطة بخمسة وعشرين قرشاً ورطل الخبز بثلاث عشرة بارة الى القرش والزبيب بقرش واللحم بقرش ونصف

والسمن بربع القرش وفي محرم سنه ١٢٠١ ولي حلب عثمان باشا محافظ ابرائيل وولي سلفه بطال حسين باشا دمشق الشام وفيها وقع في حلب طاعون جارف هلك فيه خلق كثير وفي سنة ١٢٠٢ ولي حلب مير عبدالله باشا وفي السالنامة انه وليها في السنة قبلها وهو غلط وفي سنة ١٢٠٤ ولي حلب كوسه مصطفى باشا وفي رابع ذي القعدة سنة ١٢٠٥ قام الحلبيون على الوالي وحاصروه في قصره اربعة ايام ثم في ثامن هذا الشهر اخرجوه من باب الفرج فاقام في ظاهر حلب وكانت الدولة عينت مكانه سليمان باشا ترنج زاده

— فتن في عينتاب وكلز — وفي سنة ١٢٠٦ كتبت الدولة الى كوسه مصطفى باشا المقيم في ظاهر حلب ان يسير على نوري باشا بطال اغا زاده وكان عاصياً على الدولة في عينتاب وذلك ان نوري باشا كان من وجهاء عينتاب وبيده مقاطعتها فظلم وبغى حتى اضطر اهل عينتاب الى ان يستعينوا عليه بمحمد علي باشاطبان زاده متصرف كلز فدعوه اليهم وسلموه قيادتهم فهرب منه نوري باشا واستقر هو في عينتاب وصفى له الوقت وسلك سنن من قبله من الظلم والعسف حتى اسف الناس على نوري باشا ولما عيل صبرهم منه هجموا على ولده الذي كان بيده مقاليد اموره وقتلوه شر قتلة وتخلصوا من جوره ولما سمع بذلك نوري باشا اغتنم الفرصة وحشد اخلاطاً من التركمان وقصد عينتاب وحصرها وقطع طريق حلب وصار ينهب الاموال ويقتل النفوس واتصل خبره بالدوله فعينت درويش عبدالله بك عزت بك زاده فمشى نحوه بالعساكر الوفيرة واتفق في هذه

البرهة ان مر بتلك الاطراف ككي عبدي باشا قائـد الجيش السلطاني وكان معزولاً من مصر فدخـل عليه نوري باشا واستشفع بـه للدولة فضمن له العفو بشرط ان يكون بمعيته وكان عبـدي باشا متوجهاً الى ديار بكر فتوجه نوري باشا معه واقام بها الى ان توفي عبدي باشا وعندها خرج نوري باشا من ديار بكر وعاد الى فساده وقصـد عينتاب واتفق مع زمرة السادات واستولى على اليكجرية واحرق دورهم ونهب اموالهم ثم حصن القلعة واقام بها كالمتحصن لانه خاف عاقبة فعـله الى ان كتبت الدولة الى كور مصطفى باشا بالمسير عليه في السنة المتقدم ذكرها فتوجه نحوه وحاصره في القلعة خمسة اشهر الى ان ظفر به وقتله مع جماعة من حاشيته وقطع رؤسهم وارسلها الى حلب ومنها الى استانبول وفي اواخر هذه السنة ولي حلب عثمان باشا وفي سنة ١١٠٧ وقع في حلب قحط وغلاء

— صلح اليكجرية مع اهـل حلب — وفي سنة ١٢٠٨ ولي حلب عبدالله باشا عظم زاده وكانت شرور اليكجرية فيها قد عظمت واستبدوا بالامور حتى لم يبق للوالي حكم نافـذ وكان ضعيفاً فولت الدولة حلب سليمان فيضي باشا وشرطت عليه اصلاح البلد من غير اقامة حرب فحضر الى حلب واحضر اليه كبراء اليكجرية وتلطف بهم وعاهدوه على الراحة والسكون ونذر عليهم نذوراً ثقيلة لاهل حلب ان نكثوا العهد فلم يمض غير ايام قلائل الا ونبذوا العهود وهجموا بلا سبب ظاهر على محمـد افندي فوري زاده وشتموه وضربوه ضرباً مبرحاً وعادوا الى ما كانوا عليـه ومـدوا ايديهم للارزاق الواردة الى حلب من خارجهـا فخافهم الوالي

وخرج الى ظاهر حلب بوسيلة انه يريد تبــديل الهواء ثم ارسل اليهم رجلاً من خاصته ذا نجدة وشجاعة ورفقه بمباشر من زعماء اليكجرية وطلب منهم النذور التي نذروها او يوقع بهم وكتب الى الدولة واقعــة الحال ثم في اواسط هذه السنة وقع الصلح وتمت الالفة بين اهل حلب واليكجرية

— تخفيض عدد تراجمة قناصل الدول الاجنبية — وفي هذه السنة ايضاً كتب سليمان فيضي باشا الى الدولة ان قد بلغ عدد تراجمي القناصل في حلب نحو الف وخمسمائة رجـل والسبب في ذلك ان الدولة سمحت لكل سفير في استانبول ولكل قنصل خارجها بشخص وترجمان استثنته من جميع التكاليف الاميرية فانفتح بسبب ذلك باب لمن اراد الدخول في الترجمانية حتى بلغ عدد من كان يلبس قلانس السمور الفاً وخمسمائة دخلوا بالخدعة والحيلة وامتنعوا عن دفع التكاليف الاميرية وكانوا تجاراً فعينت الدولة للفحص عنهم رجلاً يقال له كسبي افندي فحضر الى حلب واحضرهم جميعاً وراجع اسماءهم في سجل الترجمة فلم يظهر له غير ستة بحق فحذف ما عداهم وارسلهم لاستانبول للمجازاة بعــد ان دفعوا له وللكمرجي ولمحصل الاموال خمسة الاف ذهب وللوالي مثلها فلم يقبلوها وفي هذه السنة كانت وفاة سليمان فيضي باشا ولم اقف على من ولي حلب بعده الى سنة ١١١١ وفيها وليها شريف باشا والي مرعش ثم في اواخرها وليها حقي باشا والي روم ايلي فتحرك من مكانه الى حلب وعبر في طريقه من معبر كليبرلي ولما قارب قرية سكود افسد اتباعه وحاشيته الكثيرة مزروعات

تلك القرية واضروا باهلها ضرراً فاحشاً فابتدر الناس هنـاك مدافعتهم بالتي هي احسن فكر اتباع الوالي عليهم واوسعوهم جراحاً وقتـلوا منهم عدة اشخاص وعندها رفعوا امرهم للدولة فاصغت اليهم وغضبت على حقي باشا ومحت اسمه من الوزارة ونفي الى جزيرة استانكوي وولي حلب مكانه في اوائل سنة ١٢١٢ حسن باشا محافظ بندر و بعد بضعة اشهر وليهـا درويش مصطفى باشا والي الروم ايلي

— واقعة جامع الاطروش — في رمضان هذه السنة عظمت الفتنة بين السادات واليكجرية في حلب وجرى بينهما منازعة وقتال وتغلب اليكجرية على السادات فالتجأوا الى جامع الاطروش وحاصروا فيه ومنع اليكجرية وصول المـاء والقوت اليهم وشددوا عليهم الحصار ونفذت اقواتهم وعيل صبرهم واشرفوا على الهلاك من الجوع والعطش فاستأمنوا اليكجرية فامنوهم على انفسهم وحلفوا لهم الايمان المغلظة على ذلك فوثق السادات منهم وفتحوا ابواب الجامع فما كان الا ان هجم اليكجرية عليهم وفتكوا بهم قتـلاً وجرحاً وسلبـاً وسبياً والسادات يستجيرون بهم و يستغيثون بالنبي وآله فـلا يلتفتون اليهم وكانوا يقتلون السادات على انحاء شتى فمنهم من يقتلونه نحراً في عنقه ومنهم من يبقرون بطنه ومنهم من يفلقون بالسيف هامته ومنهم من يذبحونه من قفاه او من عنقه ومنهم من يطرحونه في البئر او في حفيرة حياً وكان السيد يستغيث بشربة من الماء قبل ان يقتلوه فلا يغيثوه بـل يقتلوه ظمآن ومن الغريب ان يكجريا ظفر باخيه السيد واراد ان يقتله فاستغاث بشربة ماء قبل القتل

فبال في فمه وقتـله جرى ذلك والوالي غائب عن حلب لمحاربة بعض الخوارج على الدولة ولما اتصل الخبر بالدولة ولت حلب شريف باشا والي مرعش وهذه الولاية الثانية فاسرع الكرة الى حلب وتدارك الحال واطفأ نار الفتنة وقد نظم شعراء العصر في هذه الوقعة عـدة قصائد نعوا فيها السادات وهجوا اليكجرية فمما قاله الشيخ محمد وفا الرفاعي من قصيدة قوله :

كل المصائب قد تسلي نوائبها … الا التي ليس عنها الدهر سلوان
هي المصيبة في آل الرسول فكم … سرى باخبارها في الناس ركبان
من آل بيت رسول الله شرذمة … من النوابغ احداث وشبان
آووا لبعض بيوت الله من فرق … من العدو وللاعداء عدوان
فجاء قوم من الفجار تقصدهم … فآمنوهم ولكن عهدهم خانوا
وحالفوهم على فوز بانفسهم … لكنهم ما لهم عهـد وايمان
وكيف صح قديماً عهد طائفة … ضامنة ليس لهم في القلب ايمان
سلوا عليهم سيوف البغي واقتحموا … كأنهم جبار وشيطان
وباشروا قتلهم بما بدا لهم … وبعضهم ذابح والبعض طعان
او باقر لبطون او ممثـل او … ضراب سيف وفتاك وفتان
او مقتف اثر مهزوم ليقتـله … وقلبه لدماء الآل ظمآن
او خائض بدماء القوم مفتخر … بالسيف مستولع بالهتك ولهان
او كاسر عظم مقتول وقاذفه … كما تكسر اصنـام واوثان
وكل هذا وآل البيت ما رفعت … لهم عليهم يـد والرب ديان

ان يستجيروا بجاه المصطفى شتموا او بالصحابة سبوا البيت لا كانوا
او يستغيثوا يغاثوا من دمائهم او يستقيلوا الردى فالقلب صوان
فلو سمعت عويل القوم من بعد اذ يستغيثوا لهدت منك اركان
يا رب والدة كبت على ولد فمزقوه وما رقوا وما لانوا
يا رب ارملة ريعت بصاحبها وحولها منه ايتام وصبيان

وهي طويلة وقال محمد افندي الحسني في هذه الواقعة ايضاً من قصيدة :

اهكذا تفعل الاسلام في نفر المصطفى حبهم من قبل ما كانوا
سلوا عليهم سيوف الكيد وابتدروا
سلباً وقتلاً وما دانوا وما لانوا
ماذا التباغض للاشراف مع حسد
هل جاكم فيه قبل الآن قرآن
هل عندكم ان خير الخلق سامحكم ام عند ربكم في ذاك غفران
هدرتموا دم ابناء الرسول فهل فرعون اوصاكم فيه وهامان
ومن دنا منكم لا عفو عندكم اذا قدرتم الا دنتم كما دانوا
يتمتموا كل طفل لا لسان له كأن والده للهول نشآن
وكم مخدرة للوجه حاسرة يهتز من نوحها للعرش اركان
يزيد اوصاكم في ذاك يا سفل بموت نسل النبي وهو ظمآن

وقال بعضهم في هذه الحادثة ايضاً

يا مصطفى ان القلوب منغصه لبنيك في الشباء حلت منقصه

في جامع الاطروش سال نجيعهم ... فغدت به ارجاؤه متقمصه
ادرك بجسم الدين انهكه الضنى ... وكوى بني السادات ابن الحمصه
اقبل وقل للحربلي الحرب لي ... فاذق آلهي ذي العصابة مخمصه
ابدت الى الاشراف شر خيانة ... وغدت الى داعي الضلالة مخلصه
عهدت اليهم بالامان واصبحت ... اعلامها بيد الخداع منكصه
يا سينها في النازعات احله الـ ... مولى وعمهم العذاب وخصصه
ادماء اعداء الآل ثمينة ... ودماء ابناء الرسول مرخصه
فلأنت اولى بالجميع وهذه ... شكواهم رفعت اليك ملخصه

— سفر المتطوعة من حلب الى مصر لاخراج الفرنسيين منها —

في غرة جمادي الاولى سنة ١٢١٤ سافر سبعة الاف فارس من يكجرية حلب مع احد زعمائهم احمد اغا حمصه وكان معهم اللواء الكبير وتوجهوا الى مصر لاخراج طائفة الفرنسيس منها وفي غرة جمادى الاولى سنة ١٢١٥ سافر ابراهيم باشا قطاراغاسي من عظماء رجال الدولة الحلبيين الى مصر لمحاربة الطائفة المذكورة وخرج معه متطوعاً نقيب الاشراف محمد قدسي افندي ومعه من الاشراف نحو اربعة الاف رجل ثم في شهر ربيع الاول سنة ١٢١٦ زينت حلب سبعة ايام لرجوع مصر ليد الدولة العثمانية وفي جمادي الثانية منها عاد الى حلب قدسي افندي ومعه الاشراف فزينت لقدومهم ايضاً وفي ذي القعدة منها المصادف الليلة الخامسة عشرة من اذار حدث بحلب زلزلة اخربت عدة اماكن من جملتها ست حجرات من خان اللبن وفي الخامس والعشرين ذي الحجة منها المصادف

اليوم السادس عشر من نيسان وصل الى حلب ابراهيم باشا قطار اغاسي قافلاً من مصر و بعد برهة ولي حلب وغلط في السالنامة اذ جعل ولايته حلب في سنة ١٢١٤ وفيها عمرت منارة جامع العدلية وكانت هدمتها عاصفة خرجت في هذه السنة وهدمت معها عدة ابنية

— اصلاح ذات البين بين اليكجرية والسادات وفي غرة محرم سنة ١٢١٧ قدم حلب يوسف باشا الوزير لحسم الفساد بين اليكجرية والسادات وكان كل منهما حنقاً على الآخر . حضر الباشا المذكور وجهاء الاشراف وسردار حلب عبد الرحمن آغا النقيب ارفادي واولاد الجانبلات وخطباء الجوامع والاعيان وابراهيم باشا الوالي واغوات اليكجرية واخذ من الطرفين عهوداً ومواثيق على استمرار الصلح والسكون بينهم ونذر على الاشراف ثلاثمائة كيس ومثلها على اليكجرية ان يدفعوها للحكومة ان ابتدأ احدهم بما يخل بالراحة العمومية واخذ من الفريقين صكوكاً على ذلك وفي محرمها ايضاً صدر امر الدولة لوالي حلب ان ينفي ثلاثة واربعين شخصاً من زعماء اليكجرية وان يضبط منهم القلعة ويضع فيها مكانهم جماعة من الارناوود ففعل وفي سنة ١٢١٨ ولي ابراهيم باشا قطاراغاسي امارة الحاج مع ايالة دمشق وطرابلس وولى ولده محمد بك حلب مع رتبة الوزارة وفي محرم سنة ١٢١٩ خرج ابراهيم باشا من حلب متوجهاً الى دمشق لمباشرة وظيفته وترك ولده محمد باشا والياً في حلب وبعد ثلاثة ايام من خروجه قام الحلبيون واشهروا العصيان على الوالي واخرجوه من حلب وكانت الدولة في ذلك الوقت مرتبكة جداً لا يمكنها

ان تسوق عسكراً لحلب ولا ان توافق الحلبيين على عزل الوالي الذي رفضوه صوناً لشرفها فرأت الاوفق بالحال ان ترسل من استانبول مباشراً خاصا لاصلاح ذات البين وكتبت بمساعدته الى احد بني الجابري. وفي سنة ١٢٢٠ ولي حلب علاء الدين باشا وهو الذي احدث مدافع رمضان والعيدين وفي سنة ١٢٢١ ولي حلب عثمان باشا ابن احمد باشا الحلبي وولي معها محافظة الحرمين الشريفين غير ان حلب في ذلك الوقت كانت احوالها مضطربة والفتن قائمة فيها على ساق وقدم بحيث كانت النفقات اللازمة لادارة لوالي يعسر عليه استحصالها فضلاً عن استحصال النفقات اللازمة لمحافظة الحرمين الشريفين الذين كانا تحت خطر الوهابية ومهاجماتهم ولذا سلخت عنه محافظة الحرمين وبقي والياً على حلب فقط وفي ثامن شوال سنة ١٢٢٣ ولي حلب يوسف ضيا باشا الصدر الاسبق ثم في اواسط سنة ١٢٢٤ جاءه ختم الصدارة وكان في جهة ملاطية لردع بعض عشائر الاكراد وكانت الدولة في ارتباك عظيم داخلاً من اليكجرية وخارجا من جهة روسية فاراد ان يستعفي من الصدارة لخطر موقعها الا انه خاف غضب السلطان فقبلها وسافر الى استانبول وفي الخامس من جمادي الاولى عين لولاية حلب التى لم تزل بعهدته سروري باشا مع رتبة الوزارة وفي سنه ١٢٢٦ ولي حلب راغب باشا وفي سنة ١٢٢٧ انهى راغب باشا الى الدولة بوجوب قتل ابي براق محمد باشا وكان منفياً بحلب فصدر الامر السلطاني بقتله فقتل وسبب ذلك انه اثار بعض الناس لايقاع فتنة املاً ان يحصل على غرض يريده فلم ينجح

— ولاية محمد جلال الدين باشا ابن چوبان حلب وما كان — في ايام ولايته من الحوادث

في سنة ١٢٢٨ ولي حلب محمد جلال الدين باشا المعروف بابن چوبان فوصل الى حلب في اليوم السادس من رجب الفرد من هذه السنة وكان اليكجرية في هيجان عظيم وقد طغوا و بغوا واستكبروا وعتوا على ان حالتهم هذه في حلب وغيرها من البلاد العثمانية منذ مئات من السنين كما ستقف عليه في الاجمال الذي نثبته في اليكجرية سنة ١٢٤١ وكانوا لعظمة سطوتهم وقوة عارضتهم يخيفون الولاة فكان معظم ولاة حلب ينزلون خارج البلدة اما في تكية الشيخ ابي بكر او في غيرها خوفاً من مهاجمات اليكجرية ولهذا نزل محمد جلال الدين باشا حين قدومه الى حلب في التكية المذكورة اسوة بالولاة السابقين

كان اليكجرية يسمعون بهذا الوالي و يعرفون ما عنده من الشدة والصرامة على اليكجرية فلما بلغهم خبر تعيينه والياً على حلب اخفوا ما كان عندهم من الحلي والامتعة الثمينة عند التجار الاجانب وقناصل اليهود فان هذا الوالي كبقية الولاة امثاله اعتادوا في معاقبة اليكجرية مصادرة الاغنياء منهم بالتعذيب ثم بالقتل : ولما وصل جلال الدين الى حلب طاف في شوارعها ومعه الجلاد وقطع رؤس خمسة من اليكجرية ارهاباً للنفوس ثم اظهر الاطمئنان واقبل على الصيد والنزهة وكان في صحبته رجل ذا حيلة ودهاء هو عنده كتخداه فحسن له قمع هؤلاء اليكجرية باعمال الحيلة والخدعة لا بمباشرة الحرب والضرب فعمل الوالي برأيه واختار واحداً من

وجهاء اليكجرية ودعاه اليه بالرفق واللطف وهو ابراهيم اغا بن خلاص وجعل كلما حضر عنده يكرمه و يتودد اليه و يدنيه من مجلسه و يعده بما يسره وما زال يعامله هذه المعاملة الحبية حتى تأكد ان ابراهيم اغا ا يقن ان محبة الوالي اياه محبة صادقة لا يشوبها غش ولا يشينها تدليس وحينئذٍ عمل الوالي وليمة في تكية الشيخ ابى بكر دعا اليهـا بواسطة ابراهيم اغا ثمانية عشر شخصاً من كبراء اليكجرية وزعمائهم وصار كلما حضر واحد منهم يدخل الى التكيــة على انفراده ويقطع رأسه و يوضع على طرف الحوض حتى ابادهم جميعاً وكان من جملتهم صفيــه وحبيبه ابراهيم اغا ابن خلاص

و يحكى ان احد المقتولين في هذه الوليمة الدموية كان ينصح ابراهيم اغا و يحذره من غدر الوالي و يذكر له ان ما يراه منه من التودد والمحبة هو محض خداع وتغرير فكان ابراهيم لا يلتفت الى كلامــه و يقول له ان حضرة الوالي يحبني محبه خالصة : فلما كان يوم تلك الوليمة المشؤمة كان آخر من ادخل للتكية وقدم للقتل ذلك الناصح النبيه وكان ابراهيم اغا واقفاً بين يدي الوالي فاقبل ناصحه على الوالي وقبل الارض بين يـديه وسأله هل في نيتك قتل هـذا الحمار واشار الى ابراهيم اغا فاجابه الوالي بقوله (هاي هاي) اي نعم نعم فقال له ارجوك ان تقتله قبلي حتى ارى رأسه بين هذه الرؤس فيطيب طعم الموت عندي ثم تقتلني فامر الوالي بقطع رأس ابراهيم اغا فقطع ووضع على طرف الحوض وحينئذٍ تقـدم الناصح المذكور الى الجلاد وقال له الان طاب الموت ولوى عنقه فضربه

وكان اخر قتلاء هذه الضيافة الحافلة ثم ان الوالي جعل يتتبع زعماء هذه الطائفة و يقتلهم بعد ان يصادر اموالهم بالتعذيب القاسي حتى استقصى اكثرهم

— عزل قاضي حلب — وفي اوائل جمادي الاولى من هـذه السنة وهي سنة ١٢٢٨ عزل قاضي حلب عزت زاده دلي امين افندي وسبب ذلك انه كان يعامل اشراف البلدة ووجهاءها معاملة العامة وربما عامل الوالي على هذا النمط وكان الوالي يتحمله تكريماً لعلمه وفضله و يصبر عليه لانقضاء مدته العرفية لكنـه لما كان في بعض الايام نهر القاضي بالمفتي ووكزه في رأسه فسبب فعله هذا لغطا بين الناس فخاف الوالي من حدوث فتنة بين العلماء فانهى به الى الدولة فعزلته ونفته الى طوسية

- طاعون جارف - في ربيع الآخر سنة ١٢٢٩ حصل في حلب طاعون جارف بلغت وفيـاته اليومية ثمانمايـة الى الالف من المسلمين واربعين الي الستين من النصارى وعشرين الى ثلاثين من اليهود

- خروج منادٍ من قبل الحكومة - وفيها خرج من قبل الحكومـة منادٍ طاف في محلات حلب وهو ينادي بقوله : (يا اهل هذه المحلة اذا كان في محلتكم يكجري ولم تخبروا عنه فجزاؤكم خمسمائة كيس) الكيس اسم لخمسمائة قرش)

— ورود امر سلطاني بقتل جماعة من زعماء اليكجرية —

وفيها ورد امر سلطاني بقتل حسن اغا السيد خلاص والحاج علي اغا البيلماني والحاج محمد بن ابراهيم اشبيب فقتلوا وبيعت املاكهم بواسطة

مأمور خصوصي ورد من الاستانة يقـال له ابراهيم اغا سلحشور في الباب العالي والحاج محمد المذكور هو والد محمد اغا بازو الذي من جملة اولاده الاحياء السيد محمد بازو احد وجهاء محلة الجبيلة الان

وفي هذه السنة قتل ايضاً احمد اغا ابن عبدالقادر حمصه وابراهيم اغا الحر بلي كلاهما من زعماء اليكجرية والحاج عمر بن عيسى الجربان من شجعانهم وبعد قتلهم بيعت املاكهم

— امر النصارى بالغيار — وفي ثلاثين من ربيع الاول امرت الحكومة النصارى ان يعتموا بعمائم سماويـة اللون وان يلبسوا بارجلهم النعال الحمر وسبب ذلك ان كثيرين منهم كانوا يتزيون بزى اليكجرية ليتسنى لهم التسلط على الناس كاليكجرية

— تأديب حيدر اغا مرسل وغيره من الخوارج —

وفي سنة ١٢٣١ صدرت اوامر الدولة بتأديب حيـدر اغا مرسل وطوپال علي وسعيد اغا وعمر اغا ابن عمو وغـيرهم من الخوارج في بلاد البستان ولما ساق نحوهم العسكر جلال الدين باشا والي حلب خام عن لقائه حيدر اغا وهرب الى الرقة ووقع دخيلاً عند عربانها واما طوپال علي اغا وسعيد اغا فانهما فرا الى جهـة الزور وقطعا طريق حلب فاضطر جلال الدين باشا ان يخرج العسكر الى اطراف البرية غير ان طوپال وسعيـد تغيرت افكارهما وتوجها مع الحجاج الى المدينـة المنورة واستغاثا بشيخ الحرم قاسم اغا فرق لهما ووعدهما بالشفاعة عنـد الدولة ثم استرحم من السلطنة العفو عنهما فاجيب الى ما طلب بشرط

ان يقيما في مصر وفي خلال هـذه السنة ولي حلب السيد احمد باشا والي الاناطول وولي مكانه جلال الدين باشا وفي سنة ٢٣٢ كثر فساد الاعراب في جوار حلب وجهات ريحا وانطاكية وكان الامـير مهنا البدوي هو الزعيم الاكبر على الاعراب وقد فرض على كل داخل الى ارضه مبلغاً من النقود وضرب على القرى المجاورة مضار به جريمة سماها الاخوة فكانت سبباً لخراب عدة قرى وجلاء اهلهـا عنها وتفـاقم امر هؤلاء الاعراب وتعطلت السبل وفقد الامن : وذكر في الجزء الخامس من المجلد العاشر من مجلة الجامعة الاميركية ان علي اغا رستم قتـل ابن عمه واستولى على جسر الشغر واللاذقية وصادر اغنياءهمـا حتى قنصلي بريطانيا وفرنسا وكان اليكجرية في حلب مع هذه الحالة في قيام ومخالفة على الوالي وفي صفرها صدر امر الدولة لوالي حلب السيد احمد باشا ان يقصد الاعراب في الصحراء ويوقع بهم وانفذ اليهم كتخداه عثمان اغا ورفقه بمقدار وافر من العساكر وكان العربان على ثمـان عشرة ساعة عن حلب فوصل اليهم وكسرهم وظفر منهم باربعة وثلاثين شخصاً قطع رؤسهم وجهزهـا الى استانبول فسرت الدولة من ذلك وارسلت لوالي حلب تشكراً واستقلالاً بولايته وفيها ايضاً ثارت عشيرة براق وهجموا على اطراف كلز فساق اليهم والي حلب وقاتلهم وظفـر منهم ببضعة اشخاص قطع رؤسهم وارسلهـا لاستانبول وفيها قدم نفر من يكجرية اداب وقطعوا الطريق من جهـة خان طومان فظفر الوالي بهم وارسلت منهم اربعة رؤس الى استانبول وفي اليوم السابع من تشرين

الثاني سنة ١٨١٦ مسيحية المصادفة هذه السنة كسفت الشمس وقت الاستواء وبقيت مكسوفة نحو ساعتين واظلم الافق وظهر نجم الزهرة

— ولاية خورشيد باشا على حلب — وفي اليوم الثاني والعشرين من ربيع الثاني سنة ١٢٢٣ ولي حلب خورشيد باشا وفي سنة ١٢٢٤ هـ ١٨١٨ م قتلت الحكومة ١٧ شخصاً من الروم الكاثوليك وسريانياً ومورانياً والسبب في ذلك ان الروم القديم كان لهم بحلب مطران هو المعترف به عند الدولة بالسيادة على جميع الروم القديم والكاثوليك اسوة امثاله من قديم الزمان وكانت طغمة كهنوت الروم الكاثوليك تأنف من سيادته وتنقاد اليه انقياد مكره وكانت كنيسة الملتين في حلب واحدة فلما كانت السنة المذكورة استحصل المذكور من الدولة امراً بنفي جميع كهنة الروم الكاثوليك اهانة لهم وعندها امتعط منه جميع طائفة الكاثوليك واحتشدوا وكانوا زهاء سبعة الاف شخص وهم اكثر عدداً من طائفة الروم القديم ثم صاروا يريدون الايقاع بالمطران المذكور ثم بدا لهم ان يحضروه الى الوالي ويلتمسوا منه كف سلطته عليهم استناداً على انه لا اكراه في الدين وكان نمى الخبر الى الوالي وهو في تكية الشيخ ابي بكر فلما رأى جموع الكاثوليك مقبلين عليه اقبال هجوم وتألب امر ان يفرق جمعهم ويقتل منهم بعض افراد تسكيناً للفتنة فنفذ امره وفرق جمعهم وقتل منهم الافراد المذكورون وبقيت سيادة مطارنة الروم على عموم الروم الى ان دخل المصريون حلب فافردوا لكل طائفة مطراناً وكنيسة وبعدهم حذت الدولة العثمانية حذوهم واستمر الحال على

هذا المنوال الى يومنا هذا : هـذه الحادثة مذكورة في كتاب عناية الرحمن مفصلة فلتراجع

- حصار حلب المعروف بحصار خورشيد -

المعنا فيما تقدم قريباً عن حادثة قتل اليكجرية وتشتتهم في البلاد عن يد محمد جلال باشا جبار زاده وان حلب من ذلك اليوم اخذت بالسكون والراحة غير انه لم يمض على تلك الحادثة زمن يسير الا وقد اعتصب في حلب زمرة من السادات واخذوا يدأبون باخلال الراحة وانضباط البلد ثم سولت لهم انفسهم ان يقوموا على الحكومة ويخلعوا طاعتها واستعدوا للقيام وكاتبوا جماعة اليكجرية الذين كانوا مشتتين في البلاد هرباً من جبار زاده فحضروا خفية ولازموا البيوت سراً وقوي بهم حزب السادات وزادوا استعداداً وصاروا يتوقعون ادنى باعث للثورة فاتفق ان حاشية الوالي خورشيد كانت من اعظم الاسباب التي عجلت قيام الثائرين المترقبين ادنى فرصة تسنح لهم وذلك ان الوالي المشار اليه كان على جانب عظيم من الصلاح والدين وبالعكس حاشيته وجماعة دائرته فكان امامه لا ينفك عن السكر الا قليلاً واما كتخداه سليمان بك فانه يتناول المسكرات ليلاً ونهاراً وكثيراً ما كان يرى كالمجنون عند المساء لكثرة ما يشرب فلربما كان يغضب على بعض اتباعه فيضربه بالبلطة او بالخنجر في اي محل وقع الضرب وكان يدور في شوارع حلب على هذه الحالة الى نصف الليل وغضب مرة على رئيس ساسة الدواب وهدده بالضرب والقتل فخاف بقية السياس من شره وعولوا على الفرار

وكان في الاصطبل عدد وافر من الخيول والبغال فعمد اليها سليمان بك وقطع مقاودها وقيودها واستنفرها الى خارج الاصطبل فحصل بسببها غاغلة عظيمة في اسواق حلب فهذه حالة الكتخدا واما بقية رجال الدائرة فانهم كانوا على اشد انهماك من الفسق والارتشا وكان خورشيد باشا ليس عنده خبرهم بل كان يحسن ظنه بجميعهم كانت هذه الاحوال تزيد من الحاشية يوماً فيوماً والحلبيون المتعصبون في دينهم يزدادون نفوراً الى ان ثاروا بغتة في احدى الليالي من محرم سنة ١٢٣٥ وكان الوالي في اطراف نهر الساجور يعاني مكاشفته لجره الى نهر قويق ومشوا نحو منزل الكتخدا المذكور فكبسوه وقتلوه ثم انتقلوا منه الى غيره من جماعة الدائرة المنهكمين في المعاصي واعدموهم عن آخرهم ثم التفتوا نحو عسكر الوالي وبغتوهم بالقتل حتى اني رأيت في بعض المجاميع ان جملة من قتلوا من حاشية الوالي واتباعه في تلك الليلة سبعة الاف نسمة وهو مبالغة فيما اظن ثم ان هؤلاء الثائرين كبسوا بيت الامام المتقدم ذكره فاخذوه مع جميع ما كان عنده من الات اللهو واللعب وادوات الفسق والفجور وجاؤا به الى المحكمة الشرعية كأنه مشهر ونادوا القاضي قائلين وهم يشيرون الى الامام يكفي ان تعلم بحالته استانبول فقط فتلطف بهم القاضي واستعمل انواع الحيل والمداهنة ودفع عنه هذه الجمهرة ثم احضر اليه جماعة من العلماء وذوي الوجاهة وسار معهم الى خورشيد باشا في تكية الشيخ ابي بكر واثبتوا لديه رضاهم ومزيد صداقتهم وكان خبر الحادثة نمى اليه وعاد من سفره فابتدر في

الحال قطع القناة عن حلب ومنع عنها دخول المـيرة والاقوات وشدد حصارهـا وكتب الى المتسلمين باطراف حلب فاحضرهم مع عساكرهم واطـار المكاتيب لاسترجاع عسكر كان ارسله قبل بضعـة ايام لجهة ديار بكر وكتب لوالي سلانيك ان يرسل له الفي عسكري موظف تخرج من ميناء اللاذقية وحرر واقعة الحال يعلم بها استانبول فوصلت مكاتيبه اليها في اليوم الثامن عشر من محرم و بينما كانت الدولة مشغولة باطفـاء نار الفتنة المشتعلة في ديار بكر في تلك الايام اذ ورد اليها خبر حلب ايضاً فوقعت في حيرة عظيمة ثم بدا لهـا ان تكتب لابي بكر باشا متصرف قيصرية ان يسرع الكرة مع مقدار يتداركه من العسكر لاعانـة والي حلب وكتبت الى جلال الدين باشا جبار زاده والي اطنه بان يخـابر والي حلب و يعاونه حسب الامـكان بحيث اذا لزم حضوره بنفسه لا يتأخر وكتبت الى جماعة من المدفعية واصحاب العربات الذين ارسلتهم لاخضاع اهل بغداد ان يكونوا اعواناً لوالي حلب لانهم لم يبق لسفرهم الى بغداد لزوم لرجوع السلام اليها اما خورشيد باشا فانه كان وصـل اليه المتسلمون الذينهم في اطرافه كما تقدم ثم وصل العسكر الذي ارسل لديار بكر ثم عسكر الجبل والارناووط ثم جلال الدين باشا ثم لطف الله باشا والي الرقة فاشتدت قوته وقوي عزمه ومشى بالعساكر الوفيرة لمحاربـة الحلبيين والتقى الفريقان في محلة قسطل الحرمي خارج السور واشتعلت نار الحرب فلم يمض غـير ساعات الا وتقهقر الحلبيون وولوا منهزمين الى داخل البلد واستمروا على تمردهم وعندهـا اتفق رأي الوزراء الثلاثة

على ان يدخلوا البلد جبراً فرتبوا جيشاً عظيماً للهجوم على حلب في غرة ربيع الثاني وفي سحرة يوم منه اطلقت المدافع على اسوار المدينة من عدة جوانب وانفتح فيها بضع ثلمات هجم منهـا عسكر الجبل والارناوط ودخلوا البلد والتقى الفريقان في الازقة والشوارع وجرت بينهما محاربة مهولة اريق فيها دماء كثيرة ثم انجلت الوقعـة عن كسرة الحلبيين وانهزامهم ودخل الوزراء الثلاثة المدينة وضبطوها بعد ان دام حصارهم اياها نحواً من اربعة اشهر وهو آخر حصار جرى على مدينة حلب الى يومنا هذا وقد ظفر الوزراء الثلاثة بسبعة من رؤساء الثائرين قطعوا رؤسهم وجهزوها الى استانبول مع تحـرير مشترك منهم فوصلت الى الباب العالي في اوائل جمادي الاولى وصارت موجبة للمسرة الزائـدة وارسل لكل واحد من الوزراء فروة سمور ولخورشيد باشا خنجر مرصع غير ان هذه الحادثة كانت قد شاعت في استانبول وكثر بهـا لغط الناس ودار على الالسن ان سببها ظلم حاشيـة خورشيد باشا وفسادهم ولذا اضطرت الدولة لكشف الحقيقة وازالة الشبهة وعينت لذلك رجلاً يقال له مصطفى نظيف افندي كاملي زاده وارسلتـه الى حلب للتحقيق فوصل اليها بعد ان ضبطها الوزراء بيومين ونزل في محل قريب من تكية الشيخ ابي بكر وكان بينه وبين خورشيد عداوة قديمـة فكتب للدولة ان سبب الحـادثة المذكورة هو ظلم جماعـة الوالي وارتكابهم الرشوة وانهماكهم في المعاصي وما في معنى ذلك كما ان خورشيـد باشا كتب للدولة بان نظيف افندي رجل مفسد محرك للسواكن له اغراض فاسدة

يحاول الوصول اليها بزمرة من المفسدين الذين يترددون اليه وما في معناه ولما وصل الكتابان للباب العالي رؤهما متضادين فنبذوهما ظهريا

﴿غريبة﴾ حكى شاني زاده في تاريخه والعهدة عليه قال لما انتهت هذه الحادثة وصار الوالي يأمر بقتل الرجال قياماً بواجب السياسة جاء احد المأمورين في هذا الشأن الى صالح اغا قوج متسلم حلب من قبل الوالي وقال له سيدي مساء امس الماضي تنازع احد الفقراء الذين يصنعون الكراسي مع واحد من عساكر الدراويش المولوية بسبب مشاحة فحبس الفقير وعند المساء ادخل الى محبس الدم واصبح ميتاً وفي صبيحة هذا اليوم جاءت زوجته ومعها اربعة ايتام لباب الوالي وقدمت له عريضة تذكر فيها انها محتاجة لعشاء ليلة فهي تسترحم ان يعطوها ما وجد على زوجها المقتول من الثياب لتبيعها وتنفقها على ايتامه فاخذت منها العريضة وقدمتها للوالي وعندما بينت له الكيفية اسف للغاية ورق للمرأة ورثى لحالها واحسن اليها بنصف كيس من الذهب اما صالح قوج فانه لما سمع هذه الحكاية قال هذا شيء عجيب كيف يقتل هذا ظلماً والذين صدر الامر بقتلهم ثلاثة اشخاص والمدافع التي اطلقت باعلان قتلهم ثلاثة وجثث القتلى التي اصبحت مطروحة في خندق القلعة ثلاث فان كان هذا الرجل قتل غلطاً وخطأ فاني الخص عن الرجل الذي كان يستحق القتل واوقع القبض عليه مع ان هذا الظالم الماكر قتل في تلك الليلة اربعة اشخاص دون ذنب ولا جناية بدل اربعة اشخاص صدر الامر بقتلهم فرشوه وخلي سبيلهم وقتل عوضاً عنهم من لا ذنب لهم والقى

جثثهم في خندق القلعـة كما اخبر بذلك من كان عالماً بحقيقـة الحال انتهى ملخصاً من تاريخ جودت باشا مع زيادة قليلة وقفت عليها في بعض المجاميع وقد ذكر فيها ان زعماء الثائرين في هـذه الحادثة هم من السادات وان الصلح وقع اخـيراً مع اليكجرية فقط بسبب مخامرة السادات عليهم ولذا كان معظم من قتل في تلك الوقعـة من السادات قلت هذه الحادثة كانت من اهم الحوادث التاريخية واعظمها بحلب حتى اني رأيت في بعض الفهارس الافرنجية الواردة من باريس انه يوجد في حانوت صاحبها كتاب مخطوط يشتمل على زهاء ثلاثمائة صحيفة كله في خبر هذه الواقعة وفي الحال كتبت في طلبه الى باريز فرجع الجواب اليَّ بانه بيع قبل وصول كتابي : وفي اواخر هـذه السنة (١٢٣٥) حول خورشيد باشا الى ايالة الموره وولي حلب مصطفى باشا البيـلاني صاحب الحمام المنسوب اليه في محلة الفرافرة تجاه مزار النسيمي بحلب وهو الذي جدد هذا المزار وزوجته ماهلقا مدفونة فيه وهي صاحبـة السبيل الكائن في اواخر سوق العبي في حضرة المفارق الاربعة : وفي سنة ١٢٣٧ ولي حلب ابراهيم باشا

— الزلزلة الكبرى في حلب واعمالها — في نحو الساعة الثالثة من ليلة الاربعاء بعد العشاء الاخيرة ثامن وعشرين شهر ذي القعدة من هـذه السنة (١٢٣٧) هـ الموافق (١) آب سنة ١٨٢١ م زلزلت حلب زلزالاً شديداً امتد حكم سلطانه الرهيب الى مسافات بعيدة عن حلب انتهت حدوده شمالاً الى مرعش وجنوباً الى حمص وشرقاً الى الفرات وغرباً

الى اسكندرونة زحفت جيوشه الجرارة الى جميع هـذه البلاد وما في ضواحيها وصحاريها من البلدان والقرى وكان اعظمها مصيبة به واشدها نكبة وبلاء مدينة حلب ثم انطاكية وبـلاد القصير الاعلى والاسفل — حدثني الشيخ المعمر محمد اغا مكانسي احد اعيان حلب ووجهائها في القرن الثاني عشر المولود سنة ١٢٠٢ والمتوفي سنـة ١٣٠٩ وكان دقيق الفكر حسن التعبير قوي الحافظة لا يشذ عن ذهنه كلي ولا جزئي من الحوادث والكوارث التي مرت عليه مدة حياته بعد طور طفوليته وكنت اسمر عنده في مصيف منزله الكبير الكائن في محلة محمد بك في ليلة من شهر تموز طاب نسيمها وسطع بدرها وقد سألته عن اعظم فزعـة عرته في حياته بمناسبة حديث كان يحدثنا به عمـا قاساه من الاهوال والاخطار في بعض اسفاره الى الحجاز حينما كان اسپاهيـاً يرافق ركب الحـاج فقال مجيباً لي عن سؤالي ان اعظم فزعة عرتني مدة حياتي فزعة ارتعدت لها فرائصي واوقعتني في مهاوي اليأس من الحياة كانت في ليلة الزلزلة الكبرى التي حدثت في سنة كذا (وذكر الليلة التي قـدمنا ذكرها) ثم طفق يقص علينا نبأ تلك الحادثة الكارثة فقال : بينما كنت جالساً في مصيف داري القديمة في ذلك الوقت اسمر مع جماعـة من خلاني والتذ بمنادمتهم وحسن حديثهم والنسيم البليل يحيينا بانفاسه وينعشنا بلطيف هبوبه — اذ انقطع عنا بغتةً واشتد الحر حتى شعرنا بضنك في صدورنا وضيق بانفاسنا وما مر علينا سوى نحو عشرين دقيقة في هـذه الحالة المضنكة الا وسطع في جو الفضاء ضوء اشرقت بـه الدنيا اشراقهـا

بالشمس تتجلى في ذروة الفلك الاعلى فرفعنا ابصارنا الى العلاء فرأينا هذا النور الساطع صادراً من كوة مفتوحة في كبد السماء كأنها نافذة من نوافذ جهنم وما كدنا نرجع ابصارنا الى الحضيض حتى اوقر اسماعنا دوي كهزيم الرعد واذا بالارض قد مادت بنا يمنة ويسرة والنجوم اخذت تتناثر وتتطاير في افق السماء كشرر يتطاير من اتون ثم انتفضت الارض اربع مرات متوالية ازاحتنا عن مقاعدنا فنهضنا على اقدامنا وما منا احد الا وقد احس بدنو اجله كأن السماء وقعت عليه او الارض كادت تنخسف تحت قدميه فصرنا نكرر الشهادتين ونضرع الى الله تعالى بقولنا يا لطيف يا لطيف والجدران تتداعى وتخر السقوف وتتدهده الحجارة على الارض فيسمع لها جلبة ودوي تقشعر منهما النفوس كل هذا جرى في برهة من الزمن لا تزيد على نصف دقيقة وقد اشتد غواش الناس وضجيجهم يستغيثون بالله وعلا صراخ النساء وعويلهن وطفقت الخلائق تركض الى الصحراء وهم يتدافعون ويتزاحمون في الشوارع والازقة هائمين على وجوههم لا يلوي والد على ولد كل يهرع مهرولاً الى ساحل السلامة يطلب النجاة لنفسه حتى كأن القيامة قد قامت وآذن حبل الحياة بالانصرام وكان القتام شديداً حلك منه الظلام وحجب النجوم عن العيون

اما الجماعة الذين كانوا يسمرون عندي فقد اسرعوا الكرة الى منازلهم ليتفقدوا اهلهم واما انا فقد كان اهلي حين وقوع هذا القضاء جالسين في صحن الدار وكانت الدار فسيحة وجدرانها قصيرة لم يؤثر بها الزلزال

ولا انهدم منها شيءٌ فجمعتهم في وسط الصحن و بتنا ليلتنا في قلق زائد لان الارض كانت في كل برهــة ترتجف وتختلج ونحن نستغيث بالله ونتعوذ به من سخطه فلما طلع الفجر احضرنا جماعة من العتالين فحملناهم من البيت ما يقوم بسد حاجاتنــا من الفرش والمؤنة وخرجنا بالاهــل والعيال الى احد بساتين الفستق التي في جوار محلتنا وكان الناس قــد خرجوا اليها في الليل و بات اكثرهم على الارض بلا غطاء ولا وطاء اما بقية جهات البلدة فمن ناسها من خرج الى البرية في جوار محلته ومنهم من قصد الكروم والبساتين ثم تداركوا الخيم و بيوت الشعر والاغنيــاء منهم عملوا بيوتاً من الدف ومنهم الفقراء الذين ظلوا تحت السماء بــلا كن ولا ملجأ واستمر الزلزال يتردد نحواً من اربعين يومــاً تارة خفيفاً واخرى شديداً وحين حدوث الزلزلة الاولى كان اكثر الناس على اسطحة منازلهم وفي فسحات دورهم جرياً لعادتهم في موسم الصيف فسلم بهذه الواسطة العدد الكبــير من عطب الزلزلة ولولا ذلك لكان السالم منهم قليلاً ومع هذا فقد مات تحت الردم في حلب زهاء خمس عشرة الف نسمة وكان معظم تأثير الزلزلة في محلة اليهود والعقبة وسوق العطارين وابراج القلعة وما اشتملت عليه من البيوت والمنازل وما جاور القلعة من المباني التي كانت قائمة في ذلك الفضاء المعروف باسم (تحت القلعة) قال ومما يدل على شدة نفضات الزلزلة في اول مرة ان هلال مأذنة جامع العثمانية اندفع من محله وسقط على قبــة القبلية فخرقها ووقع على ارض القبلية فحفرها

كان الناس يتكبدون مشقة زائدة وهم في لصحراء والبساتين بالحصول على الاقوات التي لم يبق الباعة لها سعراً محدوداً فان كل واحد من باعة الخبز واللحم وغيرهما يبيع بضاعته بالثمن الذي تسنح له به الفرصة وكان الدعار والمتشردون يقصدون الدور والمنازل وينهبون ما فيها من الاثاث والمؤنات فاضطر اهالي كل محلة الى ان يتعاونوا على اقامة حراس يحرسون اموالهم وكانت جماعة الحكومة كالوالي والقاضي قد تركوا منازلهم واقاموا في البرية تحت الخيام وبيوت الخشب وشغلهم الخوف والفزع عن القيام بمباشرة وظائفهم فاختل نظام الحكومة وكثرت حوادث النهب والسلب اما جثث القتلى التي كانت تحت الردم فكان اهلها المتمولون اخرجوهم على النور ودفنوهم بثيابهم وقد استخرج البعض منهم وفيهم رمق من الحياة فعاشوا ومنهم من مات بعد ساعات واستخرج بعض من خرت عليهم السقوف احياء لم يصابوا بشيء من الضرر لان بعض السقوف انهدم جدارها الواحد فقط فبقيت رؤس الاخشاب الاخرى معلقة بالجدار الباقي فتكون منها وقاء لمن كان مقيما تحتها فسلم — اما الفقراء الذين لا مال عندهم فقد بقيت قتلاهم مدفونة تحت الردم في الخرابات الكبيرة فكانت هناك قبورهم الى الابد — كانت الارض في هذه المدة وهي اربعون يوماً لا تنقطع حركتها غير قليل فكان الناس يحسون من وقت الى آخر برجفات تحت اقدامهم وقد شاع ان قطعة كبيرة من الارض في ناحية قرية الاتارب قد خسفت ولهذا كان كثير من الناس لا ينفك عنهم الفزع والقلق لانهم قد تسلط على

واهمتهم بان الارض ربما خسفت بهم وان كانوا آمنين من سقوط الجدران عليهم لاقامتهم في بيوت خشبية وكانت السنة كثيرة البقول والفواكه قد اكثر الناس من اكلها فكثرت فيهم الامراض ومات منهم عدد كبير . وفي سنة ١٢٣٨ ولي حلب ثانية مصطفى باشا البيلاني وبعد ايام حول الى محافظة لواء صيدا وبيروت وصفد وولي حلب بهرام باشا والي الرقة الحاقاً

— مقتل نعمان افندي ابن عبد الرحمن افندي شريف

في هذه السنة (١٢٣٨ قتل نعمان افندي وسبب ذلك ان بهرام باشا لما قدم على حلب والياً عليها طلب من نعمان افندي ان يقرضه مائتي ذهب الى حين فاعتذر له بضيق اليد وسمع بذلك احمد بك قطاراغاسي فاسرع الحضور الى الوالي واعطاه المائتي ذهب فسر منه وقربه اليه وحقد على نعمان افندي ثم وشى واش بنعمان افندي الى السلطان بانه يحاول اثارة فتنة بين الاشراف وكان هو نقيبهم وبين اليكجرية واصدر السلطان الى بهرام امراً باغتياله فارسل اليه يطلبه فامتثل الامر وخرج من منزله قاصداً منزل الوالي وهو لا يعلم بما اضمر له ولما وصل الى منزل الوالي كانت الخيول واقفة بانتظاره فامره الوالي بركوب احدها موهماً اياه بانه يريد قمع بعض الفلاحين في جهات كلز لانهم في صدد الفتنة فسارت الخيول بهما وبمن معهما من الجند حتى وصلوا الى قرية تل الشعير من اعمال كلز وهناك نزل الوالي ومن معه وكان وقت الظهر قد مضى فابتدر نعمان افندي اداء فريضة الصلاة فتوضأ ووقف يصلي فما

شعر الا وقد خرط في رقبته حبل معقود واثنان يشدان طرفيه حتى زهقت نفسه فتركوا جثته ملقاة في العراء وعاد الوالي ومن معه الى حلب وشاع الخبر فخرج اهل نعمان افندي وواروا جثته هناك

وفي خامس جمادي الاولى من هذه السنة (١٢٣٨) ولي حلب حسن باشا الدرنده لي والي الاناضول وفي الثالث والعشرين من رمضان سنة ١٢٣٩ وليها محمد امين وحيد باشا وهو مولود في كاز

— لقاح الجندري البقري - في سنة ٢٤٠ وصل لقاح الجندري البقري الى حلب عن يد طبيب من الفرنج المولودين في حلب اسمه منتوره واصله من ايطاليا فلم يقبل اهل حلب على هذا اللقاح كما ينبغي الا بعد دخول ابراهيم باشا المصري الى حلب — واصل هذا اللقاح كان ظهوره في البلاد العثمانية من الاناضول اكتشف بواسطة الفلاحين الذين يقتنون البقر و يعانون حلبها — وفي سنة ١٢٤١ كان الغاء حزب اليكجرية وانقراضهم

— نبذة في الكلام على هذه الطائفة —

قال في دائرة المعارف وغيرها ما خلاصته : كانت عساكر الدولة العثمانية في بدء تأسيسها رجالاً يتخذون القتال واسطة لاكتساب معايشهم منتقلين بجميع مالهم من المال والعيال عند الخروج للغارات والغزوات ثم صاروا اذا حاربوا اياماً قليلة ولم يفوزوا بسلب تبددوا وغمر جمعهم فاضطرت الدولة في ايام السلطان اورخان ابن عثمان الى ان تستبدلهم بجنود لهم رواتب معلومة غير انهم لم يمض عليهم غير سنيات

قليلة حتى تمردوا على السلطان اورخان وربما قاتلوه اذا حملهم على امر لا يريدونه فبدا له حينئذٍ ان يقيم عسكراً من اولاد الاسراء الروم وذلك بان يفصلهم عن والديهم و يعلمهم العقائد الاسلامية و يمرنهم على الحروب فيشبون على الغزو والجهاد و بعد سنيات قليلة تكون جيش من العسكر المذكور مؤلف من الف رجل ما منهم الا بطل صنديد فاخذ السلطان اورخان ذلك الجيش الى ولي الله الحاج بكطاش وطلب منه ان يسميه و يدعوا له فوضع يده على رأس جندي منه وقال ليكن اسمه يكجرياً ثم قطع كم لباده ووضعه على رأس ذلك الجندي ودعا لهذا الجيش بالفوز والظفر ومعنى يكجري العسكري الجديد فحرفته العامة الى انكشاري ثم لما كثرت فتوحات السلطان مراد وكثر عدد الاسراء حتى بيع الاسير بكأس من البوزة قال بعض العلماء ان الحكم الشرعي باعطاء خمس الغنيمة للسلطان يتناول الاشخاص ايضاً وانه اذا جرى هذا الامر يرتفع ثمن الاسراء و يزداد عدد اليكجرية بسرعة فاعجب السلطان هذا الرأي وامر باجرائه وقد جرى اصطلاحهم في ذلك الزمان على ان يقسموا اولئك الاولاد الى اجواق يسمونهم عجم اوغلان اي اولاد اعجام و يعلمونهم القرآن الكريم ثم التمرن على الاشغال الشاقة ثم يدخلونهم في السلك العسكري و بعضهم يتخذون حرساً واعواناً للسلطان و ينقسم هذا العسكر الى ارط ثم الى اوض (مفرده اوضه محرفة عن اوطاق معناه الحصن) ثم الى وجاقات والارطة مؤلفة من عشرة اشخاص و بلغت في ايام السلطان محمد خان الرابع مئة وتسعين شخصاً

وله قائد عام يعرف باسم اغا له سلطة مطلقة على وجاقه وحق تأديب من اذنب من عساكره ورؤسائه بالحبس والضرب دون معارض وكان راتب الآغا في اول الامر فوق اربعة آلاف قرش في الشهر ثم زاد كثيراً وله ان يبقى في مأموريته ما لم يرتكب ذنباً يستحق به العزل واذا عزله السلطان ولم يقطع رأسه يجعله والياً في احدى الايالات كأنه منفي وللمأمورين من هذا الوجاق القاب شتى كشوربجي باشي وعشي باشي وساقي اغاسي واوطه باشي الى غير ذلك مما يدل على ان اولئك الجنود كانوا عائشين من انعامات السلطان وانهم كاولاد له وكانوا يحترمون القدور والمراجل التي توزع عليهم بها تعييناتهم ويأخذونها معهم الى الحروب فاذا خسروها عد ذلك عاراً عليهم ثم في اواخر ايامهم صاروا اذا ارادوا رفض امر يضعونها امام منازلهم مقلوبة علامة على العصيان ولكل واحد منهم وشم خاص على يده اليسرى فوق الكوع مستدير قطره نحو قيراط وربع باحرف تدل على اسم صاحبه ومنه وتحته عدد فرقته واذا عجز احدهم بسبب جراح او كبر سن يعتزل وجاقه تحت اسم متقاعد ويعطى شهرية المتقاعدين ويؤذن له بالتزوج وعلى هذه الترتيبات البسيطة امتدت فتوحات تلك الطائفة من ابواب برصه الى ابواب فينا وحافظوا على ذلك النظام مدة خمسمائة سنة حتى انهم بعد ان صارت طريقتهم ثقيلة على البلاد والعباد واوصلوا المملكة الى اقصى درجات الانحطاط كانوا لم يزالوا من الامة كالروح من الجسد حتى كاد سقوطهم يتهدد وجودها وهم قبل اختلال نظامهم احسن جنود العالم ضبطاً

وانتظاماً واشدهم بأساً واقداماً وهاك نبذة في ذكر معركة من معاركهم بها تعلم ما كانوا عليه من القوة والنجدة وهي ان السلطان بايزيد يلدرم خان سار في ايامه بعسكره الجرار المؤلف من اليكجرية وغيرهم الى حدود هنكاريا قاصداً الاستظهار على اوربا باسرها وكان السلطان مراد خان الاول قد صادم عساكر الصرب والبشناق بعساكره من اليكجرية فهزمهم وبدد شملهم فالقي النفير العام في ممالك اوربا قاطبة ان النصرانية امست في خطر التلاشي من مهاجمات المسلمين وقامت دعاة النصرانية في كل صقع واقليم يدعون بالغيرة الدينية فاجاب الجميع صوت النفير واخذت الابطال تتهيأ للحرب وارسلت فرنسا والمانيا احسن رجالهما وخرجت فرسان مار يوحنا من حصونها في رودس وثارت رجال هنكاريا بحمية لا مزيد عليها ولم يمض الا القليل حتى اجتمع عند الملك سيجسيمند مئة الف مقاتل من الابطال وكان الجميع يمدون يد المساعدة في دفع العثمانيين عن بلادهم واستئصالهم عن آخرهم وكان السلطان بايزيد خان قد استعد لمقابلتهم وجمع نحو مائتي الف مقاتل ونزل بهم متحصناً بالقرب من نيكوبوليس فلما اقبلت عساكر سيجسيمند على جيوش الاسلام ظنوا ان الغلبة سهلة عليهم جداً لانهم رأوا تلك الجيوش خالية من كل ترتيب وان كانت اسلحتهم كاملة وكان يظن الناظر في اليكجرية ان ملابسهم الطويلة الواسعة تعوقهم عن خفة الحركة والرشاقة في استعمال الحراب وعمائم الصباهية الكبيرة وقلانسهم الضخمة تزيد منظرهم ضخامة في عين الناظر اليهم وتجعله يتهاون بمصادمتهم فتقدم فرسان من فرنسا

وانشبوا الحرب مع فئة قليلة من اليكجرية لا يبلغ عـددهم ٤٠٠٠ فبدد شملهم الفرسان وفتحوا فيهم طريقاً ساروا منه الى بقية جيش المسلمين المجتمع وراءهم واذا بجيش عرمرمي من الرجال الاشداء لا يلتفتون الى الهاربين من عساكر تلك الشرذمة ولا يبالون بما وقع عليها من الكسرة كأنهم الاسود ثباتاً ومنظراً ينتظرون هجوم عساكر الاعداء عليهم فما كان غير قليل حتى سمع من عساكر المسلمين جلبة هائلة وفي اثرها ثارت اليكجرية على ذلك العدو فخام عن لقائهم فتبعوه واعملوا فيه السيف ولم يفلت منه الا الشريد الهارب وقد جعل ذلك الظفر العظيم اسم اليكجرية مهيباً جداً في اوربا باسرها وكانت طريقة اليكجرية في القتال ان يحيطوا صفوفهم بجيش من العساكر الجاهلة و يفتحون بها باب الحرب و يشتغل بها العدو مدة ولا يتيسر له الوصول الى معظم عساكرهم الا بعد ان يكل من القتال حتى ان تلك الجنود الجاهلة كانوا يملؤن بجثثها الخنادق وربما جعلوها تلالاً يتسلقون عليها الى الحصون والقلاع التي يحاصرونها ولما كان اليكجرية يباشرون الحروب دائماً و يرزقون الفوز والظفر و ينالون الغنائم العظيمة داخلهم التيه والكبرياء وصاروا يعدون انفسهم هم الحامون عن بيضة الاسلام وحوزة الملك والعلة الوحيدة لوجودهما ثم تمـادوا في غلوائهم حتى صاروا يتجاسرون على خلع الملوك وتبديل الوزراء وقـد بالغ بعض سلاطين آل عثمان في تعظيمهم واكرامهم مستنداً في ذلك الى انهم هم الذين شادوا الملك و بهم امتد في اوربا وآسيا وافريقية وجزائر البحـر حتى استحق مالكه ان يلقب بسلطان البرين وخاقان البحرين ولما

احرزت المملكة هذه الشهرة العظيمة بواسطة اليكجرية ازدادوا عتواً وتعدياً وضعفت شجاعتهم واقدامهم وصاروا رعباً للسلاطين بعد ان كانوا رعباً للعدو وصاروا يجاهرون بالعصيان لادنى سبب حتى اضطر السلطان عثمان الثاني الى العزم على ملاشاتهم وامر بجمع عساكر جديدة في اسيا وتعليمهم اصول الحرب الحديثة فاستاء اليكجرية من ذلك وهاجوا واجتمعوا في ساحة آت ميدان وقلبوا مراجلهم امام القشلة وضربوا الطبول فانزعج السلطان لذلك وشاع بانه كان يستعد للحج الشريف وان العساكر التي امر بجمعها في آسيا لم تكن الا للمحافظة عليه في طريق الحج وامر بتجهيز سفن لاجل تلك الغاية فلم يقنعهم هذا الاعتذار وقاموا قومة رجل واحد وقتلوا عدداً عظيماً من الحرس والحجاب وافرجوا عن السلطان مصطفى وبايعوه وازالوا السلطان عثمان وهكذا طغوا وبغوا وذاقوا لذة السلطة وحرصوا على ابقائها فيهم وتاريخهم مدة قرنين بعد هذا العمل ليس هو الا سلسلة متصلة مؤلفة من حلقات العصيان والتمرد والعيث بالنفوس الزكية ثم صاروا يمتنعون عن الدخول في العسكرية الا بالاسم ويؤذن لهم بالاقامة دائماً كالمحافظين ثم حصلوا على اذن بالتزوج والاقامه مع عيالهم فاضطرتهم العيلة الى الدخول في التجارة والصنائع واهملوا سيوفهم وبوار يدهم ولم يبق بهم من صفات الجنود سوى المحافظة على اخذ رواتبهم في اوقاتها ولم يكفهم ذلك حتى صاروا يأخذون مرتبات لعيالهم وقيدوا اسماء اولادهم في سلك الجنود الامناء مستبدين لا يؤدون شيئاً لخزينة الحكومة وصار ينخرط في

ـ لكهم جماهير غفيرة من الناس و بعضهم ينفق مبالغ باهظة ليحرز شرف الانتظام في مسلكهم وان يوشم على يـده اليسرى بالوشم المتقدم ذكره الذي كان صاحبه يستبد بجميع اعماله صالحة كانت ام طالحة وقد دخل في تلك الزمرة كثير من اليهود والنصارى طمعاً في السلب والغنـائم في اوقات العصيان واستولى عليهم الكسل والجهل باستعمال السلاح حتى ان كثيراً منهم من يضع في البارودة الرصاص قبل البارود و كثيراً منهم من يكون في المؤخرة و يطلق بارودته على من في المقدمة وربما حاول قوادهم ردعهم عن ذلك فيجيبونهم بقولهم ان رصاصة اليكجري تعرف العدو من الصديق وقد انتشبت مراراً مقاتلات شديدة في ازقـة القسطنطينية بينهم و بين الصباهية الذين كانوا اعداء لهم فكانوا يطوفون في الاسواق و بين البيوت و يوسعون الناس ضرباً وافـتراء و يسلبون ما صادفوه من الامتعة و يرتكبون شروراً كثيرة و يسبون النساء والبنات من دون مانع ولا معارض و كانت القسطنطينية بجملتها في قبضة يدهم يفعلون فيهـا ما يشاؤن من دون حساب ولا عقاب واذا قدم مركب موسوق حطباً او فحماً الى الميناء يذهبون حالا اليـه و يسمونه بسمة ارطتهم اشعاراً بانه قد دخل تحت ظل حمايتهم و بانه قـد صار لهم حق بيعه وقبض ثمنه وجميع الخضر الواردة الى السوق تحت مطلق تصرفهم يبيعونها بما شاؤا و يعطون اصحابها من الثمن ما سمحت به انفسهم وهم في كل يوم يذهبون جميعاً باحتفال لاجل اخذ مرتباتهم و يتعدون في طريقهم على كل من صادفوه وقائدهم يمشي امامهم و بيده مغرفة ضخمة

طولها ذراعان وهم يتبعونه حاملين مراجلهم العظيمة على عتلات ومعهم جمهور من المحافظين بايديهم سياط ضخمة فاذا اتفق ان احداً لم يحد عن الطريق الذي يمرون فيه حالما يسمع قولهم صاغ (اي ظهرك او احذر) فان القائد يضربه بتلك المغرفة العظيمة فيرميه الى الارض ثم يأتي اصحاب السياط و يوجعونه ضرباً واذا رأى الحمال منهم مع رجل رزمة يجبره ان يسلمه اياها لكي يحملها له طالباً منه ان يدفع له الاجرة سلفاً التي ربما تساوي قيمتها ثم بعد قبض الاجرة يسمح له بحملها ان شاء بشرط ان يعطيه شيئاً على ذلك وكان اذا بنى احد بيتاً يأتي اليه نجار من اليكجرية و يطرد نجاريه ثم يتمم هو العمل متى شاء و بالطريقة التي يستحسنها وكان الامر والنهي في الدواوين والمحاكم والمأموريات بيد اولئك القوم العتاة في جميع بلاد المملكة العثمانية وكانوا ينصبون و يعزلون متى شاؤا ولم تزل الامور جارية على هذا المنوال حتى كادت المملكة تسقط تحت نير تلك القوة الهائلة التي كانت اوربا باسرها ترتعد من مجرد ذكر اسمها وفي سنة ١٢٠٨ ابتدأ السلطان سليم الثالث بتخذ عسكراً جديداً وسماه بالنظام الجديد فهاج اليكجرية ومن يتعصب اليهم فاضطر السلطان الى ارسال ما كان عنده من العسكر المذكور الى آسيا ثم ارجعه الى استانبول حينما اشتغلوا في الحرب خارجاً مغتنماً تلك الفرصة ولما اخذ هذا العسكر الجديد يزيد عدة قام الجميع عليه بصوت واحد مدعين ان ذلك بدعة تضاد الدين فاضطره الامر الى التسليم لهم ايضاً ثم انتهز فرصة اخرى وارجع النظام وجعل منه عسكراً محافظين على

المدينة واحضر من آسيا عساكر غير منتظمة لتكثير العدد فاخذ اليكجرية في اضرام نيران الاختلاف بين عساكر النظام وتلك العساكر التي هي غير منتظمة فحدثت حركة شديدة بين الفريقين دارت فيها الدائرة على عساكر النظام فهربوا الى القشل واما العساكر التي هي غير منتظمة فذهبوا الى اليكجرية واخرجوا المراجل المشهورة وجعلوها صفوفاً في ساحة القشلة فاجتمع جمهور من اليكجرية المستوطنين وثار معهم جمهور من رعاع المدينة وحينئذ لم يسع السلطان الا الامر بابطال النظام غير ان اليكجرية لم يرضوا الا بخلعه وسجنه عند الحريم جزاء لما ابتدع في الاسلام من العادات والملابس الفرنجية على زعمهم ونادوا باسم السلطان مصطفى ولما اجلسوه على تخت السلطنة اصدر امراً بابطال النظام الجديد ثم في السنة التالية قام مصطفى باشا بيرقدار ووقف بعساكره على باب السرايا وطلب متهدداً ارجاع السلطان سليم الى تخت الملك فلما رأى السلطان مصطفى ذلك الامر خنق السلطان سليما وطرح جثته من كوة القصر الى العصاة الذين كانوا محيطين بالسرايا فساءهم ذلك جداً وهجموا على السرايا وخلعوا السلطان مصطفى ووضعوه في السجن الذي كان فيه السلطان سليم ونودي باسم السلطان محمود الثاني وكان السلطان محمود يتردد دائماً على السلطان سليم وهو في السجن ويسر جداً بما كان يطلع عليه من تدابير ابن عمه بما يرجع المملكة العثمانية الى ما كانت عليه من النجاح والسطوة ولم يكن اقل بغضاً منه لطريقة اليكجرية وكان يحسب نفسه قادراً على قهرهم فحلف مقسماً انه لا بد من ان يهلك تلك القوة الغظيمة

التي كانت قابضة على زمام السلطنة بايديها الخبيثة فتولى مصطفى باشا بيرقدار منصب الصدارة العظمى واخذ ينتقم من اعداء السلطان سليم واما السلطان محمود فصرف همته في اتخاذ التدابير والوسائل اللازمة لقرض زمرة اليكجرية و بعد ان تسلح بفتوى من شيخ الاسلام امر باجراء نظام اليكجرية القديم بكل صرامة وتدقيق وابطال علائق المتزوجين منهم واجبار المتزوجين بان يتركوا حوانيتهم و يسكنوا في القشلة و يتعلموا هناك فنون الحرب و يخضعوا لاصول ظرفهم فلما نشرت هذه الاوامر هاج اليكجرية واظهروا العصيان في شهر رمضان واضرموا النار في بيوت مجاورة لقصر الصدر الاعظم فاحترق وهو نائم على سريره ثم ساروا هاجمين على السرايا حيث كان السلطان محمود فجمع السلطان حالاً الطوبجية ومن عنده من العساكر الجديدة وانتشب القتال بين الفريقين مدة يومين واصبحت المدينة في خطر عظيم من تلك النيران التي اضرمها اليكجرية وكانت عساكر السلطان محمود قليلة ضعيفة ورعاع المدينة قد اتحدت مع اليكجرية والمتعصبون لهم يحركون العامة و يهيجونهم فرأى السلطان انه لم يبق له الا وجه واحد للتخلص من ايدي اولئك القوم العصاة وهو ان يقتل السلطان مصطفى فيبقى وحده من سلالة بني عثمان ففعل ثم خرج ووقف وحده امام ذلك الجمهور الهائج فلم يجسر احد ان يمد اليه يداً وسلم قواد العساكر الذين قاتلوا عنه في السرايا للعدو لكي ينتقموا منهم بحسب ارادتهم واقسم بانه لا يجدد الى الابد ذلك النظام الجديد المكروه واجاب اليكجرية الى كل

ما طلبوه واطلق لهم العنان لجاري عادتهم حتى انه قيد اسمه يكجريا في احدى اورطهم ومن ذلك الوقت وقع القضاء على اليكجرية لان انقياد السلطان محمود وتسليمه لهم في كل شيء لم يكن الا بقصد الغلبة عليهم فاخذ من ذلك الوقت بعزم شديد يستخدم التدابير اللازمة المؤدية الى المرغوب ودام مدة ثمان عشرة سنة منتظراً الفرصة لتنكيس تلك السيطرة وانقاذ السلطنة من مخالبها الحادة وكان جماعة من الطوبجية قد تعلموا من عدة سنين طريقة الافرنج في استخدام المدافع الا انهم لقلة عددهم وقصر معرفتهم في استعمال المدافع كان اليكجرية يزدرون بهم واما السلطان فكان يزيد عددهم ويقويهم شيئاً فشيئاً لكي يعتمد عليهم عند الاقتضاء وفي تلك الاثناء حصلت حركة الاروام فصارت حجة لتعليم تلك الزمرة اصول العسكرية وزيادة عسكرهم وكانوا شديدي البغضة لليكجرية وكان السلطان لا يألوا جهداً عن اتخاذ كل الوسائل لتقوية تلك الحماسة فيهم نحو اليكجرية وفي سنة ١٢٤١ بلغ عدد الطوبجية في القسطنطينية اربعة عشر الفاً وكانوا جميعاً خاضعين خضوعاً تاماً للسلطان خبيرين بامور الحرب خلافاً لليكجرية الذين كانوا دائماً يجلبون عاراً على الراية العثمانية بعدم انقيادهم الى قوادهم عند القتال ورغبتهم الوحشية في سفك الدماء والسلب عند الانتصار وكانوا قد اغضبوا الناس بمظالمهم وتعدياتهم والعلماء بادعائهم السيادة عليهم وقوادهم بما كانوا يبدونه من الجبن والتمرد على اوامرهم ولما ظهرت من انتصارات عساكر ابراهيم باشا في حرب المورة القوة التي يكسبها التعليم الافرنجي

العساكر رأى السلطان محمود خان ان الوقت الذي كان ينتظره منذ سنين كثيرة قد اتى وانه قد حان الزمان الذي يجب فيه بان يخلص من مخالب اليكجرية بايجاد قوة جديدة منظمة كافيه لدفع قوتهم وانقاذ السلطنة منهم وقادرة على المدافعة عن المملكة اذا مست الحاجة واذ كان لا بد له من التخلص قبلاً من الارتباكات الخارجية اضطره الحال للتسليم الى طلب اقترحته روسيا ولم يكن لها قصد بذلك الا جعله وسيلة لاضرام نار الحرب بينها وبين الدولة العلية ثم عقد مجلساً من رجال الدولة العظام لاجل النظر في قوة العسكر واصلاح الاحوال واخرج فتوى بجواز تزي جنود المسلمين بزي اهل الكتاب وبان يتخذوا ما لهم من العوائد فيستخدمونها لمدافعتهم ويقاتلونهم بسلاحهم وفيما كان المجلس ملتئماً قال رجل من اعضائه وكان شيخاً مسناً ان اليكجرية اشبه بعجائز ذوات عجب وقد علاهن الكبر يفتخرن كثيراً بما كان لهن من الجمال منذ سنين كثيرة وقال آخر انهم لا يعتبرون الان العلماء مع انهم كثيراً ما حاموا عنهم وساعدوهم وقال آخر انهم طالما جلبوا العار على الراية العثمانية بواسطة تجاوزهم حدود الشريعة وعدم انقيادهم لاوامر السلطنة فقر رأي ذلك المجلس على وجوب اصلاح احوال العسكر وحكم بان يؤخذ رجال من كل فرقة من فرق اليكجرية ويجعلوا عسكراً جديداً وان يكون لهم لباس خاص على نسق واحد وان يتعلموا اصول الحرب على طريقة الافرنج مع المحافظة على الواجبات الدينية الاسلامية وعين ذلك المجلس مرتبات ذلك العسكر الجديد وكل

ما يتعلق به من النظامات بكل تدقيق وتفصيل وبعد ان حكم شيخ الاسلام ان ذلك جائز شرعا تعهد المجلس باجرائه بالفعل ثم عرضت تلك الاحكام على قواد العساكر فقبلوها وختموا على تلك العهود ولكن حالما ابتدأت الحكومة في اجراء ذلك النظام الجديد وتعليم ذلك العسكر الطريقة الافرنجية استفاق اليكجرية من غفلتهم فجاهروا بالعصيان وصفوا المراجل كجاري العادة واخذ اصحابهم والمتعصبون لهم من رعاع الناس يتواردون اليهم من كل اطراف المدينة وكان ذلك في اليوم الخامس من شهر حزيران سنة ١٨٢٥ مسيحية المصادفة سنة ١٢٤١ ه وكانت الدراويش تتقدم تلك الجماهير وتهيجهم لمقاومة تلك البدع الجديدة الافرنجية وذهبوا بهم الى منزل كبير اليكجرية قاصدين قتله فنجا من ايديهم فنهبوا منزله ومنزل الصدر الاعظم فوقعت المدينة ثانياً في قبضة ايديهم واما السلطان محمود خان فانه استحضر الى سراياه جميع الطوبجية وبعث رسولاً الى اليكجرية العصاة يأمرهم بالقاء السلاح والتسليم فرفضوا الاوامر واستهزؤا بها فجمع العلماء واخبرهم بما كان فقالوا جميعاً ان اليكجرية هم اعداء الدين فجلس السلطان تلك الليلة في السرايا في نفس الموضع والحالة التي جلس عليها منذ ثمان عشرة سنة وكانت المدينة بايدي جنود هائجة قد علا ضجيجهم الى الجو وملأوا الاسواق حتى وصلوا الى باب السرايا واخذوا يجلبون ويتهددون وفي صباح اليوم السادس عشر من شهر حزيران من السنة المذكورة اخرج السلطان علم النبي صلى الله عليه وسلم من الخزينة وسار بكل جنوده الى ساحة آت ميدان وبعد

تقديم الدعاء في جامع السلطان احمد نشر هناك العلم الشريف فاخذت الجماهير تتقاطر اليه ثم اخذت الجيوش تتقدم نحو اليكجرية وتدفعهم الى الوراء الى ان وصلوا الى تل مشرف على معسكرهم بقرب جامع السلطان محمود وكنت ترى جماهير كثيرة من المسلمين يبادرن بسرعة الى معسكر السلطان لاجل المدافعة عن العلم الشريف ثم ثار جماعة من الطوبجية نحو ساحة آت ميدان من دون مصادمة كثيرة ولم يمض الا القليل حتى احاطت الجنود المظفرة بتلك الساحة الفسيحة من كل جهة وجعلت المدافع على كل مرتفع وفي كل شارع مقابل ذلك الموضع وعند ذلك خرجت اليكجرية من القشل قاصدة الهجوم على عساكر السلطان فارسل السلطان رسولاً يأمر اليكجرية ان يسلموا فقتلوا الرسول وللحال اشعلت الطوبجية المدافع وكان عددها مائة مدفع واخذت تطلق الكرات والقنابل على ساحة آت ميدان والقشلة فهجمت اليكجرية على الصفوف السلطانية فدفعتهم العسكر المظفرة دفعة هائلة وذبحوا منهم عدداً غفيراً فرجع من سلم هارباً الى القشلة وحينئذ تحولت المدافع نحو القشلة باسرها واشعلت النار الدائمة فلعبت بالقشلة فصرخ اليكجرية من داخلها طالبين العفو والرحمة فلم يلتفت الى صراخهم وذلك ان الوفا من الشيوخ والنساء والعذارى طالما كانوا يصرخون اليهم في ايام سطوتهم طالبين الرحمة فلم يرحموهم ولا التفتوا الى صراخهم ولم تزل المدافع تعج والبواريد ترسل الرصاص من دون انقطاع حتى سقطت حيطان القشلة الى الداخل على من سلم فيها من نيران القتال فهلكوا عن آخرهم ولم ينج احد من

جميع الذين كانوا قد وقفوا في تلك المعمعة لمحاربة سلطانهم وولي نعمتهم فسحق ذلك العصيان سحقاً فظيعاً في اول ظهوره ولكن لم يكن ذلك نهاية العمل لانه كان لم يزل الوف من الينكجرية باقين متفرقين في اماكن مختلفة من المدينة وكانت الايالات ايضاً مملوءة منهم وفي اليوم الثاني خرج فرمان شريف بابطال تلك الزمرة وملابسها ومصطلحاتها وقشلها حتى واسمها من كل المملكة ونادى به المنادون وهذه ترجمته

بموجب حكم الكتاب والشريعة اصلاحاً لحال امة محمد واحياء للدولة والدين تلغى اوجاق الينكجرية من الان وصاعداً وتبطل كلياً وبموجب اتفاق العامة مع جميع العلماء حرر انفار عساكر محمدية منصورة مكان هؤلاء وعلى اهل العرض بعد هذا ان يفتحوا دكاكينهم ويكونوا في اشغالهم ومكاسبهم اهـ فوقع الرعب على كل زمر الينكجرية وهربوا متبددين في كل صقع وناد وكانت الحكومة تفتش عليهم في كل مكان من المملكة وتلقي القبض على كل من وجدته منهم وتعاقبهم بالقتل بالسيف او بالخنق او بالسجن او النفي بحسب احوالهم وذنوبهم وكنت ترى خليج قسطنطينية مملوءاً من جثث القتلى الذين كانت تلقى فيه فبلغ عدد الذين قتلوا ثلاثين الفاً وهكذا كانت نهاية هؤلاء العساكر المنكودة الحظ والوبال الذي جلبه لنفسها بغيها وعدم مراعاتها النعمة وقد ارخ بعضهم هذه الحادثة بقوله غزاي اكبر وذلك سنة ١٢٤١ — قلت ان الفظائع التي كان الينكجرية يجرونها في استانبول كانوا يجرونها بل اعظم منها في حلب وغيرها من البلاد الخارجة عن استانبول فقد كانوا قابضين

فيها على الحرف والصنائع وكانوا يعاملون الناس بالجبروت والقسوة ويهينون الاشراف ويهتكون الاعراض وكانت جميع الفتن والثورات في حلب التي اسلفنا ذكرها هم السبب الاعظم باثارتها وكان زعماؤهم في الدرجة القصوى من الثراء والغنى وهم على جانب عظيم من العتو والكبرياء وكان ولاة حلب يعجزون عن اخضاعهم وردعهم الامن لجأ منهم في قهرهم الى الحيلة والخدعة معهم كما فعل باستئصال عدد كبير من طواغيهم جلال الدين باشا : وكانوا يجرون في حلب من الفظائع والمخازي ما يقف اليراع خجلاً عن تحريره وتسطيره يهتكون شرف العذارى في حضور اوليائهم وفي منازلهم ثم يبصقون بوجه الرجل ويأخذون منه ما يوجد عنده من النقود وما عند نسائه من الحلى ويخرجون من بيته وهم يودعونه باللعن والشتائم : ومن فظائعهم ايضاً انهم كانوا يدخلون رأس الكلب في بطيخة خضراء فارغة ويرسلونه في الاسواق والشوارع ووراءه واحد منهم ينادي بقوله - تنحوا عن طريق السيد (لان السادة كانوا يلبسون في رؤسهم العمائم الخضر): ومما كانوا مستولين عليه من الحرف والمهن حرفة اللحامين فقد كان معظمها في ايديهم وكان الرجل لا يقدر ان يطبخ في بيته الا نوع الطعام الذي يأمره به لحامه فلربما امره عدة ايام بان يطبخ نوعاً واحداً من الطعام لان اللحمة التي عند لحامه لا تصلح لغير ذلك النوع ولا يستطيع الرجل ان يشتري من لحام اخر مطلوبه من اللحم لانه اذا فعل ذلك فربما يقضي لحامه عليه فاتفق ان رجلاً كان اسم لحامه رحمون اغا

فكانت زوجة الرجل اذا سألته ماذا نأكل في هذه الليلة يجيبها بقوله : (الارادة لرحمون اغا) فسارت هذه الكلمة مسير المثل في حلب يتمثل به من كانت ارادته تبعاً لارادة من هو اقوى منه :

والخلاصة ان الفظائع التي كانت تجريها هذه الطغمة الشريرة كثيرة جداً يحتاج استقصاؤها الى مجلد على حدته وان جميع ما كان يجريه عليهم الولاة من العقوبات والمصادرة والتعذيب قليل من كثير مما كانوا يستحقونه فالحمد لله الذي اراح منهم البلاد والعباد

انتهى ما قصدنا الى ايراده من الكلام على احوال الطائفة اليكجرية: ولنعد الان الى سرد الحوادث فنقول — في سنة ١٢٤٢ ولي حلب سيروزي يوسف مخلص باشا ابن سماعيل بك من اعيان سيروز : وفيها حدث بحلب طاعون جارف بلغ عدد وفياته اليومية نحو ار بعمائة نسمة وفي سنة ١٢٤٣ ولي حلب الصدر الاسبق رؤوف باشا . وقرأت في السجل المحفوظ في المحكمة الشرعية انه في هذه السنة رفع مفتي حلب احمد افندي الجابري ونقيب اشرافها عباس افندي طه زاده وغيرهما من وجهاء حلب — الى الحاكم الشرعي ان بكير اغا ابن كعدان وعبيد بن الجذبة واتباعهما وهم مصطفى وعواد واحمد بن هاشم — عازمون على العود الى حلب والاضرار باهلها فهم اي المفتي ونقيب الاشراف ورفقاؤهما يطلبون من الحاكم الشرعي ان يحكم بقتلهم فاحضر الحاكم اهل المحلات ونبه عليهم بان كل من وجد في محلته واحد من هؤلاء فعليه ان يدفع للخزينة العامرة ١٥٠٠ قرش ا ه وفي سنة ١٢٤٤ ولي حلب علي رضا باشا

— مقتل احمد بك قطاراغاسي في هذه السنة (١٢٤٤) قتل احمد بك ابن ابراهيم باشا امير الحاج ووالي حلب سابقاً : وسبب قتله ان الدولة ارادت ان تستعين به على اخضاع عصابة من المتمردين عليها في جهات ارضروم فكلفته الشخوص اليها مع مائة وخمسين شخصاً من اتباعه (على ان تكون النفقة على هذه الحملة من ماله اسوة بغيره من وجهاء البلاد العثمانية الذين كانوا في تلك الايام يساعدون الدولة على اعدائها فيجهزون اليهم الحملات على نفقاتهم) ولما ورد هذا التكليف على احمد بك اعتذر بانحراف صحته وطلب المهلة ريثما تعاوده صحته وكتب على الفور الى اخيه مصطفى بك المقيم في استانبول وهو صاحب رتبة (ميراخور) كتاباً يذكر له فيه خبر هذا التكليف و يستشيره بالسفر الى ارضروم وارسل الكتاب مع ساعٍ خصوصي فكتب اليه اخوه في جوابه يحذره فيه من هذه السفرة و يأمره بان يماطل بالاجابة على قدر استطاعته وارسل له هذا الكتاب مع ساعٍ خاص استحثه على السرعة والاستعجال ولما وصل الساعي الى حلب سأل عن منزل احمد بك فقيل له هو في الفرافرة فلما وصل الساعي اليها وقيل له هذه هي محلة الفرافرة رأى رجلاً عليه سيماء العظمة واقفاً بباب منزل فخم يحف به الخدم والحشم فلم يشك بانه هو صاحب الكتاب فقدمه اليه فتناوله منه واعطاه جائزته وانصرف ثم نظر ذلك الرجل في عنوان الكتاب فاذا هو لاحمد بك مرسل اليه من اخيه مصطفى بك ففض ختامه وقرأ ما فيه وكان هذا الرجل العظيم الذي وقع الكتاب بيده غلطا يوسف باشا

وكان محمد علي باشا قد استمال العلماء والرؤساء واحبوه محبة مفرطة واقاموه مقام الوالي على مصر وارسلوا محمد خسرو باشا الى القسطنطينية وولوا مكانه رشيد باشا ولقبوه نائب السلطنة على مصر ولم يمض الا قليل من الزمان حتى مات الرئيس الذي بقي من المماليك وصفا الوقت لمحمد علي باشا وتولى مصر ولما سمع حضرة السلطان بهذا الامر تكدر منه جداً وامر في الحال مصطفى باشا قبطان ان يسير الى مصر ويسلمها الى من بقي من المماليك بشرط ان يدفعوا للدولة في كل سنة خمسة الاف كيس وان يأمر محمد علي باشا بالتوجه الى سلانيك فلما وصل مصطفى باشا الى مصر وعلم علماؤها ورؤساؤها بمراده اجتمعوا عنده وتلطفوا بتعريفه انهم لا يرضون والياً عليهم الا محمد علي باشا فاجابهم الى ما طلبوا وكتب بواقعة الحال الى الباب العالي وعندها صدرت الاوامر السلطانية باقرار محمد علي باشا والياً على مصر بشروط معلومة وذلك في صفر سنة ١٢٢١ ولما تمكنت ولايته ورسخ قدمه بدأ ببقية المماليك فاباده ثم شرع باصلاح احوال مصر واقليمها حتى استقام له ما اراد وانتشرت فيها الصنائع والفنون وارتقت الى اعلى ذروة في الكمال

واما سبب مسير ولده ابراهيم باشا الى الديار الشامية فهو ان عبدالله باشا والي عكة لما اشهر العصيان على الدولة وارسلت له درويش باشا وحاصره وضيق عليه استغاث بمحمد علي باشا فشفع له عند الدولة وخلصه من عقابها غير انه بعد مدة يسيرة جحد معروفه وشرع يطعن به ويذكر مثالبه فتكدر منه محمد علي باشا وكتب للدولة بعزله فلم تجبه

وعظم عليه ذلك فجهز ولده ابراهيم باشا لمحاربته فخرج من الاسكندرية في غرة جمادي الاولى سنة ١٢٤٧ وفي خمسة ايام وصل الى حيفا وخيم بها وسير باقي الجيش براً الى عكا فوصلوها في عشرين تشرين الثاني سنة ١٨٣١ م وبعد بضعة ايام وصل اليها ابراهيم باشا وبنى تجاهها المتاريس وكاتب عبدالله باشا بالصلح فلم يفعل وحينئذ امر ابراهيم باشا باطلاق المدافع على اسوار عكا وذلك في رابع يوم من رجب سنة ١٢٤٧ وكتب للامير بشير حاكم لبنان ان يحضر لمعاونته فامتنع اولاً ثم اجاب وحضر فسر به ابراهيم باشا واقره على حاكمية لبنان وكان ابراهيم باشا قد ارسل احد قواده لافتتاح بلاد الساحل فافتتحها ولما بلغت القضية مسامع الدولة العثمانية عظم عليها الامر وكتبت لوالي حلب بيرقدار محمد باشا ان يجهز جيشاً تحت قيادة حسين باشا لمحاربة ابراهيم باشا فحصن حلب وجمع العساكر وتوجه الى حمص في سبعة الاف فارس من الارناوود والهواري والعربان وصحب معه امين النزل يوسف باشا شريف زاده السالف الذكر ودخلها وحصن قلعتها وعسكر في نواحيها ينتظر قدوم العساكر من دار السلطنة وارسل امامه عثمان باشا معاربعة الاف مقاتل لمحاربة المصريين فسار اليهم واستولى على اللاذقية وتقدم الى جهة طرابلس والتقى بشرذمة من العساكر المصرية وكان في مقدمتهم الامير خليل بن الامير شهاب وجرت بينهم وقعة عظيمة انكشفت عن انهزام عثمان باشا ولما بلغ ابراهيم باشا هذا الخبر وان محمد باشا معسكر بحمص مشى نحوه وترك نفراً من عسكره عند عكا وقد كاد ان يفتحها فادرك

عثمان باشا في القصير وقد امده محمد باشا فاشتبك الحرب بينهما وانجلى عن كسرة عثمان باشا والتجأ الى حمص ورجع ابراهيم باشا الى عكا وجد في حصارها حتى فتحها حرباً في اليوم السابع والعشرين من ذي الحجة ثم توجه الى دمشق فوصلها في حزيران سنة ١٢٤٨ ه والتقاه واليها علي باشا الاسعد وجرت بينهما وقعة انكسر فيها الوالي المشار اليه وعمد الى الفرار ودخل ابراهيم باشا البلد واستولى عليها وكان في هذا الاثناء وصل الى انطاكية حسين باشا السردار الذي عينته الدولة مع عسكر ضخم لقتال ابراهيم باشا وقد ارسل حسين باشا طليعة الى حمص وعلى بعد نصف مرحلة منها التقى الجيشان وشبت بينهما نار حرب هائلة انتهت بانتصار ابراهيم باشا ورجوع حسين باشا ومحمد باشا الى حلب خائفين مذعورين فدخلاها وجمعا الاعيان والوجهاء وطلبا منهم المدد فلم يجيبوهما فرحلا عن حلب وقد تركا فيها اموالاً وامتعة لا تدخل تحت حصر فنهبت جميعها ووقع الضعف في من معهما من العسكر فتبعهم اهل القرى وسلبوا اكثر ما كان معهم واما ابراهيم باشا فانه بعد هذا الفوز توجه الى حلب على طريق تل السلطان ودخلها بعد خروج الوزيرين المتقدم ذكرهما دون منازع ولا معارض وذلك في ثامن يوم من صفر سنة ١٢٤٨ الموافق اليوم السابع عشر من تموز سنة ١٨١٢ م فبقي بها مدة ثم نهض لقتال حسين باشا السردار وتوجه الى جهة بيلان وذلك في اليوم السابع والعشرين من صفر المذكور وكان حسين باشا قد سد طريق الجبل على ابراهيم باشا فارسل عسكراً صعدوه من جهة كاز واقام هو

بوادي قريب من الجبل واذا وصلت العساكر المذكورة والتقوا بعساكر حسين باشا علقت بينهم حرب شديدة كانت عاقبتها فوز ابراهيم واقلاع حسين باشا الى جهة قونيه ورجوع ابراهيم باشا الى حلب . . . . . ة سافر منها الى ادنه وكان قد سلمت اليه فخيم فيها بعسكره ثم وردت له اوامر ابيه بالتقدم نحو قونيه فامتثلها وشخص الى قونيه وقبل دخوله اليها اخلاها امين روؤف باشا الصدر الاسبق فاستولى عليها ابراهيم بغير منازع ولا معارض بعد ان جرى له في الطريق بعض وقائع ثم في اليوم السابع والعشرين من رجب علقت نار الحرب بين الفريقين وكان عسكر كل منهما وافراً جداً وبعد وقعات تشيب ناصية الوليد انتهت الحال بنصر ابراهيم واسر رشيد باشا الصدر ولما تفقم الامر توسط سفير فرنسه بالصلح بين الدولة والمصريين على ان يكون لهم كريد وسورية وولاية ادنه وعلى هذا استقر الحال ووقفت الحروب ورجع ابراهيم باشا الى الديار الشامية ثم في سنة ١٢٥٥ صدر الامر السلطاني الى حافظ باشا ان يسير الى سورية ويستخلصها من المصريين فامتثل وسافر اليها بسبعين الف مقاتل وسمع ابراهيم بقدومه فتقدم لملاقاته الى نزب بار بعين الف مقاتل وهناك التقى الجيشان وجرت بينهما معركة عظيمة افضت الى فوز ابراهيم وانهزام حافظ باشا وبعد هذه الواقعة خافت الدول الاجنبية سوء العاقبة وتداركت رتق هذا الفتق باشارة الدولة العثمانية واتفقت انكلتره والروس والنمسا وبروسه على اخراج المصريين من سوريا طوعاً او كرهاً وان لا يتركوا لهم سوى مصر واقطارها مع قسم

شريف زاده الذي كان يتحين الفرص و يرقب الدوائر تدور على احمد بك الذي كان يوسف باشا لا يشك ولا يرتاب بانه هو ذلك الواشي الذي كان من الاشخاص [illegible] في حوادث سنة ١٢٣٨ وقد علم الوالي يوسف باشا بقضيته المشهودة وايقن بانه هو [illegible] فاسرع الى منزل الوالي علي رضا باشا وقدم اليه ذلك الكتاب واستحثه على تقديمه الى حضرة السلطان ابرى رأيه في احمد بك واخيه مصطفى بك فما كان من الوالي سوى ان ارسل الكتاب مع ساعٍ خاص الى السلطان ولما قرأه السلطان استشاط غضباً واصدر امره الى الوالي بقتل احمد بك وتجهيز رأسه اليه بكل سرعة ولما ورد هذا الامر الى الوالي كان احمد بك متمارضاً قد اقام في قصر بستان الذي للاستشفاء بطايب هواه ينتظر من اخيه جوابه عن كتابه وهو غافل عما خبأته له يد الاقدار وفي يوم الثلاثاء ٢٧ ذي القعدة من هذه السنة اشاع الوالي انه بقصد ان يعود احمد بك ثم يتوجه هو واتباعه الى بستان [illegible] وكان قد [illegible] خبر زيارته الى احمد بك فخرج لاستقباله الى باب القصر [illegible] بالترحاب وبعد ان جلس معه جلسة العائد للمريض وحادثه بلطف عباراته ودعا له بالصحة والعافية نهض للانصراف وتبعه احمد بك ليشيعه وبينا هو [illegible] اذ اطلقت [illegible] طلقة غدارة وتبعتها ثانية وثالثة فلم تخطئ رصاصاتهما جسمه فوقع قتيلاً يتخبط بدمه فتقدم احد الرماة الى جثته الهامدة وحز رأسه وبعد ان حشاه تبناً قدمه الى الوالي الذي لم يتأخر

لحظة واحدة عن ارساله الى السلطان ولما وصل الرأس الى السلطان احضر مصطفى بك اخا المقتول واطلعه على الكتاب وسأله عن كاتبه فاقر بانه خط يده ثم اخرج له رأس اخيه وسأله هل تعرف هذا الرأس فاجاب نعم هذا رأس اخي وفي الحال التفت السلطان الى الجلاد واشار اليه بان يقطع رأس مصطفى بك فامتثل الامر وقطع رأسه ثم وضع الرأسان في كيس من البز ودفنا في حفرة واحدة وصدر امر السلطان الى والي حلب بمصادرة جميع املاك الاخوين واموالهما وان ينفي كل حالم من اولادهما واتباعهما فنفى من يصدق عليه امر السلطان الى جهات متعددة ثم وضع املاكهما في المزاد العلني فلم يرغب احد بشرائها اما احتراماً لاصحابها واما تشاؤماً بها وكان الحاج بكور اغا كتخدا الآتي ذكره قريباً قفل من بغداد وعزم على التوطن في حلب وكان في الغاية القصوى من الثروة والغنى فاشترى جميع املاك الاخوين المومأ اليهما في حلب وخارجها وكان من جملة تلك الاملاك الدور الكائنة في محلة الفرافرة وهي دور عظيمة فخمة كل دار منها تضاهي محلة لما اشتملت عليه من الابهاء والمقاصير وكثرة الغرف والمرافق والحدائق ومتانة البناء وزخارف النقوش وهي لم تزل تعد من بدائع الآثار البنائية القديمة التي يقصدها الاثريون للتفرج — وبعد ان اشتراها الحاج بكور اغا وتصرف بها مدة من الزمن اعادها جميعها الى ورثة الاخوين بالثمن الذي اخذها فعد ذلك منه شهامة وكرم اخلاق وظهر للناس انه لم يقصد من شرائها الا حفظاً لورثة الاخوين واعادتها لهم حين سنوح الفرصة ولم يبق له منها سوى

داره المقيم بها الان بعض فروع اعقابه · ومن غريب الاتفاق انه كان لاحمد بك جارية كالحظية عنده كانت تندد بالحاج بكور وتطعن به وتحامل عليه لانه حاز الزعامة لدى الولاة وصار نافذ الكلمة عندهم فوقعت هذه المسكينة في قبضة الحاج بكور اغا اخذها شراء مع جملة ما اخذه من تركة احمد بك وجعلها خادمة في مطبخه بعد ان كانت حظية اعظم رجل في حلب يأتمر الخدم بامرها ولا ترد لها كلمة

— سفر علي رضا باشا الى بغداد — وفي سنة ١٢٤٦ تمرد داود باشا والي بغداد على الدولة وخرج عن طاعتها فاصدر السلطان امره الى علي رضا باشا بان يكون والياً في بغداد وشرط عليه ان يخضع واليها المتمرد وينكل به فسافر الى بغداد في اواخر هذه السنة وصحب معه (ابا بكر بن محمد بن ابراهيم الكردي) احد رجالات العمق وامرائه وجعله مستشاراً له ووكيلاً عنه في ادارة امور الجيش وسماه كهيا او كتخدا ومن ذلك اليوم عرفت هذه الاسرة بآل الكتخدا وفي هذه السنة (١٢٤٦) ولي حلب اينجه بيرقدار زاده محمد باشا وفي سنة ١٢٤٨ استولى على حلب ابراهيم باشا ابن محمد على باشا خديوي مصر

اجمال بهذه الاسرة — لهذه الاسرة تاريخ حافل يسمى المناقب الابراهيمية وهو مطبوع متداول استغنينا به عن اطالة الكلام في بيان اخبار هذه الاسرة واكتفينا بالالماع اليها بهذا الاجمال فنقول —

ان الجد الاعلى لهذه الاسرة هو المرحوم محمد علي باشا واصله من مدينة قوله احدى بلاد الارناوود وبها كانت ولادته سنة ١١٨٣ ومات

والده عنه وهو صغير فكفله احد اصدقاء ابيه واحسن تربيته ونشأ على محبة الفوز والظفر بمقاصده وصحب الغزاة واشتهر بين اقرانه بالحزم والعزم ثم لما دخلت طائفة الفرنسيس مصر والقت الدولة العثمانية النفير العام لاخراجها كان من جملة من امتثل امر الدولة ونهض من بلده متوجهاً الى مصر فدخلها وحارب الطائفة المذكورة في عدة وقائع واشتهر بالشجاعة وجودة الرأي ولما خرجت تلك الطائفة من مصر ولت عليها الدولة العثمانية محمد خسرو باشا وكان محمد علي باشا قد استمال علماء مصر ووجهاءها فمالوا اليه واظهروا له من المحبة ما اطمعه ان يكون والياً عليهم واتفق في ذلك الاثناء ان محمد خسرو باشا جهز جيشاً لقتال بقية المتمردين من المماليك حكام مصر وكان محمد علي باشا من جملة ضباط ذلك الجيش وبقضاء الله وقدره انكسر الجيش المذكور وتغلب المماليك واتهم القائد محمد علي باشا بممالاتهم ووشى به الى الوالي فقصد ان يوقع به غير ان محمد علي باشا فطن لما اراد وانضم الى المماليك حذراً منه وجرى بينه وبين الوالي وقعة كان هو الغالب فيها ووقع الوالي بقبضته واتصل الخبر بالسلطان سليم خان فعظم عليه الامر وارسل علي باشا ليتولى مكان خسرو باشا ويكبت العصاة فلما وصل الى مصر لم تدن له المماليك بل خلعوا طاعته وقتلوه ثم وقع النزاع بين اثنين من رؤسائهما وكان لعسكر الارناوط مال مكسور عند احدهما فطالبوه به باتفاق مع محمد علي باشا وحصروه في داره عدة ايام ثم سنحت له فرصة هرب بها الى الصعيد وانحل عزم المماليك بعده ولم يبق منهم الا رئيس واحد

صغير من الديار الشامية وعقدوا على ذلك وثائق الاتفاق فيما بينهم بمدينة لندن عاصمة انكلترا سنة ١٨٤٠ م ثم كاتبوا الحضرة الخديوية بالتصديق على اتفاقهم فلم يقبل منهم وعندها اشهروا الحرب عليه وارسلت انكلترا عمارة بحرية الى سواحل سوريا فاستولت على جميعها وشحنتها بالمهمات فضعف ابراهيم باشا عن مقاومتها واوعز الى عساكره بالهرب فاجتمعوا اليه من سائر البلاد وتوجه بهم الى جهة مصر من طريق البر لان انكلترا ربطت عليه المسالك البحرية وقد نفذت اقوات حاميته ومات منهم الكثيرون جوعاً واكلوا لحوم الخيل والبغال والحمير حتى اكارعها واخس ما فيها وفي قرب مدينة غزه احترق بضع صناديق من البارود وهلك بسببها عدد غير قليل من العساكر المرضى والنساء والاطفال الذين كانوا بمعية الجيش ويروى ان هذه الحريق كانت مفتعلة من ابراهيم ليخفف عنه الناس الذي اتلفوه بشكوى الجوع والله اعلم

— حوادث حلب ايام ابراهيم باشا المصرى —

ولما دخل ابراهيم باشا الى حلب على ما تقدم ذكره نزل في تكية الشيخ ابي بكر وبعد بضعة ايام انتقل الى منزل بني العادلي فاقبل عليه قناصل الدول واعيان البلدة يسلمون عليه ويهنونه بالسلامة فتلطف بهم واعطاهم الامان مما يخافون وبعد بضعة ايام صار يقبل عليه اعيان البلاد الخاضعة ويدخلون في طاعته ثم شرع بتنظيم امور حلب وبلادها وعين لها متسلماً احمد افندي ابن عبد القادر افندي حسبي زاده ثم غضب عليه وضربه بالسياط فمات بعد يومين وكان متسلماً حلب قبل

دخول ابراهيم باشا ابراهيم اغا سياف زاده وعين في مكان حسبي زاده عبدالله بك البابنسي وفي سنة ١٢٤٩ رأى الحلبيون صرامته في احكامه وشدته في انتقامه وعقوبته وشاهدوا ما يعامل به العسكري من الاهانــة والشتم واللعن فعزموا على مناضلته واجتمع من زعمائهم جم غفــير منهم عيسى اغا وبكور اغا كعدان واحمد بن هاشم ومحمــد اغا حطب وهم من بقايا زعماء اليكجرية وعقدوا بينهم اتفاقاً وكتبوا به ميثاقاً ختموه سوى قليل منهم فاتصل الخبر بابراهيم باشا بواسطة محمــد اغا حطب فقتل بعضهم ونفى الباقين وامر بجمع السلاح من البلد فجمع منه ما لا يحصى وارتفع سعره حتى بيعت نصلة بندقية بثلاثمائة قرش وفي هذه السنة امر ايضاً بجمع العسكر فثقل هذا الامر على الناس لعدم اعتيادهم عليه وهرب منهم خلق كثير وتشتتوا في البراري ومنهم من مات تحت المطر والجليد واكلتهم الوحوش وكانت تكبس البيوت ويؤخذ منها العسكر دون مراعاة شريف او وضيع حتى ان الاولاد الصغار كانوا يؤخذون ويدخلون المكتب ويكسون بملابس الجندية وفي سنة ١٢٥٠ صار الشروع بتعمير الرباط الكبير المعروف بالشيخ يبرق الذي اسلفنا الكلام عليه في محلة الشميصاتية من الجزء الثاني ورباط آخر في نواحي الكلاسه شرقي مشهد الشيخ محسن وغير ذلك من المباني وكانت الفعلة والنجارون والجصصون يقادون للعمل في هذه المحلات بالسلاسل ويساقون بالضرب والشتم ويدفع لهم قليــل من الاجرة ومنهم من لا يعطي شيئاً وكان اكثر انقاض هذه الابنية وحجارتها من المساجد القديمــة والجوامع

المهجورة والخانات المهملة وفي ابتداء رمضان سنة ١٢٥٣ تجدد طلب العسكر واشتد التفتيش عليهم حتى صارت النساء يجبسن في بيوت القهوة و يضربن الضرب المبرح ليقررن عن رجالهن فجمع مقدار وافر و بقي بعض افراد لم يشددوا في طلبهم رعاية لرمضان ثم في اول يوم من عيد الفطر صدرت الاوامر باتمام جمع من بقي من العسكر فذاقت الناس امر من الصاب وانقلب عيدهم ماتماً ثم في ثالث يوم من شوال ورد العفو عن بقية الاشخاص المرتبة على البلد وفي اليوم الثامن عشر من شوال سنة ١٢٥٤ وقع ثلج كثير سقط به مقدار نصف الشجر وكان معظم ذلك في ادلب وريحا وارمناز وفي غرة ذي الحجة توجه الاصباهية الى استانبول من سائر البلاد الشامية بامر المرحوم السلطان محمود خان وفي اليوم الثالث عشر من هذا الشهر وقع القبض والتفتيش على اولاد المسلمين ليدخلوا في النظام العسكري ومن لم يوجد منهم قبض على ابيه او امه او زوجته وعذبوا الى ان يحضر الرجل المطلوب ومن هرب منهم او احجم عن السفر يجعل هدفاً للرصاص في ارض عواد فكان لا يخلو يوم من عسكري مقتول وقد استصفت الجندية شبان اهل حلب وملحقاتها فلم يبق منهم سوى الكهول والعجزة ووقفت حركة الاشغال وعز القوت وتهتكت الحرائر في الحصول على ما يقيتهن وفي اليوم الرابع عشر منه صدر الامر بالعفو عن بقية المطلوبين وفي هذه السنة كان الشتاء شديداً والامطار غزيرة تعطل بسببها اكثر العمران واستولت نحو سبعة اشهر لم تنقطع الا قليلاً وفي غرة محرم سنة ١٢٥٥ خرج العسكر من حلب

و بلادها الى جهة الرها لمحاربة حافظ باشا المرسل من قبل الدولة العثمانية وصارت الامتعة والميرة تنقل من حلب وغيرها الى تلك الجهة ثم كانت الوقعة بين الجيشين في المحل المعروف بنزب وقد مر خبرها وفي ليلة الاحد ثاني عشر شعبان زرق بين العشائين نجم غلب ضوؤه القمر واستمر شعاعه في السماء نحو عشر دقائق ثم اخذ في الذهاب نحو الجنوب ثم في الليلة الرابعة عشر من الشهر المذكور وهي ليلة الثلاثا رجفت الارض رجفة قوية غير انها لم يحصل منها ضرر وفي سلخ رمضان سنة ١٢٥٦ المصادف لليوم السابع والعشرين تشرين الاول سنة ١٨٤٠ مسيحية خرج العسكر المصري من حلب وبلادها وخلت الارض منهم وقدم على حلب الحاج يوسف باشا شريف زاده ومعه جماعة من الجند فاستبشر الناس بقدومه ثم قدم عليها من قبل الدولة العثمانية زكريا باشا مع عسكر كثير محافظة لها الى ان يحضر الوالي الجديد وبعد ايام قلائل حضر واليًا عليها محمد اسعد باشا وابقى عبدالله بك متسلماً وقبل خروج ابراهيم باشا من بلادنا امر باحراق بعض البيوت الكبار لانحياز ذويها الى الدولة العثمانية من جملتها منزل يوسف باشا شريف فقد احترق هذا المنزل كله واصبح رماداً كأن لم يكن

— مجيء عسكر الارناود الى حلب — وفي سنه ١٢٥٧ وفد على حلب نحو ثلاثة الاف من عسكر الارناود وكان قدومهم من بلاد اشقودره وقد جاؤا اليها باشارة من الدولة ارهاباً للحلبيين لما كانت الدولة تتخيل منهم احداث بعض الفتن ومن ثم كانوا يفعلون اموراً فظيعة تدل على

عتوهم وتوحشهم ليعظموا في اعين الحلبيين منها انهم كانوا يخرجون الجرذان من المراحيض و يشوونها في الاتون و يأكلونها ور بما وضعوها في مقلاة السمك وكانوا يأكلون الفأر واجراء الكلاب على هذا النسق ومنهـا انهم كانوا يفعلون الفاحشة والزنا بالعجائز والشيوخ ولما تمادى فسادهم وضجر منهم الحلبيون قاموا عليهم وحصروهم في خان البيرقدار بالقرب من السوق الصغير وكثر اطلاق الرصاص من الطرفين وخاف كبراء البلد من تفاقم الحال فحضر اليهم المتسلم عبدالله بك وامرهم بالرحيل قبل ان يفتك بهم الحلبيون فسمعوا مقاله واقلعوا من حلب ليـلاً وفي سنة ١٢٥٨ ولي حلب محمـد وجيهي باشا ثم في سنة ١٢٦١ وليهـا عثمان باشا

— غلاء شديد — وفيها كان الغلاء شديداً بيع فيه شنبل الحنطـة بمائة وخمسين قرشاً وكان قبل البيدر بخمسة وعشرين قرشاً وكان كلما اشتد البرد واقترب الشتاء نقل الاقوات من البلد حتى انعدمت وهاج الناس وصاروا يأكلون الحشيش والعشب ومع شدة الغلاء في الحبوب كانت بقية المأكولات رخيصة فكانت قيمة رطل الارز بثلاثة قروش وربع القرش ورطل اللحم الخالص بسبعة قروش ونصف ورطـل التين بقرش ومثله الزبيب ومائة الجوزة بثلاثين بارة ولما اشتد الخناق بالناس ونفذت المؤنات امر الوالي المحتكرين ان يفتحوا مخازنهم و يبيعوا ما فيها من الغلة ففعلوا واشتغلت الافران وازدحم الناس عليها و بيع رطل الخبز فيها بثلاثة قروش ونصف وبالجملة نال الناس قاسوا شدة عظيمة في .

شتاء هذه السنة بحيث بيعت عدة بنات بأكلهن الى ان اتى الحصاد واقبل الخير وكانت السنة مخصبة وبيع رطل الخبز باربع وعشرين بارة وشنبل الحنطة بعشرين قرشاً وفي اواخر هذه السنة ولي حلب مصطفى مظهر باشا الشيروزي، وفي سنة ١٢٦٣ حصل في حلب وباء عظيم وكثرت الوفيات حتى ضاق النهار على الجنائزية وصاروا يشتغلون في الليل والتزم الناس البيوت خوفاً من ان يدرك احدهم الاجل وهو خارج عن بيته وفي سنة ١٢٦٠ ولي حلب كامل باشا وفيها حضر الى حلب نامق باشا رئيس العسكر واحصى عدد اهلها الذكور دون الاناث فبلغ عددهم نحواً من ستين الفاً وفي سنة ١٢٦٥ وليها مصطفى ظريف باشا وفيها شحت المياه وجف قويق وعين التل والعين البيضاء ثم في شتائها وقع مطر غزير وطفى قويق وارتفع حتى غطى قنطرة باب طاحون جبل النهر وفي هذه السنة اسست دائرة احصاء النفوس في حلب

— الفتنة المعروفة بقومة حلب — هذه حادثة عظيمة لم يحدث بعدها من الثورات الاهلية في حلب اعظم منها · وكان حدوثها في عشية ليلة اليوم الثاني من عيد الاضحى سنة ١٢٦٦ وامتدت وقائعها الى نحو اليوم الخامس عشر من شهر محرم سنة ١٢٦٧

— اسباب هذه الفتنة — اختلف الناس في اسباب هذه الفتنة فقال بعضهم — سببها فرس اغتصبها عبدالله بك البابنسي متسلم حلب من يوسف باشا شريف زاده فقام اتباع الثاني على الاول للانتقام منه وانتقلت القضية من طور خاص الى طور عام وجرى على مدينة حلب

واهاليا ما جرى

قلت حدثني عبد القادر بك بن يوسف باشا المومأ اليه وهو ادرى الناس بمجريات هذه الحادثة واعظمهم وقوفاً على اسرارهـا لان والده احد بطلي روايتها كما ستعرفه — ان قصة الفرس كانت على غير هـذه الصورة وان قضيتها لم تكن سبباً لهذه الفتنة بل سببها الحقيقي غير هذا قال واما قضية الفرس فحقيقتها ان عبدالله بك كان يملك فرساً اصيلاً معدوداً في وقته من عتاق الخيل يعرف باسم (صقلاوية ابن سودان) وكان علي بك ابن اخي يوسف باشا مولعاً بالخيول الاصائل فطلب من عمه ان يستخلص له هذا الفرس من عبدالله بك هبة او شراء فلم تسمح نفس عبدالله بك ان يهبه او يبيعه كله بل وهب علياً نصفه وقاده اليـه بطوعه ورضاه وصادف اذ ذاك ان عباس باشا الذي صار خديوي مصر بعد عمه ابراهيم باشا - كان مولعاً بالخيول العربية قد ارسل الى سائر الجهات التي توجد فيها الخيول رسلاً جمعوا له منها عـدداً عظيماً حتى استصفى منها اجناساً كثيرة من عتاق الخيل في بلاد حلب وصحاريها وكان عبدالله بك معروفاً عنـد المصريين لانه كان متسلم حلب ايام دولتهم فيها فطلب رسول عبـاس من عبدالله بك فرسه الذي وهب نصفه لعلي بك فطلب عبـدالله بك من يوسف باشا عم علي بك ان يبيعه النصف الآخر من الفرس او يهبه اياه فاخـذه يوسف باشا من ابن اخيه وقدمه الى عبدالله بك بطوعه واختياره وهو قدمه الى رسول عباس باشا هدية فلما وصل اليه انعم على عبـدالله بك بسيف مرصع

وعباءة وسرج مزركش : قال عبدالقادر بك وقد رأيت السرج المذكور تحت عبدالله بك وهو يتجول على فرسه في اثناء الحادثة التي نحن في صدد الكلام عليها

قلت وحدثني غير واحد في بيان اسباب هذه الفتنة حديثاً طويلاً خلاصته : ان عشيرة من عشائر البادية المخيمة في جهات الجبول تمردت في هذه السنة (١٢٦٦) على الحكومة وامتنعت عن اداء ما عليها من الضرائب فندب الوالي لاخضاعها يوسف باشا وقصدها في عدد كبير من الجند والاتباع فلم يفلح وعاد بالفشل فندب الوالي اليها عبدالله بك نقصدها وليس معه سوى ستة نفر من اتباعه غير انه ما كاد يصل الى مضارب العشيرة حتى احدق به رجالها وانزلوه ومن معه عن خيولهم وشدوا وثائقهم وطرحوا الحديد في ارجلهم وعاملوهم معاملة الاسراء واتصل الخبر بالوالي فامر بتجهيز حملة قوية للتنكيل بتلك العشيرة وقبل ان تخرج الحملة من حلب نمى خبرها الى العشيرة فارتاعت واضطربت فسكن عبدالله بك روعها وقال لشيوخها لا بأس عليكم فكوا القيد عن كاتبي وانا اكفيكم بطش هذه الحملة ففكوا القيد عن كاتبه فامره عبدالله بان يكتب على لسانه الى قائد الحملة كتاباً ارسله مع ساعٍ خصوصي يقول له فيه ان العشيرة قد طاعت ودفعت ما عليها من المرتبات فلم يبق لتجهيز الحملة عليها من لزوم ثم ان العشيرة فكت القيود عن عبدالله بك وعن اتباعه وتداركت جمع ما عليها من المرتبات وقدمتها الى عبدالله بك واعتذر شيوخها اليه عما اجروه معه ومع اتباعه من الأسر والتقييد

وافهموه ان السبب الذي حملهم على ذلك كتاب ورد اليهم من يوسف باشا قبل قدوم عبدالله عليهم يقول لهم فيه ان عبدالله بك قادم عليكم ليخدعكم و يوقعكم في قبضة الحكومة لتنكل بكم فاحذروا منه ثم ابرزوا له الكتاب فقرأه كاتبه فوجد فحواه طبق ما قالوا ثم ان عبدالله بك ودع العشيرة وقفل راجعاً الى حلب وقبل وصوله اليها خرج لاستقباله جمهور عظيم من زعماء محلة قارلق واهلها الذينهم اتباعه وآلوا عليه ان يدخل المدينة من باب النيرب فدخل منه بهذه الابهة الزائدة ارغاماً لزعماء هذه المحلة الذينهم اتباع يوسف باشا ومشى امامه اتباعه وهم شاكو السلاح ينشدون الزجلات الحماسية المشتملة على تهاني زعيمهم بعوده من سفره سالماً غانماً وعلى التنديد بيوسف باشا وفشله في سفره والحط من كرامته فشق ذلك على اتباعه واضمروا في نفوسهم الشر لعبدالله بك وبعد ايام تجمهروا في عشية الليلة المذكورة وقصدوا الايقاع بعبدالله بك وجرى منهم ما جرى كما سنبينه قريباً

قلت هذه الحكاية تشتمل على عدة امور يستبعدها العقل السليم (١) يستبعد العقل من يوسف باشا داهية عصره ان يطوح بنفسه و يرسل هذا الكتاب الى جماعة من العرب البسطاء الذين لا ينبغي للعاقل ان يأمنهم على سره سيما وقد سبق منه قصده اياهم للايقاع بهم فكيف يتصور العقل ائتمانهم على كتابه وعدم ايصاله الى الوالي الذي يكون ادنى جزائه عنده النفي (٢) يستبعد العقل ان يتجرأ اتباع يوسف باشا في ليلة الحادثة على الايقاع بعبدالله بك وهم يعلمون ان اتباعه اكثر

مهم عدداً واقوى شكيمة وان عرب البادية كلهم انصاره واعوانه (٣) يستبعد العقل انتقال القضية فجأة من طور خاص وهو قصد الايقاع بعبدالله بك الى طور عام وهو تهديد سلامة البلد واحداث ما كان فيها من الويل والنكد (٤) يستبعد العقل ان يكون اتباع عبدالله بك الذين جاؤا للدفاع عنه في تلك الليلة قد اتفقوا مع اعدائهم اتباع يوسف باشا في هذه البرهة من الزمن وصاروا جميعاً يـداً واحدة باثارة هذه الفتنة العامة على غير رضاء من عبدالله بك

— السبب الحقيقي لهذه الكارثة — اذا علمت هذا تبين لك ان السبب الحقيقي لهذه الفتنة العمياء غير قضية الفرس وغير حكاية العشيرة بل السبب الصحيح امر مستور دبر بليل خفي على الناس في وقته فصاروا يرجمون به الظنون وكل يتكهن عنه حسب عقليته وحسبما شاهـده من ظواهر الماجريات دون البحث عن بواطنها

ان السبب الحقيقي لهذه الكارثة قد بالغ من اوثق عقدته في ستره واخفائه واسدل عليه حجباً كثيفة من الكتمان صوناً لحياته اذ لو كشف الستار عنه في تلك الايام لما احجمت الدولة قيد لحظة واحدة عن قتـل ناسج برده ونافخ ناره : واليك في بيان الحقيقة جمـلة استخلصتها من كلام المكانسي الذي كان في ذلك الزمن من خاصة الرجال المنتمين الى يوسف باشا شريف المخلصين في محبته والمطلعين على اسراره : قال ان الدولة المصرية لما دخلت هذه البلاد اناطت متسلمية حلب بعبدالله بك البابنسي وهو من قدماء اليكجرية وله اتباع كثيرة في حلب وبرهـا

فكان عبدالله بك يأخذ المقاطعات الاميرية و يصرف اموالها على اتباعه واعوانه من الحضر والبدو والحكومة المصرية لا تعارضه في ذلك ولا تطالبه باموال المقاطعات لعلمها بان صرفها على اتباعه مما يعود نفعه اليها فكأنها كانت تعتبر اتباعه كجند لها ثم لما انسحبت الحكومة المصرية من حلب وعادت اليها الحكومة العثمانية ابقت متسلميتها في عهدة عبدالله بك فكان يأخذ المقاطعات و يصرف اموالها على اتباعه كما كان معتاداً عليه في عهد الحكومة المصرية غير ان الحكومة العثمانية لما رسخ قدمها في حلب وغيرها من البلاد التي عادت الى حكمها جعلت تطالب عبدالله بك و بقية رؤساء البلاد — ومنهم يوسف باشا — بما تأخر في ذممهم من اموال المقاطعات وهي مبالغ طائلة تعد بالوف الالوف وكان جل ثروات رؤساء البلاد مجموعة من تلك الاموال وكان ولاة حلب يتقاضون الرؤساء هذه الاموال فيماطلونهم باداءها فيتساهلون معهم ولا يشددون في طلبهم الى ان ولي حلب مصطفى ظريف باشا فرأى ان اموال المقاطعات المتأخرة في ذمم الرؤساء قد بلغت الوفاً مؤلفة وان الدولة في ذلك الحين على اشد الحاجة الى المال فجعل الوالي يشدد على الرؤساء الطلب حتى بلغ من تشديده ان هددهم ببيع املاكهم وحبسهم و كسر شرفهم فاضطربوا وذات انفسهم فمنهم من وفى شيئاً من ديونه وعجز عن وفاء الباقي عليه ومنهم من لم تسمح نفسه بوفاء ديونه التي تستغرق ثروته وهو يوسف باشا واما عبدالله بك فقد كانت ديونه اكثر من ديون جميع المدينين لكنه ليس عنده ما يفي بعشرها لانه كان كما قيل نهاباً

وهاباً فاضطرته الحالة ان يستعين بذي رأي وتدبير على ايجاد وسيلة تدفع عنه هذه الغائلة فلم ير كفوءاً لهذه المهمة غير يوسف باشا فحضر اليه سراً و بعد ان تعاتبا وطرحا ما كان بينهما من التعاكس والتشاكس اللذين تتطلب وحدة المصلحة طرحهما تذاكرا في التماس وسيلة تدفع عنهما هذه المهمة المدلهمة فقر رأيهما على ان يدبرا احداث ثورة ارهابية وقتية تضطر الوالي الى ان يستعين بهما على اطفاء نائرتها وعندها يرى من واجبه مسامحتهما باموال المقاطعات المتأخرة بذمتهما فقررا ان يذاع سراً بين الناس بواسطة دهاة من سماسرتهما تصميم الحكومة على اخذ عسكر بالقرعة واضافة ضريبة الاملاك المعروفة في تلك الايام باسم (ترابية) وان يجسم ضرر هاتين البدعتين في افكار العامة من اتباعهما تجسيماً يحملهم على ان يثوروا في طلب رفضهما من تلقاء انفسهم دون ان يدعوهم الى الثورة احد تفادياً من وقوع تبعة الثورة على فرد معين قال المكانسي : وقد جرت هذه التدابير كلها من عبدالله بك و يوسف باشا على صورة خفية جداً بحيث كان الثائرون انفسهم لا يعرفون سبباً لثورتهم سوى معارضتهم لتصميم الحكومة على اخذ القرعة واضافة ضريبة الاملاك وهم يجهلون كل الجهل اليد المحركة لثورتهم وان يوسف باشا وعبدالله بك لم يقصدا في تدبير ما دبراه سوى ثورة بسيطة ارهابية لا تبلغ درجة التفاقم وتصل الى الحد الذي وصلت اليه ولو انهما علما بما تجره هذه الثورة من الفظائع والمصائب وتعقبه من طائل المسؤلية لما كانا اقترفاها غير انهما لما وصلت الى ما وصلت اليه من الخطورة والتضخم لم

يبق في قدرتهما منعها

— كيف كانت الثورة — بعد عشاء الليلة الثانية من عيد الاضحى سنة ١٢٦٦ تألب جماعة من العوام وزعمائهم في سوق باب النيرب وعولوا على احداث ثورة ضد الحكومة واول عمل باشروه انهم قصدوا جماعة الدرك في مخفرة باب الحديد وهددوهم باطلاق عيارات نارية اضطرت جماعة الدرك الى الهرب منهم والالتجاء الى الرباط العسكري (القشلة) ونمي الخبر الى الوالي فحضر الى محل الثوار بنفسه لاخماد ثورتهم لكنه لما رأى جموعهم تجاه جامع التوبة وما هم عليه من العربدة والهيجان واطلاق الرصاص هاله الخطب وانصرف عنهم ولسان حاله يقول الهزيمة نصف الغنيمة ولو انه اظهر لهم الثبات وسطا عليهم بعض السطو لفلت جموعهم وكفي شرهم لكنه لما قدم عليهم ظنوه هو ومن معه جماعة العسس ولم يعلموا انه هو الوالي الا بعد انصرافه فلما علموا بخوفه ورخاوته زاد شغبهم وقويت نفوسهم وفي نحو الساعة الثالثة من الليلة المذكورة مشوا بطبولهم وزمورهم الى محلة الفرافرة ليوقعوا ببعض الاعيان لانهم لم يدفعوا عنهم غائلة البدعتين المذكورتين مع قدرتهم على دفعهما على زعمهم وكان الاعيان قد بلغهم قيام هؤلاء الغوغاء فتركوا منازلهم والتجأوا الى الرباط العسكري ولما وصل الثائرون الى محلة الفرافرة لم يجدوا في منازل الاعيان سوى الحريم والخدم فرفعوا اصواتهم بالسب والشتم واطلقوا بعض العيارات النارية ثم توجهوا الى محلة قارلق لمواجهة عبدالله بك ومطالبته بدفع البدعتين المذكورتين لانه هو متسلم البلد

وهو المسؤل عن دفع الحيف والظلم عن اهلها وبينما هم عند سبيل الدلي محمود في قرب باتقوسا اذ تقابلوا مع تقي الدين افندي المدرس: حدثني خادمه محمد اغا الفراش وقد وظف بعد فراشاً في المدرسة العثمانية وكنت مجاوراً فيها - ان الثائرين لما قبضوا على تقي الدين افندي قال وكنت معه اضجعوه الى الارض وارادوا ذبحه فقال بعضهم يحرم امتهان دم العالم واراقته على الارض كدم شاة ثم تجرد القائل من عباءته ومدها تحت تقي الدين وقال اذبحوه فوقها وبينما هو يستغيث بهم ويطالب منهم الكف عنه اذ مر بهم الشيخ احمد شنون المعروف بالحجار فتشفع به فعفوا عنه قال خادمه محمد اغا وقد اثر الرعب في تقي الدين حتى قطع نسله: ثم ان الثوار اخذوا معهم تقي الدين الى عبدالله بك ليرى رأيه فيه فلما وصلوا اليه انكر عليهم عملهم وبعث به الى الرباط العسكري ومعه من يحفظه وقال عبدالله بك للثائرين ماذا تريدون فقالوا لا نعطي عسكراً ولا ضريبة وانت في قدرتك ابطال هاتين البدعتين فاجابهم بان هذا مما امرت به الدولة ولا قدرة لي على رده فقالوا اذاً نحن نحارب الدولة ونجبرها على ابطالهما فقال لهم انتم قوم فجار اذهبوا عني حيث شئتم وكان قد انضم اليهم اتباعه واحزابه فقالوا له نريد ان نقصد النصارى ونطلب منهم مالاً نشتري به ذخيرة لان النصارى يشاركوننا بالاستفادة من نتيجة قيامنا فتسقط عنهم ايضاً ضريبة الاملاك وغيرها من الضرائب التي تصمم الدولة على طرحها فقال لهم انتم قوم اشرار اذهبوا عني حيث شئتم فتوجهوا الى جهة محلات النصارى وقد كثر جمعهم وانضم اليهم

البدوي والقروي وعلت ضوضاؤهم وهم يضربون طبولهم و ينشدون زجلاتهم و يرفعون اصواتهم بقولهم : (عسكر ما نعطي فردي ما نعطي) ولما وصلوا الى محـلة الالماجي والماوردي قصدوا بطريرك طائفـة الروم مكسيموس مظلوم وارادوا القبض عليه لانه كان منذ ايام ابراهيم باشا المصري وما بعدها يدور احياناً بشوارع حلب وهو راكب بابهة زائدة وموكب حافـل يتلقى المسلمون منـه ذلك كارغام لهم وتعالٍ عليهم فكانوا ينقمون عليه هذا الصنيع و يحملونه منه على قصد اهانتهم ولما احس بقدوم الثائرين على محلته هرب منها الى خان العلبية واختبأ عند بيت المركوبلي ثم سافر من غده اما الثوار فقد اخذوا باطلاق الرصاص وتكسير الابواب والنهب في محـلة الالماجي والماوردي الى قرب طلوع الشمس ثم توجهوا الى محلة الصليبة وكان عبدالله بك قـد ارسل الى اكابرها يطلب منهم الف ذهب عثماني بشرط ان لا يتعرض لهم احـد بسوء فلم يجيبوه على طلبه وقالوا ان اصابنـا ضرر طلبنا تعويضه من الحكومة فعلى مَ ندفع للثوار الف ذهب وحينئذ دخـل الثوار الى محلة الصليبة وشرعوا بتحطيم الابواب والنهب و كان اكثر اغنيائها قد تركوا بيوتهم وتحصنوا بالخانات مع عيالهم ومنهم من اخذه لبيته بعض معارفه من المسلمين وحماه عنده ومنهم من دعا الى بيته بعض اصحابه من المسلمين ليحامي عنـه فسلمت بذلك بيوت كثيرة وسلم من كيـد الثوار عـدة جهات كحارة المحبى والشرعـوس لان بعض سكانهـا كانوا من وجهاء المسلمين فدافعوا عن جيرانهم النصارى فلم يصب احد منهم بسوء : لم

يزل النهب مستمراً ومتعاطوه في كثرة وازدياد حتى انضم اليهم الفلاح والبدوي ورعاع الناس من اهل حلب وكان يتقدم الثائرين طبل لتجميع الناس اليهم فكانوا كلما مروا على رجل ولم يتبعهم اوسعوه ضرباً وسباً واخبرني بعض تلامذة والدي ان والدي بينما كان واقفاً على باب مسجد اشقتمر المعروف بجامع السكاكيني اذ مرت عليه شرذمة من الثوار فنادوه (شيخ امشي معنا) فقال لهم (اسبقوني حتى البس ثيابي والحقكم) ثم دخل الى الجامع واغلق بابه ولم يخرج منه الا بعد ايام : هذا وان النهب لم يزل يجري احكامه الى اليوم الثاني عشر من شهر ذي الحجة وكان البدوي قد ينهب الشيء من اثاث المنزل وهو لا يعرف ماذا يراد من استعماله وصادف ان بدوياً نهب ساعة دقاقة ظنها صندوقاً فيه نقود وبينما هو سائر بها اذ دقت الساعة فارتاع منها وحسب ان فيها جنياً فبصق عليها وطرحها الى الارض فتحطمت ورأى بدوي في بعض البيوت كيساً فيه لؤلؤ ظنه رزاً فحمله فلما كان في اثناء الطريق ذاقه فلم تقطعه اسنانه فحسبه خرزاً فرماه الى الارض فتبعثر وسحق تحت الاقدام

في اليوم الثاني عشر من ذي الحجة وقف النهب لان الاعيان والحكومة ارسلوا الى زعماء الثائرين يؤمنونهم مما يخافون ويتعهدون لهم بما يطلبون وفي اليوم الثالث عشر من هذا الشهر ترددت الرسل بين الطرفين واستقرت القاعدة على ان يكون عبدالله بك هو المفوض بالامور وان تستثنى حلب من القرعة العسكرية ومن عدة ضرائب اميرية وان

يسامح عبدالله بك ورفقاه من اموال المقاطعات المتأخرة في ذممهم وان لا يسترق النصارى الأماء والعبيد المسلمين وان يمتازوا عن المسلمين بعلامات فارقة الى غير ذلك من الطلبات والاقتراحات والذي اضطر الحكومة ان تجيبهم الى ما طلبوا خلو القلعة والرباط العسكري من الحامية اذ لم يكن موجوداً فيهما سوى مائتي جندي . وبعد ان استقر الصلح على الشروط المذكورة اقام الثوار سلطاناً عليهم ابن حميدة فجعل وزيره عبدالله بك وصار ابن حميدة يأمر وينهي كسلطان قاهر وكان الاعيان والوجهاء قد نزلوا من الرباط الى تكية بابا بيرم وبقي الوالي في الرباط لشدة جبنه وخوفه ولم يقتل من النصارى في هذه الحادثة سوى خمسة نفر قتلوا لا عن قصد انتقام سوى واحد منهم فالاول القس جبرائيل الكلداني استمات على حفظ امانات للكنيسة كانت عنده فقتل واخذت الامانات : الثاني اخو القسيس السرياني احترق في كنيسة السريان تبعاً لها لانها احترق معظمها وكان المسبب باحراقها شماس موكل بحفظ ما فيها من الآثار الفضية فسرقها والقى النار في الكنيسة وادعى ان النار هي التي اتت على الآثار : الثالث رجل يقال له ابن القصاب وهو الذي قتل عمداً لانه كان يؤذي المسلمين بما كان يجريه من التيه والعجرفة والازدراء بهم وسبهم وشتمهم مستنداً في ذلك على انه كان من عساكر النمسا . الرابع والخامس نعمة الله الحمصي وخادمه اما نعمة الله فسبب قتله ان عبدالله بك حينما ارسل الى اهل محلة الصليبة يطلب منهم الف ذهب رضي اكثرهم باعطاء هذا المبلغ وارادوا تقديمه اليه فمنعهم عن ذلك

نعمةالله واجاب رسل عبدالله بك بما تقدم بيانه فقتل وقتل خادمه معه لمحاماته عنه

بعد ان تم الصلح على الشروط المتقدم ذكرها كتب الوالي بالخبر مع بريد خاص الى الاستانة وكان قد انفذ الرسل الى حكام انطاكية واذنه وعينتاب واغوات العمق يطلب منهم الامداد وارسال ما تيسر لهم من العساكر فما مضى على ذلك سوى بضعة ايام حتى اخذت العساكر والمتطوعون من فرسان ومشاة يتواردون من الجهات المذكورة ومن جهة سيورك فيدخلون القلعة والرباط خفية حتى اجتمع فيهما قوة كافية لخذل البغاة وكبتهم وحينئذ كتب الوالي والاعيان الى عبدالله بك بان يحضر الى دار الحكومة زعماء الثائرين ليعطيهم الامان على انفسهم واموالهم ويحرر اسماءهم في دفتر يرفعه الى الدولة لتقرر كل واحد منهم بوظيفته ويستقر الحال على ذلك فاجابهم عبدالله بك الى هذا الطلب وعين لهم اليوم الذي يجمع فيه الزعماء المذكورون ويعمل فيه هذا العمل وكان الوالي والفريق عبدالكريم باشا انتخبا نحو مئة وخمسين عسكرياً من ذوي البسالة والنجدة وسيراهما ليلاً الى دار بني الچابي حيث كان يسكن الوالي وهي اليوم تعرف بدار العدلية داخل دار الحكومة نخباء العساكر المذكورين في تلك الدار وامراهم متى جاءهم النذير ان يخرجوا بغتة ويحيطوا بكل من رؤه في دار الحكومة ويوقعوا القبض عليه ويسقوه الى الرباط العسكري فلما كان الغد وهو يوم الثلاثا رابع محرم الحرام سنة ١٢٦٧ حضر الزعماء المذكورون الى دار الحكومة ليأخذوا

الامان وتحرر اسماؤهم على الصفة المتقدم ذكرها — سرى الخبر الى العساكر المخبوءة بدار بني الچابي فاسرعوا الكرة باسلحتهم ولم يشعر الزعماء الا والعساكر قد احاطت بهم وخالطتهم واوقعت القبض عليهم ومشت بهم الى الرباط واودعوهم فيه وكان من جملتهم عبدالله بك ولما اتصل الخبر باتباعهم وحواشيهم وبقية احزابهم قامت فيهم الحمية الجاهلية وهاجوا وماجوا واخذوا يطلقون الرصاص على الرباط والقلعة وذلك في صبيحة يوم الاربعاء خامس محرم هذه السنة (١٢٦٧) فقابلهم الجنود باطلاق البنادق والمدافع واشتدت الحرب وكانت من الرباط اشد وكل من الحصنين صوب افواه مدافعه على محلة باب النيرب ومحلة قارلق وبانقوسا وكان كثير من سكان هذه المحلات قد لجؤا الى المحلات الداخلة في البلد لانهم لم يكونوا من حزب الثوار ومـا زال الحال سائراً على هذا المنوال الى ظهيرة اليوم المذكور ثم اخذت الحرب تخف حسب اشتداد الحر وبقي الحال هكذا الى وقت العصر وقد اظهر الجنود انهم قد انكسروا لعلمهم ان الثائرين يقاتلون من غير رئيس يقدم لهم الذخيرة من البارود والرصاص فقصدوا باظهار الكسرة ان يستصفوا ما عند الثوار من الذخيرة وفي تلك الاثناء تسلق جماعة من الثوار سطح الجامع الخسروي وقلعوا الواح الرصاص الذي صفحت به القبة ليصبوه بندقاً ولما كان بعد العصر سكن اطلاق الرصاص من الجانبين المتحاربين وعرض اعيان البلد الصلح عليهما فرضيا به وقرأت في احد مجاميع والدي انه لما كان بعد غروب هذا اليوم (يوم الاربعاء) اقبلت العربان على حلب

من فرق شتى كالعنزة والحديديين والبقارة والعساسنة وغيرهم ما ينوف على اربعة الاف رجل نجدة للثوار فقويت نفوس الثائرين ونكثوا عن الصلح وفي صبيحة الغد وهو يوم الخميس سادس محرم هذه السنة (١٢٦٧) نشبت الحرب بين الفريقين وحمي وطيسها وصبر كل منهما للآخر واستمر الحال هكذا الى وقت الظهر فتقهقر الثوار ودهشت العربان ثم عولوا على الفرار وانكسر الثائرون كسرة شنيعة وانحلت جموعهم فنزلت العساكر من الحصون في اثر الثوار واسعرت النار في سوق بانقوسا وسوق باب النيرب وقارلق فالتهمتها النار عن آخرها بعد ان غنم الجند اكثر ما فيها من الاموال والبضائع والقوا النار في كثير من بيوت المنهزمين وقتلوا عدداً كبيراً من الثائرين وغيرهم الذين لا دخل ولا تصنع لهم باحداث الفتنة وكانوا يقتلون كل من صادفوه حتى العميان والاولاد الصغار وهكذا اخذ المظلوم بجريمة الظالم وهذا مصداق قوله تعالى (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) وكان اكثر القتل في رجال تلك المحلات ووقع القبض على كثير منهم وكبست بيوتهم وبيوت اخر اختبئوا فيها داخل البلدة وتبعتهم العساكر الى القرى يقبضون عليهم وينكلون بهم تنكيلاً اه قال صاحب كتاب (محررات نادرة) التركي العبارة ما خلاصته بعد التعريب : لما وصل خبر هذه الحادثة الى استانبول انعقد في اليوم الخامس والعشرين من ذي الحجة هذه السنة (١٢٦٦) مجلس خاص لتلافي ما يقتضيه الحال في هذه الحادثة وبعد مفاوضة طويلة استقر رأي المجلس على ارسال اربعة كتائب

(طوابير) من العساكر اثنتين منهما من عساكر استانبول واثنتين من العساكر الخاصة لانه لا يوجد سوى هذين العسكرين صالحاً للارسال الى حلب لان جميع عساكر الدولة في ذلك الوقت كانت مشغولة بما هو اهم من هذا ، ولما استقر رأي المجلس على ارسال تلك العساكر كانت بواخر الدولة المعدة لحمل العساكر والاعتاد الحربية مشغولة بعضها مسافر وبعضها متصدع وقسم منها في محافظة الموانى فاضطرت الدولة ان تنتظر باخرة من بواخرها الى ان حضرت فارسلت فيها العساكر المذكورة ومعها ستة مدافع وعزلت والي حلب ظريف باشا وعينت بدله محمد باشا القبرصي وتوجه مع العساكر فوصل الى حلب في محرم سنة ١٢٦٧ وكانت الامور قد هدأت وشمل البغاة قد تشتت ومع هذا فان محمد باشا اخذ من يوم وصوله الى حلب يستقصي حقائق الامور ويفحص عن السبب والمتسبب حتى ظهرت له جلية الحال فنفى نحو ٨٠٠ شخص الى جهات مختلفة — كعكا وكريد وقبرص وامر بعقد مجلس خاص لتحصيل اموال النصارى وجعل رئيسه محمد اغا المكانسي واعلن ان المال المتحصل يدفع لذويه بعد ان يبرهنوا عليه وان ما لم يتحصل من اموالهم تقدر له قيمة وتوزع على اهل البلد وتجمع منهم بواسطة الحكومة كما انها هي التي توزع القيمة على النصاري الذين لا تظهر اعيان ما نهب لهم من الاموال في هذه الفتنة وبعد ان فرغ الوالي من تقرير هذه المهمة شرع بأخذ العسكر من ذوي الاختلال بلا قرعة ثم شرع بأخذ العسكر بالقرعة الشرعية من عامة اهل البلدة وهي اول قرعة كانت في حلب ايام الدولة

العثمانية وما زال الوالي يدبر امور البلدة و يقطع دابر المفسدين حتى استتب الامن وعادت المياه الى مجاريها ا ه قال شيخنا المكانسي وقبل وصول محمد باشا القبرصي الى حلب صدر امر الدولة بارسال ظريف باشا والي حلب وعبدالله بك البابنسي ومعه بعض اقاربه الى استانبول فارسلوا اليها و بينما هم في الطريق مات عبدالله بك مسموماً وقيل مات حتف انفه ثم ان والي حلب الجديد نفى تقي الدين افندي الى القدس وقبل وصوله اليها عفت الدولة عنه فسار الى الحجاز وحج وتوجه الى استانبول واستقر في منصب افتاء حلب فعاد اليها ونفى والي حلب ايضاً يوسف باشا الى قونيه فسار اليها ثم صدر العفو عنه فتوجه الى استانبول ومنها الى حلب وقد حاز رتبة مير ميران: انتهى ما قصدنا الى ايراده من اخبار فتنة حلب وقد اسهبت الكلام عليها خلافاً لما التزمت به نفسي من الايجاز في غيرها من الحوادث والكوارث لان هذه الفتنة الفاجعة آخر الفتن الاهلية في حلب ولأن التحدث بها لا يزال يدور على الالسن بين حين وآخر لقرب عهدها بكثير من الناس اللذين كان اباؤهم يحدثونهم بنتف من اخبارها وهم في توق شديد الى سماعها مفصلاً

— استطراد في الكلام على احترام رابطة اللسان ورابطة الجوار عند امة العرب في جاهليتها واسلاميتها —

ان قيام الغوغاء في هذه الحادثة على النصارى اخوانهم باللسان والجوار مما لم يسبق له نظير من يوم فتح المسلمون مدينة حلب الى يوم ظهور تلك الحادثة فما كان قيامهم هذا بالحقيقة الا نزغة شيطانية اثارها

في ادمغتهم عاصفة الطيش والجهـل الذي يأباها الدين وترفضها حقوق رابطة اللسان والجوار

ان كل من يتصفح وجوه التاريخ و يستقصي اخبار العرب في جاهليتها واسلاميتها يتضح له جلياً انه لا يوجد على وجه البسيطة امـة تضاهي امة العرب من جهة احترامها الرابطة اللسانية وحقوق الجوار

— الرابطة اللسانية - اما الرابطة اللسانية فقد جعلتها الامة العربية هي الجامعة الوحيدة للوحدة القومية التي تدعو الامة الى التحابب والتوادد والتناصر والتعاضد بحيث يكون كل فـرد من افراد هذه الامـة راقداً بواسطة هذه الجامعة في مهاد الوفاق والوئام مع باقي اخوتـه العربيين مهما اختلفت مللهم ونحلهم فقد يتجلى لك من ملامح وجوه التاريخ ان العرب المسيحيين والموسويين والوثنيين في البلدان والقرى والصحاري من اليمن والحجاز والحيرة والعراق والجزيرة والشام الجنوبية والشمالية كانوا في الازمنة الغابرة راتعين مع بعضهم في بحبوحة الامان والسلام على السواء و كانوا لا يعرفون التعصب للدين ولا النعرة الدينية بل كانت عصبياتهم لا تنعقد الا للجنسية والحلف والولاء والجوار كما ان الحرب التي تقع بينهم كانت لا تثور الا بسبب التنافس على مادة الحياة والتنازع على الرآسة لا لاختلاف الملة والدين فكانت قبيلة غسان مثلاً فيهـا المسيحي والموسوي والوثني تحارب قبيلة غفار التي يوجد فيها من الملل الثلاث لعداوة دنيوية او تنـافس قومي يقع بين القبيلتين ليس الا : ولم ينقل الينا التاريخ انه جـرى بين امتين عربيتين حرب اثارتها حميـة

دينية سوى الطفيف النادر الذي ربما كان سببه امراً خارجياً عن العرب صادراً بتحريض من جاورهم وملك السيادة عليهم من الامتين الفارسية والرومية

هكذا كانت الرابطة اللسانية مرعية عند الامة العربية القحطانية والعدنانية . ثم لما جاء الاسلام بقيت هذه الرابطة محترمة بين العرب المسلمين وغيرهم يعتمد العربي على العربي و يركن اليه لمجرد كونه عربياً غير ناظر الى ملته ونحلته حتى ان هذه العاطفة الملية كانت من جملة العواطف الشريفة التي تحلت بها شمائل النبي العربي محمد بن عبدالله بن عبد المطلب صلى الله عليه وسلم فانه لما اضطهده قومه الاقربون حسداً وحرصاً على الرآسة اضطر الى الهجرة عن وطنه والالتجاء الى قوم آخرين يأوي اليهم و يستنصر بهم على اعدائه نخير بالهجرة الى البحرين او المدينة او قنسرين فقال اوحي الى اي الثلاثة نزلت فهي دار هجرتك المدينة والبحرين وقنسرين ومعلوم ان هذه الجهات كانت مسكونة بالعرب فالمدينة كانت مأوى ابناء قبيلة الاوس والخزرج وكان يسكن في ضواحيها قبائل سليم وكلهم اهل اوثان وكان القاطنون جهة البحرين بطوناً من عبد القيس بن ربيعة و بكر بن وائل ومنهم كان امير هذه الجهة من قبل الدولة الفارسية حين مجيء الاسلام -- المنذر بن ساوى من بني حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وكان فيهم النصراني والوثني . اما قنسرين وهي الان قرية على مقربة من حلب وكانت بلدة عظيمة واليها كان يضاف الجند فيقال جند قنسرين فقد كان في جهاتها كثير

من القبائل العربية التي اشهرها تنوخ وهم من ذرية النعمان الذي تضاف اليه المعرة وكانوا نصارى ولا ريب ان النبي لم يخير بالهجرة الى احدى هذه الجهات الا لان اهلها عرب يحدبون عليه وينصرونه على اعدائه قياماً بحق الرابطة المرعية بينهم وهي وحدة اللسان · وهكذا بقيت هذه الرابطة محترمة بين العرب بعد انتقال النبي من هذه الدار الى دار القرار فان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي هو اعظم خلفاء الاسلام احترم الرابطة اللسانية وبنى عليها صرح نجاحه فيما يتوخاه من مآربه ومقاصده فامر العرب المسلمين في مبدأ خلافته ان يبدؤا بقصد العراق والشام دون غيرهما لان فيهما عرباً يتحدون معهم وينصرونهم وان كانوا على غير دينهم وقد صدقت الوقائع حسن رأيه وحققت الماجريات صحة تفرسه وذلك ان قائده الوليد بن عقبة لما قدم على عرب الجزيرة نهض معهم مسلمهم ونصرانيهم واستخلصوا الجزيرة من الروم ولما تقدم عبدالله بن المعتم قائد العرب المسلمين الى فتح تكريت والموصل انضم اليه عرب اياد وتغلب والنمر والشهارجة وكلهم نصارى فكان فتح هذين البلدين بواسطتهم · ولما قصد المثنى فتح البويب بعث الى من يليه من العرب المتنصرة يستنصرهم فوافى اليه منهم جمع عظيم وكان فيمن جاءه انس بن هلال النمري في جمع عظيم من النمر النصارى وقالوا نقاتل مع قومنا وقال المثنى لأنس انك امرء عربي وان لم تكن على ديننا فاذا حملت على مهران (وهو قائد من الفرس) فاحمل معي فاجابه الى ما طلب وحمل معه هو وقومه على مهران وكان قتل مهران غلاماً

نصرانياً قتله واستولى على فرسه . وحارب زبيد الطائي مع العرب في واقعة الجسر حتى قتل وكان نصرانياً وكثيراً ما كان عرب الشام والعراق عوناً لاخوانهم العرب المسلمين في حروبهم يرشدونهم وينصحونهم ويحملون اليهم اخبار اعدائهم من ذلك ان الوليد بن عقبة خرج غازياً الى الروم فجاءه رجل من العرب النصارى وقال له اني لست من دينكم ولكنني انصح للنسب فالقوم يقاتلونكم الى نصف النهار فان رؤكم ضعفاء افنوكم وان صبرتم هربوا وتركوكم . ومن هذا القبيل ان حمص بينما كانت في ذمة المسلمين اذ شغلوا عن حفظها فردوا على اهلها ما كانوا اخذوه منهم من الجزية فقال اهلها لولائكم وعدلكم احب الينا مما كنا فيه من الظلم والضيم ولندفعن جند هرقل عن المدينة معكم . على ان الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عرف حق هؤلاء العرب النصارى وكافأهم على حسن صنيعهم ونصرتهم للمسلمين وعاملهم بكل رفق ومواساة . من ذلك ان الوليد بن عقبة ابى ان يقبل من تغلب الا الاسلام فكتب اليه عمر بان يتركهم وما يدينون به وكان في تغلب عز وامتناع وقد هم بهم الوليد فخاف عمر ان يسطو عليهم فعزله وامر عليهم فرات بن حيان . ولما هم قواد المسلمين ان يضعوا الجزية على اهل الذمة وفيهم جماعة من تغلب واياد والنمر وهم نصارى — ابى هؤلاء الجزية وبلغ عمر ذلك فاستشار اصحابه فقال له بعضهم انهم عرب يأنفون من الجزية فوافق ذلك ما في نفسه ففرض عليهم الصدقة كما تفرض على المسلمين

هذه هي الرابطة القومية العربية وهذه حرمتها ورعايتها بين العرب في جاهليتهم واسلاميتهم

-- رابطة الجوار واما رعايتهم حرمة الجوار ومحافظتهم على حقوق الجار مهما جار فان الرجل من العرب كان قبل الاسلام متى قبل جوار انسان وجب عليه حمية ان يجيره من عدوه ولو ضحى عنه نفسه وان يفديه ولو بروحه و يقوم بحمايته من اعدائه مهما كانوا و يصونه من كل غائلة و يسعفه بكل طلب وحسبنا شاهداً على ما قلناه قصة الكلابي مع عمير بن سلمي . وخلاصتها ان رجلاً من بني كلاب كان جاراً لعمير و كان لعمير اخ اسمه قرين بغى على الكلابي فقتله فجاء اخو الكلابي واستجار بقبر ابى عمير وطلب من عمير ان يقتص من اخيه قرين فاجتهد عمير هو وقبيلته بالكلابي ان يقبل دية اخيه جميع ما تملكه القبيلة و يعفو عن قتل قرين فلم يفعل فقتل عمير اخاه قريناً بالكلابي وانشد

قتلنا اخانا للوفاء بجارنا و كان ابونا قد تجير مقابره

وانشدت ام قرين

تعد معاذراً لا عذر فيها ومن يقتل اخاه فقد الاما

هذا حال الجار عند العرب الجاهلية وهذه هي حرمة الجوار ورعايته فيما بينهم . ولما جاء الاسلام بقي الجوار محترماً عند المسلمين وارشد النبي الى احترامه بقوله ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه وقد قدمنا في الجزء الاول من هذا الكتاب (نبذة من حقوق الجوار) فراجعها تجد فيها ما يقنعك بان الجوار عند المسلمين لا يقل احترامه عما

كان عند العرب قبل اسلاميتهم

– رجعنا الى سرد الحوادث – وفي سنة ١٢٦٨ ولي حلب عثمان نوري باشا

– النفير العام – وفي سنة ١٢٦٩ كان النفير العام في البلاد العثمانية لمحاربة المسكوب (الروس) فخرج من حلب خمسمائة متطوع وكان قائدهم علي بك بن سعيد افندي شريف ومن جملة المتطوعين المرحوم الشيخ علي بن محمد النيرباني الشهير بابن ناصر اغا . وهذه الحرب هي المعروفة بحرب القريم كانت الغلبة فيها للدولة العثمانية بمساعدة حليفتيها فرانسة وانكلترا وقد عاد المتطوعون بعد ستة اشهر ولم ينقص منهم غير القليل وكان من اعظم المشوقين الى المتطوعين الحلبيين والدي كما اخبرني بذلك تلميذه الشيخ علي المومأ اليه وفي هذه السنة (١٢٦٩) ولي حلب سليمان رأفت باشا ابن مصطفى اغا وكان لطيفاً ظريفاً محباً للعلماء والادباء ومدحه والدي بقصيدة اجازه عليها توجيه وظيفة التحديث عليه في اموي حلب

وصول السكاير الى حلب – وفي سنة ١٢٧٠ وصل الى حلب استعمال التبغ باللفافات المعروفة بالسكاير فانكر الناس التدخين بها اولاً ثم الفها اكثرهم وهجروا التدخين بالقصبات المعروفة بالغليون . وكانوا قبل ذلك يتغالون بالغلايين والاكابر منهم يتخذونها من عود الياسمين وربما بلغ طولها ثلاثة اذرع او اكثر وكان الاغنياء واولو الوجاهة من الناس يجعلون في فم القصبة حلمة عظيمة قد تكون قدر بيضة الحمام

من الكهرباء يسمونها (امزك) او (طقم) وربما تبلغ قيمة البعض منها الف قرش وزيادة لانها قد يكون بين قطعها خواتم مرصعة بالالماس والاحجار الكريمة وكان لصنعة قصبات التدخين في حلب عدة حوانيت واشتهر بهذه الصنعة عدة بيوت يعرف احدها ببيت الجبوقجي كما ان البوادق التي يحرق فيها التبغ المدخن بالغليون كان لها عدة حوانيت يعرف اصحابها بالبوادقجية وهم يعملونها من الطين ولاهلها براعة في عملها وقد اشرنا الى هاتين الحرفتين في الكلام على صنائع حلب من الجزء الاول من هذا الكتاب . وفي سنة ١٢٧١ ولي حلب اسماعيل رحمي باشا

— ظهور بقلة الطماطم في حلب في هذه السنة ظهر في حلب بقل عرف باسم (باذنجان افرنجي) او باسم (بنادوره) احضر بزره من مصر احد التجار وزرع في حلب فانجب واخصب غير ان الحلبيين لم يألفوا اكله في اوائل ظهوره بل كان بعضهم ينفر منه حتى ان بعض البسطاء كان اذا رآه او ذكر في حضوره ينطق بالشهادتين توهماً منه انه من الخضر المحرمة التي اخترعها الفرنج وكان النادر من الناس اذا رضي باكله يقتصر على الاخضر مطبوخاً و يتحامى الناضج الاحمر منه زاعماً ان هذا (وخم) مضر يسبب الامراض ثم على تمادي الايام الف للناس اكله وصاروا يتحامون الاخضر منه ولا يستعملونه الا مخللاً واقبلوا على استعمال الاحمر الناضج اقبالاً زائداً حتى صاروا يعملون من عصيره دبساً يدخرونه للشتاء لتطييب اطعمتهم التي لا تلذ في اذواقهم الا بعد

ان يضاف اليها شيءٌ منه وفي سنة ١٢٧٢ ولي حلب حمدي باشا فبقي فيها مدة وكثرت شكوى الناس منه فندبت الدولة لفحص احواله رجلاً يقال له امين افندي محاسبهجي فحضر الى حلب وفحص احواله فثبت لديه ظلمه وتجاوزه على اموال الدولة فانهى بعزله فعزل وولي حلب مصطفى باشا الاشقودري وفي سنة ١٢٧٤ وليها الحاج محمد كامل باشا وفي سنة ١٢٧٥ وليها محمد رشيد باشا. وفي شتاء هذه السنة اثلجت السماء في حلب وضواحيها اربعين يوماً فخربت عدة بيوت ومات ما لا يحصى من الاغنام وتعطلت الطرق

— قطع الماء عن قسطل الرمضانية — وفي هذه السنة (١٢٧٥) حكم بسد ثقوب مجرى بردبك الى قسطل الرمضانية وصدر بذلك حجة شرعية محررة صورتها في سجل المحكمة الشرعية المحرر على ظهره (من سنة ١٢٧٣ الى ١٢٧٥) وفي سنة ١٢٧٦ ولي حلب اسماعيل باشا ثم في سنة ١٢٧٧ وليها عصمت باشا الشهير بدالي عصمت وكان الناس يهابونه حتى الاجانب وفي سنة ١٢٧٨ وفد من الشرق جراد كثير واستمر يعيث ويفسد في حلب وبلادها الى سنة ست وثمانين

— تمديد السلك التلغرافي — في هذه السنة (١٢٧٨) او التي قبلها صار الشروع بتمديد السلك البرقي في حلب وبعض ملحقاتها وكان البسطاء من الناس اذا قيل لهم انه ينقل الاخبار من بلد الى اخرى مهما كانت بعيدة بلحظة كطرفة عين — ينكروا ذلك ويقولوا لا شك ان الذي ينقل هذا الخبر شيطان مارد منبث في التيل وفي سنة ١٢٧٩

ولي حلب ثريا باشا

— بناء دور في جبل الغزالات وفيها انشأ الوالي في قمة جبل الغزالات داراً ذات غرف كثيرة وتبعه المرحوم الشيخ محمد بهاء الدين افندي الرفاعي مفتي حلب فانشأ في ذيل الجبل قصراً وذو الكفل بك دفتردار الولاية فانشأ في جواره داراً عظيمة لم تزل اطلال هذه المنازل باقية حتى الان

— وصول استعمال زيت البترول الى حلب — وفي سنة ١٢٨٠ وصل الى حلب استعمال زيت البترول المعروف بالكاز في المصابيح المعروفة باللنبات واحدها (لنبه) وقد تحامى الناس استعماله في اول ظهوره زاعمين ان ريحه يؤذي الصدر وان سطوع نوره يضر البصر وكان من يستعمله من الناس يقتصد بصرفه جداً بحيث كان ملء اللنبة منه يسهر عليها عدة ليالٍ الى منتصف الليل وهو معذور بذلك فان ضوء هذا المصباح مهما كان ضعيفاً فهو اسطع بكثير من ضوء السراج والقنديل والشمع وغيرهما من الظروف التي يكون الاستصباح بها بواسطة زيت الزيتون ولا شك انه اقل ضرراً من هذه الظروف التي ينبعث منها الغثان والسخام فيضرا بالصحة ويسودا المنزل واثاثه ويضعفا البصر وقد ظهرت للناس فوائد الكاز بعد مدة قليلة فعم استعماله وبطل استعمال جميع ظروف الاستصباح وتركت في زوايا الاهمال حتى اصبحت نسياً منسيا . وفي هذه السنة (١٢٨٠) حدث في حلب اغلاء شديد وبرد قارص ادهش العقول . وفي سنة ١٢٨١ ولي قضاء حلب قاضٍ عرف

عند الناس باسم (ابي ديه) لان يده مقطوعة من مفصل ذراعها وكان ظالماً منهمكاً بالمعاصي متجاهراً بتناول الرشوة : وفي ٢٤ جمـاي الاولى من هذه السنة - ابرقت السماء وارعدت ثم قذفت برداً كباراً واحدته في حجم البيضة او اكبر واستمر نحو ١٥ دقيقة فهلك به الوف من الطير وانكسر للناس من زجاج نوافـذ البيوت مـا قيمته خمسمائة الف قرش وكان من غريب امره انه لم يتجاوز مدينة حلب

— تشكيل لواء الزور — وفي ابتداء فصل الربيع من هذه السنة توجه الوالي ثريا باشا ومعه شرذمة من العساكر لردع الاعراب المتمردين على الدولة في جهة الزور فاخضعهم واجرى عليهم قوانين الدولة وعين عليهم قائممقام وشكل متصرفيـة الزور بالدير الحمـراء ورجع الى حلب وفي اواخر هـذه السنة كثر تعسف القاضي ابى دية وضجر منه الناس ورفعوا بسوء حاله محضراً الى الدولة فعزلته وولت مكانه عثمان افندي وكان غايـة بالصلاح وفي سنة ١٢٨٢ في المحرم عاد الحـاج من الحجاز واخبروا انه مات هناك بالهواء الاصفر نحو مئة الف نسمة وكان ابتداؤه في تلك البلاد يوم عيد الاضحى ثم في هذه السنة وصل هـذا المرض الى حلب وكان معظم سطوته في ربيع الاول وبلغت وفيـاته اليومية ثلاثمائة نسمة وقد اصبت به ونجوت واصيبت والدتي فتوفيت وكان الناس يدورون في الازقـة ليلاً ويستغيثون بالله ويخرج بعض القراء الى المآذن ويقرؤن سورة الدخان وفي سنة ١٢٨٣ شكلت ولاية حلب وفيها حررت نفوس ولايتها وفيها وليها جودت باشا صاحب

التاريخ المشهور وفي محرم سنة ١٢٨٤ صدرت الارادة بتخفيض البدل العسكري الى ٨٠ ذهباً عثمانياً وكان مئة ذهب وفيه قسمت الحكومة محلات حلب الى اثنتي عشرة منطقة سمت كل واحدة منها قولاً الفت له مجلساً من مختاريه واختياريته

– صدور جريدة الفرات – في محرم هذه السنة (١٢٨٤) صدرت صحيفة الفرات الرسمية الاسبوعية باللغتين التركية والعربيـة وهي اول جريدة صدرت في مدينة حلب ثم صدر العدد الخمسون منها باللغات الثلاث التركية والعربية والارمنية ثم صدر العدد الـ ١٠١ باللغتين التركية والعربية فقط وكان في بعض الاثنات يصدر لها ملحق تحت عنوان علاوهٔ فرات او غدير فرات

اسس هذه الصحيفة مكتوبي الولايـة حالت بك وهو الذي تولى تحريرها واستمرت هذه الوظيفـة تناط بمكتوبي الولاية يتناولون راتبهم الشهري عليها من ريع المطبعة واول مترجم لها من التركية الى العربية (احمد حمدي افندي ابن محمد بن عبد المعطي زوين الحلبي) وكان اديباً شاعراً وفي سنة (١٢٩٠) هاجر الى الحجاز وتولى ترجمة الجريدة بعده (عبد القادر افندي ابن تقي الدين افندي) الذي تولى بعد الكتابة الثانية عند السلطان عبد الحميد خان الثاني ثم تولى الترجمة بعده فقيد الوطن السيد الفاضل عبد الرحمن افندي الكواكبي ثم في حدود ١٣٠٠ انيطت هذه الوظيفة بي و بقيت في عهـدتي نحو عشرين سنة استقلت منها في خلالها عـدة مرات وكنت اعود اليهـا بطلب من المكتوبية

والحاحهم وفي حدود سنة ١٣٢٤ وكان بها العالم الاستاذ الشيخ محمد خير الدين افندي الحنيفي فبقي قائماً بها الى ان الغيت في ايام النفير العام سنة ١٣٣٤ وآخر ما صدر منها العدد الـ (٢٤٢٠) ثم صدر بعدها عوضاً عنها جريدة عنوانها (حلب) وهي تصدر الان باللغة العربية فقط يتولى تحريرها الاديب الفاضل السيد محمد منير المدور البيروتي وهو مدير مطبعتها ايضاً وقد دخلت غلتها الى مالية الدولة وصار مستخدموها يتناولون رواتبهم من صندوق المال العام بعد ان كانوا يتناولونها من صندوق المطبعة الخاص

— سالنامة الولاية — كلمة سالنامة فارسية مركبة من كلمتين (سال) سنة و (نامه) ورقة وقد تطلق على كتاب يصدر في آخر كل سنة يشتمل على احصائيات الولاية المالية وغيرها وعلى اسماء موظفيها وعلى بعض شؤن تاريخية سياسية ومدنية قديمة وحديثة تتعلق بمركز الولاية وبعض اعمالها وعلى جغرافية الولاية وما فيها من الجبال والغابات والمعادن والبحيرات وعلى غير ذلك من المسائل والمقاصد التي تفيد الراغب بالاطلاع على احوال الولاية فائدة اجمالية لا يستغنى عنها وقد دعيت في اول صدورها باسم (فهرست السنة) ولعل تسميتها (سنوية الولاية) يكون موافقاً : اول من اصدر هذا الكتاب في حلب حالت بك المكتوبي في هذه السنة (١٢٨٤) وقد صدر المرة الاولى صغيراً وطبع على مطبعة الحجر وما زال يتسع حجمه وتزداد مسائله الى حدود سنة ١٣٠٠ واذ ذاك انيط تحرير صحيفة الفرات بعارفي بك احد موظفي قلم المكتوبي الذي

صار بعد رئيس الكتاب في مجلس ادارة الولاية فاجتهد المومأ اليه بتوسيع السالنامه وتوفير ابحاثها وطلب مني مساعدته على ذلك وكنت وليت ترجمة صحيفة الفرات فبذلت جهدي في مساعدته وقدمت له عدة كتب تاريخية لاستخراج ما فيها من المسائل التي لها علاقــة بحلب فتوفرت فوائد السالنامة وعظم حجمها وصارت تصدر كل سنة مطبوعة بالحرف ثم في سنة ١٣٠٤ تحول عارفي بك الى جدة قائم مقام عليها وبقيت السالنامة تصدر تارةً بترتيب مكتوبي الولاية واخرى بترتيب صــديقنا المحترم السيد اسعد ابن ناجي افندي امام زاده الشهير بالعينتابي وكان قائماً بوظيفة مديرية اوراق الولاية وكان يحرر صحيفة الفرات في اكثر الانات بالنيابة عن المكتوبي وفي ايام قيامه بترتيب السالنامه صححت منها جدول عمال حلب وكفالها وولاتها بطلب منه وكان فيه اغلاط كثيرة على انه لم يزل يوجد فيه اغلاط احدثتها ايدي عملة المطبعة ولم تزل السالنامة تصدر الى سنة ١٣٢٦ وفي هذا التاريخ قلت مداخيــل المطبعة وعجزت عن النفقات المقتضية للسالنامة فاهملت وما زالت مهملة حتى الان

عارفي بك هذا اول من قال في السالنامــة ان نهر قويق سمي باسم قويق اغا الذي جره من منبعه الى حلب : وقد آخذته بهــذه الغلطة وشافهته بها حين مرَّ من حلب متوجهاً الى مرعش متصرفاً في لوائهــا وقلت له ان كلمة قويق محرفة عن قواق التي يطلقهــا الاتراك على شجر الحور وان هذا النهر سمي بنهر قواق لما يزرع عليه من هذا الشجر حتى

انه ليوجد في نفس مدينة عينتاب منتزه يعرف باسم (قواقلق) اي مزرعة الحور فاقر رحمه الله بغلطه وصوب رائي فيما رأيته بهذه الكلمة

— غرائب الخلق - في هذه السنة (١٢٨٤) ولد في انطاكية مولود برأسين احدهما بشعر واذن وانف وفم والاخر بعين واحدة فقط وقد ولد حيّاً ومات بعد دقائق

وفيها اهتمت الحكومة بجمع بزر الجراد من اطراف الولاية فجمعت منه نحو عشر بن الف شنبل الشنبل وزن خمسين اقة وقد وزعت على كل فرد مقداراً معلوماً من البزر وفتح لشرائه من التجار مسواق فاشتغل الفقير وربح التاجر وخف الضرر في تلك السنة

— الشروع بفتح طريق اسكندرونة - وفيها كان الشروع بتعبيد طريق اسكندرونة وقد فرض على كل ذكر بالغ عمل اربعة ايام اما بنفسه واما ببدل نقدي عن كل يوم عشرة قروش وكان ابتداء العمل به في اليوم الثاني عشر ربيع الاول تبركاً وتيمناً وحضر وقت الابتداء به عدة من اشياخ حلب وعلمائها وصلحائها ومن جملتهم العالم الكبير الشيخ احمد الترمانيني وهو اول من اعطى عن نفسه البدل النقدي اربعين غرشاً فاستبشر الناس بنجاح المشروع فيه وتفاءلوا خيراً وفي هيار هذه السنة اختنق تسعة حجارين من الملة المسيحية في مغارة البختي خارج حلب الى شماليها وذلك ان المذكورين التجوءا من المطر الى المغارة المذكورة فلم يشعروا الا وقد كبسهم السيل فاختنقوا عن آخرهم وفي ليلة الجمعة سابع وعشرين صفر منها المصادف حزيران الرومي تغير الجو في قصبة

ريحاً وبرد الهواء برداً شديداً لم يعهد مثله في الشتاء الشديد حتى اضطر الناس للتدثر بالملابس الشتوية وايقاد النار في بيوتهم وفيهـا صدرت ارادة سنية بمنع زرع التبغ المعروف بالتوتن وفيها كان اخضاع الاعراب المتمردين على الدولة في صحراء حلب بعد مقاومة شديدة وكثرة القتـل والاسر في رؤسائهم وقد اخذت منهم قرعة شرعية واستفلحوا وعانوا الزرع والفلح وفي ربيعها الثاني زينت البلدة زينة حافـلة فرحاً بعود المرحوم السلطان عبد العزيز خان من سياحته في اوروبا الى العاصمة

— حريق اسواق حلب — وفي الساعة السادسة من ليلة الاحد ثالث جمادي الاولى المصادف الليلة الحـادية والعشرين من آب سنة ١٢٨٧ رومية شبت النار من دكان في وسط سوق الصاغة ولم يدركها رجال الدرك الا وقد سرت الى ما جاورها ثم انتقلت الى الاسواق المتصلة بذلك السوق فاستعرت والتهبت وانفتحت منهـا ابواب جهنم واخذ الناس يفرغون حوانيتهم الى الجامع الكبير حتى صار فيه تلال من الارزاق ومنهم من لم يتمكن من تخليص رزقه وكان الدخان يعلو في الجو طبقات متراكماً بعضه فوق بعض اسود حالكاً كأنه قطع السحاب المكفهر وقد ارتفع من اسفله مارج النار يتلظى كالطود العظيم الذي يسمع منه دوي وفرقعة تقشعر منها النفوس ولم تزل هذه النار الحاطمة في اضطرام وهيجان حتى اتت على سوق الصياغين والبزازين المعروف بسوق البالستان مع جميع تشعباته وزواياه وخـلاياه وسوق العقادين وسوق الطرابيشية وسوق القوافين وبعض سوق استانبول الكائن وراء شرقية

الجامع الكبير وقد احصي ما احترق من الحوانيت والدكاكين فكانت ٣٢٣ دكاناً وحرر ما احترق من الاموال المنقولة تقريباً فكان يساوي ما قيمته عشرة الاف كيس (الكيس خمسمائة قرش) ومن لطف الباري تعالى على عباده ان النار لم تصل الى سوق العطارين مع انها لم يبق بينها وبينه الا مسافة بضعة اذرع ورأيت عند بني المركوبلي مكتوباً مذيلاً بنحو مائتي توقيع من تجار الملل الثلاثة في حلب يتضمن عبارات الشكر من الخواجه نقولا المركوبلي على ما ابداه من الرأي والاشارة الى هدم زابو في سوق الذراع وسوق الباطية لقطع الطريق على النار منعاً لها من الوصول الى سوق العطارين فانها لو اتصلت به لانعدمت حلب حرقاً وهدماً لما اشتمل عليه هذا السوق من انواع البضائع الملتهبة كالبارود والنفط والسندروس والزفت والقير وغير ذلك بحيث كان فيه من هذه البضائع قناطير مقنطرة وقد اختلف الناس في اسباب هذا الحريق العظيم فمنهم من قال انه مفتعل من الحكومة بقصد التمكن بعده من توسيع هذه الاسواق لانها كانت غاية في الضيق ومنهم من زعم ان السبب نار تركها بعض الصاغة في كانونه فطارت منها شرارة على مفرش فيها وعلقت والله اعلم بحقيقة الحال وفي الساعة السابعة والدقيقة العاشرة من الليلة الخامسة عشرة من جمادي الاولى ابتدأ القمر بالخسوف وكمل انجلاؤه في الساعة العاشرة والدقيقة العاشرة وفي هذه السنة كان تشكيل كثير من اقضية حلب والويتها

— ميت عاش. — في رمضان هذه السنة توفي لرجل يقال له الشيخ

محمد من سكان محلة مستدام بك في حلب ولد صغير عمره ثمانيــة اعوام فجهز وحمل الى المقبرة و بينما الحمالون سائرون به لم يشعروا الا وقد تحرك واخذ بالبكاء فرجعوا به الى بيت ابيه وعاودته الصحة وفيها كان الشتاء شديداً والمطر غزيراً ولاسيما في شباط فقــد طغت فيه الانهار وضجر الناس من كثرة المطر والثلج والجليد والبرد القارس وفي اواخر محــرم سنة ١٢٨٥ وصل الى حلب والياً عليها ناشد باشا وفي اليوم الرابع عشر صفر خرج الوالي مع الهيئة المرتبة لترميم القناة وكاشفوا احوالها ورتبوا عملها وقد تكلمنا على ما كان منه في قناة حلب عند الكلام عليها في الجزء الاول فراجعه وفيها صدرت ارادة سنية بجواز زرع التبغ بشرط ان يأخذ الزراع رخصة من ادارة الرسومات وفيهــا امر الوالي بتوسيع حجرة الميقاتي باضافة حجرة اخرى اليها على باب الجامع من جهــة سوق الطيبية وامر بجلب ساعة كبيرة توضع فيها وفي جمادي الاولى امر الوالي بتبديل سقوف اسواق حلب بالسقوف المعروفة بالجملون وكانت قبلاً من الحصر المنسوجة من البردي والقصب كثيرة الاستعــداد للالتهاب فشرعوا بذلك مبتدئين من باب النصر وفي هذا الشهر كان تعــديل الاوزان ورسمها بطابع البلدية وفيه كان افتتاح دار الاصلاح المعروفة باسم اصلاحخانة

— سفر الوالي الى طريق اسكندرونة وما اجراه من الاصلاح —

وفي اواخر جمادي الثانية سافر الوالي لمشارفــة طريق اسكندرونة وفي التاسع والعشرين منه ورد منه الى وكيله حسني باشا الفريق العسكري

محررات مثالها ان الطريق المذكور تبلغ مسافتة ٣٢ ساعة وفيه عدة محلات تحتاج الى جسور وخنادق ومنها عفرين فانه محتاج الى جسر يعسر بناؤه قال ولذا عولنا على سلوك طريق آخر هو بالجانب الفوقاني من ذلك الطريق في مسافة ٢٢ ساعة و يكون تمديده من جهة قلعة الكو بهلي و بسلوكه تقرب المسافة عشر ساعات و يكتفي بجسر جزئي على عفرين ثم قال ووجدت الجبل الكائن فوق خان العسل المتوسط بين عدة قرايا كالاثارب وابزمو وتلعده على مسافة سبع ساعات من حلب خالياً من الشجر فحملنا اهل تلك القرى على غرسه بشجر التين والعنب والزيتون واخذنا منهم كفلاء على ذلك ووجدت ادارة الريحانية غير منظمة لخلوها عن مركز حكومة واستبداد اغواتها فعزمنا على بناء مركز للحكومة في تلك الجهة ورفعنا عنها سلطة اغواتها وفرقنا اراضيها المملوكة لهم بحق عن غيرها ومكنت الفقراء من العمل فيها وفي هذه السنة فرش مقدار كبير من ازقة حلب بالبلاط على نسق الجملون وهذه اول مرة فرش فيها البلاط على هذه الصفة وفي اليوم الثاني عشر من شعبان رجع الوالي الى حلب وفي شوالها بدأ الوالي ان يجعل بعض الخرائب الكائنة تجاه باب القلعة منتزهاً عاماً واناط اجراء ذلك بحسني باشا فغرست الاشجار وحوط بدائر وحفر لسقايته دولاب في شرقي باب القلعة على غلوة منه فلم يمض سنة الا وتعطل واهمل وعاد كما كان وفي الساعة التاسعة من الليلة الخامسة عشرة ذي الحجة هطلت السماء في مرعش بالامطار الغزيرة واعقبها زلزال انهدم به هناك منزلان

– تولي الحكومة بريد اسكندرونة – وفي اليوم الرابع عشر ذي القعدة انيط البريد الذي كان يتردد من حلب الى اسكندرونة بالحكومة العثمانية وكان قبلاً يسافر عن يد قنصل فرنسه المقيم في حلب وفي ذي الحجة قصدت جماعة البغالة من الفرقة النظامية الاعراب بسبب كثرة فسادهم واوقعت بعشيرة المهيد وهريب والشميلات والعجاجرة والسباعة وكانت الوقعة في مفاوز الزور فانخذل الاعراب واستولى العسكر على نحو عشرين الف رأس غنم ومئة وخمسين جملاً واتوا بها الى حلب وفي يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الاول سنة ١٢٨٦ سافر الوالي الى جهة المعرة التي الحقت في تلك الايام بولاية حلب فرتب امورها وكاشف قراها وكانت قبلاً ملحقة بولاية دمشق مضافة الى حماه وفي الساعة التاسعة من ليلة الاثنين غرة شوال المصادف اليوم الحادي والعشرين من كانون الاول سنة ١٢٨٥ رومية حصل زلزلة بحلب مرتين من الشمال الى الجنوب فانهدم بها بعض جدران في ظاهر حلب مشرفة على الخراب ولم يحدث منها ضرر غير ذلك وفي هذه السنة ولي حلب درويش باشا

– ابتداء العمل في محلة العزيزية وفيها كان ابتداء تأسيس الابنية في حارة العزيزية على جبل النهر وسببها انه لما فتحت دار الاصلاح المتقدم ذكرها ارادت الحكومة ان تجعل لها جهة دخل تقوم بالنفقات التي صرفت عليها فباعت جبل النهر لجماعة من المسيحيين وعمروه محلة لهم على نسق جديد من الابنية وسعة الشوارع وفي هذه السنة كان الجدب مستولياً

على حلب وبرهـا بحيث لم ينبت فيها حبة ولا نزل من السماء قطـرة واشتد الغلاء حتى بيع رطل الخـبز بتسعة قروش ونصف القرش بدل قرش وربع القرش واستمر هذا الحال الى دخول سنة ١٢٨٧

- زلزلة انطاكية — فيآذار الرومي هذه السنة (١٢٨٧) في ضحوة يوم من ايامه زلزلت حلب زلزلة قوية بحيث ايقظت من كان نائماً وسقط بها بعض شرفات من سور القلعة وعدة جدران متوهنة ولم يمض غير بضع ساعات حتى ورد من انطاكية للوالي تلغراف يفيد انـه في الوقت المذكور حدث هناك زلزال قوي اتى على جميع ابنية انطاكية بحيث لم يبق منها الا القليل النادر فانهدمت البيوت والجوامع والخانات وبعض الحمامات ومات تحت الردم خلق كثير والاحياء كلهم خرجوا على وجوههم الى الصحراء ليس عندهم قوت ولا خيمة يأْون اليهـا مسلمين انفسهم لحر الشمس وبرد الليل ثم اخذ يتوارد من التجار وغيرهم المقيمين في انطاكية تلغرافات مثالهـا ما ذكر فشاع الخبر عند الحلبيين فضجوا واضطربوا وخرج كثير منهم الى البساتين والبرية فمنهم من ضرب خيـاماً واقام تحتها هو واهله وولده ومنهم من باشر عمل بيوت من الخشب ليقيم بها كذلك ثم بعد ليلة او ليلتين في اواسط الليل اهتزت الارض مرة ثانية هزة خفيفة لم يحدث منها ضرر وهكذا استمر الحـال في كل بضع ليالٍ تهتز هزة خفيفـة دون ان يحصل منها ضرر وكانت في انطاكيـة كلما اهتزت اضرت حتى بقي اهلها في اسوء حالة واخذت الحكومة تتدارك لهم الاعانة من القوت والخـيم وارسلت ذلك اليهم الى ان فرج الله عن

عباده ودخل شهر نيسان وانقطع الزلزال واطمأن الناس ورجع اكثرهم الى منازلهم و باشر اهل انطاكية تعمير بيوتهم وفي سنة ١٢٨٨ ولي حلب ثريا باشا ثانية ثم في سنة ١٢٨٩ وليها الحاج علي باشا ثم سامح باشا وفي سنة ١٢٩٠ وليها كورد احمــد باشا وفي سنة ١٢٩١ وليها رشدي باشا الشرواني الصدر الاسبق فلم يلبث غير تسعة ايام والياً وصرف عنها الى ولاية الحجاز وصحبني معه اماماً وولي حلب مكانه محمد رشيد باشا ثانية وكان وليها سنة ١٢٧٥ وفي سنة ١٢٩٢ وليها سامح باشا ثانية ثم اسعد مخلص باشا

- انقضاض صاعقة - وفي نيسان الرومي من هــذه السنة انقضت صاعقة في محلة البياضة فقطت نحو النصف من منــارة جامع الحموي وكانما انفصل منها شظية فصدمت جدار قبلية الجامع المذكور من اعلاه فغاصت به وثقبته ثقباً منتظماً وخرجت من نجف الشبــاك واصابت رجلاً يصلي المغرب فقتلته دون ان يبقى لها اثر به واصابت رجلاً فــي رجله فلم يمت لكنه بقي في رجله اثر كانه كي نار وكانت المنارة قــد سقطت على سواس ماراً من تحت القلعة فقتلته ايضاً وفي سنــة ١٢٩٣ ولي حلب امين باشا وفيهــا حصل بحلب هيضة ابتدأت من شعبان واستمرت الى اواخر شوال و بلغت وفياتها اليومية مئة وخمسين نسمة وفي ٢٧ ربيع الاول من هذه السنة خلع السلطان عبد العزيز وجلس مكانه السلطان مراد خان فبقي سلطاناً ثلاثة اشهر وثلاثة ايام ثم خلع وجلس بدله على عرش السلطنة السلطان عبد الحميد خان الثاني . وفي

محرم سنة ١٢٩٤ رفعت رتبة كامل باشا الى الوزارة وعين والياً على فوصوه وقبل ان يسافر اليها حول الى ولاية حلب فقدم عليها في اليوم الـ ١٤ صفر واستقام بها سنتين وشهراً . ذكر ذلك في ترجمة حاله وغلط في السالنامة اذ ذكر ولايته سنة ١٢٩٥ وقد اختارني اماماً له في صلاة التراويح

— صدور جريدة في حلب وفيها صدر في حلب جريدة عربية عنوانها الشهباء لصاحب امتيازهـا السري الماجد الحاج هاشم العطار المعروف ايضاً بالخراط . وقد تولى تحريرها الكاتب البارع المرحوم عبد الرحمن افندي الكواكبي بمساعدة جماعة من ادباء حلب غير ان الجريدة ما لبثت سوى ايام قلائل حتى امر بابطالها والي حلب كامل باشا المعروف بكراهية صحف الاخبار

— النفير العام - وفي هذه السنة ١٢٨٤ اعلنت الدولة العثمانية في بلادها النفير العام لمحاربة روسيا فحشدت العساكر من جميع بلادها ومن جملتها حلب التي جندت منها عدداً عظيماً حتى كادت تخلو من الشبيبة ولذا اصبحت الحكومة تخشى من قيام الغوغاء للنهب والسلب فجعل كامل باشا شيخنا محمد اغا المكانسي كمتسلم لحلب لاجل حفظها فجمع محمد اغا عصابة من شبيبة محلة باب النيرب وجعل يطوف بهم ليلاً في شوارع حلب ومحلاتها الى ان انتهت الحرب وعاد المتجندون الى اوطانهم ولم يحصل في حلب ما يخل بالسلام

— شتاء شديد — في سنة ١٢٨٥ كان الشتاء شديداً وتوالى سقوط

الثلج على حلب واكثر اعمالها نحوا من اربعين يوماً حتى هجمت الظباء والذئاب على العمران وانقطعت الطرق والمواصلات ومات في البر عدة اوادم وهلك الوف من الغنم والمواشي

— تشكيل عدلية حلب — وفي هذه السنة (١٢٩٥) شكلت عدلية حلب وقد اسلفنا ذكر (محكمة البداية) في الجزء الاول من هذا الكتاب وفي سنة ١٢٩٦ ولي حلب غالب باشا ثم سعيد باشا

— غلاء شديد — وفيها ارتفع سعر الحب في تشرين الاول واستمر الى حزيران واشتد الغلاء وبيع رطل الخبز باثني عشر قرشاً بدل قرش ونصف وارتفع سعر بقية المأكولات على هذه النسبة كالرز والعدس والبرغل واللحم فاضطرب الفقراء وثاروا في احد الايام ومشى منهم جمهور الى السوق الكبير المعروف باسم (المدينة) واخذوا يتخطفون المأكولات من سوق العطارين وبعض البضائع من بقية الاسواق فاسرع الناس الى اغلاق حوانيتهم وخيف من حدوث ثورة عامة وكان الفريق على الجندية جميل باشا ابن نامق باشا فنزل من الثكنة العسكرية مع ثلة من الجنود وهددوا الثوار فارتاعوا وسكنت النائرة . وهذا اول عمل اشتهر به جميل باشا بين الحلبيين فاحبوه ومالت نفوسهم اليه وقدموا له محضراً عاماً يتضمن طلبهم منه ان يكون والياً عليهم وكان سعيد باشا يرى ولاية حلب دون مرتبته فكان قيامه بامور الولاية قياماً يصحبه سآمة وفتور ثم لما علم بميل الناس الى جميل باشا الفريق العسكري استقال من خدمته وكان جميل باشا قد ارسل محضر اهل حلب الناطق بطلبه والياً

عليهم الى استانبول فقبله الباب العالي وجعله والياً على حلب علاوة على وظيفتــه الفريقية العسكرية فجمع بين الوظيفتين وكان ذلك في سنة ١٢٩٧

— صدور جريدة في حلب في هذه السنة صدر في حلب جريدة عنوانها (الاعتدال) احد وجهيها عربي والآخر تركي لصاحب امتيازها السيد هاشم الخراط السالف الذكر وقــد تولى تحريرها المرحوم عبــد الرحمن افندي الكواكبي وسعيد بك ابن علي باشا شريف احــد ادباء حلب فلم تلبث الصحيفة غير قليل حتى امر جميل باشا بتعطيلها

— حريق في مرعش في ليلة الجمعة ثالث شوال سنة ١٣٠١ شبت النار من احد افران مدينة مرعش وسرت الى ما جاوره وكان الهواء شديداً فقوي استعارها ولم تخمد الا بعد ان التهمت الفا ومائتي دكان وار بعين داراً وخمسة جوامع وحماماً وخانين والرباط العسكري ودائرة البلدية وقدرت قيمــة ما اتت عليه هذه النار بمئة وخمسين الف ذهب عثماني . وقد تدارك اهل حلب جمع اعانة وافرة لاسعاف المنكوبين من اهل مرعش بهذا الحريق

— سقوط نيزك من الجو — في يوم الخميس ثالث عشر ذي الحجــة من هذه السنة(١٣٠١)المصادف الحادي والعشرين ايلول سنة ١٣٠٠ رومية في رادة الساعة الثانية عشرة منه صباحاً سقط حجر من الجو على تل قريب من قرية قره دينك في بعد خمس ساعات عن عينتاب وعنــد سقوطه كان الجو خالياً من الغيم بالكلية والهواء معتدلاً وقبــله بنحو

عشر دقائق سمع له دوي شديد كأنه رعد قاصف ولما سقط غاص في الارض نحو نصف ذراع فلما ارادوا اخراجه على اثر سقوطه لم يتمكنوا من القبض عليه لشدة حرارته فلمسه بعضهم بثوبه فحرقه وهو حجر اسود صلب شديد شكله على هيئة السلحفاة وثقلــه نحو الف وثمانمائة درهم وقد ارسل من عينتاب الى حلب وشاهدته ثم ارسل الى استانبول

— فتح الجادة العظيمة — وفي هذه السنة كان افتتاح الجادة العظيمة المعروفة بجادة باب الفرج بحلب وكان في العزم ان يجعلوهــا مسامتة طريق العربية مبتدئة من جسر الناعورة ثم تقطع بمرورها بستان الكلاب حتى تتصل بالخندق الكبير فتمتد مستقيمة الى محلة العوينة ومنها تنعطف حتى تنتهي الى تجاه دار الحكومة ثم ان هذا العزم لم يتيسر انفاذه وفتحت الجــاده المذكورة من جسر النــاعورة الى باب الفرج فقط وفي ليــلة الاربعاء ثالث عشر صفر سنة ١٣٠٢ المصادف اليوم الحــادي والثلاثين من تشرين الاول سنة ١٣٠٠ رومية هطلت السماء بالامطار الغزيرة وانكفأت كافواه القرب في جهات الجوم ثم حملت على جسر عفرين فهدمت منه قنطرتين وكان السيل قــد اقتلع الوفاً من الشجر وساقها وهدم طاحونين عن آخرهما واغرقــ شخصين وبعض جمال وفي هذه الليلة ايضاً حمل نهر الذهب واغرق شخصين ومقداراً عظيماً من الحبوب والامتعة ودخل السيل طاحوناً في قرية من اعمــال منبج يقال لها عرب حسن فهدمه عن آخره بعد ان اختطف منه سبعين عدلاً من الدقيق والحبوب

— انشاء جامع منبج — في هذه السنة كمل تعمير الجامع الحميدي في قصبة منبج وكانت نفقاته من الخزينة الخاصة بالسلطان عبد الحميد خان الثاني وتوجه للحضور في حفلة افتتاحه والي الولاية ورؤساء الحكومة وادارة الچفتلك السلطاني فاجتمع هناك جم غفير من الاكابر والاعيان وسكان القرى المجاورة واحرقت الملاعب النارية ودارت كؤوس المرطبات وفي اليوم الخامس والعشرين رمضان المصادف لمثله من حزيران سنة ١٣٠١ وقع مطر خفيف وانتشر معه جراد كثير من الشمال الى الشرق وهذا الجراد لم يزل يتردد على حلب وبلادها الى سنة ١٣٠٨ وفي ليلة السبت ٢٨ صفر سنة ١٣٠٣ المصادف الثالث والعشرين تشرين الثاني سنة ١٣٠١ رومية في رادة الساعة الخامسة منها سطع شيء في السماء كالكوكب المحترق ثم اخذت الكواكب الصغار تتطاير الوفاً ثم انعكس الهواء بغتة واشتد ايماض البرق وانكفأت السحب كافواه القرب وفي شهر ربيع الاول سيق رديف ولاية حلب الى جهة الروملي الشرقي وقدره احد عشر طابوراً

— تقديم كتاب المجلة الى القاضي — وفي اليوم ٢٦ من هذا الشهر اهدى اعيان حلب من المسلمين والنصارى نسخة من كتاب مرآة المجلة الى حسين توفيق افندي حاكم الشريعة الغراء في حلب مكافأة له على عدله في احكامه واستقامته وعفته وكان جلد هذه النسخة من المخمل الاحمر مزركشاً بالقصب الذهبي وفيه صورة قمر ونجمة مرصعة بالماس مكتوب تحتها بالزركشة هذه العبارة (تهدى لحضره الفقيه العلامة

فضيلتلو حسين توفيق افندي حاكم الشريعة الغــراء تذكرة من اهالي الشهباء لالتزامه جانب العدل والاستقامة في مــدة مأموريته في حلب سنة ١٣٠٣ وفي ربيع الآخر من هذه السنة كانت حفلة افتتاح طريق اسكندرونة وفي غرة جمادي الاولى ورد وسام الامتياز من رتبة مدالية الى والي الولاية جميل باشا مكافأة له على اكمال تمهيد طريق الاسكندرونة فجرت له حفلة عظيمة في ذلك اليوم وفي اليوم الثامن والعشرين رجب المصادف اليوم السابع عشر نيسان سنة ١٣٠٢ رومية وقع في جهة قلعة الروم مطر شديد وبرد كبار حصل منه سيل اتى على اثنتي عشرة قرية فهدمها واهلك سبعين رأساً من البقر وخمسة خيول ومئة وار بعين من الغنم والمعز وهدم ثمانية طواحين وفي شهر شعبــان كان الشروع بتمهيد الطريق الكائن بين كلز وطريق اسكندرونة واوله من قرية قاطمه من اعمال كلز

— عزل جميل باشا من حلب وما يتعلق به — في يوم الثلاثا ثالث وعشرين ذي الحجــة سنة ١٣٠٣ قدم الى حلب صاحب بك رئيس دائرة المحاكمات في شورى الدولة ومعه معاون مــدعي العموم في تمييز شورى الدولة واحد كتاب محكمة تمييز الحقوق في دائرة العدلية والسبب في قدومهم هو ان الوالي جميل باشا شدد على جماعة من اغنياء حلب ومن جملتهم آل الكتخدا بطلب اعانة لتسديد بــدل تحويلات الاستقراض الداخلي فامتنعوا عن دفع المبلغ المطلوب منهم لانه فوق مــا طلب من امثالهم فتوصــل بذلك لحبسهم وضيق عليهم لغرض يقصده فلم يفعلوا

ورفعلوا قصتهم الى الباب العالي والسلطنة السنية وورد الامر باطلاقهم فاطلقوا ثم انضم اليهم عدة افراد واسترحموا من الدولة ان تتكرم عليهم بارسال حكم ينظر في احوالهم مع الوالي ويقف على حقيقة الظالم من المظلوم فاجابت الدولة استرحامهم وصدرت ارادة سنية بارسال صاحب بك ومن معه لاجل ما ذكر ولما وصلوا الى حلب اخذوا بتحقيق المسائل واستقصاء الاحوال واقبل المتظلمون عليهم يقدمون اليهم اللوائح في ظلاماتهم الى ان مضى عليهم شهران ولم يظهر اثر لفعلهم

— قصد زيرون اغتيال الوالي — وفي يوم الثلاثا سادس عشر صفر سنة ١٣٠٤ وهو اليوم الحادي عشر تشرين الثاني سنة ١٣٠٢ بينما كان الوالي متوجهاً من دار الحكومة الى منزله في جنينة البلدية قرب العبارة وذلك في الساعة الحادية عشرة ونصف مساء اليوم المذكور اذ وثب عليه وهو في ظاهر باب الفرج على بعد نحو مئة قدم منه رجل يقال له زيرون چقماقيان المرعشي وخاطبه بقوله : (قف كيف تتخلص مني) ثم اطلق عليه الرصاص من مسدس كان بيده فاخطأه فاطلقه ثانيةً وثالثةً فاخطأه ايضاً وكان قد هجم عليه ياور الوالي وچاويشيته فقبضوا عليه وارسلوه للسجن وذكر بعض من كان حاضراً هذه الحادثة ان زيرون المذكور لم يطلق الرصاص على الوالي انما الوالي لما رأى بيده المسدس خاف منه وامر جندياً كان معه ان يطلق عليه الرصاص تهديداً له ففعل فظن الناس ان الرصاص خرج من المسدس قال والدليل على ذلك ان جماعة الوالي لما اخذوا المسدس من زيرون وجدوا جميع عويناته مملوءة مع انه

لم تسنح له فرصة باملائها اما السبب في وثوب هذا الرجل على الوالي فهو انه كان احد وكلاء الدعاوي في عدليـة حلب وكان مشهوراً بالعلم والصدق والاستقامة فصادف ان بعض الناس وكله في خصام بينه وبين الوالي فاغتاظ منه الوالي ومنعه من وكالة الدعاوي في حلب فسافر الى بلده مرعش فمنعه من وكالة الدعوى ايضاً فترك مرعش وسافر الى انطاكية فكاتب الوالي الحكومة فيها بمنعه من الوكالات ايضاً ولما رأى هذا الرجل ان الارض قد ضاقت عليه بما رحبت ولم يبق له وجـه يسترزق به خولط في عقله وزينت له الماليخوليا ان يعترض للوالي ويهدده بالقتل لعله ينفك عنه ففعل ذلك فاخفق سعيه واتسع الخرق عليه لانه بعـد ان بقي مدة محبوساً في حلب نقل الى دمشق وحكم عليه بالحبس مـدة خمس عشرة سنة فمات محبوساً بعد ثلاث سنين من حبسه ثم ان الوالي بعد ان مرت عليه هذه الحادثة في ذلك اليوم توجه الى منزله واقبـل عليه الناس يهنونه بالسلامة وامر بايقاع القبض على جماعة من الوجهاء كانوا يتصدون لمناضلته وقد زعم انهم هم الذين اغروا زيرون وحمـلوه على ما فعل فوقع القبض عليهم في تلك الليلة وهم في منازلهم لم يبرحوا منها لانهم كانوا على غفلة لا يدرون الخبر فأُودعوا السجن وامر الوالي بالتضييق عليهم وان يوضع كل واحد منهم في حجرة على حدته وان لا يدخل اليه احد من ظاهر السجن ولا من داخله ولا من رفقائه ولا يمكن من اداة كتابة ولا من اخذ خبر من ظاهر الحبس لا كتابة ولا شفاهاً فكان خدمة الحبس يشقون رغيف الخبز المبعوث الى المحبوسين الموماً اليهم

خوفاً من أن يكون فيه ورقة و يفتشون جميع ما يدخل اليهم من الطعام والملبوس وكان الوالي قد احضر من الثكنة عساكر نظاميـــة امرهم بان يقف على كل حجرة من حجر المحبوسين المذكورين جنديان متأبطان سيوفهما معتقلان بنادقهما ولما اطلع صاحب بك على هـــذه الاحوال عرف بها استانبول واظهر انـــه عازم على السفر من حلب لينظر ماذا يكون من الوالي فسار الى تكية المولوية لينام ليلته هناك و يتوجـــه من الصباح الى جهة استانبول فلما سمع الوالي خبر سفره ظنه صحيحاً فاغتنم الفرصة وامر باحضار دواب المكارية ليركب عليها المحبوسين و ينفيهم وحينئذٍ فهم صاحب بك نيته واظهر انه عدل عن السفر فتوقف الوالي عن نفي المشار اليهم لكنه لم يبرح عن اصراره في حبسهم والتضييق عليهم بل كان يزيدهم تضييقاً يوماً فيوماً فلما كان اليوم السابع من ربيع الاول من هـــذه السنة (١٤٠٤) ابرق صاحب بك للدولة يقول انا عازم على الشخوص لاستانبول لانني لا استطيع البقاء في بلدة لا يعرف فيها النظام ولا القانون وابرق قائد الجندية النظامية في النهار المذكور للدولة يقول ما معناه انني غير مسؤل اذا حدث في حلب ما يخل بالسلام لانني لم يبق لي نفوذ على القوة العسكرية فلما اطلعت الدولة على هاتين الرسالتين رأت ان الامر قد اخـــذ بالتفاقم وحينئذٍ اتفق رأي اولياء الامور على تلافي القضية وصرف جميل باشا عن حلب وانفذت الى شاكر باشا احد الفرقاء في دمشق ان يسافر الى حلب في اسرع مدة و يتسلم بها زمام العسكرية و يعرف استانبول فركب شاكر باشا في الحال وذلك

في صباح اليوم الثامن من ربيع الاول وتوجه الى جهة حلب فوصلها بغتةً عشية يوم الثلاثاء ثاني عشر ربيع الاول ونزل في رباط الشيخ يبرق رأساً وتسلم زمام العسكرية وعرف بذلك استانبول وكان الخبر بلغ جميل باشا فامر العسكر الذين كانوا يحافظون المحابيس بالصعود الى الرباط ثم في صبيحة يوم الاربعاء ثاني عشر ربيع الاول ورد التلغراف من استانبول بان يكون جميل باشا والياً على ولاية الحجاز وعثمان باشا والي الحجاز يكون والياً على حلب ويكون شاكر باشا وكيلاً عنه الى ان يحضر الوالي في الحال حضر وكيل الوالي المشار اليه وصاحب بك وخليا سبيل المحبوسين وبعد يومين ورد الامر الى جميل باشا بتعجيل الانصراف عن حلب فبارحها يوم الخميس سادس وعشرين ربيع الاول متوجها الى مكة المكرمة ثم في يوم الخميس تاسع عشر ربيع الثاني وصل الى حلب عثمان باشا والياً عليها وفي يوم الاثنين سابع جمادي الاولى ازمع صاحب بك الرحيل من حلب الى استانبول فاسف الناس على فراقه ودعوا بسلامته

— تأسيس محلة الجميلية — وفي هذا الشهر ورد الأذن باحداث محلة في ارض الحلبة مما يلي طريق عربية اسكندرونة وان تسمى بمحلة السليمية نسبة الى نجل السلطان عبد الحميد خان الثاني فاخذ الناس بشراء الاراضي هنالك وتأسيس الدور وكان قد اقيم بها قصران عظيمان في السنة الماضية احدهما لجميل باشا وثانيهما للمرحوم علي محسن باشا القائد العام فوق العادة على حلب واطنه وضواحيها وهو اول قصر

عمر في هذه المحلة وفي هذا الشهر اعني شهر جمادي الاولى كان الشروع بتسليط ماء رأس العين الى قصبة اسكندرونة وهي على مقربة من اسكندرونة وتعرف باسم (بيكار باشي) فاجريت الى الاسكندرونة بكيزان من الحديد و بنيت لها الحياض والقساطل وكانت النفقة عليها من سكان اسكندرونة

— التباس بين مولودين - في شهر جمادي الثانية اتفق ان امرأتين من اليهود وضعتا في بيت وآن واحد طفلين ذكرين وكانت القابلة ومن حضر من النسوة يشتغلن بامهاتهما فلما فرغن منهن وطلبت كل واحدة ولدها التبس عليهن تعيين كل ولد الى امه ولم يظهر لهن ذلك الا بعد مشقة زائدة وفي هذه السنة جمع مقدار وافر من بزر الجراد وفي الساعة السابعة والدقيقة الخامسة عشرة من يوم السبت حادي وعشرين محرم سنة ١٣٠٥ سادس والعشرين ايلول سنة ١٣٠٣ رومية وقع في حلب وعينتاب وكلز ومرعش والبستان واورفه وسروج زلزال من الغرب الى الشرق وامتد نحو نصف دقيقه دون ان يحدث منه خطر وفي هذا الوقت نفسه حصل زلزال شديد في بعض قرى عينتاب فهدمت عدة دور وهلك بها تحت الردم طفلان و بعض مواش وفي اوائل صفر كان قدوم حسن باشا والي حلب وسفر سلفه عثمان باشا

— حريق في مرعش و بيادر حلب وفي السادس والعشرين حزيران سنة ١٣٠٤ حدث في مرعش حريق عظيم قوّم ضرره باثني عشر الف ذهب عثماني التهمت ناره (٥٢٠) دكاناً و ٢١ داراً و ١١ فرناً وقسماً

من جامع وخان وتكية المولوية بتمامها وفي يوم الخميس ١٧ ذي القعـدة و ١٤ تموز شبت النار في بيادر قارلق بحلب فاحرقت ٢١٧ بيدراً

— تفشي حمى التيفوس في المحابيس — وفي رجب الفرد سنة ١٣٠٦ وشباط سنة ١٣٠٤ فشي بالمحابيس في سجن الحكومة حمى قتالة يقال لها حمى تيفوس وصار يموت بها كل يوم بضعة محبوسين فعينت لهم الحكومة مستشفى في جبل الغزالات افردتهم به و بعد ثلاثة اشهر صرفها الله عنهم وفي شهر ذي القعدة وحزيران شبت النار في احدى محـلات مرعش ولم تخمد حتى اتت على عشرين داراً وامرأةٍ وطفلٍ وفي اليوم الحادي والعشرين رمضان سنـة ١٣٠٦ الثالث عشر ايار سنة ١٣٠٥ بـين الصلاتين وقع في حلب واطرافها مطر غزير يصحبه برق ورعد وصواعق و برد كبار في شمالي حلب حتى حملت السيول وساقت عدة مواش من بساتين حلب واراضيها واغرقت محلة الوراقة واختنق بهـا بضعة اوادم وفي اوائل ربيع الثاني سنة ١٣٠٧ المصادف شهر تشرين الثاني سنـة ١٣٠٥ ورد الامر من النظارة الصحية باقامة منطقة الحجر الصحي في حدود الولاية مما يلي الموصل لما شاع من ظهور الهيضة في الموصل فاقيمت المنطقة المذكورة في جهة الرها وحران والبيرة والرقة خمسة عشر يوماً على كل مار من هناك اذا لم يكن معه تذكرة مشعرة بنظافته وفي هذا الشهر قدم من استانبول الى حلب الشيخ وفا ابن الشيخ بهاء الدين بن الشيخ (محمد وفا الرفاعي) ومعه من حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم شعرة اعطته اياهـا امرأة من اكابر نساء استانبول فتلقاه الناس

بالتكريم ووضعت الشعرة في زاوية الشيخ تراب المتصلة بجامع خسرو باشا وفي الساعة الثامنة بعد ظهيرة يوم الثلاثا ثامن عشر شعبان المعظم من هذه السنة المصادف لليوم ٢٧ آذار سنة ١٣٠٦ بدء المطر ينهل كافواه القرب واستمر بهذه القوة العظيمة الى الساعة الاولى ليلاً حتى طافت الشوارع و بعض جوامع وحمامات ودكاكين واغرق نحو ثلاثين حملاً من الارز والملح وغيرهما في خانات باب الجنان وخسفت الازقة وسقط صاعقة في محلة ساحة بزه فصدعت اربعة جدران وفي يوم الخميس ١٢ رمضان سنة ١٣٠٧ وصل الى حلب والياً عليها عارف باشا وفي صيف هذه السنة ظهر في حلب ونواحيها مرض وافد سماه الناس باسم ابي الركب وكان وفوده من الممالك الافرنجية وكانت اعراضه في حلب ان يبتدئ مع الانسان بقشعريرة خفيفة تارةً وسخونة اخرى ثم تطبق السخونة ويلزم المريض الفراش ويشتد معه وجع الرأس والصداع والغشيان بضعة ايام ثم يشعر بوجع في مفاصله وفي ركبه الى ان يمضي عليه نحو خمسة عشر يوماً تقريباً فينقه من مرضه وفي شتاء هذه السنة ايضاً انقلب هذا المرض الى علة سماها الناس الفوانزا وفدت من البلاد الافرنجية وهي نزلة صدرية شديدة يصحبها سخونة في الجسم تستمر نحو عشرين يوماً وتنتهي بالشفاء غالباً وفي يوم الثلاثا ٢٩ شوال المصادف اليوم الخامس خزيران سنة ١٣٠٦ في الساعة الرابعة والدقيقة الثالثة والثلاثين ابتدأت الشمس بالكسوف وانتهى الكسف في الساعة الخامسة والدقيقة الرابعة والثلاثين وبدأ بالانجلاء في الساعة الخامسة والدقيقة

الخامسة والثلاثين فكانت مدة الكسوف من الابتداء الى انتهاء الانجلاء ساعتين ودقيقتين ومقدار ما انكسف من قرص الشمس تسع اصابع من اثنتي عشرة اصبعاً

سنة ١٣٠٨

في يوم الخميس ٢٦ محرم هـذه السنة ٢٩ آب سنة ٦ ١٣ تواردت الاخبار من جهة مسكنة بانه اصيب فيها بالهيضة خمسة عساكر بواسطة ثلاثة افراد من البدو قدموا الى مسكنة من بلد الجزيرة المنتقل اليهـا هذا المرض من ديار بكر فبغداد فالبصرة فالهند ثم في يوم السبت ٢٨ محرم اصيب بالمرض المذكور بضعة اشخاص من النصارى في زقاق ابي ناصر في محلة قسطل الحرمي بحلب وفي ثاني يوم مات اكثرهم فوضعت الحكومة الحجر على هذا الزقاق عشرة ايام وفشا المرض في انطاكيـة وحمص وحماه وكلز وعينتاب والبيرة ولم تزد وفياته اليومية على خمسين نسمة في حلب فاهتمت الحكومة بالاسباب التحفظية و بالغت بنظافة البـلد وحظرت بيع الخضر والبقول المضرة ووضعت في عدة جهات داخل البلد مقداراً عظيماً من الزبل اليابس ثم في الساعة الحادية عشرة من يوم الاثنين ٢٨ ربيع الاول امرت ان تضرم النار في هذا الزبل فملا الدخان الى طبقات الجو وانتشر ريحه في جميع البلدة وكان الغرض من ذلك تنقيـة الهواء به من المكروبات التي يزعم الاطباء انهـا السبب في مرض الهيضة ثم نبهت الحكومة على مختاري المحلات ان يحملوا كل ساكن في محلاتهم على ان يبخر بيته كل يوم بالقطران والكبريت و يطرح في المراحيض مقداراً

من الزاج والكلس و يرش البيوت بروح الفحم و يحرق عند باب داره مساء كل يوم مقداراً من الزبل فامتثل البعض منهم الامر فلم يفد ذلك شيئاً الى ان كان اواخر كانون الثاني تقلص ظل هـذا المرض الذي وقف دولاب التجارة ورفع اسعار العقاقير الافرنجيـة كالقينا وروح الفحم والكونياك لانقطاع جلبهـا من اوروبا لعدم مجيء البواخر الى ميناء اسكندرونة بسبب الحجر الصحي المضروب فيما بين انامور واسكندرونة براً و بحراً و كانت مدته خمسة ايام واستمر ذلك الى اليوم الثاني والعشرين من كانون الثاني فالغي الحجر وعادت التجارة الى ما كانت عليه ورجع الناس من هربهم على ان السبب الاعظم لتكرر هذا الداء الوبيل في حلب ماء قناتها ونهرها يؤيد ذلك فتكه بسكان المحلات التي تشرب من ماء القناة والنهر اشد من فتكه فيمن يشرب من ماء غيرهما وفي اذار هذه السنة انحبس المطر عن بلاد حلب حتى عـدم نصف الموسم وفي شوال هذه السنة اعني ١٣٠٨ المصادف شهر مايس عادت الهيضـة الى حلب وانطاكية والعمق وضرب النطاق الصحي على حلب و بلادها وفي رابع عشر مايس سنة ١٣٠٧ وقع في البيرة برد واحدته في حجم البيضة واستمر سقوطه نحو ربع ساعة فكسر زجاجات البيوت واضر بالزروع وحمل سيله فاقتلع بلاط محلة وادي جنك وهدم بضعـة جسور ونحو عشرة بيوت وقتل اربعة اوادم واهلك مقداراً عظيماً من الدواب والامتعة وفي هـذا اليوم وقع نحو هذا في الحمام الغربي وقرية اربهلي من قضـاء بيلان فاتلف جميع الزروع وانقضت صاعقة فقتلت دابتين وانساناً وكذا وقع

في عدة قرى من قضاء عينتاب فاتلف زروعها وهدم بيوتها واهلك كثيراً من دوابها وفي حزيران هذه السنة كان الجراد في ولاية حلب كثيراً اكل فيها مبلغاً عظيماً من زروعها فاجتمع في هذا العام الوباء على الناس والبرد والجراد على الزرع فارتفعت اسعار القوت وتعطلت التجارة وفي ذي الحجة من هذه السنة بعث قائمقام قضاء انطاكية الى ولاية حلب عاديات وجدت قرب الجبل بالموضع المعروف هناك باسم (بين الخراب) يبعد عن انطاكية مسافة ربع ساعة وهي تمثال من الصفر يمثل متصارعين وشمعدان عليـه صورة رأسين مقطوعين متصلين ببعضهما من طرفيهما وقد فحصها بعض العارفين بالعاديات فزعم انها مضى على وجودها في الدنيا ثلاثة الاف سنة وقد ارسلت الى نظارة المعارف

سنة ١٣٠٩

في محرم هـذه السنة خفت وطأة الهواء الاصفر في حلب وحارم وانطاكية بعـد ان بلغت وفياتها اليومية في حلب مائة شخص وزيادة ولكنها في هذا الشهر ايضاً فشت في عينتاب وكلز وفي محرم هـذه السنة ايضاً بوشر بسقر مجرى المياه القذرة في الخندق الكبير الذي صار جادة عامة بعـد ان قطعت منه الاشجار وثقف بالتراب من باب حديد بانقوسا الى حضرة مزار السهروردي وفي هذا الشهر ايضاً فشت علة الهيضة في اورفه فاخذت تحت المنطقه الصحية ثم في شهر ربيع الاول فشت في اسكندرونة وفي اواخر شهر رجب تقلص ظـل الهيضة من سائر بلاد الولايـة ورفع الحجر الصحي عنها وفي اذار منها وصـل الى

حلب جراد كثير طبق السهل والجبل وملأ قناة حلب وافسد ماءها فطبقتها البلدية بالحجارة الكبيرة من قرية هيلانة الى قرب ناحية بعادين منعاً لسقوط الجراد فيها وقد ترك من القناة بعض مواضع مكشوفة للشرب والوضوء وطول ما طبق منها ثلاثة عشر الف ذراع معماري وجمع من بزر الجراد قبل ان ينقف زهاء ستة ملايين اقة : وفي هذه السنة بلغت رسوم عد الغنم عن سنة ١٣٠٨ رومية في ثلاثة عشر قضاء ملحقة بحلب ٧١٩٣٢٤٢ قرشاً موزعاً هذا المبلغ على رأس كل شاة ومعزى ثلاثة قروش ونصف القرش عملة اميرية سعر الذهب العثماني مئة قرش : وفي ذي القعدة من هذه السنة بوشر بتنظيم جادة الخندق من باب دار الحكومة الي باب الفرج : وفيها فتح مستشفى الغرباء تحت القلعة قرب سوق الضرب وسمي مستشفى الغرباء الحميدي وفرش من اموال اعانة جمعت من اهل الخير : وفيها طبق كثير من مجاري المياه القذرة في حلب وكانت مكشوفة تنبعث منها الروائح الكريهة وتشوه مناظر الشوارع

سنة ١٣١٠

في محرم هذه السنة مات ولدان من اهل محلة اقيول لاكلهما لب عجو المشمش لسم يوجد فيه يقال له حامض الكيالوس : وفي صفر هذه السنة شرع بتعمير المدرسة الحلوية عن يد لجنة خصوصية بنقود مجموعة من احكار اراضي التلل خارج باب الفرج قرب السهروردي وكانت تعرف قبلاً بمناشر الزبل وهي من جملة اوقاف الحلوية التي وقفها نور

الدين الشهيد و كانت قبلاً تلالاً عظيمة كالجبال لا يشتريها احد بقرش واحد فلما كثر الناس بحلب وانتشر الامان خارج سورها اخذ الناس يشترون كل ذراع مربع من التلال المذكورة من متولي المدرسة بعشرين قرشاً ثم تصاعد السعر حتى بيع الذراع على طريقة التحكير الشرعية بذهبين عثمانيين فاثرى وقف المدرسة المذكورة و كثرت عقاراته وعمرت المدرسة ظاهراً و باطناً ومن هذا التاريخ اخذت محلة التلال بالسعة والعمران حتى اصبحت في هذه الايام من اجمل محلات حلب والطفها موقعاً واغلاها قيمة وقد اسلفنا ذكرها في الكلام على محلة الصليبة الصغرى من الجزء الثاني : وفي اليوم الخامس من شهر ربيع الاول حدث في سوق رأس الجسر من مدينة انطاكية حريق اتى على ٦٥ بناء ما بين دار ودكان . وفيه ايضاً كان ستة اشخاص من الساسونيين يشتغلون في طاحون في جهات كلز اكلوا نباتاً يعرف بالفطر فمات منهم ثلاثة . وفي رجب بوشر بتعمير مستودع لزيت البترول المعروف بالكاز في مدينة اسكندرونة . وفيها حول المكتب الاعدادي الملكي في حلب الى ليلي فبلغت طلبته نيفاً وثمانين . وفيها قبضت الحكومة على رجل يستخرج من قرية قرق مغارة (ار بعين مغارة) ملح البارود فصادرته وحبسته . وفي شعبان المصادف شباط الرومي حدث عدة هزات ارضية في حلب والرها ومرعش والبستان وعينتاب والبيرة وفيها ارتفع سعر التنباك بسبب دخوله تحت شركة الانحصار فصار المدخنون بالماربيج يستعملون فيه بدل التنباك حب الرز وعرق السوس و يزعمون انه يغني

عن التنباك فلم يقيموا على ذلك غير القليل ثم عادوا الى التنباك . وفي ربيع هذه السنة كانت الامطار كثيرة غزيرة في جميع الجهات فكبست السيول بعض المنازل في الرها وانطاكية وغيرهما من البلدان وطغت المياه على سهول العمق فاغرقت كثيراً من قراه وكان ذلك ناشئاً عن ضيق مصائد السمك المبنية في نهر العاصي المعروفة في انطاكية باسم (داليان) وفيه قذف بحر السويدية قرب الجوليك حوتاً عظيماً طوله عدا رأسه ثلاثون ذراعاً معمارياً فاخذ الارمن هناك رأسه واستخرجوا منه مقداراً عظيماً من الدهن . وفيها وزعت الحكومة على بعض الزراع حب ذرة صفراء وبيضاء احضرت من اميركا قصد تجربة محصولها فلم تنجح . وفي صيف هذه السنة في آب منه اشتد الحر في حلب حتى صعد الزئبق في مقياس السنتغراد في الظل الشمالي الى الدرجة الاربعين . وفيها تواردت الاخبار من الرقة بانه فشا في غنم بعض قراها مرض سببه دودة في كبدها تحصل من رعيها حشيشة اسمها البور . وفيها عاد لدين الاسلام عشيرة فلچلو في قضاء بازارجق بعد ان صارت اباحية من الطائفة المعروفة باسم قزل باش (الرأس الاحمر) . وفي يوم الثلاثا ١٥ جمادي الثانية وصل الى حلب والياً عليها الحاج عثمان باشا وهي ولايته الثانية وكان كسيحاً يحمل بين يدي الرجال ويوضع في عربته ويحمل منها الى محل جلوسه وهو من اعظم وزراء الدولة عند السلطان عبد الحميد محبوباً لديه لانه هو الذي سعى بقتل بطل تركيا الفتاة مدحت باشا حينما كان محبوساً في الطائف وعثمان باشا والياً في الحجاز وكان هذا

الوالي في منتهى درجات السخاء الا انه ايضاً كان في منتهى درجات قبول الرشوة . وفيها نقل مركز قضاء جبل سمعان الى قرية خان تومان

سنة ١٣١١

في ربيع الثاني منها تم افتتاح جادة الخندق وبدأ الناس يسيرون فيه بكل سهولة وكان هذا الخندق بستاناً كما بينا ذلك في الكلام على اسوار حلب . وفيه تم بناء القنطرتين المضافتين الى جسر الناعورة تعريضاً له وفيه ورد من قضاء ادلب ان رجلاً في قرية شلايه في ناحية ريحا ذبح ماعزاً مريضة وباع لحمها فكل من اكل منه مرض ومنهم ثلاثة ماتوا وفيها مد السلك البرقي من حلب الى الرقة على طول ١٨٠ ميلاً (كيلومتر) وفيها وضع اساس مسجد وتكية في قرية حيش من اعمال قضاء المعرة لزعم مرقد لولي هناك اسمه علي خزام . وفيها احدث في حلب مكتب للاناث تدفع نفقاته من جهة المعارف . وفيها مد السلك البرقي من حلب الى دير الزور

سنة ١٣١٢

في سادس محرمها توفي الشيخ حسن وادي ودفن في حجرة غربي قبلية مسجد الزاوية تحت القلعة قرب باب محلة الطونبغا وفي ١١ محرم منها ولي حلب حسن باشا الاشقودري ثانية وفي جمادي الاولى منها المصادف تشرين الثاني سنة ١٣١٠ احترق سوق بيلان . وفيها كان تأليف كتائب الحميدية من عشائر البوادي مضاهاة لعساكر القوزاق عند الدولة الروسية لانهم من عشائر بواديها . وفيها جعل مركز قضاء حارم في

قرية كفرتخاريم تفادياً من وخامة هواء حارم وضيقها ورغبة في جودة هواء كفرتخاريم وسعتها وقد تعهد جماعة من اهلها ان يعمروا فيها من اموالهم داراً للحكومة ومستودعاً للرديف ومحلاً للتلغراف فوفوا بوعدهم

— عصابات الارمن — وفيها استفاضت الاخبار من انطاكية واسكندرونة وجسر الشغر ان جماعة من عصابات الارمن ظهروا في الجبال المتوسطة بين ناحية السويدية في قضاء انطاكية وبين ناحية ارسوز في قضاء اسكندرونة وانهم تحرشوا ببعض قرى المسلمين والمسيحيين وتعدوا على اهلها فلم يلتفت الوالي وهو حسن باشا الاشقودري الى هذه الاخبار واراد ان يبقي هذه الحادثة في حيز الكتمان لغرض لا نعلمه ولكن هذه القضية لم تقف على حد يمكن كتمانها عنده فقد عادت تلك العصابة الارمنية الى تعديها واشتهر امرها ثم تعلقت بسعف الجبال وسلكت منها في الشعوب والمضايق حتى وصلت الى الزيتون من اعمال مرعش . ولما بلغ الحال هذا المبلغ لم يسع الوالي ان يتغاضى عنه فندب للتحقيق عن هذه القضية رجالاً من حلب اشخصهم الى جهة السويدية فتبين لهم ان جماعة من ناشئة الارمن قدموا على ثغر السويدية من اميركا بقصد الترأس على طوائف الارمن في البلاد العثمانية والقيام على الحكومة لينالوا الاستقلال وانهم بعد ان اهاجوا الفتن والقلاقل في جهات السويدية واضرموا فيها نار الثورة تسلقوا الجبال وقصدوا جهة الزيتون ليجعلوها مقراً لحركاتهم الحربية . فلم ترق هذه الاخبار بعين الوالي بل مسخها وشوه وجه حقيقتها واذاعها في صحيفة الفرات . والظاهر ان

الوالي كان يخشى ان يتطير السلطان منه لحدوث هذه المسألة في ايام ولايته . ثم انه لم يمض سوى مدة يسيرة حتى اشتهر الحال وظهر الاختلال في جهات الزيتون حيث انضم الى ملك العصابة الوف من الارمن وثاروا بغتةً وكان من امرهم ما سنذكره في حوادث السنة التالية وكان سبب تفاقم امرهم تغاضي حسن باشا الوالي عن اخبارهم في مبدأ امرهم ولذا نقم عليه السلطان وعزله عن ولايته فسافر الى استانبول و بعد مدة وجيزة ادركته الوفاة . وفيها وضع في مسجد مشهد الحسين بحلب منبر وجرت فيه خطبة في الجمعة والعيدين . وفيها ظهرت علة الهواء الاصفر في حلب و بلغت اقصى وفياتها في اليوم نحو الثلاثين

سنة ١٣١٣

في شوالها الموافق اذار سنة ١٣١٢ ورد من قضاء جسر الشغر ان الغنم في الجبل الوسطاني قد فشا فيه مرض قتال سببه تراكم قراد على اديمه و بعد ان اشخص الى تلك الجهة المأمور البيطري وفحص المرض قال ان علاجه ازالة القراد على الدابة بالنظافة ان كان القراد قليلاً ومسحه بمزيج مركب من جزء من روح الترمنتينا وجزئين من الماء ان كان كثيراً فاستعمل هذا العلاج ونجح . وفيها ورد من قضا حارم ان بقرة لعثمان من اهل قرية افيز ولدت عجلاً ميتاً له رأسان واربع عيون واربع آذان وفمان واربع قوائم . وفيها في ذي القعدة وردت الاخبار من جهات السويدية وانطاكية ان جمعاً عظيماً من الارمن الاغراب وفدوا على السويدية وجبل موسى وما جاورهما من القرى الارمنية

وانضم اليهم شرذمة من زعانف الارمن الوطنيين واخذوا يعيثون بالارض فساداً فاشخص اليهم من مركز الولاية جماعة من الثقاة للفحص عنهم والتنكيل بهم بعد ان يتبين لهم فساد طريقتهم ففحصوا الحقيقة وتبين لهم ان تلك الطائفة ومن انحاز اليها هم من الثوار فقبضوا على بعضهم وهرب البعض الآخر وتشتت شمل تلك العصابة . وفي ١١ جمادي الثاني منها وصل الى حلب والياً عليها مصطفى ذهني باشا ثم عزل وولي حلب رائف باشا فوصل اليها في خامس شعبان منها

— تمرد الارمن في الزيتون —

في شعبان من هذه السنة ايضاً اخذت الاخبار تتوارد من الزيتون بان الارمن هناك تمردوا على الحكومة وشهروا السلاح على المسلمين وقتلوا وسبوا واستولوا على الثكنة العسكرية وفتكوا بالعسكر والضباط وقتلوا نساءهم واطفالهم ومثلوا بهم تمثيلاً فظيعاً فاهتمت الدولة بامرهم وجهزت جيشاً من حلب وآخر من اطنه تصحبهم الارزاق والمهمات الحربية وكان الوقت شتاء والامطار غزيرة والثلوج متراكمة في الطريق المؤدية الى الزيتون فلقيت العساكر بالوصول اليها الشدائد من البرد والثلج والجوع مات منهم بسبب ذلك عدد غير قليل واخذت البلدية في حلب من الناس عدداً عظيماً من الدواب كالجمال والبغال والخيل لتحمل عليها المهمات الى الزيتون على ان تعوض اصحاب الدواب قيمتها بعد انقضاء تلك الحادثة فلم تعوض عنها سوى نحو عشرها وضاعت بقية الدواب على اهلها . ولما علم الارمن الثائرون في الزيتون ان العساكر

سائرة اليهم جزعوا واضطربوا وتحققوا ان لا قبل لهم في النصرة عليهم فاخذ زعماؤهم يخابرون لجانهم الكبرى في البلاد الاوروبية فاستغاثت تلك اللجان بالدول الاجنبية وطلبت منهـا السعي بانقاذ اولئك الثوار وانتشالهم من مخالب العساكر التركية فاصـدرت كل من دولة انكلترا والمانيا وفرانسة وايطاليا امراً الى قنصلها في حلب بان يتوجه الى الزيتون ويتوسط الصلح بين الحكومة العثمانية وبين الارمن الثائرين وفي اسرع وقت سافرت القناصـل الى الزيتون ولقوا من الطريق برحاً من شدة البرد وقد استمروا في الزيتون زهاء ستة اشهر الى ان اخلـد الثوار الى الطاعة وصدر العفو عنهم ونقرر بان يكون القائمقام في قضاء الزيتون مسيحياً وله معاون مسلم . وفي هذه السنة حدثت المشاغب الارمنية في مدينة اورفـه ومرعش وعينتاب وكلز وبيره‌جك من ولاية حلب ووان وبتليس وغيرهما من بقية البلاد العثمانية وقتل من الارمن في هذه المشاغب على رواية مائة الف نسمة . وكان الباعث على هذه المشاغب قيام الارمن على الحكومة واقلاقهم راحتها في طلب انفصالهم عنها او بقائهم دولة مستقلة او تحت نفوذ دولة روسيـا او انكلتره . ونحن لا نشك ان تلك المشاغب كانت باشارات خفية واوامر برقية مرموزة من السلطان عبد الحميـد الى ولاته وامرائه العسكرية في ممالكه رغماً عما كانت الحكومات تختلق لكل مشغبة سبباً غير معقول لدى ارباب العقول : على ان جميع البلاد السورية بل سائر البلاد العربية لم يحدث فيها شيء من تلك المشاغب والسبب في هـذا عدم الايعاز من قبل السلطان

عبد الحميد الى اهلها باحداث تلك المشاغب لعلمه ان اهلهـا لا يلبثون طلبه ولا يلبث ان يذيعوا ذلك السر الذي لا يخفي عليهم

— استطراد في الكلام على الأرمن ومدينة الزيتون —

نورد في هذا الاستطراد بعض ما وقفنا عليه من الاحوال الروحيـة والتقاليد القومية التي سارت على سننهما الهيأة الاجتماعية من الطائفـة الارمنية التي مضى على مجاورتنا اياهـا بضع سنوات غب ان هاجرت الى حلب بعد الحرب العالمية وقد اصبح فيها منهم العدد الكبير الذي يقدر بستين الف نسمة فنقول :

الارمن مهما اختلفت اجناسهم وتباينت اقطارهم امة نشيطة جـدية عاملة منصرفة عقليتها الى الماديات دون المعنويات وهي ثابتة في مقاصدها قوية الارادة في منازعها تمارس من صعاب الامور ما يعجز عنه غيرها من امم الشرق لا تعتمد الا على نفسها ولا يعوقهـا عائق في سبيل غاية تطلبها . ترى كل فرد من افرادها ذكراً كان ام انثى كبـيراً كان ام صغيراً — مكباً على عمله مهرولاً الى حانوته مبكراً لمزاولة مهنتـه التي ارتضتهـا له قوة جسمه وسعة مداركه فمنهم التجـار بانواع البضائع الشرقية والغربية ومنهم الصيدلي والطبيب والمحامي والمهندس والصراف والخادم والكاتب والميكانيكي والخياط والحائك والنجار والحداد والحجار والمعمار والطاهي واللحام وصاحب المقهى والنزل وبائع الخضر والبقول وغير ذلك من المهن التي لا تخلو واحدة منها شريفـة كانت ام حطيطة الا والمشتغلون بها من الارمن عدد كبير يزاولونها باعتناء واتقان لا مزيد

عليهما . وهم على اختلاف مهنهم وحرفهم يقنعون بالربح اليسير ويقتصدون بالانفاق على انفسهم الامر الذي اكسد سوق نظرائهم من الحلبيين وضيق عليهم اسباب معايشهم لانهم لا يقنعون بالربح اليسير لتعودهم على التوسع بالانفاق دون الاقتصار على ضروريات الحياة

كل فرد من امة الارمن ذكراً كان ام انثى لا يرضى ان يكون عاطلاً عن العمل متقاعداً عن الاحتراف ولذا لا ترى منهم متسوّلاً ولا متشرداً ولا من هو عيلة على غيره سوى من اعجزته العاهات والزمانات عن النهوض بعمل ما وسوى الايتام الذين ليس لهم مال ولا اولياء ينفقون عليهم فان هؤلاء الجماعة قد تكفلت باعاشتهم الجمعيات الخيرية الارمنية المؤلفة في حلب وغيرها من بلاد اميركا واوربا ففتحت لهم دور العجزة والمياتم والمدارس واغنتهم عن الحاجة الى غيرهم وعنت بامورهم احسن عناية

اما نساء امة الارمن فانهن يرين للرجل حق السيطرة عليهن فهن بهذه العقيدة من اطوع نساء العالم لازواجهن وهن بعيدات (الا ما شذ منهن) عن معانقة الازياء الغربية في لباسهن وزخارفهن اذ قلما تجد على ارمنية ثوباً يبدو منه الذراعان الى قرب الكتف ويظهر منه الكاهل والنحر واعالي الصدر . كما انك لا تجد فيهن واحدة تستعمل في وجهها وشفتيها وما بدا من يديها -- التمويه بالبياض والحمرة قد اعتضن عن ذلك كله بنظافة بشرتهن واعتدن على الاغتسال بالحمام والتردد اليه من حين الى آخر والتزمن في لباسهن جميعاً زياً واحداً وهو ثوب بسيط

باكمام يستر المرأة من رقبتها الى ما تحت ركبتيها ساترة ساقيها بجورب منتعلة بحذاء (قندرة) له كعب عالٍ فاتحة على رأسها شبه طيلسان اسود اللون مثلث الشكل قد ارسلت خلفها زاويته الوسطى تستر بهـا ظهرها وضفيرتها ومنهن من تفتح على رأسها منديلة صفيقة سوداء ترخي منهـا ذوءابة على ظهرها تخالط بها شعرها فلا يفرق الناظر اليه بينه وبين ذوءابة المنديلة . على ان هذا النسق من اللباس والطيلسان لا يكاد ينقص عن الازار الشرعي سوى عدم ستره جميع الشعر . وقل منهن من تلبس القبعة (البرنيطة) في رأسها

— ما تآخذ به امة الارمن —

ان هذه الامة على ما هي عليـه من المزايا الحسنة لم تتنزه عن بعض هنات تستوجب عليها المؤاخذة وهي (١) التعصب المفرط الخارج عن دائرة الاعتدال فان كل واحـد من الارمن يرى الصواب كله فيما هو عليه من العقيدة والتقاليد والعادات وان ضد ذلك فيما هو عليه غـيره على ان هذه العقيدة هي التي تجعل الارمني بعيداً عن معاشرة غيره منكمشاً عن صحبة الناس غير مؤتلف ولا مختلط معهم (٢) التهور وقصر النظر وقلة التبصر بالعواقب وعدم وزن القدرة في القيام على طلب الاستقلال الذي طالما جلب على امة الارمن البوار والدمار وافنى منها ما يعد بالوف الالوف دون الحصول على ما تبتغيه غير متعظة بقول الحكيم

اذا لم تستطع شيئاً فدعه　　　وجاوزه الى ما تستطيع
وكيف تريدان تدعى حكيماً　　　وانت لكل ما تهوى تبوع

(٣) الالحاح بالانتقام من عدوهم اذا ظفروا به حتى انهم ليبطشون بعضهم اذا طرأ بينهم خصام ونزاع فترى سورة الغضب في احدهم تحمله على اقصى ما تجود به قوته من الضرب والبطش

ان التهور وقلة التبصر في العواقب قد كلفا الارمن ان يريقوا من دمائهم بحاراً دون ان يحصلوا من ذلك على جدوى

ان من تصفح التاريخ ونقب فيه عن حوادث الزيتون والارمن وعما طرأ على مرعش من الخراب المتكرر يظهر له جلياً ان قيام الارمن وتمردهم على الحكومات الاسلامية لم يخل منها زمن من الازمان يقومون على الحكومات تارةً بانفسهم واخرى بواسطة الروم الذين يشنون الغارات على جهات الاناضول باغراء الارمن والالتجاء اليهم ينضمون الى الصليبيين تارةً والى التاتار اخرى فلا ينالون من ذلك سوى الفشل الذي كان الاحرى بهم ان يقودهم الى العيش مع جيرانهم بالمسالمة والوفاق كما يعيش غيرهم من بقية الطوائف المسيحية التي تعيش في غبطة من السلام والوئام - انظر الى ما كتبناه في الكلام على مرعش يظهر لك ان هذه البلدة خربت بمشاغب الارمن خمس مرات اعاد بناءها في المرة الاولى معاوية وفي الثانية العباس بن الوليد وفي الثالثة الوليد بن هشام وفي الرابعة صالح بن علي في خلافة المنصور وفي الخامسة سيف الدولة ابن حمدان ثم تنقلت عليها الولاة المسلمون حتى استولى عليها كيخسرو ابن قليج ارسلان السلجوقي وكأنه استصعب حفظها والقيام بها فوهبها لبعض طهاته وهو حسام الدين ثم انتقلت عنه لاولاده الى ان كانت سنة

٦٥٦ فعجز عماد الدين آخر من تولاها من اولاد حسام الدين عن ضبطها لتواتر غارات الارمن عليها فعرضها على كيكاوس صاحب الروم فاباها فعرضها على السلطان صلاح الدين فاباها ايضاً فرحل عنها وتسلمها الارمن حتى اخرجهم منها سنة ٩٠٠ علاء الدولة بك احد امراء الدولة ذي القدرية وعمرها في موضعها الحالي واجلى الارمن عنها الى ان كانت سنة ٩٢٨ دخلت تحت سلطة الدولة العثمانية وكأن جاليتها الارمن اختاروا التوطن في ضواحي قلعة الزيتون الخربة التي هي في وسط جبال وعرة المسالك جداً تحصناً وتمنعاً عن الحكومة التي تهددهم بقوتها اذا حاولوا التمرد عليها : ونقلت من كتاب فظائع الارمن التركي العبارة ما خلاصته ان الارمن في حدود سنة ٩٥٢ رأسوا منهم اربعة اشخاص سموهم (ايشخان — پرنس) وقسموا مدينة الزيتون بينهم اربعة اقسام اقاموا على كل قسم منها واحداً يحكمها من هؤلاء الاربعة وعقدوا جمعية سموها (فهاودال) جعلت وظيفتها السعي وراء تأييد السلطة الارمنية على اهل تلك النواحي المجاورة لهم فاستفحل امر هذه الجمعية وامتدت سلطتها الى القرى المجاورة لها حتى صارت تجبي الضرائب من اهلها بواسطة جباة ينصبونهم حتى ان كثيراً من القرى الاسلامية القريبة من الزيتون خربت وجلا اهلها عنها فراراً من ظلم الزيتونيين وتعديهم وكانوا كثيراً ما يتمردون على الحكومة بدعوى كثرة ضرائبها عليهم حتى انهم قاموا مرة عليها بزعم ان ضرائبها البالغة في السنة ١٥ الف قرش لا يقدرون على دفعها ثم انهم لما رأوا ان لا مناص لهم من دفعها اذعنوا للطلب

ودفعوها ثم تجاهروا بالعصيان وقاموا عليها في سنة ١١٤٧ ثم تكرر منهم هذا التمرد في كل من سنة ١٢٠١ و١٢٢٣ و١٢٢٤ و١٢٤١ و ١٢٤٧ و١٢٥٨ وفي سنــة ١٢٧٠ حضر الى الزيتون قسيس اسمه (ملكيان اورزروفي) ليكون عضوا عاملاً في العصابة العصيانية وعندها انتخب الايشخانيون القسيس (ديراسويان) مشاور الحكومــة فنصبوه حاكماً عاماً على الارمن في تلك النواحي فتوجه هذا الى دولة روسية ليؤيــد حاكميته الموهومة و بينما هو في الطريق اذ القي القبض عليه في مــدينة ارضروم وحضر الى الزيتون شاب اسمــه (هاروتيون چاقريان) وهو زيتوني الاصل وكان من مأذوني مكتب الارمن في غلطة فتعين عضواً عاملاً في جمعية الزيتون فنفخ هذا الشاب في ادمغــة الارمن روح استقلال الارمن وانفكاكهم عن الدولة العثمانية ومن ذلك الوقت اخذوا يشددون الوطــأة على من حولهم من اهــل القرى المسلمين واخذوا يستعطفون امة الارمن و يطلبون منهم المــدد والمعونة على مشروعهم فصارت الاعانات ترد اليهم تباعاً من اميركا ومصر وغيرهما حتى ان ارمنياً اسمه (مياسيال انيكه) الزيتوني المقيم في مصر تبرع على هــذه الجمعيــة باربعمائة ليرا وارسل الى مكاتب الارمن في الزيتون معلمين خصوصيين وصار يحضر الى الزيتون من غير اهلها جماعة تمكنت فكرة الاستقلال من روؤسهم منهم رجــل اعطوه لقب (برنس) حرروا له محضراً عاماً ليقدمــه بنفسه الى نابليون الثالث ايمبراطور فرانسه قالوا فيه انهم يسترحمون من حضرة الامبراطور باسم سبعين الف بطل ارمني ان

يظاهرهم على الاستقلال فاهتم الامبراطور بهذا الطلب اولاً ثم لما تأمل المحضر وعلم ما فيه من المبالغة في العدد والتظلم طرحه وراء ظهره . قال في الكتاب المذكور وفي سنة ١٢٨٢ سرى تمرد الزيتونيين الى استانبول بواسطة مرخصي الارمن الزيتونيين وفي تلك الاثناء عينت الحكومة للزيتون قائمقام فقام بعضهم يطلبون من البطركية رفعه وظهر واحد من شجعانهم اسمه (بابيك باشا) وصار يتعاطى الدعارة وقطع الطريق الى ان مات وفي سنة ١٢٩٧ بدأ الاختلال في تلك الجهة وكان زعيمه رجل اسمه بابيك وقد دام هذا الاختلال الى سنة ١٣١٣ وقد حدث في هذه المدة عدة وقائع اهمها الواقعة التي تقدم ذكرها التي بدأت سنة ١٣١٣ وقد اشترك في هذه الواقعة عامة الارمن الجبليين سوى افراد قليلين منهم واستغرق هذا الاختلال مدة خمسة واربعين يوماً ثم تداخلت القناصل ووقفت هذا الاختلال كما قدمناه قال صاحب الكتاب المذكور والغريب ان زعماء هذا الاختلال قاموا في اوله على قصد النهب والسلب ثم بدا لهم ان يفرغوه في قالب سياسي وبذلك اغتنموا فرصة جمع مبلغ عظيم من النقود جمعوها من الارمن ودلوها في جيوبهم وكان الغرض الحقيقي من هذه المشاغب الدعوى للمداخلة الاجنبية واضعاف الدولة العثمانية والتأمين على استقلال الزيتون اه الاستطراد

وفي هذه السنة (١٣١٣) استولى الخوف على الناس في حلب وصار لا يمر يوم الا و يقع فيه الرعب من الثورة فيغلق الناس حوانيتهم ويتراكضون الى بيوتهم وفيها في ثاني عشر اذار سطع بين العشائين

ضياء دهش له الناس استغرق نحو خمس دقائق وقد انتبه له الناس من داخل خلواتهم وجعلوا ينظرون اليه وبينما كانوا يرونه جرماً ملتهباً آخذاً بالهبوط اذ بصروا به جرماً عظيماً كأنه قطعة سحابة نارية يتطاير منها شرر كثير كأنها جمرة تتلظى ثم اخذ لونها بالبياض حتى عادت كأنها غمامة بيضاء استمرت تشاهد في الجو نحو ساعتين وقد ترك حين نزوله من العلو اثراً محمراً بقي قدر ساعتين وشوهد هذا الحادث ايضاً في جزيرة قبرص وقونيه وادرنه . وفيها استتب الامن في الزيتون واقلعت عنها طوابير الرديف الى مراكزها فوصل منها في يوم الجمعة ١٩ ذي القعدة عدة كتائب سافرت في ثاني يوم الى ازمير . وفيها عمر في قرية قره اغاج قرب مدينة اسكندرونة جامع على نفقة الخزينة الخاصة . وفيها اضيفت ناحية تركمان الى ناحية حران وجعلت قضاء سمي قضاء حران الحق بمتصرفية اورفه . وفيها صدر الامر بان يعمر على الساحل الممتد من بياس الى السويدية احدى عشرة مخفرة لتكون بالمرصاد على الارمن الذين يقدمون من اميركا واوربا الى البلاد العثمانية بقصد تهييج المشاغب وطلب الاستقلال

سنة ١٣١٤

في صفر هذه السنة اهتم مجلسنا البلدي برحبة السقاية المعروفة بسبيل الدراويش في شمالي حلب على بعد ميلين منه فعمر فيها غرفتان على طرز جميل وانشأ تجاههما بستان فسيح وجعل ذلك المكان محلاً لنزهة العموم رفي ربيع الثاني منها تواردت الاخبار من الاستانة بان عصابة من الارمن

اثاروا فيها وفي غيرها من البلاد مشاغب شديدة فعوقبوا على عملهم وعاد الامن والسلام الى مجراه القديم ودعت حكومة حلب علماءها واعيانها ورؤساء الكهنة فيها والقت عليهم النصايح اللازمة وحثتهم على الوفاق والمسالمة لبعضهم وحذرتهم عاقبة المخالفة ثم فرقت الحكومة على الناس بواسطة عرفاء المحلات نشرة مآلها : ان بعض اولي الفساد من طائفة الارمن العاملين على اثارة الفتن والقلاقل في الاستانة قد عقدوا النية على اثارة ذلك ايضاً في عامة البلاد العثمانية وغرضهم من هذا العمل اغضاب المسلمين ليوقعوا بالارمن فيبرهن الارمن لاوروبا انهم مظلومون وان المسلمين لهم ظالمون فتنهض اوروبا لانقاذهم من ظلمهم وتقع الدولة العثمانية في خطر سياسي جديد · فالواجب على كل فرد من افراد الرعية العثمانية ان يلزم جانب السكون والحياد ولا يتعرض الى ما لا يعنيه فان الحكومة وحدها هي المسؤلة عن اخماد كل ثائرة وقطع دابر كل فساد · وفي ايلول منها وقع في السويدية مطر غزير انقضت في اثناء وقوعه صاعقة على زورق في الميناء حطمت ساريته · وفيها ورد الامر بان احدى عشرة قرية بعضها في قضاء حارم من اعمال ولاية حلب و بعضها الآخر في قضاء الخاصة من اعمال ولاية اطنه تسلخ عن هذين القضائين وتضاف الى قضاء بيلان وهي دده چنار و پوز هيوك وقره باپو و برته لى و پاصي يورت و بلانقوز وزنكي وچام صاري وطوسون هيوكي و كوزلجه وقرهمان ق ش · وفيها تم بناء الثكنة العسكرية في زيتون

– حدوث حرب اليونان – وفيها بدأت دولة اليونان تتحرش بجزيرة كريد وتثير فيها الفتن والقلاقل بواسطة عصابات يونانية تمدهم بالاموال والسلاح فيقطعون السبل و يشنون الغارات على القرى و ينهبون و يقتلون وكان الحامل لدولة اليونان على هذا العمل اغتنامها فرصة اشتغال الدولة بحوادث الارمن وعجز ماليتها عن الحرب · وفيها رأت الدولة العثمانية وجوب حرب اليونان وردعها لتماديها في غيها الا ان مالية الدولة في عجز عظيم عن الانفاق على هذه الحرب فاضطرها الحال الى ان تفرض على المملكة اعانة سمتها اعانة التأسيسات العسكرية قدرها ٥٨٥٢٢٥٠ قرشاً فلحق مدينة حلب منها ٩٤٧٧٥٠ قرشاً وقضاء انطاكية ٦٦٤٥٠٠ قرشاً وقضاء عينتاب ٧٦٢٧٥٠ قرشاً وقضاء كلز ٧٥٩٧٥٠ وقضاء ادلب ٥٣١٢٥٠ وقضاء الباب ٢٣٠٧٥٠ وقضاء الجسر ٢٧٩٧٥٠ وقضاء حارم ٢٨٩٥٠٠ وقضاء بيلان ٨٢٠٠٠ وقضاء اسكندرون ١٤٤٠٠٠ وقضاء المعرة ١٧٣٧٥٠ وقضاء منبج ١٨٥٠٠ وقضاء الرقة ٦٩٧٥٠ وقضاء جبل سمعان ٢٥١٢٥٠ وشعب الاملاك السنية ٦٥٧٠٠٠ قرش · وفيها عين السلطان عقيب حوادث الارمن ومشاغبها مشيراً جوالاً في الولايات الشاهانية ليفحص عن وجوه الاصلاح التي تحتاجها كل ولاية وكان تعيين هذا المشير صورياً الغرض منه التمويه على الدول الاجنبية التي تطلب حماية الارمن وتطهير البلاد من الظالمين والمستبدين والمشير المشار اليه اسمه شاكر باشا فطاف عدة ولايات وكتب ما رآه من وجوه الاصلاح اللازم اجراؤهما في تلك الولايات ثم في العشر

الثاني من رمضان هذه السنة وصل الى حلب قادماً اليها من الرقة نخف لاستقباله الى ناحية بابلى في شمالي حلب قائد العسكرية ادهم باشا وعدد عظيم من الجنود الشاهانية واعيان البلد ونزل ضيفاً كريماً في منزل بني العادلي في محلة السفاحية وكان معه حسيب افندي مستشار السفارة العثمانية في طهران ومادر كورداتو افندي معاون المشير وغيرهم من الحاشية والمعاونيين فنزل كل احد منهم في منزل واحد من اعيان حلب وكانت زوجة المشير معه وهي مسيحية روسية تخرج للناس غير محتجبة وبعد ان استراح بضعة ايام اعلن انه يقبل كل لائحة تبحث في اصلاح حلب وجميع ولايتها فاقبل عليه الكتاب واولو العقول الثاقبة باللوائح المتنوعة الطافحة بالفوائد الآيلة لاصلاح احوال الولاية وتحسين امورها من تأسيس مكاتب علمية وصناعية وتجارية وزراعية وافتتاح طرق ومعابر واحضار معامل واوائل وتخفيض رسوم وتكاليف واحداث غيرها وتأليف ضابطة من الملل الثلاث وغير ذلك فكان يتلقى تلك اللوائح بكل ارتياح و يظهر بها اعجابه و يعد بتنفيذها مع انه لم يظهر لها بعد ذلك ادنى اثر ولا خبر . وفيها حول ادهم باشا قائد حلب الى القائدية العامة في حدود اليونان لحرب المتعدين على كريد فبارح حلب على الفور متوجهاً الى جهة الحدود المذكورة وكان ادهم باشا صار بعد حادثة الزيتون قائداً عاماً فوق العادة على حلب واطنه وما جاورهما قصد استطلاع اخبار الارمن ومراقبة احوالهم فلما تحول الى حدود اليونان خلفه في القائدية العامة المذكورة علي محسن باشا . وفي شوال هذه السنة المصادف شباط

سنة ١٣١٢ تظاهرت دولة اليونان بالعداء على الدولة العثمانية فجهزت دارعة (لور بيورم) وشحنتها بالعساكر وامرتهم ان يخرجوا الى (كوكيمبازي) فعارضتهم دارعة انكليزية وساقت دارعتهم (لور بيورم) مخفورة الى خانية و كانت الدولة العثمانية قد جهزت مائة واثنين وتسعين طابوراً وعزمت ان تجعل هذه القوة مائتين وعشرين طابوراً وصدرت الاوامر للحامية العثمانية المرابطة في حدود الاصونيا وتساليا بان تكون على قدم الدفاع · وفيها صدر الامر بجمع اعانة اسمها اعانة المعابد الاسلامية و بجمع اعانة اخرى اسمها اعانة مهاجري كريد المسلمين وهكذا كان لا يمر في تلك الاعصار العجيبة شهر او شهران الا وتصدر الاوامر بجمع الاعانات على اختلاف اسمائها ومقاصدها فكأن اموال الدولة على كثرتها كانت في تلك الاوقات ترمى في عرض البحار كما ان تلك الاعانات التي اضجرت الناس وازعجتهم كانت تدفن في الارض وفي شهر ذي القعدة الموافق نيسان سنة ١٣١٠ بدأت تتوارد الرسائل البرقية من الصدارة والنظارة الداخلية الى ولاية حلب نقلاً عن القائد العام في جزيرة كريد مبشرة بظفر العساكر العثمانية واستيلائهم على البلاد اليونانية وحصونها بلدة بعد بلدة وحصن بعد حصن وكان حضر الى حلب عدد وافر من مسلمي جزيرة كريد مهاجرين منها فراراً من تعدي اليونان عليهم وايقاعهم بهم فقر رأي المرحوم والي حلب رائف باشا ومجلس ادارة الولاية على ان تلك الرسائل البرقية التي ترد تباعاً تعرب وتطبع وتباع وتصرف قيمتها المتحصلة في مصالح المهاجرين المذكورين

فكلفني الوالي المشار اليه بتعريبها حسبة فصرت اعربها ثم تطبع في مطبعة الحكومة وتباع و يصرف الحاصل من ثمنها في مصالح المهاجرين . وفي يوم الخميس ٢١ ذي القعدة سافر من حلب شاكر باشا المشير المفتش العام المتجول في ولايات الاناضول وقد تقدم الكلام فيه . وفيها ورد امر بجمع اعانة لمهاجري مسلمي كريد الذين وصلوا الى الاستانة و يبلغ عددهم مائة الف وخمسة الآف انسان منهم ٦٠ الفاً لا يملكون قوة يومهم . وفيها توالت انتصارات العساكر العثمانية وفشل الجنود اليونانية ففت ذلك في عضد ملك اليونان فاستغاث بقيصر روسيا والتمس منه ان يتوسط بينه و بين السلطان ففعل

سنة ١٣١٥

في محرم هذه السنة تم الصلح بين الدولة العثمانية واليونان على غرامة حربية تدفعها الثانية للاولى قدرها اربعة ملايين ليرة وان يرد الى اليونان جميع البلاد التي اخذت منها في هذه الحرب و بقيت جزيرة كريد تحت حماية الدول العظمى ريثما يتفقون على طريقة في شأنها ثم اتفقوا على ان تكون لليونان

قصيدة من نظم الشاعر الاديب عبد الفتاح الطرابيشي الحلبي نوه بها بذكر ما احرزه العثمانيون من الظفر في حربهم مع اليونان وما فتحوه عنوة من البلدان والمواقع

الحمد لله حق النصر والظفر   واقبل الدهر في ذا الفتح يفتخر
واصبحت دولة الاسلام سائدة   وسيفها في قفا الاعداء مشتهر
ودولة العسكر اليونان خائفة   مثل الشياه اذا اسد الشرى نظروا

والجيش سد عليهم كل ناحية حتى تخيل ان الناس قد حشروا
لله در جيوش المسلمين فقد ابدت فعالاً لها طول المدى سير
هم الليوث اذا نار الوغى استعرت والواردون اذا عنها العدى صدروا
اقلهم يلتقي الا لآف مبتسماً تحت الغبار بقلب دونه الحجر
امسى تلذذهم والحرب دائرة صوت المدافع والتصهال لا الوتر
يقودهم كل ندب حسن سيرته يثني عليها قضاء الله والقدر
وكل شهم مشير لا نظير له يكاد يعطيه كنه العبرة النظر
هانت بهمتهم كل الصعاب كما دانت لحزمهم الامصار والقطر
يا يوم (لارسا) والابطال غائرة هل انت الا على اعدائنا سقر
حيث المدافع رعد والدخان به سحب وما قذفت من جوفها المطر
يوم به جاءنا عز ومنفعة وللأعادي اتاها الذل والضرر
و (طرنوى) اصبحت تهتز من جزع
مثل النزيف الذي قد هزه السكر
لاقت رجالاً تروع الاسد حملتهم ويرهب الجن لقياهم وهم بشر
باعوا نفوسهم لله وانتدبوا نحو الاعادي فما امسى لهم اثر
حازوا غنائمهم والسلب اجمعه واطلقوا السبي عفواً بعد ما اسروا
(ترحالة) خبرينا ما نظرت فقد حارت بمخبرك الالباب والفكر
وحذر الروم من قوم جبابرة اذا نضوا سيفهم لا ينفع الحذر
فان يظنوا الجبال الشم تعصمهم ان الجبال لدى فرساننا مدر
يفضلون المنايا في مقاصدهم على الدنايا ولا يثنيهم الخطر

يلقون انفسهم في كل مهلكة   كانهم للقا الاعداء قد فطروا

و(غولس) صار بالتسليم مأمنها   وزال عنها العنا والهم والكدر

وقد غدت في جيوش النصر زاهيـة

زهو العروس التي قـد زانها الخفر

والحرب حرب (ولستين) فتلك غدت

مما يقصر عنهـا الوصف والخبر

احاطها الجند من بعد الهجوم لها   حزناً وسهلاً فمنها لم يفز نفر

لله (لورس) مالاقت ومانظرت   من فعلهم وظلام الليل معتكر

قد هاجموها مساءً والعدو بها   ما ادبر الليل حتى اقبل الظفر

امسوا تذمهم الاعدا وتمدحهم   اهل الشجاعة حتى السبع والنمر

قولوا لمن ظن ان العجز اقعدنا   عن زدهم حينما في عهدهم غدروا

هلا سمعت بما قد قلت من مثل   لا يحمد القطف حتى يوجد الثمر

دوموا ايا عصبة الاعداء في قلق   والدمع منهمر والقلب منفطر

فان اوطارنا نقضى بهمتنـا   لا بالخيـانة منا يبلغ الوطر

سلوا (زراقا) و (كروانا) فقـد شهدا

فعال ابطالنـا والحرب تستعر

تخبرا عن رجال ليس يأخذهم   فيما يرومونه اين ولا ضجـر

(نرسالة) نبئينا عن فوارسنا   هل عاقهم عنك ذاك المسلك الوعر

ام هـل حصونك اجدت يوم حملتهم

نفعاً وهـل صدهم عن اخـذك النهر

يومان قد ظل فيها الطعن متصلاً   حتى توالت على اعدائنا الغير

هيا (لدومكة) وانظر معالمها   فالعين تشهد ما لا يشهد الخبر

حلوا ذراها وساروا نحو (ارمية)   بعارض هطله النيران والشرر

اروا عــدوهم حرباً فسالمهم   لمــا تحقق لا منجى ولا وزر

وقائــد الجيش قسطنطين حين رأى

جيوشه نكسوا الرايات وانكسروا

ولى ولم يلتفت خوفاً الى احدٍ   من بعدما زاغ منه القلب والبصر

لا غرو ان مر وانشقت مرارته   فمن فوارسنــا الاطواد تنفطر

يا ادهم الاسم يا قاني الحسام ويا   مردي اعاديك ان قلوا وان كثروا

انت المشير الوزير الفارس البطل م   الليث الغيور الكمي الصارم الذكر

تركت فعلا لدى اليونان مشتهراً   متى جرى ذكره اودى بها الذعر

جزاك ربك عنا كل مكرمة   فليس منا يفيك الحمد والشكر

يا للبرية ما هذا المشير ومــا   تلك الفوارس والابطال والبشر

اولئك الحزب حزب الله من شهدت

بحسن حزمهم الارماح والبتر

مظفرين بعزم من مليكهم   عبد الحميد الذي تزهو به العصر

رب السياسة منشي العدل مالكه   بحر الدراية سامي القدر معتبر

افكاره شهب اقواله قضب   انعامــه سحب تهمي وتنهمر

من فضله عامل الاعــداء مذ كسروا

بالصفح عن عظم ذنب ليس يغتفــر

كم من مليك قبيل الحرب انذرهم ... خوفاً عليهم فما اغنتهم النذر
خليفة الله دم فالنصر مقتصر ... عليك اذانت في الشدات مختبر
يامعشر الناس هنوا ذا المليك فقد ... اضحى بتاريخه(١) من دأ به الظفر
وعظموا همة منه قد اشتهرت ... يقول تاريخها(٢) من دأ بها الظفر

الى آخره : وهي قصيدة طويلة اكتفينا منها بهذا القدر . رجعنا الى تتمة حوادث هذه السنة . في اواخر محرمها تم بناء مستشفى الغرباء تحت القلعه . وفيها عمر في مدينة الرقة جامع ومكتب وبعض خلوات للطلبة وكانت النفقة على ذلك وقدرها ١٥٦٥٠٠ قرش من اموال الخزانة الخاصة . وفي هذا الشهر ايضاً كان الاحتفال بمنتزه السبيل المتقدم ذكره بالغاً حد الغاية من الرونق والبهاء . وفي صفر منها الموافق تموز سنة ١٣١٣ احيت الحكومة في المكتب الاعدادي ليلة طرب وعزف صرفت مجموع دخلها على تجهيز هدية لجرحى الجنود العثمانية في حرب اليونان وايتام شهداء الجنود واراملهم وكانت تلك الليلة بالغة منتهى الرونق والبهاء وكان مجموع دخلها ١٠١٥ ليرا عثمانية و ٢٤٨٧٥ قرشاً . وفي شهر جمادى الثانية منها الموافق تشرين الاول سنة ١٣١٣ وقع في جهات السويدية مطر يتخلله برد الواحدة منه في ثقل ٣٣ درهماً تقريباً مستمراً ذلك نحو خمسين دقيقة فحطم عروق الاشجار وقتل كثيراً من الطيور وانقض في خلال ذلك عدة صواعق لم تعقب ضرراً . وفي

(١) سنة ١٣١٤ وهي تاريخ ابتداء هذه الحرب
(٢) سنة ١٣١٥ وهي تاريخ انتهائها

رجب منها وردت الاوامر بان يؤخذ على كل شاة تذبح اربعون وعلى كل معزاة ثلاثون وعلى كل بقرة مائة وعشرون بارة يؤخذ ذلك وقتياً اعانة لمحاويج مسلمي كريد المهاجرين وعليه صار هذا الرسم يؤخذ في مسلخ حلب وهو فوق ما كان يؤخذ من الرسم قديماً باسم الذبحية من جهة البلدية وقد انقضت حادثة كريد وعاد مهاجروها اليها و بقيت هذه الاعانة تؤخذ على الوجه المذكور الا انها صارت تصرف بعد رجوع المهاجرين الى اوطانهم نصفها على مكتب الصنائع ونصفها الآخر على المكاتب الابتدائية وكان يبلغ مجموعها في السنة نحو مائة الف قرش وفيها في كانون الاول توالت الامطار في مرعش بضعة ايام فانهدم فيها جامع آراسته عن آخره ولم يبق منه سوى منارته · وفيها عمر تجاه منتزه السبيل مخفرة عسكرية باعانة جمعت من اهل الخير · وفيها في كانون الاول بينما كانت قافلة كبيرة تسير الى مرعش اذ هبت عليها وهي قرب قمة جبل آخور عاصفة ثلجية اوقفتها عن السير و كادت تهلك عن آخرها لولا ان اتصل خبرها بمرعش وترسل الحكومة لانقاذها عدداً من العساكر واهل البلدة ومع ذلك فقد هلك فيها ١٣ حماراً و ٦ شياه وفيها في كانون الثاني ورد من مرعش ان الثلوج تتساقط عليها مدة ثلاثين ساعة متوالية فتكاثفت في الجبال قدر ذراعين وفي مدينة مرعش قدر ذراع وانه هلك في عواصف الثلج مسافر وسبعة دواب معه وانقطع من كثرة الثلوج سير القوافل بين مرعش والبستان والزيتون واندرين وهلكت دابة البريد وصقع في مرعش طفل رضيع واتى البرد

القارس على كثير من الوحوش والضواري وورد من معرة النعمان ان الثلج فيها كثير والقر شديد وجاء من عينتاب ما يشعر بذلك وانه صقع في احدى الطرق المؤدية اليها رجل وورد من ادلب ان شدة البرد قتلت في احدى ضواحيها رجلاً وانهُ لم يحدث في ادلب نظير هذا البرد منذ خمسين سنة . وفيها فتحت جادة الخندق الممتدة بين العوينة و باب حديد بانقوسا وهدم خان الدلال باشي وصار بعضه جادة . وفيها في ادار شعر الناس في حلب بهزة ارض وحدث مثلها في اورفه ومرعش وعينتاب وكلز واسكندرونة و بيلان والجسر وادلب والبيرة والباب والزيتون والبستان وارسوز لكنها لم تعقب ضرراً . وفي آذار هاجت عندنا العواصف وقرس البرد وكثر المطر والثلج . وفيها في نيسان كثر تهطال الامطار على القرى القريبة من عينتاب وتساقط معها برد كثير وانقض صاعقة على جدار فهدمته وقتلت عشرين شاة وجرف السيل من قرية اولو معصرة حصاناً و ٣٦ ماعزاً ومن قرية اخرى نيفاً وار بعمائة شاة وراعياً وافسد البرد كثيراً من الزروع . وفيها احضرت البلدية من اوروبا دولاباً للماء يدور بالهواء نصبته على بئر في منتزه سبيل الدراويش وهواول دولاب احضر من اوروبا على هذا الطرز

سنة ١٣١٦

فيها نقلت دار حكومة قضاء حارم من قصبة حارم الى قرية كفرتخاريم و بنيت فيها دار حكومة باعانة جمعت من اهل ذلك القضاء وفي شهر صفر منها خسف القمر مبتدئاً بالخسوف في نحو الساعة الثالثة

ليلاً وتكامل خسوفه نحو الساعة الرابعة والنصف ثم في نحو الساعة السادسة انتهى انجلاؤه وفي اثناء خسوفه اخذ الناس يطلقون البنادق ويضربون على النحاس ويدقون بالهاونات جرياً لعاداتهم حين خسوف القمر من قديم الزمان زاعمين ان خسوف القمر سببه حوت يبتلعه وانه اذا سمع اصوات البنادق وتلك الاصوات المزعجة يخاف فيمج القمر ·

وفي هذا الشهر بوشر بتعمير المخفرة الكائنة في سفح جبل البختي تجاه منتزه السبيل من شرقيه وقد عمرت من اعانة جمعت من اهل الخير ·

وفيها حدث في انطاكية ان امرأة احبت شاباً فاحتالت على زوجها واطعمته كبة نيئة وضعت فيها شيئاً من الشك المعروف بطعم الفار واكل معه على غير قصد منها بنت وولد لها فلحقت الولد واخرجت اللقمة من فمه ولم يلحقه ضرر وارادت ان تخرج اللقمة من فم البنت فلم تتوفق وابتلعت البنت الطعام وبعد ساعة ماتت البنت وابوها من السم وشاعت هذه الحادثة في انطاكية وحكم على المرأة بالقتل قصاصاً وسيأتي بقية خبرها · وفيها وضع اساس منارة الساعة في حضرة باب الفرج في موضع قسطل كان يعرف بقسطل السلطان وقد جرى لوضع هذا الاساس احتفال باهر حضره الوالي والامراء والاعيان والوجهاء فكلفني الوالي القاء خطبة في هذا الموضوع فقلت على الفور والبديهة بعد البسملة

الحمد لله مبدع الكائنات خالق الاوقات والساعات منشئ الاملاك ومسير الافلاك الملك الوهاب جاعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لنعلم عدد السنين والحساب اما بعد فان اولى ما يفتتح به الكلام

في هذا المقام رفع اكف الضراعة والابتهال الى المولى المتعال مانح النوال وسامع السؤال بدوام ايام مولانا الخ وهو دعاء طويل سلكنا فيه على اسلوب ذلك الزمن ثم قلت بعد ذلك . هذا وان بلدتنا الشهباء لم يمض عليها غير ردح من الزمن تحت ظل عناية هذا السلطان الاعظم حتى استبدلت خرابها بالعمار ووحشتها بالانس وخمولها بالانتباه وخوفها بالامن فاتسعت فيها الشوارع و كثرت المهايع واقبل الناس بكل جد ونشاط على تملك الاراضي واتسع نطاق العمران واصبحت الشهباء بسعتها وضخامتها ضعفي ما كانت عليه كل ذلك في برهة من الزمن يصعب على من كان غائباً عن حلب ان يتصورها بلغت هذه الغاية العظيمة باقل من نصف قرن . وها هي الان يتعزز جمالها و يتتوج هام كمالها بتاج يحلو العيون منظره و يلذ الاذان خبره و يعم نفعه البعيد والقريب و يشمل شرفه الوطني والغريب به تفصل الشهور والاعصار وتعلم الاوقات من الليل والنهار الا وهو الساعة التي كانت ولادتها في الشرق وحضانتها في الغرب فما احرى بالوالد ان يحضن ولده و بالممد ان يتفقد مدده وهذا هو اس منارتها التي ستكون بعظمتها ناطقة بهمم الرجال اولي المجد والاقبال الخ وقد ارخها الشاعر الاديب عبد الفتاح الطرابيشي بقوله :

قد شاد بالشهبا منارة ساعة — تزهو باتقان وحسن صناعة

في دولة الملك الحميد المرتجى م — الثاني الذي ساس الورى بدراية

و بهمة الوالي الروءف اخي الحجى — وصنيع قوم من اعاظم سادة

فهم رجال قد روى تاريخهم لعلائهم حتى قيام الساعة

وقال ايضاً :

لقد شيد في الشهبا منارة ساعة بمصر حميد عن علاه غدت تروي

وجاءت كما يهواه رائف ارخوا تنبه للاوقات من كان في لهو

وفيها عمر مستودع للرديف في قصبة كفرتخاريم تبرع بالانفاق عليه جماعة من متمولي القضاء . وفيها بلغنا ان امرأة من قرية تغله في قضاء كلز بينما كانت جالسة في بيتها اذ دخل عليها شاب من اهل القرية شاكي السلاح يريد مواقعتها فاستغاثت به على ان يكف عنها فلم يفعل وحينئذٍ قامت الى بندقية مزدوجة معلقة بالجدار واخذتها واطلقت عيارها عليه فاصابت رصاصتها كبده فما كان منه الا ان اطلق عليها عياره فاصاب كبدها ووقعا قتيلين . وفي ذي الحجة منها توفي في مدينة اسكندرونة غلام في سن الخامسة عشرة وهو ابن فضل الله زريق وقد حضر اليه وهو على النعش احد اقاربه المسمى قيصر فاكب عليه يقبله ولفرط حزنه عليه فاضت روحه ولحق به في الحال . فيها تم بناء منارة الساعة

سنة ١٣١٧

وفي صفر منها الموافق حزيران سنة ١٣١٥ بوشر بتجفيف مستنقع اسكندرونة فبني عليه سد عظيم طوله خمسمائة متر وتقرر ان يكون طوله ٩٥٠ متراً ثم فترت الهمة وبقي المستنقع على ما كان عليه . وفيها هدم مسجد كان عند باب حديد بانقوسا توسعة للطريق وبني بدله في

موضعه مسجد بديع الطرز مع مكتب ابتدائي في قربه · وفيها وصل الى حلب دولاب طوابة يدور بقوة الهواء فنصب عند العوينة وعمر له في قربه حوض عظيم ينفذ ماؤه الى كيزان مطمورة في الارض ممتدة الى قرب باب الفرج قد جعل لها منافذ لولبية يوضع فيها خرطوم للرش وقد استعمل مدة قليلة ثم تعطل الدولاب وكانت البلدية صرفت على ذلك زهاء ثلاثة الاف ذهب عثماني · وقد نصب نظير هذا الدولاب في محلة الجميلية وبعض البساتين فلم ينجح · وفيها تم بناء العمارة على عين الموقف في اسكندرونة وجرت لها حفلة فائقة · وفي جمادي الاولى منها قدم على حلب سيف الدولة ابن شاه ايران قاصداً زيارة مقامات اهل البيت النبوي في حلب وغيرها من البلاد الشامية فاستقبلته الحكومة استقبالاً باهراً ونزل ضيفاً عند شهبندر دولة ايران فبقي بضعة ايام ثم سافر الى جهة مقصده · وفيها تم عمل خريطة لمدينة حلب اعتنى بوضعها مهندس الولاية شارتيه افندي وراغب بك ابن رائف باشا والي الولاية وقد اخذت في الفوطغراف على مقياس جزء من اربعين جزءاً وهي اول خريطة وضعت لمدينة حلب وجاءت غاية بالضبط والاتقان · وفيها نجز فتح جادة العطوي ووصلت بطريق المركبات الآخذ الى اسكندرونة المار قرب محلة السليمية المعروفة بالجميلية وهي تبتدئ من مزار السهروردي آخذة الى طريق المركبات من وسط بستان باقي چاويش وبستان ابراهيم آغا مارة على الجسر الجديد الذي تم بناؤه في هذه الايام وهو من احسن جسور نهر قويق وافخمها · وفي هذه السنة كان

الشتاء شديداً وكثرت فيه الثلوج والامطار وغرق في السيول كثير من الناس والدواب في حلب وغيرها وكثر الهدم خصوصاً في عينتاب وقرس البرد ولاسيما في البلاد الشمالية فقد تعددت فيها حوادث توقف القوافل في الطرقات وموت الكثيرين من الناس والدواب بالقر · وفي ضاحية كاز هجم وحش شبيه بالكلب على صغار يمرحون فاختطف منهم بنتاً وغاب بها وبعد ان تعقبه جماعة من الشجعان وجدوا رأس البنت وذراعها على سفح جبل ولم يظفروا بالوحش

سنة ١٣١٨ عزل رائف باشا عن ولاية حلب

فيها عزل المرحوم رائف باشا عن ولاية حلب وكان وزيراً شهماً جمع بين القوة والامانة وقد اثر في حلب آثاراً حسنة منها منتزه السبيل وبرج الساعة والجادة الكبرى الممتدة من حضرة مزار السهروردي الى محطة الشام والجسر العظيم المضروب على نهر قويق في هذه الجادة الذي تضاف اليه وله في حلب غير ذلك من الآثار التي يثني عليه لسان حالها مدى الادهار · وكان السلطان عبد الحميد يحذره ويسيء به ظنونه لاعتقاده به انه يسير في الدولة على منهاج مدحت باشا بطل الدستور العثماني لانه كان معاوناً له في ولايته على بغداد · ولما عزل الان عن ولاية حلب اسرع الرحيل عنها الى وطنه استانبول فتوجه اليها بحراً عن طريق اسكندرونة ولما وصل الى المحل المعروف باسم قرق خان قرب مدينة بيلان وصل الى وكيل الوالي بحلب علي محسن باشا رسالة بالبرق فحواها انه صدرت ارادة سنيه بتوقيف رائف باشا عن السفر الى

استانبول فبلغه وكيل الوالي هذه الرسالة وهو في قرق خان فبقي هناك مـدة كالمنفي ثم وردت رسالة اخرى بعوده الى حلب فعاد اليهـا ونزل ضيفاً كريماً في مـنزل المرحوم احمد افندي كتخدا وكان سبب توقيفه عن السفر ان بعض كبار الاتراك المنفيين في حلب سعوا به سراً لدى السلطان عبد الحميد والصقوا به تهمة الطعن والتنديد بالسلطان وانه ازال اثراً عظيماً من آثار السلطان سليمان خان وهو القسطل المعروف باسم قـطل السلطان الذي اسلفنا الكلام عليه في محلة بحسيتا من الجزء الثاني وانه بعد ان محا اثره بنى في موضعه برج الساعة الذي هو من بدع الفرنج وانه فعل غير ذلك من الامور التي لا تنطبق على احـكام الشرع الشريف ولا تروق للسلطان عبـد الحميد الذي كان مبـدأه التظاهر بالاعمال الدينية ارضاء للرعية فيتوخى كل عمـل يلائم افكارهم والصق به هؤلاء المنفيون غير ذلك من التهم التي هو براء منها والتي لم يقصـد من عملها سوى خدمة الوطن وتحسين احوال البلدة : وكان الباعث لهؤلاء الطغمة الشريرة على وشايتهم به انه كان مدة ولايتـه في حلب يعارضهم في اعمالهم الاستبدادية ويمنعهم عن تداخلهم في شؤون الحكومة وكان اسلافه الولاة يهابونهم ولا يعارضونهم في تداخلهم امـا هو فانه ضرب على ايديهم ووقف تيار استبدادهم واعلمهم بانهم هم منفيون ليس لهم من الامر شيء

بقي رائف باشا ضيفاً كريماً في منزل احمد افندى كتخدا مدة تزيد على شهرين وهو في اثنائها في ضنك عظيم يتوقع كل لحظة صدور امر

السلطان بجعله من جملة المنفيين غير ان السلطان تحقق في هذه المدة بواسطة جواسيسه الصادقين ان رائف باشا من المخلصين في ولائه وان جميع ما الصقه به اعداؤه من التهم كذب وبهتان فاصدر ارادة سنية ترخص له الحضور الى استانبول فتوجه اليها وفي يوم خروجه من حلب خف لوداعه عدد عظيم من العلماء والاعيان الى منتزه السبيل فجلس هناك برهة من الزمن ثم استأنف المسير الى جهة اسكندرونة فاسف عليه الناس اسفاً عظيماً ودعوا له بالسلامة وطول البقاء

— ولاية انيس باشا على حلب وقبل سفر رائف باشا الى استانبول بايام قلائل حضر الى حلب انيس باشا والياً عليها فنزل في دار البلدية واقبل الناس عليه للسلام وفي ثاني يوم من وصوله نزل الى الجامع الكبير وزار المرقد الشريف وطاف في البلدة وزار مراقد الاولياء والصالحين وعاد الى منزله ومضى على قدومه الى حلب عدة ايام ولم تزره قناصل الدول المعظمة ثم شاع عنهم انهم يطلبون من السلطان تبديله وانهم لا يعترفون بولايته على حلب زاعمين انه هو الذي اغرى الامة في ولاية ديار بكر حينما كان والياً عليها — بالقيام على الارمن وقتلهم ولما اصر القناصل على عدم الاعتراف بولايته على حلب ورد اليه امر مرموز بان يبقى مختبئاً في منزله لا يظهر الى احد حتى يأتيه امر آخر يوضح له ما يجب عليه عمله فبقي هذا الوالي المسكين مختبئاً في منزله كالمحبوس مدة شهرين او اكثر لا يظهر لأحد وقام بامور الولاية بدله علي محسن باشا القائد العام على حلب واطنه وما والاهما ثم ورد له الامر بالظهور

ومباشرة العمل

رأى السلطان عزل انيس باشا عن ولاية حلب لمجرد رفض القناصل ولايته عليها – وهناً في سطوته واخلالاً بشرف سلطنته فابقاه مختبئاً تلك المدة مغالطة وايهاماً بانه قد عزله ثم استرضى السفراء على ابقائه والياً في حلب فبقي امره نافذاً ولم ينكسر للاجانب وعد تدبيره هذا من جملة دهائه ونبوغه في فنون السياسة

وفي جمادى الاولى منها تم بناء مستودع المواد النارية العسكرية المعروف باسم جبخانة خارج حلب في شرقيها الى الشمال قرب تكية الشيخ ابي بكر الوفائي وكانت المواد النارية قبلاً تحفظ في مستودع داخل القلعة و بعضها يحفظ في مستودع داخل الثكنة العسكرية المعروفة بقشلة الشيخ يبرق نخيف من حدوث حريق يتصل بهذين المستودعين فينجم عنه اضرار عظيمة فنقل ما فيهما الى المستودع الجديد . وفي هذه السنة كان الشتاء شديداً والثلوج كثيرة واخبار الهالكين بالقر والصقيع وفيرة خصوصاً في جهات مرعش والبستان وتلك الجهات . وفي ذي القعدة منها تم انشاء حديقة محلة العزيزية المعروفة بالمنشية وركب على بئر حفر فيها دولاب هوائي يرفع الماء الى برميلها ثم ينحدر الى حوض مهندم في الحديقة كأنه حوض طبيعي وقد جاءت الحديقة غاية باللطافة وحسن المنظر . وفي هذا الشهر كان الاحتفال بتأسيس الثكنة العسكرية في مدينة اسكندرونة . وفيها انتهت جميع متممات مستشفى الغرباء الكائن تحت القلعة قرب سوق الضرب وفرش بالاسرة ودخلت اليه المرضى

من الفقراء وهو مستشفى حافل يقل نظيره في البلاد العثمانية قد اشتمل على غرف للرجال واخرى للنساء وخلوات للممرضين والاطباء واماكن للتشريح والاعمال الجراحية واهراء للمؤنة وغير ذلك

سنة ١٣١٩

وفي صفر منها فتح في حلب مكتب للصنائع وهي النجارة والخياطة وعمل الاحذية المعروفة بالقندرات ونسج الاقمشة الغزلية ونسج الجوارب والنفقات الاولية لهذا المكتب جمعت من دخل مسارح التياترو والنفقات الدائمة من اعانة وضعت على اللحم قبل بضع سنوات باسم اعانة مهاجري كريد وقد وليت ادارته فاسست صنائعه ورتبت اموره و بقيت مديراً فيه مدة اربع سنوات · وفيها حضر الى حلب آلة لحفر ابار شبيهة بالارتوازية وحضر مع الآلة استاذان فباشرا مهنتهما في جهة من جادة الخندق بين باب النصر والسهروردي وعملا هناك بئرين فما مضى عليهما غير قليل من الزمن حتى تعطلا وانصرف الاستاذان من حلب بما معهما من الالات · على ان هذه الابار يستخرج منها الماء بواسطة طلنبة مركبة على فوهة الانبوب الذي يخترق الارض و يصل الى منبع الماء وفي فصل الربيع من هذه السنة الموافقة سنة ١٣١٧ رومية تساقط على ولاية حلب برد كثير سيما في جهات مرعش والبستان و كان كبير الحجم بعضه في حجم البيضة وقد قتل عدة اوادم ومواشي وافسد كثيراً من الزروع · وفيها ورد من البستان ان سبعة اشخاص اكلوا نوعاً من الفطر فماتوا كلهم واتصل الخبر بحكومة ذلك القضاء فاصدرت امراً يقضي بمنع

بيع القطر . وفيها في التاسع والعشرين ايار سقط في اسكندرونة صاعقة على زاوية غرفة في الطابق العلوي من شرقي فندق فهدمت جانباً من الزاوية ودخلت الغرفة فصدمت قائمة سرير حديدي كان نائماً عليه رجل فاحترقت حاشية السرير ولم يتضرر النائم بشيء من جسمه ثم خرجت من الغرفة وصدمت قنطرة في جهة النهر فهدمت اكثر من نصفها ورفعت حصاناً كان هناك والقته على بعد عشرة امتار من موضعه فهلك . وفي ليلة الخميس عشرين من جمادى الثانية في نحو الساعة السادسة منه شبت النار من دكان رواس في سوق العرصة من عينتاب وسرت الى ما جاورها فاتت على ثلاث دور ومائتين وسبعين دكاناً واثني عشر فرناً وسبعة بيوت قهاوي وثمانية مخازن ومطحنة واتت على جانب عظيم من خان وعشرين دكاناً ثم خمدت . وفي اذار السنة الرومية بعد العشاء الاخيرة انقض على ردهة دار بني صولا احد بيوتات المسيحيين التليانيين في محلة الجلوم الكبرى بحلب صاعقة دخلت من داخن الموقد المعروف بالصوبا وكانت الردهة خالية من الناس فحطمت الصاعقة شيئاً من زجاج النوافذ وصدمت بعض عقود قناطرها فنفر من الملطمة قدر قيراطين ثم خرجت الصاعقة من النافذة التي حطمت زجاجها ودرجت على الزنك الذي هو سقف الدرج وصدمت قنطرة باب الدار الذي غلقه من الحديد فابقت في القنطرة اثراً دخانياً وتطايرت المسامير المغروسة في باب الحديد وهكذا انتهت حركتها . وفيه هاج في اسكندرونة اعصار دمر منها عدة منازل على البحر . على ان هذه

المدينة لا تكاد تسلم من الاعصار في مثل هذه الايام كل سنة

سنة ١٣٢٠

فيها كان افتتاح مربى الخيل المعروف باسم حاره في جهة الحمره فقام الوجهاء واكابر المأمورين يتزلفون الى السلطان باهداء الخيول الاصائل التي تربى في ذلك المحل وفي مدة وجيزة نجح المربى نجاحاً باهراً ثم اخذ يتقهقر الى ان اضمحل في بضع سنوات ولم يبق له ذكر · وفيها نصب على قنة جبل البختي تجاه منتزه السبيل في ظاهر حلب طاحون يدور بالهواء على الطرز الجديد فاشتغل مدة ثم تعطلت آلاته وبطلت حركته وفي هذه السنة في كانون الاول توالت الامطار على حلب وعينتاب وانطاكية فحملت السيول وطغت الانهار طغياناً عظيماً وانبسطت على الحقول والعمران فهدمت البيوت واتلفت الزروع واغرقت عدة اوادم ودواب · وفيها عزل والي حلب انيس باشا من ولايته وكان عفيفاً متديناً محباً للخير وقد بذل ما في وسعه لنجاح مكتب الصنائع وغيره من المباني الخيرية وقد ولي حلب بعده مجيد بك · وفيها في كانون الاول انبأت حكومة دمشق ان الهواء الاصفر قد تفشى فيها فارسل من حلب ضابط ومعه عدد كاف من الجندرمة الفرسان الى كل موضع من المواقع الكائنة على حدود ولاية دمشق وهي خان شيخون والهبيط وقلعة المضيق والحمراء لتكون هذه القرى تحت نظارة الضابط ومن هو في صحبته من الجنود ثم فتح في خان شيخون محجر صحي فيه الاطباء وادوات التبخير لفحص من يمر من هناك قاصداً جهات حلب وضرب

على قرية الهبيط والمضيق والحمراء نطاق صحي · وفيها انتهى تعمير مخفرة في السويدية من اعمال انطاكية عمرت من اعانة جمعت من اهل الخير · وفيها في شباط زالت علة الهواء الاصفر من دمشق ورفعت المحاجر الصحية (الكورنتينه) من خان شيخون والهبيط والمضيق والحمراء · وفيها عملت الحكومة احصاء مواليد ووفيات في الجهات الآتي ذكرها في غضون ستة اشهر من هذه السنة فكانت كما يأتي

وفيات		مواليد				
الاناث	الذكور	الاناث	الذكور	جمع الوفيات	جمع المواليد	اسم القضاء
٩٥	٦٠٤	٥٦٥	٩٢١	٧٠١	١٤٩١	قضاء انطاكية
١٣٤	٤٦٤	٤٣٢	٦٠	٨٩٨	١٠٢٣	« حارم
٣٣	٧٢	١١٢	١٣٦	١٠٥	٢٨٨	« اسكندرون
٣٢٢	٨٨٨	١٦٥	٨٤٨	١١١٠	١٤٩٤	« كلز
٧٩	١١١	١٧٩	١٨٧	٩٠	٣٦٦	« المعرة
١٥٦	٣٠٧	٣٨٤	٤٨٢	٤٦٤	٨٦٦	« جسر الشغر
٨٤٨	٥٩٧	٦٠٦	٧٧٧	١٣١٥	٣٨٤	« ادلب
				٤٨٨٣	٦٠٢٢	
٩٠	٩٦٨٧	٢٥٧٥	٣٠٤٨	٢٦٤٧	٥٦٢٣	لواء مرعش
				٧٤٠٠	١٢٥٤٥	

واحصيت المواليد والوفيات في لواء مرعش في غضون ستة الاشهر المذكورة فبلغت مواليده ٥٦٢٣ الذكور منهم ٣٠٤٨ والاناث منهم ٢٥٧٥ ووفياته ٢٦٤٧ الذكور منهم ١٦٨٧ والاناث منهم ٩٦٠ نسمة وفيها ورد من متصرفية مرعش ان بقرة في قرية جلكي في قضاء البستان ولدت ثلاثة

عجول في بطن واحد و بعد اربعة وعشرين ساعة هلكت العجول وامهم

سنة ١٣٢١

فيها مد السلك البرقي من حلب الى الباب · وفيها في اوائل آب فتح في المكتب الاعدادي الملكي الكائن في محلة الجميلية ظاهر حلب معرض عام لتشهير البضائع التجارية والصناعية الوطنية كالمنسوجات القطنية والحريرية والقصبية الفضية والمصنوعات التطريزية والغلات الزراعية والحيوانيــة والمصوغات الفضية والذهبية والعروض الخفافية والسراجية والحديدية والنحاسية والنجارية والترابية والدباغية والعطرية من حلب واكثر البلدان الكبار في ولايتها كعينتاب والرهـا ومرعش وزين المكتب داخلاً وخارجاً بالرايات وانواع السجـاد الذي هو من مصنوعات حلب والقطع الجميلة وانير في الليل بالاضواء الساطعة واقيمت في رحبته الالعاب الترييضية المعروفة باسم (جيمنستق) وفي الليـل الخيالية المعروفـة باسم (سينه توغراف) وهرع اليه الناس من حلب وغيرها واستمر مفتوح الابواب كذلك مدة شهر وزيادة والبضائع التي حازت فيه قصب السبق وصارت محـل اعجاب الجميع هي منسوجات حلب وقد اخذت فيه غرفة لعرض مصنوعات مكتب الصنائع فاقبـل الناس على شرائها باليانصيب فراجت وربحت ثم زاحمني على الغرفـة نجيب بك ابن الوالي اخذها مني لرجل يعينه على فجوره فاستاءت من هذا العمل واستقلت من مـديرية المكتب و بلغ الخبر والده فاستاء منـه وزجره واسترضاني فعدت الى ادارة المكتب · وفيها في آب سنة ١٣١٩

ظهر في حلب مرض مشكوك به ثم تحقق الاطباء انه مرض الهواء الاصفر وكان قبلاً ظهر في دمشق وفتك في اهلها فتكاً ذريعاً وزحفت جراثيمه الى حماه ومنها الى جسر الشغر وادلب والبيره وكلز وعينتاب ثم ظهر في حلب واحصي عدد من مات فيها في برهة اسبوع فكانوا احد عشر شخصاً فاهتمت الحكومة في قضية الكنس والرش وتنظيف الشوارع والازقة من القمامات والاقذار وكان قبل ايام من ظهوره وصل الى حلب طبيب الماني اسمه فونسكي افندي ومعه عدد من الاطباء امر السلطان باشخاصهم الى حلب للاهتمام بالاسباب الواقية من تطرق هذا المرض الى حلب من البلاد التي ظهر فيها في الولاية وغيرها فاوعز هؤلاء الاطباء الى البلدية بان تعزز وسائط النظافة وتلتفت الى الفواكه المضرة فتمنع بيعها وان تعمر على كل حوض مكشوف في المساجد وغيرها جداراً يمنع تناول الماء من الحوض رأساً منعاً للتلويث بل يكون تناول الماء من الحوض بواسطة مبذل فقامت البلدية بجميع ما امرها به الاطباء ولكن مع هذا كله ما برح هذا المرض يفتك في النفوس حتى اوائل تشرين الثاني من سنة ١٣١٩ الا انه كان خفيف الوطأة بحيث لم تزد وفياته اليومية في شدة بحرانه على خمسين نسمة ثم انه بعد ايام تقلص ظله من ادلب وعينتاب و بيره جك واسكندرونة وحماه وحمص وطرابلس الشام و بقية بلاد سورية ورفعت عنها مناطق الحجر الداخلية والخارجية وعادت مياه الصحة الى مجاريها . وفيها في حادي عشر تشرين الثاني هطلت امطار غزيرة على عينتاب وضواحيها فحملت منها السيول على

قرية تذب القريبة من عينتاب واتت على قرباط هناك تحت بيوت الشعر فاغرقت منهم ثلاثاً وعشرين انساناً وثلاثة حمير وثلاث رمكات وبعد ان انحسر الماء عن ذلك الموضع التقطت جثث الغرقى ودفنت

— وفاة علي محسن باشا — وفي اول يوم من شوال هذه السنة توفي في حلب الفريق علي محسن باشا ابن كل حسن باشا احد ياوري السلطان عبد الحميد ووكيل القائد العام فوق العادة في حلب واطنه (آذنه) وضواحيهما امضى في حلب نحو خمس عشرة سنة وحينما حضر اليها كان برتبة القائمقام ثم حاز رتبة الفريق ثم في حادثة الزيتون صار وكيل القائدية العامة المذكورة ليكون واقفاً لحوادث الارمن بالمرصاد وهي وظيفة وقتية الغيت بعد انقلاب الحكومة العثمانية الى الحكومة الدستورية وكان علي محسن باشا جواداً كريماً حلو الشمائل محسناً للحلبيين متلطفاً بهم محباً لصالحهم كما ان اهل حلب كانوا يحبونه كثيراً وقصره في محلة السليمية المعروفة بالجميلية هو ثاني قصر بني فيها ولما توفاه الله بلغ منهم الاسف عليه مبلغاً عظيماً رجالاً ونساءً ومشى في جنازته منهم زهاء ثلاثين الف شخص سوى من كان واقفاً منهم على اسطحة البيوت الكائنة في ممر الجنازة من محل سكناه في السليمية الى التكية المولوية خارج باب الفرج حيث دفن وقد عمل على قبره الرخام الابيض المؤزر البديع الصنعة وكان مولده سنة ١٢٦٨ وهذا العدد يوافق عدد حروف (علي محسن) وهو اسمه · وفي هذه السنة اهتم يحي بك الاي بك الجندرمه الدمشقي من بني الشمعة بافتتاح مكان في منزله في محلة

الجديدة لنسج السجاد الذي كان لا يوجد من صناعه في حلب سوى شخص او شخصين وقد احضر يحيي بك صناعاً من البلاد الشمالية وعمل في ذلك المحل مكانين احدهما للرجال والآخر للنساء فما مضى غير زمن قليل حتى ظهر من المتعلمين بارعون في هذه الصنعة واستغنوا عن المعلمين وفشت هذه الصنعة في اكثر محلات حلب وصار السجاد الحلبي مما يتنافس فيه اهل الولع في السجاد . على ان هذه الصنعة كانت معروفة في حلب منذ دهر قديم ثم فقدت الى ان جددها يحيي بك المومأ اليه

سنة ١٣٢٢

فيها تم تعمير مستشفى الغرباء في اسكندرونة وسمي المستشفى الحميدي وهو مشتمل على ثمانية مخادع كبرى سفلى وعليا وعلى سبعة مخادع صغرى والقسم العلوي منه يستوعب اثنين وخمسين سريراً ويشتمل ايضاً على قاعة كبرى تعرف بالصالون وكانت النفقة على تعميره من بلدية اسكندرونة . وفيها كان الشروع باحصاء سكان ولاية حلب فقسمت مدينة حلب الى اربعة مناطق عين لكل منطقة منها لجنة تتجول في محلاتها وتحصي اهلها . وفيها كان الشتاء شديداً والبرد قارساً وكثرت اخبار الغرق والهدم وسقوط الصواعق وموت الناس والدواب بالبرد في شمالي الولاية وفيها عزل مجيد بك عن ولاية حلب ووليها عثمان كاظم بك وكان مجيد بك عفيفاً عاقلاً غير ان ولده نجيب كان سفيهاً مسلطاً على المستخدمين باخذ اموالهم بالتخويف والتهديد وكانت افعاله سبباً لعزل والده

سنة ١٣٢٣

فيها عزل عثمان كاظم بك عن ولاية حلب ووليها ناظم باشا
— الشروع باعمال سكة حديد حلب — حماه

فيها تم الاتفاق بين الحكومة العثمانية و بين شركة سكة حديد حماه وحلب على ان تدفع الحكومة للشركة ثلاثة عشر الفاً وستمائة وستة وستين فرنكاً باسم تأمينات عن كل كيلومتر من الخط المذكور الذي تقرر مده من حماه الى حلب والمسافة بينهما ١٤٣ كيلومتر وشاع ان الشركة مزمعة على ان تجعل محطة حلب في غربي البلدة اي في محلة السليمية بعد ان كانت مصممة على جعلها في محلة قارلق فقام اهل المحلات الشرقية من حلب وقعدوا وخابروا قائدية العسكرية ووعدوه باعطاء اراضٍ كثيرة في جوار المحطة التي تكون في ضاحية محلاتهم فوعدهم بانه سيجعل المحطة في قارلق فعارض بذلك اهل المحلات الغربية وكثر اللغط وحينئذٍ رأى الوالي ناظم باشا بان يجمع عدداً وافراً من اهل الزراعة والتجارة و يرى اي الفريقين اكثر القائلين بجعل المحطة في قارلق ام القائلين بجعلها في السليمية فانتخب نحو خمسين شخصاً وكلفهم الاجتماع عنده و بيان رأيهم لديه فاجتمعوا في دار الحكومة نهار الثلاثا عشرين رجب وكان قبل الاجتماع بساعة تولد في هذه المسئلة رأي جديد وهو جعل المحطة في خراب تحت القلعة فلما اجتمع الناس في ذلك اليوم تبين ان القائلين بجعل المحطة في قارلق ثمانية وفي السليمية ثلاثة وعشرون وفي خراب تحت القلعة واحد وعشرون شخصاً فانهي

الوالي بذلك الى المراجع العليا وتهافت كل حزب على التلغراف يرفعون فيه الرسائل بطلب جعل المحطة في الموضع الذي اراده فلم يفدهم ذلك شيئاً لان الشركة والمراجع الاختصاصية متفقون منذ بضع سنوات على جعل المحطة في السليمية . ثم في اوائل رجب بدأ العملة يشتغلون بحفر الاسس وتمهيد الارض في محلة السليمية عند المحطة الحالية وتتابع العمل وفي برهة وجيزة من الزمن ارتفعت المباني وتحقق الناس ان المحطة لا تكون الا في هذه المحلة . وفيها تم احصاء النفوس في حلب وملحقاتها فزاد فيه عود اهل حلب بالنسبة الى الاحصاء السابق ١٤٥٨٥ شخصاً ومع ذلك لم يكن الاحصاء مدققاً فان النـاس الذين اخفوا انفسهم من التسجيل في حلب ولاسيما في ملحقاتها لا يقلون عن الثلاثين في المائـة عـدا سكان البوادي الرحل فانهم لم يسجل من عددهم عشرة في المـائة وفيها ورد من قائمقام قضاء ادلب وحارم الى والي حلب ان بغلة شقراء عند احمد الحمودي من عشيرة البقارة واهل قرية عري في قضاء حارم وبغلة اخرى عند صونزاغا تومي من قرية بقسمتة في قضاء ادلب ولدت كل واحدة منهما بغلاً وقد احضر فلو احدى البغلتين الى حلب وشاهده كثير من الناس

— ضريبة جديدة — وفيها ورد الامر بفرض ضريبة جديدة على الناس اسمهـا ويركو شخصي وذلك بان يطرح على كل ذكر بالغ صحيح الجسم مقدار من المال يدفعه عن كل سنة الى جهة الحكومة بحيث يكون ملحوظاً في مقدار المال حالة الشخص من جهـة الفقر والغنى على ان

تكون اقل المراتب خمسة عشر قرشاً في السنة واكثرها مائتي قرش وان المستخدمين في الحكومة يحسم عن كل واحد منهم في السنة من راتبه الشهري راتب يومين ان كان راتبه يبلغ خمسمائة قرش في الشهر وراتب اربعة وعشرين يوماً ان كان راتبه فوق خمسمائة قرش وقد استاء الناس من هذا الامر ولاسيما الفقراء منهم وانتدب كثير من اهل الجد والنشاط يرفعون شكاياتهم الى السلطان ويسترحمون منه مسامحتهم عن هذه الضريبة الجديدة فلم يلتفت الى استرحامهم وكانت الحكومة باشرت جمع هذه الضريبة في جهات الاناضول فهاج اهل ارزروم وماجوا وامتنعوا عن دفع الضريبة وهجموا على الوالي وادارته وكادوا يوقعون به وتفاقم الامر في تلك البلدة فخافت الحكومة سوء العاقبة وصدر الامر بابطال هذا المكس الجديد الذي لم تمتنع الرعية عن دفعه الا لعلمها بانه سيكون من جملة ما يصرف على الخونة والمستبدين والجواسيس اللائذين بقصر يلديز فقد كان القسم الاعظم من مداخيل الدولة تدخل هذا القصر وتختفي فيه وما يبقى منها خارجه يصرف في سبيل الفسق والفجور وجنود الدولة وحماتها والمستخدمون فيها ومن له راتب على وظيفة شرعية يتململون على نار الفقر والفاقة لتأخر رواتبهم وحبس جراياتهم عنهم بسبب فقر بيت المال وما فيه من فقر ولكن الظالمين كانوا متسلطين عليه وفي هذه السنة كان الجراد في ملحقات حلب كثيراً ولاسيما في قضاء الباب ولما كان فصل الشتاء اهتمت الحكومة بجمع بزره وانلافه فجمع من ذلك القضاء فقط ٣٣٩٥ شنبلاً حلبياً ومجموع ذلك ١٦٩١٥٠ اقة

سنة ١٣٢٤

فيها في اذار كان البرد في ولاية حلب شديداً والامطار غزيرة وقد تواردت الاخبار من اورفه واداب وجسر الشغر بموت عدة اشخاص على الطرقات من شدة البرد وكثرة الامطار وزوابع الثلج . وفي هذه السنة قدم على حلب عدد عظيم من مهاجري قافقاسيا وداغستان وغيرهما من الامم الاسلامية الذينهم تحت حكم الدولة الروسية وقدم آخرون من مهاجري جزيرة كريد فاهتمت الحكومة باسكانهم في ولاية حلب وخصصت لهم في اكثر اقضيتها جهات عمرت لهم فيها المنازل واعطت كل ذي عائلة منهم قدر ما يكفيه من الاراضي ليزرعها و يعيش من خيراتها والجهات المذكورة هي قرية خناصر في قضاء منبج وقرية رعدملي في قضاء كلز وقطعة ارض من مدينة اسكندرونة وقرية بالطه‌جي في قضاء انطاكية وقطعة ارض في مدينة الرقة

— وصول قطار سكة الحديد الى حلب — وفي يوم الخميس ١٢ جمادي الثانية الموافق ٢٠ تموز سنة ١٣٢٢ رومية وصل الى محطة شمندوفر حلب وحماه المتقدم ذكرها قطار من واغونات (عجلات) العمليات وهي اول عجلات سكة حديدية وصلت حلب وكان الناس قبل ايام يخرجون الى المحطة الوفاً مؤلفة للتفرج على مد قضبان الحديد ومنهم من يتوجه الى جهة جسر الحج للتفرج على اعمال السكة الى ان كان مساء يوم الخميس المذكور اقبل القطار المتقدم ذكره وهو مزين بانواع الرايات وحوله في المحطة الوف من الناس يشاهدون وصوله ثم في يوم الخميس

١٦ شعبان الحادي والعشرين من ايلول سنة ١٣٢٢ رومية جرى الاحتفال بتدشين سكة حديد حلب وحماه على صفة باهرة بحضر الوالي وقائد العسكرية ومن دونهما من المأمورين والامراء والاعيان والوجهاء وبعض ادباء حلب وبيروت وتلامذة المكاتب فتليت الخطب وعزفت الموسيقى العسكرية ثم ذبحت القرابين ودخل عظماء الناس الى حجرة من من حجرات المحطة اعدت فيها انواع من الاطعمة الباردة فاكلوا ثم ركبوا عجلات الشمندوفر وهي مزدانة بالرايات العثمانية وكان واقفاً على طول الخط من المحطة الى قرب جبل الجوشن صف من الناس يعدون بالالوف وركب جوق الموسيقى العسكرية عجلة اخرى وطفق يترنم باللحن الحميدي والانغام المطربة ثم سار القطار الى قرية الوضيحي التي تبعد عن حلب مسافة خمسة عشر (كيلومتر) وهناك استراح الركاب قدر نصف ساعة ثم عاد بهم القطار الى حلب وهم يشنفون اسماعهم بانغام الموسيقى ولما وصل الى المحطة اكرم الحاضرون بالمرطبات والقهوة وانصرفوا الى اماكنهم . وفيها الحق بقضاء انطاكية عدة قرى كانت من اعمال جسر الشغر وهي جقصونية وچوقاق وسيلوه وشمرهجق وجيله وجوراق وميادون وبامكلكه وحاجي باشا وكولي وطاملاينه وعاقليه ودوايته واوچ افز وچقور اوراق وقارلق وباسيه وعين فوار . والحق بقضاء الجسر عدة قرى كانت من اعمال قضاء انطاكية وهي زرزور وهبته وعين ثابت وبيرون ودوز اغاج والحمام ودستور فوقاني وعين سماق وعين الخنزير واستاريه وتروف وكوچوك كين وباغ ببلي وموبلين

وزنباقيه وحسيني قرب · وفيها اهتمت البلدية بفرش البلاط على الجادة الكبرى الممتدة من باب دار الحكومة الى حضرة السهروردي فاختــل بعد مدة وجيزة واكلته بكرات العجلات فقلبته البلدية وفرشت الجادة بحجر اسود فاستقام امره · وفيها في كانون الثاني كثر تساقط الثلوج على مرعش وضواحيها واشتد القر فهلك بسبب ذلك عـــدد من الناس والدواب

سنة ١٣٢٥

— مصابيح لوكس — فيها احضرت البلدية من مصنع لوكس نحو سبعة مصابيح وركزتها في اشهر فسحات حلب وهي اول مرة استصبح فيهــا بحلب بالمصابيح المذكورة · والناس في حلب يسمونها الكهرباء · وفيها في حزيران خصصت الحكومة في المكتب الاعدادي بحلب مكاناً لاعمال تربية دودة القز واباحت الدخول اليه كل من اراد ان يشتغل بتربية الدودة المذكورة ووعدت السابق منهم بنوط ونقود فاقبــل على ذلك المكان صناع القز من حلب وانطاكية واعطت السابق منهم الجائزة الذي وعدت بها · وفيها في ايلول اجرت الحكومة سباق الخيل في ارض الحلبة ووعدت من يحوز قصب السبق بجائزة نقدية قدرها ليرتان الى خمس وعشرين ليرا ادنى السابقين ليرتان واعـــلاهم خمس وعشرون ليرا وكان ذلك اليوم مشهوداً حضره الامراء وعظماء المأمورين والوجهاء والاعيان والوف من الناس وهي اول مرة اجرت الحكومـــة العثمانية في حلب سباق الخيل · وفيها وضع في خان اقيول مطحنة افرنجية عظيمة

قوة محركها ٥٨ حصاناً تنقي الحبوب وتغسلها وتطحنها وتنخلها وهي تدور بقوة تسمى الغاز الفقير يتولد من الفحم الحجري او النبـاتي وهي اول مطحنة من هذا النوع وضعت في حلب وكان وضع قبلها بسنة في برية المسالخ مطحنـة بقوة خمسة وار بعين حصاناً يدور محركها بقوة زيت البترول المعروف بالكاز وقبلها وضع في حلب وغيرها من بلدانها مطاحن عديدة من هذا النوع وهي ومعامل الجليد آخذة بالزيادة يوماً فيوماً

سنة ١٣٢٦

فيها في حزيران ورد من الجهات الشرقية جراد طيار نزل في حلب وضواحيها وكثير من مضافاتها فاكل الزروع الصيفية كالقطن والسمسم والبطيخ وما يوجد في بساتين حلب من الخضر كالباذنجان والخيار والقثاء حتى غلت اسعارها وعز وجودها وكان يتهافت على قناة حيلان ونهر قويق تهافت الفراش على النار ففسد ماؤهمـا وخيف من ضرره فقطعت البلدية ماء القناة عن حلب وصرفته الى النهر وكان الحر شديداً فاشتد احتياج الناس الى الماء وصاروا يتكبدون في الحصول عليه مشقة عظيمة وفي محرم هذه السنة قدم على حلب والدة شاه العجم واخوه ناصر الدين ميرزاخان واحتفلت الحكومة باستقبالها واكرامهما

— النداء بالدستور وقلب الحكومة العثمانية من الحالة المطلقة —
الاستبدادية (الاتومقراطية) الى حالة المشروطيـة
المقيدة (الدمقراطية)

في تاسع تموز سنة ١٣٢٤ رومية المصادف شهر جمادي الثانية من هذه

السنة ورد من استانبول بلسان البرق رسالة بتوقيع سعيد باشا الصدر الاسبق مآلها انه تعين الان لمسند الصدارة ثم في ثاني يوم ورد منه بلسان البرق رسالة اخرى تشعر بان السلطان قد امر باعادة مجلس النواب المعروف بمجلس المبعوثان الذي مضى على اغلاقه بضع وثلاثون سنة. ثم اخذت الرسائل البرقية والكتب المرسلة مع البريد تتوارد كل يوم مذيعة انه نودي في الاستانة بالحرية والمساواة

— العفو عن المنفيين وعقيب ذلك بايام قلائل وردت الاوامر الى الحكومة بصدور العفو العام عن المنفيين في جميع جهات البلاد العثمانية الذين كان نفيهم لجرائم سياسية (المراد هنا بالجرائم السياسية غضب السلطان عبد الحميد عليهم بسبب مسهم اياه بكلمة او اشارة الى بعض مظالمه) وكان منهم في حلب زهاء خمسين منفياً عدا من كان يوجد منهم في بقية بلاد حلب وهم ما بين امير ملكي وقائد عسكري واديب وكاتب ومهندس وطبيب فسروا من هذا الخبر سروراً عظيماً واخذوا يسافرون الى اوطانهم زمرة بعد زمرة حتى لم يبق منهم واحد وكان اكثرهم مقيماً في محلة الجميلية ففرغت منهم المنازل التي كانوا يسكنونها وهبطت اجورها وبقي الكثير منها فارغاً مدة طويلة

— صدور الامر باطلاق السجناء — وفيها ورد الامر بصدور العفو عن السجناء المحكومين بجرائم سياسية وفي ثاني يوم من ورد هذا الامر اجتمع تجاه دار السجن جماعة من كبار الموظفين الملكيين والعسكريين واخرج من السجن نحو عشرين شخصاً محكومين بجرائم سياسية واكثرهم

من الارمن فالقيت عليهم الخطب الحماسية وخوطبوا بالاخاء و بنوة الوطن والتوجع والاسف على ما كان من حبسهم واضطهادهم ظلماً وعدواناً في ايام الاستبداد الحميدي ثم عانقهم اكثر الحاضرين وودعوهم وانصرفوا الى اوطانهم و كان ذلك الموقف موءثراً لم تملك العيون فيه دموعها . وفي هذا اليوم جرى مثل ذلك في جميع سجون الولاية من الالوية والاقضية

— ابطال التجسس — وفي هذه الايام ابطلت الجاسوسية المعروفة باسم خفية . وفيها في ٢٤ تموز ورد بلسان البرق ان كامل باشا الصدر الاسبق قد تبوأ مسند الصدارة بدل سعيد باشا

— صدور الترخيص بالسفر - وفي هذا التاريخ ورد من نظارة الداخلية بلسان البرق صدور الاذن العام لكل عثماني اراد السفر من بلده الى بلدة اخرى من البلاد العثمانية او غيرها من البلاد الاجنبية فسر الناس من هذا الاذن سروراً زائداً خصوصاً طائفة الارمن و بقية الطوائف المسيحية وذلك ان من كان يريد السفر من بلده في ايام الاستبداد الحميدي فراراً من الظلم والجور يتكبد عرق القربة بالحصول على تذكرة المرور هذا اذا كان سفره لغير اميركا اما اذا كان سفره اليها فانه يكاد يستحيل عليه ان يسافر اليها الا هرباً خصوصاً اذا كان من جماعة الارمن حتى انه كان يوجد في كثير من ثغور البحر الابيض كبيروت وحيفا وصيدا شركات لتهريب المسافرين الى البلاد الاميركية فكانت الشركة تأخذ ممن يريد السفر الى تلك الجهات ليرتين الى عشر

ليرات وتهرب به بواسطة زورق تحمله فيه من فرضة عسرة المسلك او بعيدة عن العمران وكثيراً ما كان ولاة بيروت ورجال الدرك فيها يأخذون من تلك الشركات شيئاً معلوماً عن كل مسافر فيجتمع لهم من ذلك مقدار عظيم من المال · وفي اوائل رجب منها قرر امراء العسكرية وضباطها ومن انضم اليهم من موظفي الحكومة والاعيان في حلب بان يحتفلوا بزينة واحياء ليلة لسماع الموسيقى والات الطرب والقاء الخطب التي موضوعها التنويه بالحمد والشكر على المناداة بالقانون الاساسي وعود مجلس المبعوثان وانتشار راية الحرية والعدل والمساواة بين جميع العناصر العثمانية على ان يكون احياء تلك الليلة في بستان الشاهبندر ليلة الاثنين ٦ رجب الموافق ٢٢ تموز الرومي وفي مساء يوم الاحد اقبل الناس الى البستان المذكور ولما انتظم عقد المدعوين قام الخطباء يتلو بعضهم بعضاً يلقون الخطب باللغتين التركية والعربية مآلها ما ذكرناه وهي اول خطب القيت في حلب بعد قرون طويلة لم ينقل الينا التاريخ في اثنائها ان احداً القى في حلب خطبة سياسية على رؤس الاشهاد فيها بيان خطأ سلطان او خليفة او امير حتى زالت هذه الملكة من علماء حلب وكتابها وصار يعسر على النابغة منهم ايراد خطبة ولو على المنبر خصوصاً في ايام السلطان عبد الحميد ولذا كانت تلك الليلة مما دهش له الناس حينما سمعوا الخطباء تنطق السنتهم في مدح العدل والحرية والمساواة والتنديد بالظلمة والمستبدين غير ان بعض من لا خلاق لهم من العامة اصبحوا بعد تلك الليلة يتظاهرون بالفسق والفجور

وعدم المبالاة بالحكومة لفهمهم بان الحرية التي نودي بها هي عبارة عن الرخصة لكل انسان ان يعمل كل ما يريده دون قيد ادبي اوديني ٠ وبعد هذه الليلة بدأ الحزب المتقهقر قبل اعلان الحرية يطلقون السنتهم علناً بذكر مظالم السلطان عبدالحميد وتنفير القلوب منه وذكر مساوى حاشيته واعوانه وجواسيسه ويصرحون بشتمهم ولعنهم فارتاع لذلك اهل الصيال قبل الاعلان المذكور في حلب وغيرها وظهر على عظمائهم وعتاتهم الذل والانكسار فانزووا عن الناس ولزموا بيوتهم ٠ ثم بعد ايام قليلة تألف في المكتب الاعدادي الملكي جمعية عظيمة قوامها الضباط وبعض المأمورين وجمهور من اهل البلدة فاختاروا من الحاضرين جماعة سموهم جمعية الاتحاد والترقي العثماني والقى في ذلك الاحتفال الخطب التي مآلها مدح الحرية والمساواة وبيان مظالم بعض الامر الحلبيــة وكثرة جورهم وتعديهم وقد جعلت هذه الجمعية فرعاً لجمعية الاتحــاد والترقي العثماني في سلانيك المنعقدة تحت رياسة انور بك ونيــازي بك بطلي هذا الانقلاب وقــد تحالفت هذه الجمعية بجميع فروعهــا على التفاني والتهالك في سبيل المحافظة على تنفيذ احكام القانون الاساسي والضرب على يد كل من خالفها وحاول المروق عنها وجعل لهذه الجمعية فروع في جميع الوية الولاية واقضيتها اسوة بامثالها من الولايات العثمانية وعمــل لها زينة في كل لواء وقضاء وعين لها مكان للاجتماع يسمى (كلوب) واول شيء قامت به هذه الجمعيات هو السيطرة على المأمورين وتدقيق احوالهم فكانت الجمعية متى سمعت بموظف يميل الى الرشوة والمحاباة ترسل

اليه من يتهدده و يتوعده فلا يلبث غير قليل حتى يستقيل من وظيفته و بهذه الواسطة استقال نحو نصف الموظفين الذين كانوا متخذين الوظيفة وسيلة لجمع المال غير مبالين في سبيل الوصول الى رغائبهم من تضييع الحقوق وتخريب البيوت وتخليد الابرياء في السجون . على ان كثيراً من ذوي الاغراض والمقاصد السيئة صاروا ينسبون انفسهم الى هذه الجمعية الحرة و يتسلطون على الحكام والموظفين البريئين من دنس الجرائم ولهذا بدأ الناس ينقمون على الجمعية بعض اعمالها و يندّدون بانحرافها عن جادة العدل التي لم تنعقد الجمعية الا لاجل السلوك عليها وقد جرى نظير ذلك في الاستانة واكثر البلاد العثمانية حتى فطن مركز الجمعية الكبرى في سلانيك باعمال هؤلاء المتطفلين عليها فصارت ترسل انذاراتها الى الولاة وتحذرهم من مجاراة اولئك المتطفلين وتظهر تبرأها منهم ومن اعمالهم غير ان الولاة كانوا لا يقدرون على منعهم والتعرض اليهم فوقعوا تحت نير تسلطهم وصاروا مغلوبين على امرهم مغلولة ايديهم عن مباشرة اصلاح احوال ولاياتهم وتنظيم امورها فاصبحت الحالة بسبب ذلك شبيهة بالفوضى وكثر التجاهر بالمعاصي والفجور ونهض اهل الدعارة واللصوص في المدن والقرى يتصدون لقطع الطرق وسلب اموال الناس وقام القرويون يطردون من قراهم اصحابها و ينتهبون مدخرات حبوبهم واصبح الناس في امر مريج . وفيها في اواخر فصل الربيع قدم على حلب والجهات الشرقية من ولايتها جراد كثير اتى على ما في البساتين من الخضر والبقول واكل ما في القرى من الزروع الصيفية

كالبطيخ والقطن والسمسم ثم غرز في الجهات المذكورة نخاف الناس ضرره في العام التالي وضن اهل الثراء من المزارعين والمحتكرين بما عندهم من الحبوب فحبسوها عن البيع فارتفعت اسعارها ارتفاعاً فاحشاً وبيع شنبل الحنطة بمائة وعشرة قروش بدل ثمانين قرشاً وكان شمندوفر حلب وحماه ينقل من حلب كل يوم الى ثغر بيروت نحو خمسمائة شنبل فقام فقراء الناس وغوغاؤهم واجتمعوا واقبلوا جماهير على دار الحكومة يطلبون منها منع تسفير الحبوب بالشمندوفر فلم تلتفت الحكومة الى طلبهم مستندة على قاعدة (التجارة حرة) وحينئذٍ اجتمع من عامة الناس جمهور عظيم وفي ضحوة يوم الخميس ٢٤ رجب والسابع من آب هاجوا وماجوا وتراكضوا في الاسواق والشوارع ينهبون ما يجدونه في الدكاكين والخانات من الاموال والاقوات و يصيحون و يضجون فاجفل الناس من امامهم واسرعوا لقفل حوانيتهم ووقع الفزع في قلوبهم فتراكضوا الى منازلهم ونمى الخبر الى الوالي ناظم باشا والقائد العسكري باكير باشا فاسرعا الكرة نحو باب الجنان لردع هؤلاء الغوغاء وصدهم عن خانات الحبوب الموجودة هناك وصحبا معهما عدداً كافياً من العساكر فلم يبال الدعار بذلك ظناً منهم ان الحرية تبيح لهم هذا العمل فظلوا منهمكين بنهب الحبوب والتطاول على الناس وحينئذٍ امر القائد بعض الجنود باطلاق الرصاص عليهم تهديداً وتخويفاً فاطلقوا عياراتهم نخافت تلك العصابة من هجوم العساكر عليهم فوقفت عن حركتها ثم هرب بعضها والقي القبض على آخرين وزجوا في السجن ثم تتبعت

الحكومة المهزمين وقبضت عليهم وزجتهم في السجون وبعد الفحص والتحقيق عنهم اطلقت البريء منهم ونفت المتعدي الى البستان وغيرها حتى اذا كانت اوائل شوال هذه السنة اطلقت سراحهم من المنفى ·

على ان الحكومة بعد انقضاء هذه الحادثة رأت طلب الناس منع اخراج الحبوب الى خارج الولاية صواباً فاصدرت امرها الى البلدية بمنع تسفير الحبوب بالسكة الحديد واقامت الخفراء لمنع التسفير على محطة حلب والوضيحي وبو الظهور وام ارجيم والحمدانية فانقطع تسفير الحبوب ووقفت اسعارها عن التصاعد وكان هذا المنع صواباً لان الجراد الذي كان غارساً في جهات الولاية لم يأت عليه شهر نيسان حتى نقف واخذ يزحف على الزروع فاكل جميع حقول الشعير ونحو ثلاثة ارباع حقول الحنطة والقطاني فارتفعت الاسعار ارتفاعاً فاحشاً وبيع شنبل الحنطة بمائة وخمسين الى مائة وثمانين بدل مائة وعشرين قرشاً هذا مع منع تسفير الحبوب ومجيء الحبوب والدقيق من حماه ودمشق كل يوم ولولا ذلك لعدمت الاقوات واكل الناس بعضهم وقد تبعت اسعار الاقوات بعضها فارتفع سعر الزيت من ١٥ الى ٣٠ وسعر السمن من ٣٥ الى ٧٠

— خطبة عامة في الجامع الكبير — وفي اواخر شعبان هذه السنة قدم من استانبول على حلب رجل من اذكياء علماء كركوك يقال له الشيخ عناية الله افندي وكانت جهة مقصده الموصل وهو عضو سيار في جمعية الاتحاد والترقي العثماني وفي يوم قدومه الى حلب قصد منزل الوالي ناظم باشا واستدعى بواسطته طائفة من علماء حلب فاطلعهم على

منشور عضويته وكلفهم ان يسعوا بحشد الناس وجمعهم في مكان فسيح ليلقي عليهم خطبة امرته الجمعية بالقائها في جميع البلدان التي يتجول بها فقر الرأي على حشد الناس في الغد في الجامع الكبير وفي صبيحة الغد خرج اشخاص ينادون في الاسواق بما معناه (معاشر الناس من كل ملة ودولة سيلقى بعد الظهر في الجامع الكبير خطبة فاحضروا لسماعها) وبعد ظهر ذلك اليوم اقبل الناس الى الجامع الكبير مسلمين ومسيحيين واسرائليين وافرنج حتى غصت بهم رحبة الجامع وكان الشيخ عناية الله واقفاً على الدكة الحجرية في وسط رحبة الجامع ومعه الوالي وجماعة من اهل العلم فاعتلى كرسي الخطابة وافتتح خطبته بصوت جهوري وما زال يتلوها مرتلة حتى اتى على آخرها وقد استغرقت تلاوتها نحو نصف ساعة وخلاصتها حمد الله تعالى وشكره على نعمة الحرية والمساواة والعدالة والاتحاد ومدح هذه الخلال وبيان فضائلها والحث على التزامها وعدم الحياد عنها وان تكون الامة العثمانية على تمام الوفاق والتحابب مع بعضها مهما اختلفت مذاهبها ومشاربها وان هذه الامور هي اقصى غايات جمعية الاتحاد والترقي العثماني التي سعت بقلب الحكومة العثمانية من الحكومة المطلقة الى الحكومة المقيدة المعروفة بالمشروطية وان المشورة من المسائل التي امرت بها الشرعية المحمدية بلسان القرآن العظيم وان مجلس المبعوثان هو عبارة عن مجلس الشورى وان الواجب على الامة ان لا تنتخب لهذا المجلس الا من عرف بالعلم والاستعداد والصلاح والتقوى الخ ما قال

— افتتاح نادي جمعية الاتحاد — وفي اواخر شعبان ايضاً فتح في فندق خان قورت بك مكان سمي منتدى جمعية الاتحاد والترقي العثماني و يعرف عند الاتراك باسم (كلوب) يجتمع فيه اعضاء الجمعية المذكورة للمذاكرة والمفاوضة وقد اقبل الناس عليه يسجلون اسماءهم بدفتر الجمعية و بعد ان يحلفوا للجمعية يمين الاخلاص تعتبرهم من حزبها وفي يوم افتتاح هذا المنتدى حضر الوالي والقائد العسكري وجمهور من العلماء والاعيان ولفيف من كهنة الطوائف المسيحية وتليت فيه الخطب باللغة التركية والعربية وكلها ترمي الى غرض واحد وهو مدح المشروطية والحرية والاتحاد والعدل والمساواة

— نتهاء مرمات الجامع الكبير — وفي رمضان من هذه السنة انتهت مرمات الجامع الكبير التي كان الشروع فيها منذ سنة وهي تجصيص اكثر جدران الجامع داخلاً وخارجاً وترميم الرواق الشرقي من جهة الحجازية وتوسيع باب الحجازية المذكورة وتوسيع شباكها وفرشها بالرخام وتجديد رخام الرواق الشرقي والرواق القبلي وتوسيع باب قبلية الاحناف من جهة الغرب وتوسيع باب القوافين وغير ذلك ورفع طرابزون كان يتوسط القبليتين و يقطعها شطرين طولاً من الشرق الى الغرب ونقل سدة قبلية الاحناف الى محلها الحالي وفرش هذه القبلية بالسجاد الجديد وتنويرها بمصابيح لوكس وغير ذلك وقد بلغت النفقات على هذه الاصلاحات زهاء ثلاثمائة الف قرش هي بدل احكار معجلة عن اراضٍ ظهرت جديداً في جهات التلل قرب محلة العزيزية وكانت

قبلاً غير معروفة انها من جملة اوقاف الجامع وكان العمدة في هذا الترميم مفتي حلب الشيخ محمد العبيسي الحموي وللوالي ناظم باشا في هذا الترميم واستحصال الارض سعي يستحق ان يذكر فيشكر . وفي هذا الشهر ايضاً ورد على حلب وفد من جمعية الاتحاد والترقي العثماني فاحتفلت الحكومة باستقبالهم وانزالهم في فندق دوبارك في بستان الشاهبندر على نفقة البلدية التي عملت لهم ضيافة حافلة حضرها الوالي والقائد العسكري وغيرهما من كبار الموظفين وتليت الخطب وعزفت الموسيقى العسكرية وكانت ليلة حافلة

— ابراهيم باشا ابن محمو التمو - وفي هذا الشهر ايضاً مات ابراهيم باشا ابن محمو التمو الكردي في الموضع المعروف بتل شرابه بين قضاء نصيبين ولواء الزور وهو من عشيرة كردية يقال لها عشيرة الملية تبلغ زهاء اربعمائة بيت تقيم تحت خيام الشعر في جهات ويران شهر من اعمال قضاء رأس العين التابعة لواء الزور والرجل المذكور شيخها ورئيسها وكان والده توفي في حلب في حدود سنة ١٢٩٥ ودفن في زاوية الشيخ جاكير خارج باب النيرب فخلفه ابنه هذا في المشيخة على عشيرته وكان يعرف اذ ذاك بابراهيم اغا وبعد ان صار شيخ العشيرة المذكورة اقتفى اثر آبائه واجداده في شن الغارة على العشائر الكردية والعربية واسرف بالنهب والسلب خصوصاً في عشيرة قره كيج فانه لم يبق لها سبدا ولا لبدا ولما كثر تشكي هذه العشائر منه امسكته حكومة ولاية ديار بكر ونفته الى سوارك فبقي فيها الى حدود سنة ١٢٩٧ وفيها

استغاث بوالي حلب جميل باشا وقدم له تقدمة جزيلة فسعى باستقدامه الى حلب فحضر اليها ومعه الخيول المطهمة العربية هدية خص بها الوالي المشار اليه فشفع به عند السلطان عبد الحميد وصدر العفو عنه وعاد الى وطنه ويران شهر ولما تألفت الكتائب الحميدية من سكان البوادي مضاهاة لكتائب القوزاق في دولة روسية جعل ابرهيم اغا مقدم مائة ثم مقدم الف ثم امير لواء ومن ذلك الوقت صار يدعى ابراهيم باشا وقد كثرت اتباعه وشيعته واستقدم الى الاستانة لعرض كتيبته فشخص اليها مع عدد وافر من عشيرته الجند « الحميدي » البالغ حد النهاية بحسن البزة والرونق وقدم الى السلطان عبد الحميد من الخيول العربية والسمن العربي ما جعله يعتقد انه من خواص محبيه ومواليه واتصل بوالدة السلطان وقدم لها مبالغ طائلة فسرت منه ايضاً ودعته بقولها انت ابني واحسن اليه السلطان بالاوسمة العظيمة وامر بان يبلغ سلامه ثم عاد ابراهيم الى وطنه فازدادت سطوته وعظمت نكايته وصارت اتباعه تشن الغارة على العشائر المجاورة له والقرى التي هي من اعمال اورفه وولاية ديار بكر حتى خرب الكثير منها بسبب جلاء اهله عنه وضرب على القفول والكروان التي تمر من تلك النواحي ضريبة من المال تدفع اليه والا سلط اتباعه عليها وانتهبوها فضج اهل تلك الجهات من جوره وواصلوا الشكايات عليه لحكوماتهم مدة طويلة فلم يجدهم ذلك نفعاً لان الولاة كانوا لا يجسرون على الايقاع به لعلمهم بالتفات السلطان اليه ولشدة اشتهار اتباعه ومواليه بالنهب والسلب صار كثير من الدعار والشطار الاجانب عنه يقطعون الطرقات

ويتسمون باسماء اتباعه واعوانه فعظم ضرر الناس من ذلك واخذوا يوالون التشكي عليه الى الدوائر الكبرى في الاستانة كالباب العالي ونظارة الداخلية والكتابة الاولى في المابين وشخص جماعة من بلاد الرها الى الاستانة للتشكي عليه وبذلوا في ازالة ضرره النفيس والغالي فلم يحصلوا على طائل ورجعوا بالخيبة لان تلك الدوائر كانت تعلم ايضاً ان ابراهيم ملحوظ السلطان واحد منابع استفادته ثم شرع الناس يتشكون منه لذات السلطان على لسان البرق مخاطبين اياه بلهجة عنيفة غير مبالين بما كان عليه من الشدة والجبروت وتجهز منهم جماعة من اهل الثراء وسافروا الى الاستانة بقصد التظلم من اعمال هذا الرجل وصرفوا على نوال غايتهم المبالغ الوفيرة والاعوام العديدة فاخفق سعيهم وعادوا خائبين وكان هذا الرجل لا يفتر شهراً واحداً عن تقديم الهدايا الى السلطان ووالدته وكبار جواسيسه ومطبخة واصطبله يقدم الى السلطان ووالدته وبعض جواسيسه النقود الكثيرة والى المطبخ صناديق السمن والى الاصطبل الخيول الاصائل وبهذه الواسطة كان السلطان لا يسمع فيه وشاية ولا يصغي لشكوى احد منه ثم لما تمادى الرجل على بغيه وعدوانه هاج الناس وماجوا في ولاية ديار بكر وحلب واخذوا يوالون فيه الرسائل البرقية المشتملة على اشد العبارات التي يخاطب بمثلها ذلك السلطان العظيم وقد ساعدهم والي حلب ووالي ديار بكر وايدا شكاويهم وجعلاها مصبوغة بصبغة سياسية وحينئذٍ خشي السلطان عاقبة الاغضاء عنه الى ذلك الحد فاصدر ارادته بتأليف لجنة من عدة اشخاص للفحص عن احوال هذا

الرجل على ان يكون محل اجتماع هذه اللجنة في مدينة ديار بكر وان يكون ثلاثة اشخاص من هذه اللجنة من مدينة حلب وشخص من مدينة حماه وآخر من اورفه و بقية اعضاء اللجنة من ديار بكر ورئيسها واليها فاختار مجلس ادارة حلب ان يعين لهذه اللجنة مرعي باشا الملاح والشيخ حسين افندي الاروفه وي واحمد افندي مدرر وبعد ان اخذوا نفقات طريقهم وفرض لكل واحد منهم يومية كافيــة سافروا الى ديار بكر واجتمعوا مع باقي اخوانهم وشرعوا يفحصون احوال هذا الرجل فحصاً مدققاً فظهر لهم صدق شكاوي الناس عليه وانها غير مبالغ فيها الا انهم رأوا ان تمام التحقيق عنها متوقف على استجوابه عما نسب اليه لعله يدلي به عــذراً فارسلوا بطلبه فلم يحضر وارسل يعتذر بانه منحرف الصحة فلم يجسروا على احضاره قسراً لعدم الرخصة لهم بذلك ولما لم يروا فائدة من مثابرتهم على التحقيق عن احواله حلوا عقدة اجتماعهم وعاد الغرباء منهم الى اوطانهم بعد ان غابوا عنها زهاء ستة اشهر ثم في شعبان هذه السنة اصدر السلطان ارادتــه باشخاص ابراهيم باشا المذكور الى الحجــاز لينضم الى الجنود السلطانية المخيمة هناك و يعاونهم على ردع قبيلة عوف وهوازن وغيرهما من القبائل العربية التي قامت تعارض الدولة في مد السكة الحديديــة من المدينة المنورة الى مكة المكرمة فامتثــل ابراهيم الامر ونهض من محله و يران شهر وقصد الحجاز من طريق حلب فوصل اليها في بضعة ايام ونزل هو وعساكره الحميدية في الميدان الاخضر تحت خيام قدمت لهم مع الاطعمة والعلف من قبل الثكنة العسكرية وقــد استقبله الوالي

والقائد العسكري واحتفلت الحكومة بنزوله احتفالاً باهراً و بعد ان بقي في حلب بضعة ايام بارحها الى جهة دمشق على قطار السكة الحديدية وما كاد يستقر في دمشق قراره الا وحدث الانقلاب ونودي بالدستور فارتاع ابراهيم باشا من ذلك وخاف ان يلقى القبض عليه لما يعلمه من نفسه بانه اول من يستحق العقوبة والتنكيل على سابق اعماله فاظهر للمشير في دمشق انه يريد الرجوع الى حلب ليحضر بقية جنوده وقبل ان يأذن له المشير بالرجوع الى حلب نهض من دمشق في الليل وكر راجعاً الى وطنه من طريق حلب الا انه لم يدخلها بل توجه الى جهة ويران شهر من خارج حلب وحينما تحققت الحكومة هربه ارسلت في طلبه الجنود من حلب يقتفون اثره فلم يدركوه الا في جهات ماردين معتصماً في جبل هناك فشددوا عليه الحصار مدة شهر ولما علم بان لا مناص له من سطوة الجنود ركب جواده وقصد ان يسلم نفسه طائعاً مختاراً وكان التعب والسهر قد انهكا جسمه واستولى عليه الهم والغم وبينما هو راكب جواده اذ وقف ونزل الى الارض وفي برهة دقائق فاضت نفسه . والمروى عن هذا الرجل انه كان يوجد عنده نحو مليونين من الليرات وانه عمل نفقاً خفياً في الارض وكنزها فيه وان المعمار الذي عمل له هذا النفق قتله حالما فرغ من عمله كيلا يخبر عنه وقيل ان هذا النفق لا يدري مكانه سوى ولده الكبير والله اعلم وعلى كل حال فان ابراهيم باشا كان على جانب عظيم من السخاء والدهاء والشجاعة يتكلم باللغة الكردية التي هي لغة ابائه واجداده وعشيرته و باللغة العربية التي

هي لغة امه وزوجته و باللغة التركية التي هي لغة الدولة و يذكر انه انشأ في سواريك مكاناً شبه تكية يطعم فيها الفقراء والمسافرون رحمه الله

— الشروع بانتخاب النواب المعروفين بالمبعوثان —

وفيها في رمضان وردت المضابط من مراكز اقضية الولاية تفيد بان عدد ذكور الولاية الذين اعمارهم فوق الخامسة والعشرين ٢٨٤١٠٢ نسمتين فاتضح من ذلك ان عدد المبعوثين الذين يجب انتخابهم من ولاية حلب ستة اشخاص لكل خمسين الف ذكر تقريباً شخص

— تنازل السلطان عن املاكه ومزارعه —

في هذا الشهر تنازل السلطان عبد الحميد خان الى بيت المال عن دخل جميع المستقفات المعروفة باسم الاملاك السنية والقرى والمزارع المعروفة باسم الچفتالك الهمايونية في سائر البلاد العثمانية و كان دخلها يقدر بربع دخل جميع المملكة العثمانية وكان السلطان يستأثر به وحده علاوة على رزقه من بيت المال الذي كان لا يقل عن تسعين الف ذهب عثماني في الشهر

— ما هي الاملاك السنية والچفتالك الهمايونية —

لما استولت الدولة العثمانية على هذه البلاد كان العمار غالباً على برها والزراعة سائدة في اكثر انحائها ثم لم تلبث غير قليل بسبب سوء ادارة حكامها الا واخذ العمار ينزح عنها و يحل محله الخراب حتى كاد يعم جهتي الجنوب والشرق من ولاية حلب وكانت جهة الجزيرة في منتهى درجات العمار بحيث كانت ولاية عظيمة عاصمتها الرقة ولما دخلت تحت

اسقيلاء الدولة العثمانية اعتبرتها ايضاً ولاية واستمرت ترسل اليها والياً يحكمها على انفرادها الى ان اخذ عمرانها بالانحطاط صارت تعهد بالولاية عليها الى والي حلب وتسميه والي حلب والرقة وما زال الخراب يشن عليها غاراته حتى القى فيها جرانه وخلت من السكان الحضر ولم يبق من ارضها معموراً سوى واحد في المئة وخلت مدينة الرقة من الحكومة واصبحت عاصمة الرشيد قرية يسكن اهلها تحت مضارب الشعر مستمرة على هذه الحالة نحواً من قرن ونصف ولما جلس السلطان عبد المجيد خان على العرش العثماني الفت نظره الى جميع ما في المملكة العثمانية من القفار الواسعة والمفاوز الشاسعة خصوصاً ما كان من ذلك في الشام والجزيرة والعراق فاعتبر السلطان هذه البراري مواتاً وعزم على احيائها لتكون ملكاً له بحكم (من احيا مواتاً فهي له) فعمل لاجل هذه الغاية ديواناً خاصاً جعل وظيفته السعي والاهتمام باحياء هذه الاراضي وامده بشيء من ماله لينفقه في هذا السبيل ودعا هذا الديوان (چفتلك همايون اداره سي) ادارة المزارع السلطانية وفوضه ان يشتري له مسقفات واملاكاً في البلاد العثمانية فباشر هذا الديوان وظيفته واشترى له عدة املاك وعقارات في حلب وغيرها كالخانات والحمامات والبساتين ومن جهة اخرى بذل الديوان اهتمامه باحياء الاراضي واستعان على اعمارها بالولاة والامراء العسكريين وبعد العناء الطويل تمكن الديوان من تحضير بعض العشائر البدوية واسكانها في قرى حقيرة بنيت لهم في تلك البراري ومن ذلك اليوم عادت روح العمار تدب رويداً رويداً في

جهتي الشرق والجنوب من ولاية حلب وجهة الجزيرة التي عاصمتها الرقة ولما جلس السلطان عبد الحميد خان على كرسي المملكة العثمانية سنة ١٢٩٣ اهتم بهذه المسئلة اهتماماً عظيماً واسس لها في استانبول ديواناً خاصاً سماه (خزينهٔ خاصه نظارهسى) نظارة الخزينة الخاصة وجعل له فرعاً في كل بلدة يوجد في برها اراضٍ موات سماه ادارة الچفتلك الهمايوني فاجتهدت هذه الادارة باعمار القرى على اطلالها القديمة واسكنتها جماعة من العربان وقدمت لهم ما يحتاجونه من الدواب والمؤنات وآلات الحراثة وسامحتهم من الجندية وسائر الضرائب الاميرية سوى رسوم عد الغنم التي توجد في هذه القرى او التي تمر منها وسوى الاعشار وكومة الطابو فان الادارة جرت في اخذها من الزراع على قاعدة سمتها التخمين وهي ان يقدر اهل الخبرة البيدر قبل ان يدرس بقدر معلوم من الحب ويكتب على صاحبه سبعة عشر في المئة من مجموع الحب المقدر عشرة من هذه السبعة عشر هي العشر الشرعي والباقي وهو سبعة اجزاء اجرة الارض وتسمى كومة الطابو وبعد ان تتم دراسة البيدر ويتمحض الحب يحمل صاحبه القدر المفروض عليه الى المستودع المعين لناحيته ويسلمه الى حافظ المستودع ويأخذ به وصلاً وكانت ادارة الچفتلك هذه تأخذ العشر الشرعي ايضاً لنفسها مع ان العشر حق بيت المال كما لا يخفى . وقد نجحت هذه الفروع في اعمالها وجد في ولاية حلب قرى كثيرة يربو عددها على الخمسمائة وكثر عدد سكان الرقة واستعمل عليها حاكم صغير باسم مدير ثم زاد العمار في جهاتها وانشأ فيها

السلطان جامعاً وجعلت مركز قضاء وتعين لها قائمقام وهكذا كان العمل في منبج · وقد بلغ دخل السلطان من هذه القرى التي هي في شرقي الولاية وجنوبها سبعين الف ذهب عثماني في السنة المتوسطة بين الخصب والجدب وذلك عدا رسوم الاغنام التي كان يستأثر بها السلطان ايضاً · ولما خلع هذا السلطان وضعت الحكومة يدها على سائر الاملاك والمزارع المذكورة وسمتها الاملاك المدورة ثم الاملاك الاميرية وصارت تجبي غلاتها على قاعدة التخمين السالفة الذكر الى جهة خزانة الحكومة والغيت النظارة الخاصة في استانبول وفروعها في خارجها وانيط النظر في الاملاك المذكورة بدواوين ماليــة الدولة التي تعرف باسم المحاسبة وسميت هذه الاملاك بالاملاك الاميرية · وفي هذه السنة ورد من نظارة المعارف رخصة باصدار عدة صحف اخبارية مثل جريدة الشهباء وصدى الشهباء والشعب والتقدم وغيرها فصدرت اكثر هذه الجرائد واقبل الناس عليها ولا اقبال الجياع على القصاع لانهم في عهــد الاستبداد الحميدي كانوا لا يطلعون على جريدة مصرية او بيروتية الا بشق الانفس وفي هذه السنة اعلن البلغار بوزن استقــلالهم بالروملي · وفيها انتهت اعمــال سكة حديد الحجاز وبــدأ القطار يسير من دمشق الى المدينة المنورة

سنة ١٣٢٧

فيها ولي حلب رشيد بك وكان من دهاة الرجال

وفي صفرها فتح في جادة باب الفرج تجاه التكية المولوية مكان

جديد تأسست فيه جمعية جديدة سميت جمعية الاخاء العربي . وكان الاحتفال بهذا المنتدي بالغاً حد النهاية بالرونق والبهاء . وقد اقبل الناس على الاكتتاب به افواجاً ثم لم يلبث غير قليل حتى اختل امره وانحلت رابطته . وكان الغرض منه ظاهراً التعاضد على تأييد احكام القانون الاساسي والمطالبة بحقوق الامة العربية فيما يتعلق بخدم الدولة وباطناً الضرب على يد جمعية الاتحاد والترقي والوقوف لها بالمرصاد وقيام العرب على جمعية الاتحاد والترقي انتصاراً للسلطان عبد الحميد وهو الذي ندب اليه سراً وفي هذه السنة وصل الى حلب اول مرة عجلات الاتوموبيل المعروفة بالسيارات احضرها من اوربا احد التجار الحلبيين المسيحيين المعروف باسم الخواجا يوسف اندريا ليشغلها بين حلب واسكندرونة فلم تنجح

— خلع السلطان عبد الحميد —

في اليوم السابع من شهر ربيع الاول من هذه السنة وفي ١٩ نيسان سنة ١٣٢٥ رومية — خلع السلطان عبد الحميد خان الثاني العثماني وخلفه على عرش الملك السلطان محمد رشاد الخامس واعلن في حلب خلعه وجلوس اخيه مكانه باطلاق مئة مدفع ومدفع من قشلاق حلب وقلعتها . وفي الليل قامت في البلدة مظاهر الزينة واطلق فيها من العيارات النارية ما يعد بعشرات الالوف . كان خلع هذا السلطان مبنياً على اسباب يعلمها القارئ من الفتوى التي اصدرها شيخ الاسلام بوجوب خلعه ونصها بعد الترجمة

اذا كان زيد امام المسلمين طوى واخرج من الكتب الشرعية بعض المسائل المهمة الدينية ومنع الكتب المذكورة وخرق حرمتها واحرقها وتصرف في بيت المال بالتبذير والاسراف بغير مسوغ شرعي وقتل وحبس وغرب الرعية بلا سبب شرعي واعتاد جميع المظالم ثم حلف اليمين على الرجوع الى الصلاح وعاهد على ذلك ثم حنث بيمينه واصر على اثارة فتنة عظيمة وايقاع قتال يجعل به امور المسلمين مختلة اختلالاً كلياً ثم وردت الاخبار متوالية من جهات متعددة من بلاد المسلمين يقولون بها ان زيداً المزبور تغلب على منصة المسلمين وانهم لذلك يعتبرونه مخلوعاً ثم لوحظ ان في ابقائه ضرراً محققاً وفي ازالته صلاحاً فهل يجب على ارباب الحل والعقد تكليفه ان يتنازل عن الامامة والسلطنة او يخلع منهما وهل لهم ترجيح احدى الصورتين

الجواب نعم :

كتبه الفقير السيد محمد ضياء الدين

عفي عنه

— ذكر شيء من سيرة هذا السلطان —

خصصت هذا السلطان بذكر شيء من سيرته لغرابة احواله ولأنه كان من اجل ملوك زمانه واعظمهم دهاء واعلاهم كعباً في فنون السياسة ولانه آخر سلطان عثماني يستحق ان يسطر له شيء من سيرته في صفحات التاريخ ولانه كان حصناً حصيناً لدولة بني عثمان مدة سلطنته فلما خلع اخذت صنوف البلاء تنصب على هذه الدولة يوماً بعد يوم

حتى تدهورت الى الدرك الاسفل وكادت تمحي سطورها من صحائف الوجود

— كم سنة بقي سلطاناً —

كان جلوسه على عرش الخلافة الاسلامية والسلطنة العثمانية مدة اثنتين وثلاثين سنة وسبعة اشهر وسبعة وعشرين يوماً وست عشرة ساعة وخمساً واربعين دقيقة

قبض هذا السلطان على رقبة ذلك الملك العظيم بيد من حديد طول هذه المدة ولم يضع منه سوى النذر اليسير الذي ربما كان هو المتساهل بحفظه ليكون فداء عن باقي دولته وليتمكن من التنكيل باعدائه وابادتهم

ان بقاءه سلطاناً وسلامة ملكه من ايدي الاغيار تلك المدة مع فقر خزائن الدولة وخلو مدخراتها من السلاح وبحارها من الاساطيل لمما يدهش له الانسان ويأخذه منه العجب كل أخذ : غير انه اذا أمعن النظر بالاسلوب الذي كان يسير عليه في سياسة الامة وادارة الملك لا يلبث ان يزول عنه العجب ويقنع بان ذلك الاسلوب حقيق ان ينتج عنه تلك النتيجة

— كيف كانت سيرته في رعيته —

كانت الطبقة الدنيا والوسطى من الرعية على اختلاف عناصرها تخافه وتحبه

تخافه لقوة بطشه وعظيم دهائه وتمكنه من الاطلاع على احوال

رعاياه فانه كان لا تخفى عليه خافية من احوالهم وكل ذي شخصية بارزة في ممالكه معروف عنده واقف تمام الوقوف على ما هو عليه من المحاسن والمساوي

وتحبه رعاياه لانه كان لا يحب ان يبهظهم بالضرائب فكان الرخاء في ايامه شاملاً والرعية راتعة في بحبوحة التنعم والرفاهية : وكان عظيم العناية بكل ما يرضي رعاياه لاسيما البسطاء منهم غير متوان عن الاتيان بكل ما ينطبق على رغائبهم خصوصاً بما كان له علاقة بالدين كخدمة شعائره واعمار المعابد فقد عمر في ايامه ما يعسر على القلم احصاؤه من المساجد والجوامع والمدارس الدينية والزوايا والتكايا واضرحة الاولياء والصالحين وكان من اجل آثاره واكبر حسناته واقواها اجتذاباً لقلوب المسلمين عامة وقلوب رعيته خاصة - سكة الحديد الحجازية فانه هو وحده الساعي بانشائها وبسعيه المشكور تم امرها : وكان لا يقصر بانقاذ المستغيثين به من مخالب الظلم ما لم يكن الظالم من مردته واتباعه

— عدم سماحه عمن يمس شخصه وسلطانه وكيف كان —
يعاقب المسيء اليه بالنفي وغيره من العقوبات

وهو لا يؤاخذ احداً على اطلاق لسانه بالظلمة والمستبدين من مستخدمي الحكومة او منفذي الرعية فقد كان الانسان في ايامه يطلق لسانه بما شاء وبمن شاء لا بأس عليه بذلك الا ان يتكلم بما يمس سلطانه فانه لا يسامحه باقل كلمة سوء صدر منه في حقه فيواجه بالنفي عن وطنه لكن مع تعيين راتب شهري له يقوم بتمام كفايته حسب مقامه وهذه

العقوبة جعلها مختصة بمن يتجرأ عليه بقول او عمل يشتم منه رائحة المساس بشخصه او سلطانه ولو من مسافة بعيدة على ان العقوبة بالنفي على هذه الصفة كانت تعد من اهون العقوبات واخفها عبئاً على من يستحقها

سألت الفريق عابد باشا احد كبار المنفيين الى حلب عن سبب نفيه فقال حدثت في استانبول هزة ارض لم ينجم عنها ضرر فقلت لجماعة من اصحابي واترابي (بظل ملجأ الخلافة لم يحصل من هذه الهزة خطر): قلت ذلك بلسان تهكم وسخرية اعني بهما المتملقين من اللائذين بقصر يلديز وكتبة الجرائد الذين يأتون بهذه العبارة في مقدمة كل مقال ينمقونه بالاخبار عن كل حادث طبيعياً كان ام مفتعلاً : مثلاً يقولون بظل ملاذ الخلافة وقع في حلب مطر غزير و بظل حامي حمى الخلافة بنى في دمشق مكتب للاناث و بظل السلطان الاعظم كانت هذه السنة ذات فيض و بركة : قال عابدين باشا فاتصلت كلمتي تلك بسمع السلطان بواسطة احد جلسائي الذين قلتها بحضورهم مع انني لم افه بها الا وانا معتقد انهم جميعاً من خواص اصحابي واترابي ولم يخطر لي على بال قط ان بينهم متجسس لعبد الحميد

وحكى لنا عزيز بك وهو من كبار المنفيين ايضاً ان سبب نفيه انه كان ام السلطان مراداً بصلاة التراويح وحكى لي عثمان بك احد المبعدين الى حلب وهو ممن غلب عليه البله و كان يعاني في استانبول مهنة الحلاقة ان السلطان عبد الحميد نفاه لانه كان يبري الاقلام للسلطان رشاد

وكان عثمان بك حسن الخط

هكذا كان السلطان عبد الحميد يعاقب بالنفي على ادنى كلمة واقل حركة يرى بها مساساً لشخصه او سلطنته ولو توهماً وتظنياً

اما عقوبته بالتغريق او الاغتيال او الحبس فقد جعلها نصيب من يتوهم منه صدور شيء له مغزى سياسي يقصد به خلعه او اغتياله مثلاً اطلق مسدسه الذي يصحبه دائماً على احدى حظياته فأرداها في الحال وذلك لانها دخلت عليه دون استئذان منه فاطلق عليها عياره قبل ان تفوه بكلمة متوهماً انها اتت لاغتياله وكم مرة امر بتغريق انسان لمجرد ما اخبر به عنه جواسيسه من انه اثنى على مدحت باشا ورحم عليه او لمجرد ما بلغه عنه انه مر من قدام قصر السجين السلطان مراد او قصر السجين الآخر محمد رشاد

— استخدامه الرجال في مآربه وكيفية سياسته معهم —

كان من جملة المؤيدات لبقائه على كرسي السلطنة طيلة هذه المدة استعماله سياسة التفريق وذلك انه حشد حوله اشخاصاً لهم ظهور في اقوامهم من كل ملة تستظل بالراية العثمانية اختار من كل اقليم منها رجلاً فادناهم من حضرته وطفق ينهال عليهم بالعطايا الجزيلة والمرتبات الشهرية والرتب السنية والاوسمة العلية فملك افئدتهم وادهش عقولهم وكم افواههم عن اظهار مساويه واطلق السنتهم بحمده وشكره واذاعة محاسنه يملؤن بذلك صفحات المؤلفات واعمدة صحف الاخبار : وكل واحد منهم يرى من قدس واجباته استمالة قلوب اهل اقليمه الى محبة هذا السلطان

والاخلاص بولائه قد ارصد نفسه لاجل اقليمه وناحيتــه ونصبها لهم كالباب المفتوح يتوصلون بواسطته الى السلطان لقضاء اوطارهم التي هي طلب المعاش او الرتب او الاوسمة او الانقاذ من الظلم او احقاق الحق او ابطال الباطل او عكس ذلك · ولا تسل عما كان يتسرب الى هذا الباب من الاموال والتحف والطرف التي يعجز اليراع عن احصائها

وكان عبد الحميد سيء الظن حازماً محترزاً يخشى من ان يجـر البطر وسعة النعمة اولئك الرجال الى الانقلاب عليه وان تدعوهم الضمائر الحرة الى التبرم من جبروته و يتفقوا على اظهار حقيقته او على الاقل ان يخفوا عنه ما يجري حوله من مناوئيه وما يدبره له اعداوءه ورقباوءه من اسباب البوار والدمار كما دبروا لعمه السلطان عبد العزيز خان فكان السلطان دفعاً لهذه الاحتمالات يستعمل مع الرجال المشار اليهم سياسة التفريق فلا يغفل في كل حين وآخر عن القاء الشحناء والبغضاء بينهم وطريقتــه في ذلك انه كان يلتفت الى زيد من اهل الاقليم الفلاني مــدة فينهال عليه بالعطايا والرتب والاوسمة وقضاء المآرب وفي الوقت نفسه يلفت نظره عن عمرو الذي هو من ذلك الاقليم فيهجره و يبقيه مطروحاً في زوايا الاهمال والنسيان فيستوحش عمرو من هذا الاهمال و ينكسر قلبه وتدب في فوءاده نار الحسد لزيد و يرى ان هـذا الانكيس لم يأته الا من قبــل زيد وانه لا يعود التفات السلطان اليه الا بتنكيس اعــلام خصمه زيد وسبقه عليه بنقل الاخبار الى السلطان واعــلامه بما يجري حوله من الامور والاحوال التي تمس شخصه وسلطنته و يكون زيــد

قد انتبه الى مكايد عمرو واجتهاده بالتقرب الى السلطان وابعاد خصمه عنه فيقابل عمراً بمثل عمله فيقع بينهما التحاسد والتنافس والسلطان اذن صاغية لكل واحد منهما يبقى على ذلك مدة من الزمن الى ان يستوفي ما في وطاب المتجاولين و يستفرغ ما حواه جرابهما فينقلب على زيد و يقبل على عمرو و يعود بينهما الدرس الاول وهلم جرا .

بهذه السياسة المدهشة كانت ولايات البلقان منقادة الى طاعة هذا السلطان في كل هذه المدة رغماً عما اظلته سماؤها من تعدد العناصر واختلاف الملل . ومثلها الولايات العربية

— استخدامه صحف الاخبار الاجنبية في مآربه —

و كان يدر انعاماته الوافرة على اصحاب الجرائد الاجنبية الممتازة فتذكر محاسنه وتغض الطرف عن مساويه وتنوه بعظمته وقوة دهائه وتجسم خطورة مناوئته في مخيلات عظماء الرجال من الدول الاجنبية اللواتي لهن مستعمرات اسلامية بما كانت تبثه في تضاعيف عباراتها من الكلمات التي مفهومها ان عامة المسلمين في مشارق الارض ومغاربها يدينون بمحبة السلطان عبد الحميد وولائه وانهم على اختلاف اجناسهم وعناصرهم منقادون لسلطانه الروحي عليهم وان ادنى اشارة منه اليهم تثير فيهم الحمية الدينية فيهبون لقيام عام يزحزح اركان السلام و يقلب الارض ظهراً لبطن

— رغبته بالمستخدم المبتلي بهوس ما وعدم رغبته بالمستخدم المتنفذ —

ومن غرائب السنن التي كان يسير عليها في استخدام بعض الموظفين

انه كان يسر جداً من المستخدم اذا كان ممحوناً بمحنة متمكنة منه تضطره مباشرتها الى استغراق وقته وتجعله غير مكترث ولا عان بان يشتغل بغيرها من الامور السياسية او بالبحث عن احوال السلطان وغيره وعليه فان المستخدم المحبوب عنده هو المصاب بهوس المقامرة والميل الى الاحداث او بنات الهوى او بنت المدام او بغير ذلك من المحن والشوائب ذلك المستخدم الذي يتمسك به ولا يسمع فيه شكوى شاكٍ وكأن لسان حاله يقول :

أذني لحبيبي صاغية   صمت عند الواشي السمج

— حكاية عن مستخدم من هذا القبيل —

حكى لنا زين العابدين بك مكتوبي الولاية سنة ١٣٢٨ حكاية نحواها من هذا القبيل فقال كنت مكتوبياً في احدى ولايات البلقان وكان واليها ممتحناً بوجع الظهر منهمكاً بالرشوة فكثرت عليه الشكايات فلم يعرها السلطان اذناً ثم ان احد الدهاة العارفين بالطرق التى تثير حفيظة السلطان دس في شكاية عليه كلمة مؤداها ان الوالي يجتمع عنده نفر من شبان جون ترك و يتفاوضون بامور تمس حضرة ملجأ الخلافة قال زين العابدين وحينئذٍ اصغى السلطان الى هذه الشكوى وسرعان ما اصدر ارادته السنية باحضاري الى استانبول لأسأل عن حقيقة هذا الوالي فشخصت في الحال الى استانبول وحضرت تواً الى المابين ولما اعلم السلطان بحضوري امر رئيس كتابه ان يستقصي مني احوال الوالي وقد وقف السلطان من وراء الحجاب يسمع كلامي فقال

لي رئيس الكتاب اصحيح ان والي ولايتكم يجتمع عنـده نفر من شبان جون ترك و يتفاوضون بمسائل السياسة : فاجبته على الفور ان هـذا الرجل ممحون بوجع الظهر و بالكاد ان يتسع له الوقت لاجل استيعاب اشتغاله بمداواة محنته وان الشبان الذين يجتمعون عنـده ليسوا سوى الشبان الذين يطببون مرضه — قال زين العابدين فسمعت قهقهـة السلطان من وراء الحجاب ثم خرجت من المابين وقـد تبعني رئيس الكتاب يقول لي ان ولي النعم قد سر من كلامك وامر لك بمئة ذهب : وفي المساء اجتمعت مع ناظر الداخلية وحكيت له ما جرى فقال انك مدحت الوالي وثبته بوظيفتـه من حيث لا تدري فقلت له و كيف كان ذلك قال او ما قذفتـه بوجع الظهر قلت بلى او لم يكن هـذا المرض موجباً لعزله قال بل هذا المرض هو الذي جعل السلطان يتمسك به و يثبته في وظيفته لانه كما قلت يعوقـه عن الاشتغال بغيره من امور السياسة والبحث عن احوال السلطان : قال زين العابدين و كان الامر كما ذكر ناظر الداخلية فان السلطان قد ابقى الوالي بولايته ولم يصغ فيـه الى واشٍ او رقيب

اما عدم رغبة السلطان بالمستخدم القوي فلأنه يخشى منـه استعمال نفوذه بما يمس سلطنته فيجري عليه ما جرى على عمه السلطان عبد العزيز من وزيره مدحت باشا . ومما يحكى عن السلطان في هذا الصدد انه هو الذي اقترح على غليوم ايمبراطور المانيا التخلص من داهية السياسة بسمارك المشهور وذلك ان الايمبراطور غليوم لما زار استانبول في المرة الاولى

تحـدث مع السلطان عبـد الحميد عن نفوذ بسمارك في اوربا فقال له السلطان انا لا احب ان يكون خادمي قوي النفوذ كهذا اترغب جلالتكم ان ترى كيف اعامل خدمي فقال غليوم نعم وحينئذٍ لمس السلطان الجرس المنبه ولما دخل الحاجب قال له ادع كاملاً (وكان كامل يومئذٍ صدراً اعظم) فارسل الحاجب الخيالة يبحثون عن كامل باشا فاحضروه ولما دخل الى المثول بين يدي السلطانين وقف مطرقاً برأسه الى الارض مكتوف اليدين كأنه واقف في صفوف المصلين فلم يلتفت اليه السلطان وبعد برهـة من الزمن قال له لا لزوم للانتظار فالمسئلة بسيطة فسلم الصدر سلام الخـلافة وذهب ماشياً القهقرى حتى غاب عن نظر العاهلين وقد انتبه الامبراطور غليوم الى ما كان يراه من وزيره بسمارك من التوسع في الحرية حين مقابلته ومحـادثته فعزله عن وظيفته وحرم منه ذلك الدهاء الذي كان سياجاً لسلطانه وملكه

كان السلطان عبد الحميد لا تخفى عليه خافية من احوال رجال المابين ومن هو لائذ بقصر يلديز فقد كان يعلم كل العلم احوال كل واحد منهم على حدته ويدري ما انطوت عليه سريرته من الخـير والشر فكان لا يهمه من مكروه اوصافهم شيء ما دام احدهم صادقاً في خدمتـه مخلصاً بولائه

— استكثاره من الجواسيس —

اكثر هذا السلطان من استخدام الجواسيس المعروفين بالخفية وجاد عليهم بالعطايا والمرتبات الوافرة وبثهم في جميع دوائر الحكومـة وازقة

استانبول وخاناتها وحاناتها وفنادقها وجوامعها ومدارسها وهم على هيئات مختلفة وازياء شتى ما بين كاتب وخادم ومتسول ودرويش وكسيح وسائح وابكم واعمى ولم يكتف ببثهم في دوائر الحكومة بل اقام منهم العدد الكبير في نفس بيوت المستخدمين مصطبغين بصبغة الخدم والحشم بل بعض منازل المستخدمين كان لا يخلو من متجسس على المستخدم من اهله وذوي قرابته حتى صار الانسان يحترز من زوجته وابنه واخيه وهو في بيته فلا يجسر ان يفوه باقل كلمة تمس حضرة السلطان لا سراً ولا علناً

لم يرخص قط بدخول التلفون (الهاتف) الى استانبول ولا ان تستخدم فيها الكهرباء بجميع وظائفها منعاً لسهولة التخابر بين مناوئيه ومعارضيه

— كراهيته الجمعيات ومنعه استعمال بعض الالفاظ وتضييقه على المؤلفات وصحف الاخبار

ومن غرائب الامور التي تذرع بها للحيطة على نفسه وسلطنته كراهيته الجمعيات حتى اجتماع الاصحاب مع بعضهم للمسامرة والمؤانسة وكان المجتمعون يحذر بعضهم بعضاً خشية ان يكون بينهم من يتجسس للسلطان والاغرب من هذا انه منع استعمال الكلمات الآتية الذكر تلفظاً وكتابة وهي كلمة جمعية ، وخان ، وخونة ، وعزل ، وخلع ، وما تصرف من هذه الكلمات ، ومراد ، ورشاد ، ويلديز ، وغير ذلك من الالفاظ التي مفهومها التحزب والاجتماع والعزل والخلع ، حتى ان هذه الكلمات هجرت استعمالها في ايامه الصحف الاخبارية ، والصكوك الشرعية ، والنظامية ،

والمؤلفات العلمية ، فلا يجوز لكاتب ان يأتي بكلمة ، جمعية ، ولا لقاض ، ان يقول في صكوكه ، خالعت فلانة زوجها فلاناً ، ولا ان يقول ، في متول ، عزل ، لاجل خيانة ، وكان شياطينه ، يتعقبون له هكذا الفاظ ، حتى في كتب الدين ، وقد امر مرة بان يطبع كتاب صحيح مسلم ، طبعاً متقناً ، فنفذ امره و بعد ان تم طبع الكتاب ، اخبره بعض شياطينه ، بوجود حديث الامامة فيه ، وهو (الائمة من قريش) فامر في الحال ، بجمع نسخه ، واحراقها ، وان يعاد طبعه ، بعد حذف ، هذا الحديث منه . وهذا هو المراد ، من قول ، شيخ الاسلام في الفتوى السابقة الذكر (واخرج من الكتب الشرعية بعض المسائل المهمة الى آخره) وكان يبعثر اموال الدولة و يصرفها على كبار جواسيسه ، واعمار القصور ، في بلاطه المعروف ، باسم (يلديز) ، الذي لا يجسر ، احد ان يلفظ به ، حتى ولا بكلمة نجم . التي هي ترجمته ، ولا بكلمة مراد ، ومن كان مسمى بهذا الاسم ، فعليه ان يمسخه و يحرفه ، حين يلفظ به ، او حين يكتبه ، الى مرآت ، واغرب من هذا ، ان البقل ، المسمى بالحرف ، المعروف عند الحلبيين ، بالرشاد ، قد طووا اسمه المشهور عندهم ، وصاروا يشيرون اليه بقولهم (اخو المقدونس) ، واتفق لي مرة حينما كنت رئيس كتاب المحكمة الشرعية اني اعطيت حجة شرعية في مخالعة جرت بين رجل وزوجته فارسل الرجل الحجة الى المشيخة الاسلامية لاجل التدقيق فلم اشعر الا والحجة قد اعيدت الي ومعها كتاب من شيخ الاسلام يقول فيه ما معناه يعمل بمضمون هذه الحجة بعد اجراء

بعض الاصلاح عليها فاخذت الحجة وقرأتها بكل تدقيق وامعان فلم يظهر لي فيها خلل من جهة ما لخرت في امري ثم عدت الى تصفحها و بذات جهد المستطيع بتدقيقها اذ بصرت بعض الكلمات منها قد سحب فوقها خط بالحمرة ضئيل جداً ربما كان ادق من الشعرة فعلمت حينئذٍ ان المراد من الخلل هو وجود تلك الكلمات فاذا هي كلمة خالعت ، وخلعها ، ومخالعة ، و باقي ما يتفرع عن هذه الكلمة فاضطررت آنئذٍ ان اعيد كتابة الحجة من جديد مع قيدها في السجل واستبدل لفظة المخالعة ، وما تصرف منها ، بكلمة المبارأة ، وما تصرف منها

كان محررو الجرائد من جراء هذا التدقيق المشين يتكبدون عرق القربة بتحرير صحفهم اذ على المحرر منهم بعد تحرير صحيفته وطبعها ان يقدم اول نسخة منها الى المراقب (السنسور) المعين فمتى وجد فيها كلمة من الكلم التي سبق بيانها او وجد فيها عبارة تشف ولو من وراء الف الف حجاب عن غمز او لمز يقصد بهما السلطان فان حضرة (السنسور) لا يحجم لحظة واحدة عن تشذيب المقالة وضربها بقلمه القاسي ضربة تقضي على حياتها مهما كان موضوعها أدبياً بديعاً وحينئذٍ يذهب تعب ذلك المحرر ادراج الرياح . ويضطر الى تحضير مقالة بدلها ليملأ بها من جريدته ما حدث فيها من الفراغ و بعد ان يطبعها ايضاً يرفعها الى حضرة المراقب فربما ضربها ضربة ثانية بذلك القلم الشبيه بمعول يهدم معاهد العلم وصروح الادب محتجاً على محررها ولو بكلمة فيها حروف لفظة عزل مثلاً كأن يقول ، عزال او عزاليك او عزرائيل ولا تسل

حينئذٍ عن حالة ذلك المحرر المنكود الحظ الذي قد يشتغل اسبوعاً تاماً بتحرير مقالة يرضي بها المراقب ، و ينفي فيها الشبهة الموهومة عن نفسه

وكان المؤلفون الذين يصرفون من اعمارهم الثمينة الاعوام الطويلة في تأليف كتاب ادبي ، او علمي او فني ، مكلفين لأجل الحصول على الرخصة في طبع مؤلفهم وتدوينه ان يبيضوا منه نسختين يقدمونهما الى نظارة المعارف في استانبول وهي تدفع احداهما الى مراقبها الخاص فيفحصها على الصورة المتقدم ذكرها في فحص الجرائد ولربما شذبها وضرب بقلمه المشؤم تلك الضربات العنيفة فمحى نحو ثلث الكتاب او نصفه لوجود شيء في عباراته من الكلمات المتقدم ذكرها او شيء مما يشبهها وقد يستغرق (السنسور) في هذا العمل الذميم نحو سنة او سنتين وقد لا يرخص له بطبع ذلك الكتاب مطلقاً بعد تلك المدة الطويلة

وروى بعض اصدقائنا من منوري شبان الاتراك ان بعض شياطين السلطان عبد الحميد استلفت نظره الى ما في القرآن الكريم من الالفاظ المتقدم ذكرها التي تنبو عن سمعه وتشذ عن ذوقه وطبعه فكاد السلطان يصدر امره الكريم بتنقيح نسخة منه وتنظيفها من تلك الالفاظ وطبعها ، مهذبة منقحة ، غير ان بعض محبيه المخلصين بين له خطارة هذا العزم وما ينشأ عنه في العالم الاسلامي من الاضطراب فامسك عن اصدار امره المذكور

وقد اسمعني ذلك الصديق اربعة ابيات باللغة التركية في هجاء مراقبي الكتب والمؤلفات في دولة السلطان عبد الحميد وكلفني بنظمها بعد

ترجمتها الى اللغة العربية فقلت

يا صاح نقاد المعارف عندنا اعمت قلوبهم المناصب والرتب
كم من كتاب مفرد في بابه قدافسدوا منه الصحيح المنتخب
هـذا كتاب الله وهو منزل ظنوه جهلاً انه قصص العرب
فتصفحوه ونقحوه بزعمهم من كل ماتأبى السياسة والادب

— تحرزه المفرط في اكله وشربه ومحل نومه —

ومما بلغ فيه حد الافراط تحرزه في المأكل والمشرب فقـد كان من المحال ان يأكل طعاماً او يشرب شراباً قبـل ان تتناول منهما والدته شيئاً اذ هي الموكول اليها امر حراسة مأكوله ومشروبه وبمعرفتهـا ومراقبتها يطبخ و يجهز له ما يأكله و يشربه

ومن جملة احترازه ايضاً انه كان — لا ينام ليلتين متواليتين في غرفة معينة في قصر من قصور يلديز . بل كان في كل ليلة ينسل خفية تحت جناح الظلام الى قصر من تلك القصور و يرقد على احد سرره المنصوب في احدى غرفها العديدة التي له في كل واحدة منها سرير مطابق بشكله وهيئته بقية السرر المنصوبة في جميع الغرف مطابقة تامة

— غناه وحشده الاموال —

كان يعد في عصره اغنى ملك في الدنيا ولم لا يكون كذلك ورزقه من بيت المال كل يوم اربعة آلاف ذهب عثماني قبل افتتاح مجلس النواب للمرة الثانية وثلاثة الاف كل يوم بعده : هذا عدا مداخيل املاكه ومزارعه في الولايات العثمانية التي كانت تقدر بثلث اموال الدولة وعدا ما يأخذه

اعتباطاً من صناديق الدوائر كصندوق الاوقاف وصندوق النافعة وصندوق المعارف وعدا ما يأخذه نافلة من طلاب امتيازات المعادن ومد سكك الحديد وغيرها . وكان له في المصارف الاجنبية الكبيرة عشرات الوف الالوف من الذهب ، وكان البسطاء من الناس لا ينكرون عليه هذا الغنى لانهم كانوا يزعمون انه لم يحتكر تلك الاموال العظيمة الا بقصد تهريبها من ايدي وزرائه الخائنين وادخارها للمهمات الحربية التي قد تفاجئ الدولة في مستقبل الايام . ونحن لا ندري ما فعل الله بتلك الاموال بعد وفاته هل انكرتها المصارف ام استخلصها منها الاتحاديون فصرفوها في شؤون الدولة ام وضعوا ايديهم عليها وصرفوها في شؤون انفسهم

-- التغالي بالقابه ومدائحه --

تغالى المداجون من محرري الصحف وغيرهم بالقابه ومدائحه الى غاية لم نسمع صدور نظيرها في ملك قبله ولا بعده لقبوه بملك الملوك (شهنشاه) وملجأ الخلافة (خلافتپناه) وباني الدنيا (گيتي‌ستان) وظل الله في الارض والسلطان الاعظم والذات الاقدس وغير ذلك من الالقاب والكلمات التشريفية التي يصلح بعضها ان يطلق على منشئ العوالم وخالق السموات والارض وهكذا كان تغاليهم بمدائحه

- الاحتفال بزينة عيدي ميلاده وجلوسه -

وكان الاحتفال بالزينة العامة في جميع الممالك العثمانية يحدث في العام مرتين احداهما في عيد ميلاده والاخرى في عيد جلوسه وفي كل

من الاحتفالين كانت الصحف الاخبارية تبرز يوم الاحتفال في ثوب قشيب من الزينة والبهاء وفي كل صحيفة منها مقالة افتتاحيـة تستوعبها من اولها الى آخرها محررة بمداد مذهب محفوفة باطار ذهبي بديع محشوة بعبارات انيقة كلها مدح واطراء في عدل السلطان وتعداد مآثره وشرف اخلاقه وانه هو الملك الوحيد في الدنيـا وان يوم ولادته و يوم جلوسه من ابرك الايام واشرفها واسماها طالعاً واسعدها لان فيـه كان بزوغ شمس العدالة في العالم المعمور وطلوع اقمار السعادة في سماء الربع المسكون الى غير ذلك من عبارات المدح والاطراء البالغة حد الغلو والاستغراق وكان من الواجب في ذلك اليوم على كل مستخدم ووجيه في محلته ان يزين باب منزله بالسجاد وعروق الشجر و يسرج عليه كثيراً من المصابيح التي ربمـا عدت بالمئات وكلما كان المزين اكثر مـداجاة واشد تزلفاً للحكومة ازداد تأنقاً في زينة باب منزله واكثر عدد مصابيحه ومنهم من يعد للمتفرجين على احتفاله بهذه الزينة مقاعد ومفارش و يحضر لهم جماعة المطربين العازفين بآلات الطرب و يحرق الالعاب النـارية و يكرم الزائرين بالمرطبات

و يقدر ما كان يصرف من الاموال في كل احتفال من هذين العيدين في حلب فقط بالوف الليرات . كان المداجون وارباب الوجاهة منهم يتنافسون بهذه الزينات لان السابق منهم بزينته والمبرز بها على اقرانه ربما يكافأ على اخلاصه برتبة او وسام وكانت جماعة الشرطة لا شغل لهم في تلك الليلة سوى التجوال في ازقة البلدة وشوارعها والبحث والفحص عن

المزينين وعمن تكون زينته اعظم وافخم فيكتبون اسماء المزينين و يحررون عند اسم كل مزين منهم اشارة لرتبة زينته من العدد الاول الى العدد السابع واذا سهت جماعة الشرطة عن مزين ولم تذكر اسمه فانه في الغد يعترض و يطلب ان ينص على احتفاله بالزينـة في جريدة الولاية لان هذه الجريدة تصدر في صبيحة ليلة الزينة محررة من اولهـا الى آخرها باسماء المزينين والاشارة الى مراتب زينة كل واحـد منهم واذا طوت الجريدة اسم احد المزينين او قصرت في بيان رتبـة زينته فلصاحب الزينة حق الاعتراض وعليها ان تصحح الخبر في عددها التالي

— مواكب السلطان في صلاة الجمعة والعيدين —

كانت مواكب السلطان عبد الحميد في صلاة الجمعة والعيدين في استانبول من اجل وافخم جميع مواكب ملوك الدنيـا ٠ وكان السواح يطوون للتفرج عليها المسافات الطويلة و ينتظرون حلولهـا الساعات الوفيرة وكانت ذات جلال و بهاء يعجز القلم عن تصويرهما

— احتفال السلطان بالأضاحي في عيد الاضحى —

وصف الاستاذ الصابونجي [1] في كتابه (ديوان شعر النحلة) الاحتفال

(١) هو لويس السوري الشهير بالصابونجي ناظم ناثر واسع الاطـلاع متضلع باللغات الشرقيـة والغربية رشيق العبـارة حلو الحديث بعيد عن التعصب المذموم والمستفاد من كتابه ديوان نحلة الشعر انه ولد في جزيرة العشاق الكائنة بين دجلة والفرات وانه وجد عضواً في الجمعيتين العلميتين المعروفة احداها باسم (اكاديميـة الاركاذي) في رومة والاخرى باسم (الجمعية الاسيوية الملكية) في لندرا وانه كان انتخب استاذاً لتعليم اللغات الشرقية في دار الفنون المعروفة باسم (ايمبريال

باضاحي عيد النحر عند السلطان عبد الحميد فقال ما ملخصه : يأمر السلطان بالاستعداد الى عيد الاضحي قبل حلوله بشهر و بانتخاب عدد مفروض من الاكباش العظيمة و بعلفها وتسمينها و بالاعتناء بنظافتها وغسل صوفها وتمشيطه وجعلها في زادة تصلح ان يتقرب بتضحيتها الى الله تعالى : قيمة كل كبش منها يضحى عن السلطان نحو ثلاثين ليرا ذهباً وعن انجال السلطان ٢٥ ليرا وعن حرمه ١٥ — ٢٠ ليرا و يبلغ عددها مئة كبش وزيادة و يهدي السلطان الى كل موظف كبشاً او اكثر للتضحية يوم العيد · ومتى حل يوم العيد تصدر ارادة السلطان الى جميع رجال الدولة ورؤساء الجيوش والقواد والصدور العظام بان يقبلوا الى قصر « طولمه بغجه » ببزتهم الرسمية ليرفعوا الى اعتابه فروض التهاني بحلول العيد

وفي اول يوم من العيد ينهض السلطان مبكراً و يؤدي صلاة العيد بموكب حافل في جامع بشكطاش ثم يركب في موكبه و يسير الى قصر « طولمه بغجه » تتقدمه كتائب الجيوش و يتلوها رجال المابين بملابسهم الرسمية المطرزة بالقصب وعلى صدورهم اوسمة الدولة العثمانية فقط · (لانه لا يسوغ لاحدٍ على الاطلاق ان يحمل وساماً اجنبياً في حضرة

انستيتيون) في اندرا واتخذه السلطان عبد الحميد خان الثاني العثماني استاذاً لاولاده في علم التاريخ ومترجماً خاصاً له من اللغة الانكليزية والعربية والتليانية والفرنسية الى التركية وله في السلطان مدائح كثيرة لما كان يوالي عليه من بره واحسانه اخبرني بعض معارفه انه الان حي في الديار الاميركانية وانه ربما كان سنه فوق الثمانين

(امير المؤمنين) وحينما يصل الموكب الملوكي الى القصر ينزل السلطان عن المركبة و يرقى بوقار واجلال درج الرخام المغطى بالسجاد ثم يأخذ السكين من احد الموظفين في المابين الملوكي و يكون رعاة القصر قد اعدوا الكباش المعلوفة التي اسلفنا ذكرها ومشطوا صوفها الابيض الطويل وزينوا قرونها الكبيرة وجباهها وصوف ظهرها بورق الذهب وشرائط الحرير الاحمر والازرق والابيض وجعلوا على رؤسها تيجاناً من الورق الذهب المزدان بالزهور المصنعة والريش وقطع من المرايا ووضعوها صفين بين يدي السلطان وقبض كل جزار بيده اليمنى على قرن كبش من الكباش ولبث ينتظر الاشارة من حضرة السلطان لينحر الكبش · و يلبس كل جزار منهم في مثل هذا الوقت جبة من الجوخ الاخضر تصل اذيالها الى ما تحت ركبتيه وحواشيها مطرزة باسلاك الذهب · و يضع على رأسه قبعاً مخروط الشكل مصنوعاً من الجوخ الاخضر وعليه تطريز باسلاك القصب وله شرابة طولها نحو نصف ذراع مصنوعة من الحرير الاخضر واسلاك الذهب وهو يرخيها من امام على كتفه

وحينما يحل وقت ذبح القرابين يسلم السلطان السكين الى رئيس اولئك الجزارين و يامره بذبح القرابين نيابة عنه ثم يصعد درج القصر و يدخل قاعة الاستراحة و يلبث هناك مدة قصيرة يتهيأ فيها للدخول الي قاعة العرش

— وصف قاعة العرش — قال الاستاذ الصابونجي ما خلاصته : ان قاعة العرش في وسط قصر طوله بفجه المشيد على ساحل البوسفور من

جهة اوربا وهي اكبر قاعة قام بناؤها على وجه الارض كلها في الطول والعرض والارتفاع . وعليها قبة عظيمة جميلة الشكل قامت على اثنين واربعين عموداً . ومما زاد هذه القاعة حسناً وغرابة في السعة ان قبتها العظيمة مستندة الى اعمدة ليست مركوزة في صحن القاعة بل هي مصطنعة صنعاً ظريفاً في لصق جدرانها وقد بقي الصحن كله خالياً منبسطاً يسهل الجولان فيه وينشرح به الصدر . قال الاستاذ وقد رأيت قصور ملوك فرنسا بباريس وفرسايل وقصور ملوك الانكليز بقرية وندرز ومدينة لوندره وقصور ملوك ايطاليا بمدينة تورين وروما وقصر الباباوات والواتكان بروما فما شاهدت قاعة بلغت من السعة وحسن هندسة البناء مثل قاعة « طولمه بغجه »

وقد وضعوا في صدر القاعة على نحو خمسة او ستة اذرع من الجدار عرش امير المؤمنين متجهاً نحو البحر . وهذا العرش كرسي مستطيل الشكل كالسرير يبلغ طوله نحو ذراعين ونصف الذراع وارتفاعه من امام نحو ذراع وعرضه ذراع ونصف الذراع وارتفاعه من وراء نحو ثلاثة اذرع وكله قطعة واحدة من الذهب الابريز المسبوك سبيكة واحدة في قالب الهندام وحسن الصنعة وعلى ظاهره نقوش محفورة في صلب الذهب وثخانة جدار العرش نحو ثلاث عقد وعلى مقعده فرش محشو بريش النعام وغطاؤه قماش من الحرير الاحمر المنقوش بقصب الذهب

كان هذا العرش سابقاً لمماليك مصر من عائلة الغوري غنمه منهم

السلطان سليم لما فتح الديار المصرية سنة ٩٢٢

مفروش تجاه هذا العرش مكان موطئ قدمي السلطان سجادة من الحرير المطرز باسلاك قصب الذهب تطريزاً بديع الصنعة · وفي اربع زوايا قاعة العرش اربعة شمعدانات (منارات) من الفضة الخالصة يبلغ ارتفاع كل منها ثمانية اذرع · وله قاعدة مسدسة الجهات تبلغ ثخانتها نحو شبر ومحيطها نحو ستة اذرع · وعلى رأس كل شمعدان عشرون مشعلاً لايقاد نور الغاز الهيدروجيني وعلى كل مشعل قبع من البلور المنقوش ليمنع نفوذ الغاز من المشعل بعد انطفائه ويوجد كذلك في كل زاوية من اربع زوايا القاعة – شمعدان من البلور النقي في شكل ثريا جمعت بين حسن الصنعة وجمال الهيأة · ثم يوجد ثريا اخرى عظيمة جداً في غاية الحسن واتقان الصنعة وكلها من البلور النقي الثمين معلقة في سقف قبة القاعة بسلسلة نصفها الاعلى من الفضة ونصفها الاسفل من جنس بلور الثريا · ويبلغ طول هذه الثريا البديعة الصنعة نحو ٤٠ ذراعاً ومحيط دائرتها الوسطى نحو ثلاثين ذراعاً · وهي مركبة من دوائر عديدة مختلفة القطر في الكبر قد ركب بعضها فوق بعض بترتيب يناسب كبرها وصغرها فانك ترى قطر دائرتها السفلى اكثر من ذراع وما فوقها من الدائرة يزيد قطرها درجة عما تحته · وكلما ارتفعت الدوائر يزداد قطرها بنسبة بعدها وارتفاعها وتكبر بالتدريج حتى يبلغ قطر الدائرة الوسطى منها نحو ثلاثين ذراعاً ثم تأخذ الدوائر بان تصغر بالتدريج حتى يصير قطر اعلى دائرة كقطر الدائرة السفلى · وفي هذه

الثريا ما ينيف على الفي مشعل لايقاد نور الغاز الهيدروجيني وعلى كل مشعل بلورة منقوشة في سكل قبع جعلت منعاً لنفوذ الغاز من انابيبه قبل الاشعال · لثقل هذه الثريا (٨٥٠٠) اقة : اشتغل في تركيبها بالقاعة رجل اوربي نحو سنتين وكان راتبه الشهري ثلاثين ذهباً عثمانياً وكانت الثريا صنعت في اوربا ونقلت الى القاعة قطعاً ثم ركبت

ارض هذه القاعة مفروشة بتقاطيع خشب السنديان المصقول والمصبوغ بصباغ يحكي لون خشب الجوز ويفرش الخدم القاعة يوم المعايدة سيوراً من الطنافس الثمينة المنسوجة في المعمل السلطاني يبلغ عرض كل سير منها نحو ذراع ونصف الذراع ليمشي الزوار عليها وقاية من الزلق على خشب ارض القاعة المجلو جلوا صقيلاً · اما سقف القبة وجميع جدران القاعة فمنقوش بالقلم والالوان نقوشاً جميلة بديعة الصنعة وفي الشقة العليا من القاعة اربعة اطناف احدها تجاه العرش يقف فيه جماعة الموسيقى السلطاني والاخر عن يمين العرش مختص بسفراء الدول الاجنبية وحواشيهم الذين يقصدون التفرج على رسم المعايدة من ذلك العلو الشاهق وقد اعد لهم من كرم السلطان مائدة عظيمة عليها من المأكول والمشروب والاقراص الحلوة اشكال وافانين

— وصف المعايدة — قال الاستاذ الصابنجي ولما فرغ السلطان من ايفاء سنة الاضاحي مشى الى غرفة الاستراحة فلبث بها مديدة حتى تهيأت له مراسم المعايدة · ثم نهض الى قاعة العرش ودخلها من باب بينها وبين غرفة الاستراحة وانتصب واقفاً امام العرش ووجهه الى جهة

البحر ولفيف الحرس السلطاني الخاص ورجال الموسيقى يكررون الهتاف بالدعاء الملوكي (پادشاهم چوق يشا) ثم صدحت الموسيقى السلطانيـة بانغامها المطربة يتراجع صداها في فضاء قبة القاعة و ينزل على الحاضرين كانغام نازلة من السماء تسحر الالباب وتهتز لهـا طرباً الياف القلوب ما دامت ذرات الهواء مهتزة بها في قلب الاثير : قال الاستاذ وقد سمعت انغاماً موسيقية كثيرة في اوربا واميركا ولم اسمع فيها انغاماً تشابه هذه في الطرب : قال ثم ان السلطان اصـدر امره الى ابراهيم بك رئيس التشريف بالبدار الى المعـايدة وفي الحـال اصطف رجال المابين وراء العرش صفاً واحداً في مقدمتهم رئيس الحجاب (سرقرنا حاج علي بك) ورئيس الكتاب (تحسين بك) والكاتب الثاني (عزت بك) مع لفيف الحجاب واغاوات الحرم السلطاني ثم اقبل نقيب الاشراف وهو لابس جبة خضراء وطأطأ رأسه ثلاثاً وسلم بسلام الخلافة ووقف تجاه العرش على بعد نحو عشرة اذرع ثم بسط ذراعيه وتلا الفاتحة وفعـل السلطان فعله وتبعه الصدر الاعظم و باقي الوزراء والسلطان واقف على قدميه في الطرف الشمالي من العرش و كفاه محللتان بالقفاز الابيض مستندتان الى مقبض سيف الخلافة . وكان الصدر الاعظم واقفاً على يمـين العرش وقد حمـل على كفيه سيراً من الحرير الاحمر المقصب باسلاك الذهب المفتول فاذا اقبل الوزير وصار على مقربة من العرش سلم ثلاث مرات بسلام الخلافة ثم دنا من العرش وقبل طرف السير ورجع القهقرى وهو يسلم بسلام الخلافة ثلاث مرات الى ان تواري . ثم انتقل الصدر

الاعظم الى يسار السلطان واقبل عليه وزراء الجهادية فسلموا بسلام الجندية دون ان يحنوا ظهورهم ولثموا طرف السير ورجعوا

— خبر زلزال حدث في ذلك الوقت وثبات جأش السلطان —

ثم اقبل صف اصحاب الرتب وابتدؤا بالمعايدة وكانت الساعة بلغت الرابعة الا خمس عشرة دقيقة اذ سمع صوت رجة خفيفة حصلت من اصطكاك في بلور الثريا الكبيرة المتقدم ذكرها ثم اشتد صوت الارتجاج رويداً رويداً حتى صار اهتزازاً عنيفاً تناثرت من قوته قطع بلور الثريا وسقطت على فرش القاعة وتكسرت ارباً ارباً فاستولى الرعب على الحاضرين وبينما كانت قلوبهم تهتز طرباً بانغام الموسيقى صارت اقدامهم تهتز بالزلزال هلعاً ورعباً غير ان السلطان لم يبرح جالساً على عرشه بجأش رابط وقدم ثابت وقد هرع اكثر الحاضرين الى القاعات المجاورة لقاعة العرش ومن بقي منهم ضجوا يستغيثون بالله ويطلبون منه النجاة ثم ان السلطان لما رأى انقطاع المعايدة وخروج الناس نهض عن العرش بوقار وهدو ومشى الهوينى نحو قاعة الاستراحة . قال الاستاذ اما انا فلبثت في قاعة العرش وقلت لنفسي الى اين الفرار من هذه القاعة السلطانية قاعة العظمة والجلال التي لا مثيل لها بين قاعات ملوك الدنيا كلها فاذا كانت الزلزلة تهدم هذه القاعة (لا سمح الله) فتهدم معها القصر بتمامه . واذا كان الاجل دنا فالموت في قاعة العرش الفسيحة وتحت قبتها العظيمة – امر عظيم لا يحصل كل يوم لاي من كان ولا استطيع ان اختار له مكاناً احسن من هذا المحل .

ثم ان الهزة قد خفت وزال الخطر وعاد السلطان الى مكانه واتم بقية المعائدين فروض المعايدة على الوجه الذي سلف بيانه ثم نهض السلطان بين هتاف الدعاء الملوكي والنغم الموسيقي وسار عائداً الى قصر يلديز محفوفاً بكتائب الجنود والخدم ينثرون الدنانير في الطريق على الفقراء الذين كانوا يدعون للسلطان بالاقبال وطول العمر

— سلام الخلافة —

سلام الخلافة هو ان ينحني الانسان الى الارض بنصف جسمه (كأنه راكع) ويمد يده اليمنى الى ان تلمس الارض ثم يرفعها الى جبينه باحترام ويكرر ذلك ثلاث مرات بين كل مرة واخرى فترة من الزمن كأنه يشير بذلك الى ان تراب اقدام الخليفة على الرأس والعين . قال الاستاذ ورأيت من كرر ذلك السلام اكثر من ثلاث مرات ومشى القهقرى مسافة طويلة ووجهه يحاذي وجه السلطان ولا يلفت اليه ظهره حتى يغيب عن منظر السلطان

— نبذة في الكلام على الزلزلة —

قال الاستاذ الصابونجي : ولما كانت الزلازل من اعظم المصائب التي نكبت بها الكرة الارضية مع سكانها رأيت ان اذكر في هذا الباب شيئاً من احوالها واسبابها تتمة للفائدة : ثم قال ما خلاصته يحدث الزلزال في الليل اكثر من النهار . وقد احصى المدققون نحو خمسمائة زلزلة وزلزلتين كان حدوثها في بلاد اسفيزره منها ٣٢٠ زلزلة حدثت في الليل بين الساعة السادسة بعد الظهر وبين الساعة السادسة قبله وان التي تحدث

قبل نصف الليل تكون اشد مما تحدث بعده

وقالوا ان الزلزال في الاراضي البركانية اكثر من الزلزال في السهول · وان حدوث الزلزال في فصل الشتاء اكثر منها في فصل الصيف وما يحدث منها في الكانونين يكون اشد من غيره وذلك لكثرة سقوط الامطار التي تجري مياهها الى شقوق الارض وتتطرق الى قلب الارض وتصل الى الصخور المسخنة بحرارة المواد النفطية المشتعلة فتحدث في الصخور انفجاراً ينبعث عنه هزة في قشرة الارض

تنتشر الهزة التي تحدث في قشرة الارض بسرعة عظيمة ربما بلغت سرعتها ٢٠٥٢٦ قدماً في الثانية

والزلازل التي كانت عواقبها وخيمة كثيرة منها زلزلة حدثت في مدينة لزبون سنة ١٧٥٥م و١١٦٩هـ فقد دفنت تحت انقاض المدينة نحو ١٠ الاف انسان والاحياء الذين بقوا بعد الهزة الاولى التجأوا الى رصيف الميناء فباغتتهم الهزة الثانية ورفعت مياه البحر الى علو ٥٠ قدماً ثم جرفت الرصيف وكل ما كان عليه الى اعماق البحر ثم انشقت الارض تحت البحر وابتلعت جميع السفن التي كانت في الميناء ثم اطبقت عليها ولم يظهر منها فيما بعد اثر على وجه الماء.

— اسباب الزلازل —

اسباب الزلازل كثيرة منها ما هو معروف ومنها ما هو مجهول فالمعروف هو

اولاً — تأثير جاذبية القمر في قشرة الارض

ثانياً — المد والجزر في البحار

ثالثاً — ضغط الهواء على قشرة الارض وسطح البحار

رابعاً — الانفجار الذي يحدث في الجبال البركانية

خامساً - الانفجار الذي يحدث احياناً في معامل البارود

سادساً — الانفجار الذي يحـدث في قلب طبقات الارض بسبب تطرق المياه الى الصخور المسخنة باشتعال المواد النفطية فمتى لامس الماء هذه الصخور الشديدة الحرارة تفرقعت واحدثت هزة عنيفة في قشرة الارض

سابعاً — تموج المادة النارية المائعة في مركز الارض فهذه الكتلة من المادة المائعة اذا لامست جدران قشرة الارض من داخل فعلت بها فعل امواج البحر بصخور الساحل اي انها تجرف من جـدران قشرة الارض بعض الصخور العظيمة بقوة تفوق ادراك البشر ومتى سقطت تلك الصخور في بحر تلك المادة النارية المائعـة فرغ مكانها فيتدحرج اليه ما جاورها من الصخور و يشغله وعلى هـذا الاسلوب صخر يعقب صخراً في التدرج فيحصل من جراء ذلك ارتجاج وهزة هائـلة في قشرة الارض ثم ينتشر الى سطحها · وقد يكون مركز الهزة على عمق ثلاثين ميلاً من سطح الارض وربما كان اقل من ذلك الى نحو ميل ونصف ميل وهلم جراً

ثامناً — ان السبب الاكبر لحدوث الزلازل في الكرة الارضية وفي جميع الشموس والنجوم والكواكب - هو الله جل جـلاله الذي وضع

للمادة على الاطلاق نواميس لا تتغير تستن بها . ثم ساسها بحكمته الازلية وسخرها متى شاء لاجراء ارادته الالهية في خلائقه

— بقية حوادث سنة ١٣٢٧ —

في ربيع الثاني من هذه السنة حدث في كل من مرعش وانطاكية وقريتي كسب وقريق خان مشاغب ارمنية قتل فيها عدة اشخاص من الارمن والمسلمين وعلقت الحكومة بعض رجال من اعيان مسلمي انطاكية وسكنت الفتنة

— مظاهرة في حلب ومقاطعة اليونان —

وفي ضحوة يوم الاثنين ٢٩ رجب من هذه السنة احتشد الجم الغفير من اهل حلب في فسحة سوق الجمعة وهو الفضاء الممتد من تجاه جامع الاطروش الى قرب باب القلعة الى حمام الذهب الى سوق القصيلة فاجرى المحتشدون مظاهرة حماسية طلبوا فيها من الحكومة عدم السماح بحقوقها من جزيرة كريد وقد تليت في هذه المظاهرة عدة خطب حماسية من قبل علماء المسلمين والرؤساء الروحيين المسيحيين . ثم جرت بعد ذلك عدة مظاهرات في حلب ومراكز اقضيتها وقوطعت اليونان في استانبول اي اضرب الناس عن شراء بضائعها

وفي رمضان هذه السنة ولي حلب فخري باشا ابن ناشد باشا وهو وال حسن السيرة لولا ولعه بالميسر . وقد شدد العقوبة على المتجاهرين بالسكر وعاملهم بضرب ارجلهم بالسياط دون تمييز بين رفيع ووضيع فخافوه وقل تعاطي هذا المنكر . ثم اعترضت على هذا العمل مدعية

العموم في دائرة العدلية فابطل الوالي تلك العقوبة وعاد السكيرون الى ما كانوا عليه

— سنة ١٣٢٨ —

تجنيد المسيحيين والاسرائيليين

في هذه السنة صدرت اوامر الدولة بابطال الجزية وهي المسماة عند الدولة العثمانية باسم (البدل العسكري) وان يستعاض عنها تجنيد شبان الطائفتين اسوة بامثالهم من طوائف الرعايا العثمانيين . و بنـاء على ذلك اجريت القرعة الشرعية على عامة شبان الرعية العثمانية فجند فيها شبان الملل الثلاث المسلمون والمسيحيون والاسرائيليون وهي اول قرعة كانت على هذا النمط وقد سرت الطائفتان الاخيرتان من هذا الصنيع سروراً زائداً لتخلصهم من غائلة البدل العسكري ثم انقلبت مسرتهما الى الاستياء بعد ان باشر شبانهما الجندية وزاولوا بعض ما فيهامن المشقات العسكرية التي يصعب عليهم تحملها لعدم تعودهم عليها فكانوا يتذمرون من الجندية و يتظاهرون بندمهم على تعرضهم اليها ولا تحين ندامة

— كلمة في الجزية والبدل العسكري —

الجزية شيء معلوم من النقود يعطيها المعاهد من اهل الذمة على عهده في كل سنة وسميت جزية لاجتزاء المعاهد باعطائها عن القيام بالجهاد كما قاله الزيلعي وهي بحكم الشريعة الاسلامية لا تؤخذ الا من الحر البالغ الصحيح العاقل المحترف فلا تؤخذ عن العبد ولا عن مكاتب ولا عن امرأة ولا عن صبي ولا عن مجنون ولا عن مزمن واعمى وفقير غـير

محترف ولا من راهب لا يخالط لانهـا خلف عن النصرة وهؤلاء لا تجب عليهم النصرة

— مقدار الجزية —

مقدار الجزية على نوعين نوع يوضع على اهل الذمـة بصلح وتراضٍ فتقدر بحسب ما يقع عليه الاتفاق فلا تزاد ولا تنقص ، ونوع يبتدئ الامام بوضعه اذا غلب على ارضهم وهذه لا تزادعلى ثمانية وار بعين درهماً على الغني تؤخـذ منه على اثني عشر قسطاً في كل شهر ار بعـة دراهم وار بعة وعشر ين درهماً على وسط الحال تؤخذ منه في كل شهر درهمين واثني عشر درهماً على الفقير المعتمل تؤخذ منـه كذلك في كل شهر درهماً : والفقر والغنى يعتبران بحسب عرف البلدة : ولو مرض الذمي السنة كلها ولم يقدر ان يعمل لا تؤخذ منه وان كان مؤسراً وكـذا لو مرض نصف السنة او اكثر والمعتـبر في تعيين وزن الدرهم هو ان يكون كل عشرة دراهم بزنة سبعة مثاقيل . والمثقال الشرعي مقـدر بعشر ين قيراطاً كل قيراط مقدر بخمس قمحات معتدلة الوزن فيكون المثقال بوزن مئة قمحة ، والدرهم الشرعي مقدر بار بعة عشر قيراطاً كل قيراط مقدر بخمس قمحات كذلك فعشرة دراهم تبلغ سبعمائة قمحة وهي سبع مثاقل ، وكانت الدراهم في ايام خلافة سيدنا عمر بن الخطاب مختلفة الوزن فكان منها عشرة تزن عشرة مثاقيل وعشرة تزن ستاً وعشرة تزن خمساً فخشي الخليفة من تلاعب الجباة وتحيلهم بأن يأخذوا الجزية من نوع الدراهم التي تزن العشرة منها عشرة مثاقيل فيظلموا اهل الذمة فأخذ

من كل نوع من هـذه الانواع الثلاثة ثلاثة دراهم ثم جمع الاثلاث الى بعضها ووزنها فبلغت سبعة مثاقيل فامر الجباة ان يأخذوا دراهم الجزية على معدل كل عشرة دراهم بزنة سبعة مثاقيـل · والذي تبين لي بعد الامعان والتدقيق ان الدرهم الذي كان يؤخذ على المعدل المذكور يساوي في زماننـا نصف فرنك تقريباً اي قرشين ونصف القرش من النقود الرائجة التي هي اجزاء الذهب العثماني المقدر بمئة وخمسة وعشرين قرشاً والريال المجيدي المقدر بثلاثة وعشرين قرشاً وعلى هذا المعدل تبلغ جزية السنة كلها عن الغني مئة وعشرين قرشاً وعن المتوسط الحال نصفها وعن الفقير المعتمل ربعها · لا جرم ان هـذا غاية الرفق من الشريعة الاسلامية التي قنعت من الذمي بهذا القدر من المال وتكفلت بحماية نفسه وصون شرفه وساوت في الحقوق بينه و بين المسلم فجعلت له منها ما للمسلم وعليه ما على المسلم وكلفت المسلم ان يقاتل عنه ولم ترغمه على التجند بل تركت ذلك اليه ان رضي الدخول في الجندية وان لم يشأ كفت عنه وقنعت منه بالجزية

ومما يعد في الشريعة الاسلامية رفقاً بالذمي جعلها الجزية على ثلاث مراتب على الوجه الذي تقدم بيانه كيلا يتحمل الذمي الفقير ما لا يطيقه مع انها لم تميز في الجهاد المفروض على المسلم بين الغنى والفقير وذي العيال والمجرد بل جعلت المسلمين كلهم في مباشرة الجهاد بمنزلة واحدة

ولو عملنا بمقتضى هذا الحساب معدل ما يدفعه المسلم المكلف للجهاد في كل عمره لو اراد ان يجهاد بماله لا بنفسه و بين مـا يدفعه الذمي من

الجزية وفرضنا ان كل واحد منهما يعيش سبعين سنة لظهر لنا ان مـا يدفعه المسلم ضعف ما يدفعه الذمي : مثال ذلك : ثلاثة من اهل الذمة مكلفون للجزية وهم من المراتب الثلاث غني ووسط وفقير جزية الاول عن السنة (٤٨) وعن الثاني (٢٤) وعن الثالث (١٢) فاذا جمعنا هـذه المقادير الى بعضها يبلغ المجموع (٨٤) درهماً فاذا قسمنا هـذا المبلغ على ثلاثة يصيب الواحد منهم (٢٨) درهماً في السنة فاذا ضربنا هذا المبلغ في (٥٥) سنة وهي من السنة الخامسة عشرة من عمر الذمي الى السبعين يبلغ الحاصل (١٥٤٠) درهماً وهو جميع الجزية التي يؤديهـا الذمي في عمره — فاما المسلم المكلف للجهاد سواء كان فقيراً ام كان غنياً فانه اذا عاش القدر المذكور من السنين فلا اقل من ان يطلب للجنديـة ثلاث مرات فلو دفع عن كل مرة الف درهم على اقل تقدير لبلغ مجموع مـا يدفعه في عمره (٣٠٠٠) درهم وهي ضعف ما يدفعه الذمي تقريباً

ثم ان الدولة العثمانية لما رأت لاستثناء صاحب العيال من الدخول في الجندية لزوماً رفقاً بعياله وصوناً للتنـاسل من الانقطاع — استثنته من الجندية واستثنت معه العجزة والزمناء ثم عملت معدلاً فظهر لها ان عدد الذين يكلفون للتجنيد في كل سنة واحـد من كل مئة وخمسة وثلاثين مسلماً وقد جعلت بدل الجندي من النقود اذا اراد ان يدفعها بدلاً عنه — خمسة الاف قرش اي خمسين ذهباً عثمانيـاً فاعتبرت كل مئة وخمسة وثلاثين شخصاً من اهل الذمة كعسكري واحـد وكلفتهم دفع هـذا المبلغ الذي هو خمسة الاف قرش واستثنت منهم المعلمين

والمشتغلين في المكاتب العسكرية والطبية والطلبة والمستخدمين في الدرك والشرطة ما داموا في وظائفهم واستثنت على الدوام من كان سنه دون الخامسة عشرة وفوق السبعين وجماعة الكهنوت والفقراء والعجزة وجعلت توزيع ذلك المبلغ على المكلفين بيد رؤساء الطوائف وان ما يلحق المستثناين يوزعونه على بقية الافراد . وقد جعلت للمكلفين حق الاعتراض على رئيس طائفته اذا لم يوزع عليه اسوة امثاله فتنظر الحكومة في شأنه فاذا رأت اعتراضه في محله فانها تكلف الرئيس ان يساويه بامثاله الى آخر ما هو محرر في نظام البدل العسكري المذيل بتاريخ ٩ ربيع الثاني عام ١٣١١ و ٧ تشرين الاول سنة ٣٠٩ رومية

— تتمة حوادث سنة ١٣٢٨ —

وفي هذه السنة ورد الامر بالغاء اخذ تذاكر المرور لمن يريد السفر الى داخلية الولاية . وفيها وصل الى حلب صديقنا الاديب الفاضل السيد بهاء الدين بك الاميري وهو احد مبعوثي حلب وقد عاد الان اليها من استانبول ومعه شعرة من الحلية النبوية فاستقبل بموكب حافل ووضعت الشعرة في قبلية جامع الحاج موسى . وفي رجب هذه السنة ثارت طائفة الدروز في الجبل المنسوب اليهم فاوقعوا بدرك الحكومة وامتنعوا عن دفع المرتبات فمشت عليهم جيوش الدولة وبعد حروب طاحنة تغلبت الجيوش عليهم فاخلدوا للطاعة وحكم بالاعدام على عدد من زعمائهم فعلقوا ونشرت راية الامن والسلام في جبل الدروز وبقية تلك النواحي

وفي شعبان هذه السنة عزل فخري باشا والي حلب ووليها حسين كاظم بك: وفيها وردت الاوامر بابطال التغالي باحتفال زينة الميلاد والجلوس السلطاني وحينئذٍ قصرت الزينة في هذين المهرجانين على اسراج عدد قليل من المصابيح ونشر السجاد وعروق الشجر فوق ابواب الدوائر الرسمية وبعض بيوت الوجهاء على صفة بسيطة : وفيها ظهر في الجزيرة وقضاء الباب ومنبج جراد كثير اتلف مقداراً عظيماً من الزروع ثم في الشتاء التالي اهتمت الحكومة بجمع بزره فتلاشى وامن من شره

سنة ١٣٢٩

— شدة الشتاء وكثرة القر والثلج —

في محرم هذه السنة الموافق كانون الثاني سنة ١٣٢٦ رومية — كان الشتاء شديداً والقر والثلج في حلب وباقي جهاتها مما لم يسبق له نظير وفي اثناء هذه الازمة بعثت الى السيد الماجد امين بك التميمي قائممقام قضاء منبج كتاباً نشرت في طيه نبأ هذه الحادثة الكارثة ومنه يعلم القارئ ما احدثه القر والثلج من البلاء في حلب وانحائها على وجه التفصيل واليك صورة الكتاب بعد ديباجته :

على اني احرر لكم حروف هذا الكتاب والقلم يكرع شرابه من محبرة جامدة ، والفكر يستمد مادته من قريحة نارها بانفاس البرد خامدة ، ذلك لان شتاء نافي هذه السنة اقبل علينا فاغراً فاه كالحاً بوجهه مكشراً عن انيابه ، منيخاً بكلكله حالاً باثقاله قد فرس قره ، واشتد امره ، وسكر زمهريره ، وتكسرت على الارض قواريره ، فاحال الالوان ،

وقشفت به الابدان ، وكتعت الاصابع ، وارعدت الاضالع ، وعصب الريق في الاشداق وجمد الدمع في الآماق ، تقلصت منه الشفاه ، وكزت له الاسنان في الافواه ، صفح بجليده الانهار والبحيرات ، واسال لعابه من المياز يب والشرفات ، يتساقط ثلجه على الارض تساقط النور من اشجار ثار بها اعصار ، ويتهافت على الحضيض تهافت الفراش المبثوث على لهيب النار ، كلل بلآلئه رؤس الاطواد ، ومد بساطه اليقق على الروابي والوهاد ، فعادت به القيعان كأنها دره ، واصبح من مرآه الغريب في كل عين قره ورحم الله القائل

كم مؤمن قرصته اظفار الشتا　　فغدا لسكان الجحيم حسودا
وترى طيور الماء في وكناتها　　تختار حر النار والسفودا
واذا رميت بفضل كأسك في الهوى
عادت عليك من العقيق عقودا
يا صاحب العودين لا تهملهما　　حرك لنا عوداً وحرق عودا

وتحرير هذا الخبر هو اننا امسينا يوم الخميس ٣٠ كانون الاول الرومي والغيوم البيضاء متلبدة في السماء والهواء لطيف معتدل ، وما كاد ينقضي الهزيع الاول من الليل حتى اخذ الثلج يتساقط بكثرة فاستبشرنا بذلك لان الارض كانت عطشى مشتاقة الى الماء و بعض الزروع الشتوية قد اشرف على التلف فنمنا ليلتنا فرحين مسرورين الى ان كان الصباح نهضنا من مضاجعنا لقضاء حوائجنا فما راعنا غير الثلج المتكاثف قدر ذراع وقد تغير الهواء وقرس البرد والغيوم باقية على تلبدها الثلج

مرة وتمسك اخري مستمرة كذلك مدة سبعة ايام متوالية الى ان كان مساء يوم الخميس سادس كانون الثاني اشتد الدمق[1] و برد الهواء حتى هبط الزئبق الى الدرجة العاشرة تحت الصفر في مقياس السانتغراد تحت السماء فجمد الثلج القديم وتكاثف فوقه الثلج الحديث قدر ذراع والغيوم لم تزل متلبدة ترسل الثلج تارةً وتمسكه اخرى الى ان انقضى كانون الثاني وتم العقد الاول من شباط وفي هذه الاثناء قرس البرد حتى بلغ درجة لم نشهد نظيرها فيما مر من حياتنا ولا حدثنا الاشياخ انهم شاهدوا نظيرها قط فقد اصبحت اصقاعنا في هذه الايام تضارع الاصقاع القريبة من القطب الشمالي المعروفة باسم (سبيريا) حيث يهبط الزئبق الى الدرجة الثلاثين تحت الصفر وقد هبط عندنا في هذه الايام الى الدرجة الرابعة والعشرين وفي رواية عمن عني بهذا الامر وحققه ان الزئبق هبط في بعض الايام الى الدرجة السابعة والعشرين تحت الصفر بالمقياس المذكور

— تأثير الثلج والقر —

وقد نجم عن هذا الثلج والقر العظيمين وقوف حركة القطار الناري مدة ثلاثين يوماً بين حلب ودمشق و بيروت ثم سار من حلب الى حمص بعد عناء شديد و بقيت الطريق مسدودة من حمص الى بيروت ودمشق الى اوائل شباط فكأن القطار كان يعتذر عن وقوف حركته في لبنان بقول المتنبي

---

(١) الدمق محركة ريح وثلج معربه دمه . قاموس

وعقاب لبنان وكيف بقطعها   وهو الشتاء وصيفهن شتـاء
لبس الثلوج بها على مسالكي   فكأنها ببياضها سوداء

وقـد انقطع سير القوافل من سائر الجهات القاصية والدانيـة فغلت الاسعار سيما الفحم فقد ارتفع ثمن رطـله من قرشين الى اثني عشر قرشاً وثمن رطل الحطب من قرش الى ثلاثـة قروش فقاسى الفقراء الشدائد والاهوال من قلة القوت وفقد مادة الوقود وقام الدعار والشطار ينهبون اغلاق ابواب قناء الماء ودفوف سقائف الاسوق وتسلطنت الامراض الصدرية والعصبية فمات مئات من الناس بالازمة والذبحـة الصدرية وذات الجنب وذات الرئة والفالج وسكتة القلب وكأن الصقع بـدأ يجري على اهله الانتخاب الطبيعي فأخـذ من يضعف عن برده وابقى من يقوى عليه وقد جمد عدد غير قليل ممن كان مسافراً على الطرق او كان مضطراً لمعاناة خدمـة شاقة في البـلد فمات او كاد يموت لو لم يتداركه الناس بالدفأ او الاخذ الى الحمام ولذا الزمت الحكومـة اصحاب الحمامات بان يفتحوها ليلاً لتكون ملجأ لمن اصابه الجمد ومأوى للفقراء الذين فقدوا وسائط الدفأ واهتمت الحكومة بجمع الاعانات من اصحاب الخير فجمعت زهاء ثلاثة آلاف ليرا فرقت ثلثها على الفقراء نقوداً والثها اشترت به طحيناً وفرقته وثلثاً احضرت به فحماً من جهـات حمص وبعلبك شحنته مجاناً الى حلب الا انه لما قارب حماه عارضته الثلوج التي تجدد سقوطها فبقي القطار هنـاك نحو خمسة عشر يوماً الى ان تمكن من المجيء الى حلب في اوائل شباط فبيع منه جانب برأسماله وفرق باقيه على

الفقراء وكانت الحاجة الى الفحم كثيرة الفقير والغني فيها على السواء وكان طلب الناس له اشد من طلب القوت وسبب ذلك ان القوت كان وافراً في حلب بسبب جودة الموسم اما الفحم فانه كان في الوقت الذي جرت العادة على ادخاره مفقوداً لان الدواب التي تحمله من محلاته في فصل الخريف كانت مشغولة باعمال الحبوب وكان الناس مؤملين بكثرة وجود الفحم في فصل الشتاء حين تفرغ الدواب من نقل الحبوب كما يقع ذلك في اكثر السنين التى يكون فيها الموسم جيداً والشتاء معتدلاً يمكن ان تسير فيه قوافل الفحم من الجبال وغيرها اما الان فقد كاد يستحيل ان تسير القوافل الى حلب ولو من اقرب محل اليها ولهذا عز وجود الفحم على الغني والفقير وصار من احب الهدايا بين المتحابين وافضل الصدقات عند المتصدقين وكان الناس يستعملون بكثرة مواقد الكاز البترول بالطبخ و يحتالون باستعمالها للدفأ بان يرتكز عليها صفحة الحديد المعروفة بالصاج و يضعون فيها رملاً و يدفأون عليه وفي هذه المدة هلك مئات من الكلاب في حلب وغيرها مما ابقته آفة التسميم التي سلطتها الحكومة عليها في الصيف الماضي وقد هامت الوحوش والضواري على وجوهها في ضواحي حلب ومفاوزها وهجم بعضها على القصبات وهلك وصيد ما لا يحصى من الغزلان والذئاب والضباع والنمور والثعالب والارانب وانواع الطيور الدواجن وغيرها وتلف مقدار نصف مليون من غنم القنية وغنم التجار المرسلة من جهات الموصل وارضروم ولحق تجار حلب من ذلك نحو سبعين الف رأس فانكشف

حال كثيرين منهم وارتفعت اسعار اللحم والسمن خمسة وعشرين في المائة ووقفت حركة التجارة واقفلت اكثر حوانيت الباعة في الاسواق والخانات وتعطل كثير من الافران لفقد مادة الوقود وتهدم مقدار عظيم من سقائف الاسواق بطبعه او هدمته الحكومة خوفاً من خطره وخرب في انطاكية عدد غير قليل من البيوت لان بناءها غير مستعد لتحمل اثقال الثلوج التي لا تقع هناك الا نادراً وجمد نهر العاصي على مقدار اربعة اذرع من جانبيه وجمد نهر الفرات كله من بعض جهاته وتفطر في بعض مساجد حلب اعمدة صخرية مر على ركزها في محلها ستمائة سنة فلم يحصل بها خلل سوى هذه السنة وبهذا يستدل على ان برد هذه السنة مما لم يسبق له نظير في حلب منذ ستمائة سنة وتكسر كثير من الحجارة المرصوفة في سفل الابواب المعروفة باسم البرطاش وعدد غير قليل من الادراج الحربية وتفرقع اكثر الرخام المفروش في المنازل والمساجد وتحطم ما لا يحصى من الاواني الزجاجية التي يحفظ فيها بعض المائعات كالخل والاشربة الحلوة وتخرق الكثير من الظروف النحاسية واختنات طلنبات رفع الماء وتكسر اكثرها وصقعت الخضر والبقول الشتوية في البساتين كالسلق والاسفانخ والقنبيط ولم يسلم منها سوى ذوات الجزور كالجزر واللفت وعطب شجر البرتقال وما هو من هذه الفصيلة وشجر التين والجوز والزيتون والرمان في حلب وانطاكية والباب وارمناز وسلقين وما قارب تلك النواحي وقبحت مناظر المنازل والشوارع بما تراكم فيها من الثلوج واكداس الجليد واندلاع السن

الميازيب وسيلان انوف الاسطحة مما تقشعر لمنظره النفوس وترتعد له الفرائص ولسان حال الناظر الى ذلك يقول

فان كنت يوماً مدخلي في جهنم
ففي مثل هذا اليوم طابت جهنم

مناظر تخدع العين وتدهش العقل فيحسب السائر في منازل حلب وشوارعها انه سائر في خرابة عظيمة رومانية اخنى عليها الدهر وعاثت بها ايدي الايام والليالي حتى عادت انقاض اطلالها ركاماً وابنيتها المتزاحمة ودياناً ، عطلت الحكومة جميع المكاتب والمدارس وانقطع البريد عن حلب من جميع الجهات مدة ثلاثين يوماً فاجتمع في ثغر بيروت من الكتب والرسائل ما يملأ ثلاثين عدلاً ثم في العشر الاول من شباط حملت في البحر الى اسكندرونة ومنها الى حلب وكان الناس في بحران هذه الازمة الشديدة قد لزموا منازلهم وانقطعوا عن السمر والسهر عند بعضهم وكان كثير من العائلات المتوسطة في الحال التي كانت العائلة الواحدة منها تسكن افرادها متفرقة في خلوات الدار وغرفها قد انضموا في اثناء هذه الشدة الى بعضهم وصاروا كلهم كباراً وصغاراً يقومون و يقعدون في خلوة واحدة طلباً للدفأ فلا يجدونه وكان الانسان يتدثر باثقل ما عنده من الدثار حتى يكل متنه و يوقد في خلواته المناقل العديدة فلا يتيسر له الدفأ الذي يريده وقد جمد مداد المحابر وما في ظروف الماء الموضوعة قرب منافذ الخلوة وكنا نأخذ قطع الجليد ونذيبها في النار فلا تذوب الا بعد بضع دقائق وكأنها لما كان جمودها ببرودة

درجتهـا بضع وعشرون تحت الصفر كان ذوبانها موقوفاً على حرارة تعدل درجتها درجة برودتها . ومن الغريب ان رجـلاً احتاج الى منقل مهجور عنده فاسعر فيه النار وطبخ عليها قهوة البن ثم اراد طمر النار في رماد المنقل فاحس بجرم في اسفل المنقل تحت الرمـاد فعالجه فاذا هو قطعة جليد في اسفل المنقل لم تؤثر بها كل هذه النار ولا اذابتها ومما تقشعر منه النفوس و يقطر له القلب دماً موت كثيرين من عرب البادية المخيمين في بيوت الشعر في المفاوز المنقطعة ، من ذلك ما حكاه صديق لي من تجار السجاد القافلين من بغداد في هـذه الايام قال لما بلغنا مدينة الدير الحمراء واشتد علينـا البرد وكثر تساقط الثلج صرنا نسير في عربة مغطاة جللناها بالسجاد مع خيولها ووضعنا فيها موقدة كاز استحضرناها معنا لمثل هذا الطارئ ولولا ذلك لهلكنـا وهلكت دوابنا قال و بعد ان جاوزنا ضواحي الدير قاصدين حلب مررنا على وادٍ لاح لنا فيه بعض بيوت من الشعر منغمسة بالثلج قال فنزلت من العربـة وقصدت بيتاً منها لاستأنس باهله واستطلع احوالهم فوصلت اليه بعـد مشقة زايدة ثم رفعت طرف الخباء ولفت نظري الى داخلـه فرأيت ولكن ماذا رأيت لا اراك الله مكروهاً رأيت ما غشي على بصري واوهى عزائمي رأيت كلباً واربعة اوادم مطروحين على الارض جثثاً هامـدة بلا روح تبص ذرات الجمد في وجوههم وايديهم فعلمت انهم من شهداء البرد وعدت عنهم وقلبي يخفق واعضائي ترتجف . قال وشاهدت في اثناء الطريق على ضفاف الفرات مئات من جيف الاغنام التي اغتالها

البرد اه‍ ورأيت رسالة واردة من بعض تجار اليهود في عينتاب ارسلها الى شريكه في حلب يقول فيها · بلغ عدد ما افترسته الوحوش من الاوادم في عينتاب وضواحيها في اثناء الثلج بضعاً وثلاثين شخصاً · وذكر عن واحد قدم من ملطية في هذه الايام انه قال : شاهدت في اثناء الطريق المتوسطة بين ملطية وعينتاب نحو الف صندوق من التفاح وغيره ملقاة على الارض قد تخفف اصحابها بالقائها وفازوا بانفسهم ودوابهم · والخلاصة ان تأثير هذه الحادثة الكارثة عظيم واضرارها خطيرة لو افضنا بذكرها للآنا منها مجلداً على حدته · وقد استمر هذا الثلج والبرد الى اواسط شباط الشرقي ثم انقطع الثلج وخفت وطأة البرد

— تتمة حوادث هذه السنة —

فيها كانت الكمأة كثيرة جداً اكتفى بها سكان البوادي واحضروا منها الى حلب ما اغنتهم قيمته · وفي صفر هذه السنة بوشر بعمل محطة لسكة حديد بغداد في حلب وفيها حررت الحكومة الاملاك اي قدرت قيمتها بواسطة جماعة من اهل الخبرة بالاملاك وكان هذا العمل شاملاً اكثر البلاد العثمانية التي منها حلب · وفيها كان قيام الارناؤد في جهات مكدونيا وقد ارسل اليهم احد علماء حلب فتوى بجواز قيامهم على الدولة فوقعت الفتوى بيد الحكومة وهي مذيلة بعدة تواقيع من قبل تلاميذ ذلك المفتي فالقي القبض عليهم جميعاً وارسلوا الى الاستانة وهناك حكم عليهم بالنفي الى جزيرة رودس فاقاموا فيها الى ان استولى عليها

التليان في السنة التالية . وفيها عزل والي حلب حسين كاظم بك وولى عليها ظهر بك ابن بدري بك وهو من خيرة شبان دولة تركيا ونخبة ولاتها علماً وعملاً وعفافاً . والوالي الذي كان قبله كاتب بارع غير انه استهان باعيان حلب ووجهائها وسماهم الاشراف المتغلبة والمتغلبة الاشراف ونسب اليهم كثيراً من اعمال الاستبداد والتسلط على الفقراء والمزارعين . وفيها تقرر ربط خط بغداد باسكندرونة بواسطة العثمانية . وفيها في شوال كان ابتداء حرب الدولة الايطالية في ولاية طرابلس الغرب

سنة ١٣٣٠

— سير قطار بغداد —

فيها كان ابتداء سير القطار على سكة حديد بغداد من محطتها الاولى في حلب الكائنة في كرم الخناقية سار منها الى جهة راجو ثم ما زال الخط يمتد حتى اتصل سنة ١٣٣٥ بخط بوزنتي الكائن في جهة الاناضول المنتهي الى محطة حيدر باشا في اسكدار احدى محلات استانبول وسار القطار من جهة اخرى حتى وصل الى جرابلس وقد انعقد على الفرات عندها جسر خشبي وقتي يجتاز منه الى الجزيرة ثم ما زال الخط يمتد من هناك حتى جاوز ماردين ثم وقف العمل بحدوث الحرب العامة . وفيها انتهت الحرب بين تركيا وايطاليا على طرابلس الغرب واستولت ايطاليا على طرابلس وجزيرة رودس وغيرها . وفيها في اثناء حصار ايطاليا للدردنيل ارغاماً لتركيا على تسليم طرابلس حدث في حلب مظاهرة ضد ايطاليا لتنصرف عن الدردنيل . وفيها صدر الامر باجلاء التليان

عن حلب سوى من كان منهم راهباً وسوى الارامل والعملة ومن يقبل الدخول في التابعية العثمانية · وفيها استقال والي حلب مظهر بك وتعين بدله رفيق بك والي سيواس الاسبق

— انتهاء حرب طرابلس وابتداء حرب البلقان —

وفيها انتهت حرب طرابلس الغرب كما قلنا سابقاً و بدأت حرب البلقان بين تركيا ودول البلقان وقد احتشد لتركيا من الجيوش عدد لا يحصى خصوصاً ما احتشد لها من البلاد العربية فان شبان المسلمين من ابواب غزة الى منتهى حدود البلاد الشامية لم يكد يتخلف واحد منهم عن التجند في هذه الجيوش فكانوا يسيرون الى جهة البلقان لحرب اعداء الدولة هناك بكل شوق وحماسة رغماً عما كان ينالهم وهم في اثناء الطريق من المشقات المضنكة كالبرد والجوع وتحكم الاطباء عليهم وزعمهم انهم موبوءن ومعاملتهم بكل غلظة وقسوة واعادة الكثيرين منهم الى اوطانهم على اسوء حالة ولهذه الاسباب انتهت هذه الحرب بمدة وجيزة منجلية غياهبها عن انكسار جيوش تركيا وضياع جميع املاكها في البلقان

سنة ١٣٣١

في هذه السنة والتي قبلها كانت المواسم جيدة والرخاء شاملاً · وفي ربيع الثاني منها تعين والياً على حلب علي منيف بك · وفيه جدت الحكومة بجمع اعانة سمتها الاعانة الملية · وفي جمادي الاولى منها صدرت اوامر الحكومة بجواز قبول عرض الحال باللغة العربية في البلاد التي

اكثر اهلها عرب · وفيه بوشر بانتخاب اعضاء المجلس العمومي وهو مجلس جديد حادث وظيفته البحث عن المسائل التي تعود على الوطن بالرقي والعمار ينعقد مدة اربعين يوماً في السنة وفي جمادي الثاني منها وردت الاخبار بان نيازي بك قتل شهيداً بيد ارنؤدي في مدينة اولونيا احدى بلاد الارناؤد · نيازي بك هذا هو رفيق انور باشا في السعي بقلب الحكومة العثمانية الى الديمقراطية · وفيه اعطي امتياز بتجفيف بحيرة انطاكية التي تبلغ مساحتها خمسين الف هكتار وقد مضت المدة المضروبة للمشروع باعمال التجفيف ولم يباشر صاحب الامتياز العمل ففسخ عقد الامتياز و بقيت البحيرة على ما كانت عليه · وفي شعبان حول الوالي علي منيف بك الى ولاية بيروت وتعين بدله في حلب جلال بك · وفيه استردت تركيا ادرنه وقرق كليسا · وفيه تجاهر سكان بيروت ودمشق بطلب اصلاح بلادهم فاجيبوا الى بعض مطالبهم وشكر الدولة على ذلك بعض الشبيبة العربية · وفي شوال تم الصلح بين تركيا والبلغار · وفي ذي القعدة بوشر بفرش جادة الخندق بالحجر الاسود وكانت مفروشة بحجر ابيض اختل بمدة وجيزة واكلته بكرات العجلات · وفيه بوشر بفرع اسكندرونة من خط سكة حديد بغداد · وفيه صدرت الاوامر بتوحيد الساعات اي بجعل عيار الساعات الفرنجية مبدأه وقت الزوال · وفيه رخص بان يكون التدريس في مكاتب الدولة باللسان العربي في البلاد العربية

- سنة ١٣٣٢

في اواخر محرم هذه السنة قتل تعليقاً في رحبة باب الفرج قرب برج الساعة احد الشبان قتل قصاصاً منه على قتله غلاماً من اسرة كريمة اغتاله في رمضان السنة السالفة وكان الحامل على قتله اياه غيرته عليه واملة الاجتماع معه في دار البقاء والجنون فنون · وفيها جدت الحكومة بجمع اعانة الاسطول في سائر بلاد الدولة العثمانية والفت لهذا الغرض في سلانيك لجنة خصوصية وحضر للحث على بذل هذه الاعانة وفد خاص من استانبول جمع لهذه الغاية مبلغاً طائلاً وكانت هذه الاعانة تجمع منذ سنتين من التجار والمأمورين على انحاء شتى تؤخذ تارة مشاهرة واخرى مسانهة · وفيها اسست العدلية في منبج مركز هذا القضاء

اول طيارة في جو حلب

في شهر ربيع الاول من هذه السنة الموافق نيسان سنة ١٣٢٩ رومية ترائى في سماء حلب لاول مرة طيارة وردت عليها من استانبول تحمل استاذين في فن الطيران وهما شابان تركيان غضا الشبيبة اسم احدهما صادق واسم الآخر فتحي وكان وصولهما الى حلب وقت الغروب وكانت مهدت لطيارتهما مسافة من الارض قرب السبيل تجاه جبل البختي ورش في هذه المسافة تراب ابيض فنزلا بطيارتهما عليها بعد ان حلقا في الجو برهة وقد خرج لاستقبالها والتفرج عليهما كبراء الحكومة والعسكرية واعيان البلدة والوف من اهلها ولما استقرت الطيارة في الارض علا لها الهتاف والتصفيق وارتفعت الاصوات بالدعاء للدولة

بالفوز والنصر ثم انهما اقاما في البلدة بضعة ايام اقيمت فيها لهما المآدب الحافلة ونالا من الناس اكراماً زائداً ثم نهضا من حلب على طائرهمـــا الميمون قاصدين دمشق الشام فوصلا اليها في اقل من سحابة يوم و بقيا فيها اياماً قليلة وحصل لهما فيها من الحفاوة والاكرام ما حصل لهما في حلب ثم نهضا من دمشق قاصدين القاهرة و بينما هما يطيران في سماء ضواحي الاردن اذ عرض لطيارتهما عارض ابطل حركتها نخرت بهما من الجو الى الحضيض ودفعتهما عنها في اثناء هبوطها فسقطا الى الارض سقوط الصاعقة وقد اندقت اشلاء كل واحد منهما واختلطت ببعضها فصارت كأنها قدرة لحم مدقوق ولولا ما كان يحمله كل واحد منهما من الوثائق لما قدر احد ان يميزه عن رفيقه فحملت اشلاؤهما على عجلة الى دمشق ودفنا في قبرين متجاورين في تربة المرحوم السلطان صلاح الدين وكان اسف الناس عليهما شديداً : كان الغرض من ارسال هذه الطيارة وباقي الطيارات التي ارسلت بعدها الى هـــذه البلاد اعلام الشعوب العثمانية بان الدولة مهتمة بترقية الفنون العسكرية كاحـــدى الدول المعظمة وانها انتبهت من رقادها ونفضت عنها غبار التواني والتكاسل الذين كانت عليهما

— الحرب العامة —

الحرب العامة وما ادراك مـــا الحرب العامة حرب كلح لها وجه الارض وزلزلت جبالها وقلقت بحارهـــا وكادت تميد لها الدنيا باهلها شبت نيرانهـــا في عاشر رمضان من هـــذه السنة الموافق ٢١ تموز سنة

١٩١٤ م وخمدت تلك النــار الحاطمة في محرم سنة ١٣٣٧ ه وتشرين الثاني سنة ١٩١٨ م فكانت مدتها اربعــة اعوام وخمسة اشهر تقريباً نخرت في هذه المدة كبد العالم : اماتت امــاً واحيت اخرى · اقامت الامم على بعضها يسفكون دمــاءهم ويخربون بيوتهم وينهبون اموالهم ويعيثون فساداً في اعراضهم كأن رحم الانسانية قد تقطعت بينهم يستعملون في ابادة انفسهم كل مــا تصل اليه ايديهم من آلات التدمير ومعدات الهلاك والبوار حتى ظهر مصداق قول الملائكة الابرار : (اتجعــل فيها من يفسد فيها ويسفك الدمــاء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) : آفــة على البشر اهلكت من النفوس ما يعــد بعشرات الوف الالوف · ماتوا ميتات مختلفة مــا بين قتيل وغريق ومحروق ومفقود وميت بالثلج والبرد وهالك بالجوع وانواع الامراض وغير ذلك من صنوف البلاء · ناهيك ان عدد الجيش العثماني كان في اثناء هــذه الحرب الطاحنة مليونين و ٨٥٠ الف رجل استشهد منهم من ضبطت اسماؤهم فقط ٣٢٥ الف ضابط وعــدد الجرحى ٤٠٠ الف ومجموع الاسرى والمنهزمين مليون و٥٦٥ الف رجل · وان ما انفقته هذه الدولة في هذه الحرب من الاموال يبلغ نصف مليــار من الذهب العثماني · هذه هي خسائر الدولة العثمانية فقط من الاموال والنفوس · ومنه يعلم بالقياس مقدار ما خسرته بقية الدول العظام من هذين النوعين : هلك في هذه الحرب للدولة العثمانية في حملتها على ترعة السويس فقط اثنا عشر الف جمل بله ما هلك فيها من بقية المواشي مما لا يدرك حده ولا يمكن عده

فان البغال والحمير والخيول في بلادنا كادت تدهى بغائلة الانقراض والانمحاء

هذا وان اخبار الحرب العالمية قد تستوعب مجلدات ضخمة تملأ المكتبات مما ليس الاتيان به في استطاعتنا فضلاً عن كونه ليس من واجباتنا في هذا التاريخ الخاص . وانما علينا قبل الشروع بسرد حوادث هذه الحرب في حلب و بعض ملحقاتها - ان نأتي بمقدمة اجمالية يتصور منها القارئ فداحة خطبها و يدرك شيئاً من احوالها واسبابها على وجه الاجمال فنقول

— الدول المتحاربة مع بعضها -

الدول المتحاربة مع بعضها ثمان وعشرون دولة . وهي تنقسم الى فريقين احدهما نطلق عليه اسم (دول الاتفاق) والآخر نطلق عليه اسم (التحالف المربع : اشهر دول الفريق الاول ، انكلترا ، روسيا ، فرنسا ، اميركا ، اليابان ، الصين ، بلجيكا ، اليونان ، الصرب ، الجبل الاسود ، رومانيا ، البرتكيز ، وغير اولاء الدول مما لا تخطر اسماؤهن في بالنا

اما دول التحالف المربع فهن : دولة المانيا ، النمسا ، تركيا ، البلغار

جميع دول الاتفاق اعلن الحرب على دول التحالف المربع متعاقبات دولة اثر دولة . ان عدد جيوش دول الفريق الاول يفوق بكثير جداً عدد جيوش الفريق الثاني ومع هذا فان النصر كان حليف الفريق الثاني لاجتماع كلمة دوله على غرض واحد وهو الفوز والانتصار ولتوحيد حركاتهن طوعاً لرأي واحد ولانتظام مهماتهن وطواعية اجنادهن الذين

يقاتلون بصدق واخلاص و يسمحون بتضحية انفسهم دفاعاً عن اوطانهم وحفظاً لشرفهم لا طمعاً باجرة يرونها جزءاً لا يتجزأ من ثمن ارواحهم

ثم في آخر سنة من سني الحرب انضمت دولة اميركا الى دول الاتفاق فانعكس الحال وانتهت الحرب بفوزها وقد فتك الجوع بالنمسا واضطرها ان تنفرد بالصلح ثم تبعتها البلغار وحذت حذوها و بسبب ذلك انقطع خط الاتصال بين تركيا وحلفائها ودب الرعب في قلوب عساكرها وانكسرت معنوياتهم فانسحبوا من سوريا تطاردهم جيوش الانكليز بمعونة عرب الشريف وحينئذٍ تقررت الهدنة ووقفت رحى الحرب

— اسباب هذه الحرب —

لهذا الحرب سببان : احدهما اوليّ والآخر ثانوي نتكلم عليه بعد

— السبب الاوليّ —

السبب الاولي الذي اضطر كل دولة من دول الاتفاق الى ان تطرح ما بينها و بين الدولة الاخرى من الدَخَل والضَغَن و يكن جميعاً يداً واحدة في اشهار هذه الحرب - هو تضخم دولة المانيا وتوجس الدول الخيفة من غائلتها وتوهمهن انها بعد قليل من الزمن ستجرها قوة معداتها البرية والبحرية ومهارتها في الفنون الحربية - الى الطمع باكتساح اوربا وابتلاع الدنيا الامر الذي كان يتجسم شبحه المريع في اعين دول الاتفاق غولا مرعباً مكشراً عن انيابه الحديدية يتطاير من عينيه الجهنميتين نار شرر حاطمة تلتهم اوربا باسرها

على ان بعض الساسة من الغربيين ينكر على دول الاتفاق ما

يتوهمنه من غائلة هذا التضخم و يقول ان جد المانيا في بلوغها تلك الدرجة من التضخم لم يكن لها من ورائه غرض ترمي اليـه سوى ترقي اقتصادياتها وحفظ كيانها وصد هجمات المحدقين بها من اعدائهـا وانها لا تفكر قط بالفتح والاستعمار او التعدي على الجوار و لا غيار

وسنورد بعد قليل نبذة من الكلام على تضخم ايبراطورية المانيا وما بلغته من التفوق والعظمة في فنون الحرب والاقتصاد وغيرهما

هذا وان لكل دولة من دول الاتفاق في القيام الى هذه الحرب — اغراض خاصة (عدا الغرض العام) دعتها الى القيام على المانيا ومحاربتها وقهرهـا

وها نحن نتكلم هنا على ما علمناه لكل دولة من دول الاتفاق من الاغراض الخاصة بهذه الحرب فنقول

اغراض دولة بريطانيا العظمى من هذه الحرب

— هي —

حفظ سيادتها البحرية وان شئت فقل سيادتها الدولية ، المحاماة عن مستعمراتها في الكونغو التي قصدت المانيا تقسيمها سنة ١٩١٣م ١٣٣٢ هـ ، دفع غائلة المانيا عن الهند لانها بدأت تبذل جهودها في اسباب الوصول اليها فعزمت على مد السكة الحديدية الى العراق واخذت تمهد الاسباب لذلك في خليج البصرة ، عزم بريطانيا العظمى على جعل شبه جزيرة العرب امارات تحت نفوذ ايبراطورية عامـة عربية خاضعة لارادة انكلترا ، وهناك لهذه الدولة العظيمة مقاصد اخرى من هذا الحرب يطول شرحها

اغراض دولة فرانسه من هذه الحرب

— هي —

اخذ الثار من المانيا واسترداد اللورين وقلعة متس والالزاس وستر برج وضم مـا فيهما من الالمان البالغ عددهم مليوناً ونصف المليون — الى الجمهورية الفرنسية ، شل يد المانيا عن انجاز وعدهـا لحكومة مراكش سنة ١٩٠٥ م ١٣٢٣ ﻫ بانها ستمد اليها يد المساعدة على فرنسه ، ارجاع المانيا عن طلبها من فرنسا سنة ١٩٠٦ م ١٣٢٤ ﻫ ان تتخلى لها عن حقوقها في تلك البلاد ، صد المانيا عن بذل جهودهـا في موتمر الجزيرة المنعقد سنة ١٩٠٧ م ١٣٢٥ ﻫ بان تنسحب فرنسا من مراكش ، مجازاة المانيا ومعاقبتها على بذل مساعدتهـا سنة ١٩٠٨ م ١٣٢٦ ﻫ الى النمسا على اغتصابها بوسنه سراي وهرسك وعلى نقضها معاهدة براين وتحرشها سنة ١٩١٠ م ١٣٢٨ ﻫ بالفرقة التونسية وتعديها عليها وارسالها سنة ١٩١١ م ١٣٣٠ ﻫ انذاراً ثانياً واسطولاً الى اكادير محتجة على فرنسا بهجوم جيشها على مدينة فاس : ومن تلك الاسباب ايضاً اتفاق المانيا مع بعض خونة من الوزراء على ان تأخذ المانيا مائتي الف كيلومتر من الاراضي الفرنسية في مستعمرة الكونغو ولها غير ذلك من المقاصد والمطالب

— اغراض الدولة الروسية من هذه الحرب —

هي تمزيق دولة تركيا والاستيلاء على استانبول : كانت دولة روسيه منذ مئات من السنين تحاول الوصول الى هـذه الغاية وكانت كل من دولة انكلترا وفرنسا يحبطان مساعيها في ذلك الوقت وفي النهاية ادركت

روسيه بعد معاهدة برلين ان استيلاءهــا على استانبول اصبح من رابع المستحيلات فحولت وجــة اطماعها الى الهنـــد ولما اوصدت السياسة الانكليزية فـي وجهها هذا الباب حولت اطماعها الى الشرق الاقصى وقصدته فضربت دولة اليابان على يدها تلك الضربة الداميــة وحينئذٍ رأت روسية انه لم يبق عندها لتوسيع املاكها سوى الرجوع الى تلك النغمة القديمة وتحقيق حلمها الازلي وهو تمزيق تركيا واستيلاؤهــا على استانبول تنفيذاً لوصية بطرس الاكـبر : رضيت بذلك انكلتره لتحول قصد روسية عن الهند وتجعل المملكة العثمانيه ضحية عنها وتكون بذلك قد استفادت فائدة اخرى لها عندها اهمية كبرى وهي تخلصها من الخلافة العثمانية وسيطرتها الروحية على العالم الاسلامي في الهند وقــد اطلقت انكلترا يد دولة فرنســه في سوريا للتسكت عن روسية في انقضاضها على ملك بني عثمان

ومن جملة مقاصد روسية من القيام على المانيا والنمسا تحقيق حلمهــا الآخر الذي هو الاستيلاء على العنصر السلافي المنضوي تحت رايــة النمسا والمجر وضمه اليها وجمع شمل البعض الآخر من هــذا العنصر في البلقان وجعله ولاية خاضعة لحكمها

— سبب دخول دولة اميركا الى هذه الحرب —

كانت دولة اميركا منذ نشبت الحرب العالمية الى ان دخلت هي في غمارها — واقفة موقف الحيــاد تستغل الارباح الطائلة من الفريقين المتحاربين الذين يجتهد كل واحد منهما بان يضمها الى صفــه : بقيت

اميركا واقفة هذا الموقف حتى قدم وزير خارجيـة انكلترا المستر بلفور الى المستر بايج في اواخر شهر افبراير سنة ١٩١٧ م ١٣٢٦ هـ برقية فحواها ان المانيا تستعد الآن لمحاربة اميركا وقد ارسل البرقيـة وزير خارجية المانيا عن طريق بطرسبرج الى السفير الالماني في واشنطون ليرسلها الى سفير المانيا في المكسيك ليطلب من رئيس جمهورية المكسيك ان تتحـد مع المانيا على محاربة اميركا وان مكافأة جمهورية المكسيك على هـذا الاتحاد ضم عدة ولايات اليها من اميركا . وفي هذه البرقية ايضاً تكليف السفير الالماني الى السعي بفصل اليابان عن دول الاتفاق وضمها الى التحالف الالماني : وكانت تلك البرقية محـررة بالشفره وانكلترا هي التي استحوذت عليهـا وفكت طلاسمها لانها تمكنت في اول الحرب من الاستيلاء على مفتاحها . ولما اطلعت اميركا على البرقية المذكورة عبأت جيوشها وانضمت الى دول الاتفاق وخاضت معهن في عباب هذا البحر الطامي وكان من امرها ما كان

— السبب الثانوي لهذه الحرب —

السبب الثانوي لهذه الحرب الضروس اغتيال عصابة صربية ولي عهد ايمبراطور النمسا وزوجته : وذلك انهما في اليوم الثامن والعشرين من حزيران سنة ١٩١٤ م الموافق اوائل شهر رمضان سنة ١٣٣٢ هـ بينما كانا في مدينة بوسنه سراي راكبين في سيارتهما متوجهين بين صفوف الموكب العسكري الى احدى كنائس المدينة اذ فاجأتهما قنبلة متفرقعة وعيار ناري اوديا بحياتهما وفي الحـال القي القبض على من جنى عليهما

هذه الجناية الفظيعة وهو اليكباشي (وجاتانكوسك) و (ميلان سيغانور يك) كلاهما من عصابة سربية اسمها (ناروودناوديرانا) اخذت على عاتقها بذل الجهود باقلاق راحة حكومة النمسا وفك بوسنه وهرسك عنها وربطهما بحكومة الصرب . وقد تبين من تقرير الجانيين المذكورين انهما مدفوعان الى هذا العمل من قبل كبار الموظفين في حكومتهم قصد اثارة فتنة يكون عقباهـا استيلاء حكومة سربيا على بوسنه سراي وهرسك الحادثتين لمملكتهما واللتين معظم اهلهما من العنصر السربي . وبعـد حدوث هذه النكبة بعثت حكومة النمسا في اليوم الثالث والعشرين من تموز الى حكومة السرب انذاراً شديد اللهجة امهلتهـا لاعطاء جوابه خمسة عشر يوماً فارادت حكومة السرب قبول شيء من مضمون الانذار ترضية لحكومة النمسا لتحققها من نفسها العجز من مقاومتها فنهتهـا عن ذلك حكومة روسيا وشجعتها على الثبات امام النمسا ووعدتها المساعدة عليها فامتثلت حكومة السرب امر روسيا وامتنعت عن جواب الانذار وحينئذٍ اضطرت حكومة النمسا الى عمل مناورة حربية ارهاباً لسربيا لتكرهها على قبول مضمون الانذار واطلقت جنود الحكومـة النمسوية بعض كرات مدافعها على حدود سربيا تهديداً لها وكانت حكومة سربيا قد علا صراخهـا استنجاداً بالدول العظمى فقامت عساكر روسيه على حكومتها واكرهتها على تعبئة جيوشها واشهار الحرب على المانيـا توصلاً الى محاربة حليفتها النمسا ثم شبت نيران تلك الحروب على الوجه الذي سنبينه

— بيان ان هذه الحرب كانت مقررة قبل هذه الحادثة —

سميت هذه الحادثة سبباً ثانوياً للحرب لان العقل يستبعد ان تكون هـذه الحرب التي قامت من اجلها الدنيا وقعدت — مسببة عن تلك الحادثة الاعتيادية التي يكثر وقوع نظائرهـا في اوربا فلا تأبه بهـا : غاية ما يمكن ان يقال في هذه الجريمة انها كانت سبباً لتعجيل اعـلان الحرب لا سبباً لوجودها . ودليلنا على ذلك ما كنـا نراه في حلب من الحركات العسكرية الدالة على الاهتمام بالتأهب والاستعداد الى مباغتة المستقبل بامر عظيم فان الضباط العسكريين كانوا قبل اعـلان الحرب باشهر يحضرون بين حين وآخر الى خانات التجار و يسجلون مقـادير ما عند كل تاجر من البضائع والغلات واحياناً يأمرون التجـار بالامساك عن بيع بعض البضائع الموجودة عندهم : ثم قبل اعـلان الحرب بنحو شهر او اكثر دعت جهة العسكرية عرفاء المحلات المعروفـين بالمخاترة واعطت كل واحد منهم مغلفاً مختوماً على صحيفة مكتوبة وامرته بحفظه عنده مع بقائه مختوماً وحذرته من فتحه ووعدته بالقتل ان هو فتحـه قبـل ان تأمر بفتحه فكان المختار يأخذ المغلف و يحفظـه في احـرز مكان عنده

ومن الادلة الساطعة على ان هذه الحرب كانت مدبرة مقررة قبـل حدوث نكبة الاغتيال — قول جمال باشا في مذكراته اثناء كلامه على التحالف التركي الالماني — ان عرض المانيا على تركيا التحالف معها لم يكن الا لانزعاجها لتأهبات خصومهـا — : وقال السير روجر كيسمنت

الارلندي في كتابه الذي الفه تحت عنوان (الجريمة التي ارتكبت ضد اوربا) ان الخلاف الذي وقع بين السرب والنمسا لم يكن سوى شطر يسير جداً من المسألة الكبرى التي قسمت اوربا على ما نراه فيها من الاقسام المسلحة واكبر دليل على ذلك تقرير ارسله السير (ج بوشنان) بمناسبة الطلب الذي قدمته حكومة روسيا الى سفير حكومة انكلتره في بطرسبرج . وهو ان يؤكد على حكومته ان تنضم الى روسيا وفرنسه وتعضدهما في اعمالها . فاجاب سفير انكلترا على ذلك بقوله ان ليس لحكومته مصالح في السرب تقضي عليها اتخاذ هذه الخطوة . ثم ان الرأي العام الانكليزي لا يمكن ان يقنع بوجوب اشتراك حكومته في هذه الحرب من اجل السرب فقط . فعند ذلك رد عليه ناظر خارجية روسيا بقوله (يجب علينا الا ننسى اننا في الحقيقة واقفون امام المسئلة الاوربية الكبرى وما امر السرب الا جزءاً يسيراً منها . وانا اظن ان انكلترا لا يحسن بها ان تضيع الفرصة وتتغاضى عن المسئلة التي نحن بصددها ا ه

اقول من قرأ هذه المناقشة وامعن النظر في فحواها علم علم اليقين ان هذه الحرب مدبرة قبل حادثة الاغتيال وان هذه الحادثة كانت سبباً لتعجيل الحرب لا سبباً لوجودها كما اسلفنا بيانه

— نبذة من الكلام على تضخم ايمبراطورية المانيا —

ان الامة الالمانية ارتقت من بين الامم الغربية المتمدنة الذروة العليا في جميع حاجيات الحياة . فكما انها احرزت قصب السبق في فنون

الحرب ومهماته ومعداته فقد حازت القدح المعلى من فنون الاقتصاديات على كثرة انواعها ونالت النصيب الاوفر من العلوم الاجتماعية والسياسية وفنون الطب وحفظ الصحة التي بواسطتها لم تزل مواليدها بالنسبة الى وفياتها آخذة بالازدياد يوماً فيوماً كان عدد نفوس الامبراطورية الالمانية سنة ١٨١٦ م ١٢٣٢ هـ يقدر بـ (٢٥) مليوناً ثم في سنة ١٨٧١ م ١٢٨٨ هـ بلغ عدد نفوسها (٤١) مليوناً ثم في سنة ١٨٨٨ م ١٢٨٨ هـ بلغ (٤٨) مليوناً وفي سنة ١٩١١ م ١٣٣٠ هـ بلغ (٦٦) مليوناً

ومما برعت به الامة الالمانية فلسفة الطبيعيات والكيميا اللتين اوصلتاها بالابحاث الدقيقة الى اخضاع القوات النارية والكهربائيــة اخضاعاً لم يعهد له مثيل فاستخدمت تلك القوات بالزراعــة والصناعة على تعــدد انواعها من سكب الحديد ونسج الاقمشة وعمــل السيارات والطيارات والغواصات والقوات البحرية التي لا يباريها بها مبار

كان عدد حصن البخار عندها في سنة ١٨٨٢ م ١٣٠٠ هـ مقدراً بمليون ومائتي الف حصان ثم في سنة ١٩٠٧ م ١٣٢٥ هـ بلغ عدد هــذه القوة نحواً من خمسة ملايين ومائتي الف حصان

على ان الذي اعان الامة الالمانيــة على النبوغ في المسائل الاقتصادية والفنون الحربية — هو غناء بلادها من الحديــد والفحم الحجري الذين هما اس كل قوة آلية : وعليه فان المانيا بمعاملها المتحرك بالبخار والكهرباء والغاز الفقير والبترول والبنزين — قد فاقت بكثرتها بالنسبة الى عدد نفوسها جميع الامم في اوربا وغيرها

كانت صادرات المانيا قبل خمس وعشرين سنة من القطن تقدر بـ ٦٧ مليوناً فصارت الان تقدر بـ ٤٢١ مليوناً من الماركات وصادرات الصوف كانت تقدر بـ ١٧٧ فصارت الان تقدر بـ ٢٥٣ مليوناً من الماركات · وعلى هـذه النسبة زادت فيهـا صادرات الحرير والكتان وبقية المواد التي تنسج منها الاقمشة · وعلى هذه النسبة ايضاً زاد فيها عدد التجار فقد كان في سنة ١٨٨٢ م ١٣٠٠ هـ يقـدر بمليون وخمسمائة الف فصار الآن يقـدر بثلاثة ملايين واربعمائـة وسبعة وسبعين الفاً وستمائة تاجر وهكذا قل في زيادة الخطوط الحديدية واسلاك البرق واسلاك الهاتف والمواد الطبية والفنون الزراعية وجميع البضائع التجارية وصنوف الاصبغة والاشربة الروحية التي تصدرها دول العـالم المتمدن من ممالكها فان المانيا قد برعت بها ايما براعة

— لِمَ لم تتفق تركيا مع دول الاتفاق ولِمَ لم تبقَ على الحياد —

يؤخـذ من مذكرات جمال باشا ان تركيا رغبت عقـد التحالف مع دول لاتفاق وان جمال باشا سافر الى باريز للحصول على هـذا الغرض وقابل وزير خارجية فرانسه وطلب منه قبل ابرام عهدة الوفاق حل مسئلة الجزر بين تركيا واليونان · فكان جواب الوزير له ما معنـاه ان فرنسه لا يسعها الموافقة على هذا الطلب دون رضاء حلفائها ومن هـذا الجواب فهم جمـال باشا ان دول الاتفاق لا ترغب التحالف مع تركيـا فعاد الى استانبول بخيبة الامل · وقابل فيها السير لويس ماليت سفير انكلترا وبينما هو يحادثه اذ قال له السير لويس ارغب منك يا جمال باشا

ان تصرح لي بمطاليب الحكومة العثمانية في مقابلة بقائها على الحياد فاجابه جمال باشا بعد ان راجع الصدر الاعظم بقوله ان الحكومة العثمانية تطلب في مقابلة بقائها على الحياد ، الغاء الامتيازات ، اعادة الجزر التي اخذتها اليونان من تركيا ، حل مشكلة مصر ، تعهد روسيا بعدم التدخل بشؤن تركيا الداخلية ، معونة انكلترا وفرنسه الفعلية فيما لو هاجمت روسيا بلاد تركيا : قال جمال باشا ما معناه فابلغ السير لويس حكومة لندره مطالب تركيا فكان جوابها هكذا

لا يمكن التفكير بالغاء الامتيازات انما يمكن لانكلترا بعد اتفاق حلفائها ان تسمح بالغاء بعض امتيازات مالية . واما مسئلة الجزر فيجب تأخيرها والنظر اليها فيما بعد كما ان المسئلة المصرية يترك الخوض فيها الآن وان روسيا لا تفكر مطلقاً في مهاجمة تركيا . وان انكلترا تطلب في مقابلة الغائها بعض الامتيازات المالية - عدم اغلاق المضايق في وجه سفن روسيا : فهم جمال باشا من هذا الجواب ان دول الاتفاق لا تود اشتراك تركيا بالحرب في جانبهن لان ذلك يضيع لروسيا فكرة الاستيلاء على استانبول وان غرض دول الاتفاق السعي في منع تركيا عن القيام بشيء لغير مصلحتهن و بالاحتفاظ في غضون الحرب بالاتحاد مع روسيا واعطائها عند الفوز النهائي استانبول ومنح الولايات العربية استقلالاً داخلياً يسهل فيما بعد سقوطها تحت حمايتهن ووصايتهن

قال جمال باشا في مذكراته ما خلاصته ان بقاء تركيا على الحياد مع عدم معارضة الملاحة في المضايق يسهل لروسيا بعد خروجها من

الحرب العالميــة ظافرة الانقضاض على استانبول والولايات الشرقية في الاناضول

قال واذا قصدنا التخلص من هــذه الغائلة واردنا اقفال المضايق مع ان دول الاتفاق لا تسمح لنا بقفلها امكن حينئذٍ دول الاتفاق ان تضغط علينا بل ربما يقول لنا البعض منهن ان يحتل المضايق الى ان تضع الحرب اوزارها وحينئذٍ نعيدها اليكم

قال جمال باشا بعد هذا كله فلم يبق لنا سوى الالتجاء الى تحالف قوي

— تحالف تركيا مع المانيا —

قال جمال باشا في مذكراته اثناء كلامــه على موقف دول الاتفاق حيال تركيا ما ملخصه

ان انكلترا قد تمكنت من القطر المصري وهي تجتهــد بالحصول على العراق وفلسطين وتوطيد نفوذها في جميع انحاء شبه جزيرة العرب . وان روسيا لا تحتاج عداوتها لتركيا الى دليل وهي لا ترى لتحقيق مطامعها افضل من عزلة تركيا . واما دول التحالف الثلاثي فان النمسا وايطاليـا لم يبق لهما مطامع اخرى نحو تركيا فقد قدمنا لها كل مــا استطاعتاه من الاذى فلم يبق لهما حاجة الى مطمع جديد . واما المانيا فانها ترغب ان ترى تركيا عزيزة الجانب اذ لا يمكن ضمان مصالحها الا بتقويتها

لا تستطيع المانيا الاستيلاء على تركيا وتجعلهــا كمستعمرة لان المركز الجغرافي والموارد الالمانية يجعلان ذلك مستحيلاً . فالمانيا اذن تعتــبر تركيا بمثابة حلقة في سلسلتها التجارية ولهذا اصبحت من اشد انصارها

ضد حكومات الاتفاق التي حاولت تمزيقها خصوصاً لان تصفية تركيا كان معناه تطويق المانيا بصفة نهائية وذلك ان تركيا في الجنوب الشرقي من المانيا تغلق لذلك الطوق فالطريق الوحيد الذي تدرأ به المانيا ضغط الطوق الحديدي – هو منع تمزيق تركيا

ولما قنطت تركيا من التحالف مع دول الاتفاق على الوجه الذي اسلفنا بيانه ورأت ان مطامع روسيا لا تتحقق الا بعزلتها – اخذت تفكر في محالفة تنقذها من هذا الخطر وقد استغرق تفكرها هـذا نحو ستة اشهر وبينما كان الوقت قد آذن بنشوب الحرب وتركيا في قلق من عزلتها اذ بالمانيا تعرض عليها عقد محالفة تتفق مع مصالحها وتضمن حقوق الطرفين. فلم تتأخر تركيا عن قبول المحالفة مع تلك الامبراطورية القوية البأس. فان لهذه المحالفة محاسن كثيرة منها منع دول البلقان عن التدخل في شؤن حكومة تركيا. ومنع دول الاتفاق عن الاستيلاء على بلادها ومنها ان علماء المانيا وفنونها وخبراؤها التجار يصبحون تحت تصرف تركيا الى غير ذلك من المحاسن والمزايا التي تستغلها تركيا من هذا التحالف: ثم ان دولتي النمسا وبلغاريا دخلتا مع المانيا في عقد هذا التحالف دون تردد ولا توقف لان ما يهم المانيا يهمهما ايضاً

تصريح بالفوائد التي تقصدها المانيا من محالفتها مع تركيا

لالمانيا في عقد تحالفها مع تركيا مقصدان

– المقصد الاول –

هو

حفظ مضايق استانبول من استيلاء روسيا عليهـا كيلا تفقد المانيا واوستريا حليفتها الاخرى – استغـلال الفوائد الاقتصادية اللائي تجنيانها من قبـل العالم الاسلامي القاطن وراء البحر الاسود والابيض ولتكون تركيا سداً منيعاً لوصول المدد الى روسيا من حلفائها ابان الحرب اذ لا سبيل الى امداد حلفائها اياها من جهة البحر الابيض الا من طريق استانبول

ان روسيا لو وصل اليها المدد من حلفائها من هذا البحر لما كانت المانيا حين نشوب الحرب العالمية تقوى على اخضاعها في تلك المدة القصيرة. وكيف يتصور العقل جواز قهر امة في تلك المـدة الوجيزة يبلغ عدد شعوبها زهاء مائتي مليون وجنديها من اشهر جنود الدول البرية — لو كان المدد واصلاً اليها من حلفائهـا كما يجب: لا جرم ان المضايق لو كانت مفتوحة لامدادها بالمعدات والمهمات الحربية لصعب على المانيا ان تضربها تلك الضربة القاصمة لظهرها التي لم تكن متوقعة من قبل. ناهيك دليلاً على ما وقر في صدور الالمان من عظمة روسيا وضخامة ممالكها وكثرة شعوبها ان الايمبراطور غليوم سئل عن عدد الدول التي يحاربها في هذه المعركة فقال (عدد الدول التي احاربهـا الآن ثلاث منها دولتان هما روسيا وحدها والدولة الثالثة هي بقيـة الدول) فاعتبر دولة روسيا وحدها دولتين واعتبر بقية الدول العديدة دولة واحدة

- المقصد الثاني —

هو

من المعلوم ان موقع المملكة الالمانية والنمسوية من قارة اوربا - متوسط وهما معدودتان من الدول المركزية في هذه القارة وان المنطقة المحدقة بهما مفتوحة الغلق من جهه تركيا فقط · ثم لا يخفى ان العالم الاسلامي يبلغ عدده نحو ثلاثمائه مليون من النفوس وهو متبعثر في الربع المسكون ما بين محكوم بدولة اسلامية ضعيفة مضروب عليها نطاق السيطرة من قبل دولة اجنبية · وما بين قاطن بمستعمرات تحكمها دول اجنبية كالهند وتركستان وتونس والجزائر فان الحكومات المستولية عليها في تلك الاصقاع تتصرف بمقدراتها كما تشاء ولما رأت دولة المانيا ان العالم الاسلامي المتبعثر على هذه الصفة لو تألفت اجزاؤه وربطت بعضها برابطة الدين لجاء منه قوة تهدد الارض بأسها فرغبت ان تكون هذه القوة بجانبها ورأت ان لا سبيل الى استمالة هذه القوة الى جانبها الا بالاتفاق مع الدولة العثمانية مقر الخلافة التي يتعلق بعرشها عامة المسلمين فبذلت الدولة المشار اليها جهدها منذ اعوام طوال بموالاة الدولة العثمانية والمحاماة عنها الى ان اطمأنت تركيا منها فمدت اليها المانيا يد الاتفاق وعقدته معها على ان تكون الدولتان يداً واحدة في انقاذ العالم الاسلامي وارجاع مجده الى ما كان عليه : حتى ان جمال باشا صرح في مذكراته عدة مرات ان اول غرض لتركيا من هذه الحرب هو خدمة العالم الاسلامي · لا ريب ان دولة المانيا لو كانت هذه الحرب منجلية عن فوزها وظفرها لكانت

جذبت اليها بهذا الاتفاق قلوب عامة المسلمين واستمالتهم نحوها بحكم قاعدة من والى صديقك فقد والاك فكانت تستفيد هي واوستريا من استمالة العالم الاسلامي اليهما ثلاث فوائد

الفائدة الاولى اشغال قوات عظيمة لاعدائها حين قيامهم عليها تتركها اعداؤها في مقابلة من جاورهم من الحكومات الاسلامية واماراته المستقلة حينما يحدث بين المانيا واوستريا واعدائهما حرب في اوربا

الفائدة الثانية التي تستفيدها الدولة الالمانية من استمالة العالم الاسلامي اليها هي جعل الدول الاسلامية واماراتها في عامة الربع المسكون جزءاً من دول الاتفاق المربع لتقاتل معها كجيش من جيوشها حينما تسنح لها الفرصة بشن الغارة على احدى مستعمرات دول الاتفاق في اسيا وافريقيا ولاسيما الهند التي هي مصدر قوة انكلترا. وقد رأت دولة المانيا وغيرها من الدول المعظمة انه لا سبيل الى قهر الامة البريطانية وجعلها في عداد الدول الثانوية الا بسلب الهند من يدها وشن الغارة عليها من جهة آسيا ما دامت مخانق البحار في قبضتها وان الامم الاسلامية التي تعترض طريق الوصول اليها في آسيا مما لا يستغنى عن مظاهراتهم والاستنصار بقوتهم حين الاغارة على تلك الدولة الامر الذي تعده المانيا من مقدمة المقاصد من استمالة المسلمين اليها . ولا يخفى ان الدول الاسلامية واماراتها في آسيا يتألف منها جيوش ضخمة تملأ الفضاء وهي في منتهى درجات القوة والشجاعة بحيث اذا امدت بالمعدات وقادها رجال محنكون عارفون بفنون الحرب لجاء منها قوة لا تلبث معها

اكبر دولة حتى تهن قوتها و يتلاشى معظم ملكها

الفائدة الثالثة رواج البضائع الالمانية والنمسوية في الممالك الاسلامية ·

اذ من المعلوم ان الامة الالمانية لم تدع لباقي الامم مجالاً للسبق في ميادين الصناعة والاقتصاديات كما اسلفنا بيانه · ولا يخفى ان استثمار هذا التقدم والرقي يحتاج محصوله الى اسواق يروج فيها وان اول داعٍ لرواج البضاعة رخص اسعارها ولا شك ان البضائع الالمانية على اختلاف انواعها حائزة هذه المزية ولهذا يتهافت الناس عليها في مشارق الارض ومغاربها حتى ان كثيراً من شعوب الدول العظام كشعوب انكلترا وشعوب فرانسه يرغبون بالبضائع الالمانية عن غيرها فيقبلون على شرائها بكل رغبة ونشاط حتى انك لتجد في نفس جزيرة بريطانيا كثيراً من المحركات الالمانية في المعامل الكبيرة اختارها اصحاب تلك المعامل دون غيرها لاتقانها ورخصها · ومع كثرة ما يصرف من البضائع الالمانية في اسواق اوربا واميركا فانها لم تزل كثيرة وافرة يزيد محصولها على الصادر منها زيادة عظيمة فرأت المانيا ان تفتح لها اسواقاً جديدة في آسيا وافريقيا تصرف فيهما ما توفر لديها من محاصيل البضائع ولما كان العالم الاسلامي في هاتين القارتين يعد من الشعوب الكبيرة فقد رغبت المانيا ان تستميله اليها بواسطة الخلافة الاسلامية لتنال منه رغبتها في رواج محاصيلها فيقبل عليها وتزداد بواسطة الخلافة فوائدها الاقتصادية التي تسابق بها دول الربع المعمور

— تصريح في البواعث التي حملت تركيا على الاتفاق — مع دولة المانيا

معلوم ان دولة تركيا اتى عليها زمن ورايتهـا تخفق فوق ممالك يربو عدد اهلها على مائة وعشرين مليوناً وكانت دول اوربا في ذلك الوقت يحسبن لها حساباً عظيماً ويتسابقن مع بعضهن بالتزلف اليها ثم لما تقلبت الدهور والاعصار عليهـا واخذت ترجع القهقرى سنة الله في الايام التي يداولها بين الناس بقيت دولة بريطانيا في مجاملتها لتركيا رعاية لخواطر رعاياها المسلمين المرتبطين بالخلافة العثمانية برابطة الدين وتوهيناً لاعدائها عن نفوذهم الى مستعمرة الهند كمحاماتها عنها في واقعة ابي قير تلك الواقعة المدهشة وكمحاماتها هي ودولة فرنسا في حادثة القرم التي كسرت فيها جيوش دولة روسيا ايما كسرة توهيناً لقوة هذه الدولة وايقافاً لها عند ذلك الحد ثم ان انكلترا امنت غائلة الروس باتفاقها مع دولة اليابان على دفع الروس عن الشرق الاقصى وكانت دولة تركيا قد وصلت الى دورها الاخير من التقهقر والانحطاط واصبحت عرضة لاستيلاء الفاتحين وقد ذهب قسم عظيم من بلادها في الحرب الاخيرة مع روسيا ولم يبق ريبة في عجز تركيا عن مقاومة اعدائها فاستغنت دولة انكلترا عن مجاملتها لتركيا ورأت انها اولى من غيرها بالاكل من هذه المائدة المبسوطة لكل وارد وصادر واجدر من سواها بالاستيلاء على تلك البلاد وان المسئلة الشرقية قد آن اوان مباشرتها فاحتلت في حادثة اعرابي باشا مصر ومن ذلك الوقت بدأت تركيا تشعر بانحراف هذه الدولة عن مجاملتهـا وكانت

عيونها وقناصلها في الممالك الاجنبية تعلمها من وقت الى آخر بامور تدل على سوء مقاصد اوربا مع تركيا وعدولها عن مجاملتها واتفاقها على معاكستها فتعكر صافي اعتقادها باخلاص اوربا ثم ازدادت نفوراً من دولها حينما تحققت انهن يعاكسنها في جزيرة كريد ويساعدن مقاصد اليونان وبعد مدة تأكدت بانهن انقلبن ضدها انقلاباً بيناً وانضم اليهن عدوها الاكبر دولة روسيا وغيرها من باقي اعدائها مبرهنة هذا الانقلاب باتفاق الدول على حرمانها مما جنته سيوف جنودها من بلاد حكومة اليونان في حربها الاخيرة معها وكان قد تواتر عند العثمانيين ان دول اوربا غير المركزية قد اتفقن على تقسيم بلاد تركيا فيما بينهم وعلى اخراج نواياهن في المسئلة الشرقية من حيز القوة الى حيز الفعل فلم يرَ السلطان عبد الحميد بدأً من التمايل الى دولة المانيا التي كانت تخطب صداقة تركيا منذ امد بعيد تمهيداً لبلوغ مقاصدها التي اسلفنا ذكرها فاحضر هذا السلطان جماعة من الالمان اساتذة العلوم العمرانية والفنون العسكرية الى مدارس استانبول ووظفهم بوظيفة التدريس والتعليم ومن ذلك الوقت شرع هؤلاء الاساتذة يغرسون في افكار التلامذة حب المانيا ويجسمون في مخيلتهم عظمة دولتهم وحبها لدولة تركيا ويؤكدون لهم ما وقر في صدر دولة انكلترا من المقاصد السيئة في حق تركيا وانها قسمت بلادها بينها وبين باقي دول اوربا ودول البلقان وكان التلامذة يعتقدون صحة هذه المبادي ويثبتونها في اذهان الامة حتى تمكنت من عقولهم واستحكمت في اعتقادهم ثم قام حزب الاتحاد والترقي على السلطان عبد الحميد وخلوه

على العمل بالقانون الاساسي وقلبوا الحكومة الى الديمقراطيـة ثم خلعوه وقد ساعدت دولة انكلترا الاتحاديين في هـذا الانقلاب انتقاماً من السلطان عبد الحميد على ميله الى الالمان وتقريبه اياهم واتخاذه منهم الاساتذة والمرشدين وبعض قواد عسكريين ثم حدثت حرب طرابلس الغرب بين تركيـا وايطاليا وكان الاتحاديون يأملون من دولة انكلترا المساعدة في هذه الحرب فخاب املهم ولم تساعدهم انكلترا بشيء حتى ولا بامرار قواتهم من مصر الى جهـة طرابلس فازداد نفورهم من انكلترا وتأكدت رغبتهم بالميل الى المانيا حينما لم يروا بداً من التجائهم الى هكذا دولة قوية تساعدهم على خصمهم العظيم خصوصاً بعد ان خاب سعيهم بالتحالف مع دول الاتفاق الذي قدمنا بيانه ثم حدثت حرب البلقان بين تركيا وحكومات البلقان وانجلت هذه الحرب عن انكسار تركيـا وخسرانها جميع ولاياتها في البلقان واعلنت البلغار استقلالهـا بالروملي والنمسا في البوسنه والهرسك ثم ان تركيا سنحت لهـا فرصة امكنتها بمساعدة المانيا استرجاع قسم كبير من ولاية ادرنه وحينئذٍ رأت تركيا ان لا مناص لها عن ان تتفق مع المانيا لدفع العادية على ثمالة ممالكها لانها تحقق لديها مما جريات هـذه الاحوال ان جميع دول الاتفاق العظيمة تشرئب اعناق مطامعها الى اخذ بلادها وملاشاتها مع مـا هي عليه من الضعف والفقر وانه لا ينجيها من نشوب مخالب هـذه الدول سوى اتفاقها مع دولة عظيمة كالمانيا التى لم تمد من قبل الى بلادهـا يداً ولن تقدر ان تمد اليها يداً لموقعها الجغرافي مؤملة بذلك ان تحفظ كيانها بل

طامعة بما سولته لها المانيا وبما علمته من قوتها وعظمتها بان تعيد لها مجدها السالف لتحققها انهـا وحلفاءها هم الغالبون وان كل من نواهم سيكون مغلوباً .

هذا ما ادعى تركيا الى الاتفاق مع المانيـا وحلفائها ايطاليا والنمسا والبلغار وهذا هو اجتهاد الاتحاديين اخصهم بالذكر بطلهم وصنديدهم انور باشا الذي نشأ في مدارس المانيا وتغذى بالبانها وقد اداه سعيه الى ان يكون الرجل الواحد في دولة تركيا لا يعارضه فيما اراد معارض ولا ينازعه منازع

- دولة ايطاليا حيال الدول المتحاربة -

كانت دولة ايطاليا متفقة منذ عهد قديم قبل الحرب مع دولة المانيـا فلما بدأت الحرب بقيت ايطاليا على الحيـاد مدة سنة او اكثر وكانت الاخبار تصل الينا عنها ملونة فمرة يبلغناعنها انها لا بد وان تبقى على اتفاقها مع المانيا فهي عما قريب تعلن معهـا الحرب على دول الاتفاق واخرى يبلغنا عنهـا انها ستنضم الى المتحالفين وتعلن الحرب معهم على الاتفاقيين والناس يبنون على دخولهـا مع احد الفريقين رجحان كفة الميزان مع الفريق الذي تدخـل معـه ثم في آخر الامر انضمت الى الاتفاقيين واشعلت نار الحرب مع النمسا فلم تفز بطائل

- منذرات هذه الحرب في حلب قبل ظهورها

قبل اعلان هذه الحرب باعوام طويلة كانت بعض النفوس الحساسة في حلب تشعر بانه لا بد وان تقع هذه الحرب ولو بعد اعوام : وسبب

الشعور بذلك هو ما يحس به الباحثون عن احوال اوربا خصوصاً عما يجري بين الامتين المانيا وفرانسه من المراقبة والتحفز على بعضهما اذ انهما ما برحتا منذ اربعين سنة اي منذ انتهاء حرب السبعين حتى الآن تجد كل واحدة منهما في اعداد المهمات الحربية الجهنمية استعداداً لهذه الحرب الطاحنة فكأن نار حرب السبعين قد خمدت ظاهراً ولكنها في الباطن كانت تتأجج كالنار المدفونة في الرماد ولذا قال بعض الساسة ان الحرب العامة القائمة الآن لم تكن حرباً جديدة محدثة وانما هي من تتمة حرب السبعين . ولذا كنت ترى حيناً بعد حين في الصحف الاخبارية والمجلات العلمية اقوال المنجمين والمتكهنين المنذرة بهذه الحرب قبل ظهورها بعدة اعوام

هذا وفي اوائل هذه السنة وهي سنة ١٣٠٢ بدأ بعض الناس في حلب يتحدثون سراً بانه عما قريب تشتعل نار حرب حامية بين عامة الدول . مع انه كان لا يوجد في صحف الاخبار ما يدل على ذلك وكان هذا التحدث السري يتفشى بين الناس يوماً فيوماً حتى شاع بين جميع الطبقات غير ان من الناس من كان يستبعد الحرب ومنهم من يرى انها قريبة الوقوع . وكان امراء العسكرية وضباطها يحضرون في بعض الايام الى خانات الغلات و يسجلون مقادير ما يجدونه فيها من الحبوب والذخائر و يأمرون الخاني بعدم بيعها احياناً و يرخصون له به اخرى وربما طافوا في خانات التجار واحصوا ما عند كل واحد منهم من الاقمشة والبضائع المأكولة وغيرها فكان الناس يرتابون من هذه

الاعمال لانها مما لم يسبق لها نظير و بسببها كانت تقوى عندهم صحة الشائعات المنتشرة فيما بينهم بخصوص الحرب العالمية

— تتمة حوادث سنة ١٣٣٢ —

سباق الخيل

وفي شهر جمادي الثانية من هذه السنة جرى في ارض الحلبة ظاهر حلب سباق خيل حافل حضره كبار الموظفين من ملكيين وعسكريين والوف من الاهليين واجازت الحكومة الحائزين قصب السبق بجوائز نقدية

— دعوة العرفاء الى الثكنة العسكرية —

وفي هذه الايام دعت جهة العسكرية الى ثكنتها جميع عرفاء المحلات المعروفين بالمخاترة واعطتهم المغلفات السالفة الذكر

اعلان تركيا النفير العام في ممالكها —

يوم السبت عاشر رمضان هذه السنة (١٣٣٢) الموافق اليوم الحادي والعشرين من تموز سنة ١٣٣٠ رومية واليوم الثالث من آب سنة ١٩١٤م — اصبح الناس فرأوا في منعطفات الشوارع وابواب الاماكن الشهيرة كالجوامع والخانات اوراقاً ملصقة بالجدران مطبوعةً ملونة فيها صورة الشعار العثماني وتحته سطر واحد فيه كلمة (سفر برلك) اي النفير العام. فعلم الناس ان هذه الاوراق هي التي كانت في المغلفات التي سلمتها الجهة العسكرية الى المخاترة وامرتهم بحفظها . وقد عظم هذا الامر على الناس واصبح تحدثهم به شغلهم الشاغل و بعد ايام قليلة علق بالشوارع

من الجهة العسكرية اعلان فحواه « ان كل من كان بالغاً سن المكلفية العسكرية ان يحضر الى المكان المعين (مثل برية المسلخ) و يثبت اسمه وكنيته في سجلات العسكرية في برهة ايام قليلة فتسارع الناس الى تلك الاماكن لتسجيل اسمائهم وكان المسلمون صائمين والحر شديداً فتكبدوا من اجل ذلك مشقة زائدة وبعد ايام دعت الجهة العسكرية كل من اثبت اسمه وكنيته الى حمل السلاح والدخول في السلك العسكري ثم اذيع قانون عسكري مصرح فيه بان كل ذكر من الشعوب العثمانية يعتبر جندياً مسلماً كان ام غير مسلم سواء كان له معين ام لم يكن لا يستثنى من الجندية احد بل كل عثماني يعتبر بحكم هذا القانون عسكرياً . وان المكلف المعذور بعذر شرعي معقول يمنعه عن القيام بالجندية — يؤذن له بعد تحقق عذره بالانفكاك عن التجند مدة تلبسه بالعذر . فاذا انقضت معذرته فعليه ان يعود الى التجند

هذا القانون قد استعظمه الناس وعدوا احكامه جائرة لانه لا يرحم الوحيد في عياله ولا الضعيف في بدنه وقالوا انه مما جناه على الامة جماعة حزب الاتحاد والترقي اقتداء بالحكومة الالمانية التي مشت على قاعدة التجنيد العام

— الادارة العرفية —

في اليوم الثاني عشر من رمضان الجاري اعلنت العسكرية الادارة العرفية في حلب

— التكاليف الحربية وحجز اموال التجار —

في هذا الشهر بدأت الحكومة بامر العسكرية تأخـذ الاموال من التجار باسم التكاليف الحربية بالقيمة التي تقدرها لجنة سميت لجنة المبائعة وهي بعد ان تقدر للبضاعة المأخوذة قيمة وتأخذ البضاعـة تسلم صاحبها مضبطة بالقيمة على ان تدفعها لها بعد مدة غير معلومة

— تطواف الضباط العسكريين في الخانات —

في شوال هـذه السنة بـدأ الضباط العسكريون يطوفون خانات الغلات وخانات البضائع التجارية و يكتبون كل ما عند بائع غلة او بضاعة تجـارية و يأمرونه بالامساك عن بيع غلته و بضاعته حتى يصدر له الاذن ببيعها

— كيف بدأت هذه الحرب —

ذكرنا قبلا في الكلام على السبب الثانوي لقيام هذه الحرب كيف كان بدء الدخول الى ميدانها والشروع باشعال نيرانها . ونقول هنا ان ايمبراطور المانيا لما بدأت الحرب على هـذه الصفة اهتم بامرها اهتماماً عظيماً واراد اطفاء نارها وتسوية الخـلاف بين حكومتي النمسا وسربيا على صفة سلمية فاكثر في ذلك المخـابرة مع ايمبراطوري انكلترة وروسيه ورئيس جمهورية فرنسه والتمس منهم ان يسعوا بوقف هذا البلاء و يحلوا عقدة الخلاف بين الحكومتين على طريقة سلمية ووعدهم بذل ما في وسعه لفض هذه الحادثة على صفة حبية فلم يصغوا له ولا سمعوا صراخه و كان كل من دولتي روسيه وفرنسه قد اعلن النفير العام وحشد الجيوش على

حدود الامبراطورية الالمانيــة فاضطر حينئذٍ الامبراطور غليوم ان يصدر امره الى جيوشه بان تكون على قدم الاستعــداد منتظرة اول اشارة تصدر منه

— اول تحرش بالمانيا —

وفي اليوم الثاني من آب الغربي سنة ١٩١٤ م طار قسم من الطيارات الفرنسية الى البلاد الالمانية مجتازة اليها من اراضي الفلمنك والبلجيك المتظاهرين بالحياد فالقت هذه الطيارات قنابلها على بلاد المانيــة غير محصنة فقابلتها الجيوش الالمانية بالمثل واجتازت طياراتها حــدود بلجيكا الى فرنسه وكانت المانيا طلبت من هذه الدولة ان تسمح لهــا بامرار جيوشها من بلادها الى جهــة فرنسه وتعهدت لها بتعويض كل ضرر يصيبها فلم تجبها على طلبها · وكانت المانيا قد تأكد لديها ان دولة بلجيكا متفقة في الباطن مع فرنسه وانكلتره وان تظاهرها بالحياد خدعة ولهــذا لم تلتفت المانيا الى امتناع بلجيكا عن اجابة طلبها بل اعتبرتها دولة من جملة دول الاتفاق وامرت اسطولها الطيار بان يجتاز حدودهــا الى فرنسه بمقابلة اجتياز طيارات فرنسه منها الى حدود الالمان

— اعلان روسيه وانكلتره واليابان الحرب على المانيا —

وفي اليوم الثالث من آب الجــاري اعلنت روسيا الحرب على الالمان وزحفت جيوشها على حدودهم ثم في اليوم السابع من هذا الشهر اعلنت انكلترا الحرب عليهم بحجة انهم خرقوا حياد بلجيكا ولم يحترموا العهود وتلت دولة انكلتره دولة اليابان فاعلنت الحرب عليهم

— توغل جيوش روسيه في اراضي المانيا وطردهم منها —

وكانت جيوش روسيه قد زحفت على حدود بلاد الالمان كما قلنا وتوغلت في اراضيها من الجهة الشمالية اي من جهة بروسيه واقتربت من برلين حتى اصبحت منها على بعد ستين كيلومتر . وعندها تأكد الامبراطور غليوم ان هذا الامر مما دبر بليل واضطره الجزع على ملكه الى تجريد جيوشه تحت قيادة هندنبورغ القائد الشهير وسوقها الى جهات روسيه ليطردوا جيوشها عن بلاد الالمان فكان النصر حليفهم لانهم لم يلبثوا غير قليل حتى طردوا الروس من بلادهم

— اعلان انكلتره وفرنسه وروسيه على تركيا الحرب واعلان —

تركيا اتفاقها مع المانيا والنمسا وبلغاريا ثم اعلانها

الحرب على روسيه وانكلتره وفرنسه

بعد ان اعلنت انكلترا الحرب على المانيا بدأ اسطول انكلترا يتجول في البحر المتوسط وكانت الدارعتان الالمانيتان (جوبن) و (برسلاو) قد خرجتا لهذا البحر للاستكشاف فبصر بهما اسطول انكلتره المتجول وجعل يطاردهما فلجأتا الى الدردنيل ودخلتا فيه واحس بذلك سفراء الاجانب واغاظهم هذا الحال وسألوا الصدر الاعظم عن رضائه بدخول هاتين الدارعتين الى الدردنيل وان هذا مما ينافي وقوف تركيا موقف الحياد فاجابهم بقوله اننا ابتعناهما من المانيا من قبل وقد تسلمناهما الآن

ثم ان تركيا سمت احداهما (ياوس) والاخرى (مديلي) وعلى اثر دخولهما اقفلت المضايق

— اعلان تركيا الحرب على الدول الثلاث —

ثم ان الاسطول الروسي هاجم الاسطول العثماني فاضطر الاخير ان يطلق نيرانه على اودسا سباستبول وبعض مواني اخرى وذلك في عيد الاضحى من هذه السنة (١٣٣٢) وفي ذلك الاثناء اعلنت روسيه اولاً ثم فرنسه ثم انكلترا الحرب على الحكومة العثمانية وقد اقترحت تركيا عمل تحقيق مشترك لمعرفة اي الاسطولين كان البادئ بالعدوان فابت روسيه ذلك فاضطرت تركيا ان تعتبر نفسها في حالة الحرب مع الحكومات المذكورة غير ان بعض وزراء الدولة العثمانية صرح بانه يكره الحرب ولا يرضى به فاستعفى من وظيفته الا ان الاكثرية الساحقة كانت تقول بالحرب ومن هذه الاكثرية اعضاء مجلس النواب المعروف بمجلس المبعوثان وحينئذٍ اعلنت تركيا اتفاقها مع المانيا والنمسا وبلغاريا وكانت وقعت على عهدة الاتفاق مع تلك الدول في بدء الحرب غير انها كتمت هذا الامر وتظاهرت بوقوفها موقف الحياد ريثما تتمكن من تعبئة جيوشها الى ان كانت حادثة الاسطول الروسي واعلنت دول الاتفاق الحرب عليها اعلنت هي ايضاً اتفاقها مع حلفائها اولاً ثم اعلنت الحرب على دول الاتفاق . وكان من اعظم الاسباب التي دعت تركيا لاعلان الحرب على انكلترا مصادرة الثانية مدرعتي (السلطان عثمان) و(رشادية) اللتين اوصت تركيا بعملهما بعض معامل انكلترا وانهما بعد ان انتهى عملهما ودفعت تركيا آخر قسط من ثمنهما وتقدمت لاستلامهما اعلنتها انكلتره بانها قد صادرتهما

- اعلان انكلترا استقلالها بمصر -

في اواخر هذه السنة اعلنت انكلترا استقلالها بمصر وعينت لها خديويًا خلفه حسين كامل باشا

- منع الحكومة اخراج الذهب --

وفي اواخر هذه السنة ايضاً منعت الحكومة العثمانية اخراج الذهب من ممالكها واعلنت ان المسافرين الذين يوجد معهم ذهب او نقود ذهبية يؤخذ مما يوجد معهم الزائد عن عشرة دنانير ويعطون بما اخذ منهم مضبطة يدفع بدلها اليهم بعد انتهاء الحرب

سنة ١٣٣٣

فتوى شيخ الاسلام في النفير العام --

في محرم هذه السنة اصدر شيخ الاسلام فتوى شرعية في وجوب النفير العام وصرح فيها بان كل مسلم قادر على حمل السلاح عليه ان يكون مجاهداً . وقد جرى لتلاوة هذه الفتوى في حلب اجتماع حافل في المكتب الاعدادي الكائن في محلة الجميلية وتليت فيه المواعظ والخطب الحماسية وحضر فيه عشرات الالوف من الناس

- قدوم جمال باشا الى حلب -

في هذا الشهر قدم الى حلب جمال باشا وزير بحرية تركيا وقائد الجيش الرابع العثماني في عامة البلاد العربية العثمانية . فبقي في حلب يومين ثم توجه على القطار الى دمشق

— امر جمال باشا جلال بك والي حلب بحمل الناس على العمل في طريق المركبات

ولما كان جمال باشا في حلب اصدر امره الى جلال بك والي حلب بان يحمل الناس طوعاً او كرهاً على العمل باصلاح طريق المركبات في جهة راجو ليشتغلوا كعملة في طريق سكة حديد بغداد . فارهق الوالي الناس وازعجهم بالسفر الى تلك الجهة حتى ان الكثيرين منهم من ايقظوه من فراشه ليلاً وساقوه الى جهة راجو دون غطاء ولا وطاء فمنهم من سار مشياً على قدميه ومنهم من امكنه ان يركب دابة وكانوا زهاء الف انسان ولما وصلوا الى راجو لم يروا فيها مأوي يأوون اليه ولا شيئاً يقتاتون به ولا اداة كالمعول والمسحاة يشتغلون بها . وجدوا هناك بعض ضباط عسكريين فلما رأوا تلك الجموع مقبلة عليهم بادروهم بالسب والشتم وقالوا لهم ما عندنا لكم طعام ولا مأوى ولا ادوات تشتغلون بها فمن شاء منكم ان يرجع الى حلب فليرجع ومن شاء فليبق هنا حتى يموت فعادوا الى حلب على اسوء حالة وقد عري اكثرهم الدرب من برد الخريف ووخامة الهواء . وعدت هذه القضية اول فلتة من فلتات جمال باشا واول سبب موجب لنفرة القلوب منه

— وفود استقبال العلم النبوي الشريف —

في هذا الشهر (محرم) (١٣٣٣) اوفدت كل من حكومة حلب وبيروت وطرابلس الشام وحمص وحماه وغيرهما من حكومات البلاد السورية وفوداً الى دمشق الشام لاستقبال العلم النبوي الشريف المحمول

اليها من المدينة المنورة ايذاناً بالنفير العام واثارة لحمية الاسلام . وكانت من جملة وفد حلب مع رفقائي الاخرين وهم مفتي حلب الشيخ محمد العبيسي والسادة النبلاء الشيخ محمد رضا بن الشيخ محمد وفا الرفاعي وعارف بك بن عزت بك قطار اغاسي واحمد بك بن حسين باشا المدرس وعاكف بك بن نافع باشا الجابري وفؤاد بك بن زكي باشا المدرس وفؤاد بك بن احمد بك العادلي . وبعد ان وصلنا الى دمشق الشام بقينا فيها ننتظر قدوم العلم الشريف احد عشر يوماً ثم في ضحوة اليوم الثاني عشر من قدومنا ارسلت الينا القيادة العليا بان نتوجه الى جهة محطة القدم لان العلم سيحضر في ذلك الوقت فتوجهنا الى المحطة المذكورة وقد اعدت هناك للوفود مضارب لاجل الانتظار فجلسنا في الخيام ننتظر وصول القطار وما كاد يستقر بنا المجلس حتى قدم علينا رسول من قبل جمال باشا القائد العام يطلب احد رفقائنا مفتي حلب فاسرع المفتي الاجابة ولما قابله القائد قال له : ما معناه ان وفود البلاد كثيرة وان اعطاء الرخصة بالخطبة لكل فرد امر يطول شرحه ولا يسعه الوقت ولذا تقرر ان لا يخطب احد حين مجيء العلم سوى ثلاثة فقط احدهم خطيب الجامع الاموي والثاني واحداً منكم والثالث الاستاذ الشيخ اسعد شقير فانتخبوا واحد من وفدكم الحلبي يخطب بالنيابة عنكم وعن بقية وفود البلاد . ولما عاد المفتي الى حلقة وفدنا الحلبي اخبرنا بما اوحى اليه القائد العام فقال لي رفقائي بلسان واحد قد اخترناك ان تكون انت ذلك الخطيب فشق علي هذا الامر لانني لم امرّن على الخطبة سيما في

مثل ذلك الجمع العظيم الذي يضم اليه المئين من علماء سوريا وادبائها وشعرائها ومحرري صحفها وبينما انا اتنصل من القيام بهذه الوظيفة اذا بصفير القطار المعلن بوصوله الى المحطة فما كان الا ان هرعت الى جهته تلك الجموع التى لا تقل عن مئة الف نسمة وبدأت العسكرية باطلاق المدافع لتحية العلم وضج الناس بالتهليل والتكبير اعظاماً واحتراماً للعلم فكنت لا نسمع سوى دوي المدافع وصدى اصوات المهللين بكلمة الله اكبر كأنه الرعد القاصف وكان قد تقدم القائد العام جمال باشا ووالي ولاية دمشق نحو حافلة القطار واعتنقا العلم الشريف وسارا به نحو الموقف الذي اعد لالقاء الخطب فتبعتهم الجموع تموج موج البحر في يوم عاصف فاختلط الناس ببعضهم واضعت رفقائي وبينما انا ابحث عنهم اذ وقع نظر احدهم علي فاقبل يعدو نحوي وقال ان خطيب دمشق على وشك الانتهاء من خطبته وان الناس يتشوفون اليك ثم اخذني من يدي ومشى الى الموقف فاذا هو عبارة عن مركبتين قد وقف في احداهما مفتي السادة الشافعية في المدينة المنورة وهو يحمل العلم الشريف والمركبة الثانية قد اعدت لوقوف الخطيب وقد تحلق الناس حولها لسماع الخطب حلقاً وهم يعدون بعشرات الالوف . وما كدت اقف بضع دقائق حتى انتهى خطيب دمشق من خطبته ونزل من المركبة والتفتت العيون نحوي فصعدت اليها وفؤادي يخفق هيبة وجلالاً سيما وانا ممن لم يعتد على الوقوف في هكذا موقف رهيب ولست على اهبة فيما اقوله بهذا الموضوع اذ لم يفسح لي من الزمن ما يسع تحبير ما اريد ان اقوله لان تكليفي

للخطبة كان قبل بضع دقائق فصعدت المركبة ولما استويت على ظهرها شعرت كأن هاتفاً يهتف بي بما احاول ان اقوله فحييت العلم ببعض كلمات وذكرت ما كان من تأثير المجاهدين الذين ساروا تحت ظله وما فتحوه من الاقطار والممالك ببركة روحانيته وما عانوه من الاخطار والاهوال في سبيل حفظه وصيانته ثم اشرت الى العلم وانا انشد ابياتاً من هائية الازري وهي

علم تلحظ العوالم منه   خير من حل ارضها وسماها
هو ظل الله الذي لو اوته   اهل وادي جهنم لحماها
لو اعيرت من سلسبيل نداه   كرة النار لاستحالت مياها

ثم ختمت المقال بالثناء على حمية اهل دمشق وفرط غيرتهم الدينية وتعظيمهم الشعائر الاسلامية وسخائهم في سبيل خدمة الدين واعمار مسجد دمشق الذي اعيد الى رونقه الاول بما بذلوه من الاموال الطائلة التي تعد بعشرات الالوف من الدنانير وهكذا انتهيت من الخطبة ونزلت من المركبة وصعد على الفور اليها الاستاذ الشيخ اسعد شقير ففاه بخطبة مسهبة كلها درر وغرر اتى فيها بالعجب العجاب مما لا يباريه به مبار ولا يلحق له في حلبة البيان بغبار

— قتلى بالرصاص —

وفي صفر هذه السنة قتل رمياً بالرصاص بضعة اشخاص من الجنود الفارين من الجندية . قتلوا في البرية القريبة من الثكنة العسكرية المعروفة بالشيخ يبرق : هذه هي اول مرة جرى فيها القتل بالرصاص

بعد عهد المرحوم ابراهيم باشا المصري الذي كان يعاقب الفارين من الجندية برميهم برصاص البنادق وذلك حينما كان مستولياً على حلب وباقي البلاد من المملكة العثمانية في التاريخ الذي سبق بيانه في هذا الجزء

— خبر استيلاء الجيوش العثمانية على اردهان —

وفي صفر هذه السنة ورد الخبر بالبرق العثماني بان الجنود العثمانية استولوا على مدينة اردهان وكان الزمان شتاء والثلوج في تلك الجهات كثيرة والبرد قارس وان الجنود العثمانية قطعوا بالوصول الى هذه المدينة مسافة طويلة كلها جبال ومضايق لانهم تعسفوا بالوصول الى اردهان الطريق المؤدية اليها تواً فسلكوا من اجل ذلك المسالك الصعبة وهلك منهم بالثلج والجوع زهاء ثلاثين الفاً على رواية واربعين الفاً على رواية اخرى . ولما وصل خبر هذا الظفر الى حلب خرج المنادي من قبل الحكومة ينادي بلزوم عمل مظاهرة فرح ومسرة فاحتشد في ثاني يوم تجاه باب القلعة الوف من الناس ومعهم الطبول والزمور وخرجت تلامذة المكاتب تنشد الازجال الحماسية وتعزف بالموسيقى ثم سارت تلك الجموع الى دار الحكومة ووقفوا صفوفاً في ظاهرها وباطنها والقيت عليهم خطب البشارة بهذا الفتح العظيم والتنويه بعظمة الدولة وفوزها وفشل الروس وخذلانهم . ثم بعد ايام شاع ان الروس استردوا هذه البلدة وقتلوا من الجنود العثمانيين مقتلة عظيمة

— فروغ الفحم الحجري واستعمال الفحم النباتي وقطع اشجار —
من البساتين

وفيها فرغت مدخرات الفحم الحجري الذي تتحرك بناره قطارات السكك الحديدية فاضطرت الجهة العسكرية ان تستعيض عنه بالحطب وفتح لها مورد جديد للنهب والسلب لانها جعلت تستورد الحطب اللازم لها على طريقة التضمين المعروفة بالالتزام على ان يقدم الملتزم الحطب من الغابات القريبة من حلب الى اقرب محطة الى الغابة سعر كل طن كذا مبلغ فكان يقع في هـذا الالتزام من السرقة والمحاباة في الوثائق و بدل الالتزام ما يكل عنـه الوصف وقد استغنى بسببه كثير من الناس وجمع منه الضباط واتباعهم ما لا يحصى من المال · وفيهـا بدأت العسكرية تقطع من بساتين حلب الاشجار التي لا تثمر كشجر الدلب والصفصاف وغيرهما لتجعل خشبه آلة امر بات النقل وتقدم ما لا يصلح منه للآلة الى مطابخ الجنود

— متطوعة الدراويش المولويه —

وفيها اقبل علينا من جهة قونيـة رهط من دراويش الطريقة المولوية وقد تألفت منهم كتيبة عسكرية للتطوع في جهاد اعداء الدولة

— وفود القدس —

وفيها اوفد من حلب وغيرها من البلاد العثمانية العربية وفود للقدس قصد الاستطلاع على قوة الجيوش العثمانية وحسن انتظامها

— فرع من سكة الحجاز الى الترعة —

وفيها بوشر بمد فرع من خط سكة حديد الحجاز يمتد الى جهة الترعة

انهاء جسر جرابلس —

وفيها تم انشاء جسر جرابلس الذي طوله ثمانمائة واثنا عشر متراً وعرضه خمسة امتار ونصف وقناطره عشرة مسافة كل قنطرة ثمانين متراً وثقلها ثلاثمائة الف كيلو وقدرت نفقاته بثلاثمائة الف وهو حقيق ان يعد من المباني العجيبة . وفيها ولي حلب بكر سامي بك و بعد اشهر انفصل عن ولايتها وعين بدله مصطفى عبد الخالق بك

— وصول الورق النقدي الى حلب —

وفيها وصل الى حلب الورق النقدي العثماني المعروف باسم بنكينوط استعملته هذه الدولة في هذه الحرب بدل النقود المعدنية اسوة ببقية الدول المتحاربة وقد اقبل الناس على تداوله باسعاره المرسومة فيه ورغبوا به اكثر من رغبتهم بالنقود الذهبية والفضية التي كانوا يستصعبون تداولها لنقصها وتشويه الصيارفة اياها بالثقب وسرقة شيء منها بواسطة الحك ووضعها بالكذاب . اما الورق النقدي فهو خالٍ عن جميع هذه العيوب ولذا اقبل الناس على استعماله فنال رواجاً عظيماً

— اعانة الكسوة الشتوية —

وفي شتاء هذه السنة جمعت الحكومة من الرعية اعانة نقدية باسم الكسوة الشتوية للعساكر . واستمرت تجمع هذه الاعانة في شتاء كل سنة من سني الحرب

— مهاجري مكة —

وفيها وصل الى حلب جماعة من اهل مكة المكرمة مهاجرين منها فراراً من الجوع

— قانون تأجيل الديون —

وفيها نشرت الحكومة في الصحف الاخبارية قانوناً سمته قانون تأجيل الديون يقضي بتأخير وفاء الدين اذا كان قبل الحرب سواء كان الدين للمصارف والتجار ام كان لغيرهما

— تعرض انكلترا للبصرة وتقسيم جيوش تركيا —

وفيها بدأت دولة انكلترا بالتعرض الى البصرة فاضطرت الدولة العثمانية ان تجهز لجهة العراق جيشاً علاوة على باقي جيوشها في غير هذه الجهة . والخلاصة ان تركيا اضطرت في هذه الحرب ان تقسم جيوشها الى سبع جبهات الاولى جبهة فلسطين الثانية جبهة جناق قلعه الثالثة جبهة العراق الرابعة جبهة العجم الخامسة جبهة قفقاسيا السادسة جبهة اليمن السابعة جبهة الحجاز . هذا كله عدا القطعات العسكرية التي بعثتها الى جهة النمسا والبلغار لمعاونتهما على اعدائهما

— اعلان الحكومة الغاء الامتيازات الاجنبية —

وفي هذه السنة ايضاً اعلنت الحكومة في جميع ولاياتها الغاء الامتيازات الاجنبية المعروفة باسم (كابيتولاسيون) التي كان بعض الملوك العثمانيين خصها بالاجانب وذلك كوجود ترجمان او مراقب من الاجانب في محاكمة اجنبي مع عثماني في مسئلة حقوقية او جزائية وكعدم جواز حبس

اجنبي بمجبس عثماني اذا وجب عليـه الحبس بل يحبس في محبس قنصله وكعدم اكراه الاجنبي على اخذ رخصة فيما يريد تعاطيـه من المهن التي تحتـاج الى اخذ رخصة من الحكومة العثمانية بحسب قوانيهـا كبيع المسكرات وفتح المعامل وكعدم اخـذ رسوم كمركية على مـا يحضره القنصل لنفسه من البلاد الاجنبية او ما يرسله اليها من البلاد العثمانية خاصة بنفسه وكعدم منع الاجانب من اقامة بريد على حدته يحمل كتبهم وكتب من احب من العثمانيين ان تحمل كتبه فيه الى غـير ذلك من الامتيازات التي كانت كثيراً ما تقف حجرة عثرة في سبيل تنفيذ احكام القوانين العثمانية وتجحف بحقوق تبعتهـا · ومن اراد الاطـلاع على صنوف هذه الامتيازات واسبابها وتاريخ تخصيصها بالاجانب فليراجع ما كتبه فيها وطنينا الحلبي الكاتب البارع جميل بك النيـال في كتاب الفه باللغة التركية سماه حقوق الدل يستوعب ستمائة صحيفة فرغ من تأليفه سنة ١٣٢٦

— وفود القدس —

وفيها اوفد من حلب وغيرها وفود للقدس الشريف لحضور حفـلة افتتاح الكلية التي نسبت الى المرحوم السلطان صلاح الدين وللاطلاع على قوات الدولة العثمانية هناك وانتظام احوال جيوشها

— وصول جنود الالمان الى حلب —

وفيها بدأت جنود الالمان تصل الى حلب ومنها الى دمشق ومعهم من الاثقال والمهمات الحربية ما لا يكاد يحصى وكانوا ينزلون في حلب في

بيوت وخانات استأجروها من ذويها وعاملوا الناس معاملة حسنة وربح منهم التجار ارباحاً طائلة وقد مدوا كثيراً من التيول الناقلة للصدى المعروفة باسم التليفون ونصبوا اداة التلغراف اللاسلكي في برية حارة الحميدية واكثروا من نقل مهماتهم ولوازمهم من الاسلحة الحربية والسيارات المعروفة باسم اوتوموبيل التي كان البعض منها يحدث في سيره شبه زلزلة ترتج له الارض وترتجف منه الجدران و يتكسر البلاط وكان المتأمل في جدهم وحركاتهم وعددهم وكثرة مهماتهم لا يشك ولا يرتاب بانهم لم يحضروا الى هذه البلاد الا بقصد الاستيلاء والاستعمار لا بقصد المعاونة لحكامها الاتراك على اعدائهم

— اجلاء امة الارمن عن اوطانهم —

قال جمال باشا في مذكراته ما خلاصته : انه يعتقد اعتقاداً جازماً ان الارمن كانوا قد دبروا ثورة من شأنها تعريض مؤخرة الجيش التركي في القوقاز لاشد الاخطار لو وقعت بل ربما ادت في ظروف خاصة الى ابادته عن بكرة ابيه ولذا اضطر الاتحاديون الى نقل الشعب الارمني باسره الى جهة اخرى بحيث يؤمن شره من ان يعرضوا المملكة العثمانية للمحن والخطوب الفوادح و يجلبوا عليها الطامة الكبرى فيكون احتلال روسيه لآسيا الصغرى باسرها اول رزاياها

ثم قال : اما ما وقع من الحوادث في خلال نفيهم فينبغي ان يعزى الى الاحقاد المتغلغلة في نفوس الاتراك والاكراد والارمن في اثناء سبعين عاماً وتبعة ذلك انما تقع على السياسة الروسية التي حولت الشعوب الثلاثة

التي عاشت القرون الطويلة معاً في صفاء وهناء - الى اعداء الداء

ولا ينكر ان الفظائع التي جرت على الارمن اثناء نفيهم في سنة ١٩١٥ م ١٣٣٤ هـ قد اثارت السخط الشديد ولكن ما ارتكبه الارمن في غضون ثورتهم على الاتراك والاكراد لا يقل عنها قسوة بل يفوقها فظاعةً وغدراً ثم قال : ولم يكن فرار الاتراك من ديار بكر من طريق حلب واطنه الى قونيه ومن ارضروم وازرنجان الى سيواس من وجوه الروس والفظائع التي ارتكبها الارمن ضدهم - باقل سوءاً ووحشية منه

ثم قال فلنفرض جدلاً ان الحكومة العثمانية نفت مليوناً من الارمن من ولايات الاناضول الشرقية وان زهاء ٦٠٠ الف منهم ماتوا او قتلوا في الطريق او سقطوا ضحية الجوع والتعب فقد قتل ما يربو على مليون ونصف من الاكراد والاتراك في ولايات طرابيزون وارضروم ووان وبتليس قتلوا على صورة تقشعر منها الابدان بايدي الارمن عندما زحف الجيش الروسي على تلك الولايات

ثم ان جمال باشا استشهد على صحة ما قاله بتقريرين مفصلين مسهبين مقدمين من ضابطين روسيين ذكر اسمهما وقد اوضحا في تقريرهما حوادث الاعتداء التي ارتكبها الارمن ضد الاهلين الاتراك في ولاية ارضروم وما جاورها من مبدأ نشوب الثورة الى ان استردت الجنود التركية قلعة ارضروم في ٢٧ فبراير سنة ١٩١٨ م ١٣٣٧ هـ انتهى ما قصدنا الى ايراده من مذكرات جمال باشا

اقول في هذه السنة (١٣٣٣) بدأت تركيا باجلاء الارمن عن

اوطانهم فكانت جالياتهم تصل الى حلب زمرة تلو زمرة كل زمرة منها تعد بعشرات الالوف وقد اثرت عليهم مشقات الطريق ولا سيما على فقرائهم الذين قطعوا المسافات الطويلة مشياً على الاقدام مدة شهرين وهم حفاة عراة الارض وطاؤهم والسماء غطاؤهم لم يفلت منهم من مخالب الجوع والبرد الا من قويت بنيته وابطأت منيته . وقد وصلوا الى حلب كاشباح بلا ارواح وكان اغنياؤهم ينزلون في البيوت وفقراؤهم في القياصر والازقة والشوارع حتى ملؤا حلب وازدحمت بهم الجواد

وكانت الحكومة تبقي منهم الجالية في حلب اياماً قليلة وتفرق عليها اقراص الخبز ثم تزجيها الى جهات حماه او الى نواحي الزور والجزيرة فيموت الكثير منهم في اثناء الطريق جوعاً وعطشاً وحراً وبرداً وغرقاً بلاء حل بهم جناه سفاؤهم على ضعفائهم . وكان عرب البادية يأخذون منهم الايامى واليتيمات ويتخذون الفتيات منهن زوجات لهم والقاصرات خادمات وراعيات لمواشيهم وكل واحدة منهن تدخل الى مضاربهم يشمونها بالزرقه في وجهها ويديها تزييناً لها وتحسيناً حسب اذواقهم . وكانت قافلة الجاليات منهم كلما خف منها القطين في حلب يأتي بدلها قافلة اخرى حتى ملؤا الديار وغلت بواسطتهم الاسعار

— الجرب وحمى القملة —

وفشى في المدينة والقرى التى مروا منها في ولاية حلب داء الجرب فاصيب به الوف من الناس ومرض آخر سماه الاطباء حمى القملة او حمى التجمع وربما سموه حمى التيفوييد وكان المصاب بهذا المرض يعتريه في

اوائله شبه صداع وز كام مدة ثلاثة ايام ثم تشتد به اعراض الحمى يوماً او يومين فيسود لسانه وشفتاه ويلعثم في كلامه ثم يسكت ليلة او ليلتين ويموت . وكانت جهة الصحية تشدد المراقبة على المصاب بهذه العلة الوبيلة فكانت متى احست بوجود مريض بهذا الداء تأخذه الى مستشفاه الخاص به فيبقى فيه الى ان يصح او يموت . وقد هلك بهذه الحمى من الحلبيين عدد غير قليل اما من مات بها من الارمن فهم كثيرون جداً وقد بلغت الوفيات منهم في اليوم الواحد في اقصى اشتداد هذا المرض زهاء مائة وعشرين نفساً . وما زال هذا المرض يفتك في الارمن والحلبيين والعساكر العثمانيين وباقي الاغراب في حلب الى السنة الرابعة من سني هذه الحرب وحينئذٍ خفت وطأته فقل عدد المصابين به وقلت وفياتهم وكان اكثرهم يبرأ منه غير ان آثاره ما زالت باقية في حلب الى ما بعد انتهاء الحرب . على ان الارمن بعد ان قل عددهم في حلب مدة سنة وهي السنة الثالثة من سني الحرب اعادت الحكومة في السنة الرابعة الى حلب من كان منهم في جهات حماه والزور فازدحمت بهم حلب مرة ثانية وقدر عددهم بعد دخول الدولة العربية الى حلب بنحو ستين الف نسمة

وفي اثناء وجود جالياتهم في حلب كان الحلبيون على اختلاف مللهم يعطفون عليهم ولا يقصرون بالاحسان اليهم. وقد اتخذ من نسائهم بعض المسلمين زوجات شرعيات ومنهم من اتخذ منهن خادمات لم يمسوا شرفهن بل بعض المسلمين استخدموا صغارهن وعنوا بتربيتهن كما يعتنون

بتربية بناتهم

— غلاء البضائع الاجنبية —

وفي هذه السنة بدأت البضائع الاجنبية ترتفع اسعارها حتى ارتفع سعر البعض منها عشرة اضعاف عما كان عليه قبل هـذه الحرب وذلك كالسكر والقهوة وانواع الحـديد والقزدير وجميع انواع الاقمشة والغزل والعقاقير الطبية والبترول والمسكرات وكان سبب هذا الارتفاع انقطاع ورود هذه المواد من البلاد الاجنبية لوقوف الحركة التجارية في البحـار وقد تنبهت افكار بعض التجار لهذا الامر فاحتكروا من هـذه البضائع شيئاً كثيراً وباعوه اخيراً بثلاثين او اربعين ضعفاً من ثمنه الذي اشتروه به فكان ذلك سبب اغتنائهم وكان حظ تجار حلب من هذه الارباح اوفر جداً من حظوظ تجار باقي البلاد السورية وغيرها وحكمة ذلك ان حلب كان يوجد فيها من هذه البضائع قبل هذه الحرب ما لا يوجد في غيرها كأنها كانت لهذه البضائع مستودعاً تستمد منه سوريا والاناضول

— تصاعد اسعار الحبوب —

وفي هذه السنة بدأت اسعار الحبوب تتصاعـد في بعض الاقضية الغربية من ولاية حلب كانطاكية واسكندرونة وحارم لان المواسم في تلك الجهات كانت غير جيدة في هذه السنة وبيع رطل الحنطة في انطاكية باثني عشر قرشاً بدل ثلاثة قروش

— حجز الغلات —

وفيها وضعت الجهـة العسكرية يدها على الغلات في خانات حلب

ومنعت اصحابها من بيعها فانقطع وارد الحبوب من القرى وغلت اسعارها وبدأ الفقير يحس بعض انياب الجوع

- الجراد النجدي -

وفيها وصل الى حلب بغتة نوع من الجراد لم يكن قبل معروفاً في هذه البلاد وسماه الناس جراداً نجدياً وهو شيء كثير انتشرت جيوشه من اطراف الحجاز الى اوائل بلاد الاناضول فعم ضرره بلاد دمشق وفلسطين وحلب واذنه وقال بعضهم انه وصل الى ازمير . اتى هذا الجراد على جميع ما في حلب ونواحيها ومفاوزها من الاعناب والتين والزيتون والفواكه والقطن والسمسم والذره وانواع اليقطين والبطيخ واضر الاشجار ضرراً عظيماً لانه كان يأكل ورقها ثم يتبعه باكل لحائها فكانت الشجرة تسقط ثمرتها ثم تجف وتصير حطباً . ومن اعجب امر هذا الجراد انه مخالف في نشوءه وفراسه جراد بلادنا . يغرس و ينقف مرة في كل شهرين غير متأثر بالشتاء ولا بالصيف وهو يغرس في الارض الصلبة والمفلوحة بين الزروع بخلاف جراد بلادنا فانه لا يغرس الا بالارض الصلبة ولا ينقف في السنة الا مرة واحدة يغرس في تموز و ينقف في نيسان ولا يأكل النباتات المرة والجراد النجدي هذا يأكل كل نبات يمر به . وقد عدت بليته هذه اول ضربة سماوية اذ لا دخل في ايجادها للحرب العامة

- هدم الحكومة المنازل في جادة السويقة -

وفيها هدمت الحكومة الاماكن والمنازل التي على جانبي الجادة الآخذة

من حمام الواساني في السويقة الى منتهاها تجاه الجادة الآخذة الى العقبة وكان غرض الحكومة من ذلك توسيع هذه الجادة التي كانت ضيقة جداً مع انها تعتبر من الجادات العمومية

— قدوم انور باشا الى حلب —

وفيها قدم الى حلب انور باشا وجرى استقباله على صفة باهرة وحضر لاستقباله من دمشق جمال باشا القائد العام وادبت لهما بلدية حلب مأدبة فاخرة اعدتها لهما في المكتب السلطاني وكان مع جمال باشا مفتي جيوشه وخطيبه المصقع الشيخ اسعد شقير فتليت الخطب وانشدت القصائد وقدمت البلدية الى كل من انور وجمال عباءة حريرية موشاة بالقصب الفضي يستعمل نوع هذه العباءة نساء اكابر استانبول كالازار ليلاً وكان تقديمهما عن يدي وقد سرا منهما وقدم انور باشا للبلدية خمسين ذهباً عثمانياً وزعتها البلدية على فقراء حلب

— وفود من بلاد العرب الى استانبول —

وفي ذي القعدة من هذه السنة وهي سنة ١٣٣٣ اوفدت الحكومة الى استانبول من حلب وباقي البلاد الشامية العربية وفوداً ليستطلعوا على حصانة مضايق الدردنيل المأخوذ تحت حصار اساطيل انكلترا وليتحققوا ما تجريه الدولة العثمانية في دفع هذا الحصار من الحزم والعزم وما تعده من المهمات والقوات الحربية وليظهر عظماء الدولة وكبار موظفيها اكرام ابناء العرب وحسن التفاتهم اليهم نفياً لما كان شاع بواسطة سوء تدبير جمال باشا وغيره من جهلة الاتراك من ان الاتراك ينظرون

الى ابناء العرب بعين البغض والازدراء الامر الذي نفر عن الدولة قلب كل عربي وقد دعيت لان اكون من جملة هذا الوفد فاستقلت خوفاً من مشقة الطريق وكانت النفقة على هـذه الوفود من اموال الدولة وكل واحد من هذه الوفود اعطي خمسين ذهباً عثمانيـاً وكانت الوفود في استانبول محل حفاوة الوزراء واعيان الدولة واقيمت لهم المآدب الحافلة ودعاهم السلطان محمد رشاد الى مأدبته واظهر لهم محبة العرب وحسن نيته بهم ولم يبق محل من الاماكن التي تصنع فيها ادوات الحرب او تنسج فيها الاقمشة الا وعرض على انظار الوفود واشخصوا الى جهة جناق قلعه ليطلعوا على حقيقة الحال و يتبينوا قوة الدولة وحصانة المواقع وقد القوا هناك الخطب وشكروا القائد والجنود ووعظوهم وحثوهم على الثبات ونال بعض افراد الوفود وساماً وساعة ذهبية ثم عادوا الى اوطانهم وكلهم السن تتلوا ايات الثناء على الدولة العثمانية وحسن حفاوتها بابناء العرب وعظيم اهتمامها في مصانع الاسلحة وشدة حزمها في حرب اساطيل الانكليز

— اخذ العسكرية اموال التجار —

وفيها اشتدت حملة الجهة العسكرية على التجار في حلب لاخذ البضائع منهم كالمنسوجات وغيرها تأخذها باسم التكاليف الحربية البعض منها مصادرة بلا بدل ولا عوض والبعض الآخر تأخذه بقيمة تعينها جمعية تسمى لجنة المبايعة وتعطي به وصلاً

— هبوط اسعار الورق النقدي —

وفي آخر هذه السنة بدأت الاوراق النقدية تهبط عن قيمتها الموضوعة

لما وسبب ذلك ان ادارة الدخان المعروفة بادارة الريجي اصبحت في يوم من الايام معلنة باعة الدخان بانها لا تقبل منهم ثمن الدخان الا نقوداً فضية او ذهبية فشاع هذا الخبر بين الناس وحصل منه الارتياب في عاقبة الورق النقدي فهبطت اسعاره عشرين في المائة ثم لم يزل يهبط مرة و يصعد اخرى حتى هبط في آخر سني الحرب ثمانين في المائة

— تكليف موظفي الحكومة التجار تبديل الورق بالنقود —

ومما ساعد على هبوطه ايضاً ان كثيرين من ولاة الامور كانوا يكلفون التجار ان يبدلوا لهم الورق النقدي بالنقود الذهبية رأساً برأس وهم يعتذرون عن عملهم هذا بقولهم نحن مضطرون لذلك لان العربان الذين نشتري منهم المواشي لا يفقهون حساب الورق ولا يقبلون اثمان مواشيهم الا نقوداً ذهبية . وهو اعتذار غير مقبول من وجهين الاول اذا كان قولهم هذا صحيحاً فعلى الحكومة ان تدفع للعربان اثمان مواشيهم نقوداً ذهبية من مالها لانها يوجد عندها مبالغ طائلة من هذه النقود فهي غير مضطرة الى ان تكلف التجار تبديل اوراقها بنقودهم الذهبية فيكون تكليفها هذا سبباً لخسارتهم وخسارة نفسها لان فعلها هذا هو الذي جعل سعر الورق في الحضيض الاسفل وخفضه الى سدس قيمته الثاني ان كثيرين من الضباط والمأمورين الذين لم يوكل اليهم شراء شيء من المواشي المذكورة هم الذين كانوا يكرهون التجار ايضاً على تبديل الورق بالنقد فهم لا شك لم يفعلوا ذلك الا لحساب جيوبهم . على ان الانصاف والعدل يوجبان على الحكومة اذا كانت مضطرة الى النقود الذهبية ان

تبدل الورق على سعره التجاري كما كان يفعل الالمان لا على سعره الاميري المحرر عليه

احسان الحكومة بالحبوب على خدمة العلم

وفي هذه السنة كثر تشكي الناس الذين من جملتهم خدمة العلوم الدينية من غلاء اسعار الحبوب فاصدر جمال باشا امره بان يوزع على خدمة العلوم حنطة كما وزع على امثالهم في دمشق فوزع على الفقير منهم ثلاثة شنابل مجاناً وعلى غيره مقدار مؤنته قيمة كل شنبل ورقة ونصف وكانت قيمة الشنبل في خانات حلب نحو مائتي قرش نقوداً ذهبية والورقة والنصف كانت قيمتها التجارية مائة وعشرين قرشاً فكان هذا الالتفات من جمال باشا معدوداً من حسناته

— استيلاء جيوش بريطانيا على البصره —

وفي هذه السنة تواردت الاخبار باستيلاء الجيوش البريطانية على مدينة البصرة وانهم تقدموا الى جهة بغداد يطاردون الجيوش التركية بمعاونة عربان تلك البلاد

سنة ١٣٣٤

— تصاعد اسعار الحبوب —

في هذه السنة ازداد تصاعد اسعار الحبوب وبيع رطل الخبز بثلاثة عشر قرشاً معدنية

— عقد شركة اسهام لبيع الحبوب —

ولما كان السعر آخذاً بالصعود يوماً فيوماً حتى ربما بلغ حداً يتعذر

معه تدارك القوت على الفقير بل على الجهة العسكرية نفسها رأى القائد العام جمال باشا ان يعمل تدبيراً يأمن بواسطته غائلة فقد القوت بسبب مطامع الزراع والمحتكرين فدعا اليه وهو في دمشق جماعـة من الحلبيين تجاراً ومزارعين وكلفهم ان يعقدوا فيما بينهم شركة اسهام تقوم بجمع الحبوب وحصرها عندهم وبيعها للاهلين والجيوش عن يدهم . تشتريها هذه الشركة من ذويها باسعار محدودة من قبل جمال باشا وتدفع ثمنها لهم ورقاً نقدياً على سعره الاميري ثم تبيعها بورق نقـدي كذلك بربح لا يزيد عن عشرة في المائة تأخذ الشركة هذا المقدار من الربح لقاء اتعابها ونفقاتها التي تصرفها في سبيل جمع الحبوب ونقلها واحرازها وغير ذلك من النفقات . فقبل المدعوون من جمال باشا هذا التكليف واشترطوا عليه عدة شروط منها ان يرخص لهم بمصادرة الحب الذي يمتنع صاحبه عن تسليمه بالسعر المحدود او يخفيه عنهم او يهربه منهم . ومنها ان يمدهم بالقـدر اللازم من العساكر لحفظ مستخدميهم وارهاب من يمتنع عنهم في تسليم حبوبه . ومنها ان يعطيهم عدداً كبيراً من الوثائق التي يستثني حاملها من الجندية ليعطوا كل واحد من مستخدميهم في هـذه القضية وثيقة يخلص بواسطتها من تعرض الموكول اليهم القـاء القبض على العساكر الفراريين . ومنها ان يصدر امره الى جهة العسكرية بالا تتعرض الى خانات الحبوب او الى احد من المزارعين في القرى والمنازل باخذ ما يوجد عنهم من الحبوب بل للعسكرية ان تطلب الحبوب التي تعوزها من هذه الشركة وعلى الشركة ان تقدم لها كفايتها مما تحرزها

ومنها ان يسلف جمال باشا هذه الشركة مقداراً كبيراً من الورق النقدي ليستعينوا به على مهمتهم ريثما ينتظم حال الشركة وتقرر قواعـدها فيما بين اعضائها . ومنها ان يكون داخلاً في منطقة نفوذ هذه الشركة اربعة اقضية وهي قضاء جبل سمعان والباب ومنبج وادلب الى غـير ذلك من الشروط التي قبل جمال باشا جميعها وتعهـد للمدعوين بانفاذها فعادوا المدعوون من دمشق وهم فرحون لانهم رأوا بمقتضى حسبـانهم انهم يربحون من شركتهم هذه ارباحاً طائلة تعد بمئات الالوف من الليرات ولما وصلوا الى حلب شرعوا بتعيين المستخدمين واعـدوا مكاناً في حلب يجتمعون فيـه للمذاكرة في شؤون مهمتهم فاول خـلاف نجم بينهم تنازعهم على الرآسة فان كل واحد منهم يريد ان يكون هو رئيس هذه الشركة والخلاف الثاني في تقسيم الاسهم زيد يريد عشرة اسهم وخالد يريد عشرين و بكر يريد اربعين وهكـذا قام النزاع بينهم حتى افضى بين اثنين منهم الى المشاتمة والمخاصمة ورفعت قضيتهما الى المحاكم ثم تداخل بعض عقلاء الشركة فصالحوهما مع بعضهما . وبعد ان مارسوا العمل بهذه الشركة اياماً قليلة ونقلوا الى بعض الخانات مقـداراً من الحبوب وتزاحم الناس على شرائها بدأ يظهر لجماعة الشركة من ماجريات الاحوال انهم عاجزون عن اتمام القيام بتعهدهم غير قادرين على جمع القدر اللازم من الحبوب (١) لان اصحابها في القرى والمزارع قد اخفوا الحبوب عن العيون باماكن لا يمكن لمستخدمي الشركة ان يهتدوا اليها (٢) لعـدم قيام جمال باشا بتعهده الذي هو امداده اياهم بالعـدد اللازم من العساكر

لاجل حماية مستخدميهم وتهديد من امتنع عن تسليم حبوبه (٣) لقلة الجمالين والمكارية وغلاء اجرة النقل (٤) لعدم مساعـدة حكومات الاقضية المذكورة مستخدمي الشركة على استحصال الحبوب واستخراجها من عند ذويها بل بعض قائمي مقام هذه الاقضية كان يعاكس المستخدمين ويعارضهم بتشددهم على المزارعين (٥) لقيام جماعـة من الزراع للتشكي على بعض مستخدمي الشركة وتذمرهم من ظلمهم وقلة انصافهم ومعاملتهم الزراع بالضرب والشتم (٦) لان الجهة العسكرية كانت تطالب الشركة بالقدر اللازم لها من الحبوب بكل شدة وصرامة غير مصغية الى شكواها من صعوبة جمع الحبوب ونقلها (٧) لاعطاء جماعة الشركة الوثائق التي تخلص من العسكرية بعض افراد من اقربائهم وانسبائهم دون ان يباشروا عملاً من اعمال الشركة بل لمجرد تملصهم من العسكرية وقد باعوا منها عدداً كبيراً لجماعة من التجار بقيمة وافرة ليتملص آخذها من العسكرية ليس الا والخلاصة ان هذه الشركة لم تلبث غير قليل حتى ظهر للعسكرية والحكومة عجزها عن القيام بما تعهدت به فاهملتا جانبها وشرعت العسكرية تجمع اللازم لها من الحبوب تارةً بواسطة الحكومة واخرى تباشر جمعها بنفسها وبسبب ذلك انقطع جلب الحبوب الى الخانات وتصاعدت اسعارها لانه كان متى حضر الى خان من الخانات حب وضعت العسكرية يدها عليه وصادرته او دفعت قيمته ورقاً بالسعر الذي تحدده هي فلا يبلغ ربع قيمته الحقيقية وبعد ان مضى على هذا العمل بضعـة اشهر اضطر اصحاب خانات الحبوب الى اغلاقها وقلت الاقوات وصارت الحبوب

تباع بين البيوت او خارج البلدة سراً باسعار باهظة يضطر صاحب العيال الى ان يشتريها بتلك الاسعار اذ لا يوجد من يبيعه موءنته باقل منها

— فك الحصار عن الدردنيل —

وفي خامس يوم من ربيع الاول من هذه السنة الموافق عاشر شباط سنة ١٩٢٦ م اقلعت اساطيل الانكليز عن حصار الدردنيـل فقامت الافراح والمسرات في البلاد العثمانية وعد الاقلاع عنها فوزاً عظيماً للعثمانيين

— قدوم انور باشا الى حلب وتعليق الستار على المرقد الشريف —

وفيها حضر الى حلب انور باشا من استانبول وحضر جمال باشا من دمشق لاستقباله ونزل انور باشا الى الجامع الكبير وعلق بيده على حجرة الضريح ستاراً مزركشاً نفيساً

— توزيع البذر والنقود على الزراع —

وفيها وزعت الحكومة على المزارعين حباً للبـذر لان اكثر حبوبهم قد اخذته العسكرية باسم المبايعة فاصبح الكثيرون منهم لا يوجد عنده شيء من الحب يقتات به فضلاً عما يحتاج اليه حقله من البذر ووزعت على محاويج الزراع شيئاً من النقود ليشتروا به دواباً لان العسكرية اخذت دوابهم باسم المبايعة ايضاً ولم تبق لهم منها غير الضعيف الذي لا يصلح للعمل على ان مـا وزعتهم عليهم من الحبوب والنقود تستوفيه منهم في الموسم التالي

— مكتب المعلمات —

وفيها اشترت العسكرية دار البلدية الكائنة في الجميليـة التي كانت

معدة لسكنى الولاة وجعلتها مكتباً للمعلمات سمتــه مكتب سليمان الحلبي تنويهاً بذكر هذا الرجل الذي كان خلاص مصر وعودهــا الى الدولة العثمانية بواسطته على ما حكيناه في ترجمته : وكان الساعي بايجاد هذا المكتب جمال باشا والمساعد له في الحصول عليه والي حلب مصطفى عبد الخالق بك . وقد قال لجمال باشا ان هذه الدار عظيمة كثيرة الغرف والمقاصير التي تزيد على حاجة الولاة فيبقى الزائد منها فارغاً غير منتفع به وان كثيراً من الولاة القايلي الانصاف يستأجرونهــا من البلدية بخمس اجرتها بحيث لا يفي ما يدفعونه منها بما تنفقه البلدية على فرشها ومرمتها : وكانت قيمة الدار التي دفعتها الجهة العسكرية للبلدية نحو سبعة آلاف ورقة نقدية عنها نحو ٣٥٠ الف قرش القرش جزء من الذهب العثماني المقدر بـ ١٢٧ جزءاً . ولما كانت هذه القيمة دون قيمتها الحقيقية فقد تنازلت الجهة العسكرية للبلدية علاوة على تلك القيمة عن عرصة المقبرة الصغيرة الكائنة في جنوبي بستان ابراهيم اغا وكان جمال باشا امر بابطالها ونسف ما فيها من القبور فعادت قاعاً صفصفا

— تشدد العسكرية بالوثائق —

فيها تشددت الجهة العسكرية في قضية الوثائق التي تخلص حاملها من التجند فامرت كل من كان معه وثيقة بان يصور شخصه صورتين تلصق احداهما على الوثيقة التي يحملها وتلصق الاخرى تحت اسمــه في سجل الوثائق . وسبب هذا التشدد اطلاع الجهة العسكرية على عــدة وثائق مزورة اخترعها بعض الناس وباعها من المكلفين للجندية للتخلص

منها وقد ظفرت العسكرية ببعض مزوري تلك الوثائق فنكلت به وصادرت ما كان عنده من الاموال وزجته في اعماق السجن

— استيلاء الجيوش البريطانية على قود الامارة —

وفيها استولت الجيوش البريطانية على قود الامارة بين البصرة و بغداد واضطر قائد الجيوش التركية الى الانتحار بعد ان اصيب بجراحات خطيرة ثم امدت الجيوش التركية واستردت البلدة المذكورة واسرت قائداً كبيراً من قواد الانكليز يقال له طاوسند ثم دارت الدائرة على الجيوش التركية فكسروا وعادت البلدة الى استيلاء الجيش البريطاني

— اسعاف الفقراء بالحبوب والخبز —

وفيها كثرت شكوى الفقراء من قلة الخبز والحب وغلاء اسعارهما فاصغى والي حلب مصطفى عبد الخالق بك الى شكواهم واهتم بتخفيف ويلاتهم فاشترى من الجهة العسكرية مقداراً عظيماً من الحب ودفع لها ثمنه من اموال صندوق البلدية وسلم البلدية حوالات بتلك الحبوب على الجهة العسكرية فاستلمت البلدية الحب شيئاً فشيئاً واودعته في اهراء خاصة ثم اخذت من كل محلة من محلات حلب دفتراً حرر فيه اسماء المعوزين منها كل اسرة على حدتها واعطت رئيس الاسرة وثيقة بمقدار محدود من الحب واخذت منه قيمته ورقاً نقدياً على معدل السعر المقطوع واحالته على امين الاهراء التي اودع فيها الحب ليأخذ قسطه منه واستثنت من اهل المحلات من كان عسكرياً او مستخدماً فلم تعطهما وثيقة لانهما يأخذان ما يلزمهما من الحبوب وغيرهما من جهة دائرته

الرسمية . وصارت البلدية تأخذ كل يوم مقداراً من هذا الحب وتطحنه وتفرقه على الافران لتبيعه خبزاً لفقراء المحلات الداخلة في منطقتها بالسعر المقطوع وهو سبعة قروش ورقاً نقدياً عن كل رطل عنها ٤ قروش معدنية تقريباً . استمر هذا العمل مدة خمسة اشهر ثم نفد الحب الذي ادخرته البلدية وامتنعت العسكرية عن بيعه لها فانقطع بيع البلدية الحب والخبز وعاد الحال الى شدته الاولى وصعد سعر شنبل الحب الى ثلاثمائة قرش ذهباً

— حوادث الارمن —

حوادث الارمن في حلب واورفه وعينتاب وكاز وانطاكية — بدأت في السنة السابقة وانتهت في هذه السنة (١٣٣٤) وهي محررة في كتاب مطبوع باللغة التركية عنوانه (فظائع الارمن) قد فصلت فيه تلك الحوادث تفصيلاً مسهباً وصورت منها الوقائع المهمة الفظيعة بالفوطغراف وهو كتاب كبير يستوعب ثلاثمائة صحيفة نقلنا عنه جميع ما كتبناه في هذا الفصل سوى حوادث الارمن في انطاكية فقد اخذناها بالتلقي عن بعض ثقاة من اهل تلك البلاد فنقول

— مشاغب الارمن في اورفه —

في خلال السنة السابقة شاع في حلب ان جماعة من طائفة الارمن في مدينة اورفه شقوا عصا الطاعة وجاهروا بعصيانهم بينما كانت الحكومة آمنة من غائلتهم لما تشاهدهم فيه من الغبطة والرخاء والحرية الشاملة في معايشهم ومعتقداتهم ومكاتبهم ومعابدهم حتى انها لثقتها بهم

وفرط اطمئنانها منهم قررت ان يكون لواء اورفه محل اقامة من تجليه عن بلاده من الارمن الذين ارتابت بصداقتهم وخشيت غائلتهم على جيوشها المتصدية لمحاربة الروس

يبلغ عدد طائفة الارمن في اورفه نحو ثلاث عشرة الف نسمة . على ان هذه المنطقة الارمنية لم تلبث بعد اعلان النفير العام سوى قليل من الايام حتى تظاهرت بالانحراف عما كانت الحكومة تعهدها عليه من الوداعة والسكون فاشهرت عداءها على الحكومة العثمانية اسوة ببقية اخوانها الارمن القاطنين في جهات آسيا الصغرى وغيرها من البلاد العثمانية وسبب ذلك حسبما ظهر من البحث والتدقيق اغراء المبشرين الاميركان وغيرهم من مبشري الدول الاجنبية فانهم بواسطة مكاتبهم يستخدمون الامة الارمنية كآلة صماء لبلوغ مآربهم . اضف الى هذا وسوسة مرخص الارمن في اورفه الذي كان منفياً الى طرابلس الغرب بعد حادثة الزيتون التي سبق ذكرها في حوادث سنة ١٣١٣ فانه بعد ان اطلق سراحه وعاد الى اورفه عاد الى ديدنه الاول فاخذ يلهج بحط مقام الدولة العثمانية والانتقاد على اعمالها والتحرش بباقي رعاياها المخلصين

وكان الارمن في اورفه يتربصون باعلان عصيانهم على الدولة قدوم جيوش الروس على جهاتهم غير ان الحكومة العثمانية لما امرت بتجنيد مواليد سنة ١٣١٠ اتخذ الارمن هذه القضية ذريعة للتجاهر بالعصيان فهبوا للتمرد وجمعوا عدداً كبيراً من شبانهم في قرية كرموش التي تبعد عن اورفه مسافة ساعة ونصف وهناك اعلنوا العصيان

هذه القرية عظيمة فيها كنيسة كبيرة ومعبـد للبروتستان ومغائر متعددة . ولما اتصل خبر تمردهم بالحكومة انفذت اليهم ثلة من الدرك مؤلفة من ثلاثين شخصاً ففاجأها العصاة باطلاق النار فقتل منها واحد وجرح آخر ومع ذلك فان هذه الثلة هجمت عليهم وغنمت مقداراً كبيراً من السلاح والذخائر وقبضت على بعض الفدائيين منهم . وبينما كانت الجنود العثمانية تبحث في نفق للتحري عن السلاح اذ وجدت فيه ثلاثة من غرباء الارمن قد طالت شعورهم لطول مكثهم في هذا النفق وفي الحال اطلقوا عيـاراتهم على الجنود فقتلوا منهم اثنين وجرحوا آخرين ثم ان شرذمة من الارمن تعرضت الى كتيبة من الدرك على طريق سيوەرك فلم تفلح ثم تعرضت الى عمـلة يشتغلون في موضع يقـال له (اق هيوك) (تل ابيض) فقتلت ضابطاً وجرحت اربعة افراد ومختار قرية وبعد هذه الواقعة اختفى الارمن في منازلهم واجتمع منهم شرذمة في دار اولاد الاطراقجي واخـذت تطلق عياراتها ثم قام الارمن كلهم يرمون الرصاص ويهجمون على محلات المسلمين واستولوا منها على بعض دور حصينـة وقتلوا عشرة من نساء تلك الدور وفي ذلك الوقت نقس جرس الكنيسة الكبرى بان هبوا جميعاً لاشهار العصيان وكان ذلك بتدبير رجل اسمـه (صوغومو) قسيس بروتستاني يدير دفة سياستهم فنفروا للحرب جميعاً وقد خيط على كم كل واحد منهم رقعة فيها عنوان وظيفته فهاجوا وماجوا وقذفوا من افواه بنادقهم ناراً حاميـة وكانت القوة العسكرية غير كافية لكبحهم فدام تمردهم كذلك حتى وصلت الى

اورفه قوة عسكرية يقودها وكيــل قائد الجيش الرابع فارسل اليهم مع طائفة من نسائهم بياناً يقول لهم فيــه من كان منكم مطيعاً للحكومة فليخرج من باب صمصاد فلم يصغوا الى بيانه وثابروا على الامتناع وحينئذ صوب افواه المدافع الى جهة حصونهم فهدمها واخترق الصف الاول من محلاتهم ثم دعاهم للانقياد والاذعان فلم يجيبوا واستمروا مجاهرين بالعصيان فاعاد اطلاق المدافع عليهم فما كان منهم الا ان رفعوا خرقة بيضاء كتب عليها بقلم عريض كلمات بالتركية معناها (اوقفوا النار للمخابرة) فاسكتت المدافع وبعد نصف ساعة سلموا نحو ستمائة من نسائهم واطفالهم ثم في اليوم التالي عادوا الى ما كانوا عليه من التمرد والفساد وهجموا على الجنود فقوبلوا بالمثل وانكسروا شر كسرة واستولت الجنود على الكنيسة ودار الايتام والاماكن التي اتخذوها حصوناً لهم ونكلوا بالعصاة شر تنكيــل وهكذا انتهت هذه الحادثة وكان عــدد من قتــل وجرح من مسلمي اورفه ٤٢ شخصاً ومن الدرك ثمانيــة وجرح اربعة وعشرون ومن العساكر مائتان منهم ضابط واحد

— حادثة الارمن في الزيتون —

لا ينكر ما لبعض رؤساء الارمن ومــا لبعض الحكومات الاجنبية من الايدي اللاعبة في عقول الامة الارمنية تهييجاً لعصاباتهم على القيام في وجه تركيا اثناء اشتغالها في الحرب العامة عرقلة لمساعيها ولاشغالها عن مكافحة الروس

فاول ما ظهر من متمردي الارمن في الزيتون بعد اعلان الحرب انهم

رفضوا اوامر الحكومــة وامتنعوا عن التجنــد ودفع الضرائب وقاموا يتعرضون للسابلة بالقتل والنهب وتعلق دعارهم في الجبال وخرجوا على قافلة تسير على طريق فرنس فقتلوا اكثر اهلها ونهبوا اموالهم وقتلوا جماعة من الدرك في بعض القرى وحينئذٍ اهتمت الحكومــة بشأنهم فالقت القبض على ٦٥ شخصاً منهم و بلغ الحكومة ان بانوس ابن چاقر زعيم جمعية خنجاق في الزيتون قد عزم على كبس دار الحكومة وقتل المأمورين وكبس مستودع السلاح ونهب ما فيه وقطع اسلاك البرق فاخفق سعيه وكمنت عصابة من شطار ارمن الزيتون في بعض الجبال المنيعة قصد التعرض الى مهمات حربية قادمة على الزيتون فلم تنل هــذه العصابة اربها انما خرجت بغتة على جماعــة من الدرك فقتلت منهم ستة وجرحت اثنين وقطعت السلك البرقي بين الزيتون ومرعش وتعرضت الى عسس مرعش وقتلت شاباً مسلما من قرية بشانلي وقامت عصابة اخرى تتعرض الى دار حكومة الزيتون وثكنتها العسكرية فقتلت اثنين من حاميتها وهددت المأمورين واعتصمت عصابة اخرى في دير التكية وهو دير حصين فقصدها سليمان افندي البيكباشي قائد الدرك بمن معه من الجنود فقتلته وقتلت معه خمسة وعشرين عسكرياً وجرحت اربعة وثلاثين شخصاً والقى القبض على قسم من هذه العصابة وقسم منها اضرموا النار في الدير ليلا وهربوا واخذوا يتعرضون للسابلة ويجرون معها من الفظائع ما تقشعر منه النفوس · والقى القبض على واحد من دعارهم اسمــه ملقون فذكر في استنطاقه ان العصابة اعلمته بان

الجنود الانكليزية قد استولوا على اسكندرونه وان الارمن قد شغبوا هناك وان الواجب على الارمن ان يعرقلوا مساعي تركيا و يعضدوا الانكليز٠ وقد انضم الى عصابات ارمن الزيتون جماعة من ارمن جمعية خنجاق وجمعيات البلاد الارمنية في لواء مرعش غير ان الجنود التركية ما زالت تجد في تتبعهم حتى ظفرت بهم واستولت على الكثير من اسلحتهم التي من جملتها قنابل الديناميت وغيرها

— حادثة الارمن في السويدية —

بعد اعلان الحرب العامة بقليل من الايام بدأ الارمن سكان جبل موسى في جهة السويدية من اعمال انطاكية يظهرون العتو والتمرد على مأموري الحكومة الذين يحضرون اليهم لتقاضي المرتبات الاميرية منهم خصوصا اهل قرية كابوسيه وقرية خضر بك وقرية حاجي حبيلو وغيرها من القرى الجبلية المنيعة التي يصعب السلوك اليها ٠ وقد شوهد بين ارمن هذه الجهات عدد عظيم من ارمن العصابات الارمنية المعروفة في جهات مرعش والزيتون ولما علمت الحكومة ذلك ارادت اجلاءهم تأميناً لغائلتهم في هذا الثغر البحري الذي كانت مدرعات الدول المحاربة لا تنقطع عن التردد اليه وقد شعر الارمن بعزم الحكومة على اجلائهم عن ديارهم فقاموا كلهم قومة رجل واحد واعتصموا بشغف تلك الجبال الشامخة التي كانوا ملؤا مغائرها وكهوفها من الاقوات والمهمات وصاروا يتعرضون حينما تسنح لهم الفرص الى سكان قرية السويدية والزيتونية والحسنية بالنهب والسلب وعندها اهتمت الحكومة بشأنهم وانفذت

العساكر لكبحهم فقصدت اماكن اعتصامهم و بعد ان قاومهم الارمن مقاومة عنيفة وجرح من الجنود كثيرون تحقق الارمن انهم مأخوذون لا محالة فتركوا معاقلهم واسرعوا بالهرب ليلاً الى جهة البحر وكأنهم كان لهم مع المدرعة التي حملتهم اشارات خصوصية مصلح عليها فيما بينهم فلم تشعر العساكر التركية التي تتعقبهم الا ومدرعة ضخمة قد حضرت الى ثغر السويدية وصارت تطلق قنابلها على الجنود الذين اضطروا حينئذٍ للتغيب والتواري بين غابات السويدية ووراء آكامها وفي ذلك الاثناء تقدم العصاة الى جهة البحر تحت حماية قنابل المدرعة وقد اعدت لهم الزوارق والقوارب فركبوها زمرة بعد زمرة وكانوا نحو خمسمائة شخص ثم اقلعت بهم المدرعة وغابت عن العين غير ان الجنود التركية رغماً عن هذا كله ظفروا بعدد عظيم من المتمردين وسلموهم الى ادارة سوق المهاجرين فاجلتهم الى الجهات المعينة لهم

— احزاب الارمن في حلب —

قال في الكتاب المذكور اجتمع في حلب عدد عظيم من جالية ارمن الاناضول وغيره فرتبوا منهم عصابات وضعوا لها تعاليم من احكامها ان تتزيا العصابات بالزي العثماني وتسير الى جهات موش وبتليس وتنسف في طريقها انفاق خط سكة الحديد وتتعرض للقوافل وتغتال بعض كبار الموظفين من ملكيين وعسكريين وتقتل ما تصادفه في طريقها من العساكر الذين رخص لهم بالذهاب الى بلادهم لتبديل الهواء ثم تلتحق تلك العصابات بجيوش الروس على ان لا تتظاهر باعمالها الا بعد

خروجها عن حدود حلب كيلا يتضرر الارمن في حلب · وقد نمي خبر هـذه العصابات الى الحكومة قبل شروعها باعمالهـا فظفرت الحكومة بالجمعية التي الفت هـذه الاحزاب والقت القبض على سبعين شخصاً كانوا يعاونون الجمعية و يمدونها باموالهم وآرائهم وسلمت الجميع الى الادارة العرفية فظهر من اعترافهم والاوراق التي وجدت عندهم ما كتبناه عنهم في هذا الفصل

— احوال الارمن في عينتاب وكلز —

قال في الكتاب المذكور احست الحكومة في عينتاب وكلز ان الارمن متهيئون لاظهار العصيان في اول فرصة تسنح لهم وانهم بدأوا يتأهبون لهذا القيام كما كان تأهب اخوانهم في حادثة اذنه قبلهم · وقد حضر الى قريتي حبار وچنكن في قضاء كلز نحو ثـلاثين ارمنيا مسلحين من اهل الزيتون وجماعة من رؤساء عصابات كرون ففتكت بهم الجنود التركية وفر البعض منهم والقت الحكومة القبض على (اغوب قازار) ابن راهب كلز وهو رئيس فرع جمعية خنجاق ومرتب حركات العصيان في كلز فسلم الى الديوان العرفي وتشتت شمل هذه العصابة

— الحملة على قناة السويس —

في هذه السنة (١٣٣٤) ورد الخبر البرقي بان جمال باشا امر بتسيير حملة على مصر لتدخل اليها من جهة قناة السويس بعد ان تم مد فرع سكة حديدية من الخط الحجازي الى بئر السبع

— ما هو الغرض المقصود من هذه الحملة —

في الفصل الخامس من كتاب (مذكرات جمال باشا) كلام مسهب بالافصاح عن شؤن هذه الحملة وما يتعلق بها من التأهب واعداد الجنود والمهمات الحربية واصلاح طرق المواصلات والتزود من الاقوات والمياه وكيف كان هجوم الحملة على القناة واسباب فشلها وعدد من استشهد منها مع بيان قوات الانكليز ومعداتهم وغير ذلك من الامور التي تفيد الراغب بالاطلاع على شؤن هذه الحملة فائدة تامة

غير ان هذا الفصل على ما فيه من الاسهاب والاطالة لا يحقق امنية الباحث فيه عن حقيقة الغاية التي ترمي اليها هذه الحملة لانه بينما يفهم مما سطر فيه من عبارات جمال باشا ان الحملة ليست مقصودة لذاتها بل الغاية منها محض مظاهرة يقصد منها الاستطلاع على قوات العدو والفات نظر تركيا الى ما يجب عليها تداركه واعداده لحملة اخرى — اذ يرى بذلك الباحث من عبارات جمال باشا ما يفهم منه ان الحملة مقصودة لذاتها لان الغاية منها الفتح والاستيلاء

فمن عبارات الشق الاول قول جمال باشا بعد فشل الحملة « فلو كتب لنا النجاح لهذا المشروع الذي هو محض مظاهرة مصحوبة بقوة عسكرية لاعتبرناه فالا حسنا لتحرير الاسلام وتخليص الامبراطورية العثمانية » وقوله « ان المشروع انما كان محض استطلاع هجومي على القناة لمعرفة المواد التي لدى العدو وما نحتاجه نحن انفسنا من المواد لعبور القناة . وبما اننا ادركنا غايتنا تماماً فالاصوب ان ننسحب الخ »

ومن عبارات الشق الثاني قول جمال معرباً عن هواجس نفسه ابان السري في صحراء التيه « ونحن نواصل السير بالليل على ضوء القمر كان قلبي مفعماً بالكآبة الممزوجة بالامل الكبير في النجاح كلما رددت الموسيقى انشودة الراية الحمراء تخفق فوق القاهرة والتي على وقعها شقت الصفوف الزاحفة طريقها في ذلك القفر الذي لا نهاية له »

اقول الذي يتبادر للذهن ان الغاية كانت من هـذه الحملة هو الفتح والاستيلاء لا التمهيد لحملة اخرى وذلك ان التأهب لهـا كان عظيماً لا تحتاجه فيما لو كان الغرض منها محض استطلاع واستكشاف غير ان هذا التأهب وان كان عظيماً فهو بلا ريب دون ما تحتاجه حملة يقصد منها الهجوم على قناة السويس لاجل الاستيلاء على مصر وسلبهـا من يد اعظم دولة في العالم بل كان من اقل ما يلزم لهذه الحمـلة في اجتيازها الى بر مصر ان تردم الترعة ويدخل منها جيش لجب الى بر مصر ويبقى نظيره في برية الشام لعرقلة سير المدرعات الانكليزية الضخمة ورميهـا بقنابل المدافع التي هي من عيارات واسعة كما اشار اليـه نفس جمال باشا بعد فشل حملته ومحاولة القائد الالماني اعادة هجوم الحملة مرة ثانية

ومما يدل على ان الحملة كان المقصود منها الفتح والاستيلاء تيقن جمال بنجاحها وانه لا بد وان يدخل الى مصر ظافراً منصوراً بدليـل اعداده جماعة تناط بهم خدمة الدرك في مصر واستحضاره وهو في حلب ملابس لهم الامر الدال على انه كان غـير شاك ولا مرتاب مطلقاً في فوز حملته وتكليل مساعيه بالفلاح والنجاح

اما عباراته التي مفهومها بان الحملة كانت الغاية منها تمهيداً لحملة اخرى فانما فاه بها بعد فشلها تخلصاً من رميه بسهام الملام على تقصيره في اعداد ما يلزم لهــذه الحملة من الجيوش الضخمة والمهمات الوافرة والتدابير الصائبة التي بدونها لا تجوز المغامرة في تيار هذا الخطر العظيم

— ورود نبأ برقي بنجاح الحملة —

وفي هذه السنة (١٣٣٤) ورد علينا من جهة بئر السبع نبأ برقي بان هذه الحملة قد نجحت بهجومها على القناة ومشت الى جهة مصر فكان الناس لهذا الخبر بين مصدق ومكذب وهمّ حزب الاتحاد بترتيب مظاهرة فرح وسرور بهذا الظفر و بينما هم يتذاكرون في شؤن هذه المظاهرة اذ ورد بالبرق تكذيب الخبر الاول

اقول ان جمال باشا اوضح في مذكراته سبب النبأ البرقي المأذن بنجاح الحملة بما خلاصته ان مدير تلغرافات الجيش (الذي كان مشتغلاً بمد الخطوط في الصحراء) ابلغه احد المتوهمين كذباً نبأ سقوط الاسماعيلية فعجل بابراقه الى الاستانة فلما ظهرت الحقيقة انعكست الآية وكان لها اسوأ تأثير

— عدد الايام التي امضتها جيوش الحملة في قطع الصحراء —
بين بئر السبع والقناة

قال جمال باشا في مذكراته ما خلاصته : انه ما كاد يمر عشرون يوماً على بدء الزحف من بئر السبع حتى وصل القسم الاول من الحملة بقوة كبيرة الى نقطة تبعد نحو ١١ كيلومتراً من القناة . ووصل الجناح

الايمن الذي زحف من العريش في جهة قاطية تجاه القنطرة بينما الجناح الايسر الذي زحف من العقبة عن طريق قلعة النخل وقف في مقابلة السويس

— ما لاقاه الجيش من التعب والضنك —

قال جمال باشا في مذكراته : ويقصر اللسان عن ان يوفي القوات العثمانية — لا فرق بين ضباطها وجنودها اللائي اشتركن في حملة القناة الاولى — حقهن من الثناء على ما بذلنه من الجهود واظهرنه من ضروب الوطنية العالية . وارى من واجبي تقديم اعجابي لاولئك الجنود البواسل الذين قاموا بذلك الزحف غير مبالين بما لاقوه من ضروب الضنك وتحملوه من المشاق في سحب المدافع فضلاً عن الجسور المتحركة (وهي كل ما كان لدينا من المعدات لعبور القناة) وسط بحر من الرمال هذا وقد ساد بين رجال الحملة — لا فرق بين الاتراك والعرب — شعور العطف الاخوي . ولم يكن بينهم من يضن بحياته دفاعاً عن اخوانه . والواقع ان الحملة الاولى كانت برهاناً ساطعاً على ان غالبية العرب الساحقة انضموا الى الخلافة بقلوبهم وجوارحهم

— عدد عساكر الحملة وعدد عساكر الانكليز —

والمفهوم من مذكرات جمال باشا ان عدد جنود الحملة كان واحداً وعشرين الفاً وان جمال باشا قد علق اكبر آماله وقتئذ على مساعدة الوطنيين المصريين الذين رجا ان يثوروا كلهم بعد ان يشجعهم سقوط الاسماعيلية في يد الجيش التركي . اما عدد جيوش العدو حسب المعلومات

التي وصلت الى مركز قيادة الجيش التركي فهي ٣٥ الفاً على طول خط القناة عدا مئة وخمسين الفاً ويزيدون موزعين في طول مصر وعرضها

— مساعدة ابن السعود وابن الرشيد وعدد الجمال التي كانت — في جيش الحملة

قال جمال باشا في مذكراته : ولم يكن في استطاعة الامير ابن السعود ان يمد لنا يد المساعدة المباشرة لقربه من الانكليز الذين كان في استطاعتهم ايصال الاذى اليه . الا انه كان شخصياً نافعاً لنا جداً اذ ارسل الجمال للجيش وسمح بتصدير التجارة من بلاده الى سورية . ولقد اقام الامير ابن الرشيد البرهان الصادق على انه مسلم صميم وشديد الاخلاص للخلافة قال وكان عدد الجمال التي سخرت لحمل اثقال الحملة وحمل الماء اثني عشر الف جمل بعضها من سورية والقسم الكبير منها من بلاد الامير ابن السعود

— ثقة جمال باشا باخلاص العرب —

قال جمال باشا ما خلاصته : وكانت كتائب الحملة مكونة من عرب الشام وفلسطين ولم توجد مقاتلة اتراك سوى كتائب متطوعي الدراويش ونصيلة مشاة من متطوعي دوبريجه التي انشأها جمال باشا لخدمة القيادة قال افلا يدل كل ذلك على ثقتي بالعرب واعتقادي انهم لن يثوروا ضدنا او يطعنونا من الخلف

— هجوم الحملة على القناة وفشلها وعدد من قتل واسر وجرح فيها —

المفهوم من كلام جمال باشا في مذكراته ان الوقت الذي كان معيناً

لعبور القناة هو الليل غير ان الجيش المعد للعبور تأخر وصوله وحينما بدأ بمد الجسور المتحركة وشرع بالعبور كانت الشمس في الافق فصارت اعمال الجيش ظاهرة للانكليز فهبوا للدفاع عن نقطة العبور مباشرة بما كانت نتيجته تحطيم الجسور عدا ثلاثة منها وكان قد تمكن من العبور ٦٠٠ مجاهد فاسرهم الانكليز . وهاك بيان خسائر هذه الحملة

	قتلى	جرحى	اسرى	مفقودون
ضابط	١٤	١٥	٠٠	١٥
جندي	١٧٨	٣٦٦	٦٠٠	٧١٢

ولكن الانكليز قدروا خسائر الاتراك في هذه الحملة بالف قتيل والفي جريح وستمائة وخمسين اسيراً

— مقتل زعماء الجمعية اللامركزية —

في رجب هذه السنة (١٣٣٤) الموافق مايس سنة ١٩١٦ م ورد الخبر من دمشق وبيروت بتعليق واحد وعشرين شخصاً من افراد الجمعية التي كانت قبل اربع سنوات عقدت في مدينة باريس مؤتمراً عربياً للمفاوضة في طلب الحاكمية اللامركزية للبلاد السورية تحت سيادة الدولة العثمانية . وقد علق منهم في بيروت اربعة عشر شخصاً وفي دمشق سبعة اشخاص علقوا كلهم في ليلة واحدة فارتاع الناس من هذا الخبر وداخلهم من القلق والوحشة ما لا مزيد عليه . وقد بسط جمال باشا في مذكراته الكلام على اعذاره في تعليقهم وسنتكلم على ذلك في الآتي

— قيام حضرة الشريف حسين على تركيا —

في شعبان هذه السنة (١٣٣٤) تواردت الاخبار بان حضرة الشريف حسين بن الشريف علي امير مكة المكرمة قد تظاهر بالعداء حيال الدولة العثمانية ثم تواردت الاخبار في رمضان بانه استولى على مكة المكرمة وجده والطائف وينبع وطرد العساكر التركية واسر بعضها وعقد مع دولتي انكلترا وفرنسه معاهدة على ان يستولي على البلاد العربية العثمانية بمعاونتهما فيستقل فيها العنصر العربي ويكون هو الملك عليها الخ

حركة حضرة الشريف هذه قد اثبت فيها جمال باشا في مذكراته — كلاماً مسهباً ليس من غرضنا التعرض الى تفنيده او الى تصويبه بل نكل ذلك الى من يرون انفسهم مضطرة الى كشف الحقيقة وتمحيصها في هذه المسئلة الخطيرة

على انني لا انكر ان هذا القيام لم يخل من فائدة لسوريا فانه قد وقف تيار الفتك الذي كان يخوض في بحره جمال باشا دون رادع ولا مسيطر

— اجلاء اسر من دمشق وحلب —

فيها اجلى جمال باشا بعض اسر كريمة عن دمشق لقرابة بينهم وبين بعض المقتولين الذين تقدم ذكرهم اجلاها الى جهات الاناضول واجلى من حلب اسرة محترمة لان جندياً من ذوي قرابتها التحق بجيوش حضرة الشريف اجلاها الى مدينة قرق كليسا في ولاية ادرنه

– احداث جريدة في المدينة –

وفيها صارت الاخبار ترد من الحجاز تارة بانتصار الجيوش التركية على الجيوش العربية وتارة بالعكس وان المدينة المنورة دخلت في حوزة العرب وانهم نسفوا سكة الحديد في جهات الكرك ومعان وغيرهما . ولما كانت هذه الاخبار تضعف معنويات الجنود التركية وتزيد في قوة معنويات العرب رأى جمال باشا ان يصدر في المدينة المنورة صحيفة اخبارية تحرر ما يجري في الحجاز بين الجنود التركية والعربية على الصفة التى تخدم ارادته وتروج افكاره وان تنشئ مقالات تبرهن على حسن سلوك جمال باشا وسوء سلوك حضرة الشريف في هذه المسئلة فجهز للمدينة المنورة مطبعة بادواتها ولوازمها واختار محرراً لها وطنينا البارع الاديب الشيخ بدرالدين النعساني فسافر الى المدينة المنورة وصدر هناك صحيفة سماها (الحجاز)واستمرت تصدر مدة سنة او اقل منها ثم بطلت وعاد محررها الى اوطانه

– وفود الى المدينة –

وفيها في رمضانها اوفد جمال باشا الى المدينة المنورة وفوداً من حلب ودمشق وغيرهما ليطلعوا على حقائق الاحوال و يعودوا الى اوطانهم فيخبروا اهلها بان المدينة المنورة لم تزل باقية في يد العثمانيين وان سكة الحديد بين دمشق والمدينة لا يوجد فيها شيء مختل وقد دعيت لان اكون من وفد حلب فاستقلت خوفاً من مشقة الطريق وشدة الحر وكانت نفقة هذه الوفود من جهة العسكرية وقد اعطي كل واحد منهم

خمسين ليرا عثمانيا ورقا نقديا ولما عادت هذه الوفود الى اوطانهم اخبر كل واحد منهم اهل وطنه بان المدينة المنورة لم تزل باقية بيد العثمانيين وانه لا سبيل الى الاستيلاء عليها وان سكة حديد الحجاز سليمة لا خلل فيها

— فتوى في وجوب قتال من خرج على الخليفة —

وفيها ورد من دمشق الشام طائفة من علمائهــا ومعهم صورة فتوى شرعية توجب قتال من خرج على الخليفة وشق عصا الطاعة وفرق كلمة الجماعة فدعا الوالي عبد الخالق بك نفراً من علماء حلب وكلفهم ختم هذه الفتوى اسوة بعلماء دمشق فختموها

— قدوم الشريف علي حيدر باشا على حلب

وفيها قدم على حلب حضرة الشريف علي حيــدر باشا وقد تعين لامارة مكة المكرمة بدل حضرة الشريف حسين المتظاهر بعداء الدولة فاقام حيدر باشا بحلب قليلاً ثم سافر منها الى دمشق فبقي بها مدة ثم سافر منها الى جهة لبنان لينتظر نتيجــة الحرب الحجازية فلم تسنح له الفرصة بالتوجه الى الحجاز وعاد الى استانبول في اواخر سنة ١٣٣٦

— جودة المواسم ورخص الاسعار —

وفيها كانت المواسم جيدة والرخاء شاملاً وشاع بين الناس ان جهة العسكرية عازمة على مصادرة السمن والحبوب والصوف وغيرها فخاف المحتكرون ولم يجسر احد منهم على احتكار شيء من هذه البضائع فازداد رخص السمن وبيع رطله بخمسة وعشرين قرشاً وبيع كل مائة بيضة

بسبعة قروش مما لم يعهد له نظير منذ عشرين سنة وبيع رطل اللحم الخالص بخمسة عشر قرشاً ورطل الصوف باحد عشر قرشاً وكانت جميع اسعار الاقوات الوطنيـة رخيصة سوى الحبوب وزيت الزيتون والزبيب والتين والجوز وباقي الفواكه التي اتى الجراد النجدي على شجرها كما اسلفنا ذكره في السنة ١٣٣٣

سنة ١٣٣٥

— ملكية حضرة الشريف حسين على البلاد العربية —

في اليوم السادس من محرم هذه السنة نودي في البـلاد الحجازية باسم حضرة الشريف حسين امير مكة المكرمة ملكاً على البلاد العربية العثمانية . وقد تقدم الكلام على مبدأ قيامه على تركيـا واستيلائه على معظم الحجاز في اخبار السنة الماضية

— وفد من استانبول الى البلاد الشامية —

فيها قدم من استانبول الى حلب وفد مؤلف من رجال الدولة العثمانية واعيانها لرد زيارة الوفد العربي الذي كان في العام الماضي زار استانبول وقد استقبل الوفد التركي حينما دخل الى محطة بغداد استقبالاً حافـلاً وادبت له البلدية في فندق البارون مأدبة فاخرة وقدمت لكل واحـد منه عباءة حريرية جميـلة من صنع حلب ثم بعد ثلاثة ايام سافر الوفد الى دمشق ومنهـا الى بيروت ولقي فيهما من الحفاوة والاكرام ما لقي في حلب وزيادة وكان الغرض الحقيقي من زيارته هذه البلاد تطييب قلوب اهلها العرب واظهـار محبة الاتراك اياهم ونزع ما غرسه بعض

الاتحاديين في قلوبهم من النفرة والبغضاء بسبب سوء تدبيرهم

– سباق الخيل –

وفيها جرى في ارض الحلبة من ظواهر حلب سباق خيل على ابهج طرز

– دار للمعلمين ودار للحكومة –

وفيها بوشر في ارض الميدان الاخضر الشهير في شمالي مدينة حلب مكتب سمي دار المعلمين وبوشر ايضاً بتأسيس دار للحكومة جديدة تجاه باب القلعة باتصال المدرسة السلطانية من شرقيها وقد وضع لها مهندس الولاية مصوراً دخلت فيه الغوثية فهدمت عن آخرها ولم يبق لها اثر ثم شقت الأسس وبوشر ببنائها على صفة متقنة وقبل انتهاء بناء الأسس وقع الاستيلاء على حلب فبطل العمل بعد ان صرف عليه مبلغ طائل

– اخبار غزة –

فيها تواردت الاخبار بان غزة هاشم دخلها الجيش العربي الانكليزي وكانت الجنود التركية كامنة فيها فخرجوا من مكامنهم وهجموا على الجنود الانكليزية فقتلوا منهم في البلدة عدداً كبيراً واخرجوا الباقين منهم قسراً وان البلدة قد خربت ولم يبق من ابنيتها سوى القليل وقد نزح عنها اهلها وتشتتوا في البلاد منهم من سار الى عربان البادية واقام عندهم ومنهم من سار الى جهات طبرية والخليل والقدس ودمشق وحمص وحماه وغيرها وجرى عليهم من البلاء ما لم يجر على غيرهم ثم في اواخر هذه السنة اعادت الجيوش الانكليزية العربية الكرة على غزة فاستولت

عليها وعاد اليها من اهلها من كان مهاجره قريباً منها ومن ذلك الوقت بدأ العمار يعود اليها شيئاً فشيئاً

— انفكاك مصطفى عبد الخالق عن ولاية حلب —

وفي هذه السنة انفك الوالي عبدالخالق بك عن ولاية حلب وعين مستشاراً في نظارة الداخليـة وهو من انزه ولاة تركيا واحرصهم على رعاياها المخلصين وقد تعين بدله لولاية حلب توفيق بك

— نفي بعض المتلاعبين بالورق النقدي —

وفي هذه السنة شدد جمال باشا العقوبة على المتلاعبين بالورق النقدي ونفى بعض التجار الى جهة اذنه لتلاعبهم بهذا الورق فلم يحصل من نفيهم نتيجة واستمر سعر الورق على هبوطه

— قلة الماء في حلب وجر ماء عين التل اليها —

وفي هذه السنة بدأت الآبار والينابيع تنضب مياهها وقل ماء قناة حلب ونهرها وكثرت شكوى الناس من هذه البلية التي لا دخل للحرب في وجودها بل هي بمحض ارادة ربانية قضت بان لا يقع في موسم الشتاء ثلج على جبال عينتاب وغيرها من الجبال التي ينصب مـاء عيونها الى مجرى نهر حلب وكان جمال باشا مطلعاً من قبل على قلة ماء حلب وقد اعلمه الاطبـاء بان ماء القناة والنهر مع قلته يحمـل انواعاً من جراثيم الامراض القتالة التي يخشى على العساكر من فتكها فاهتم جمال باشا بجر ماء عين التل الى حلب واحضر لذلك قساطـل الحديد من جهـة يافا وغيرها وفي مدة وجيزة مدها من العين الى رأس محـلة التلل وهناك

عمل لها خزان عظيم يصب فيه الماء ومنه يتوزع الى جهة حلب وعمر في رحبة باب الفرج حوض جميل بديع الصنعة لو تم عمله يصب فيه الماء فينفر الى العلاء قدر رمح ثم يصب في حويض مستور له مباذل مغروسة بدائره وعمل لأخذ الماء عدة مراكز اقصاها عند خان الكمرك في سوق السقطية وفي متوسط خندق المطوي الآخذ الى باب النصر فلم يستفد من هذا الماء سوى المحلات القريبة من باب الفرج بسبب قلته وعدم ارتفاع خزانه وعلى كل حال فان سكان هذه المحلات وما قاربها قد ارتاحوا قليلاً من جهة ماء الشرب وعد عمل جمال باشا هذا من اكبر الحسنات التي تكفر بعض سيئاته وتخلد ذكره في التاريخ ولما انتهى هذا المشروع الحسن عمل له في شعبان هذه السنة ومايس سنة ١٣٣٣ رومية حفلة افتتاح عند حوض باب الفرج المذكور حضر فيها الجم الغفير من الاعيان والامراء والاهلين وانشدته قصيدة من نظمي اقترحها عليّ والي حلب توفيق بك وهي قصيدة طويلة منها قولي

ان ماءً اجراه عذباً فراتا — فيه ارواء غلة الوراد
قد سقانا الشراب منه طهورا — فروى من نميره كل صاد
و به ساغت المشارب في الشـ — ـهبا و كانت عسيرة الازدراد
و به اثلج الصدور كما قد — اضرم النار في قلوب الاعادي
جاريا في ربوعنا بابتذال — كنجيع الاعداء في كل واد
منة طالما النفوس تمنتها — م الى ان اتت بلا ميعاد
منة احيت النفوس واحيت — ذكره بالجميل حتى المعاد

ذخرتها له الليالي حتى يجتني حمدها الى الآباد
قرن الله سعده بنجاح وفلاح ورأيه بالسداد

وارخها الاديب الفاضل الشاعر الشيخ ابراهيم افندي الكيالي بقوله

احمد الفعل جمال في الورى ماء عين التل للشهبا جلب
ان هذا الخير ارخ زانه حسن ذكر لجمال في حلب
١٣٣٥

و بقوله

احمد الفعل جمال في الورى انعش الشهباء بالماء الزلال
صاح ان رام الورى تاريخه ناد عين التل تجري بجمال
١٣٣٥

و بعد فراغي من انشاد القصيدة افتتح جمال باشا بخطبة قال فيها ان احب شيء اليه هو ابقاء الآثار الخيرية التي تخلد له الذكر الجميل وان جره ماء عين التل هو ثاني ماء جره من محل بعيد الى بلدة وذلك انه كان جر ماء عين في جهات الروملي الى مدينة قرق كليسا

اقول والحق يقال ان جر عين ماء التل الى حلب حقيق ان يعد لاحمد جمال باشا اثراً عليا ويداً بيضاء ومنة كبرى على سكان الشهباء فقد حقق بها امانيهم بهذا الماء الذي طالما تمنوا اسالته الى حلب فلم يتح لهم القدر ما تمنوه

— الغلاء وضحايا الجوع —

في هذه السنة اخذت اسعار الحبوب تتصاعد بسبب ردائة الموسم واقبال الالمان على الاحتكار وقد شددت الحكومة بامر العسكرية

المراقبة على محتكري الحبوب من الاهلين واعلنت انها ستكبس البيوت والمستودعات فمن وجدت عنده من الحبوب ازيد من موُّنة سنة فانها تصادر الزائد وتحاكم صاحبه في الديوان العرفي وتعاقبه بما تقضي عليه احكامه وقد نتج من هذا الاعلان انقطاع ورود الحب من القرى وارتفع سعر الشنبل من الحنطة الى الفي قرش ومن الشعير الى الف وار بعماية واشتد الخطب على الفقراء في شتاء هذه السنة وهلك بالجوع كثيرون ولا راحم لهم ولا مغيث وكل واحد من الناس يقول نفسي نفسي لان الجميع كانوا يرون ان هذه الحرب سيطول امدها وتكون سبباً لابادة العالم

— خسوف القمر —

وفي رمضان هذه السنة في ليلة النصف منه خسف القمر خسوفاً تاماً بحيث غاب جميعه ثم عاد للانجلاء كما كان وفي اثناء خسوفه قامت ضجة عظيمة من اصوات العيارات النارية والضرب على النحاس والدق في الهاوانات جرياً على العادة القديمة

— مقتول بالتعليق —

وفي هذا الشهر علق عند برج الساعة في رحبة باب الفرج شخص من العساكر الفرارية

— طوابع على الثقاب ودفاتر اللفائف —

وفيه ايضاً ورد في صحف الاستانة قانون يقضي بلصق طوابع على علب الكبريت ودفاتر ورق سكاير التبغ فهبطت اسعار هذين النوعين

اولاً ثم تصاعدت جداً

— تعليق شخصين —

وفي شوال هذه السنة علق عند برج الساعة شخصان

— قدوم ابراهيم بك على حلب —

وفيها قدم على حلب ابراهيم بك احد كبار موظفي نظارة الاوقاف في الاستانة وهو ابن صاحب بك متوجهاً الى المدينة المنورة فنزل الى الجامع الكبير الاموي في حلب وامر برفع الطرابزون الذي يجعل قبلية الحنفية شطرين ورفع الطرابزونين اللذين يفصلان قبلية الحنفيـــة عن القبلية الشافعية ويكون بينهما الدهليز الذي يستطرق منـــه الى باب القوافين فرفع الطرابزونان وصارت القبليتان واحدة وصار الداخـل من باب القوافين يدخل الى القبلية مباشرة دون دهليز وامر ايضاً بنزع الرفرف المرفوع فوق باب الحجازية وقاية لنزول المطر فوق المجتازين من باب الطيبة الى الرواق الموجه الى القبلة فنزع وكان جدد منذ قريب وصرف عليه مبلغ كبير وكان نزعــه خطأً ثم ان ابراهيم بك سافر الى دمشق الشام ومنهـــا الى المدينة المنورة وامر هنـــاك بتخريب بعض البيوت العامرة المتصلة بالحرم النبوي واخذ جميع ما في قبة الضريح النبوي من الذخائر النفيسة الفضية والذهبية والاحجار الكريمة وما في كتبية الحرم من المصاحف الشريفة والكتب النادرة مما تقدر قيمته بمئات الوف من الليرات وضع جميع هذه الاشياء في صناديق محكمة وعاد بها الى استانبول

— عزل توفيق بك والي حلب وتعيين بدري بك واكياس الرمل —

فيها عزل توفيق بك والي حلب وتعين بدله بدري بك وفيها بدأت الجنود البريطانية بحصار قلاع القدس الشريف وصدر امر جمال باشا بان يعمل اكياس من الخام لاجل املائها رملاً وجعلها متاريس في قلاع القدس لترد عنها كرات المدافع ففرض على اهل حلب فقط ستون الف كيس جمعت من التجار باسم الاعانة وجمع اضعاف هذا المبلغ من بقية البلاد وملئت رملاً وجعلت متاريس في القلاع المذكورة فلم تغن شيئاً

— قدوم احد افراد الاسرة العثمانية على حلب —

وفيها قدم على حلب البرنس عبد الحليم افندي احد افراد الاسرة السلطانية العثمانية متوجهاً الى جبهة الحرب في فلسطين لمشارفة الحرب فاستقبل بكل تجلة واحترام ثم توجه الى جهة مقصده

— توحيد اوائل الاشهر —

وفيها ورد في البرق العثماني ان مجلس النواب العثماني قرر توحيد اوائل الاشهر الشمسية الشرقية والغربية فاعتبر رأس السنة الشمسية الشرقية اول شهر كانون الثاني كما يعتبره الغربيون الا ان تاريخ السنة بقي شرقياً عثمانياً كما سلف الكلام عليه في مقدمة هذا التاريخ فاسقط من شهر كانون الاول ثلاثة عشر يوماً التي هي الفرق بين الغربي والشرقي واعتبر اول سنة ١٣٣٣ الشرقية ابتداء كانون الثاني ثم بعد دخول الدولة العربية الى هذه البلاد جرت حكوماتها في تاريخ السنة ايضاً على التاريخ

الغربي الميلادي فاتحد التاريخان الشمسيان شهرا وسنة وصارا تاريخاً واحداً

— الاوراق النقدية المعروفة باسم بنكيوط —

اسلفنا الكلام في حوادث سنة ١٣٣٣ على حدوث الورق النقدي وتداوله وهبوط اسعاره . وهنا نقول ان هذا الورق ما زالت اسعاره في حلب تهبط الى ان كانت هذه السنة فازداد فيه تلاعب التجار والصيارفة حتى هبطت اسعاره هبوطاً زائداً وكان يهبط و يصعد في اليوم الواحد عدة مرات دون سبب معقول حتى اننا كنا نقول ان لتبديل اسعار هذا الورق سراً طبيعياً لا يمكن للعقول ادراكه كبقية الاسرار الطبيعية وكثيراً ما كان يهبط و يصعد تبعاً لما هو عليه في استانبول او دمشق او بيروت او غير هذه البلاد حسبما تفيده اخبار البرق والبريد وقد يهبط و يصعد وليس هناك خبر برقي ولا بريدي يشعر بهبوطه او صعوده . كما انه كثيراً ما كان يهبط اذا توالت الاخبار بانكسار جيوش تركيا وقد تنعكس الحالة فيصعد مع توالي تلك الاخبار ولا يهبط وقد صار كصنف كبير من الاصناف التي يشتغل بها التجار ولهذا كنت ترى جماهير الصيارفة والتجار واقفين في باب خان الكمرك يتعاطون بيع هذا الورق وشراءه من بعضهم وكل اثنين او ثلاثة منهم متكاتفون يتكلمون مع بعضهم همساً وفي ايديهم الوف من هذا الورق يشتري زيد من عمرو الف ورقة مائة قرش سعر كل واحدة منها ثلاثون قرشاً وربع القرش مثلاً و يدفع له الثمن نقداً في الحال نقوداً ذهبية او فضية و بعد ساعة يصعد سعر الورقة الى ثلاثين قرشاً ونصف القرش فيبيع زيد الالف الورقة التي

اشتراها قبل ساعة الى خالد على السعر الاخير فيربح منها مائتين وخمسين قرشاً ثم لا تمضي ساعة حتى يهبط السعر او يعلو فيبيع خالد الف الورقة التى اشتراها قبل ساعة فيربح او يخسر على حسب السعر الموجود فمن الناس من ربح من هذا الورق ارباحاً طائلة ومنهم من خسر فيه جميع ثروتـه كأنه كان يلعب بالميسر ٠ من الاسباب الظاهرة التى حملت الناس على الخوف من عاقبة هذا الورق فازداد سعره هبوطاً حـتى نزل الى خمس قيمته المحررة فيه: خطبة القاها طلعت باشا ناظر مالية تركيا في مجلس النواب تكلم فيها على حالة هذا الورق وتلاعب التجار في اسعاره واورد من جملتها عبارات يفهم منها بان هذا الورق لم يكن مكفولاً من قبل المانيا ولا من غيرهـا كما كان يعتقده الناس لذين لا ثقة لهم بمالية الدولة وانما كانوا مقبلين على تداوله اعتماداً على ثروة كافلته دولة المانيا فلما سمعوا تلك العبارات من خطبة طلعت باشا احجموا عن قبوله خوفاً من سوء عاقبته فهبط سعره الى خمس قيمته كما قلنا مع هذا كان كثير من الناس يعتقد ان هذا الورق مكفول من دولة المانيا رغماً عما قاله طلعت في خطبته وان ما قاله في هذه الخطبة لم يقصد منه الا تنزيل اسعار هذا الورق الى الدرجة الغائية لتشتريه الحكومة من الرعية بالثمن البخس بواسطة سماسرة خفيين وتعدمه فتكون بعملها هذا قد وفت سلفاً قسماً كبيراً من الديون عن دولة تركيا من هذا الورق بقسم منه والله اعلم بحقيقة الحال ٠ ان كثيرين من التجار كانوا يشترون الورق من البلاد التي يهبط فيها سعره و يصرفونه في البلاد التي يعلو فيها فيبدلونه بالذهب لذي يهربونه الى بلادهم بارشاه

المراقبين في محطات سكك الحديد او بغير طريقة وربما اشتروا بالورق اموالاً من استانبول او مملكة النمسا او بلغاريا واحضروه الى بلادهم كذلك وقد يشترون بالورق من بلدة اجنبيـة اموالاً تجارية لا يمكن احضارها في ابان الحرب فيبقونها في تلك البلاد الى ان تنتهي الحرب فيحضرونها وقد يشترون بالورق العثماني المذكور اوراقاً ماليـة اجنبية و يبقونها في ايديهم الى ما بعد الحرب فيربحون منها مبالغ طائلة مثـلاً يشترون بثلاثة ورقات عثمانية من اوراق المائـة قيمتها التجارية الحاضرة ٧٥ قرشاً ورقة امريكانية قيمتها ١٠٠ قرش الا انها لا رواج لها الان بين تجار البضائع في البلاد العثمانية فيبقونها محفوظة عندهم الى انتهاء هـذه الحرب ثم يصرفونها في شراء بضائع من البلاد التي يروج فيهـا الورق الاميركاني فيربحون منها ارباحاً عظيمة

— الورق النقدي وحالة مرتزقة الحكومة —

ارتفعت اسعار اكثر البضائع الوطنية في مدة طويلة من ايام هـذه الحرب الى عشرين ضعفاً عما كانت عليه قبلهـا . كان رطل الدقيق الجيد قبل الحرب يباع بثلاثة قروش فصعد سعره في اثنائها الى ستين قرشاً ذهبية او فضية . اما البضائع الغربية فمنها ما ارتفع سعره عشرين ضعفاً ومنها ما ارتفع اكثر من ذلك كالسكر فان سعره ارتفع قريباً من اربعين ضعفاً كان الرطل يباع منه قبل الحرب بسبعة قروش فبيع في اثنائها بنحو ثلاثمائة قرش وهكذا كان الحال في كثير من البضائع الغربية كالمنسوجات وانواع الحرير والعقاقير والبترول وغيرها . و بسبب

فلاء البضائع على هذه الصفة تضرر مرتزقو الحكومة من هبوط اسعار الورق اكثر مما تضرر به غيرهم . مثلاً كان المأمور المستخدم الذي راتبه الشهري ستمائـــة قرش اي راتبه كل يوم عشرون قرشاً اميريـــة وعياله سبعة اشخاص يعيش بهذا الراتب قبل هذه الحرب عيشة رضية لانه يكفيه في اليوم رطل من الدقيق قيمته ثلاثة قروش والباقي من راتبه وقدره سبعة عشر قرشاً يصرفها في باقي حاجاته من الادم والكسوة والوقود والاستصباح والحمام واجرة المنزل وغير ذلك من النفقات الضرورية . وكانت الحكومة تدفع ليرة الذهب العثماني على سعرهـــا الاميري وهو مائة قرش وقيمتها الرائجة في التجارة مائة وسبعة وعشرون قرشاً ونصف القرش فكان معاشه الشهري الذي هو ستمائة قرش يبلغ سبعمائة وخمسة وستين قرشاً رائجة والمعـــاملة بين الاهليين على السعر الرائج . فلما تنازل سعر الورق الى مقدار خمس قيمته صار هذا المسكين يأخذ راتبه من الحكومة ست ورقات سعر الورقة في التجـــارة عشرون قرشاً فكان معاشه عن الشهر كله يبلغ مائة وعشرين قرشاً رائجـــة وهي قيمة رطلين من الدقيق فقط لا يكفيه مع الاقتصاد اكثر من يومين فيضطر لاكمال باقي ضرورياته الى ان يبيع اثاث منزله ثم ثيابه وثياب عياله حتى يضطر للتسوءل وربما كان لخدمته تسلط على الناس فيضطره الحال رغماً عن عفافه ان يمد يده الى اخذ الرشوة واكل المـــال الحرام فيبطل الحق ويحق الباطل ولما بلغت الحالة بالمستخدمين هذه الغاية رأت الحكومـــة وجوب تلافي حالتهم بقدر ما يمكنها صوناً لشرفهـــا فشرعت تأخذ من

المزارعين عشراً ثانياً سمته المبايعة بقيمة تبلغ الربع والثلث من قيمته الحقيقية وتدفع للزراع هذه القيمة ورقاً على سعره الاميري واما باقي المأكولات والصابون ومادة الوقود فان الحكومة جعلت تشتريها من ذويها بقيمة تضعها من عند نفسها وتدفع لهم تلك القيمة ورقاً على سعره الاميري ايضاً ثم جمعت هذه الاموال في مكان ووظفت لتوزيعها على المأمورين موظفين وكتاباً يعطون المستخدمين من هذه الاموال مقدار ما يخفف ضررهم بقيمة تزيد على قيمتها التي اشترتها الحكومة بها شيئاً قليلاً وتأخذ منهم القيمة ورقاً من رواتبهم على سعره الاميري وسمت هذا العمل (ادارة الاعاشة) وبهذه الواسطة خف ضرر المستخدمين وصار يمكنهم ان يحصلوا مع الاقتصاد على ضروريات حياتهم . فكان المأمور يأخذ من هذه الادارة في رأس كل شهر قدراً معلوماً من الحنطة والبرغل والعدس والحمص والملح والسكر والقهوة والحطب والفحم والصابون والزيت والبترول فيبيع من هذه الاشياء ما يمكنه الاستغناء عنه بقيمته الحقيقية و يصرف القيمة في باقي حوائجه

جالية اهل المدينة المنورة --

وفي هذه السنة وهي سنة ١٣٣٥ قدمت علينا جالية اهل المدينة المنورة وهي في حالة يرثى لها قد تركت اموالها وامتعتها في المدينة المنورة وجاءت هذه البلاد في وقت غلت فيها اسعار الاقوات وارتفعت اجور المنازل وكان بين هذه الجالية اسر كريمة فيهم السادات والاعيان الذين كانت موائدهم في المدينة المنورة مبسوطة للصادي والغادي فلما وصلوا حلب

وليس معهم من المال سوى القليل اشتد عليهم الخطب والكرب رغماً عما كان يبذله لهم بعض الحلبيين الكرام من القرى والمعونات الى ان خصصتهم محاسبة الاوقاف بمبلغ من اموالها المشروطة لفقراء الحرمين المحترمين فخف عنهم بعض ما كانوا يجدونه من شظف المعيشة . كان اجلاء اهل المدينة المنورة عنها من جملة الامور التي نفرت قلوب العرب عن الحكومة العثمانية وكانت القلوب تزداد نفرة واشمئزازا حينما كنا نسمع من اولئك الجاليات اخبار مظالم القائد العسكري هناك وما فعله بالعوالى واهلها من الفظائع

— سقوط القدس في يد الانكليز —

وفيها تواردت الاخبار بان القدس الشريف وغيرها من بلاد فلسطين دخلت في حوزة الدولة البريطانية وان جيوشها تقدمت الى جهة السلط وغيرها من تلك الديار

— عزل جمال باشا وسفره —

وفيها وصل جمال باشا الى حلب معزولا من القائدية العامة والقى في بعض الاندية خطاباً اوهم به الناس انه لم يعزل وانما هو عازم على السفر الى الاستانة لبعض شؤن مهمة وانه عما قريب يعود الى وظيفته وكأنه اراد بهذا الأيهام بقاء مهابته في النفوس كيلا يجرأ احد على اغتياله . وكأن ولاة الامور في الاستانة ادركوا في ذلك الوقت اغلاطه وخطاياه في هذه الوظيفة فعزلوه ويا ليتهم كانوا يفهمون ذلك قبل ان يعضل الداء ويتعذر الشفاء

— تعيين نهاد باشا قائداً بدل جمال باشا —

وفيهـا قدم على حلب قائداً عاما بدل جمال باشا نهاد باشا وهو شاب جميل الطلعة بشوش الوجه دمث الاخـلاق متباعد عن مواضع الريبة ميال للخير تمني الناس ان لو كان ندب لهذه الوظيفة في اول الحرب اما الان فماذا عساه يفعل وقد اتسع الخرق على الراقع ونفذت سهام القدر ولم يبق في القوس منتزع

— سقوط بغداد في يد الانكليز واستيلاء روسيا على بلاد الاناضول —

وفيها تواردت الاخبار باستيلاء الجيوش البريطانية على بغداد وتقدمها الى جهة الموصـــل . وبان جيوش الروس استولت تباعاً على طرابزون وازروم ووان وبتليس وتقدمت نحو الموش وقلق اهل ديار بكر من قربهـــا اليهم

— هبوط اسعار الحبوب وعودها للارتفاع —

وفيها في ايام ادراك المحاصيل الزرعيـــة وورود الغلات الى حلب هبطت اسعار الحبوب هبوطاً بيناً فبيع الشنبل من الحنطة بستمائة قرش ومن الشعير بار بعمائة غير ان ذلك لم يدم سوى ايام قلائل حتى عادالسعر للارتفاع كما كان وسبب ذلك اقبال الالمان على احتكار الحبوب وشراؤهم اياها بالثمن الذي يطالبه صاحبها منهم غير مبالين بغلائها لا يهمهم شيءٌ سوى الحصول عليها باي ثمن كان . ولما رأى الوالي بدري بك ان الحب قد ارتفعت اسعاره حتى بيع شنبل الحنطة بالف ومائتي قرش خشي ان تمادي هـــذا الامر ان يعود سعر الشنبل الى الفي قرش فتخابر مع قواد

الالمان وكلفهم ان لا يباشروا بانفسهم شراء الحبوب كيلا يطمع بهم اصحابها فيرفعوا سعرها وانه يلزم نفسه بان يقدم لهم جميع ما يلزمهم منها على سعر ١٢٠٠ قرش فاجابوه الى ما طلب وفي الحال عين من قبله رجال درك فرساناً وارسلهم الى القرى في قضاء الباب وقضاء جبل سمعان وامرهم ان يشتروا من المزارعين شنبل الحنطة بسبعمائة قرش معدنية رضي صاحب الحب ام لم يرض وسمي هذا البيع والشراء (سربست مبايعه) اي بيع بالحرية فكان رجال الدرك الذين ارسلهم لهذه المهمة متى ظفروا بحنطة يأخذوها من صاحبها على هذا السعر رضي ام لم يرض ثم يحملوا ما يشترونه و يرسلوه الى المحل الذي عينه الوالي وهو يقدمه الى الالمان على سعر ١٢٠٠ قرش حسبما تعهد لهم فحصل من هذا العمل فائدتان فائدة خصوصية وهي ربح الوالي من كل شنبل خمسمائة قرش وفائدة عمومية وهي وقوف سعر الحب عند هذا الحد اذ لولا هذا العمل لكان سعر الحب يرتفع الى الفي قرش او اكثر . على ان الوالي الذي [illegible] بعشرات [illegible] الى [illegible] [illegible] [illegible] والفقراء من جهة الجادة يضجون و يصيحون بكلمة جوعان ومنهم من مات ومنهم من اسكته الجوع وظل يجود بنفسه في حضرته و يرى

هذه المناظر المفزعة فلا يتحرك فيه دم الانسانية بل تراه كأنه يتفرج على شيء تلذ به النفس لغرابة منظره

— تشدد العسكرية في القبض على الناس —

وفي هذه السنة اشتدت العسكرية في القاء القبض على الناس الذينهم من مواليد سنة ١٢٨٠ الى سنة ١٣١٥ رومية فكان رجال الدرك يمشون في الازقة والشوارع و يقبضون على الرجال بلا تفريق بين الرفيع والوضيع وكانوا متى روا شاباً يستوقفوه و يطلبوا منه وثيقته فيبرزها لهم فان كان بحسب تفرسهم به اهلاً لأن يستخرجوا منه شيئاً تعللوا عليه بقولهم هذه الوثيقة قد مضى حكمها او هي مغلوطة او ملغاة او يقولوا له تذهب معنا حتى نقدمها الى رئيس دائرة اخذ العسكر ليقيدها في سجله او يتعللوا عليه بغير ذلك من العلل الواهية فلا يرى المسكين بداً من ان يدفع لهم مقدار ما استحضره واعده لمثل هذه البلية من النقود ذهباً فصاعداً . هذه حالة اهل الوثائق مع رجال الدرك واما الذين ليس معهم وثيقة فاولئك ممن غضب الله عليهم فاستحقوا من رجال الدرك كل اهانة وتعذيب لانهم في الحال يوثقونهم في سلك الصفوف المسلسلة بالحبال و يسوقونهم اذلاء صاغرين الى محبس المركز الذي هو مغارة او مسجد قديم غير ان هؤلاء المسلسلين الذين ربما يبلغ عددهم نحو مائة شخص او اكثر لا يصل منهم الى محبس المركز سوى بضعة اشخاص وهم الذين لا يملك احدهم خمسة قروش يرشي بها زعيم رجال الدرك ليتخلص من قبضته فتزج هؤلاء الاشخاص في محبس المركز وتترك اياماً طويلة

وربما كان المحبوس غريباً وليس له من يسأل عنه من اهله فيقاسي انواع الجوع والبلاء لا تتركه العسكرية يخرج من محبسه ولا تأخذه للثكنة وتعسكره وتسوقه الى الجهة المعينة لمثله وربما بقي على هذه الحالة مدة اربعين او خمسين يوماً فيشرف فيها على التلف . وكان الناس يسمون رجال الدرك الذين يقبضون على الناس (اهل الجبله) فمتى احس بهم واحد من رأس السوق مثلاً ينادي الجبلة الجبلة فيعدو للهرب من لم يكن معه وثيقة . واشتهر من زعماء هؤلاء الرجال جماعة بالظلم والقسوة ونالوا ثروة طائلة من هذه المهنة وكان احدهم قبل الحرب لا يملك شيئاً وللناس فيهم زجلات مضحكة يتغنون بها في خلواتهم وكان هؤلاء الرجال يأخذون الرشوة من بعض الناس مشاهرة ويدعونهم في حوانيتهم وكانوا لا يبالون من التجاهر بأخذ الرشوة ولا يخافون من ان يطلع عليهم رؤساؤهم وبسبب ذلك كان الناس يعتقدون ان رؤساء هؤلاء الزعماء شركاء معهم . وان تشدد العسكرية في القبض على الناس قد اضرّ بهم ضرراً عظيماً لان اكثر مواليد السنين المذكورة كانوا يضطرون للاختفاء فيبقون من غير كد ولا كسب مع انهم اصحاب عيال واطفال فيبيعون ما عندهم من الاثاث والثياب ليصرفوا اثمانها في قوتهم الضروري ثم ينفذ ما عندهم فتضطر عيالهم للتسول وربما مات احدهم جوعاً . وكان عزمهم في الفرار من التجند مما يسمعونه ويشاهدونه من سوء حالة العساكر في مأكلهم وملبسهم وقسوة الضباط عليهم فيرون الموت في اوطانهم اهون عليهم من الموت في جنديتهم

— تظاهر المستخدمين بالرشوة وسلب الاموال الاميرية

وفي هذه السنة بعد ان سافر جمال باشا من هـذه البلاد وتحقق انه كاكه عنها الاشرار المستخدمون من الملكيين والعسكريين ازداد تجاهرهم بالرشوة والتسلط على اموال الناس والدولة فعم فسادهم وكثر فجورهم وكان المستخدمون في محطات السكك الحديدية اعظم الجميع تكالباً واشدهم شرهاً في سلب الاموال كانوا لا يمكنون تاجراً من شحن بضاعته الى جهة ما الا بعد ان يأخذوا منه رشوة مبلغاً يكفي شرههم والا قالوا له الشحن ممنوع وكان كثيرون من التجار تضطرهم الحال الى ان يشركوا معهم في ارباحهم معتمد المحطة المعروف باسم (القوميسير) والا بقيت بضاعتهم مطروحة على الارض وكثيرا ما كان القوميسير نفسه يتجر بالبضائع لحسابه فيشحن الى بيروت او دمشق او استانبول بضاعة من البضائع التي تربح كثيراً لان غيره لا يقدر على شحنها فيربح من تلك البضاعة ارباحاً طائلة يختص بها وحده وربما كان يشرك معه في هـذا الربح احد كبار الموظفين اسكاتاً له ويتحدث الناس عن احد القوميسيرية انه جمع مئات الوف من الليرات بواسطة هذه الوظيفة اما امراء العسكرية فجميعهم الا قليلاً منهم لم يألوا جهداً بسلب اموال الدولة والرعية منهم من كان متسلطاً على متعهدي الارزاق العسكرية ومنهم من كان موكولاً اليه شراء الدواب او غيرها من لوازم الحرب ومنهم من كان مأموراً بالديوان العرفي او معيناً كناظر على استلام الحبوب او الدقيق او الخبز او الحطب او غير ذلك من الخدم والوظائف التي لاصحابها سلطة ونفوذ في جماعة

التجار او الزراع او الصناع فكان كل واحد من اولئك المأمورين لا يمضي وصلاً ولا يصدق على عمل من هذه الاعمال الا بعد ان يأخذ القدر الذي يرغبه ويرضيه وكان الموظفون على اهراء الحبوب العشرية لا يتسلمون الحب ممن يقدمه اليهم الا مغربلاً خالصاً من كل غش ويأخذون منه الثمانية عشرة ثم يخلطون الحب تراباً ومدراً عشرة او عشرين في المائة وحين تسليمه ينقصون وزنه عشرة او عشرين في المائة يفعلون هذا علناً دون مبالاة من احد لان من يخافون سيطرته عليهم قد سدوا فمه واعموا عينه بمقدار ما يرضيه من المال مهما كان كثيراً لان الاهراء قد يزيد فيه من الغلة نحو الف شنبل او اكثر فاذا فرضنا ان حافظ الاهراء باع كل شنبل بخمسمائة قرش يحصل في يده من النقود ما مجموعه نصف مليون من القروش وهو مبلغ كبير يشبعه هو وآمريه والخلاصة ان كل مستخدم في الملكية او العسكرية من كبير وصغير سوى قليل منهم قد جمع في ايام هذه الحرب ثروة مدهشة طغى من اجلها وبغى وامتطى خيول السرف والترف ومشى في الارض مرحاً وتمنى ان تمتد مدة هذه الحرب ما دام حياً وكنت اذا مررت على حوانيت صاغة الحلي تراها غاصة بنساء الضباط والامراء والموظفين فكان الصاغة يشتغلون في الليل والنهار ولا يتاح لهم ان يقدموا الحلي الى طلابه في الوقت المطلوب . وكان كثير من الموظفين الموكلين على الارزاق العسكرية يقصدهم التجار سراً ويشترون منهم انواع البضائع بابخس الاثمان

قلنا ان ازدياد التجاهر بالرشوة كان بعد انفكاك جمال باشا عن هذه البلاد واما قبل انفكاكه عنها فكانت الرشوة اقل من ذلك بكثير بالنسبة الى ما وجدت عليه بعد رحيله وهذا مما يجب ان يعد من جملة حسناته

سنه ١٣٣٦

— اشتداد الجوع وجمع اعانة للفقراء —

كانت الامطار في شتاء السنة الماضية قليلة جداً بحيث يئس الناس من حياة الزروع فارتفع سعر شنبل الحنطة في حلب الى الفي قرش كما اشرنا الى ذلك قريباً واشتد الخطب على العجزة والضعفاء والفقراء واصبح كثير من الناس يقتاتون بالحشيش يسلقونه و يأكلونه فتزن سوقهم و يموتون ومنهم من يقتات بقشور البقول والفواكه وثفل النشا المعروف بالدوسة والعظام و بعض الجزارين يخالط لحوم الحمير بلحوم الغنم و يغش بها الناس وصار الجوع يفتك بالفقراء فتكاً ذريعاً وقد ملأ ضجيجهم الفضاء فكان الانسان يتألم من صياحهم وتضورهم خصوصاً حينما كان يشاهد بعض موتاهم جثثاً هامدة في الازقة والشوارع رجالا ونساء واطفالاً الامر الذي اثار الحمية وازكى نار المروءة في افئدة جماعة من اهل النشاط والوجاهة فسعوا بتأليف جمعية خيرية تهتم بجمع اعانة نقدية من اهل الخير تصرفها في قيمة خبز تفرقه على المعوزين المذكورين فما مضى غير ايام قليلة حتى بلغ ماجمع من هذه الاعانة نحو خمسة وعشرين الف ورقة مائة و كان سعر الورقة في التجارة نحو ثلاثين قرشا ثم ان هذه الجمعية اخذت المدرسة الشعبانية والقرناصية والاسماعيلية وغيرها من الاماكن

وحشدت فيها المعوزين من النساء والاطفال ليس الا وجعلت الجمعية تفرق على كل واحد منهم رغيفين في اليوم وقد بلغ مجموعهم نحو الفي نسمة وهذا العدد بالحقيقة يقدر بثلث عشر فقراء مدينة حلب فان عددهم يقدر بتلك الايام بستين الف فقير من المسلمين فقط اما فقراء الطوائف المسيحية والاسرائيلية فكان يقدر عددهم بنحو عشرة الاف فقير وكانت الجمعيات الخيرية من هاتين الطائفتين تقدم لهم اقواتهم الضرورية على حسب امكانها ولم يكن في وسع الجمعية الاسلامية المذكورة ان تقوم بكفاية جميع فقراء المسلمين . وقد استمر هؤلاء الفقراء من المسلمين يتناولون هذه الجراية الى ان نفدت نقود الاعانة وكان الموسم قد اقترب وهبط سعر الشنبل من الحنطة الى ١٤٠٠ ومن الشعير الى ٦٠٠ قرش وتبين ان المحل كان في الجهات القبلية فقط وهي جهة العيس والاحص وقضاء المعرة اما في الجهات الشرقية وهي قضاء الباب ومنبج فقد كان المحل فيها اقل فتكاً لان الشنبل من البذر حصل مثله وفي جهتي الشمال والغرب حصل الشنبل من البذر ضعفه او ثلاثة امثاله . والخلاصة ان المدة المجموعة من اواخر سنة ١٣٣٥ واوائل هذه السنه وهي ١٣٣٦ لم يمر بها ايام اشد الحروب صعوبة ولا اكثر موتاً بالجوع منها

— سقوط السلط و يافا وغيرها —

وفيها تواردت الاخبار الموثوقة باستيلاء الجيوش الانكليزية العربية على السلط و يافا وغيرها من تلك الجهات وتقدموا الى جهة درعا

— عود البرنس عبد الحليم الى استانبول —

وفيها عاد البرنس عبد الحليم افندي احـد افراد الاسرة العثمانية من جهة فلسطين متوجهاً الى استانبول

— استقراض داخلي —

وفيها فتحت الحكومة اكتتاب استقراض داخلي قدره ثلاثون مليونا من الليرات الورق النقدي بفائض خمسة في المائة في السنة على انهـا تقبـل الورق العثماني على سعره الاميري وتدفع عن كل مائة ورقة خمسة ليرات ذهب فائضاً على قسطين الاول بعد ستة اشهر من تاريخ اخـذ القرض والثاني بعد ستة اشهر اخرى فلم يقبل الناس على هـذا القرض اقبالا يستحق الذكر لعدم ثقتهم بالحكومة وفي شتاء هذه السنة كانت الامطار كثيرة و كان الخصب عظيماً الا ان الغلات كانت قليـلة بسبب قلة البذر

— انكسار روسيه —

وفيها توالدت الاخبار البرقية بان جيوش الالمان قد كسرت جيوش الروس شر كسرة ومزقتها كل ممزق واحتلت قسماً كبيراً من بـلاد الروس وان المانيا قد اكرهت روسيا على ان تخضع لها وتعقد معها صلحاً يخدم مصلحة الالمان وقد قسمت مملكة الروس بين الامم القاطنة فيها وجعلت كل عنصر منها حكومة مستقلة تحت رايتها وكان هذا الظفر لالمانيا برهاناً قاطعاً على انها ستخرج من هذه الحرب ظافرة لان قواتها حينما كانت متبعثرة في جبهة روسيا كانت هي الغالبة في الجبهة

الغربية فما ظنك بها الان وقد توفرت لديها تلك القوات المهولة وصار في امكانها ان تحشدها كلها في الجبهة الغربية

— ترخيص الحكومة بنقل الذهب

وفيها في شعبان رخصت الحكومة بنقل النقود الذهبية من بلدة الى اخرى داخل المملكة العثمانية

-- وفاة السلطان رشاد —

وفيها في يوم الاربعاء رابع وعشرين رمضان اطلقت المدافع من القلعة والقشلاق العسكري اعلاماً بوفاة المرحوم السلطان محمد رشاد الخامس وجلوس السلطان محمد وحيد الدين على عرش السلطنة العثمانية

— عزل بدري بك والي حلب وتولى عاطف بك —

وفيها في شوال عزل بدري بك عن ولاية حلب وخلفه عاطف بك

— انكسار بلغاريا —

وفيها وردت الاخبار بالبرق العثماني ان حكومة بلغاريا قد انكسرت شر كسرة واضطرت ان تسلم لعدوتها دولة اليونان وان الطريق الذي يوصل برلين بالاستانة قد سده البلغار فتعذر وصول الامداد بالسلاح والذخائر الحربية التي كانت تأتي الى الاستانة من برلين والنمسا وكانت هذه البلية من اعظم اسباب انكسار الجيوش الالمانية في البلاد الشامية واخلاد تركيا الى القاء سلاحها امام الدولة البريطانية

— فحص فضلة المسافر —

وفي شعبان هذه السنة اعلنت الصحية في حلب بان كل من يريـد

السفر على قطار الشام و بغـداد الى جهات دمشق و بيروت والاستانة وغيرها من البلاد والنواحي الـتي على هذين الخطين عليه ان يأخذ من دائرة الصحية وثيقة (پورتور) اي براءة تشعر بسلامته من الامراض الوبائية واذا لم تكن معه هذه الوثيقة يمنع من السفر الى تلك الجهات ·
فكان كل من اراد السفر على قطار سكة الحديد ذكراً كان ام انثى يحضر الى مكان الصحية فيدخله خدمها الى الخلاء و يدفع له قارورة صغيرة لهـا سداد ومعهـا ملوق صغير يكلفه بان يأخذ شيئاً من فضلته و يضعه في القارورة فيفعل و يعيد القارورة الى الخادم فيكتب اسمه عليها و يأخذها الى محل التحليل و بعد يوم او يومين يعود هذا الانسان الى مكان الصحية فيأخذ الوثيقة المذكورة ان كان تبين ان فضلته نقية من مكروب مرض و بائي والا منع من السفر واخـذ الى المستشفى وكان كثير من الناس يستهجنون هذا العمل ولا تطاوعهم نفوسهم على اجرائه فكانوا يأخذون الوثيقة شراء بريالين او اكثر على حسب تحملهم و بذلك فتح للصحية باب جديد من الرزق ونصب شرك آخر لعرقلة مساعي من اراد السفر لانه كان يناله تعب زائد في الحصول على تلك الوثيقة علاوة على ما كان يناله من التعب في الحصول على اجازة السفر التي يجب عليه ايضاً ان يأخذها من جهة شرطة مخفر محلته

— انسحاب الروس من بلاد الاناضول —

وفيها ورد الخبر بالبرق العثماني ان عساكر الروس قد انسحبوا من بلاد الاناضول التي كانوا استولوا عليها في اواسط هذه الحرب وهي ازروم

ووان و بتليس وانسحبوا ايضاً عن طرابزان واخلوا الباطوم وغيرهما من البلاد العثمانية التي كانوا احتلوها في جهات ققفاسيا في الحروب الاخيرة الغابرة مع تركيا

— عود الشريف حيدر باشا الى الاستانة —

وفيه قدم من جهة دمشق الى حلب حضرة الشريف علي حيدر باشا عائداً الى الاستانة ·

— تقدم جيوش الانكليز والعرب في جهات درعا وانهزام المستخدمين —

في شهر ذي القعدة من هذه السنة تواترت الاخبار بتقدم جيوش الانكليز والعرب في جهات درعا وان القوة المعنوية في الجيوش التركية الالمانية قد انكسرت واستولى عليها اليأس ففارق ليمان باشا الالماني مكانه وتوجه الى جهة استانبول و كان معاوناً في القيادة الحربية جمال باشا الصغير الذي هو قائد الجيش المحارب وهو غير جمال باشا القائد العام ثم فارق جمال باشا الصغير الجيش ايضاً ولحق بليمان باشا وبعده طفق المستخدمون والموظفون من ملكيين وعسكريين في البلاد الساحلية ودمشق وغيرها يتركون وظائفهم و يرحلون افواجاً الى استانبول وغيرها من البلاد التركية خوفاً من استيلاء جيوش الانكليز والعرب عليها ووقوعهم اسرى في ايدي المحتلين او قيام الاهليين عليهم انتقاماً من اساءتهم اليهم

— استبدال والي حلب عاطف بك بمصطفى عبد الخالق بك —

وفي ذي الحجة من هذه السنة عزل والي حلب عاطف بك وخلفه

مصطفى عبد الخالق بك وهذه ولايته الثانية فوصل الى حلب في اليوم الخامس والعشرين من هذا الشهر مجرداً عن عياله ونزل في فندق البارون

سنة ١٣٣٧

جلاء الموظفين من اماكنهم

في اوائل محرم هـذه السنة وصل الى حلب جمهور من الموظفين والمستخدمين فراراً من وقوعهم اسرى في قبضة المستولين قادمين من دمشق و بيروت وغيرهما من البلاد السورية والساحلية التي قرب استيلاء الجيوش الانكليزية العربية عليها متوجهين الى استانبول والاناضول وكان مع هؤلاء الموظفين اهلهم من النساء والاطفال فازدحموا في سكة حديد بغداد وظل الكثيرون منهم عـدة ايام تحت السماء بلا غطاء ولا وطاء فنالهم من المشقة مالا مزيد عليه ·

— خبر سقوط دمشق وتشتت شمل الجيوش العثمانية —

يوم الثلاثا ثالث يوم من محرم هذه السنة وصل الخبر الى حلب بانه في ظهيرة يوم الاثنين ثاني يوم من الشهر الحالي استولى على دمشق الشام عرب الشريف الذينهم في مقدمة جيوش الدولة البريطانية وكان السواد الاعظم من موظفي تركيا فيها قد خرجوا منها قبلاً كما ذكرناه آنفاً وحين دخول العرب اليها اقيم احد كبراء اولاد المرحوم الامير عبدالقادر الجزائري مقام الوالي ليقوم بادارة توطيد الامن والسلام في المدينة ريثما يحضر اليها من قبل الشريف حسين ملك العرب من يتسلم زمام ادارة امورها وقد ارتاع الناس في حلب من هذا الخبر وعجبوا من سرعة سقوط

هذه المدينة العظيمة في اقرب وقت وكانوا يقولون انها لا يمكن سقوطها باقل من سنة وقد تشتت شمل الجيوش العثمانية الالمانية في جهات درعا ومزقوا كل ممزق ما بين اسير وقتيل في الحرب وضائع ومتردد ومقتول من قبل عرب البوادي وسكان القرى المتوسطة بين دمشق ولبنان وبعلبك وكانت جبهة الحرب في جهات درعا وهناك كانت هزيمة جيوش الاتراك ومن معهم من الالمان وكان سبب انكسارهم الفجائي الذي لم يكن في الحسبان التفاف العرب عليهم من ورائهم بقطع مسافة من الصحراء في مدة لا يمكن للجيوش الانكليزية ان تقطعها فيها لكثرة اثقالها التي لا تحملها تلك الرمال في هاتيك المفاوز وبسبب هذا الالتفاف اصبح الجيش التركي بين نارين نار الانكليز ونار العرب فانقطع عليه خط الرجعة وعول على الهزيمة . وقد غنمت جيوش انكلترة من الاقوات والمهمات الحربية وغيرها ما يعجز عنه قلم الاحصاء

— سقوط رياق —

هذا ولم يمض غير ايام قلائل على سقوط دمشق حتى شاع في حلب ان الالمان قد يئسوا من الظفر بعدوهم فاحرقوا محطة رياق بما فيها من الذخائر والمهمات وكانت شيئاً كثيراً ونسفوا شبكتها الحديدية وتقدموا الى جهة بعلبك وجاء العرب على اثرهم واستولوا على رياق

— انتهاء صحيفة الفرات —

وفي اليوم الخامس من محرم هذه السنة كان ختام حياة صحيفة الفرات وآخر نسخة صدرت منها في هذا اليوم كان عددها (٢٠٤٢)

— ابطال القبض على العساكر —

وفي هذا اليوم صدر امر القائد العسكري العثماني بحلب بابطال القاء القبض على العساكر الفارين فسر الناس من ذلك سروراً زائداً لتخلصهم من هذا البلاء الذي كان خارجاً عن طاقتهم

— حدوث فزع في حلب —

وفي يوم الجمعة سادس محرم وقع الذعر في سوق مدينة حلب فاغلقت الدكاكين والخانات وهجم الناس متزاحمين يعدون كالسيل الجارف وكان سبب هذا الذعر طلقة من غدارة خرجت على غير قصد في يد واحد من سوق البز المعروف بسوق البالستان فاصابت شاباً من بيت ونس فقتلته في الحال فظن الناس ان هذه الطلقة من جهة الجنود التركية او الالمانية الذين وصلوا الى حلب مع ان الجنود المذكورين لم يصلوا الى حلب الا بعد ستة عشر يوماً كما يأتي بيانه . وفي يوم السبت والاحد وقع نظير ذلك الذعر في السوق المذكور وكان سببه قيام جماعة من السفلة والغوغاء للنهب والسلب وهم من العساكر الفارين الذين خرجوا من مخابئهم امنين غائلة القبض عليهم وحينئذٍ ادرك الاهلون والحكومة ان ابطال قضية القبض على العساكر الفارين مضرة بالمصلحة العامة فاعيد القبض وبطل الخوف من السفلة والمتشردين

— نسف محطات وسقوط حمص وحماه وغيرهما —

وفي هذه الايام وردت الاخبار من جهات حمص وحماه بان الجنود التركية والالمانية حملهم اليأس من مقاومة جنود العرب والانكليز على

ان يحرقوا جميع المحطات بين رياق وحلب و ينسفوا شبكاتها الحديدية و يهدموا سائر ما في هذا الطريق من الجسور و ينسحبوا الى جهة حلب وان العرب اتوا على اثر انسحابهم واستولوا على حمص و بعلبك وحماه

— خوف الجنود التركية وموظفي حكومتها وارتحالهم من حلب —

وفي هذه الايام وقع الخوف في حلب وشاع ان العرب يصلون اليها يوم الجمعة عشرين محرم فأخذت الجنود التركية الالمانية والجم الغفير من موظفي الحكومة العثمانية يسرعون الرحيل من حلب الى جهات استانبول والاناطول خوفاً من وقوعهم اسرى في قبضة الانكليز او من تسلط اهل البلد عليهم انتقاماً منهم على ما كانوا يفعلونه معهم في اثناء هذه الحرب من المظالم وانواع التعدي فازدحم في محطة بغداد موظفو حلب مع موظفي دمشق و بيروت وحمص وحماه وغيرها من البلاد الشامية والساحلية ومعهم نساؤهم واطفالهم وقاسوا في برهة ليلتين مرت عليهم هناك وهم تحت السماء من الجهد والبلاء ما لا يعلمه الا الله تعالى و كان الرجل العظيم من هؤلاء الموظفين يرضى ان يتيسر لركوبه ولو حافلة دواب حتى ان قاضي حلب سليمان سري افندي ركب في حافلة دواب وعد ذلك نعمة عظمى

— تحليق طيارات الانكليز في سماء حلب —

بعد سقوط دمشق بايام قلائل بدأت طيارات الانكليز لأول مرة تحلق في سماء حلب لاكتشاف مواقع الجنود العثمانية في ضواحي حلب والالمانية في جهات قرية المسلمية فكان هؤلاء الجنود كلما علتهم طيارة

يطلقون عليها كرات مدافعهم فلا تعمل فيهـا شيئاً وفي يوم من الايام حلق في سماء حلب خمس طيارات في آن واحد فكثر اطلاق المدافع عليها والقت طيارة منها قنبلة وقعت على مقربة من محطة بغـداد وانفجرت فقتلت ستة عشر انساناً وجرحت اربعين وقتلت عدة دواب

— مقدمات سقوط حلب —

يوم الاربعاء ثامن عشر محرم حضر والي حلب العثماني مصطفى عبد الخالق بك الى دار الحكومة ودعا اليه جماعة من وجهاء حلب وعلمائهـا واخبرهم بان حلب تسقط عما قريب وانه عازم على البقـاء في حلب الى ما قبل سقوطها بثلاث ساعات وانه يصرف منتهى جهـده على حفظ الامن والسلام مهما كلفه ذلك من الخطر على نفسه غير انه يطلب من الوجهاء واهل البلدة ان يساعدوه على تنفيذ هـذا الغرض وان يختاروا منهم رئيساً عليهم ووالياً وقتياً الى مجيء عساكر الشريف اليهم فانتخبوا منهم سبعـة اشخاص انتخبوا واحداً منهم رئيساً عليهم كوكيـل والٍ وقتي

— الهدنة بين انكلترا وتركيا —

وفي هذا اليوم وردت الاخبار البرقية تفيد انه حصل بين دولة انكلتره ودولة تركيا هدنة الى مدة ستة وثلاثين يوماً فسر الناس من ذلك الخبر سروراً عظيماً

— اطلاق المحابيس —

وفي ليلة الخميس تاسع عشر محرم حضر قائد الدرك المسمى عند الدولة

العثمانية (قومندان الجندرمه) الى محـل المحابيس وامر افراد الدرك الموكلين بحفظ المحابيس بان يتركوا خدمتهم و يتوجهوا الى حيث شاوا ففعلوا ما امرهم به وتركوا السجون خالية من الحرس وكان فيها ما يربو على الف وخمسمائة مسجون وسمع ذلك رجال الدرك والحرس والشرطة الموظفون في المخافر لحفظ الامن فتركوا مخافرهم وتوجهوا الى منـازلهم . ولما سمع هذا الخبر المجلس الذي امر بانعقاده الوالي العثماني ظن ان الوالي هو الذي امر قائد الدرك بذلك وان الحكومة العثمانية قـد انسحبت وتخلت عن حفظ البلدة فاهتم المجلس بتأليف قوة من اهل البلدة لتقوم بحفظها ريثما تدخل الحكومة الجديدة

— صدور امر الوالي بحل المجلس الذي امر به

وفي صباح يوم الخميس تاسع عشر محرم الجـاري دعا الوالي العثماني عبدالخالق بك رجال المجلس الذي امر بانعقاده وانكر عليه سعيه بتأليف القوة المحافظة واخبره بان الحكومة لم تنسحب بعد من حلب وانه انمـا امر بهذا المجلس ليتذاكر معه في بعض الشؤون التي بواسطتها يتم استتباب الامن والراحة حتى تدخل الحكومة الجديدة وان القائد العثماني يقول ان حفظ البلدة من خصائصه وانه لا يرضى بتأليف قوة من اهـل البلد لاجل حفظها الا اذا جعلت هذه القوة تحت امره ونهيـه . و بالحقيقة ان الوالي والقائد اساآ الظن بهذا المجلس وتوهما ان القوة التي يؤلفها ربما اوقعت بهما و ببقايا الاتراك من المأمورين والعساكر الذين لم يتمكنوا من الجلاء مع ان ذلك لم يخطر على بال احد من اهل حلب الذين مـا

برحوا الى ذلك الوقت يهابون الاتراك و يحترمونهم

— اشتداد الخوف وقيام الاسافل للنهب —

انسحب المجلس الوقتي لما سمعه من الوالي وضرب الصفح عن جمع القوة المحافظة التي لا ترضي ان تكون تحت امر القائد ونهيه وانسحبت الحكومة العثمانية لان جميع رجال دركها وشرطتها استولى عليهم الخوف فتركوا وظائفهم والجنود النظامية لا يوجد منهم في المدينـة سوى خمسين او ستين جندياً لا يمكنهم التجوال في البلدة لحفظ الامن فيها لانهم واقفون بالمرصاد للدفاع عن الوالى والقائد اذا تعرض اليهما احد من الارمن واهل البلدة او غيرهما و باقي الجنود النظامية قد توجهوا الى جبهـة الحرب المصطفة تجاه جنود العرب والانكليز في نواحي الراموسة وقريـة خان طومان والشيخ سعيد فـلم يبقَ في البلدة قوة تحفظ الامن والسكينة واصبح الناس في هذا اليوم وهو يوم الخميس فوضى لا حاكم ولا رادع لهم فقام الاسافل من كل ملة وانضم اليهم زعانف الاعراب المجاورين لحلب وهجموا كالسيل الجارف على مستودعات الجنود التركية والالمانية والثكنة العسكرية القديمة المعروفة بالشيخ يبرق والحديثة الكائنة على جبل النختي وعلى مكاتب الحكومة ومستشفيات الجنود ونهبوا جميع مـا وجدوه في هذه الاماكن من السلاح والقـذائف والاقمشة والحبوب والمنسوجات والصوف والقطن وانواع الحديد والاخشاب والصابون والرز والسمن والزيت وكان شيئاً كثيراً واقتلعوا اغلاق هذه الاماكن ورفوفها ونهبوا صناديقها وكتبياتها وما في ذلك من السجلات والدفاتر

التي لا فائدة لهم منها سوى جلودها فاما ما فيهـا من الاوراق فكانوا ينثرونها و يطرحونها تحت اقـدامهم · و كان بعض هؤلاء الاوباش يدخلون المستشفى و ينهبون جميع ما فيه ثم يطرحون المرضى عن اسرتهم و يأخذون مفارشهم ور بما جردوا المر يض من ثيابه وتركوه مطروحاً على الارض وقد بيعت غدارة المرتين بخمسة قروش وصندوق القذائـف المعروفة بالخرطوش بقرشين فاستولى الخوف على القلوب واسرع التجار الى اغـلاق حوانيتهم خوفاً من هجوم الاشقياء عليهم وامسى الناس في امر مريج لا يأمن الانسان على نفسه وماله من التفات هؤلاء الاسافل الى منزله ونهب ما فيه والتعرض الى حرمه

— انفجار لغم —

و بينما كان الناس على هذه الحالة المكر بة اذ سمع وقت الغروب هزيم انفجار صمت له الآذان كأنه صوت مائة صاعقة انقضت في آن واحد فانخلعت القلوب هلعاً وارتعدت الفرائص واهتزت ارجاء البـلدة وجدرانها وتحطم كثير من زجاج النوافذ وظن الناس لاول وهلة ان القائد العسكري بدأ باطلاق كراة المدافع على البلدة ليخربها فايقنوا بالهلاك ثم ظهر ان هذا الهزيم هو صوت انفجار مستودع بارود قـديم في الثكنة العسكر ية كانت العساكر التركية وضعت فيه لغماً انفجر بيد احد الناهبين وحينئذ اطمأن الناس من جهة خراب البلدة ولكنهم ما زالوا خائفين من بعضهم و كان اراذل الناس وغوغاؤهم الذين نهبوا السلاح من المستودعات يطلقون هذه الليلة في منازلهم عياراتهم النار ية على صفة لا تنقطع فكنت

تسمع في الدقيقة الواحدة صدى الوف من الطلقات

— سقوط حلب —

يوم الجمعة عشرين محرم (١٣٣٧) الموافق ١٢ تشرين الاول سنة ١٩١٨ م و ٢٩ ايلول سنة ١٣٣٤ شرقيه اصبح الناس وعيونهم لم تذق الغمض وهم خائفون وجلون والاو باش عادوا الى ديدنهم الاول من النهب والسلب وبعد ان نهبوا المكتب الرشدي العسكري الكائن في شمال مستشفى الغرباء تحت القلعة القوا في قسمه الشمالي النار فاحترق ولم يبق في البلدة حاكم ولا رادع وكنا نسمع في كل برهة من الزمن فرقعة الوف من البنادق فكنا نظن انها فرقعة بنادق المتحار بين من الجنود التركية والانكليزية عند قرية الراموسة ثم تبين ان هذه الفرقعة هي صدى المواد النارية التي تحرقها الجنود التركية والالمانيــة في المحطات ومستودعات الاعتاد الحربية وكان بعض الناس يسمع دوي المدافع التي يطلقها جنود الاتراك والانكليز على بعضهم قرب خانطومان

— قدوم عرب العنزه الى حلب —

وفي عصر هذا اليوم اقبل على حلب من جهة باب النيرب طائفة من عرب العنزة الذين يرأسهم الشيخ مجحم المهيدي وكان موالياً للحكومــة العثمانية وفي الايام الاخيرة اعطته مبلغاً وافراً من النقود والسلاح وكلفته القيام بحراسة اطراف البلدة وبعض القرى المجاورة لهـا وحفظ بعض مدخرات الحبوب الكائنة في القرى كقرية الجبول وقرية دير حافر وغيرهما ثم في هذه الاثناء قبضت الحكومة على بعض اشخاص من عشيرة

الشيخ مجحم فاغتاظ من هذا العمل الا انه كظم غيظه فلما كان عصر هذا اليوم علم ان عرب الشريف قد اقتربوا من حلب وان العساكر التركية قد انسحبوا منها الا قليلاً منهم امر عشيرته وكانوا زهاء ثلاثين فارساً ان يهجموا على سجون حلب ويفتحوا ابوابها ويطلقوا منها سراح جميع السجناء ففعلوا ذلك وكان بين الجماعة المهاجمين غلام من انسباء الشيخ مجحم اصابته رصاصة من حارس السجن فوقع قتيلاً فهجم العربان على الحارس فهرب منهم الى سطح دار الحكومة فتبعوه وقبضوا عليه وقطعوه ارباً ثم ساروا الى جهة باب الفرج حيث منزل العساكر التركية كأنهم ارادوا نهب المنزل واستئصال من فيه من العساكر فلم يشعر العرب الا وقد تجرد اليهم عدد وافر من الجنود التركية ورموهم بالرصاص فقابلهم العربان بالمثل وقتل من الطرفين بضعة اشخاص ثم تغلب الاتراك على العرب بواسطة ما لديهم من المدافع الرشاشة فولى العرب منهزمين وقد استوحشت الجنود التركية وظنت ان اهل البلدة يريدون الهجوم عليهم فوقف منهم بضعة اجناد في جهات باب الفرج وصاروا يرشقون برصاصهم كل من رؤه ماراً من تلك الجهة فقتلوا بعض المارة وكانت الشمس قد مالت الى الغروب

— جلاء الوالي والقائد والجنود التركية عن حلب —
ودخول عساكر الشريف حسين اليها

وفي ذلك الوقت سار الوالي مصطفى عبد الخالق بك والقائد العسكري مصطفى كمال باشا الى جهة محطة بغداد واختبآ في بعض جهاتها وعلى

اثر مسيرهما الى المحطــة وقت الغروب اقبل على حلب من جهة قارلق عرب الشريف حسين ملك العرب وهم دون مائــة عربي ما بين فارس وهجان يرأسهم الشريف مطر نائب الشريف ناصر وكيل حضرة الامير الملكي الشريف فيصل نجل الشريف حسين وفي ذلك الوقت تحقق الناس ان الشريف قد استولى على حلب وخرجت من يد بني عثمان بعد ان بقيت تحت استيلائهم مدة اربعمائــة وخمس عشرة سنة فسبحان مالك الملك يؤتي الملك من يشاء و ينزع الملك ممن يشاء . ومن الصدف الغريبة ان استيلاء الدولة العثمانية على حلب شبيه باستيلاء الدولة العربية عليها من جهة ان كلتا الدولتين اخذتها صفواً عفواً دون حرب ولا ضرب كما ان الناس في جميع هذه البلاد اغتبطوا بهذه الدولة وفرحوا بتخلصهم من بغي قادة الجنود العثمانية وظلمهم كذلك كانوا اغتبطوا بقدوم المرحوم السلطان سليم خان عليهم لتخلصهم من ظلم قادة جنود الغوري سلطان الدولة الجركسية

- عزم المأمورين الراحلين على استصحاب السجلات --

لما عزم الموظفون الاتراك على الرحيل من حلب اراد كل موظف منهم ان يأخذ معه الاوراق والسجلات التي كانت في محل ادارته فاوعبها في الجوالق وطلب من يحملها الى محطة بغداد فلم يتيسر له احد وكان الخوف قد سطا عليــه فتركها ومضى الى حال سبيله ولو اخذت هذه السجـلات لتضرر كثير من اصحاب المصالح خصوصاً سجلات الدفتر الخاقاني . على ان كثيراً من سجلات غير هذه الدائرة فقــدت بسبب

دخول الاوباش الى دار الحكومة في يوم الجمعة قبل دخول الشريف مطر اليها بقليل من الزمن فظفروا بدفاتر جباة الاموال واتلفوها عن آخرها وكانوا يأخذون جلودها ويطرحون ما فيها من الورق في الارض ويعثرونه بارجلهم : هذا ولما وصل الشريف مطر وعربه الى حلب ليلة السبت الحادية والعشرين من محرم الجاري نزل في دار الحكومة فجلس على بساط فتح له على ارض البهو الذي يؤدي اليه الدرج الكبير ونزل عربه في صحن دار الحكومة وحفروا في الارض نقرا اشعلوا فيها النار لطبخ قهوة البن يسقون منها الواردين على الشريف للسلام وعرض الاحترام وقد تحقق الناس استيلاء الحكومة الجديدة على حلب الا ان الخوف مع ذلك استولى على الناس من فتك الاسافل وبقايا الجنود التركية وخلت الازقة من المارة وبات الناس في قلق وخوف لا مزيد عليه نظير ما باتوا عليه في الليلة البارحة او اشد وكان الوف من الاوباش يطلقون عياراتهم النارية من منازلهم تخويفاً لمن يتوهمون انه يهجم عليهم مع ان الخوف في تلك الليلة قد شمل الجميع . ولما علمت بقايا الجنود التركية ان عرب الشريف قد دخلوا حلب ونزلوا في دار الحكومة مشى منهم نحو خمسين جنديا على دار الحكومة للايقاع بالعرب ولما وصلوا الى دار الحكومة هجم عليهم العرب فولوا منهزمين ولو ثبتوا قليلاً لافنوا العرب عن آخرهم الا انهم خافوا ان يأتيهم من ورائهم كمين من اهل البلد فيقعوا بين نارين فعادوا من حيث اتوا

— سفر الوالي والقائد التركيين —

وفي الساعة الثانية من هذه الليلة ركب القطار القائد العسكري العثماني ومصطفى عبد الخالق بك الوالي العثماني الارنوطي الاصل وهو شاب صبيح الوجه في سن الخامسة والثلاثين ذكي حسن التفرس متدين امين ذو شفقة ومرحمة بذل ما في وسعه من الجد والجهد في ولايته الاولى ايام هذه الحرب في ملاطفة الفقراء وتوفر الاقوات فخفف عنهم الآلام الجوع ولم يمت احد في ايام ولايته جوعاً . ولما ولي حلب في هذه المرة حضر اليها مجرداً عن عياله ولم يأل جهداً في تلطيف ما نزل بحلب من الشدائد التي من جملتها ظلم الجندية واستبدادهم موقناً ان الحلبيين لا غائلة تخشى منهم على الاتراك فآلى على نفسه ان يبقى في حلب الى آخر ساعة من ايام الحكومة العثمانية غير مبال بما عساه ان يناله من الخطر الذي لا يوجد من يدفعه عنه من رجال الدرك والشرطة لتركهم وظائفهم واستيلاء الخوف عليهم . وقد قصد من بقائه في حلب الى المدة الاخيرة ردع الاوباش والاسافل عن قيامهم على بقايا المأمورين الأتراك وعلى ضعفاء الاهلين ليسلبوا اموالهم و يعيثوا في اعراضهم . على انه وان كان لا يوجد معه من يحامي عنه من رجال الدرك والشرطة الا ان مجرد علم الاسافل بوجوده يردعهم عن تنفيذ نواياهم الخبيثة ولعلمهم ايضاً بان بقايا العساكر العثمانيين لا تتخلى عن تنفيذ اوامره عند اقتضاء الحال

— محاماة الوالي عن حلب تجاه القائد —

وله غرض آخر من بقائه في حلب الى آخر وقت وهو مراقبة

حركات القائد العسكري الذي كان يعتقد ان اهل حلب من اعداء الدولة التركية وقد شاع انه مصمم على ان لايخرج من حلب حتى يخربها عن آخرها بالالغام وكرات المدافع وان الوالي عبد الخالق ينهاه عن فعله ويؤكد له ان اهل حلب لا يستحقون منه هذا العمل فكان القائد لا يقنع بكلامه وقد قيل ان عبد الخالق بك لما تحقق ان القائد مصمم على تخريب البلدة حينما بدأ به من وضع المدافع في اعالي البلدة وصدور امره للموكلين بها بان ينتظروا اشارته باطلاقها حضر الوالي وقال له اقتلني قبل ان تنفذ هذا العزم لان قتلي اهون علي من ان ارى حلب خراباً : هكذا شاع عند اهل حلب والحق يقـال ان تخريب هكذا بلدة يعد من اكبر الفظائع التي تبقى نقطة سوداء في تاريخ العثمانيين الى الابد . على انه غير مستبعد عن اهل البلدة متى بدأ عمل التخريب ببلدتهم و بلغوا حد اليأس من سلامتهم ان يقوموا قيام المستميت ويهجموا وهم يعدون بمئات الالوف على كل تركي في حلب جندياً كان ام غير جندي فيبيدوهم عن آخرهم : سمع حضرة القائد نصيحة الوالي ورق لشكواه ورجع عن عزمه غير انه قال له انه متى علم ان اهل البلدة تداخلوا مع العساكر العربية الانكليزية وانضموا اليهم فهو يخرب البلدة على رؤس اهلها في ساعة واحدة . وعليه فان الوالي قبل سفره بيوم حضر الى دار الحكومة ودعا اليه جماعة من الاعيان و بلغهم ما قاله القائد فاجابوه بان القيام مع العساكر العربيـة الانكليزية مما لم يتصوره احد من اهل حلب . وقد استفاض بين الناس ما يبديه الوالي في حق اهل حلب من العطف والمحاماة وحسن الادارة

حتى اتصل خبر ذلك بالقائد الانكليزي وهو في جبهة الحرب امام الجنود العثمانية قرب قرية الراموسة فكتب الى الوالي حسبما شاع يشكره على ما يبديه من اللطف والانسانية مع اهل حلب و يرجو منه ان يبقى مثابراً على حفظ البلدة الى آخر ساعة وان لا يخشى تعرض احد اليه من الدولة الجديدة بالأسر او سوء المعاملة

قلت ان اشتهار هذا عن الوالي وشيوعه الى هذه الدرجة يدفع ما قيل عنه انه لم يقصد من بقائه في حلب الى آخر وقت من ايام الحكومة العثمانية الا ليكون جاسوساً بين اهل البلدة و بين القائد العسكري وواسطة تهديد وتخويف بين الطرفين لسوء ظنه باهل حلب وخوفه هو والقائد من قيامهم على من فيها من الاتراك عامة فيبيدونهم عن آخرهم انتقاماً منهم على ما كان يفعله معهم اشرار الموظفين من الظلم والتعدي على حد قول الشاعر

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده من توهم

حتى قيل ان القائد نفسه لم يقصد من اذاعة عزمه على تخريب البلدة الا التخويف والتهديد فقط وانه لا يفعل ذلك ولا يقدر على فعله ابداً لحدوث الهدنة في هذه الايام وصدور الامر اليه بان يترك حلب وينسحب عنها بلا ضرر ولا اضرار والله اعلم بحقيقة الحال

— ما كان في حلب بعد وصول الشريف مطر اليها —

صباح يوم السبت ٢١ محرم استفاض بين الناس ان الوالي والقائد العسكري التركيين سافرا ليلاً وان عامة الالمان من الجنود وغيرهم لم يبقَ

منهم في حلب احد سوى المرضى والمستخدمين في تمريضهم في المستشفيات الالمانية . وان الالمان كان في عزمهم ان ينسفوا بالغامهم كل بناء يخصهم في المحطة وغيرها وان القائد العسكري العثماني هو الذي عارضهم بذلك . وقد نسفوا بعض الجسور على نهر قويق

هذا وان الناس في صباح اليوم المذكور هرعوا للسلام على الشريف مطر وكان الروع ذهب من القلوب وظهرت المارة في الشوارع وتلاحقت عساكر الشريف ببعضها وانضم اليهم العدد الكبير من عشائر البادية المخيمة في صحارى ولاية حلب وكانوا يدخلون اليها زمرة بعد زمرة ولا يرون فيها ادنى مقاومة ولا حدث بدخولهم اقل خوف وكان النهب من الدعار قد وقف وسكنت الامور وانتشر لواء الامان ورفعت الرايات والاعلام العربية على ابواب الاماكن الاميرية ولم يقتل من بقايا الجنود التركيـة وغيرهم سوى بضعة اشخاص اشتبه الاعراب بهم فقتلوهم

— انفجار الغام —

وفي ظهيرة يوم الاحد ٢٢ محرم سمع بغتة هزيم انفجار مفزع ثلاث مرات متوالية اهتزت له المباني وارتعدت الفرائص وتحطم كثير من زجاج النوافذ القريبة من تكية الشيخ ابى بكر الوفائي . وبعد برهة تبين ان هذا الانفجار صادر من الغام كانت مدفونة في مستودع الاعتاد النارية الكائن في شرقي جنوب التكية المذكورة وهو مستودع المواد النارية للالمان قرب مستودع الاتراك

— وصول عساكر الانكليز الى حلب —

في عصر هذا اليوم وصلت الى حلب عساكر الجنود الانكليزية فرسانا ومشاة وهجانة ومعهم السيارات والعجلات المشحونة بالمهمات الحربية وهم انكليزيون ومصريون وهنود والمصريون مسلمون والهنود مسلمون و براهمة وصك وكان عددهم جميعاً لا يزيد على الف جندي ويقال ان عدداً عظيماً من الجنود الانكليزية لم يدخلوا حلب وانما توجهوا الى جهة راجو ونواحي كلز وعينتاب وغيرهما ليتعقبوا العساكر التركية التي امت تلك الجهات

— واقعة قرب قرية بلليرمون —

وكانت الجنود التركية اللذين انسحبوا من جهات الراموسة وقرية الشيخ سعيد قد توجهوا الى جهة قرية بلليرمون القريبة الى حلب في شماليها الغربي وكمنوا في موضع من تلك الناحية فلما وصلت اليها الجنود الانكليزية خرجوا من مكامنهم وأطلقوا عليهم نيرانهم فقتلوا منهم على رواية نحو ثلاثمائة جندي بينهم ضابط انكليزي كبير اقيم له هناك نصب تذكاري

— فرقعة الغام وقذائف —

وفي يوم الاثنين والثلاثا ٢٣ و٢٤ محرم الجاري كنا نسمع من حين الى آخر دوي انفجارات مزعجة تنفجر في جهة محطتي سكة حديد بغداد والشام في ظاهر حلب وهي الغام دفنها الالمان تحت جسور المحطتين ولم يتمكنوا من اشعالها فكان الانكليز يظهرونها بواسطة كلاب معهم فيخرجون

منها ما يمكنهم اخراجه ويشعلون ما يعجزون عن اخراجه . وشاع بين الناس ان الالمان دفنوا في قلعة حلب عدة الغام وانها عما قريب تنفجر فارتاع الناس من ذلك ونزح كثير من سكان المحلات المجاورة للقلعة الى غيرها اتقاء خطر هذه الالغام ثم تبين ان هذه الاشاعة ارجاف لا اصل له

— وصول الشريف ناصر الى حلب وانعقاد مجلس شورى —

الامير ناصر من الاشراف الحسينية القاطنين في العوالي المجاورة للمدينة المنورة وحين قيام حضرة الشريف حسين على الاتراك كان الشريف ناصر واسرته في جانب الشريف حسين فوكله حضرة الامير الشريف فيصل في التأمر مكانه على حلب فوصل اليها يوم الاحد ثاني وعشرين محرم الجاري ونزل ضيفاً كريماً في منزل احد وجهاء حلب في محلة الجميلية وبعد ايام انتقل الى دار خصوصية هيئت له في محلة العزيزية وقبل وصوله الى حلب كان القائم بحراستها وحفظ الأمن فيها جماعة الشريف مطر وكانت دار الحكومة والثكنة العسكرية وجميع الاماكن الاميرية خالية من الموظفين وبعد وصول الامير ناصر بيومين اصدر امره قبل كل شيء بان يؤلف مجلس شورى ينتخب الدرك والشرطة اولاً ثم ينتخب موظفين لدوائر الحكومة فتألف هذا المجلس من اثنى عشر عضواً من وجهاء حلب في ايام الدولة التركية وقد انتخبوا واحداً منهم رئيساً عليهم وهو حضرة كامل باشا القدسي ثم شرعوا بانتخاب الموظفين فاحسنوا بتعيين بعضهم واساؤا في آخرين شبوا ونشأوا على ظلم الناس وهضم حقوقهم وعدم المبالاة من تضييع منافع الدولة لمنفعتهم والتكاسل عن

واجبات وظائفهم واحتقار الناس والتهاون باقـدارهم ولهذا لم يمض على تعيينهم غير ايام قلائل حتى بدأ الناس يتذمرون منهم و يتشكون من تباطئهم ووعودهم لصاحب المصلحة في قضاء مصلحته والكتابة على قصته بقولهم رح وتعال وغداً او بعد غد نظير ما كانوا يفعلون مع اصحاب الاشغال في ايام الدولة الزائلة اذ كانوا يقولون لهم بدل هذه الكلمات (كت كل يارن او بر كون) حتى اشتهر في هذه الايام عن واحد من ذوي الاشغال انه اشتكى الى الوالي على بعض المامورين الجديدين الذينهم من هذا القبيل وقال للوالي (بدلنا العجميات بالعكال و كيت و كال بروح وتعال) يريد بالعجميات كسوة الرأس عند الاتراك وهي الطرابيش والقلانس المعمولة من فرو الغنم

يوم الجمعة ٢٧ محرم الجاري حضر الامير ناصر الى الجامع الكبير بموكب حافل وصلى فيه صلاة الجمعة ودعا الخطيب لملك العرب الشريف حسين بالنصر والظفر و بعـد الفراغ من الصلاة امر حضرة الشريف ناصر لخدمة الجامع بار بعين ذهباً انكليزياً

— نادي العرب وجريدة العرب —

وفي هذا اليوم تحزب حزب من الشبيبة العربية واتوا مكان نادي جمعية الاتحاد والترقي المعروف باسم (قلوب) ووضعوا ايديهم عليه وعلى ما فيه من الكتب والاثاث وسموه نادي العرب واصدروا صحيفة يومية سموها (العرب)

— قدوم شكري باشا الايوبي الى حلب في هذه الايام —

وافى حلب حضرة شكري باشا الايوبي حاكماً عسكرياً عليها من قبل الحكومة الجديدة فصلى الجمعة في الجامع الكبير وخلع على الخطيب عباءة حريرية جميلة وتعين سلفه كامل باشا القدسي الحلبي قائداً عاماً وحاجباً فخرياً لحضرة ملك العرب

— وصول سمو الامير الكبير الشريف فيصل الى حلب —

ظهيرة يوم الاحد سادس صفر من هذه السنة وصل سمو الامير الكبير الشريف فيصل الى حلب واقبل معه الوفد الذي ذهب قبل ايام لاستقباله الى حماه وقد اعد لاستقباله على مقربة من حلب موكب حافل فنزل سموه في دار هيئت له من محلة العزيزية واقبل الناس عليه للسلام فكانت اخلاقه المرضية والتفاته العالي محل اعجاب الجميع . واول شيء فعله اصدار امره بحل مجلس الشورى لما بلغه عنه من عدم استقامة مسلكه وان يقوم مقامه لجنة تؤلف من وجهاء المستخدمين الملكيين والعدليين

— اخذ الامير فيصل بيعة الحلبيين لابيه الشريف

حسين بن علي ملك العرب

بعد ظهر يوم الثلاثا من صفر الخير حضر الى نادي العرب بالموكب الحافل سمو الامير فيصل وكان النادي غاصاً بالمدعوين الذين يعدون بالمئات فجلس سمو الامير على كرسي معد له في غرفة خصوصية من النادي وصار يتقدم نحوه المدعوون زمرة بعد زمرة ويبايعونه بالتملك على العرب بالنيابة عن جلالة والده ملك العرب ثم يعودون الى مقاعدهم وبعد ان

انتهت المبايعة قام سموه من الغرفة التي بايع فيها واقبل الى محله المعد له من صدر ردهة النادي وقام الشعراء والخطباء ينشدون قصائدهم و يتلون خطبهم على النسق والترتيب الى ان انتهوا منها فبدأ وهو قاعد يتكلم بما انطوت عليه صحيفة افكاره من المواضيع العديدة التي يصعب على اعظم رجال الخطابة استيعابها وايرادها في مثل هذا المحفل العظيم · ولما بدأ بالكلام قام الحاضرون وقوفاً اعظاماً واجلالاً له فاشار اليهم ان اجلسوا لان كلامي يستغرق وقتاً طويلاً لا اريد ان تتكبدوا فيه مشقة الوقوف فجلسوا وانصتوا ووقف بعض الكتاب والادباء وبايديهم القراطيس والاقلام يكتبون ما يفوه به بالحرف الواحد فقال

— خطبة الامير فيصل —

لا شك انكم ايها السادة ترون منا اعمالاً مهمة · ان حلب هي من اقاصي بلاد العرب لم يتصل باهلها ما وقع بيننا وبين الاتراك وما هو سبب قيامنا ضدهم · ان الاتراك كانوا يشيعون ان الاشراف اتفقوا مع الدول الغربية على بيع البلاد لقاء دريهمات اخذوها منهم واخرجوا ضدنا فتاوى ربما اغتر بها بعض البسطاء وصدقها فنقول في رد و بطلان ما زعمه الاتراك فيما شيعوه

ان الدين الاسلامي نشأ بقدرة الله تعالى وانتشر بواسطة محمد النبي العظيم الذي تنسب اليه اسرتنا فهل يتصور احد ان اناسا يرضون بهدم ما بناه لهم جدهم من المجد والشرف · نحن لم نقم الا لنصرة الحق واغاثة المظلوم · ساد الاتراك ٦٠٠ سنة هدموا بخلالها صرح المجد الذي اقامه

اجدادنا واطفأوا نار العرب ولكنها لم تطفأ لان العرب عاشت قروناً واجيالاً لم يتسن لغيرها من الامم ان تعيش مثلها وكانت العرب تنتظر الفرص لتنتهزها حين سنوحها . نحن العرب نمنا ٦٠٠ سنة ولكننا لم نمت . لما اعلن الاتراك النفير العام اتوا باعمال تتبرأ منها الانسانية ولا لزوم لعدها . كانت العرب تطالب الاتراك بحقوقها فاغتنموا الفرصة التي مكنتهم من الانتقام من العرب . رأى والدي ان دولة الترك ليست تعمل لاجل دين او عمل عام ينفع البلاد ولكنها اعلنت جهادها مع المانيا لمجرد الانتقام من العناصر الخاضعة لها مثل العرب . وتبين له ان مبادئ الحكومات العربية المدنية هي مبادئ انسانية مبادئ خير مبادئ نصرة الحق واتفق معهم بعد الاتكال على قوة الله تعالى لعلمه انهم ينصرون الضعيف ويساعدون على اعادة حقوق الامم المحكومة وتعاهد معهم على ازاحة حكومة الاتراك واستخلاص ما اغتصبوه منا نحن العرب . باسم العرب حالف والدي الحكومات الغربية وقام معهم ضد تركيا والمانيا كتفاً الى كتف لا كما زعم الاتراك من ان قيامنا كان نتيجة مطامع شخصية . فانا باسم كافة العرب اخبر اخواني اهل الشهباء ان للحكومات الغربية خصوصاً انكلترا وفرنسا اليد البيضاء في مساعدتنا وشد ازرنا ولا تنسى العرب ما دامت موجودة على وجه البسيطة فضل معاونتهم . نحن اليوم ندعي التحرر والاستقلال فهذه اقول اذا لم نعمل شيئاً لحد الان سوى طرد الاتراك من بلادنا وهذا محتم عليهم لان القدرة الالهية تأبى تركهم بدون مجازاة لما اتوه من الفظائع . بقي

علينا وظائف مهمة جداً وهي تأسيس ملك وحكومة نفتخر بهما امام العالم اجمع . ان الامم الغربية قد ساعدتنا مادةً وستساعدنا معنى واني لأملو عليكم برقية وردت لي منذ ثلاثة ايام تبين لكم احساسات الدول الغربية نحونا ليفهم جميع اهل الوطن اننا لم نبع البلاد ولن نبيعها ابداً وهنا اشار الى كاتبه بتلاوة البرقية فتلاها وهذا نصها : حمص : سمو سيدي الامير فيصل : نقدم لسموكم صورة البلاغ العام الذي تلقيته من المستر (ستهرلنغ) الحاوي على تعهدات الحلفاء وخطتهم في بلادنا والله يؤيدكم ٨ تشرين الاول سنة ٣٣٤ الحاكم العام لسوريا الركابي

الصورة : ان الغوط الذي ترمي اليه فرنسا و بريطانيا العظمى بمواصلتهما في الشرق تلك الحرب التي اثارها الطمع الالماني هو تحرير الشعوب التي طالما ظلمها الترك تحريراً نهائياً وتأسيس حكومات ومصالح اهلية تبنى سلطتها على اختيار الاهالي الوطنيين لها اختياراً لا جبراً وقيامهم بذلك من تلقاء انفسهم وتنفيذاً لهذه النيات قد وقع الاتفاق على تشجيع العمل لتأسيس حكومات ومصالح اهلية في سوريا والعراق اللتين اتم الحلفاء تحريرهما وفي البلاد التي يواصلون العمل بتحريرها وعلى مساعدة هذه الهيئات والاعتراف بها عند تأسيسها فعلاً والحلفاء بعيدون عن ان يرغموا سكان هذه الجهات على قبول نظام معين من النظامات وانما همتهم ان يحققوا معاونتهم ومساعدتهم النافعة حركة الحكومات والمصالح التي ينشئها الاهالي لانفسهم مختارين حركة منتظمة وان يقيموا لهم قضاء عادلاً واحداً للجميع وان يسهلوا انتشار العلم في

البلاد وتقدمها اقتصادياً وذلك بتحريك همم الاهالي وتشجيعهـا وان يزيلوا الخلاف والتفرق الذي طالما استخدمته السياسة التركية ذلك مـا اخذت الحكومتان الحليفتان على نفسيهما مسؤولية القيام به في البلاد المحررة — ثم اردف الامير فيصل هذا بقوله — لا شك ان هذه البرقية من النبذ التاريخية العظيمة وانها تنم عن شواعر عالية وحسيات انسانية لا يقوم العرب باداء واجب الشكر عليها الا بتحقيق اماني هذه الدول وهي تشكيل وتنظيم حكومة عادلة قوية تحفظ حقوق جميع اهل البلاد. اننا اليوم في موقف حرج . الامم المتمدنة وحلفاؤنا ينظرون الينا بنظر الاعجاب والتقدير واعداؤنا يرمقوننا بعين الانتقاد . خرج الاتراك من بلادنا ونحن الان كالطفل الصغير لا حكومة ولا جند ولا معارف والسواد الاعظم من الشعب لا يفقهون من الوطنية والحرية ولا ما هو الاستقلال حتى ولا ذرة من كل هذه الامور ذلك نتيجة ضغط الاتراك على عقول وافكار الامة فلذا يجب ان نفهم هؤلاء الناس قدر نعمة الاستقـلال ونسعى ان كنا ابناء اجدادنا لنشر لواء العلم لان الامم لا تعيش الا بالعلم والنظام والمساواة وبذلك نحقق آمال حلفائنا . انا عربي وليس لي فضل على عربي ولو بمثقال ذرة . انني اوفيت وجائبي الحربية كما اوفي والدي وجائبه السياسية فانه تحالف وتعاهد مع امم متمدنـة اوفت بعهودها ولا تزال تساعدنا على تشكيل حكومة منتظمة . فعلينا ابراز هذه الامنية الى حيز الوجود بكمال الحزم والعزم لان البلاد لا يمكنها ان تعيش بحالة فوضى اي بلا حكومة وهذا واجب ذمة الامة واهل البلاد ونبرأ الى الله مما

يحصل لهذه البلاد بعد اليوم · انا ومن معي سيف مسلول بيــد العرب يضربون به من يريدون · احض اخواني العرب على اختلاف مذاهبهم بالتمسك باهداب الوحدة والاتفاق ونشر العلوم وتشكيل حكومة نبيّض بها وجوهنا لاننا اذا فعلنا كما فعل الاتراك نخرج من البلاد كما خرجوا لا سمح الله وان فعلنا ما يقضي به الواجب يسجل التاريخ اعمالنا بمداد الفخر انني اقل الناس قدراً وادناهم علماً لا مزية لي الا الاخلاص · انني اكرر ما قلته في جميع مواقفي بان العرب هم عرب قبل موسى وعيسى ومحمد · وان الديانات تأمر من في الارض باتباع الحق والأخوة وعليه فمن يسعى لايقاع شقاق بين المسلم والمسيحي والموسوي فما هو بعربي · اننــا عرب قبل كل شيء وانا اقسم لكم بشرفي وشرف عائلتي وبكل مقدس ومحترم عندي بانه لا تأخذني في الحق لومة لائم ولا احجم عن مجازاة من يتجرأ على ذلك فلا اعتبر الرجل رجلاً الا اذا كان خادماً لهذه التربة · عندنا والحمد لله رجال اكفاء كثيرون ولكنهم مقيمون خارج الديار وفي بلاد الاتراك وسيأتون قريباً ان شاء الله فيصلحون الخلل الموجود هنا ولا يجدر ان نتقاعس عن العمل ربما يأتون فما لم يدرك كله لا يترك جله ويلزم علينا ان نبتدئ بدون ان ننظر للمرء من حيث شرف عائلتــه وخصوصيته بل ننظر الى الرجل الكفوء شريفاً كان او وضيعاً اذ لا شرف الا بالعلم · الانسان يخطئ فــاذا اخطأت سامحوني وبينوا لي مواطن خطأي

بما ان اغلب الافراد يجهلون قــدر نعمة الاستقلال كما بينت لكم فلا

يبعد ان يحصل في بعض المحـلات ما يخل بالامن فالحكومة مجبورة على تطبيق معاملاتها على القـانون العسكري العرفي مدة الحرب بينما يتم تشكيل حكومة منتظمة · ارجو اخواني اهل البلاد ان ينظروا الى الحكومة نظر الولد البار للوالد الشفوق و يساعدوها جهـد طاقتهم و يعلموا ان الحكومة مشارفة على اعمال الافراد والموظفين · ان الحكومة في طورها الجديد بحاجة لايجاد قوة تحفظ كيانها فكل من يعيث باوامرها و يخل بقرراتها يستهدف ليدها القوية · ولاجل حفظ الاستقلال ليس الا ان ادعو اهل البلاد للاهتمام الزائد لتكوين حكومة ثابتة الاركان منيعة الجانب · الدرك والشرطة هما قوام البـلاد و بدونهما لا تنتظم احوال الحكومات لذلك اطلب من الجميع وخصوصاً الشبان ان ينتظموا بهما وان لا يتأخر احدهم عن خدمـة وطنه و بلاده بدون النظر لموقعه العائلي · فان الشرطة وظيفة شريفة عالية وان الانسان يتولى كل عمل في داخليته و بيته حتى تجدرب البيت يكنس داره بيـده ولا يرى بها استخفافاً · وستكون القوانين السابقة مرعية لاجراء الى ان يتم سن القوانين من قبل المجلس الأعلى اي مجلس الامة · الحكومة الحاضرة تحفظ الامن والانتظام ريثما تتعين هيئات الحكومة الجديدة · العرب امم وشعوب مختلفـة باختلاف الاقاليم فالحلبي ليس كالحجازي والشامي ليس كاليماني ولذا قد قرر والدي ان يجعل البلاد مناطق يطبق عليها قوانين خاصة بنسبة اطوار واحوال اهلها فالبلاد الداخلية يكون لها قوانين ملائمة لموقعها والبـلاد الساحلية ايضاً يكون لها قوانين طبق رغائب اهلها · كان من الواجب

علينا ان نبدأ اولاً بجمع الهيئة التي تسن هـذه القوانين ولكن العرب الذينهم في البلاد الخارجية هم اعلم منا بالقوانين الاكثر ملائمة للبلاد ولذلك نرجئ هـذا الامر الى وقت اجتماع هؤلاء وفي اقرب وقت يصلون ان شاء الله . بيد انني استدعيت من الخارج رجالاً قديرين على وضع قوانين صالحة ملائمة لروح البلاد وطبائع اهلها وسيكون اجتماعهم في دمشق او في غيرها من البلاد العربية لعقد مؤتمرهم وسأنظر باعجل وقت بشؤون الاوقاف والكنائس ورد حقوقها المغصوبة من قبل الاتراك ونعطي كل ذي حق حقه . واطلب من اخواني ان يعتبروني كخادم للبلاد . انكم اعطيتموني البيعـة بمنتهى الاخلاص والرضاء فاقابلهـا بالقسم العظيم اني لا افتأ عن نصرة الحق ورد الظلم وكل ما يرفع شأن البلاد . ارغب الى الاهالي ان يؤازروني بالعمـل في خدمة الجامعـة الى ان يلتئم مجلس الامـة فاقول حينئذٍ هـذه بضاعتـكم ردت اليكم . ان حلب خالية من المدارس فاتمنى لها مستقبلاً علمياً باهراً كما كانت عليـه بالتاريخ . وارجو اخيراً صرف الهمة والفعالية لامرين مهمين (١) حفظ الامن العام (٢) ترقية المعارف فوالله لا يمتاز احد عندي الا بفضله وعرفانه : عند مروري من حماه اثرت همـة الاهالي بكلمات وجيزة للعناية بالعلم وافتتاح المدارس و بجلسة واحدة تبرع بضعة اشخاص باربعة الاف جنيه واوعـد الاخرون بابلاغهم ١٢ الف جنيه وساستدعي حضرات الاهالي بحفلات خاصة للعناية بهـذا المشروع الهام مشروع العلم روح البـلاد ونفع العبـاد و يمتع الامة بالحياة الرغيـدة

والسلام ا ه

اقول ان هـذا الخطاب قد جمع فاوعى وحقيق لمن يورده ارتجالاً وبديهة ان يكون في عداد الطراز الاول من الذين اوتوا اكبر نصيب من علو المدارك وصفاء القرائح على ان العبرة للمعاني لا للالفاظ اذ هي بمنزلة الروح والالفاظ كالاجسام والجسم بروحه لا بشكله والا استوى الحيوان والجماد

— سفر الامير فيصل —

ليلة الخميس عاشر صفر سنة ١٣٣٧ ورد على حضرة الشريف الامير فيصل برقية فحواهـا ان يشخص على الفور والعجلة الى مكة المكرمـة لمقابلة حضرة الملك والده العـالي ثم يسافر من مكة الى باريس ليمثل والده في مذاكرات الصلح العام الذي ينعقد هناك قبل انقضاء مدة الهدنة وفي صباح يوم الخميس هرع لوداعه العلماء والرؤساء الروحيون والوجهاء والاعيان من كل ملة و بارح حلب قاصداً جهة الحجاز المبـاركة . وفي هذا اليوم وصل الى حلب وفود من علية اهل الشام وحمص وحماه لزيارة حضرة الامير الشريف فيصل وعرض اخلاصهم عليه وتأكيد روابط المحبة والاخاء بين اهل بلادهم واهل مدينة حلب و بعد قدوم هذه الوفود بايام قليلة ادبت لهم بلدية حلب في فندق البارون مـأدبة حضرها الجم الغفير من الوجهاء والاعيان والشعراء والخطباء فتليت الخطب وانشدت الاشعار و كانت مأدبة حافلة

— كلمة في بني عثمان —

نأتي هنا بنبذة نبين فيها بعض ما كان لسلاطين آل عثمان على العالم الاسلامي من الايادي البيض التي توجب على كل منصف ان ينظر اليهم بعين التجلة والاحترام و يغض الطرف عن بعض هنات كانت تصدر عن بعضهم بمقتضى المحيط الذي وجدوا فيه او بحكم التقاليد والتطور الزمني لا بمقتضى عواطفهم التي فطرت على محبة العدل والتمسك باهداب الشرع والحرص على اتباع احكامه كما يظهر ذلك من تراجم احوال السلف الصالح منهم

ان الدولة العثمانية هي الدولة الوحيدة التي بواسطتها لم الله شعث العالم الاسلامي واستأنف مجده واعاد عزه واطلع في سماء الشرف شمسه بعد ان تشتت شمله وذل اهله وكادت تطفأ انواره وتخسف اقماره : فان كل من تصفح وجوه التاريخ الاسلامي واحاط علماً بما سطره من الحوادث والكوائن منذ القرن الخامس الى اوائل القرن العاشر — يتضح له جلياً ان العالم الاسلامي قد وصل في آخر هذا الدور الى الغاية القصوى من التقهقر والانحطاط لما توالى عليه في هاتيك الاعصار من النكب والمصائب التي انتابته في الحروب الصليبية وغارات المغول والتاتار وغيرهم من الامم التي كانت تتظاهر بمناوأة الاسلام ولما كانت عليه في تلك الايام حكام المسلمين وملوكهم من الجهل والطيش والتباغض والتنافس مع بعضهم وافتراق الكلمة والانهماك بالملذات والمسلمون في الشرق والغرب تتخطفهم ذئاب اعدائهم كأنهم غنم تخلي عنها رعاتها في ليلة مطيرة الى

ان سطع نجم الدولة العثمانيــة وعلا صرح مجــدها وارهبت عالم الربع المسكون سطوتها فانتعشت روح الاسلام وعاد الى احسن ما كان عليه في عهد العباسيين وخفقت راية الهلال على اصقاع عظيمة من القارات الثلاث ورتع تحت ظل هذه الدولة في بحبوحة الامن والاطمئنان مائة وعشرون مليوناً من النفوس المختلفة العناصر المتعددة الاجناس المتعاندة في الديانات والعادات : شعوب وامم واقوام مدنية وبدوية منبثــة في تلك الممالك الصعبة المسالك البعيدة الاكناف المترامية الاطراف التي يستحيل فيها على اعظم حكومة سائسة في تلك الاعصار التي فقدت فيها وسائط النقل وسهولة السفر والات الاستخبار ان تبث بين من في هذه المملكة من الشعوب العظيمــة روح الوفاق والوئام وتجمع بين رضاهم من بعضهم ورضاهم من حكومتهم وانقيادهم اليها طائعين مختارين شاكرين منها حامدين غير ناقمين عليها عملاً ولا منتقدين لهــا سياسة مجمعين على حسن سلوكها متفقين على حبها وولائها

كان العدد الكبير من الملوك العثمانيين لا يقلون بمنزلتهم فيما شادوه في العالم الاسلامي من المآثر والمفاخر — عن السلطانين المعظمين المعدودين من اعاظم ملوك الاسلام وهما نور الدين محمود بن زنكي وتابعه المرحوم السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب ، بل لو تصفحت وجوه التاريخ واستقصيت اخبار هذين السلطانين العظيمين واخبار عظماء ملوك بني عثمان لظهر لك جلياً ان هؤلاء الملوك اربوا بفضائلهم وبما فتحوه من الممالك — على السلطانين المشار اليهما . ذلك ان هذين السلطانين كانا واقفين في جهادهما

موقف الدفاع والمحاماة عن بيضة الاسلام في القطعة الشاميـة و بعض جهات افريقية والجزيرة : اما عظماء سلاطـين بني عثمان فانهم لم ينتظروا من عـدوهم بان يقفوا له في موقف يدافعونه به عن بلادهم فحسب بل دفعتهم هممهم العلية وغيرتهم الدينية — الى ان يطردوه من ديارهم ثم يغزوه في عقر داره و يستولوا على اصل وطنه وقراره و يطؤا بحوافر خيولهم ارضاً وديارا لم يطأها احد قبلهم من خلفاء المسلمين وعظماء سلاطينهم الفاتحين

قال الاستاذ جرجي زيدان في كتاب التمدن الاسلامي منوهاً بعظمة سلاطـين بني عثمان انهم فتحوا القسطنطينية التي يئس ملوك المسلمين من فتحها وحاربوا اعظم ملوك اوربا وطاردوهم الى بلاد المجر وحاصروا فينا واخذوا الجزية من ملوك النمسا واكتسحوا البحر الابيض الى شواطئ اسبانيا فارتعدت اوربا خوفاً منهم وفتحوا الشرق الى العراق ثم ساروا جنوباً غرباً حتى فتحوا الشام ومصر وامتدت ممالكهم في عهد السلطان سليمان من بودابست على ضفاف الطونة الى اصوان على ضفاف النيـل ومن الفرات بالعراق الى بوغاز جبل طارق فاجتمع العالم الاسلامي تحت جناحهم واغتبط بسلطانهم اه

خفقت رايات اولئك الملوك على معظم سواحل البحر الابيض وسواحل البحرين الاحمر والاسود واستحقوا ان يشاد بذكرهم على سائر منـابر الاقطار الاسلامية و يلقبوا بسلاطين البرين وخواقين البحرين بل حق لهم ان يلقبوا بسلاطين الاقطار وخواقين البحار ذلك اللقب التشريفي الذى لم يستحقه غيرهم من ملوك المسلمين

﴿ تناهي السلاطين العثمانيين بالأبهة والعظمة ﴾

ومما يدل على تناهي الصدر الاول من الملوك العثمانيين في الابهة والعظمة ما حكاه الاستاذ الفاضل السيد محمد جميل بك بيهم في كتابه فلسفة التاريخ العثماني حيث قال ما خلاصته

ان نجاح تركيا الحربي والسياسي رفعها الى رتبة سامية شخصت اليها الامم باعين الهيبة والوقار وجعلتها تلقى من عل على سائر الدول نظرات الاستكبار فقد اجمعت اوربا على تلقيب امبراطورة آل عثمان في مراسلاتهم بالسيد الاعظم على حين ان السلاطين كانوا يكتبون الى ملك فرنسه (البك فرنسوا) . ونقل جودت باشا ان السلطان سليمان كان يكتب الى ملك فرنسه (الى فرنسيس ملك ولاية فرنسا) مما يدل على ان السلاطين العثمانيين كانوا يعتبرون الدول المعاصرة من قبيل الامارات والاقطاعات : على ان تلقيب السلطان سليمان فيما بعد فرنسوا المشار اليه بلقب (باديشاه) لم يكن الا بداعي الصداقة فان هذا اللقب لم يمنحه السلاطين بعد لعاهل مسيحي الا لقيصر روسيا سنة ١٧٧٤م ١١٨٨هـ وكانوا يضنون بهذا اللقب على امبراطورة المانيا ولا يعتبرون هؤلاء الا بمثابة ملوك المجر التابعين للباب العالي الذين يؤدون الجزية عن يد وهم صاغرون

وكانوا يتعالون عن التقييد بالمعاهدات مع العواهل ويأنفون اذا وعدوا احداً منهم بالمساعدة عن ان يدونوا وعدهم مكتفين معه بمجرد كلام وكذلك كانوا يأنفون من نصب سفراء لهم في عواصم الدول الاجنبية لاعتقادهم انهم في غنى عن سائر العالم وانه على رجال الممالك

الاجنبية المحتاجة اليهم ان يحجوا الى القسطنطينية عاصمة الكون

وكان على سفراء الدول عند الملوك العثمانيين ان يقدموا للسلطان وكبراء حكومته هدايا ثمينة على سبيل الجزية : وكان السفير حين يقابل السلطان يمسكه اثنان من الحرس السلطاني من ذراعيه المكتفين و يتقدما به حتى اذا دنا من العرش خر مقبلاً موطئ قدم السلطان : تلك بعض الامثلة من دلة العظمة التي كان عليها العثمانيون في عصرهم الذهبي وتلك الايام المتداولة بين الناس

— اسباب انقراض الدولة العثمانية

ذكر العلامة المؤرخ السيد محمد كرد علي في كتابه خطط الشام — اسباب انقراض هذه الدولة نقلاً عن مؤرخ تركي فقال ما خلاصته : ان لاسباب انقراض هذه الدولة عوامل كثيرة اهمها (١) انقطاع البطولة من المسلمين وقيام الاتراك سداً امام النصرانيـة و بذلك جلبوا عليهم خصومة اوربا المسيحية جمعاء : فكانت مطارق المسيحيين تتساقط على رؤس الاتراك مدة قرون (٢) اقرار تركيا العناصر المختلفة المنضوية تحت رايتها — على السنتهم ودياناتهم ففتحوا للاجانب سبيل التدخل في شؤن الدولة الداخلية فكانوا سببا لانقراضها (٣) تدخل الدين في مصالح الحكومة وعدم قيام بناء الدولة على ما يجب (٤) جهل الملوك واستبدادهم وسفاهتهم (٥) تربيتهم رجالاً من العناصر المختلفة كالعرب والارمن وتسليمهم امور الدولة (٦) هوس روسيا بالانتقام لمملكة بيزنطية واستمرارها على محاربة تركيا لتحقيق هذا الغرض

ثم قال المؤرخ التركي ما معناه ان الحكومة العثمانية تذرعت بالمعنويات دون الماديات وانها بدلاً من تجمع العنصر التركي تحت علم واحد صرفت جهودها الى اواسط افريقية والى اوربا واهملت العالم التركي الذي كان يجعلها في حرز منيع من غارات اوربا ويكفيها شر عداوتها وانها جعلت للغة العربية والفارسية سبيلاً للعبث باللغة التركية فعاث باهلها الفقر والجهل

قال الاستاذ السيد محمد كرد علي بعد ان اتى على ذكر هذه الاسباب مفصلاً : ونحن نقول ان السبب الاعظم لانقراض الدولة العثمانية تغافلها عن تقليد الغرب في الماديات والمعنويات فظهر على توالي القرون الفرق بين الخامل والعامل . وان تركيب الدولة من عناصر مختلفة معظمها غير مسلمين — كان من جملة الدواعي في عدم تركيبها تركيباً مزجياً خصوصاً ومعظم تلك العناصر ارقى من الترك الاصليين عنصراً واكثر ذكاء واعظم تاريخا ولا عيش للمتوسط مع الذكي واذا اخضعه لسلطانه بالقوة فالى حين

اقول : ليس جميع ما ذكر المؤرخ التركي من اسباب انقراض الدولة العثمانية — مما يسلم به جدلا ولولا خوف الاطالة لفندنا معظمه : على ان هناك سببين قويين لانقراض الدولة العثمانية اشار المؤرخ المذكور الى احدهما ولم يوفه حقه من التفصيل والبيان واهمل ذكر الاخر بتاتاً

اما السبب الاول الذي اشار اليه فهو عداء روسيا وارهاقها تركيا بالحروب مدة قرون طويلة بحيث كانت لاتدع لها مجالاً لتنظيم صفوفها

واعداد قواتها البحريـة والبرية للحرب التاليـة الا وتباغتها بالحرب مباشرة او بالواسطة

فروسيا هي التي كانت تعوق تركيا عن مماشاة اوربا في مهماتها الحربية واعمالها الاقتصادية لانها كانت متى احست بنسمة انتعاش تهب عليها تعاجلها بالحرب مباشرة او تسعى بعرقلة مساعيها بواسطة اثارة القيام عليها من قبل احدى الامم التي تمت اليها باواصر العنصرية او وحدة المذهب

— سبب هذا التسلط —

وكان سبب هذا التسلط غلطة من الملوك العثمانيين اوقعهم فيها اغترارهم بقوتهم واستخفافهم بقوة روسيا واهمالهم ردعها حينما كانوا قادرين عليه ومغادرتهم اياها متسلطة على ممالك خانات القريم

وبيـان ذلك ان خانات القريم والدشت كانوا هم المسيطرين على الروس مدة مئة وخمسين سنة بحيث كان كناز الروس كالعـامل لهم على مملكته كما اشرنا الى ذلك في الفصل الذي سبق بيانه من هذا الجزء تحت عنوان (اجمال في الاتراك) ثم لما وقع الخلف بين خانات القـريم والدشت ودخل تيمورلنك بلادهم وخربها واستولى على قسم عظيم منها واشتغل الخانات بقتال بعضهم — اغتنم الروس هذه الفرصة وقاموا نحو بلاد الدشت فطمت بحار غلبتهم عليها وكادوا يعمونها بالاستيلاء وكان الملوك العثمانيون في ذلك العهد في عصرهم الذهبي بحيث كان يمكنهم ان ينضموا الى خانات القريم ويصدوا تغلب الروس عليهم غير انهم تركوا الخانات وشأنهم مع الروس قصد ان توهنهم الروس وتضعف سطوتهم

وحينئذٍ يجهز العثمانيون على ما تبقيه الروس من بلادهم فيستولون عليها بادنى عناء

ووجه الغلط في هذه المسئلة هو ان العثمانيين اغتراراً بقوتهم لم يفكروا بان ممالك الخانات كانت سداً منيعاً بينهم و بين الروس كما انهم استخفافاً بالروس لم يخطر لهم على بال بان روسيا ستبلغ باستيلائها على ممالك الدشت والقريم غاية القوة والعظمة وانها متى استولت على ذلك السد تجرها عظمتها الى الطمع بالمملكة العثمانية والاستيلاء على القسطنطينية مملكة البيزنطيين

-- السبب الثاني لانقراض الدولة العثمانية --

السبب الثاني لانقراض هذه الدولة هو جنودها المؤلفه من الانكشارية فانهم بعد ان افتتحت الدولة بسيوفهم ذلك الملك العظيم داخلهم الغرور واستولى عليهم الكسل والشره بالمال واصبحوا مدة قرنين عوناً على الملوك العثمانيين بعد ان كانوا عوناً لهم فكان قيامهم على اولياء امورهم في مدد متواصل واثارتهم الفتن والقلاقل في البلاد وتسلطهم على الرعايا في استمرار غير منقطع وفي كثير من الاوقات بينما كانت الدولة في ارتباك وشغل شاغل من امر اولاء الجنود كانت روسيا ترهقها بالحرب اغتناماً لفرصة اشتغالها بتسوية امور داخليتها

و كان سبب بلوغ الانكشارية تلك الدرجة من العتو والتمرد غلطة الصدر الاول من الملوك العثمانيين وهي انهم كانوا يبالغون بالاحسان الى الانكشارية و يعاملونهم معاملة الوالد الشفوق على ولده الوحيد حتى

نبهتهم تلك المعاملة الى عظم شأنهم وعرفتهم انهم هم روح المملكة واولياء نعمة ملوكها وشعو بها فراموا بهذه الخيـالات وطغوا و بغوا واصبحت المملكة العثمانية في ايديهم كسفينة تتقاذفها عواصف شرورهم فلم يستطع السلاطين ردعهم ووقف تيار غلبتهم الا بعـد مشقات عظيمة اشرنا الى بعضها في الاجمال الذي ذكرناه في هذا الجزء تحت عنوان (نبذة فـي الكلام على هذه الطائفة) فراجعه

— اسباب سرعة سقوط العراق والشام

لا ريب في ان سرعة سقوط العراق والشام في يد انكاتره وخروجهما من يد العثمانيين لم يكن الا بسبب تقاعد اهل هذه البلاد عن مظاهرة جيوشهم وشد ازرهم خصوصاً اهل العراق واهل سوريا الجنوبية من حضروبدو فانهم لم يقنعوا بالتقاعد عن نصرة تركيا فحسب بل ظاهروا جيوش الدولةالبريطانية واعانوهم على الجيوش العثمانية بكل ما استطاعوا فاستولت جيوش انكاتره على هذه البلاد باقرب وقت ولولا ذلك لما تمكنت هذه الجنود من الاستيلاء عليها في اقل من بضع سنوات ان لم يحدث في الكون ما يعوق استيلاءهم عليها و يبقيها في يد العثمانيين

على ان لمظاهرة اهل تلك البلاد الجيوش البريطانية اسباباً عديدة اخص منها بالذكر هنا نفرة قلوب اهلها من تركيا بسبب اغلاط ارتكبها الاتحاديون اغتراراً بانفسهم

وكان بعض المحامين عنهم يعتذر لهم بقوله ان جميع مـا اتوا به من الاسباب التي نفرت قلوب الرعية لم يقصدوا بها سوى المصلحة العامـة

دون المصلحة الخاصة وانهم لم يفعلوه الا بنية خالصة وغرض عام غير ان الاقدار لم تساعدهم فما كان غلطهم الا من قبيل الخطأ بالاجتهاد لا يسألون عنه امام الله وامام الناس ما دامت نياتهم باتيانه حسنة

نقول ان الخطأ بالاجتهاد المعفو عنه انما هو خطأ الأئمة المجتهدين في مفهوم المتشابه من القرآن والحديث فان المجتهد منهم في ذلك ان اصاب فله اجران وان اخطأ فله اجر . اما المجتهد المخطئ من غيرهم فانه مؤاخذ على خطائه بل تكون عقوبته على قدر المضرة التي تنشأ عن خطائه ردعاً له عن التهور فيما لا يدري عاقبته : فالاتحاديون الذين اخطأوا باجتهادهم في مسائل هذه الحرب لا يسامحون بخطائهم لان الضرر الذي نشأ عن خطائهم كان عظيما : على ان النتائج السيئة التي نتجت عن اجتهادهم بديهية لا تحتاج الى امعان فكرة واجهاد قريحة فما هو الا من قبيل التهور والهجوم على خطر محسوس . وحسبهم موجباً للمؤاخذة استبدادهم في اعمالهم وتركهم الشورى المطلوبة شرعاً وعقلاً هذا اذا قلنا ان جميع ما اتوا به من الاغلاط المنفرة مما يحتمل الاجتهاد والحال ان كثيراً من المنفرات التي اتى بها بعض زعانفهم لم يحملهم عليها سوى الطمع والشره في اموال الدولة والرعية كما ان كثيراً مما اتى به بعض المنتسبين اليهم من المنفرات لم يبعثهم على اتيانه باعث سوى الميل الى الهوى ومطاوعة النفس البهيمية ومنها ما دعاهم الى اتيانه مجرد الاستخفاف بالدين واعتقادهم المغلوط بان الدين مناف للمدنية

ومن غرائب تهور سفهاء الاتحاديين وقلة تبصرهم انهم اختاروا في

جميع اعمالهم المتعلقة بهذه الحرب طريقة الافراط المحض فطرحوا المعاملة بالرفق والمواساة واستعملوا في كل حركة من حركاتهم الشدة والعنف وكانوا اذا نهاهم عن ذلك ناه وارشدهم الى استعمال الرفق في موضعه والعنف في محله قالوا له ان هذه الحرب هي حرب حياة او ممات لا واسطة بينهما وقد غاب عنهم ان ولاة الامور في الدولة الضعيفة هم بمنزلة الطبيب للمريض ايسوغ للطبيب الامين الحاذق ان يضجر من مريضه ويجازف في حياته ويصف له دواء شديد التأثير يكون فيه للمريض حد الفصلين اما ان يميته واما ان يحييه كلا ثم كلا بل الحكمة البالغة ومواجب الصنعة يقضيان على ذلك الطبيب ان يستكين الى الاناة والتؤدة في تطبيب مريضه والا يحمله الضجر على اليأس من شفائه ما دامت فيه نسمة حياة وان يلطف له الدواء مهما امكن ويستسلم في تأثير دوائه الى عوامل القدرة ولا يخرج في تطبيبه الى حد الخطر على حياته فان ابل من مرضه فذاك هو المطلوب والا فلا ملام عليه

— ذكر طائفة من الامور المنفرة التي كانت اثناء الحرب وهي —
تهور جمال باشا وقلة تبصره

من تهور جمال باشا وهو اول شيء دله على طيشه انه لما قدم الى حلب لاول مرة اصدر امره الى الوالي جلال بك بان يحمل الناس على الصعب والذلول ويسوقهم فوراً الى جهة راجو ليعملوا في تسوية طريق سكة حديد بغداد وكان صدور امره هذا ليلاً فلم يسع الوالي مخالفته وفي الحال امر رئيس الشرطة ان يسوق الناس الى تلك الجهة باسرع ما يمكن

فاوعز رئيس الشرطة الى رجاله ان يطرقوا الابواب على الناس و يوقظوهم من مضاجعهم و يقبضوا على من يرونه في طريقهم من الرجال و يسوقوا الجميع الى تلك الجهــة بلا تفريق بين رفيع ووضيع ففعلوا ما امروا به وساقوا الناس بثياب نومهم ومنهم من نجا من شر هــذه البلية بنقود دفعها للشرطة .. ولما وصلت هذه الجموع الى جهة راجو قابلهم ضباط عسكريون وقالوا لهم لأي شيءٍ حضرتم الى هنا قالوا لاجل العمل بالطريق فقالوا لهم اباياديكم تحفرون التراب وتقلعون الحجارة و باي مكان تنامون واي طعام تأكلون ارجعوا الى حيث جئتم لا عمل لكم عندنا ولا مأوى ولا قوت فرجعوا على اسوأ حالة وقــد عرى اكثرهم الذرب من برد الخريف وقلة الزاد

نحن لا نعد هذا العمل مظلمة من جمال باشا لان عمل هذا الطريق امر واجب في ايام هذه الحرب وانما نعـد التسرع في سوق هؤلاء على هذه الصفة خرقاً وقلة اكتراث بعباد الله اما كان الواجب عليـه قبل سوقهم ان يعد لهم ما يأكلون و يهيئ لهم خيــاماً يأوون اليها وادوات يشتغلون بها ولو كان ذلك كله من اموالهم وانما ارهقهم بالسفر ولم يترك لواحد منهم مجالاً لان يلبس ثوب يقظته مع انه يعــلم ان الموضع الذي يساقون اليه خلو من كل ما يحتاجون اليه في انفسهم وعملهم

— ركوب جمال باشا بالعظمة والابهة —

ومن خشونة اخلاق جمال باشا التي زادته في القلوب نفرة انه كان يركب في البلد لبعض شؤنه فيحف به عدد وافر من الفرسان المسلحين

يسيرون على صورة رهيبة كأنهم في بلد عصا اهلها على الدولة او خرجوا عن طاعتها فكان الناس يقولون نحن لا نحتاج الى ارهاب لاننا مطيعون للدولة مخلصون بمحبتها والاولى بجمال باشا ان يسير بهذه المواكب تجاه اعداء الدولة ارهاباً لهم لانهم اولى منا بالارهاب

— انهماكه في المعاصي —

ومما نفر عنه القلوب انهماكه في الملذات وارصاده لنفسه في كل بلدة ينزلها من بلاد سوريا وفلسطين عاهرة يواصلها و يصرف عليها النقود الكثيرة وربما استقضته مصالح هامة تجني من ورائها المبالغ الطائلة ولا يخفى على المتبصر ما يجر هذا الانهماك من فساد اخلاق الضباط والجنود الذينهم تحت امرته على حد قول الشاعر

اذا كان رب البيت للطبل ضارباً فلا تلم الصبيان يوماً على الرقص

— تسلط المأمورين على التجار واخذ الذهب منهم بالورق —

ومن التعديات النظيمة تسلط المأمورين العديمي الانصاف من كل صنف خصوصاً الشرطة ورجال الدرك على التجار وفقراء الباعة بتكليفهم اياهم ان يبيعوا منهم بضائعهم بعملة من الورق النقدي على اسعار النقود المعدنية الذهبية والفضية وان يسددوا ما يزيد لهم من قيمة الورقه بنقود معدنية على السعر المعتبر عند الحكومة . مثلاً يشترى شرطي رطل خبز من امرأة فقيرة بثلاثين قرشاً حسب تنبيه الحكومة فيدفع لها ورقة نقدية سعرها عند الحكومة مائة قرش وسعرها في التجارة ثلاثون قرشاً فيكلفها ان تقطع عليه ثلاثين قرشاً وهي قيمة الخبز وتدفع له الباقي وهو سبعون

قرشاً نقوداً معدنية فتخسر سبعين قرشاً وهو مبلغ يستغرق جميع رأسمالها وكان الكثير من الضباط والمأمورين العثمانيين يكلفون التجار بان يصرفوا لهم الورق النقدي بالنقود الذهبية رأساً برأس فاذا امتنع التاجر عن اجابة طلبهم اهانوه وهددوه وكان الناس يخافون من الضباط خوفاً شديداً لان كل واحد منهم مستبد بعمله مع الرعية يمكنه ان يتصرف بهم كيفما شاء وعليه فان التاجر معذور على اجابة طلب الضباط فيصرف لهم الورقة النقدية التي سعرها في التجارة ثلاثون قرشاً مثلاً بليرة من الذهب قيمتها في التجارة مائة وسبعة وعشرون قرشاً فيلحقه بسبب هذه الصرافة خسارة عظيمة وكثيراً ما كان الوالي والقائد العسكري يعرضان على جماعة من التجار ان يصرفوا لهما خمسة الاف ورقة نقدية مثلا بخمسة الاف ليرا ذهباً بحجة انهما يريدان شراء مواش من العربان الذين لا يقبلون قيمة مواشيهم الا نقوداً ذهبية وقد سبق لنا بيان فساد هذا العذر في الكلام على حوادث سنة ١٣٣٣!

— اخراج الناس من بيوتهم قهراً —

ومن الاحوال التي نفرت القلوب اخراج اسر كثيرة من اماكنهم جبراً قسراً وجعلها مسكناً لضابط او مستشفى او محلاً لاقامة العساكر او مستودعاً للذخائر والمهمات وكانت جهة العسكرية لا تمهل سكان هذه المحلات غير مدة قليلة بحيث لا يمكنهم ان يتمكنوا في خلالها من ان يظفروا بمكان يأوون اليه فمتى انقضت مدة المهلة تهجم الجنود على المحل ويخرجوا منه اهله ويأخذوه مجاناً بلا اجرة وربما دفعوا لصاحبه

بعد عناء طويل اجرة ورقاً نقدياً لا تبلغ خمس اجرته الحقيقية بل هي لا تفي بما هو محتم على المحل من الضرائب الاميرية التي لا بد من دفعها سواء انتفع به صاحبه ام لم ينتفع . ثم لا تسل عما يجري على المحل الذي يحتله العسكريون من تحطيم البلاط وتكسير الملاط وتشويهه بالدخان وحرق اغلاقه وتحطيم زجاجه : هذا ما كانت تفعله في المحلات المذكورة عساكر الاتراك اما عساكر الالمان فانهم كانوا يأخذون المحلات اللازمة لهم من اهلها برضاهم وحسن اختيارهم و يدفعون لهم اجرة مثلها وزيادة وهم مع ذلك محافظون على عمرانها بل ربما صرفوا على تحسينها شيئاً من اموالهم فلذا كان الناس يرغبون معاملتهم ولا يمتنعون عن اجابة طلباتهم

— تظاهر جهلة الاتراك ببغض العرب —

ومن الامور التي كانت تنفر قلوب اهل البلاد العربية ونسيء ظنونهم بنوايا الدولة العثمانية ما كانوا يسمعونه من وقت الى آخر من الالفاظ القبيحة التي يفوه بها سفهاء الاتراك من مذمة ابناء العرب وشتمهم وسبهم بكل صراحة وقذفهم العرب بالغدر والخيانة وتهديدهم بالمهلكات في مستقبل ايامهم وكنا نسمع هذا الكلام واشباهه من الاتراك المعدودين من عقلائهم فضلاً عما كنا نسمعه من غوغائهم وجهالهم حتى من بعض النساء والصبيان . وهذا كله عدا ما كنا نراه صريحاً واضحاً في الصحف التركية من العبارات الدالة على استخفاف الاتراك بالعرب وقلة اكتراثهم بصداقتهم . وذلك ان طائفة من الاتحاديين الطائشين كانوا ينادون بالصحف الاخبارية التركية ان الواجب على كتبة الاتراك

وادبائهم ان يطرحوا من كتاباتهم الكلمات العربية و يهجروها من كلامهم بتاتاً و يقتصروا في عباراتهم على اللغه التركية المحضة التي هي لغة جغطاي احـد اجدادهم وان طائفة من الاتراك كانوا يقولون بلزوم ترك تلقيب السلطان بالخليفة وان يكون عنوان السلطان (ايمبراطور) وان تضرب الحكومة التركية الصفح عن بلاد العرب التي لا خير فيهـا وتقتصر على البلاد التي يسكنها العنصر التركي فقط وان تصرف فكرتها الى افتتاح تركستان وتجمع تحت رايتها العنصر التركي (وهي فكرة مضى اوانهـا) وان لا تحفل بالعرب ولا ببلادهم . وشاع بين الناس ان كبار زعمـاء الاتحاديين قرروا بان يتركوا العرب القاطنين في البلاد العثمانية اي يضطروهم الى ان ينسوا لغتهم و يصيروا اتراكاً وذلك بان ينقلوا من البلاد العربية اسراً كبيرة الى البلاد التركية و يزاحموا البلاد العربية بنقل اسر كبيرة تركية اليها فيتغلبوا على بقايا اهلها وتنقلب لغتهم الى التركيـة . وقد باشروا تنفيذ هذا القرار بالفعل وشرعوا باجـلاء بعض اسر كبيرة من دمشق الى البلاد التركية بغير سبب معقول فيا عجباً ممن كان يوسوس بهذه المخازي التي كانت السبب الاعظم في افتراق كلمة الترك عن العرب بعد اتحادها مئات من السنين وضياع هذه البلاد العظيمة من يد الدولة العثمانية التي كان يخلص في محبتها كل ذي حمية من العرب

— تعليم البنات فن الرقص والتمثيل —

وكانت قلوب المسلمين عموماً والامة العربيـة خصوصاً لما امتازت به عن سواها من قوة الاحساس والشعور تزداد نفوراً واشمئزازاً كلما ترى

صحف الاستانة تكتب المقالات الضافية في اثناء الحث على تعليم البنات وتهذيبهن مشيرة الى لزوم افتتاح اماكن يتعلمن فيها اصول الرقص واعمال التمثيل المعروفة بالتياترو وان يستخدمن في الحكومة كالرجال

ان عقلاء الامة العربية لا ينكرون وجوب تعليم البنات وتهذيبهن الى حد لا يتعدى ما يلزمهن في تحسين الاحوال المنزلية والتربية العائلية وانما ينكرون لزوم تعليمهن اصول الرقص واعمال التمثيل والاستخدام في دوائر الحكومة و يقولون حينما يقرؤن تلك المقالات اذا كان غرض الحكومة من ايصال البنات الى هذا الحد هو الاقتداء باوربا لترقى بلاد هذه الحكومة كترقي اوربا فان اوربا لم تجعل ايصال البنات الى هذا الحد اول خطوة من خطواتها في سبيل التقدم والرقي وانما كانت الخطوات الاولى منها في ترقيها وتقدمها هو ممارسة العلوم النافعة العمرانية التي لا يتم للامم امر العمران الا باحرازها منها النصيب الاوفر لا من علوم الرقص والقصف ودواعي الفجور والشرور على ان فن الرقص والتمثيل العلمي لا بد وان يتقدمه علم الاخلاق وتهذيب النفس والا كان مدعاة لفساد اخلاق الفتاة وتلويث شرفها . ثم لنفرض ان تعليم البنات الرقص وفنون التمثيل امر مستحسن انما كان التجاهر به في هذا الوقت غير مستحسن لانه مخالف لتقاليد هذه البلاد التي يرى اهلها المسلمون ان التمسك بالشرع من اعظم اسباب الانتصار في هذا الوقت الحرج

— افساح الحكومة مجال البغاء —

ومن المنفرات العظيمة ايضاً افساح الحكومة مجال البغاء وتكثير فتح ابواب العهر وشدة العناية بتيسير وسائط الوصول اليه في اكثر البلاد العثمانية حتى كان لحلب من هذه الوسائط النصيب الاوفر فقد فتح فيها على صفة رسمية ما ينوف على مائتي بيت يجمعها اسم المنزول اي الماخور هذا عدا مئات من بيوت العهر غير الرسمية التي كانت متفرقة في المحلات بين البيوت والمنازل التي يسكنها اهل العرض والناموس وكان الانسان اذا رفع خبر بيت من هذه البيوت المدنسة الى الحاكم لينقل اهله الى المنزول بحسب احكام القانون يكن جواب الحاكم قوله له (ليس لنا ان نخرج صاحبة هذا البيت من بيتها اذا لم يظهر منها لجيرانها « زررقي » يعني بهذه الكلمة فتنة او استعمال سلاح او تلويث باب دار جار اما ما دامت تجري شؤنها ولا يظهر بسببها للجيران شيء من الاضرار المذكورة فليس لنا عليها من سبيل) على ان الذي كان يدافع عن امثال هذه البيوت ويقف في وجه المشتكين منها هم رجال الشرطة او الضباط العسكريون لانهم هم الذين كانوا يترددون عليها للعهر او كانوا يأخذون من كل بيت منها راتباً اسبوعياً ليدافعوا عنها تجاه اهل المحلة ويحموها ممن يسيء معاملتها من الزبائن فكان اهل العرض والشرف المجاورون هذه البيوت المدنسة يتكبدون كل ضرر من جوارهم ويسلبون الراحة والقرار في الحرص على حريمهم وبناتهم كيلا يلحقهن شيء من فساد الاخلاق بسبب الجوار الامر الذي اصيب به كثير من الناس واصبحوا منكسي

الرأس . وبينما كان الناس يتضجرون من كثرة المومسات ووفور بيوت الريبة اذ اصبحوا وهم في اواخر ايام هـذه الحرب فرؤا في محلة بحسيتا بيوتا علق على ابوابها الواح كتب فيهـا (ملاقاتخانه) نومرو (كذا) اي محل لقاء فسألنا عن المراد من هذه البيوت فقيل لنا المراد منها تسهيل الوصول الى المحبوب لذوي الهيئات الذين يتحاشون الدخول الى المنزول فعجبنا من اعتناء الحكومة بهذه الامور الرذيـلة في الوقت الذي تقضي فيه عليها السياسة فضلاً عن الدين ان يكون تباعدها عنها فوق كل تباعد رعاية لعواطف الرعايا المسلمين . والغريب ان المراجع التي كان يلجـأ اليهـا المشتكي من هذه الاحوال السيئة اصبحت مركزا للمومسات ومصائد لاقتناص الحرائر وايقـاعهن في شبكات الفجور فقلما كان الانسان اذا راجع المخفر للتشكي من هذه الاحوال ان لا يرى فيـه عاهرة اعدت لرئيس المخفر او لاحد مقربيه او يرى فيها حرة لها حاجة عند هذا الرئيس قد امسكها وماطلها لينال منها اربه اجرة له على قضاء حاجتها فاما ان تضحي شرفهـا واما ان تخسر حاجتها . وكانت نساء العساكر اللواتي يأخذن الرواتب الشهرية من الحكومة في اثناء غياب اوليائهن عرضـة لبذل شرفهن الى الشرطة المنوط بهم التصديق على حاجتهن للمعاش والى جباة الاموال المعروفين بالتحصلدارية وجماعة كتاب الديوان فكم من محصنة من هؤلاء النسوة اضطرت ان تبـذل صيانها لأمثال هؤلاء لتأخذ مرتبها الشهري الحقير الذي لا يفي باقتياتها سوى يومين من الشهر وكم جرّت الحاجة امثال هؤلاء النسوة الى منتهى درجات التبذل حتى

صرن يجلسن في الشوارع والطرقات عرضة لخطاب العهر كي ينلن منهم دريهمات يصرفنها على القوت الذي يحفظ عليهن رمقهن ومن هؤلاء النسوة من يعز عليهن شرفهن فلم يرضين ان يحفظن رمقهن ببذل شرفهن فاخترن ما هو اخف وطأة من هذا وصرن يتعاطين السرقة بانواع الحيل والدسائس فينالهن بسبب هذه المهنة من المكروه والاهانة ما لا يعلمه الا الله تعالى ومنهن من لم ترض بهذا ولا بهذا بل حملها شرف نفسها على ان تحفظ رمقها بالتسوّل والجلوس في الشوارع ومد يدها الى استعطاف المارين والعابرين فكانت تقضي سائر نهارها ولا تجمع قيمة خمسين درهماً من الخبز لان قيمة مائة درهم منه بلغت ستة قروش

كان الانسان السخي يتصدق قبل هذه الحرب على واحدة من امثال هؤلاء الفقيرات بربع القرش فتعد صدقته كثيرة لان اكثر الناس يتصدق احدهم على امثالها بثمن القرش او بنصف ثمن القرش وكانت الفقيرة تعيش من هذه الصدقة الطفيفة عيشة كافلة حياتها واقية نفسها من كوارث السغب وكواسر العطب. اما بعد حدوث هذه الحرب وارتقاء اسعار الاقوات في اثنائها الى عشرين ضعفاً عما كانت عليه قبلها صار ذلك الانسان يتصدق على امثال تلك الفقيرات بربع القرش فترى الفقيرة صدقته جزئية لانها مهما اعانها الحظ لا يمكنها ان تجمع في يومها ثلاثين ربعاً جمعها سبعة قروش ونصف وهي قيمة مائة وعشرين درهماً من الخبز وهو مقدار لا يكفيها وحدها فضلاً عن ولدها او اولادها المتعددين فكانت هذه المسكينة تعج وتضج طول نهارها بل الى وقت العتمة وهي

تستجير وتستغيث وتنادي باعلى صوتها (جوعانه جوعانه يا اهل الخير) فلا تجد لها راحما ولا مغيثا حتى كأن الشفقة قد نزعت من القلوب ثم لا تلبث هذه المنكودة الحظ حتى يدب الضعف في جسمها واجسام اولادها ويستولي عليهم المرض و يكونوا في النهاية فريسة الجوع

كل هذا واكثر كبار المأمورين من ملكيين وعسكريين يجمعون الوف الليرات بالتسلط على ارزاق العساكر واموال الدولة والرعية بانواع اساليب السلب والنهب و يصرفون ما عز وهان من ذهبهم الرنان على شراء الحلي والحلل لنسائهم والتغالي فيما يقدمونه لبطونهم وفروجهم ولا تأخذهم رحمة ولا تهزهم شكوى في تعاسة هؤلاء الفقراء الذين تصدع اصواتهم شم الجبال وتمطر على اولي العواطف الشريفة وابل الوبال والنكال

— كتاب قوم جديد —

ومن منفرات قلوب المتعصبين الدين من رعايا المسلمين العثمانيين كتاب الفه رجل يقال له الشيخ عبيدالله باللغة التركية سماه (قوم جديد) اتى فيه بامور لا يرضاها الحريصون على معتقداتهم الدينية وكان نشر هذا الكتاب قبل الحرب بمدة قليلة اي كان نشره في الوقت الذي يجب فيه نشر كتب ديني ترضاه الخاصة وتقبل عليه العامة و يصحح اعتقادهم بصلاح دولتهم وصدق اسلاميتها وتعصبها للدين واهله · و يقال ان هذا الكتاب كان من اكبر العوامل التي زعزعت اعتقاد مسلمي الهند في الدولة العثمانية وجعلتهم يشكون في صدق اسلاميتها قائلين لولا تشوه

اسلاميتها لما كانت ترضى بطبع هذا الكتاب وتسعى بنشره

— كتاب سيرة النبي —

ومن الكتب التي هي من هذا القبيل كتاب تكلم فيه صاحبه عن السيرة النبوية ترجمه من اللغة الفرسية الى اللغة التركية اثبت في مقدمته شمائل وحالات للنبي عليه السلام ينكرها التاريخ و يكفر الدين من يعتقد صحتها ثم تكلم على شيء من سيرته عليه السلام فطوى منها كل ما يدل على روحانيته و كونه موحى اليه

هذا التركي الذي ترجم هذا الكتاب ونقله عن موءلف اجنبي عن الدين اما ان يكون اطلع على شيء من كتب السيرة النبوية التي تعد بالمئات وهي من تأليف علماء المسلمين المجمع على صدقهم وسعة اطلاعهم وعلو مداركهم واما ان يكون غير مطلع على شيء من تلك الكتب فان كان مطلعاً فكيف يسوغ له عقلاً فضلاً عن الدين ان يعدل عما قالته وسطرته علماء الدين الصادقين المدققين الى كتاب الفه رجل اجنبي عن الدين لم يستند في كتابه الى نقل ولا رواه عن ثقة وان كان غير مطلع على شيء من تلك الكتب اي كتب السيرة النبوية ولا يعلم انه يوجد منها غير الكتاب الذي ترجمه كان عليه ان لا يتسرع بترجمته قبل ان يطلع عليه بعض علماء المسلمين و يستشيره بترجمته فان رضي ان يترجمه فليفعل والا لا · على كل حال ينبغي ان يكون مترجم هذا الكتاب شاباً طائشاً مغفلاً او رجلاً سيء الاعتقاد وعلى كل فان الذنب كل الذنب على الحكومة التي رخصت له بطبع هذا الكتاب ونشره غافلة عما

يجنيه من نفرة قلوب المسلمين وانحرافهم عن الدولة العثمانية

– التسرع باراقة الدماء –

ومن المنفرات الفاضحة التي كانت من اعظم مدمرات معاهد الصدق والولاء التي شادتها الدولة العثمانية مدة اربعة قرون في قلوب الامة العربية تسرع جمال باشا ورفقاه من زعماء الاتحاديين في اراقة الدماء واستخفافهم بارواح عدد عظيم من الابرياء الذينهم من زهرة شبان سوريا وبيروت وحلب

ان اهل هذه البلاد قد نسوا مناظر المقتولين والمصلوبين لانهم مضى عليهم زهاء ستين سنة ولم يروا انساناً معلقاً على جذع فما راعهم في هذه الايام الا مناظر المعلقين كل يوم على جذع لأقل سبب فاشتد عليهم هذا الحال ونفرت قلوبهم من هذه الدولة نفرة لا رجوع بعدها . كان لا يمضي علينا ايام قلائل الا ونسمع فرقعة البنادق التي كانت ترشق رصاصها على الفارين من العساكر فنأسف عليهم غير اننا لا نلبث ان يزول اسفنا ونرى انهم عوقبوا بما يستحقونه ثم وردت علينا صحف بيروت تخبر بتعليق جماعة من الشبيبة العربية فيها اتهموا بالمروق على الدولة والسعي بان يستظلوا براية غيرها فاستعظمنا هذا الخبر اولاً ثم قلنا لعل الذي اتهموا به امر واقع ثم لم يمض سوى قليل من الايام حتى سمعنا بالقاء القبض على جماعة كانوا نسبوا الى جمعية عربية عقدت في مدينة باريس بعد حرب طرابلس الغرب تضم اليها زهرة من ابناء العرب مسلمين ومسيحيين اكثرهم من جالية البلاد العثمانية اللاجئين الى مصر

وباريس ولوندره واميركا وكان الرئيس على هذه الجمعية عبد الحميد الزهراوي وقد طبعت كتاباً اثبتت فيه نبأ كل ما اجرته ونسخة كل ما قالته في جلساتها مع بيان اسماء من حضر اليها او كاتبها على بعد ممن رغب الانضمام اليها وسطرت غير ذلك من الفصول والمقالات الصريحة المشعرة بالغرض من انعقاد هذه الجمعية واحوالها وما جرياتها وهو كتاب كبير يستغرق زهاء مائتي صحيفة تدل مقاصده ظاهرا على ان هذه الجمعية لا تطلب من الدولة العثمانية سوى منح البلاد العربية اللامركزية على شرط بقائها تحت العلم العثماني حتى ان واحداً من المتطرفين من رجال هذه الجمعية اشار في كلامه الى لزوم انفكاك هذه البلاد عن العثمانية بتاتاً والانضواء تحت راية دولة اخرى فرد عليه الجميع كلامه وقالوا لا نرضى ان يظلنا غير راية الهلال

هذا ما يدل عليه ظاهر مقاصد هذه الجمعية · والمفهوم من مقدمة هذا الكتاب وعبارات الخطب التي اشتمل عليها ان الذي حمل هذه الجمعية على طلب اللامركزية امور كثيرة يطول شرحها وخلاصتها استئثار دولة تركيا بدخل البلاد دون ان تترك لها منها ما يقوم بتعميرها وجعلها في عداد بلاد الامم الراقية بمعاهدها العلمية ومعارفها العمرانية التي تثمر اطاييب الحياة لمن جناها من الامم و ن تركيا بسبب سوء ادارتها تركت هذه البلاد التي هي مصدر الترقي ومهد التمدن مهملة معطلة ارضها موات واهلها في عداد الاموات وقد اهملت المعدات البرية والبحرية الحربية حتى اصبحت تعجز عن اقل عادية تطرأ على بلادها فصارت

مسرحاً لمطامع الدول المستعمرة ومن جهة اخرى خصت ابناء جنسها الاتراك بالخدم العالية وصرفتها عمن هو اجدر بها منهم من ابناء العرب الذين يتألف منهم ثلثا اهل هذه المملكة وزد على ذلك ما هو مشاهد من مأمور يها وحكامها من الظلم والجهل وسوء الادارة والتجاهر بالرشوة والانهماك بالرذائل الى غير ذلك من الامور التي تكون عقباها بلا ريب انسلاخ هذه البلاد من يد العثمانيين الى يد دولة اخرى لا يبقى معها خيار للناس في كيفية حكمها عليهم

هذه خلاصة بواعث الجمعية على طلب اللامركزية . على اننا لا ننكر وجود نافخ ينفخ في نار حمية رجال هذه الجمعية لغرض يقصده وهم يعلمون ذلك ولا يجهلونه وانما اضطرهم الى الاستكانة اليه قلة الظهير والنصير لهم عملاً بقول الشاعر

اذا لم يكن غير الاسنة مركباً فما حيلة المضطر الا ركوبها

ان رجال هذه الجمعية لم يكونوا هم اول من ادرك سوء مصير حالة الدولة العثمانية واحس بانحطاطها الى الدرجة الاخيرة فقنطوا من صلاحها وايقنوا بضياع بلادها فقاموا يتحدثون في طلب اللامركزية ابقاء لكيانها بل البادئ بادراك ذلك قبلهم والمتحدث به كثيرون من متبصري رجال الدولة الاتراك وعقلائهم حتى انهم كانوا يعلنون مداركهم هذه في صحف الاستانة و يتظاهرون باستحسان منح اللامركزية الامة العربية وانه ابقى على البلاد وارفق بحالة العباد

ان اليأس من صلاح هذه الدولة في تلك الايام قد بلغ غايته وان ضعفها المتناهي الذي اصاب به انكسارها في طرابلس الغرب والبلقان قد ازال ما كان لها من الهيبة والرهبة في قلوب شعبها فامنوا بطشها وصار الكثير منهم ينادي علناً بلزوم اختيار دولة غربية تتولى هذه البلاد ليأمن اهلها الغوائل تحت رايتها فكان اكثرهم يختار دولة انكلترا واقلهم يختار غيرها وصدى ضوضائهم في اختلافهم على ذلك يدوي في اصمخة ولاة الحكومة التركية فيتصامون عنه ولا يقدرون على رده

فهل والحالة هذه يعد رجال تلك الجمعية متهورين وهل يلامون على قيامهم لطلب اللامركزية التي هي اخف الضررين

وهب ان اللامركزيين المذكورين كانوا غير محقين في قيامهم هذا افيمكن للاتحاديين ان يتبرؤا من وصمة الغدر بهم بعد ان حلوا عقدة مؤتمرهم طوعاً حينما الانت لهم الحكومة القول ونادتهم بالرجوع الى احضانها ووعدتهم باجابة طلبهم وامنتهم على ارواحهم واعطتهم على ذلك العهود والمواثيق واسندت الى كل واحد منهم وظيفة باشرها بكل صدق وامانة ومضى عليه زمن طويل ولم يظهر منه اقل شيء يدل على سوء نيته و بينما كان كل واحد منهم قائماً بخدمته مثابراً على عمله في ابان الحرب العامة اذ دعي الى الديوان العرفي المفتتح في عاليه فاستوقف فيه موقف خصم الدولة وعدوها و بعد ان ذاق في سجنه انواع العذاب وتجرع من كأس الذل والتضييق امر من الصاب واستغرق في المحاكمة امداً طويلاً ارغاماً له وتنكيلاً حكم عليه بقصاص القتل تعليقاً ثم في ابدلة

واحدة نفذ هذا الحكم على واحد وعشرين شخصاً من رجال هذه الجمعية علق بعضهم في بيروت وبعضهم في دمشق كما اشرنا الى ذلك في حوادث سنة ١٣٣٢

كان الاشخاص المقتولون من مشاهير رجال سوريا وذوي العقول المنورة منهم ولهم شيعة كبيرة تسير على سننهم وتقتفي آثارهم في اعمالهم وتعتقد بهم كل فضيلة وكمال ولذا نقول ان الاتحاديين اخطأوا في هذه الحادثة من عدة وجوه

الاول قتل الرجال المذكورين لانه كان من اكبر الدواعي لتنفير قلوب شيعتهم الكبيرة العربية من الحكومة العثمانية في الوقت الذي كان اللازم فيه على الاتحاديين ان يجتهدوا بعمل ينشأ عنه عكس ذلك اي بعمل ينشأ عنه تحبيب القلوب بالحكومة العثمانية واستمالتها اليهم بمقتضى موقفها الحرج الذي هو في حاجة شديدة الى تكثير عدد الصديق وتقليل عدد العدو حتى لو فرضنا ان الرجال المذكورين كانوا يستحقون القتل حقيقة كان الواجب السياسي يقضي على الحكومة في هذا الوقت الحرج ان لا تقتلهم بل بعد ان تحكم عليهم بقصاص القتل وتوهمهم بان لا مناص لهم من هذا القصاص اظهاراً لقدرتها وتنويهاً بسطوتها تفاجئهم بصدور العفو حلماً منها وحناناً عليهم ثم بستتبا وتتلى عليهم النصائح والمواعظ ويقال لهم عفى الله عما مضى ... باجرف وتملك قلوبهم بالاحسان فيندمون على ما فرط منهم ويعترفون بفضل دولتهم وفرط رأفتها وحلمها عليهم وتتبدل عداوتهم لها بالصداقة ويخدمونها بكل امانة

واخلاص . حكي عن اسكندر المكدوني انه قيل له بم نلت هذه المملكة العظيمة على حداثة السن فقال باستمالة الاعداء وتصييرهم بالبر والاحسان اصدقاء وتعاهد الاصدقاء باعظم الاحسان وابلغ الاكرام

(الثاني) عدم الاتحاد بين بهم وعدم احترامهم وعود حكومتهم ومعلوم ان وفاء العهد اذا كان من حيث هو واجبا فهو على الحكومة اشد وجوباً لان الحكومة قد يكفيها وفاء العهد والوعد موءنة حرب عظيمة اذا عرفت باحترام العهود فاما اذا كانت معروفة باخلاف الوعد ونكث العهد فانها تفقد الثقة من القلوب وتصبح مضطرة الى استعمال القوة والعنف في كل غاية تطلبها الامر الذي يجعل الحكومة طول حياتها في تعب ونصب ولهذا قيل فيما ينسب الى الفرس : فساد المملكة واستجراء الرعية وخراب البلاد بابطال الوعد والوعيد . ومن هذا القبيل ما اورده ابن خلدون في الفصل ١٥ من الفصل الثاني من مقدمته فراجعه . وقد ظهرت اثار صدق هذا الكلام فيما نتج من عدم الاتحاديين بهؤلاء الجماعة وما جنوه في عملهم هذا على دولتهم من المتاعب والمعاطب وتعجيل ضياع بلادها وتنفير قلوب سكانها

وقد زعم جمال باشا في مذكراته ان قتل هؤلاء النفر لم يكن مبنياً على ما صدر منهم في مؤتمرهم الذي عقدوه في باريس بل كان قتلهم مبنياً على امور صدرت منهم بعد العفو عنهم حالة قيامهم في وظائفهم : على ان جمال باشا ذكر هذا ولم يذكر شيئاً مما زعم صدوره منهم بعد العفو المذكور : والحق يقال ان اراقته دماء هؤلاء الجماعة لم يكن الا

تشفياً لغيظه من العرب عاداً عمله هذا فوزاً عظيماً وانتصاراً مبيناً به سماه مداحوه والمتقربون اليه فاتح سوريا و بطل تركيا ولو امنوا بطشه اسموه بسبب هذه الجريمة مضيع سوريا وناكب تركيا

والامر الغريب ان جمال باشا بعد ان غدر بهؤلاء الرجال احس بان العرب قد نقمت عليه عمله وعدته ظلماً وتشفياً فاراد ان يعتذر للعرب بقتلهم و يوهمهم بانه لم يقتلهم الا لانهم يستحقون القتل لجرائم صدرت منهم فامر ان يلفق له كتاب تذكر فيه جرائمهم وذنوبهم التي استحقوا من اجلها القصاص مع بيان الاعذار الشرعية والقانونية التي دعت الحكومة الى قتلهم فلفق له هكذا كتاب وطبع ونشر فكان المتبصرون من قرائه يرون ان اكثر الاعذار المستند اليها في قتلهم حجة على جمال لا حجة له وان باقي الاعذار المسرودة في هذا الكتاب مما لا يوجب عليهم شيئاً من العقوبة اكثر من التوبيخ او الحبس مدة يسيرة ليس الا ولذا قيل ان هذا الكتاب لما اتصل خبره بالقائد العسكري الالماني معاون جمال واطلع على ما فيه بواسطة مترجمين رأى انه مما يؤكد غدر جمال باشا وظلمه عكس المراد منه وانه مما يزيد نفور الرعية من تركيا و يضاعف حقدهم عليها فامر بجمع ذلك الكتاب واحراقه فجمع منه القدر الكثير وقلت بين ايدي الناس نسخه

اذا لم يكن عون من الله للفتى　　　　واول ما يجني عليه اجتهاده

ومن منفرات قلوب الرعية خصوصاً منهم الحلبيين قتل افراد منهم لاغراض دنيئة قامت في مخيلة جمال باشا زعماً منه بان قتلهم من الامور

التي تقتضيها السياسة وذلك انه قتل شاباً بستانياً لوجود صندوق مدفون في بستانه فيه بعض اثواب بالية ادعى بعض فقراء الارمن ان هذا الصندوق سرق من بيته وكان هذا الشاب ممن عرف بين سائر اقرانه واهل حرفته بالتقوى وحسن السيرة وهو لا يعرف هذا الصندوق ولا يدري من دفنه في بستانه وقد حلف على ذلك ايماناً مغلظة وشهد بصلاحه وورعه كثير من الناس فلم يصغ جمال لذلك ولم يمهله غير يوم واحد حتى اصبح ذلك المسكين معلقاً وبكى عليه كل من يعرفه ودعا على جمال بالهلاك وسوء العاقبة · والمفهوم من بعض حاشية جمال انه لم يقتل هذا الشاب لسوء ظنه به في مسئلة الصندوق بل هو معتقد ان الرجل عفيف بعيد عن السرقة وانما قتله لغرض سياسي وهو جعل قتله حين مناقشته الحساب عما اجراه من الفظائع مع الارمن برهاناً على فرط عناية تركيا بحقوق الارمن وشدة حرصها في حمايتهم وصونهم من التعدي حتى انها قتلت رجلاً مسلماً لمجرد قيام شبهة عليه في سرقة هكذا صندوق

ومن الدم الذي اراقه جمال باشا لغرض سياسي يزعمه دم شابين من اهل حلب احدهما في سن الثانية والعشرين والاخر في سن الثامنة والعشرين وهما غضا الشبيبة منورا العقل زعم جمال باشا انهما نددا بظلم الحكومة العثمانية واليا عليها جموع العرب ومدحا حكومة العرب الشريفية وندبا الناس اليها · وحقيقة الحال ان الصغير منهما كثرت عليه الديون وضايقه غرماؤه فهرب من وجههم الى جهة الباب واجتمع في احدى جهاتها على طريق الصدفة بواحد او اثنين من عرب البادية وذكر لهما في اثناء

حديثه معهما شيئاً مما يقاسيه اهل حلب من المتاعب والمساغب وتسلط العسكرية عليهم في هذه الايام التي هي ايام الحرب العامة وحكى لهما ان حضرة الشريف قام الان على الاتحاديين لينقذ الناس من ظلمهم ليس الا

هذا كل ما نسب الى هذا الشاب وجعل سبباً لقتله : واما الشاب الآخر فانه لم يخرج من حلب ولا اجتمع بترك ولا عرب وليس له ذنب غير كونه صديقاً للاول ولم تقم عليه شبهة توجب اراقة دمه سوى ان الشرطة لما هجموا على بيته ليفتشوا على اوراق يستخرجون منها شبهة تثبت اشتراكه مع الاول — وجدوه يطبخ قهوة البن على اوراق يحرقها فقالوا لو لم يكن في هـذه الاوراق ما يدعو الى الشبهة لما احرقها . والحال ان هذا الرجل معروف لدى جميع اصحابه انه معتاد من القـدم على ان يطبخ القهوة على نار الاوراق التي هي الجرائد القديمة ومسودات الدعاوي التي يوكل بها لانه كان محامياً . علق جمال باشا هـذين الشابين لمجرد الاسباب التي ذكرناها . على ان الديوان العرفي برأهما ولم يعد هـذه الاسباب موجبة لقتلهما فاصر عليه جمال بان يحرر مضبطـة بوجوب قتلهما وقال للديوان يكفي موجباً لقتلهما فرارهما من العسكرية مع ان الاول منهما كان عسكرياً بالفعل مسافراً بالاذن والثاني كان محامياً مستثنى من الخدمة العسكرية بحكم القانون

اما الغرض السياسي الذي يقصده جمال باشا من قتل هذين الشابين الذين ادمى قتلهما القلوب فهو تأييد زعمه بان عامة البلاد العربية السورية

كان اهلها اعداء الدولة العثمانية وان اهل مدينـة حلب من جملتهم وكان ولاة حلب ينكرون على جمال هذا الزعم ويقولون له الحلبيون لا يوجد بينهم اعداء للحكومة الاتراك وانهم لم يظهر منهم قط شبهة تدل على ذلك فاجتهد جمال باشا بان ظفر من الحلبيين بشيءٍ سياسي يؤيد دعواه ويكذب ما كان يقوله الولاة فلم تتيسر له ما اراد وبقي سره منغصا لان عدم ظفره بهكذا شيءٍ يجعله كاذباً في دعواه بانه فتح سوريا تلك الدعوى المفتراة التي ايدها في بيروت ودمشق وغيرهما من البلاد السورية الجنوبية بما اراقه فيها من دماء اهلها العاصين على الحكومة على زعمه وبقيت دعواه في مروق اهـل سوريا الشمالية غير مؤيدة ولما حدثت قضية هذين الشابين في حلب عد قتلهما فرصة لتأييد زعمه وتأكيد دعواه في الحلبيين ايضاً وانه المعي لا تخيب فراسته ولا تخطيءُ سهام ظنونه المرمى وان ولاة حلب الذين كانوا يبرؤن اهلهـا من شائبة المروق على الدولة لا تحقيق عندهم ولا تدقيق

— تسلط جباة الاموال ورجال الدرك على اهل القرى —

ومن المنفرات العظيمة التي كان تسبب بهـا اراذل جباة الاموال ورجال الدرك المعروفون بالجندرمه سوء معاملة هؤلاء لاهـل القري وتسلطهم عليهم بالسب والضرب بحجة انهم يتقاضون منهم المتـأخر في ذممهم من مرتبات الدولة عليهم كالاعشار ورسوم الاملاك المعروفة بالوركو والاعانات التي تجبى من الناس باسمـاء مختلفـة كقولهم اعانة الكساوي الشتوية للعساكر الشاهانيـة واعانة الاسطول والاعانة المليـة

واعانة المهاجرين وغير ذلك من الاعانات المختلفة الاسماء المتحدة المعنى لان جميعها كانت ترمي الى غرض واحد وهو امتصاص دم الاهلين واستنزاف اموالهم وقلما يمضي شهر واحد الا و يظهر فيه شيء من هـذه الاعانات فكان جباة الاموال ورجال الدرك المتقـدم ذكرهم يتوجهون الى القرى بحجة تقاضي هذه الاموال من اهلها فيقبلون على القرية وقد قبضوا على السياط بايديهم ويستقبلهم اهل القرية لينزلوهم عن دوابهم و يأخذوهم الى دار ضيافتهم فلا يكون سلام اولئك الظلمة عليهم سوى اعمال السياط في اجسامهم وسبهم ومخاطبتهم باقبح لسان واول شيء يطلبونه من القروي ان يقدم العلف لدوابهم فاذا لم يكن عنده شعير كلفوه ان يقدم لها علفاً من مؤنته التي تتوقف عليها حياته ثم يكلفونه ان يقـدم اليهم طعامهم من اللحوم والدجاج والبيض وغيرهما من الاطعمة التي ينـدر وجودها عنده في ايام هذه الحرب فاذا لم يقدر اهل القرية ان يتداركوا لهم هـذه المآكل وقدموا لهم من طعامهم المعتاد قام اولئك الظلمة عليهم واوسعوهم ضرباً وشتماً ثم هجموا على مـا يرونه في القرية سارحاً من الدجاج والربائط التي يستخرج منها اهلها ادمهم الضروري فيذبحونها و يأمرونهم بطبخها وتقديمها اليهم واذا بصر هؤلاء اللصوص في بيت من بيوت القرية بما يعجبهم من البسط والمنابد اخذوه كأنه غنيمة من مال حربي ثم يطلبون المتأخر على القرية من الاموال التي تقدم ذكرها فيجمع لهم المختار من اهل القرية ما يقدر على جمعه من النقود و يدفعها لهم رشوة على سكوتهم عن طلب المتـأخر عنـدهم من الاموال التي

يعجزون عن وفائها لفقرهم بسبب تسلط الحكومة عليهم واذا كان اهل القرية لا يجدون ما يرشون به هؤلاء اللصوص فلا تسل حينئذٍ عما يفعلونه بهم من المظالم والفظائع فربما كانوا يأتون بالرجل و يشدونه بالحبال و يدهنون وجهه دبساً و يقفونه في ضح الشمس وربما ضربوه ضرباً مبرحاً ونتفوا لحيته ولطخوها بالقذر وقد يهرب رجال القرية من وجوههم فلا يبقى فيها سوى النساء والاطفال وحينئذٍ يأتون بالمرأة المصونة و يطرحونها على الارض و يرفعون رجليها للضرب فتبدواسوأتها لتقر لهم عن مكان رجل بيتها وربما مس بعضهم شرفها ثم يهجمون على البيوت و يستخرجون ما يجدونه فيها من المؤنة فيأكلون منه قدرشبعهم و يضعون الباقي في حقائبهم . ولهذه الاعمال الفظيعة خرب الكثير من القرى في الجهات الشرقيـة والجنوبية وغيرهما من ولاية حلب وجلا اهلها عنها واصبحت خراباً يباباً لا انيس فيها ولا جليس

— حبس الاقوات عن المدينة المنورة وجهات بيروت —

ومن المنفرات العظيمة حبس جمال باشا الاقوات عن المدينة المنورة وجبل لبنان كيلا يبقى لاهلهما هم غير خلاص انفسهم من غائلة الجوع فيكون في ذلك شغلهم الشاغل عما كان يتوهمه فيهم من العصيان والتمرد على الحكومة العثمانية والانحياز الى اعدائها وقد جلا اهل المدينة عنها ونالهم من المشقة والزحمة ما يعجز القلم عن بيانه وجلا البعض من اهل لبنان عنه وهلك بالجوع ممن بقي فيه عشرات الالوف . وكان جمال باشا يود ان يقدر على تنفيذ هذا المقصد في دمشق وحلب غيرانه لم يوفق اليه

بسبب كون هذين البلدين من البلاد الزراعية التي يتعذر خلوها من الاقوات على انه مع هذا امكنه ان يرمي شيئاً من سهام هذا البلاء اهل حلب حينما قلّت فيها الاقوات وغلت اسعارها ومات الكثير من فقراء اهلها بالجوع والاقوات كثيرة متوفرة في المستودعات العسكرية وجهات ماردين وغيرها مع عدم ترخيصه باعطاء شيء من المستودعات او احضار مقدار من الجهات المذكورة تخفيفاً لو يلات اولئك الفقراء

— منع اخراج البضائع من مواضعها —

ومن المنفرات ايضاً ما جرت عليه الجهة العسكرية في ابان هذه الحرب من العادات المضرة بصالح الاهليين التى من جملتها ان المواد الغذائية وجميع البضائع التي تصرف في حاجيات الحرب والعساكر لا يجوز اخراجها من بلدة الى اخرى الا اذا كان الذي يريد اخراجها ضامناً اي ملتزماً لها على شرط تسليمها الى الجهة العسكرية او ادارة الاعاشة في غير بلدة فانه يرخص له باخراجها وادارة السكة الحديدية توافق على شحنها له الى الجهة التى يريد ان ينقلها اليها

هذه القاعدة اوقعت بالاهليين اضراراً عظيمة وافقدت المساواة بينهم في المعيشة . وفيما يحتاجون اليه من البضائع اذ كثيراً ما كان يوجد في حلب مثلاً بضاعة تزيد عن حاجة اهلها فيسرفون في اتلافها لأنها تباع عندهم بابخس ثمن ويكون في عينتاب مفقودة او قليلة جداً والحاجة اليها شديدة ولا يمكن للفقير هناك ان ينالها لأنها تباع باغلى الاثمان . ومن جهة اخرى كانت هذه القاعدة مدعاة لخيانة كثيرين من وجهاء

المستخدمين من ملكيين وعسكريين ومعينة لهم على الاستئثار بارباح البضائع الوطنية الممنوع شحنها وحرمان التجار الاهليين منها وذلك بان يتفق سراً ضابط مع ملتزم سمن مثلاً يقدمه من حلب الى استانبول على شرط ان يساعده الضابط بالشحن و يشاطره بالربح فيرسل الملتزم اضعاف ما هو مفروض عليه ارساله من السمن و يكون له في استانبول وكيل يتسلم السمن من ادارة السكة و يقدم منه القدر المفروض الى الجهة العسكرية او ادارة الاعاشة و يبيع الباقي منه الى التجار باسعار باهظة فيربح منه ارباحاً طائلة يقتسمها مع الضابط الذي اتفق معه سراً .

هذه المسئلة من جملة المسائل التي اغاظت اهل هذه البلاد ونفرت قلوبهم من الحكومة لان غيرهم كان يستأثر بارباح بضائع بلادهم وهم محرومون منها

ومن هذا القبيل ما كان يجريه زعماء الاتحاديين في البضائع التي يحضرونها من اوربا او المملكة العثمانية باسم ادارة الاعاشة او باسم فقراء الاهالي ليبيعوها لهم برأس مالها تخفيفاً لآلامهم فكانوا بعد ان تصل اليهم يضعون ايديهم عليها و يبيعونها الى التجار باغلى الاثمان

خلاصة في بيان ماجريات الحرب العالمية —

ذكرنا في هذا الجزء تحت عنوان (اول تحرش بالمانيا) ان المانيا امرت اسطولها الطيار بان يجتاز حدود بلجيكا الى الاراضي الفرنسية بمقابلة اجتياز طيارات فرنسه منها الى حدود الالمان ونقول هنا ان جيوش الالمان زحفت بعد ذلك على حدود روسية واستولت منها على بولونيا

واسرت من جيوشها مئات الالوف وذلك كله في مدة لا تزيد على ثمانية اشهر .

- مهاجمة الالمان بلجيكا وفرنسه -

وفي ذلك الاثناء ايضاً هاجمت الجيوش الالمانية بلاد البلجيك واستولت على قسم كبير منها ووقفت ازاء جيوش فرنسه وانكلتره و بلجيكا واستولت على قسم عظيم من بلاد فرنسه حتى كادت تقترب من باريس

- طرد الروس عن غاليسا والاستيلاء على وارشوا -

وساقت المانيا ايضاً جيشاً عظيماً تحت قيادة ماكينزن القائد الشهير الى بلاد النمسا لمعاونة جيوشها في جهة غاليسا الغربية والشرقية من المملكة النمسوية على طرد جيوش الروس عنها لأنهم كانوا استولوا عليها وعلى قسم كبير من جبال الكاربات في اثناء اشتغال جيوش المانيا بطردهم عن بلادها فما مضى سوى ثلاثة اشهر الا وطردوا الروس عن جبال الكاربات وعن غاليسا من جهتيها واحتلوا مدينة (وارشوا) قاعدة بولونيا واستولوا على غيرها من البلاد الروسية التي يقدر عدد اهلها بثمانية ملايين

- هجوم النمسا وحلفائها على صربيا والجبل الاسود -

ولما امنت المانيا غائلة الروس على حدودها وحدود حليفتها النمسا امدت هي وتركيا والنمسا جيوش البلغار وهجموا بفيالقهم الجرارة على جيوش حكومتي صربيا والجبل الاسود فاكتسحوا هاتين المملكتين عن آخرهما بمدة لا تزيد على شهرين . ثم ان هاتين الحكومتين جمعتا شمل

جيوشها وامدتهما فرنسه وانكلتره بجنودهما التي كانت انصرفت عن حصار جناق قلعه وكانت حكومة اليونان قد استمالتها دول الاتفاق فتركت حيادها واعلنت الحرب على المانيا وحلفائها فأمدت ايضاً جيوش حكومتي الصرب والجبل الاسود ووقفت تلك الجيوش في حدود بلاد اليونان مما يلي مدينة مناستر لدفاع جيوش دول الاتفاق عن اليونان واسترجاع بلاد صربيا والجبل الاسود

— اعلان ايطاليا الحرب على النمسا —

بعد مرور سنة تقريباً من حدوث الحرب العامة اعلنت دولة ايطاليا الحرب على النمسا وهجمت جنودها على البلاد النمسوية من حدود التيرول بغية الوصول الى مدينة تريستة فلم تفلح ايطاليا بهذا الهجوم بل فقدت جانباً عظيماً من عساكرها ومهماتها الحربية وخسرت قسماً كبيراً من مقاطعة البندقية لوقوعها تحت استيلاء النمسا والالمان

اعلان رومانيا الحرب على المانيا وحلفائها

بعد سنتين تقريباً من نشوب الحرب العامة تمكنت دول الاتفاق من جذب دولة رومانيا الى جانبهم فاعلنت الحرب على المانيا وحلفائها وفي برهة ثلاثة اشهر اكتسحت جيوش المانيا والنمسا وتركيا وبلغاريا ثلثي مملكتها واستولوا على عاصمتها بكرش ثم على مدينة ابرائيل رغماً عن مساعدة روسيا لها واصبحت حكومة رومانيا بعد هذا الفشل المدهش محصورة هي وجيوشها في جانب من مقاطعة ابرائيل

— اعلان امريكا الحرب على المانيا —

كان موقف دول الاتفاق يزداد حراجة يوماً فيوماً وكما كان النصر حليف الالمان في سائر جبهات الحرب البرية كذلك كان حليفهم ورفيقهم في البحر ايضاً لان سفن دول الاتفاق كانت عرضة لفتك غواصات الالمان حتى انه قدر في آخر ايام الحرب محمول ما غرق منها بواسطة هذه الغواصات بتسعة ملايين طن . وفي اثناء هذه الحرب تصادف في طوتر كان قسم من اسطول المانيا مع قسم من اسطول انكلتره واشتعلت بين الاسطولين نار الحرب فغرق من سفن انكلتره ما يبلغ محموله مائتين وخمسين الف طن ومن سفن المانيا ما يبلغ محموله مائة وعشرين الف طن فكان الفوز في هذه الواقعة البحرية في جانب الالمان ايضاً

ولما وصلت المانيا الى هذا الحد من الغلبة على اخصامها ولم تزعزع قواتها جميع هذه الامم التي تألبت عليها وتضافرت على قهرها خاف سطوتها وشدة بأسها عامة الدول واصبحت كل دولة منهن توجس الخيفة على نفسها من غائلة هذه الدولة واذ ذاك هتف هاتف الانسانية في روع جماهير امريكا بان تعير التفاتها الى وقف تيار هذه الحرب الطاحنة واطفاء نيرانها المتأججة وتخليص عالم البشرية من شرها وشؤمها واعادة السلم والسلام الى ربوعها فاقترح رئيس جمهورية مريكا الموسيو ويلسن على الدول المتحاربة وقف حركة رحى الحرب الدائرة بينهم والركون الى الهدنة مدة معلومة تحت شروط اعانها وصرح بها للفريقين المتحاربين فرفضت دولة المانيا قبول هذا الاقتراح لأن كثيراً من الشروط المقررة

فيه مما يجحف بحقوقها و يوجب تمزيق جامعتها و كان الرئيس و يلسون مستاء من المانيا لما بلغه عنها انها تنزع الى حرب امريكا كما اسلفنا بيانه في الفصل الذي عقدناه تحت عنوان (سبب دخول دولة امريكا الى هذه الحرب) من هذا الجزء · وحينئذٍ اعلن الرئيس و يلسون الحرب على المانيا فجند مئات الالوف من الجنود الاميركية وساقهم الى الجبهة الغربية في البلاد الفرنسية فانضموا الى جيوش دول الاتفاق الواقفين في صفوف الحرب تجاه صفوف الالمان و كانت الحرب بين الفريقين مدة شهرين سجالا و كانت جيوش المانيا من جهة ثانية تحارب اعداءها الآخرين الروس المعدودة جيوشها بالملايين المنبثين في الجهة الشرقيــة كالجراد المنتشر كثرة وتهافتا على الموت · والقائد الالماني هندنبورغ داهية الحرب ينفث في تلك الجيوش كل يوم من سموم خدعه الحربية ما يهلك منهم مئات الالوف قتلاً واسراً واحراقاً وغرقاً حتى كاد الفناء يعمهم

— الهرج والمرج في روسيا —

ولما وصلت الحالة في روسيا الى هذا الحد قامت احزاب الاشتراكيين الروسيين على ملكهم الامبراطور نيقولا فقبضوا عليه وازالوه عن عرشه وقتلوه مع اسرته رمياً بالرصاص كما يرمي القانص فريسته ثم احرقوهم وذروا رمادهم في الهواء زاعمين انه هو الذي جر على روسيا هذه الحرب الطاحنة فباد خضراءها واضاع شرفها وحطها من حالق مجدها وانزلها من شامخ عزها وجعلها عرضة للفاتحين بعد ان كان يقال في حقها ما افلح فاتح في روسيا قط وان روسيا هي احدى الدولتين التي ستملك الارض

بامرها : ولما قامت الاحزاب المذكورة على الوجه الذي بيناه وقع الهرج والمرج في الممالك الروسية وتضعضعت جيوشها واختلفت كلمة شعوبها المركبة من عناصر مختلفة وامم في طباعها متنافرة غير موءتلفة فانقسموا على بعضهم وافترقوا الى خمس عشرة حكومة كل منها ينادي بانفصاله عن روسيا واستقلاله بنفسه وضربوا الصفح عن محاربة الالمان لانهم لم يبق لهم على حربهم حول ولا قوه وتصاموا عن تحريض دولة الاتفاق اياهم على الثبات امام عدوهم والدفاع عن بلادهم . ثم تمكنت فرقة منهم من العود الى كفاح الالمان ومناضلتهم غير ان هذه الفرقة لم تلبث غير قليل حتى نالها من الوهن والانكسار ما الزمها الرجوع القهقري والانسحاب الى الوراء تاركة من اسراها في ايدي الالمان مئات الالوف ومن قتلاها بسيوف سطوتهم عشرات الصفوف ومن الاسلحة والمهمات والذخائر ما يتجاوز عده الحد الموصوف واستولى الالمان في هـذه الواقعة على بلدان كثيرة من المملكة الروسية التي من جملتها مدينة (ريغا) واذ ذاك طلبت روسيا من المانيا المتاركة والشروع في مذاكرات الصلح فاجابتها المانيا الى ما طلبت وشرعت الحكومتان يتذاكران بالصلح وكانت قطعـة اوكرانيا قد تصالحت مع الالمان بعد ان انفصلت عن روسيا واستقلت بنفسها وعـدد سكانها نحو من اربعين مليوناً فلم ترض حكومة روسيا المركزية بهذا الصلح واستأنفت الحرب مع الالمان مدة عشرين يوماً استولت في خلالها الجيوش الالمانية على كثير من بـلاد الروس حتى كادت عاصمتهم بطرس برج تقع في قبضة استيلائهم وقد تمزقت جيوش

روسيا شذر مذر وانبثت جنود الالمان في انحاء مملكتها وارجائها وجميع بلدانها الكائنة على ضفاف البحر الاسود واخذت المانيا مقاطعة اوكرانيا المستقلة تحت حمايتها وحينئذ اقرت روسيا بعجزها عن مقاومة الالمانيين واضطرت ان تعقد معهم صلحاً غير شريف بحقها لانها رضيت بان تترك لالمانيا والنمسا مقاطعة بولونيا التي عدد سكانها ١٨ مليوناً ومدينة ريغا وما جاورها من البلدان التي تضم اليها ثمانية ملايين ومقاطعة بسارابيا والقريم البالغ مجموع سكانهما سبعة ملايين وان ينسحب الروس عن اراضي تركيا التي احتلوها في هذه الحرب و يتنازلوا لها عن الباطوم والقرص واردهان وتستقل ايالة اذربايجان في القفقاس البالغ عدد سكانها نحواً من اربعة ملايين وتستقل ايضاً قفقاسيا الشمالية البالغ عدد نفوسها سبعة ملايين وتستقل امة الكرج على ضفاف البحر الاسود و يبلغ عددهم اربعة ملايين وامة الارمن في اريوان وهم مليون وان تترك روسيا اسطولها في البحر الاسود تحت سيطرة الالمان الى نتيجة الحرب

— تفاقم الحرب في الجبهة الغربية —

ثم ان الحرب بين المانيا واخصامها في الجبهه الغربية الفرنسية قد تفاقم امرها واشتد خطبها لان المانيا قد اضافت الى صفوفها الواقعة تجاه اخصامها في الجبهة الغربية قوة جديدة سحبتها من صفوفها التي كانت واقفة امام الروس في الجبهة الشرقية كما ان اخصامها كل من انكلتره وفرانسه وامريكا والبلجيك والبرتكيز وغيرهم من الدول قد اجمعوا امرهم ونظموا شؤنهم وصمموا على ان يجعلوا هذا الهجوم هو آخر مسرح من مسارح

هذه الحرب التي هي حرب حياة او ممات فاشتد الخطب على الفريقين وكانت جيوش المانيا تدافع مرة وتهاجم اخرى وكان تقدمهم في اول الامر اكثر من تأخرهم ثم في اخريات الحرب انعكس معهم الحال وصار تأخرهم اكثر من تقدمهم وبينما هم على هذه الحالة اذ فاجأتهم الاخبار بانكسار بلغاريا امام الجيوش التي اشرنا اليها قريباً في فصل هجوم النمسا وحلفائها على صربيا والجبل الاسود وان بلغاريا قد انسحبت عن جميع اراضي صربيا والجبل الاسود واستولى اعداؤها على كثير من بلادها وانها قد استسلمت اليهم واذعنت لجميع مطاليبهم وانهم قد اشترطوا عليها ان تكون جيوشها تحت امرتهم وان حكومة النمسا قامت عليها شعوبها ينادون بالصلح ووقف الحرب لان الجوع كاد يهلكهم وان الطريق بين استانبول وبرلين قد انقطعت ولم يبق في الامكان وصول مدد الى تركيا من حليفتيها المانيا والنمسا وان امنهما من البلغار انقلب الى الخوف لان دول الاتفاق يحملون بلغاريا على قصد استانبول من جهة الروملي وان تركيا قد يئست من النجاح في جهة الحجاز وفلسطين والشام والعراق لضياع هذه البلاد من يدها وتوالي الانكسار على جنودها وتعويلهم على الانهزام او الالتجاء الى الجيوش الانكليزية العربية وكان سلطان الجوع قد استولى على شعوب المانيا فاباد من اطفالهم وفقرائهم الملايين واضطرهم الى القيام على ملكهم ومناداتهم بابطال الحرب واعادة السلم . توالت على المانيا هذه النوائب من جهة وتألب عليها اعداؤها من جهة اخرى فلم يبق لها سوى الاذعان والرضاء بما اقترحه ويلسن رئيس جمهورية امريكا على

المتحاربين وهو تقرير الهدنة بينهم على شرط انسحاب جيوش المانيا عما احتلته من اراضي فرانسه وبلجيكا وتسليمها قسماً كبيراً من اسطولها البحري والهوائي الى اعدائها وغير ذلك من الشروط التي لم يقصد منها سوى توطيد الامن من غائلة الالمان وقوة بطشهم على ان يكون تقرير الصلح فيما بين المتحاربين بعد انقضاء مدة الهدنة مبنياً على عدة شروط منها حرية البحار وحرية جميع ما فيهـا من المضايق التي منها مضايق جناق قلعة وان تكون الامم الضعيفة في مستعمرات الدول هي الحاكمة على مقدراتها الى غير ذلك من الشروط فرضيت المانيا بهذه الشروط واخلت قسماً كبيراً من اراضي اعدائها فرانسه و بلجيكا ووقفت الحرب و بوشر بمذاكرات الصلح وجميع العالم ينظر الى ما تأتي به الايام والليالي

رجعاً الى تتمة حوادث سنة **١٣٣٧** في حلب

تجديد جسر الحاج

وفي يوم السبت ١٩ صفر من هذه السنة باشرت الحكومة الجديدة تجديد جسر الحاج في ظاهر حارة الكلاسة بحلب . وهو اول بنـاء شرعت به الحكومة الجديدة وكانت عساكر الالمان خربته حين انسحابها من حلب

تمثيل رواية باللغة الارمنية

وفي الليلة الثامنة والعشرين من هذا الشهر مثل على احـد المسارح روايـة مبتكرة باللغة الارمنية موضوعها تمثيل ما قاسته الامة الارمنية والامة العربية من زعماء الاتحاديين الاتراك من الظلم والتعدي وان

هاتين الامتين مشتركتان في مصابهما وتوجعهما على بعضهما وان كل امة منهما كانت تعطف على من كان يوجد في بلادها من الامة الاخرى من المبعدين والمنفيين وان كلا منهما قد اغتبط بدولة العرب ونال بواسطتها الفرج بعد الشدة

— احتلال انطاكية

وفي هـذا اليوم او الذي قبله احتل الجيش العربي مدينة انطاكية واستتب فيها الامن وساد السكون . وكان اهلها قبل ذلك في قلق واضطراب لا مزيد عليهما

— صدور جريدة (حلب) —

وفي شهر ربيع الاول من هذه السنة امر شكري باشا الايوبي الحاكم العسكري بولاية حلب باصدار جريدة رسمية في حلب عنوانها (حلب) فصدر اول عدد منها يوم الاثنين ٦ ربيع الاول ، وهي عربية العبارة ذات صحيفتين لم تزل تصدر حتى الان

— قدوم الشريف ناصر الى حلب —

وفي هـذا الشهر قدم الى حلب الشريف ناصر القائد العام للجيوش الشمالية و بعد يوم من قدومه سافر ومعه الشريف مطر الى الباب لتهدئة الامور وازاحة القلق والاضطراب اللذين حدثا هناك اثر انحلال حكومة الاتراك . فاتم مهمته وعاد ثاني يوم الى حلب

— الاتراك المرخص لهم بالبقاء في حلب —

وفيه رخص الحاكم العسكري بحلب بقاء الاتراك المولودين في حلب

والمتزوجين بنساء عربيات ومن كان تاجراً او صاحب ملك في حلب وان من لا علاقة له في حلب يجب عليه ان يسافر منها والحكومة تساعده على سفره

– قدوم الجنرال اللنبي الى حلب –

غروب يوم الثلاثاء ٧ ربيع الاول من هذه السنة (١٣٣٧) وصل الى حلب الجنرال ادمون اللنبي القائد العام للجيوش الانكليزية العربية الفرنسية في فلسطين وسوريا فاستقبله في محطة الشام الشريف ناصر وكيل القائد العام للجيوش الشمالية وشكري باشا الايوبي الحاكم العسكري وغيرهما من امراء العسكرية . وفي ضحوة يوم الاربعاء اقبل الجنرال اللنبي الى دار الحكومة سائراً بين صفوف العساكر الانكليزية الهنود وغيرهم المصطفة على جانبي الطريق الممنوع سلوكه عن الناس المفروش بالرمل من اوله الى اخره اي من منزل الجنرال في محلة العزيزية الى دار الحكومة وقد نصب له في محلة العزيزية (قوس النصر) فلما وصل اليه وقف تحته وتقدم نحوه رئيس بلدية حلب وقدم له مفاتيح مدينة حلب وقرصاً من الخبز ومقداراً من الملح فتناول من القرص لقمة وذاق الملح ثم لمس المفاتيح ورفع يده بالسلام وسار نحو دار الحكومة وقد وقف له بساحتها الجنود العربية وضباطها وتلامذة المكاتب والمدارس ورجال الشرطة والدرك وجوق الموسيقى العربية . ولما وصل الى دار الحكومة ، واستقر في مجلسه المعد له ، اقبل عليه علماء البلدة والرؤساء الروحيون والاعيان والوجهاء والموظفون ، فادوه حق السلام وهو يشكرهم و يظهر

الاغتباط بمعرفته اياهم و يتمنى لهم الرفاهية والسعادة ، ثم نهض من مجلسه ووقف على رأس درج السراي وفاه بخطاب باللغة الانكليزية يتلوه عبارات منقطعة و يسكت تلو كل عبارة برهة يتلو معناها باللغة العربية ترجمانه الخاص الاستاذ امين بك غريب واليك مؤدى خطبته :

يا رجال حلب انى ازور مدينتكم القديمة التاريخية بصفتي قائداً عاماً للجيوش المتحالفة التي تؤلف الحملة المصرية وصاحب السلطة الادارية المطلقة على الاراضي التي هي تحت امرتي

وانني بسرور عظيم اقبل ادلة الترحاب الرمزية المقدمة لي من رئيس البلدية ، كما ان تأثيري كان عميقاً من الحماسة والاخلاص اللذين استقبلني بهما رؤساؤكم الافاضل الوطنيون من دينيين واهليين وادار يين

ولا يقل ذلك عن اعجابي بالغيرة واخلاص النية اللتين يظهرهما رؤساء الادارة والبلدية في محاولتهم حل المسائل المعقدة والعسيرة التي واجهتهم

وانني انتدب كل فرد منكم وجميعكم على السواء لبذل كل ما فيكم من نشاط وقوة حتى تشيدوا من جديد ذلك العمران والتمدن الذي ساد على هذه النواحي في زمان اجدادكم و ضمحل بايدي المستبدين الغرباء عنكم

وانا ما دمت مسؤلاً عن الادارة ، اتوقع منكم تنفيذ الاوامر التي تقضي على الظروف باصدارها بنفس الرضى والانقياد الذي اظهرتموه في السابق ، حتى اذا قررت الدولة التي انا باسمها احكم تشكيل بناء العالم الجديد الذي سيعيش البشر فيه ليكون كل وطني حلبي متهيأ لتمثيل دوره في

عمل الاعمار العظيم القائم امامكم

يا رجال حلب اتمنى لكم عموماً النجاح والسعادة اهـ

ثم نزل الجنرال من الدرج يشيعه الشريف ناصر وشكري باشا و بعد ان طاف على الجنود العربية ركب سيارته ودعيت ارافقه وقدمت لي سيارة ركبتها مع حضرة المستشرق البريطاني الكولونل السير مارك سايكس وحضرة الاديب امين بك غريب الترجمان العربي الخاص بالجنرال اللنبي وقال لي امين بك ان حضرة الجنرال يريد زيارة ما في حلب من الاماكن القديمة التاريخية فسر بنا اليها حسبما تريد فاخذته الى قلعة حلب ثم الى الجامع الكبير ولما اراد الدخول الى قبيلة الجامع ابى ان يدخل اليها بجرموقه مع انه نظيف ممسوح فقدم له حذاء كبير ضم فيه قدميه ودخل القبيلة ولما رأى المقام الشريف سائلني بواسطة الترجمان بقوله ، مقام من هذا فقلت له هـذا مقام يحيى بن زكريا فقال من هو يحيى فقلت له هو يوحنا المعمدان ابن خالة السيـد المسيح فطأطأ رأسه وابدى ابتسامة استحسان ، ثم اخذته الى المدرسة الحلوية فدخل القبيـلة وسألني عن تاريخ بنائها وعن بانيها فاجبته عن ذلك ثم اريتـه المحراب الخشبي الذي في ايوانها فاعجبه حسنه جداً الا انه اعترض على متولي المدرسة لانه لمعه بدهان السندروس وامره بان يمسح الدهان عنه و يبقيه على حالته القديمة الاثرية ، ثم اخذته الى دار الجانبـلاط فسر بمشاهدة ايوانها سروراً زائداً واريته قطعـة حجر من سلسبيل مدفون بعضها في الارض فيها من بدائع الصنعة ما يشهد للماضين باتقـان النقوش ومهارة

الهندسة المعمارية فانحنى لاستخراج تلك الحجرة من الارض فساعده بعض الحاضرين فاستخرجت واخبرته ان بعض الاثريين الغربيين طلب شراء هذه الحجرة من اهل الدار ودفع لهم ثمنها مئة ذهب عثماني فلم يبيعوها فقال الجنرال اللنبي لمن كان حاضراً من اهل الدار اياكم وان تبيعوها لأحد واذا بلغني انكم بعتموها لأحد فاني اغرمكم مبلغاً كبيراً ثم خرجنا من الدار وركبنا سيارتنا فقال الترجمان يقول حضرة الجنرال يريد ان تسير بنا من طريق السوق لانه يحب ان يرى اسواق الشرق المسقوفة فسرت بهم من السويقة وسوق الصابون وسوق الفراين الى ان خرجنا الى فضاء تحت القلعة وهناك اردت النزول من السيارة والتوجه الى منزلي لان مهمتي قد انتهت فقال لي امين بك لا يجوز لك مفارقته الا بعد الوصول معه الى منزله فبقيت سائراً معه حتى وصلنا الى منزله في محلة العزيزية وحينئذ نزلت من السيارة وودعته وامر سائق السيارة ان يوصلني الى منزلي واظهر لي سروره وشكرني على الاعتناء بشأنه ثم في مساء ذلك اليوم تناول طعام العشاء في دار الامارة وفي اثناء الطعام تبودلت الخطب الودية وما زال في دار الامارة الى ان ازف وقت الرحيل فسار مع الحضور الى محطة بغداد حيث شيع كما استقبل بالتكريم والاحترام

— قدوم حاكم سوريا العسكري الى حلب —

مساء يوم الخميس ١٥ ربيع الاول من هذه السنة (١٣٣٧) قدم الى حلب رضا باشا الركابي الحاكم العام في سوريا وذلك للاشراف على سير الاعمال واتمام تأسيس اداريٌ في المالية والقضائية واصلاح ما يلزم اصلاحه

من الشؤون

- قدوم رضا باشا الصلح -

يوم الاحد ١٨ منه قدم الى حلب رضا باشا الصلح والياً على حلب وقد بقي شكري باشا الايوبي حاكماً عسكرياً وفي يوم الاثنين ٢٠ منه اقام نادي العرب ضيافة جاي لرضا باشا والي حلب حضرها امراء العسكرية وموظفو الحكومة ووجهاء البلدة وقد القيت فيها الخطب الحماسية وانشدت القصائد الوطنية و كانت حفلة باهرة

مأدبة

وفي ٢٧ منه ادب رضا باشا الركابي في نزل البارون مأدبة حافلة حضرها قادة الحلفاء وكبار رجالهم والجنرال الانكليزي مارك اندرو والمستشرق البريطاني السير مارك سايكس والمستشار الفرنسي الموسيو جورج بيلو وغيرهم من كبار موظفي الانكليز والعرب وفي اثناء الكلام تبودلت الخطب باللغتين العربية والانكليزية واثنى الجنرال مارك اندرو على شهامة العرب وقال انهم هم الذين فتحوا حلب لانهم دخلوا اليها قبلهم بيوم

- رجوع الجنرال اللنبي الى حلب -

يوم الاحد ٣ ربيع الثاني عاد الى حلب الجنرال اللنبي ثم شخص الى آذنه وعاد الى حلب

- سفر رضا باشا الركابي -

وفي يوم الثلاثا ٥ منه سافر رضا باشا الركابي الى دمشق فودع

بكمال الاحترام

– استيلاء العرب على المدينة المنورة –

في يوم الخميس ١٤ ربيع الثاني تواردت الاخبار من المدينة المنورة بان عرب ملك الحجاز استولوا عليها من الاتراك يوم الاربعاء ١٣ منه

—حادثة الارمن المعروفة باسم (فتنة ٢٨ شباط سنة ١٩١٩) —

اسباب هذه الحادثة

لا ننكر ان في امة الارمن رجالاً ونساء متحلين بحلية العقل والنظر البعيد الى العواقب وحسن المعاملة والامانة والاستقامة والاعتراف بالجميل والمكافأة عليه، غير اننا مع هذا لا نحجم عن القول بانه يوجد في دهماء هذه الامة زمرة طائشة قد خيم الجهل على عقولهم فانحرفوا عن الجادة المثلى ولم ينظروا الى ما يعقب انحرافهم من الضرر وسوء المغبة بامتهم التي فيها من الرجال من يستحق كل مدح وثناء

وصفوة القول ان الامة الارمنية قد غلب خيارها على امرهم فجر جهالها عليهم البلاء دون ان يستحقوه ومن هذا القبيل ما جنوه عليهم من البلاء في هذه الحادثة التي لم يكن لها من سبب سوى امور نقمها الحلبيون على الارمن صدرت من تلك الطائفة الطائشة فاثارت في الحلبيين موجدتهم عليهم وعكست فيهم اعتقادهم وملأت صدورهم غيظاً منهم واغلت في افئدتهم مراجل الحقد والضغينة عليهم وكان من امرهم في ذلك اليوم ما كان ، واليك نبذة في ذكر بعض ما فعلته هذه الفئة الطائشة من الامور التي اساءت بالارمن اعتقاد الحلبيين واضطرتهم الى

الجرأة عليهم ، وبيان ذلك ان الامة العربية عامة والحلبيين خاصة كانوا ينظرون الى امة الارمن بعين الشفقة والحنو وينكرون على زعماء الاكراد ما كانوا يعاملون به الارمن من التعدي بل كانوا ينكرون على السلطان عبد الحميد ما نكب به الارمن من المذابح ولا يرون له مبرراً في الضغط عليهم ولهذا لم ينقل عن أحد من الامة العربية انه غمس يده في دم ارمني في تلك المذابح الفظيعة وقوفاً عند حدود الشريعة المحمدية التي تتكفل الذمي بصون ماله وعرضه ودمه ، ولعل الامة العربية لو كانت مشتركة مع الشعب التركي في تلك المذابح لما عدمت من السلطان عبد الحميد حسن المكافأة

ثم في سنة ١٣٣٣ كان جلاء الارمن عن اوطانهم كما اشرنا الى ذلك في حوادث السنة المذكورة من هذا الجزء : وبعد ان وصلت تلك الجاليات الى حلب على آخر رمق من حياتها كان العرب عامة والحلبيون خاصة يعطفون على ضعفائهم ويمدون اليهم يد الاحسان والمواساة عكس ما كان يضمره لهم جمال باشا من الاذى والويلات ورغماً عما كان يقاسيه الحلبيون في تلك الايام العصيبة من جهد البلاء والضغط العسكري ، وكان عقلاء الارمن وادباؤهم يعترفون للعرب بتلك الايادي ويشكرونهم عليها حتى ان شبيبة الارمن مثلت الرواية التي سبق ذكرها في حوادث هذه السنة

وبينما كانت الامة العربية تؤمل من الامة الارمنية حسن المكافأة على ما اسدته اليها من البر والاحسان اذ انعكست الاية بعد وقوع الهدنة وصارت الاخبار المكدرة تطرق كل يوم مسامع الحلبيين عما يجريه جهال

الارمن مع ابناء العرب من الامور التي تبعث على ايجاد الضغينة واسعار نار الحقد في صدورهم على امة الارمن ، واليك بيان بعض تلك الامور وهي (١) تعرض زمرة من الارمن المستخدمين في محطة اذنه من قبل الفرنسيين — الى التجار العرب المسافرين على القطار الى استانبول والقافلين منها الى اوطانهم فكانت تلك الزمرة تعامل التاجر العربي بكل غلظة وخشونة وربما ازعجته بالسب والضرب واذا كان قدوم القطار في الليل فربما كانت تفتش ثيابه وتسلب نقوده

اما الجنود العربية التي كانت تمر من آذنه قافلة الى اوطانها فقد كانوا يقاسون من هؤلاء المستخدمين كل اهانة ويرون منهم كل قساوة ، يعاملونهم بالشتم والضرب وكثير منهم من كان يناله من ايديهم جراحة في وجهه وتهشم في اعضائه فيأتون الى حلب على اسوء حالة (٢) كان الحلبيون يسمعون بما كان يجريه متطوعة الارمن في الجيش الفرنسي في بيروت من الخيلاء والعجرفة وانهم اطلقوا بنادقهم على بعض الوطنيين فقتلوهم وانهم تمردوا على الجيش الفرنسي في اسكندرونة حتى اضطرت القيادة الى ان تنقلهم الى آذنه (٣) تظاهر غوغاء الارمن في حلب بمظاهر العظمة والكبرياء ومقابلتهم الحلبيين بغير الوجه الذي كانوا يقابلونهم به في الامس يقابلونهم بوجه عليه سيماء التيه والسخط ويخاطبونهم بالفاظ خشنة لم يألفوا سماعها منهم قبل ذلك

لمَ كان هذا الانقلاب من هذه الزمرة مع الحلبيين وما هو الحامل لها عليه

كان سببه بصيص ضوء ابصرته من لفتة شملتهم من عناية الانكليز بشأنهم فعظمت نفوس الطائشين منهم وطفقوا يسيئون التصرف مع الحلبيين ويقلبون لهم ظهر المجن في معاملاتهم ولم يقفوا عند هذا الحد بل صار الكثير منهم جواسيس للانكليز ينقلون اليهم عن الحلبيين اخباراً ملفقة لا ظل لها في الحقيقة (ت) تعدى جماعة من تلك الزمرة على الباعة بتكليفهم صرف الورقة المصرية بالنقود المعدنية على معدل قيمتها المحررة بها مع ان قيمتها التجارية دون ذلك بكثير فكان الباعة يخسرون اموالهم ولا يقدرون على الامتناع عن صرف الورقة على هذا المعدل خشية من عقوبة القانون (٥) كان فريق من تلك الزمرة يختلقون كل يوم الحيل والخدع في اختلاس اموال التجار الحلبيين حتى شاع عنهم هذا الامر وصار الحلبيون يتحدثون به في مجتمعاتهم ومجالسهم

من ذلك ان ارمنياً عرض على تاجر حلبي نموذجاً من دبس الطماطم واخبره انه يوجد عنده منه سبع صفحات فرغب الحلبي بشرائها وطلب من الارمني احضارها فاحضرها اليه وقد فتح في كل صفيحة دائرة في زاويتها ليطلع المشتري على ما في ضمنها من الدبس ولما غمس التاجر اصبعه بالدبس من هذه الفتحة وذاقه تبين له انه دبس جيد فاشترى الصفحات كلها بثمن مثلها ودفع قيمتها الى الارمني فاخذ القيمة وانصرف ولما فتح التاجر احدى الصفحات وجدها ممتلئة بمطبوخ القرع الشتوي الملون بالمغرة ورأى في الفتحة التي ذاق منها الدبس ماسورة من الصفيح ممتلئة من الدبس الجيد قد سد اسفلها الذي يلي اسفل التنكة وفتح

اعلاها الذي ذاق منه الدبس ثم فتح بقية الصفحات فرآها كلها مثل الصفيحة الاولى فساءه ما رأى وعلى الفور اخذ بالبحث على الارمني واستقصاء اثره فلم يظفر به واخيراً علم انه سافر من حلب على اثر تدبيره هذه الحيلة

ومن ذلك ايضاً ان ارمنياً اشترى من تاجر حلبي صفيحة سمن وطلب من التاجر ان يحملها الى خادمه ويتبعه بها الى بيته ليدفع له ثمنها فحملها الخادم ولما وصل الى بيت الارمني تناول الصفيحة من الخادم ودخل داره ليأتي له بثمن السمنة فوقف الخادم ينتظره فلم يخرج اليه ولما طال عليه امد الانتظار طرق باب الدار وسأل عن الارمني فقيل له ان لهذه الدار بابين وهي ليست بدار بل هي مكان يأوي اليه فقراء الارمن وحجاجهم وان الارمني الذي اخذ السمن دخل من احد البابين وخرج من الباب الآخر وانه لم يكن من سكنة ذلك المكان ولا هو معروف عند اهله

تكررت هذه الحيل من افراد هذه الزمرة مع التجار الحلبيين على انحاء شتى وضروب مختلفة وشاعت اخبارها بين الحلبيين فحقدوا على الارمن وحل في قلوبهم الضغينة عليهم بدل ما كانت تجنه من الرأفة فيهم (٦) كان عند الحلبيين عدد كبير من بنات الارمن واطفالهم آووهم في اوائل قدوم جالياتهم الى حلب وقد التقطوهم من الازقة والاماكن المهجورة وازالوا الشقاء عنهم واعتنوا بتربيتهم عنايتهم باولادهم والبعض منهم اتخذوا من فتياتهم البالغات زوجات شرعيات واستولدوا هن عدة اولاد ، ولما دخل الانكليز الى حلب اهتمت جمعية الصليب الاحمر بجمع

اطفال الارمن وبنـاتهم من بيوت الحلبيين ، ونحن لا نلوم الطائفـة الارمنية على استرداد اولادهم واطفالهم الى احضانهم لان هذا مما توجبه القومية عليهم انما نلومهم على استعمال العنف وترك الرفق في سبيل البلوغ الى هـذا الغرض فقد كان اقارب الاطفال والبنات يقصدون بيت الحلبي للتفتيش على اولادهم ويدخلون عليه دخول مهاجم على ذي جريمة ويأخذون الولد و البنت قسراً ويعاملون مربيها او زوجها بكل عنف وقساوة هم في غناء عنهما وربما كانوا يسوقونه الى السجن بمساعدة الشرطة الموكول اليهم التفتيش على اولاد الارمن من قبل جمعية الصليب الاحمر وكانوا لا يصغون الى الممتنعة عن متابعتهم من النساء المتزوجات بل ربما قابلوها على امتناعها بالسب والضرب واخذوها الى منتدياتهم واكرهوها على مفارقة زوجها واولادها منـه ، ومن غريب ما وقع في هذا الباب قضية امرأة ارمنية متزوجة بشاب مسلم حضر اليهـا اخوها وزوجها الارمنيان وارادا اخذها اليهما فلم يمتنع زوجهـا المسلم عن تسليمها اليهما وجعل الخيار لها في ذلك ، اما هي فقـد امتنعت عن تسليم نفسها اشد امتناع فاخذاها بالقوة والعنف وسعيا بزج زوجها في السجن واخذا المرأة الى قلاية الكنيسة ووضعاها في غرفة عالية لها نافذة على الطريق وقد وضعا معها لحراستها راهبتين ارمنيتين كلفتاها العود الى زوجها الارمني ومنيتاها بكل مرغوب وذكرتا لها كل ما يوجب نفرتها من زوجها المسلم فلم تلتفت الى كلامهما وقدمتا لها طعاماً فلم تذقه وكان معها طفلة صغيرة ولدتها من زوجها المسلم قبل بضعة ايام ولما جن عليها الليل ورأت الراهبتين

الموكلتين بحراستها قد غفتا عمدت الى الطفلة وشدتها على صدرها بنطاقها وعضت على ياقتها باسنانها وجاءت الى النافذة والقت نفسها منهـا الى الارض فوقعت عليها سالمة لم يلحقها ضرر في جسمها سوى ورم ظهر في ساقيها بعد بضعة ايام وكان زوجها المسلم قد اطلق من السجن وعاد الى بيته وبينما كان راقداً على فراشه نحو منتصف الليـل اذ بالباب يطرق فاسرع لفتحه ورأى زوجته قد عادت الى بيته وفي الغد جاءت الشرطة اليه واودعته السجن واخذت زوجته الى المخفر الذي حضر اليه ضباط الانكليز وبعض كهنة الارمن وسألوا المرأة عن كيفية هربها وقالوا لهـا اما كان هربك بواسطة زوجك المسلم حيث احضر لك سلماً نزلت عليه الى الارض فاخبرتهم بكيفية هربها على ما هي عليـه وقالت لهم كيف يمكن لزوجي ان يحضر سلماً لي والقلاية في حارة المسيحيين لا يمكن ان يطرقها في الليل احد من المسلمين وكيف يترك الحراس رجلاً يحمل سلماً في الليل ولا يشتبهون به ولا يقبضون عليه خصوصاً وزوجي ساكن في محلة بعيدة لا يصل الى محلة القلاية الا بعد ان يمر على عدة محلات في كل منها حارس ، ثم ان الشرطة حاولت اعادة المرأة الى القلاية فامتنعت وقالت لهم اذا اكرهتموني على الرجوع اليها فاني انتحر نفسي ، ولما رأوا اصرارها على الامتناع من متابعة زوجها الارمني احضروا زوجها المسلم من الحبس وسلموه اياها واخذوا منه كفيلاً على ان يسلمها اليهم متى ارادوا اخذها منه فعادت هي وزوجها المسلم الى بيتهما وهي لم تزل عنده حتى الان في غبطة من العيش قد ولدت له عـدة اولاد والنساء يثنين

على اخلاقها الثناء العاطر

ومن هذا القبيل ايضاً قضية غلام في السادسة من عمره مولود من ابوين مسلمين حلبيين ادعاه رجل ارمني انه ولده فاخذته جمعية الصليب من يد ابيه المسلم قسراً وسلمته الى الرجل الارمني الذي ادعاه فشق هذا الامر على ابوي الغلام واسرته ورغماً عن شهادة القابلة التي ولدته وعن الجم الغفير من جيران اهل الغلام المسلمين والمسيحيين بان هذا الغلام هو ابن الرجل المسلم الحلبي لم ترجعه الجمعية اليه وحينئذٍ تقدم الى الوالي جماعة من جيران والد الغلام واخبروه بانه مولود من ابوين مسلمين حلبيين وانهم يطلبون من الوالي التبصر بهذه القضية فجمع الوالي في بهو منزله رجالاً من الارمن والحلبيين المسلمين متشابهين بالملامح والهيئات بينهم ابو الولد الحقيقي والارمني الذي ادعاه وادخل الولد الى البهو بغتةً فما كان منه الا ان عدا نحو والده الحقيقي والتف به وعانقه وطفقت دموع والده تنحدر على خديه وبكى بعض الحاضرين متأثراً من هذا المنظر الغريب واذ ذاك قنع ضباط الانكليز الحاضرون ان الولد هو ولد الحلبي خصوصاً حينما رؤا في ملامحه شبهاً قوياً بملامح ابيه فاذنوا له بأخذه فاخذه وانصرف

كيف كانت هذه الفتنة

قبل حدوث الفتنة بايام اشترى احد الحلبيين المسلمين من ارمني بقرة ظهر لها بعد شرائها صاحب ادعى انها بقرته وقد سرقت من

اصطبله وبعد ان برهن دعواه بما لا يحتمل الانكار لم يسع مشترى البقرة غير الاذعان لدعوى صاحبها فسلمه البقرة ثم اخذ يبحث عن الارمني الذي اشتراها منه ليرجع عليه بثمنها فلم يظفر به . ولما كانت ضحوة يوم الجمعة ٢٨ جمادي الاولى سنة ١٣٣٧ و ٢٨ شباط سنة ١٩١٩م كان الحلبي يتجول في سوق الجمعة وهو سوق عام ينعقد في كل يوم جمعة في فضاء واسع يعرف بفضاء تحت القلعة يباع فيه من جميع السلع والبضائع ويحضره الوف من الناس ومن جملة فروعه فسحة واسعة تباع فيها الخيل والبغال والحمير والبقر ، وبينما كان مشترى البقرة يتصفح وجوه الناس للبحث عن غريمه الارمني اذ وقع نظره عليه فاسرع نحوه وطلب منه ثمن البقرة وكان الواجب على الارمني ان يتلطف بذلك الرجل ويستمهله وفاء ثمن البقرة ويدفع الشر بالتي هي احسن غير ان نفسه لم تطاوعه على التساهل مع صاحب الحق بل طفق يعربد وينكر القضية بتمامها ويفوه بكلام يشق على العامة سماعه فاشتد النزاع بين الرجلين وعلت اصواتهما في ذلك الجمع العظيم الذي لا يقل عن عشرة آلاف انسان ما بين مسلم ومسيحي ويهودي وقد هرعت العامة الى محل المشاجرة ووقفوا ينظرون الى ما يؤل اليه امرها ثم انتقل الحال بين الرجلين من الكلام الى الملاكمة واللطام وقد اخذا بتلابيب بعضهما وانبرى لكل واحد منهما نصراء من قومه يدافعون عنه ويعينونه علي خصمه ، وقد علمت مما تقدم كيف كان

توغر صدور الحلبيين وحنقهم على الامة الارمنية للقضايا التي اسلفنا بيانها فلما شاهد هذا الجمع النزاع القائم بين هذين الرجلين وعلموا ان المعتدي منهما هو الارمني وان الارمن قد التفوا حوله ينصرونه على خصمه هاجت الاحقاد في صدورهم وتقدموا يدفعون الارمني عن الحلبي فاشتدت الضوضاء وعلا الصراخ وهاج هذا الجمع العظيم وماج وانقضت العامة على الارمن يضربونهم بالعصي والسكاكين ووزنات الحديد واعمدة الخشب فما مضى غير دقائق الا وجثث بضع وثلاثين ارمنياً مطروحة على الارض وقد اتصل الصوت ببعض الجهات القريبة من محلات الارمن فقام بعض الدعار يهجمون على بيوتهم ويسلبون ما فيها من الآثاث ويقتلون من يعارضهم من اهلها وكان مجموع ما قتل في هذه الفتنة العمياء مسلم واحد كان ماراً في الطريق فرماه ارمني من داخل داره برصاصة فقتله واثنان وخمسون ارمنياً بينهم امرأة واحدة

ثم ان الشرطة تفرقت في انحاء البلدة واطفأت نار هذه الفتنة والقت القبض على بعض الثائرين فسكنت الامور وعادت مياه السلام الى مجاريها . وفي اثناء قيام الفتنة فتح كثير من المسلمين ابواب منازلهم لجيرانهم الارمن يحمونهم من الثوار ويدفعون عنهم الهلاك والبوار

— ذيول هذه الحادثة الكارثة —

وفي مساء هذا اليوم اي ليلة السبت ٢٩ جمادي الاولى اعتقلت السلطة الانكليزية بضعة عشر رجلاً من وجهاء حلب واعيانها وذوي الشخصيات البارزة منهم وجمعتهم في دار واحدة غرفها ذات اثاث ورياش مرخصة لهم ان يجالسوا مع بعضهم و يستحضروا من منازلهم ما يشتهونه من الاطعمة وغيرها غير انها اقامت على ابواب الغرفة حجاباً من الهنود لا يتركون احداً منهم خارجها ، وكان غرض السلطة من اعتقال هؤلاء الجماعة ان تحقق في اثناء اعتقالهم اسباب هذه الحادثة لتعلم هل لاحد من وجهاء البلدة دخل في ايجاد هذه الفتنة ، وبعد ان ابقتهم معتقلين نحو شهر تبين لها ان ليس لاحد منهم يد في ايجادها وانما كان سببها امراً فجائياً لم يكن مدبراً من قبل فاطلق سراحهم

— اجتماع مهم يتعلق بهذه الحادثة —

وفي نهار السبت ٢٩ جمادي الاولى اي ثاني يوم من وقوع الحادثة جمع في قاعة الولاية عدد كبير من اعيان البلدة ووجهائها غير المعتقلين امر بجمعهم الحاكم العسكري العام وحضر القائد الانكليزي الكبير هودسون ومعه عدد من الضباط الانكليز والاركان الحربية والمستر براين ضابط الارتباط الانكليزي وجودت بك حاكم القضاء العسكري فقام القائد هودسون والقى على الحاضرين خطاباً وصاهم فيه

بان يفهموا سائر طبقات الشعب وجوب ترك المظاهرات واطاعة القانون وقال ان الامير فيصل يجتهد في موتمر الصلح بالحصول على استقلال الامة العربية وان الاعتداء على الارمن واقامة المظاهرات تعرقل مساعيه وان الدول المحالفة ترغب بمعاونة العرب وتحب ان يكونوا لهن اصدقاء

— تزلف عظماء المسلمين والنصارى واليهود الى بعضهم —

بعد الافراج عن معتقلي حادثة ٢٨ شباط خطر لبعض عظماء الملل الثلاث ان يسعى بتأكيد ما بين هؤلاء الملل من المحبة والولاء القديمين تفادياً من ان تكون تلك الحادثة قد شوهت محاسنها او ابقت لها اثر حقد او ضغينة في القلوب فأخذ عظماء الملل من السادة العلما والكهنة يجتمعون عند احدهم مرة في الاسبوع يتبادلون في اثناء اجتماعهم عبارات التوادد والتحابب وفي ختام الاجتماع يؤدب صاحب المنزل مأدبة حافلة تشتمل على الشاي وانواع الحلوى واطاييب الفواكه وقد حصل هذا الاجتماع في منزل كل من السادة قاضي حلب ومطارنة الطوائف المسيحية والحاخام باشي وبعض الوجهاء من الملل الثلاث

— عقوبة المعتدين على الارمن —

ثم ان السلطة العسكرية الانكليزية القت القبض على المتهمين بالجناية على الارمن في الحادثة السالفة الذكر والفت محكمة عسكرية

حاكمتهم فيها وقد جمعتهم في خان الشربجي بحلب فكانت المحكمة متى اصدرت حكمها على واحد منهم بالقتل قصاصاً قتلته في هذا الخان تعليقاً فقتلت نحو خمسة وثلاثين شخصاً ونفت آخرين الى جهات في مصر مدداً مختلفة فمنهم من مات في منفاه ومنهم من رجع الى حلب بعد انتهاء مدته

— تسليم السلاح —

وفي ثامن جمادي الثانية اعلن الحاكم العسكري العدلي بان كل من كان عنده سلاح يجب عليه ان يسلمه الي مخفر محلته و يأخذ به وصلاً

— منع اخراج الذهب —

وفي ١٥ منه اعلن القائد العام على جيوش الحملة المصرية المارشال ادمون هنري اللنبي منع اخراج الذهب من ولايات تركيا المحتلة وان من خالف هذا المنع يصادر ذهبه و يجري عليه حكم القانون

— قدوم الحاكم العسكري على حلب —

يوم الاربعا ١٧ منه قدم على حلب جعفر باشا حاكماً عسكرياً على ولاية حلب فاستقبل على المحطة بحفاوة واحترام وتعين سلفه شكري باشا حاكماً عسكرياً لمنطقة المدينة المنورة

وصول الامير فيصل الى بيروت

يوم الاربعا ٢٩ رجب سنة سنة (١٣٣٧) وفي ١٩ نيسان سنة (١٩١٩) م وصل سمو الامير الكبير فيصل الى بيروت عائداً من اوربا فاستقبله في بيروت وفود البلاد السورية استقبالاً حافلاً

— قدوم سمو الامير فيصل الى حلب —

وفي يوم الاربعا ١٢ رمضان منها وصل الامير فيصل الى حلب قادماً عليها من دمشق بعد عوده من اوربا وكان خف لاستقباله عظماء الحلبيين والموظفين الى اماكن بعيدة وزينت له جادات حلب وشوارعها ونصبت له اقواس الظفر ومشى في موكب استقباله من محطة الشام الوف من الناس قد انقسموا الى زمر متعددة يسير امام كل زمرة راية نقابة وتعلو اصوات الجميع لسموه بهتاف الفرح والمسرة والدعاء له بالفوز والظفر حتى وصل الى دار الامارة المعدة لنزوله في محلة العزيزية . وفي ثاني يوم من قدومه اقام لسموه نادي العرب حفلة باهرة حضرها الجم الغفير من اهل حلب والقى خطاباً مسهباً قال فيه ما صورته بالحرف الواحد

ايها السادة :

لقد كلفني عند وصولي امس بعض الاخوان ان اتكلم كلمتين تتعلق بمصير الشعب ومستقبله الذي ينبغي معرفته ولكن ضيق الزمان والمكان

امس حال دون الكلام فأرجأته الى هذا اليوم . وكنا نود ان يكون الكلام في غير هذا النادي الذي لم يعد الا للعلم والادب والخطابة الاجتماعية الا انني اضطررت الى الكلام فيه اذ لم يتيسر اوسع منه . واني اتشرف بالمثول بين يدي قواد الجيش البريطاني وامام كافة مندوبي الحلفا. ووجهاء هذه البلدة التي تمثل قسماً كبيراً من القطر السوري .

اخواني !

لا شك ان كلماتي هذه قد سمع مراراً من فمي امثالها . وتكثير الكلام وترديد القول قد ازعجاني فاستميحكم العفو عن كل ما يصدر عني من الخطأ في القول او اجتناب التصريح بكل ما في ضميري .

اول ما اخاطبكم به — ايها السادة — اني اعلمكم بانكم اليوم في موقف ربما يعود لكم بالخير وربما يعود عليكم بغيره لا سمح الله. وهذا الامر هو الذي حدا بي الى الوقوف في هذا المقام .

ولا بد انكم سمعتم خطابي في دمشق ذلك الخطاب الذي افصحت فيه عن كل ما يختلج بنفسي وعن جميع ما قمنا به من الاعمال الى ذلك التاريخ . وطلبت الاعتماد من الحضور كافة . فقبلوا جميع ما كلفتهم اياه ومنحوني الاعتماد التام لأتولى سياسة امورهم الداخلية والخارجية . وعلى ذلك الاعتماد انا مثابر في اعمالي .

ولقد كانت اعمالنا الى هذا التاريخ مقرونة بكل نجاح . وهذا

نتيجة آداب الامة وحسن سلوكها . واني لارجو ان تثابر على هذا السير الذي يسمو بها الى المنزلة الرفيعة

ان الامم واخص منها التي حاربت لنصرة الحرية والمبادىء السامية هي التي منحتكم حق الحكم والاستقلال منحاً باتاً لا مشاحة فيه. وقد وصلت اليوم الى بيروت اللجنة المرسلة من قبل الامم التي حاربت واياكم . أتت هذه اللجنة لتبحث عن رغائبكم ومطالبكم وستكون شاهداً فاما لكم واما عليكم . واذا لم تحكم بما نبتغيه فالامة هي الجانية . ان الامم المتمدنة تريد ان ترى الامة العربية عامة والسورية خاصة في مستوى الامم الراقية . وقد خولتكم هذا الحق على شرط ان تكونوا حائزين الصفات اللازمة . وليس على هذه الامة ادنى اكراه على قبول اي امر كان . وقد صرحت بذلك الدول العظمى التي انتهت اليها مقاليد العالم. فيجب علينا ان نعلم انه لا نجاح لنا الا اذا تمسكنا باهداب الاخاء والاخلاص والتؤدة والسكون واتحاد الكلمة وغير ذلك مما يثبت للعالم اننا امة يجدر بها ان تدخل المجتمع البشري بيضاء الوجه . ويجب على كل فرد منا ان يتكلم امام هذه اللجنة بملء الحرية من غير ان يؤثر فيه مؤثر ويعرب عما في قلبه ويبين كل ما في فؤاده رامياً الى درك مصالح امته بدون خوف ولا حذر . (هتاف — تصفيق)

لا تحسبوا ان احداً يريدكم على قبول ما لا تريدون . فان مستقبلكم بين ايديكم على ان تبرزوا لهذه اللجنة القادمة كل تصرف مجيد نعم — انه

يوجد من يقول اننا نحن العرب او السوريين لا نتمكن من ادارة شؤوننا بانفسنا . ربما يكون هذا حقاً وربما يكون باطلاً فيلزم ان ان نفهم من يقدم علينا اننا اذا تركنا وشأننا نتولى امورنا بانفسنا سنتمكن من اثبات كفائتنا وجدارتنا . فاذا اثبتنا ذلك فدعونا نسير في سبيل الامم المتمدنه

وبما ان الحالة الحاضرة هي ميزان المستقبل وبما ان الامة محتاجة الى توحيد الكلمة فوحدوا كلمتكم واجمعوا على طلب الغاية التي تريدونها لانفسكم وبلادكم . ولو كنت في غير مقامي هذا لجئت بتصريح افصح واوضح . ولست بمكلفكم تكليفاً ما وليس لاحد كذلك فانتم المختارون هذه اقوالي وسنبدي للعالم ما نحن محتاجون اليه (اصوات : فلنعتمد الامير ، هتاف عال)

انتم احرار في بلادكم . وستقولون ما تريدوون ويعمل بما تريدون وهذه هي النتيجة المختصرة المفيدة اخبركم بها واني ساقوم بواجبي فيما ينفع الامة وفيما يوطد دعائم استقلالها في الحاضر وفي المستقبل اعتماداً على ما خولتني اياه من الثقة

نعلم ان فينا من هو في الاقليــة ومن هو في الاكثرية بالنظر الى المذاهب . وهو الامر الذي ربما يقال او يتصور انه موضع اختلاف وقد يمكن ان يجعل ذلك بعض من يجهل حالة العرب اليوم سبباً للقول في امر العرب ومستقبلهم . اما انا فاقول لا اكثرية ولا اقلية لدينا ولا

شيءٌ يفرق بيننا . انما نحن جسم واحد . (تصفيق وهتاف) ولا شك ان اعمال الحكومة الموقتة تدل على ان لا اديان ولا مذاهب فنحن عرب قبل موسى ومحمد وعيسى وابراهيم . نحن عرب تجمعنا الحياة ويفرقنا الموت . لا تفريق بيننا الا اذا قبرنا . (هتاف) ولا بد ان الحكومة التي ستؤسس بمساعدة من اخذ بناصرنا من الامم المتمدنة العظيمة ستعمل بجميع ما هو واجب لتأييد حقوق الاقلية . وسنقطع على ذلك العهود المكتوبة بالصحائف وانا واثق ان هذه الصحائف التي تكتب لحفظ حقوق الاقلية ستأتي الاقلية فتمزقها بيدها لانها سترى ان الاكثرية عاملة بما سطرته وفوق ما سطرته

واؤمل ان كل سوري يكون عربياً قبل كل شيءٌ . واؤمل ان كل من يتكلم بالعربية يشعر بمثل هذه العواطف التي اشعر بها . (تصفيق) لا يحترمنا العالم المتمدن الا اذا احترمنا انفسنا واحترم بعضنا بعضاً . واذا انقسمنا الى احزاب وشيع فانه يستخف بنا . وهو ينظر الى الاديان كافة نظراً واحداً ولا يميز بين امة وامة . واريد ان ينظر المجتمع العربي بعضه الي بعض بهذا النظر

يجب عليَّ ايضاً ان اكرر القول ان اول عمل ينبغي علينا القيام به بعد ذهاب اللجنة وما هو بعيد الامد ان تكون مجتمعاتنا علمية وادبية لا سياسية . واني انشط جميع مواطني الذين يسعون في انشاء جمعيات علمية واكون سعيداً اذا رأيت اسمي مقيداً بين اسمائهم

تريدون ان اتكلم عن السياسة اكثر من ذلك فحسبي ما جئت به ولكني اتكلم الان عن العلم واني اتمنى ان يكون هذا النادي الذي اتشرف اليوم بالوقوف فيه خادماً للعلم ومصدراً للاداب كافة . واطلب من الامة ان تنظر الى مستقبلها بعين الارتياح

ينبغي ان نكون اخواناً ولا نتفرق ولا يكون بيننا احزاب حتى لا يؤثر شيء في مصيرنا ومن اصابه ادنى ظلم من اي شخص كان فليصبر على ما يصيبه وليأت الى المرجع المسؤل فيخبره بما اصابه . وربما يوجد مضلون يحبون ان تتنازعوا — كما وقع قبل مدة — حتى يقولوا اننا لسنا بمستحقين للحكم الذاتي وتسوء سمعتنا امام العالم بمثل ذلك فاني احذركم عواقب هذه الامور التي ان تسمع وان ترى ان شاء الله . واني لاتوقع ان اسمع واري كل ما يسرني من الهدوء وجمع الكلمة على طاب ما هو بغية كل عربي من الاستقلال الذي ستنالونه . اربطوا الجأش واعتصموا بحبل واحد

من البديهي ان الامن من ضروريات البلاد . والامن لا يقوم الا بالرجال وهم الدرك والجند . نعم ان الامة قد خرجت من الحرب ناصبة من الجندية . ولكن الوطن يحتاج الى من يصون الامن فيه فاتمنى كثيراً ان تهرع الامة الى الانتظام في هذا السلك . اريد ان ارى الشبان عند عودتي في المرة الثانية قد اكملت اهبتها . ان اخوانكم الدمشقيين قاموا بواجباتهم في هذا السبيل احسن قيام . واؤمل ان

اراكم غير متأخرين عن اخوانكم اولئك . بل الذي اؤمله ان تسبقوهم وانى اختتم الان الكلام فاقول السلام عليكم ورحمة الله و بركاته

— زيارة سموه المستشفى الوطني ومكتب الصنائع —

ثم ان سمو الامير فيصل زار في هذا اليوم المستشفى الوطني ومكتب الصنائع وسر بما شاهده فيهما من آثار الرقي والتقدم وفي ثاني يوم طاف في اسواق حلب ماشياً ليس معه سوى جندي واحد يتفقد شؤن الناس و يطلع على احوالهم

— مأدبة البلدية لسمو الامير —

وقد ادبت لسموه البلدية مأدبة حافلة جلس على مائدتها نحو من مئة وخمسين ذاتاً من وجهاء حلب وعلمائها ورؤسائها الروحيين وفي انتهاء الحفلة شكر الاستاذ الدكتور السيد عبد الرحمن الكيالي على لسان البلدية سمو الامير على تنازله باجابة دعوى البلدية الى هذه المأدبة والتمس منه غض الطرف عما يراه من التقصير فيما يجب لسموه

— حفلة الجمعية العلمية لسمو الامير —

وفي نحو الساعة الثالثة بعد ظهر يوم الجمعة ١٤ رمضان دعت جمعية النهضة العلمية سمو الامير الى حفلة اقامتها له في نادي العرب حضرها وجهاء البلدة واعيانها وتبرع الامير بالف جنيه مصرية للجمعية وبراتب شهري عشر ليرات وتبرع مولود باشا بخمسين جنيهاً وبراتب شهري

خمس ليرات وتبرع زكي بك الخرسا بمائتي جنيه وبنفقة عشرة تلامذة من ابناء العرب يرسلون الى مكاتب اوربا وتبرع السيد عبد الرحمن محوك بثلاثمائة جنيه وبراتب شهري عشرين جنيهاً

— وصول برقية من المارشال اللنبي عن اللجنة الدولية —

في هذه الايام وصل من المارشال اللنبي برقية تتعلق باللجنة الدولية صورتها بعد التعريب :

تصل الى الشرق عما قريب اللجنة التي تبحث في الامور المتعلقة بمستقبل سوريا وفلسطين والعراق السياسي وذلك بعد ان يكون المندوبون الاميركيون قد تحقق سفرهم الى هذه الاقطار وعندما تنتهي هذه اللجنة من فحص الحقائق المتعلقة بهذا الشان يقدم اعضاؤها رأيهم الى مجلس الدول المحالفة العظمى فيقرر المجلس الامر تقريراً نهائيا

— عود سمو الامير فيصل الى دمشق —

وفي هذا الشهر عاد سمو الامير فيصل الى دمشق فشيع باحتفال فائق

— الوفد الدولي واجتماع رجال حلب للمذاكرة بما يجيبونه به —

تقرر في المراجع الكبرى الاوربية ايفاد وفد اميركي الى فلسطين وسورية لاستفتاء اهل البلاد ولما انبأ البرق بهذا الخبر عقد علماء حلب ووجهاؤها من جميع الملل جمعية كبرى في قاعة الاستاذ الدكتور السيد عبد الرحمن الكيالي وتذاكروا فيما بينهم بالجواب الذي يجيبون

به الوفد الاميركي عن اسئلته وبعد الاخذ والرد كانت الاكثرية في ان يكون الجواب هكذا : نطلب ان تكون سوريا مستقلة بحدودها الطبيعية استقلالاً تاماً واذا لم يكن بد من اشراف دولة كبرى عليها فلتكن جمهورية اميركا واذا رفضت اميركا ان تكون مشرفة عليها فلتكن دولة انكلترا لا نرضى باحداهما بديلا : ثم ابرقت الجمعية بذلك الى عصبة الامم في اوربا

— اعضاء المجلس العمومي —

في اليوم الـ ١٦ من رمضان اجتمع في دار الحكومة المنتخبون الثانويون وانتخبوا سراً اعضاء ليمثلوا الشهباء في المجلس العمومي والمؤتمر السوري الذي سيعقد في دمشق عاصمة سورية

— افتتاح المؤتمر السوري —

وفي يوم الاثنين ٩ شوال دعا سمو الامير فيصل اعضاء المؤتمر السوري الى النادي العربي في دمشق ولما تكامل الجمع فاه بخطاب ابان فيه ان الغرض من هذا الاجتماع تمثيل الامة السورية امام اللجنة الاميركية وعرض امانيها ومطالبها لتقدمهما اللجنة الى مؤتمر السلام ، وسن قانون اساسي يكون دستوراً لاعمال الامة في المستقبل ويحفظ حقوق الاقليات — وبعد هنيهة من الزمن اجتمع اعضاء المؤتمر وقرروا اجوبتهم الى اللجنة الاميركية . وهي طلب الاستقلال التام ورفض كل حماية ووصاية على سورية بحدودها الطبيعية المعروفة ومنع المهاجرة

الصهيونية وعدم تجزئة سورية وتأليف حكومة دستورية ديموقراطية برآسة الامير فيصل وتنظيم قانون اساسي تراعى فيه حقوق الاقليات والاجتماع على المادة الـ ٢٢ من قانون عصبة الامم وانه اذا كان لا بد من اصرار مؤتمر الصلح على انتداب دولة على سوريا لاسرار خفية لا يدرك كنهها وبناء على تصريحات الرئيس ويلسون القائلة بان الدولة المنتدبة تكون لنفع الشعب المندوبة عليه لا لنفعها ــ فلذلك نطلب هذه المساعدة من دولة اميركا البعيدة عن المطامع الاستعمارية في بلادنا بشروط معينة على ان لا تمس هذه المساعدة استقلالنا السياسي وتكون عبارة عن مساعدة فنية علمية لمدة عشرين سنة فقط واذا رفضت اميركا فلتكن هذه المساعدة من دولة انكلترا بنفس الشروط واننا نرفض كل حق تدعيه (الدولة الاخرى) مع رفض كل مساعدة تقدمها لسوريا وقد استغرقت هذه المناقشة نحو اربع ساعات ثم قبلت بعد تحوير طفيف باكثرية ٤٦ صوتاً يخالفها ١١ صوتاً و ١٦ صوتاً عد اصحابها مستنكفين

— وصول اللجنة الاميركية الى حلب واستفتاؤها الشعب الحلبي —

في منتصف ليلة الخميس ١٦ شوال سنة (١٣٣٧) وصل اعضاء اللجنة الاميركية الى حلب قادمة عليها من حماه بالقطار الحديدي وفي الغد اخذت وفود الاقضية ومشائخ العشائر ترد على حلب لمقابلة اللجنة ومكاشفتها عن اميالهم وفي ثاني يوم تصدت اللجنة لقبول اهل ولاية

حلب واستفتائهم عن مصير بلادهم فكان وجهاء كل محلة من اهل حلب يدخلون على الانفراد غرفة اللجنة و يبدون لها مطالبهم كما ان كل ذي شخصية بارزة من اهل اقضية الولاية يدخلون فرادى على الغرفة و يصارحونها بمطالبهم وكان مآل ما طلبه جميع الاهلين مطابقا لما قرره المؤتمر السوري الذي اسلفنا ذكره

- قدوم الشريف ناصر الى حلب وعوده الى دمشق

في يوم الاربعا ٢٥ شوال سنة (١٣٣٧) وصل الشريف ناصر الى حلب قادماً عليها من دمشق فاستقبل بحفاوة و نزل في دار الامارة و بعد ايام عاد الى دمشق

عود ناجي بك السويدي -

في شهر ذي القعدة عاد الى الشهباء المعاون الملكي ناجي بك السويدي بعد تغيبه ثلاثة اشهر مأذوناً لزيارة الاهل والاصدقاء فاستقبل استقبالاً حافلاً

- سفر سمو الامير فيصل الى اوروبا -

في شهر ذي الحجة سافر سمو الامير فيصل الى اوروبا ليكون في اليوم ١٦ من ايلول سنة ١٩١٩ م حاضراً في باريس وهو اليوم الذي تطرح فيه المسائل السورية على بساط البحث ، وقبل سفره اوصى الاهلين بالتؤدة والسكون وانتظار النتيجة والا يغرهم ما يشيعه بعض

ارباب الاغراض وان يكونوا يداً واحدة ولا يدعوا للشر واليأس مجالاً

قدوم الامير زيد الى حلب —

وفي هذا الشهر قدم الامير زيد الى حلب فاحتفل باستقباله وبعد ان اقام في حلب اياماً قلائل حث في خلالها على التطوع العسكري وعلق الاوسمة على صدر بعض الموظفين الكبار اولهم جعفر باشا عاد الى دمشق

سنة ١٣٣٨

— انسحاب الجيش الانكليزي من دمشق وحلب —

في شهر ربيع الاول منها انسحب الجيش الانكليزي من دمشق وحلب واصبح امر الامن منوطاً بالحامية الوطنية المتطوعة الى ان يتقرر مصير البلاد في مؤتمر الصلح

كان الامن مدة احتلال الجيش البريطاني ماداً رواقه في حلب وسائر ملحقاتها وكانت حركة الاقتصاد في نجاح عظيم لم يسبق له نظير

— مظاهرة —

يوم الخميس ٤ ربيع الاول منها قام طلاب المدارس في حلب على اختلاف طبقاتهم ومعهم جمهور من الناس — بمظاهرة وطنية احتجاجاً على الاتفاق الاخير الذي يرمي الى تجزئة البلاد فطافوا في الشوارع ورفعوا الاعلام العربية وقصدوا دار الحكومة فاستقبلهم الحاكم العسكري

وشكر عواطفهم الوطنيـة وخطب احدهم فقال اننا جميعاً متطوعون نضحي اموالنا وارواحنا في سبيل حريتنا واستقلالنا — وليحي الامير فيصل — ثم في يوم السبت ٦ منه قاموا بمظاهرة اخرى نظير المظاهرة الاولى

— بلاغ مندوب حكومتي انكلترا وفرنسا —

وفي هذا الشهر ورد من الحاكم العسكري في دمشق الى الحاكم العسكري بحلب كتاب خلاصته : اننا تبلغنا رسمياً من المندوبين المومأ اليهما ان الجنود الفرنسية ستحل محـل الجنود البريطانيـة في شتوره ورياق وبعلبك حسب القرار العسكري الاخـير احتلالاً عسكرياً على ان تبقى هذه المناطق مرتبطة من الوجهة الادارية بالحكومة العربية

وعلى اثر هذا الخبر انتدب اللواء نوري باشا السعيد الى مقابلة القائد الفرنسي العام في بيروت ليفهمه الاخطار التي تنجم عن هذا الاشغال الذي لا ينطبق على افكار الشعب . وبعـد بضعة ايام ورد من دمشق على قيادة الفرقة الثالثـة بحلب برقية ما لها ان الفرنسيين عدلوا اول امس عن اشغال بعلبك ورياق وشتوره وحاصبيا وراشيا واكتفوا باقامة ضابط ارتباط في بعلبك فقط فاستبشر الناس بهذا الخبر

— روابط المحبة بين العرب والارمن في حلب —

في هـذا الشهر اقامت طائفة الارمن بحلب حفـلة شاي في ميتم الارمن الكائن في خان الصابون برآسة جعفر باشا حضرها ٥٢ شخصاً

من وجهاء العرب و ٤٤ من وجهاء الارمن تبودلت فيها الخطب الودية بين الطرفين وخطب ناجي بك السويدي فبحث عن وجوب الاتحاد والتضامن بين الامتين ومدح ثبات الامة الارمنية واستعدادها

— عود الامير فيصل من اوربا

يوم الاربعا ٢٣ ربيع الثاني سنة (١٣٣٨) وصل سمو الامير فيصل الى بيروت عائداً من باريس فاستقبلته وفود البلاد السورية استقبالاً باهراً وكان من جملة المستقبلين وفد حلب وقد اطلقت المدافع تحية لمقامه الملوكي ورفعت له الاعلام العربية على اقواس الظفر المنصوبة بالشوارع

— خطاب الامير في دمشق —

وبعد ان وصل الامير الى دمشق بيوم القى خطاباً بحضور الجم الغفير قال فيه ما خلاصته انه حتى الان لم يعقد بينه وبين اي كان من الدول الاوربية اتفاق وانه لم يتحول عن عزمه الذي ذهب من اجله — وهو طلب الاستقلال ليس لسورية فقط بل لجميع البلاد العربية وانه لا يتزعزع عن هذا العزم الى آخر لحظة من حياته

— قدوم سمو الامير فيصل على حلب —

في نحو الساعة التاسعة زوالية صباح يوم الخميس ٩ جمادي الاولى سنة (١٣٣٨) وصل الى حلب القطار الخاص الذي يقل سمو الامير فيصل

فاستقبل اجل استقبال كان رسم برنامجه على صفة منتظمة

— سمو الامير في نادي العرب —

يوم الجمعة ١٠ منه حضر سمو الامير الى حفلة اقيمت له في نادي العرب والقى خطاباً حث فيه على الاهتمام بالتجنيد ومن جملة ما قال فيه — ان البلاد لا تتخلص الا بقدرة الباري وقوة التجنيد وان الجنود حرس الاستقلال —

— سفر الامير —

وفي يوم السبت ١١ منه برح الامير حلب عائداً الى دمشق

— تعيين حاكم عسكري على حلب —

وفي جمادي الاولى منها تعين عبد الحميد باشا القلطقجي حاكماً عسكرياً على حلب وتشكلت فيها متصرفية مستقلة وبعد ايام قلائل ورد الامر بابقاء حلب ولاية كما كانت سابقاً

— استقلال سوريا وتتويج سمو الامير فيصل ملكاً عليها —

يوم الاثنين ١٨ جمادي الثانية سنة(١٣٣٨) ه و ٨ آذار سنة (١٨٢٠)م اعلن استقلال سوريا وتوج سمو الامير فيصل في دمشق ملكاً على سوريا فاطلقت مدافع البشرى من قلعة حلب واقبل وفود المهنئين على الحاكم العسكري ومعاونه ثم تلا ناجي بك السويدي المعاون صورة البرقية المعلنة بذلك فقابلها الجمهور بالاستحسان وانبرى الخطباء يعددون

فضائل الاستقلال وفوائده وفي المساء زينت البلدة وقامت الافراح وعزفت آلات الطرب

— مبايعة رؤساء الطوائف المسيحية في دمشق —

لجلالة الملك فيصل الاول

صورة المبايعة بالحرف الواحد

باسم الله

اننا نحن الواضعين امضاواتنا واختامنا بذيله الرؤساء الروحانيين للملل التابعة لنا نقرر ما يأتي :

لما كان قد وقع اختيار الامة السورية على تمليك سمو الامير فيصل ابن جلالة الملك حسين الاول على سوريا بحدودها الطبيعية — حضرنا اليوم في دائرة بلدية دمشق العاصمة لتأدية فرض المبايعة فاصالة ونيابة نقر بانه مع مراعاة الشرائط السبعة التي ارتبطنا بها مع سموه في اول مقابلة بيننا يوم الاثنين في سادس شهر تشرين الاول سنة ١٩١٨ وهي :

طاعة الله . احترام الاديان . الحكم شورى على مقتضى القوانين والنظامات التي تسن لذلك . المساواة في الحقوق . توطيد الامن . تعميم المعارف . اسناد المناصب والوظائف الى اكفائها . وقبول سموه بها واحدة فواحدة — نبايعه ملكاً على هذه البلاد متعهدين بالطاعه والاخلاص لجلالته والمعاونة لحكومته بكل ما تصل اليه القدرة وعليه اعطينا هذا الصك تحت امضاواتنا واختامنا مسترحمين صدور ارادة

جلالته بنشره في الجريدة الرسمية تصديقاً منه وقبولاً بمضمونه داعين لجلالته بطول العمر واستمرار التوفيق لما فيه خير البلاد وترقي اهلها

— الامضاوات : بطريرك الروم الارثوذكس . بطريرك الكاثوليك مطران السريان الكاثوليك . والقديم . خوري الموارنة . مطران الارمن قديم وكاثوليك . رئيس البروتستان . حاخام اليهود

— وفد التهاني لجلالة الملك فيصل —

في شهر جمادي الآخرة منها سافر الى دمشق لعرض التهاني على جلالة الملك فيصل وفد مؤلف من قاضي حلب ورؤساء الطوائف والوجوه مسلمين وغيرهم

— والي الولاية —

ولي حلب رشيد بك طليع وفي يوم الخميس ٢٠ رجب قدم على حلب فاستقبل باحتفال كبير واطلقت له المدافع من القلعة تحية واجلالاً

— الاحتفال بالعلم العربي —

في شهر شعبان سنة (١٣٣٨) احتفل بتسليم العلم العربي في جهة المزه وقد خرج اليها الجيش العربي مشاة وفرساناً وبعد قيامه بمناورة عظيمة وقف جلالة الملك فيصل والعلم بيده وقال يخاطب القائد — ان هذا العلم الذي في يدي لا يزال نقياً طاهراً لم يدخل المعارك ولم يلوث بالدم وان غاية ما اتمناه ان يظل كذلك الا اذا اهين شرف الامة واراد احد

ان ينال من حرمتها فعند ذلك اريد ان يبرهن هذا اللواء الذي اهدى اليه هذا العلم اليوم على انه اهل لهذه الهدية وانه كيف يفندي العلم بدمه وكيف يدافع عن الوطن — ثم سلم العلم الى قائد الجيش : اما المكتوب على العلم فهو هذا — على احد جانبيه — البسملة — وجاهدوا في سبيل الله : ان الله معنا : انا فتحنا لك فتحاً مبيناً — وعلى الجانب الآخر — لا آله الا الله محمد رسول الله — اللواء الاول سنة ١٣٣٨ — المشاة

زيادة الضرائب والدعوة الى التجند وقيام الفتن — في سورية الساحلية

بعد تتويج الامير فيصل ملكاً على سوريا واستقراره على عرش الملك بدأت حكومته تزيد في الضرائب وتدعو الى التجند وكانت العصابات في المنطقة الشرقية السورية التي تخفق عليها الراية الفرنسية قد استفحل امرها وكانت الدوله المنتدبة المحتلة في سواحل سوريا قد اهمها امر تلك العصابات وجهزت لقهرها جيشاً جراراً فلم يتسن لها قمعها الا بعد جهود عظيمة وخسائر جمة وكثرت الفتن والوقائع في جهات بشاره وانطاكية وتل كلخ وغيرها من الجهات السورية

— توتر العلائق بين جلالة الملك فيصل وبين الحكومة الفرنسية المنتدبة

ولما حدثت هذه الامور — اخذ الارتياب من سمو الامير فيصل

يأخذ محله من نفوس الحكومة الفرنسية المنتدبة وكان قد تسرب اليها الشك في اخلاصه لها من خطبة القاها في دمشق لمح فيها الى وجوب رفض الانتداب الفرنسي والاصرار على الاستقلال التام وذلك بعد ان كان القى في بيروت خطبة صرح فيها بما يوافق فرانسه ويرمي الى غرض الرضا بانتدابها

— اول ما ظهر من نتائج توتر العلائق —

قال الاستاذ الفاضل محمد كرد علي في كتابه خطط الشام ما خلاصته: كان الجنرال غورو المفوض السامي للجمهورية الفرنسية ولبنان يعزز جيشه في الساحل ثم في ١١ تموز سنة (١٩٢٠) ارسل الى الملك فيصل كتاباً قال فيه: بينما كانت السكينة سائدة في سوريا اثناء الاحتلال الانكليزي ابتدأ الفساد يوم حلت جيوشنا محل الجيوش البريطانية ولا يزال آخذاً بازدياد منذ ذلك الوقت . وارسل اليه ايضاً يوم ١٤ تموز بلاغاً يكلفه فيه ان يعطي فرنسا الخط الحديدي من رياق الى حلب وان تلغي حكومة فيصل القرعة العسكرية وان يقبل الانتداب الفرنسي والنقود السورية ويضرب على ايدي الاشقياء فطلب الملك مهلة اربع وعشرين ساعة فانتهت ثم مددت اربعا وعشرين ساعة اخرى ثم مددت ثانية ولم يجب لانقطاع الاسلاك البرقية وحينئذٍ سار الجنرال غورو بجيوشه الى جهة دمشق واشتعلت نار الحرب في جبال ميسون بين جيوشه وبين الجيش العربي يعضده بعض عامة دمشق وبضع مئات من البدو

فكانت الغلبة للجيوش الفرنسية . ثم اعلم الجنرال غورو الملك فيصلا انه مستعد ان يتوقف عن الزحف اذا قبل بمواد الانذار السابق وبشروط بينها له - مذكورة في خطط الشام - فتأخر جواب الملك فيصل عن هذا الانذار فاستمرت الجيوش الفرنسية على الزحف الى ان دخلت دمشق في اليوم الـ ٢٥ تموز سنة (١٩٢٠) بعد ان قتل من الجيش العربي مقتلة عظيمة واسر منه العدد الكبير على الوجه الذي حكاه الاستاذ محمد كرد علي في خططه مفصلاً

- ذكر ما حدث في حلب اثناء هذه الحرب -

وفي اثناء هذه الحرب ورد الامر من قيادة دمشق الى القيادة العسكرية العربية بالاستعداد الى مقاومة الجيوش الفرنسية فاستعدت القيادة للمقاومة على زعمها باعداد جيش من الجند الوطني لا يزيد عدده على بضع مئات ونشرت الدعوة للمقاومة بين العامة واستدعت بعض قبائل الاعراب من ضواحي حلب وخرجت العامة الى الثكنة العسكرية وطلبوا من القيادة السلاح فلم تعطهم وطلب الجند منها عدداً من المدافع فاجابتهم بان ما هو موجود منها في الثكنة مختل لا يصلح للاستعمال ثم ورد الامر من القيادة في دمشق بالتسليم وعدم المقاومة ثم ورد بالمقاومة غير ان الحكومة الحلبية حينما رأت هذا التذبذب في الامر وضعف الامة عن المقاومة عقدت مجلساً من اعيان حلب ووجهائها للاستشارة في هذه المسئلة فاختلفت الكلمة في ذلك واخيراً

رأى حضرة كامل باشا القدسي ان المقاومة تضر بالبلدة فضلاً عن كونها لا تؤدي الى الغرض المطلوب وقد اقام على ذلك ما لا يمكن دحضه من الادلة والبراهين وقوله في ذلك حق لا مراء فيه ولا سيما وهو رجل عسكري محنك وعليه فقد اذعن الحاضرون الى رأيه وقرروا التسليم بالطوع والرضا

— منشور القته الطيارة على حلب —

وقبل قدوم الجيش الفرنسي الى حلب القت طيارة مئات من نسخة منشور باللغة العربية خلاصته : ان فرنسا لا تتعرض الى استقلالكم ولا تدعو الى التجنيد وهي تخفف عنكم الضرائب ولا تعدل بسلطتها ضدكم ولا تتعرض الى الموظفين الوطنيين بل تبقي كل واحد منهم في وظيفته وان مقاومة جيشها يضر بالبلد واهلها ويضطر فرنسا الى عمل لا تحمد عقباه وهو منشور طويل هذا فحواه

— والي حلب —

في شهر ذي القعدة سنة (١٣٣٨) ولي حلب حضرة ناجي بك السويدي

— دخول الجيش الفرنسي الى حلب —

صباح يوم الجمعة ٨ ذي القعدة سنة (١٣٣٨) وفي ٢٣ تموز سنة ١٩٢٠ م احتلت الجيوش الفرنسية مدينة حلب واشغلت بعض النقاط

في اطراف البلدة ولم يحدث اقل حادث

وفي صباح يوم الجمعة المذكور جرى الاحتفال بقدوم الجنرال دهلاموط قائد الجيوش الفرنسية في المنطقة الشمالية السورية فزار مقام الولاية والقى خطاباً قوبل بالاستحسان واليك ترجمته :

ايها السادة : ان فرنسا وجنودها لم تدخل هذه البلاد بصورة عدائية ولا مقصدها الاستيلاء على البلاد ولا استعمارها بل ان الواجب الوطني هو الذي القى على عاتقها لرقي البلاد واسعادها وايصالها الى اقصى درجات الرقي والعمران . ولذلك فان الحكومة باقية على ما هي عليه محافظة على شكلها وموظفيها وقوانينها واحكامها

وعليه فان جميع الضباط والقوات الفرنسية وغيرهم يحترمون هذه الاحكام والقوانين وان القوى الموجودة لا بد وان تكون مؤيدة لتنفيذ اوامر الحكومة واحكامها

لذا فاني اطلب من جميع رؤساء الدين والاشراف والاعيان والاهالي دوام الالفة وازدياد المحبة بين جميع طبقات الامة واطاعة اوامر الحكومة وبذلك يكونون سعداء وعلى الاخص فيما اذا تحققت امانيهم برؤيتهم هذه البلاد سعيدة حرة مستقلة اهـ

ـ رفع استقالة ـ

رفع حضرة ناجي بك السويدي والي الولاية استقالته الى وزارة الداخلية فقبلت

— والي الولاية الجديد —

يوم الثلاثا ١٩ ذي القعدة سنة (١٣٣٨) ٣ آب سنة (١٩٢٠) م عين سعادة كامل باشا القدسي من كبار اعيان حلب والياً للولاية

اجمال في الكلام على الامة الفرنسية المحترمة [1]

— مملكة فرنسا ومن اين اتى اليها هذا الاسم —

ذكروا ان هذه المملكة قديمة العهد واسعة الحد وانها كانت تضم اليها جميع مملكة البلجيك وسويسرا وضفاف نهر الرين وبلاد فرنسا الحالية وانه كان يسكنها قديماً اقوام يقال لهم ايبير وبسك وكسكون ثم قبل المسيح بنحو الفي سنة زحف عليها اقوام يقال لهم الغال وسلتيك وغيرهم من امم البربر وفي سنة ٥٨ ق م زحف عليها القائدالروماني يوليوس قيصر واستخلصها من يد اهلها وسماها الرومانيون غاليه واليونانيون سلتيك وبعد ان اضمحلت الدولة الرومانية زحف على هذه المملكة امم من البربر يقال لهم ويزيكوت توطنوا الجهة الغربية وبرعوند توطنوا منها الجهة الشرقية وفرانك توطنوا منها الجهة الشمالية ثم زحف عليها اتيلا ملك الهون فتألبت عليه هذه الطوائف وطردته عنها وكانت طائفة فرنك اعظم الطائفتين بلاء في طرده فترأست عليها وسميت تلك البلاد بأسمها وصارت تدعى فرنسا التي اصلها فرنك والعرب يسمونها فرنجه ومن ذلك الوقت دخلت تحت تملك الملوك الفرنسيين

وقد قسم المؤرخون ملوك فرنسا الى ثلاث سلاسل فحذونا نحن حذوهم وسنتكلم في الآتي من هذا الاجمال على كل سلسلة منهم وعلى ما كان من الحوادث العظيمة في ايامهم

---

(١) هذا الاجمال استخلصناه من تاريخ الامة الفرنسية المحترمة بمعاونة صديقي الفاضل القس جبرائيل رباط الرومي الملكي الحلبي المحترم

— ديانة سكان تلك البلاد —

كان الغاليون يعبدون آلهاً اسمه توتاتيس وغيره من الاوثان وكانوا يقدمون له الضحايا من نبات الحقول ولاسيما ورق البلوط المسمى (دكى) وهم يسمون كهنتهم (درويد) وقد جعلوهم عليهم حكاماً وعلماء وكهنة وكانوا يلبسون ثياب طوال سود ويعقدون على رؤوسهم اكاليل من ورق البلوط . وكان الفرنك يدينون بالوثنية ويعبدون آلهاً اسمه اودين اى اله الحرب

— متى دخلت النصرانية تلك البلاد —

يذكر ان اول من دعا للنصرانية في هذه البلاد هو العازار الذى احياه المسيح

— اول من تنصر من ملوك فرنسا —

وان اول ملك من ملوك فرانسه اعتنق الديانة المسيحية هو الملك كلوفيس حفيد ميروى اول ملك من ملوك السلسلة الاولى الفرانسيين وذلك سنة ٤٩٦ . وكانت زوجته كلوتيلد مسيحية وقد عمد في عيد ميلاد هذه السنة في كنيسة رانس في حضور جم غفير

— السلسلة الاولى من ملوك فرانسه —

هذه السلسلة تدعى الميروفنجيين واول من ملك منها على فرانسا هو الملك ميروى تسلم زمام الدولة الفرنسية حينما صارت تعرف بهذا الاسم وبعد وفاته خلفه اولاده ثم حفدته وكان اعظم ملوك هذه السلسلة الملك كلوفيس احد حفدة الملك ميروى واما الباقون من ملوكها الذين هم اولاد كلوفيس وحفدته فلم يرافقهم النجاح في اعمالهم لاستيلاء التوانى عليهم حتى عرفوا باسم الملوك المتوانين ولهذا تغلب عليهم احد وزرائهم المسمى شارل مرتيل وصار ملكاً على فرانسا وهو الذى حارب العرب في جهات بوانيه وانتصر عليهم

— السلسلة الثانية —

ثم ان بيبان (القيصر) اتحد سنة ٧٥٢ م ١٣٥ هـ مع البابا ضد اللومبرديين فتوجه ملكاً وبذلك انتهت سلسلة الملوك الميروفجيين التي هي السلسلة الاولى من ملوك فرانسا وابتدأت سلسلة ملوك فرانسا الثانية التي اول ملك منها بيبان المذكور ولما آل ملك فرانسا الى شرلمان الذي هو اعظم ملوك هذه السلسلة اهتم باعلاء شأن بلاده فوسع نطاقها حتى وصلت حدودها الى نهر الالب من جهة المانيا والى مدينة رومية من جهة ايطاليا والى الأبير من جهة اسبانيا والى نهر الدانوب من جهة النمسا وقد توجه البابا لاون الثالث امبراطوراً في مدينة رومية سنة ٨٠٠ م ١٨٤ هـ وكان النصر حليفه في اكثر حروبه ونهضت مملكته في ايامه نهضة عظيمة فكثرت الاصلاحات الادارية والمشاريع العامة والادبية وكان صديق الخليفة هارون الرشيد العباسي . وقد تلقى الامبراطور شرلمان من علماء العرب علوماً جليلة ثم مات سنة ٨١٤ م ١٩٩ هـ وخلف ثلاثة اولاد فانقسموا على بعضهم وحدث بينهم عدة معارك ثم اصطلحوا وقطعوا بواسطة الاساقفة عهوداً بينهم في مدينة فردون سنة ٨١٦ م ٢٠١ هـ على ان تكون البلاد التي على الضفة الشرقية من الرين الى لويس وقد سميت بلاد جرمانيا والبلاد الغربية بين البحر ومجرى نهر الرون ونهر السون والموز الى اخيه كارلس الاصلع وسميت بلاد فرانسا وبلاد ايطالة والرون والسون وما هو كائن من البلاد بين الموز والرين الى اخيهما لوتير وسميت بلاد اللوتير نجي ومنها اللورين

ثم ان بلاد فرنسا التي يملكها كارلس الاصلع استولى عليها الضعف بعد هذا التقسيم وطمع فيها النورمنديون وهم اسلاف سكان نرويج ودنمارك فهجموا عليها عدة مرات فلم يفلحوا ثم مات كارلس الاصلع وولده لويس الألثغ وعادت مملكة شرلمان العظيمة الى ما كانت عليه من القوة والمنعة وصارت كلها تحت راية واحدة يقبض عليها ملك واحد اسمه كرلس السمين وفي ذلك الوقت عاد النورمنديون وزحفوا على هذه المملكة فعجز الشرلمانيون عن مقاومتهم واستمر النورمنديون على زحفهم حتى صاروا على ابواب العاصمة باريس وشددوا عليها الحصار وحينئذٍ تجرد اليهم الكونت اود فدحرهم وولوا منهزمين

وبعد ان توفي لويس الخامس بن لوتير وحفيد لويس الرابع وكرلس البسيط

رأى الاساقفة ووجوه اهل المملكة ان الشرلمانيين لم يقلعوا عن توانيهم وقرروا ان ينزعوا الملك منهم ويسلموا صولجانه الى حفيد الكونت اود واسمه هوك كابه وذلك سنة ٩٨٧ م ٣٧٧ ﻫ وبذلك انتهت سلسلة الشرلمانيين الثانية من سلسله ملوك فرانسة وابتدأت السلسلة الثالثة منهم

— السلسلة الثالثة —

هذه السلسله تسمى ملوكها بالملوك الكابيسيين الدين دام تملكهم على المملكة الفرنسية من سنة ٩٨٧ م ٣٧٧ ﻫ الى سنة ١٨٤٨ م ٤٦٥ ﻫ وقد علمت ان اول ملك من ملوك هده السلسلة هو الملك هوك كابه واليه تنتسب هذه السلسله

على ان ملوك هذه السلسلة قد قصروا اهتمامهم في بدء امرهم على مقاطعتهم الخصوصية وهي مقاطعة ايلدو فرانس ولم يلتفتوا الى باقي المملكة الفرنسية فاستبد بها حكامها واستقلوا باحكامها وصاروا مثل ملوك الطوائف (féodalité) في ايام ضعف الخلفاء العباسيين ولم يبق للملوك الكابيسيين سوى سلطة اسمية وامور شرفية وبعض امتيازات لا فائدة في ذكرها . وقد تعاقب ملوك هذه السلسلة على عرش فرانسا الخيالي وكانوا على التمادي يزدادون ضعفاً ووهناً ومنهم الملك روتير التقى الذي كان ملكاً من سنة ٩٩٦ م ٣٨٦ ﻫ والملك هريكيس الاول الذي كان ملكاً من سنة ١٠٣١ م ٤٢٣ ﻫ الى سنة ١٠٦٠ م ٤٥٢ ﻫ وفيليوس الاول الذي ملك من سنة ١٠٦٠ م ٤٥٢ ﻫ الى سنة ١٠١٨ م ٥٠٢ ﻫ وكرلس البسيط الذي اعطى النورمنديين مقاطعة نوستريا مع مدينتي (روان وكان) فسميت هده المقاطعة باسمهم وقد استفحل امرهم حتى استولوا على بلاد انكلترا وتتوج قائدهم الدوك (عليوم) الغازي ملكاً في لوندره فاصبح اعظم قدرة وصولة من ملك فرانسا مع انه تحت حكم ملك فرانسا ثم لما ملك لويس السادس المسمى لويس الضخم او لويس النبيه بعد فيلبوس الاول باشر الحرب ضد ملوك الطوائف وقد امتد ملكه من سنة ١١٠٨ م ٥٠٢ ﻫ الى سنة ١١٣٧ م ٥٣٢ ﻫ وكانت حروب الصليبين قد بدأت منذ سنة ١٠٩٦ م ٤٩٠ ﻫ وامتدت حتى سنة ١٢٧٠ م ٦٦٩ ﻫ وعدد حملاتها ثمانية وقد استولى الصليبيون في هذه المدة على القدس ونواحيها ثم عادت الى حكم المسلمين بسبب ضعف الصليبيين وانقسامهم على بعضهم وقد نهض الصليبيون في تلك الايام نهضة عظيمة

في العلوم والفنون ولاسيما في فن الهندسة وسبب ذلك ان الاعتقاد كان سائداً بين الامم الغربية بان العالم سينتهي في حدود سنة ١٠٠٠ م ٣٩١ هـ فلما انقضت هذه السنة ولم يحدث شيء من ذلك ساء اعتقادهم في التكهنات والتفتوا الى الاهتمام بالعلوم والهندسة الكنائسية وتولى الملك لويس السادس سنة ١١٣٧ م ٥٣٢ هـ وخلفه ابنه البكر لويس السابع وبقي في الملك الى سنة ١١٨٠ م ٥٧٦ هـ وكان في اثناء تملكه مجداً في الحروب الصليبية بدلاً عن ان يستخلص بلاده من ملوك الطوائف ثم خلفه الملك (فيلبوس اغستوس) واستمر ملكه الى سنة ١٢٢٣ م ٦٢٠ هـ واشترك مع امبراطور المانيا (فريدريك باربروس) وملك الانكليز (ريشار قلب الاسد) في الحرب الصليبية في الحملة الثالثة وتحاربوا مع صلاح الدين الايوبي ثم رجع الملك فيلبوس الى فرنسا قبل ملك الانكليز واخذ مقاطعتي (البواتو) والنورمنديين الذين كان الانكليز قد طردهم من بلادهم واستولوا على اصل مقاطعتهم وكسر فيلبوس الانكليز المتحالفين مع المانيا وذلك سنة ١٢١٤ م ٦٢٥ هـ وهذه المعركة تعرف بمعركة (بووين) . ومن آثار الملك فيلبوس اغستوس قصر اللوفر الشهير في باريس فهو الذي بناه واسس فيها الكلية الشهيرة او مجتمع المعلمين والطلبة ثم مات الملك فيلبوس سنة ١٢٢٣ م ٦٢٥ هـ وخلفه الملك لويس الثامن فبقي ملكاً من هذه السنة الى سنة ١٢٢٦ م ٦٢٣ و ٦٢٤ هـ فلم يمكنه قصر مدته الا من محاربة هرطقة الالبيجيين الناكرين اهم العقائد المسيحية . ثم مات وخلفه الملك لويس التاسع الذي يسمونه القديس لويس ولما كان صغيراً تملكت عوضه امه الشهيرة باسم (بلانشة دي كستيل) فربته احسن تربية ولما بلغ رشده تسلم زمام الملك واقدم على الحملتين الاخيرتين من حملات الصليبيين فوصل الى مصر واستولى على دمياط وعجب الاتراك بشجاعته . ثم رجع الى بلاده وحارب الانكليز وانتصر عليهم في مدينتي (تيبرغ) و (سانت) ثم ارجع لهم مقاطعة البواتو على شرط ان لا يعودوا يتعدون على مقاطعة نورمنديا وامتاز الملك لويس بعدله وانعطافه على الشعب ثم باشر سنة ١٢٧٠ م ٦٦٩ هـ الحملة الثامنة الاخيرة من حملات الصليبيين فدخل جهات تونس وقد تفشى الطاعون في عسكره ثم اصيب به ومات في هذه السنة وخلفه ولده فيلبوس الثالث المسمى بالجسور وملك حتى سنة ١٢٧٥ م ٦٨٤ هـ فترك الحملة الصليبية وحمل جثة ابيه الى فرنسا ولم يمتز عن غيره بشيء من الاعمال . اما خلفه وهو ولده حفيد فيلبوس الجميل

الذي ملك من سنة ١٢٨٥ الى سنة ١٣١٤ م ٧٤٤ هـ فانه اظهر اقتداراً عظيماً في توطيد سطوة الملك وتوسيع نطاق المملكة وقاوم البابا (بونيفاس) الثامن فخرمه البابا فازداد مقاومة ثم مات وخلفه ابنه لويس العاشر ومات بعد سنتين ولم يخلف سوى بنت واحدة ولما كان القانون الفرنسي المسمى (السالك) يمنع تملك النساء خلفه اخوه فيلبوس الخامس وبعد ست سنوات مات عن غير ولد ذكر فخلفه اخوه كرلس الرابع الجميل بحكم القانون المذكور فمات بعد ست سنوات ايضاً وذلك في سنة ١٣٢٨ م ٧٢٩ هـ ولم يخلف ذكراً فخلفه ابن عمه فيلبوس السادس دي فالوا

— حرب فرنسا وانكلترا مائة سنة وسنة —

ولما كان صولجان الملك قد خرج من يد الاسرة الملوكية ترشح للملك ملك انكلترة (ادوار) الثالث الذي كان متوليا على اراضي واسعة في بلاد فرانسا وبث الدسائس وثارت الاحزاب فاعلن نفسه ملكاً على فرنسا وانكلترا وذلك في سنة ١٣٣٦ م ٧٣٧ هـ فنشأ عن هذا العمل تلك الحرب الشهيرة التي دامت مدتها اكثر من مائة سنة بين الانكليز والفرنسيس وهي تقسم الى اربعة اقسام :

(١) وهو على عهد الملك فيلبوس السادس والملك يوحنا الصالح فكان في مدة هذين الملكين الانتصار للانكليز

(٢) وهو على عهد الملك كرلس الحكيم وكان فيه الانتصار للفرنسيين بواسطة القائد الشهير (دوكيكلان)

(٣) كان بعد جنون الملك كرلس السادس وانحاز فيه النصر الى جانب الانكليز

(٤) على عهد الملك كراس السابع وتحتم فيه النصر للفرنسيين بواسطة الشجاعة الشهيرة (جاندارك) القروية الراعية . واشهر ما جرى في تلك الحرب الطويلة هو :

(١) معركة كريسى وفيها استعملت المدافع اول مرة في العالم استعملها الانكليز وكانت قنابلها من الحجارة ولها دوي وحفيف دون ان يحصل منها تأثير يذكر وذلك سنة ١٣٢٨ م ٧٢٩ ﻫ تقريباً

(٢) انتصارات دوكيكلان فانه لم يترك الانكليز سوى بعض المواني اي مدينة (كاله) و (ستربورغ) و (بوردو) و (بايون)

انتصار جاندارك

(٣) انتصارات القروية الراعية الطائرة السمعة (جاندارك) فقد حداها سائق الهي الى ان تقصد الملك الافرنسي كراس السابع وان تخرج الانكليز ففعلت ذلك وطردت الاعداء عن آخرهم من مدينة اورليان في ٨ ايار سنة ١٤٢٩ م ٨٢٣ ﻫ وقد اصبح هذا التاريخ عيداً رسمياً للحكومة الفرنسوية علاوة على عيد ١٤ تموز الآتي ذكره . وبعد هذه الانتصارات الباهرة حضر الملك كراس الى مدينة (رانس) حيث مسح رسمياً ملكاً على فرنسا في ١٧ تموز سنة ١٤٢٩ م ٨٣٣ ﻫ ولما قصدت ان ترجع الى قريتها وقطيع ماشيتها سمعت ان مدينة (كومبيانيا) في خطر عظيم فاسرعت الى انقاذها وتقدمت لقتال العدو فوقعت اسيرة بين يدي المحاصرين فباعوها الى الانكليز وبعد

محاكمتها حكم عليها بان تحرق حية زاعمين انها مهرطقة ساحرة فنفذ الحكم عليها في مدينة (روان) في ٣٠ ايار سنة ١٤٣١ م ٨٣٥ هـ وبعد وفاتها فسخ البابا ذلك الحكم واعلن برائتها رسمياً وجميع المسيحيين الكاثوليك حتى انكلاتره منهم يحترمونها كقديسة ويقيمون لها احتفالاً تكريمياً في اليوم الثامن من ايار كل سنة

— اسماء التواريخ العالمية العامة عند الاوروبيين —

انتهت تلك الحرب الطويله سنة ١٤٥٣ م ٨٥٧ هـ وهي السنة التي استولى فيها السلطان محمد الفاتح على مدينة قسطنطينية فجعل المؤرخون الاوروبيون هذه السنة نهاية تاريخ القسم الثاني من تاريخ العالم العام وهو القسم المعروف عندهم بتاريخ الاجيال المتوسطة . وبعد هذه السنة يفتتحون القسم الثالث من تاريخ العالم العام وهو المسمى تاريخ الازمنة الحالية وهو ينتهي سنة ١٧٨٩ م ١٢٠٤ هـ اي في ابتداء الثورة الفرنسية العظيمة الآتية الذكر وكان الفرنسيون قد تمكنوا بعد الحرب المذكورة من طرد الانكليز من فرنسا كلها بحيث لم يبق لهم فيها سوى مدينة كاله التي استمرت تحت سيطرتهم مدة مائة سنة بعد ذلك . ومات الملك كرلس السابع بعد ان جهز اول مرة في فرنسا جيشاً منظماً مرابطاً ووضع اول ضريبة ثابتة وكانت وفاته سنة ١٤٦١ م ٨٦٦ هـ فملك بعده الملك لويس الحادي عشر وكانت عناية هذا الملك واهتمامه منصرفين الى توحيد دوله فرنسا وتثبيت سلطة الملك وانتصاره على

ملوك الطوائف فتحالفت الطوائف عليه تحت رياسة كراس الجسور فانتصر عليهم وانضمت مقاطعات (بوركونيو) و (آنجـو) و (بروفانس) و (روسيون) الى مقاطعات الملك وانشط فن الطباعة في فرنسا وكان قد تم اختراعه عن يد (غوتنبرغ) الالزاسي في مدينة (ستراسبورغ) سنة ١٤٥٠ م ٨٥٤ هـ ومات الملك لويس الحادي عشر سنة ١٤٨٣ م ٨٨٨ هـ وساست المملكة بعد موته ابنته حنة دي بوجو لان ابنه كرلاس الثامن كان قاصراً . ثم لما كبر واستلم زمام الملك اضاع وقته وافقد فرنسا مواردها في حروبه التي اقامها في بلاد ايطاليا فقد غزا مملكة (نابلي) ثم خسرها ومات في سنة ١٤٩٨ م ٩٠٤ هـ وخلفه ابن عمه لواس الثاني عشر وكانوا يسمونه ابا الشعب او الملك لويس اللطيف افرط حلمه وعطفه على الجميع وحارب في ايطاليا كسابقه فلم يفلح ومات سنة ١٥١٢ م ٩١٩ هـ وخلفه ابن عمه فرنسيس الاول فحارب ايضا في ايطاليا وانتصر في (مارينيان) واستولى على (ميلانو) وتعاهد مع البابا (لاوون) العاشر فسمح له البابا ان يعين اساقفة فرنسا وفي ايامه اشتهر القائد العظيم (بايار) وحارب الملك فرنسيس الاول ايضاً الامبراطور كراس الخامس الذي كان مستولياً على بلاد اسبانيا وبلجيكا والمانيا والنمسا وعلى قسم عظيم من اراضي اميركا التي كان قد اكتشفها (خرستوف كولومبس) سنة ١٤٩٢ م ٨٩٨ هـ وقد اتسع ملك الملك كراس الخامس الى درجة يمكنه ان يقول مفتخراً ان الشمس لا تغرب

عن ممالكي . فقام الملك فرنسيس الاول يحارب ذلك الملك العظيم ودامت الحرب بينهما وبين حلفائهما ثلاثين سنة وانتهت في معاهدة (كاتوكامبريزيس) سنة ١٥٥٩ م ٩٦٧ هـ وقد استولت فرنسا على مدينة (متس) و (تول) و (فردون) واخذت مدينة كاله من الانكليز وكانوا تحالفوا مع فيلبوس الثاني خلف كرلس الخامس . ومات الملك فرنسيس الاول سنة ١٥٤٧ م ٩٥٤ هـ وخلفه الملك هنريكوس الثاني ومات سنة ١٥٥٩ م ٩٦٧ هـ اي في سنة المعاهدة المذكورة وفي هذا التاريخ نهضت فرنسا نهضتها العلمية الادبية العظيمة التي كان اسسها الملك فرنسيس الاول حتى استحق ان يلقب بأبي الادب . فكثر المؤلفون الفرنسيون والمتفننون والمهندسون في كل نوع من انواع العلوم والفنون . ومنهم (مارو) الشهير و (رونسار) و (ربله) و (مونتانيو) والاسقف (اميو) وغيرهم . وكان فرنسيس الاول على احسن العلاقات مع السلطان سليمان القانوني وقد منحه عدة امتيازات في بلاد الشرق ولاسيما في سوريا ولبنان وهنالك معاهدة طويلة ذات شأن بين الملكين في شأن مسيحيي هذه البلاد

ظهور المذهب البروتستاني —

وظهرت في تلك الايام ايضاً الهرطقة العظيمة المسماة بالهرطقة البروتستانية التي ابتدعها الراهب مرتان لوتير الالماني واعوانه يوحنا كلوين الفرنسي وزوينكل السويسري و (هنريكوس) الثامن ملك انكلترا فخرج عن طاعة البابا امم عظيمة ولم يزل هذا المذهب مستمراً حتى اليوم في بلاد المانيا وانكلترا

وبعض الاقطار الاميركية . وقد استبدت ملوك فرنسا في ذلك التاريخ وبغت وطأتهم على الشعب حتى سمي ذلك الدور دور السلطان المطلق . وملك بعد هنريكوس الثاني سنة ١٥٥٩ م ٩٦٧ ه فرنسيس الثاني وفي سنة ١٥٦٠ م ٩٦٨ ه توفي وخلفه كرلس التاسع واستمر في الملك الى سنة ١٥٧٤ م ٩٨٢ ه ثم مات وخلفه هنريكوس الثالث واستمر في الملك الى سنة ١٥٨٩ م ٩٩٨ ه ومات فانطفأت بعده اسرة (فالوا) المالكة لانهم لم يكن لهم خلف ذكر فقامت بدلاً منها اسرة (البوربون) المتسلسلة عن الولد الاصغر للملك لويس التاسع القديس والمالكة الى سنة ١٨٤٨ م ١٢٦٥ ه اما ملك فرنسا هنريكوس الثالث الذي اقترن بملكة (اسكتلانده) الكاثوليكية الشهيرة (ماري ستوار) فانه لم يذكر له التاريخ اثراً سوى تحكم الاحزاب في فرنسا بين البروتستانت والكاثوليك وكانت الملكة ستوار تساعد الكاثوليك وتقاوم البروتستان حتى انها احرقت اخيراً شهيدة الكثلكة . وقد طالت الحرب بين اهل المذهبين واريقت الدماء وقتل عدد من الوزراء ووجوه القوم من كلا الفريقين حتى تملك اخيراً على فرنسا هنريكوس الرابع سنة ١٥٨٩ م ٩٩٨ ه وكان بروتستانياً الا انه سنة ١٥٩٣ م ١٠٠٢ ه ترك مذهبه وصار كاثوليكياً ليرتضيه الفرنسيون ملكاً عليهم وفي ذلك التاريخ دخل باريس وقد تمهدت العقبات امامه بحسم النزاع بين الكاثوليك والبروتستان واصدر امراً يعرف بمنشور (نَنط) منح فيه حرية الدين للبروتستان وانهى الحرب مع اسبانيا بمعاهدة (ويروين) واجرى بواسطة وزيره (سولى) عدة اصلاحات تتعلق بالزراع والطبقة السفلى من الشعب . وفي ايامه بنيت في امريكا المدينة الافرنسية الاولى المعروفة باسم (كيبك) ثم قتل الملك احد المتحزبين المتطرفين واسم القاتل فرنسيس رارايك في ١٤ ايار سنة ١٦١٠ م ١٠١٩ ه وكانت حدود فرنسه في تلك السنة على هذه الصفة وهي ان هذه المملكة كانت تمتد من الجهة الشمالية الى نهر السوم عدا شاطيء البحر حيث كانت تصل الى مدينة كاله . اما المقاطعتان الحاليتان (فلاندره) و (ارتوا) فانهما كانتا ملحقتين باسبانيا . وكانت فرنسه تملك من الجهة الشمالية الشرقية مدينة (متس) و (تول) واما بلاد الالزاس واللورين و (الموچ) فكانت تخص مملكة المانيا وفي الشرق كان نهر السون يحد فرنسة ومقاطعة (البرسه ونيو) على يمينه ملحقة بفرنسه وعلى يساره مقاطعة (الفرانش كونتي) ملحقة باسپانيا . وكانت مقاطعة (الساوا) و

(كونتيته نيسى) في الجنوب الشرقي خاصة (دوك ساوا) . وكانت مملكة فرانسه في جهة الجنوب منفصلة عن جبال البيريين بمقاطعة (الروسيون) التي كانت بعد اسبانيولية . وكانت مقاطعتا (البارن) و (النافار) مستقلتين . وكانت المستعمرات الفرنسية محصورة في بلاد الكندا من امريكا لا غير .

ولما قتل الملك هنريكوس الرابع كان ابنه لويس الثالث عشر لا يتجاوز التاسعة من عمره فنابت عنه امه (ماري دي ميدي) من اسرة ايطاليه معروفة فالتف حولها حاشية ايطاليانية اضرت بمصالح فرنسه كبيراً وهذه الحاشية تعرف باسرة كونسيني فاضطربت المملكة واجتمع المجلس العمومي المؤلف من ممثلي (الاكليروس) والطبقة العالية من طبقات الشعب فلم يحصل من اجتماعه فائدة ولما بلغ لويس الثالث عشر رشده وتولى الاحكام بنفسه جعل وزيره الاول اسقفاً حازماً صاحب عزيمة يسمى (الكردينال دي راشليو) . اما كونسيني ابو الاسرة التي كانت ملتفة حول ام الملك فانه اغتيل ثم قتل سر قتله وكان اول عمل عمله (راشليو) انه اكره البروتستان على الخضوع الى الملك واخذ منهم مدينه (لا روشل) المحصنة وارغم الامراء ووجوه الامة على الخضوع الى القانون العام وقتل المتمردين والمخالفين احكام الاوامر التي اصدرها الملك في شأن المبارزه مثل الكونت (مونمورانس بوتويل) وبعد ان جعل السلام سائداً في فرنسه هجم على الاسبانيوليين وعلى حلفائهم واخذ منهم ثلاث ممالك عظيمة اي (الالزاس) و (الروسيون) و (الارتوا) واجرى اصلاحات عظيمة في داخلية البلاد ولاسيما في دائرة الشرطة ودائرة الضرائب وانهض بحرية فرنسه وبنى الموانى والمراكب والسفن الحربية واشترى عدة جزائر في الانتيل الاميركية وتوصل الى [مدغسكار] الافريقية فبنى فيها مراكز مهمة ونشط العلوم والاداب فأسس [الاكاديمه] القانونية ومات سنه ١٦٤٢ م ١٠٥٢ ه ومات بعده الملك سنة ١٦٤٣ م ١٠٥٣ ه فنابت عن الملك لويس الرابع عشر امه [حنه] النمساوية الاسبانيولية الاصل لان الملك الصغير لم يكن قد تجاوز الخامسة من عمره فاختارت لنفسها وزيراً الكردينال [مازارين] صديق ريشليو وتلميذه ومازارين هذا من مدينة رومية وكان لا يحسن التكلم بالفرنسيه . وفي مدة نيابة حنه عن ابنها انتصر الفرنسيون على الاسبان وغيرهم لحسن تدبير القائدين الشهيرين كونده وطورين وفي سنة ١٦٤٨ تعاهد ملك اسپانيا مع فرنسه وتنازل لها عن بلاد الالزاس وهذه المعاهدة تعرف بمعاهدة

نسيتغالى ثم في سنة ١٦٥٩ عقدت معاهدة اخرى تعرف بمعاهدة بيرين ربحت بها فرنسا مقاطعتي الارتوا والروسيون . ومع هذا كله فان مازارين كان منفوراً من الشعب لطمعه ولانه اثقل كاهله بالضرائب ولذا قامت الثورة في المملكة المعروفة بثورة الضرائب وتفاقم الشر بين الملك ووزيره وبين وجوه اهل المملكة ومجلس البرلمان الذي تحزب الى القائد ثم اختلف الثوار مع بعضهم واغتنم مازارين فرصة اختلافهم ورجع الى باريس بعد ان اعتزل الاعمال مدة سنتين وكان عوده الى باريس سنة ١٦٥٣ فازدادت هيبته وعظمت صولته وانحطت المملكة انحطاطاً زائداً الى ان انهضها من عثرتها القديس منصور دي پول المعروف بمحبة الفقراء . وفي سنة ١٦٦١ مات مازارين وكانت فرنسا حينئذ اعظم دولة في اوربا وقام الملك لويس الرابع عشر بتدبير الملك بنفسه ولم يعين وزيراً وكان جباراً عنيداً حريصاً على كرسي الملك فكثر العصاة والمتمردون وقد عجز عن اخضاعهم واضطر الى ان يعين يوحنا كولبير وزيراً للبحرية والمالية فاحسن القيام بهما واعتنى بشأن الزراع وامد التجار وخفض الضرائب واسس المعامل وقوى البحرية التجارية واجتهد بتحصين البحرية الملوكية وعين الملك ايضاً لوغوا وزيراً للجهادية فنظم الجندية . ثم ان الملك بعد موت وزيره كولبير اضطهد البروتستان وسلبهم الحرية الدينية التي كانوا منحوها من قبل هنريكوس الرابع وريشليو ونادى الملك ايضاً بالغاء منشور نَنط الشهير . وكان ذا عظمة في قصره قد حف به طائفة من الادباء والخطباء والفلاسفة والقواد والوزراء حتى انه كان يسمى الملك العظيم او الملك الشمس وسميت ايامه ايام لويس الرابع عشر . وفي سنه ١٧١١ مات ابنه ولى العهد ثم ماتت حفدته ولم يبق له وارث سوى ابن حفيده الدوك نورمنديا وقد استغرق في محاربة دول اوربا مدة ثلاث وثلاثين سنة وحاز انتصارات باهرة افزعت اوربا وقامت فرنسا في وجهها كلها حتى سنة ١٦٦٨ الا ان فرنسا بعد ذلك انهكتها الحروب واخذت ترجع الى الوراء لاسيما لما تملك على انكلتره غليوم دورانج عدو فرنسا العظيم فان فرنسا قد تمكن منها الضعف وخسرت كثيراً من بلادها وفي سنة ١٧١٥ م ١١٢٧ و ١١٢٨ هـ توفي الملك لويس الرابع عشر وخلفه لويس الخامس عشر وهو ابن حفيده وكان لويس الخامس عشر صغيراً فقام بادارة الملك بالنيابة عنه جماعة من عظماء المملكة خدموا منافعهم الذاتية فعزلوا سنة ١٧٢٦ م ١١٣٩ هـ وتعين بدلهم الكردينال فلوري فتوصل بدهائه

الى ان جعل فرنسا تربح مقاطعة اللورين ثم مات الكردينال فلوري واستقل لويس الخامس عشر بادارة الملك وكان منهمكاً بالملذات غير ملتفت الى الملك فانحطت المملكة في زمانه ونشبت الحرب بين فرنسا وبروسيا مدة سبع سنوات اي من سنة ١٧٥٦ م ١١٧٠ ﻫ الى سنة ١٧٦٣ وكانت النتيجة انكسار فرنسا براً من قبل بروسيا وبحراً من قبل انكلترا وخسرت فرنسا ايضاً بلادها في الهند التي كان استولى عليها دوبلكس وبلادها في كناده ولم يبق لها في الهند سوى خمسة بلدان وانتهت هذه الحرب في معاهدة باريس سنة ١٧٦٣ م ١١٧٧ ﻫ وفي سنة ١٧٦٨ اشترت فرنسا جزيرة كورس من جمهورية جينوا التي ولد فيها نابليون بانابرت سنة ١٧٦٩ م ١١٨٣ ﻫ وفي ايام هذا الملك قام البرلمان الفرنسي يعارض بابا رومية والرهبانية ويحمل عليها حملة شعواء حتى انه حصل على امر بالغائها فاغلقت مدارسها وكان ولتير وروسو وغيرهما من الفلاسفة يعضدون البرلمان بخطبهم ومؤلفاتهم ومات الملك لويس الخامس عشر وخلفه حفيده لويس السادس عشر وكان محباً للخير لكنه كان ضعيفاً وفي سنة ١٧٨١ م ١١٩٦ ﻫ اتحدت فرنسا مع اميركا بغضاً في انكلترا التي تمردت عليها مستعمراتها في اميركا فانتصرت المستعمرات على انكلترا واستقلت واعادت انكلتره الى فرنسا عدة مستعمرات كانت سلبتها منها سنة ١٧٦٣ م ١١٧٧ ﻫ وختمت هذه الحرب بمعاهدة فرسايل سنة ١٧٨٣ م ١١٩٨ ﻫ وقد كلفت هذه الحرب فرنسا نفقات عظيمة بحيث كان عجز موازنتها كل سنة ستة وخمسين مليوناً وتعذر على الدولة جباية الضرائب وفي سنة ١٧٨٩ م ١٢٠٤ ﻫ اجتمع المجلس العمومي الذي لم يجتمع منذ سنة ١٦١٤ م ١٠١٣ ﻫ فلم يحصل من اجتماعه فائدة وفي خامس ايار من هذه السنة ابتدأت الثورة الفرنسية وفي هذه السنة ينتهي تاريخ الازمنة الحالية ويبتدئ الجزء الرابع من التاريخ العالمي العام

— الثورة الفرنسية الشهيرة —

اسباب هذه الثورة سوء ادارة الملك وقلة اكتراثه بالرأي العام وعدم المساواة بين طبقات الشعب فان جميع الامتيازات كانت محصورة بطبقة الاشراف والاكليروس والطبقة الثالثة من الشعب وكل الاثقال كانت مطروحة على عاتق الفلاحين

— مبدأ الثورة وتاريخها —

اجتمع في فرسايل مندوبو الفرق المتنوعة من اهل البلاد وقرروا ان يؤلفوا مجلساً ملياً تسير فرنسا على ما يراه . وقد تحالفوا على انهم لا ينفكون عن بعضهم الا بعد تنفيذ ما عولوا عليه وسمي هذا الحلف حلف ملعب البوم فلم يرض الشعب بذلك وفي ١٤ تموز سنة ١٧٨٩ م ١٢٠٤ هـ اعلن الشعب تمرده على الحكومة وهجم على سجن الباستيل واطلق السجناء وعين عريفاً لنفسه واقام حرساً وطنياً وارغم الحكومة على الاعتراف باوامره وبقي هذا التاريخ يتخذ عيداً للجمهورية الى اليوم ثم حدث شقاق ديني اضطرب له الملك والمجلس الملي واصبح الملك لويس السادس عشر في خطر غير ان المجلس تعهد بحمايته على شرط ان يكون حكمه بعد الان مبنياً على ما يراه المجلس التشريعي

وفي تلك الايام اشتهر الخطيب ميرابو وظهر العلم الفرنسي الذي اضيف اليه اللون الابيض رمزاً لوقوع التراضي بين الملك والامة واللون الازرق شعار الملك والاحمر شعار باريس . وقد قسمت فرنسا في تلك الايام الى ٨٣ مقاطعة وبقيت هذه القسمة الى اليوم وفيها قرر المجلس التشريعي ضبط اوقاف الكنائس وامو الها على ان تقوم الدولة باحتياج الكهنة وان تعم المساواة بين سائر الطبقات وتلغي الامتيازات القديمة وذلك كله في سنة ١٧٩١ م ١٢٠٦ هـ فشقت قضية ضبط الاوقاف على البابا وعارض بها فقام الاضطهاد على قدم ضد الكهنة فهاجر بعضهم وتبعهم عدد كبير من الاشراف وكثر الهرج والمرج وكانت النمسا تساعد المهاجرين فاعلنت فرنسا عليها الحرب وقد تطوع فيها مائة الف فلم يظفروا من النمسا بطائل واصبح الوطن في خطر وفي اواخر تموز سنة ١٧٩١ دخل البروسيون فرنسا وقامت الحرب بين حرس الملك السويسريين وبين الثوار وانجلت عن قتل الكثيرين من السويسريين وسجن منهم عدد عظيم وحكم المجلس التشريعي على الملك بالحبس وقرر ان يعقد اجتماع لتأليف حكومة فرنسية جديدة وان يفرج عن الملك فرفض الثوار هذه المقررات وزجوا العائلة الملوكية في سجن الهيكل وكان البروسيون في ذلك الاثناء يتقدمون في فرنسا فما كان من الثوار سوى ان هجموا على الكهنة والحرس الملوكي واحزاب الملك واعملوا فيهم السيف مدة ثلاثة ايام وكان ذلك في ايلول ١٧٩٢ وفي ٢٠ من هذا الشهر انتصر القائد الفرنسي

دوموريز على البروسيين في فلمي فهدأت الافكار قليلاً وانعقد مجلس جديد سمي مجلس الاتفاق فقرر الغاء الحكم الملكي في فرنسا وبدأ حكم الجمهورية في ٢٢ ايلول المذكور وهي الجمهورية الاولى وقام الجميع على الملك لويس السادس عشر اتهموه بالمواطأة مع المهاجرين والنمسويين وانه هو الذي كان سبباً في اراقة الدماء وحكموا عليه بالقتل وكان ذلك في ٢١ كانون الثاني سنة ١٧٩٣ ثم اشتد الخلاف بين الجيروندنيين والجبليين وقتل عدد كبير من الجيروندنيين واضطربت العاصمة وقامت المدن على بعضها وسلمت مدينة طولون الى الانكليز وزحفت جيوش النمسا على الحدود واريق في المملكة الفرنسية دماء غزيرة . وفي تلك الاثناء قام احد الاحزاب واجرى في كنيسة السيدة في باريس احتفالاً سماه عيد العقل البشري وذلك بغضاً بالديانة المسيحية وقد جعل تمثال العقل امرأة راقصة وجرى غير ذلك من الشؤن التي يطول الكلام عليها

ثم ان المجلس الاتفاقي عقد مع بروسيا واسبانيا صلحاً شريفاً في مدينة بال وفتحت الكنائس واعلنت حرية الاديان وبدأت النهضة العامية وحررت الاوزان والمقاييس والنقود على نسق جديد واعلن القانون الجمهوري ثم انحل المجلس في ٢٦ تشرين الثاني سنة ١٧٩٥ وقد جعلوا مبدأ تاريخهم حادثة الثورة الكبرى التي كانت سنة ١٧٩٣ وذلك الغاء لذكر المسيح حتى انهم غيروا اسماء الاشهر وفي سنة ١٧٩٥ المتقدم ذكرها كان الجيش الفرنسي يحارب جيوش النمسا فحطمها ذلك البطل الشهير نابليون بنابرت وشتت شملها ودوخ بلادها حتى بقي بينه وبين عاصمتها مسير ثلاثة ايام وذلك في سنة ١٧٩٦

— اخبار نابليون بنابرت —

ولد نابليون في مدينة برينا من جزيرة كورس سنة ١٧٦٩ وكان ضعيف البنية خفيف العارضين تلقى دروسه في مدينة برينا . ولما كسر النمسا تلك الكسرة العظيمة طلب ملك النمسا الصلح واعترف بان الضفة الشمالية من نهر الرين حق فرنسا . ثم ان نابليون طلب ان يؤذن له بالسير الى مصر للاستيلاء عليها والسير بعدها الى الهند ليقاتل

انكلترا في مستعمراتها فاذن له بذلك وسار الى مصر واستولى في طريقه على جزيرة مالطة ثم استردها منه الانكليز بعد سنة ونزلت عساكر نابليون في ميناء ابي قير وانتصر على فرسان المماليك الاتراك في سهل الاهرام ودخل القاهرة وكان الاسطول الفرنسي مرابطاً في ميناء ابي قير فقصده الاسطول الانكليزي وكسره كسرة شنيعة وحاصرت جيوش نابليون عكا ففشلت وعاد نابليون الى فرنسا خفية وابقى القائد كليبر يدافع عن مصر فاغتيل في سنة ١٨٠٠ م ١٢١٥ هـ وعادت مصر الى تركيا بعد ان حاربت جيوشها الفرنسيين بمساعدة الانكليز وقد استفاد العالم الافرنسي شامبوليون من دخوله الى مصر اكتشاف الخط الهيركليفي

هذا وان المجلس الاداري في فرنسا كان في تلك الاثناء يسيء الادارة فلما رجع نابليون انحاز اليه مجلس الخمسمائة بمساعدة اخيه لوسيان رئيس هذا المجلس فالغى المجلس الاداري والقانون الذي كان يتبعه وذلك سنة ١٧٩٩ م ١٢١٤ هـ وحصر ادارة الاحكام في ثلاثة قناصل هو اولهم فكانت الادارة جمهورية اسماً بونابرتية عسكرية فعلاً . وفي سنة ١٨٠١ م ١٢١٦ هـ انتصرت جيوش فرنسا في (هوهن لن دن) واسترجعت فرنسا من انكلترا جميع مستعمراتها وامضى نابليون مع البابا بيوس السابع الاتفاق المعروف بالكونكرودا واهتم بتحسين احوال الحكومة فاحبه الشعب وفي سنة ١٨٠٤ م ١٢١٩ هـ

سموه امبراطور فرنسا ومسحه البابا ولكنه هو الذي وضع التاج على رأسه بيده وفي سنة ١٨٠٥ م ١٢٢٠ هـ حارب النمسا وروسيا فكسرهما وفي سنة ١٨٠٦ م ١٢٢١ هـ حارب بروسيا واحتل جيشه مدينة برلين ثم في سنة ١٨٠٧ م ١٢٢١ هـ اعاد الكرة على روسيا فكسرها ثم تصالح معها . واعتدى نابليون على البابا واخذ منه رومية واعتقله في سابونه ثم في بلاط فوتنبلو فانحرفت عنه طوائف الكاثوليك وطرد ملك البرتقال من ليسبونه وضبط املاكه واكره ملك اسبانيا على الاستقالة وملك بدله اخاه يوسف بنابرت ملك نابولي فقام عليه الاسبان فحاربهم وقهرهم ثم اسرع الى نهر الدانوب وحارب النمسا وقهرها وفي سنة ١١٨١ م ١٢٢٦ هـ بلغ سلطانه الغاية القصوى واصبحت فرنسا تعد ١٣٣ مقاطعة بدل ٨٤ وفي سنة ١٨١٢ م ١٢٢٧ هـ مشي على روسيا بجيش لا يقل عن اربعمائة الف مقاتل فانسحب الروس من امامه وجروه الى مدينة موسكو وكانوا احرقوا جميع البلاد التي تركوها وراءهم ومع هذا فقد كسرهم كسرة شنيعة غير ان البرد والجوع لم يبقيا من جيشه سوى ١٥٠ الفاً فرجع الى بلاده وفي اثناء رجوعه عارضته معركة امام نهر البيريزنا فهلك جيشه ولم يبق منه سوى الف وخمسماية جندي فلما سمعت اوربا بانكساره تألبت ملوكها عليه وحاربوه في ليبزيك فكسروه واحتلوا باريس فهرب الى فوتنبلو وتمكن حزب الملكية من اجلاس لويس الثامن عشر على كرسي الملك وذلك في سنة ١٧١٤ م

١٢٣٠ هـ وفي ٢٠ آذار هذه السنة رجع نابليون الى باريس فانسحب لويس الثامن الى (كان) وبعد مائة يوم من رجوعه مشت عليه جيوش انكلتره وروسيا فكسروا جيوشه وعاد الى باريس وقدم استقالته فرجع الملك لويس الى عرشه واما نابليون الاول فانه سلم نفسه الى انكلترا تخوفاً من الشعب فنفته انكلترا الى جزيرة القديسة هيلانة فبقي فيها نحو خمس سنوات في ضنك شديد وفي ٥ ايار سنة ١٨٢١ م ١٢٣٧ هـ قضى نحبه واوصى ان يكون قبره على ضفة السين وهو معدود بين اشهر مشاهير ابطال المسكونة وكان عدوا للحرية مضطهداً للدين ضر فرنسا اكثر مما نفعها

ثم ان وزراء الملك لويس الثامن عشر عملوا على الانتقام من احزاب الجمهورية واحزاب نابليون بنابرت وفتكوا بهم وقتلوا في مرسيليا عدداً كبيراً من المماليك الذين كان نابليون احضرهم معه من مصر وسمى عمل اولئك الوزراء طور الهول الابيض

وفي سنة ١٨٢٤ م ١٢٤٠ هـ مات الملك لويس الثامن عشر وخلفه اخوه كرلس العاشر . وفي ايامه في سنة ١٨٢٧ م ١٢٤٣ هـ انتصر اليونانيون على العثمانيين بمساعدة فرنسا فنالوا استقلالهم وفي سنة ١٨٣٠ م ١٢٤٦ هـ ثار حزب الجمهورية فاستقال الملك وخلفه لويس فيلبوس الاول وفي ايامه استولت فرنسا على بلاد الجزائر بعد حرب طويلة انتهت بخضوع الامير عبد القادر وكان هذا الملك محباً للعدل

والعلم وفي سنة ١٢٦٥هـ١٨٤٨م ثار حزب الجمهورية وخلع الملك واعلنت الجمهورية التي تدعى الجمهورية الثانية وانتخب الاميرلويس نابليون ابن اخي الامبراطور رئيساً للجمهورية بتصويت خمسة ملايين و ٤٠٠ الف ضد مليون و ٤٠٠ الف وفي سنة ١٨٥٢ م ١٢٦٩ هـ اعلن الرئيس امبراطوريته على فرنسا وملك ١٨ سنة وكان عالي الهمة واستفادت فرنسا من وجوده وفي ايامه اتحدت فرنسا وانكلترا وساعدتا تركيا في اخراج روسيا من مدينة سباستبول وذلك في ٨ ايلول سنة ١٨٥٦ م ١٢٧٣ هـ وفيها تقررت حماية مسيحي تركيا على فرنسه ومنعت روسيا من ان يكون لها اسطول في البحر الاسود وفي سنة ١٨٥٩ م ١٢٧٦ هـ استولت فرنسه على مدينة نيس ومقاطعة البابوا من النمسا بعد حرب طاحنة وربحت ايضاً من امبراطورية انان في الصين مقاطعه كوشاشين الست التي صارت بعد مستعمرة لها وبسطت حمايتها على بلاد كامبورج في جهات الصين وفي سنة ١٨٦٠م١٢٧٧هـ استعمرت فرانسه كاليدونيا الجديدة في بلاد اوقيانيا . وفيها وصلت جيوشها الى سوريا على اثر اضطرابات حدثت فيها فوسعت نفوذها الافرنسي . وفيها اقامت فرنسه الحرب في بلاد المكسيك من امريكا متفقة مع اسبانيا وانكلتره فلم تجدهم هذه الحرب نفعاً . وفيها قاومت فرنسه روسيا التي ارادت ان تملك ابن عم ملكها على بلاد اسبانيا . وفيها كان الوزير الالماني بسمارك يرمي الى توحيد الممالك الالمانية تحت سيطرة بروسيا والى نزع

بلادالالزاس واللورين من يد فرنسا وحينئذٍ اشتد النزاع بين الدولتين وكانت النتيجة اعلان الحرب المعروفة بحرب السبعين

— اسباب هذه الحرب —

اعظم اسباب هذه الحرب اتساع مملكة بروسيا وعزمها على اخذ بلاد الالزاس واللورين وقوة نفوذها في اوروبا واصرار الامبراطور غليوم الاول على ترشيح ابن عمه الامير (ليوبلدي هوهنزلرن) الى عرش اسبانيا واصرار وزير المانيا الامير بسماوك على محاربة فرنسا ولما بدأت المفاوضة بين فرنسا والمانيا بقضية ترشيح الامير المذكور الى عرش اسبانيا منع بسماوك سفير فرنسا عن مواجهة الامبراطور غليوم فعظم هذا الامر على الفرنسيين وقاموا وقعدوا من اجله ثم اعلنوا الحرب على المانيا وكان الفشل حليف الجيوش الفرنسية في بلاد الالزاس واللورين وزحف الالمان على مدينة سوسدان وحصروها وكان الامبراطور نابليون فيها فوقع هو وجيشه اسراء في قبضة الالمان وقامت الثورة في باريس وفي ٤ ايلول سنة ١٨٧٠ م ١٢٨٧ ﻫ خلع الامبراطور واعلنت هيئة حكومة وقتية سميت حكومة الدفاع الوطني فجهزت الجيوش الى جميع الجهات فكسرتها الجيوش البروسية لانها كانت احسن انتظاماً ثم اتحد البروسيون مع باقي البلاد الالمانية وزحفت جيوشهم على باريس ودخلوا اليها بعد حصار اربعة اشهر ونصف . وفي باريس اعلن غليوم الاول نفسه امبراطوراً على سائر البلاد الالمانية المتحدة وكان ذلك في ٢٨ كانون الثاني سنة ١٨٧١ م ١٢٨٨ ﻫ وابرمت معاهدة الصلح في مدينة فرانكفور في شهر ايار من هذه السنة وغرمت فرنسه خمسة مليارات على ان تسلم مقاطعة الالزاس سوى مدينة بلفور وما جاورها وسوى ثلث مقاطعة اللورين التي تضم من السكان مليوناً ونصفاً . وفي سنة ١٨٧٥ م ١٢٩٢ ﻫ اجتمع المجلس الفرنسي الدولي في مدينة بوردو ثم في فرسايل وسن قانون الجمهورية الحالي فثار الحزب الاشتراكي في باريس فنكلت به الحكومة

— اسماء رؤساء الجمهورية مرتبة على السنين —

السنة	
١٧٧١	المسيو تيرس
١٨٧٣	المارشال ماكماهون
١٨٧٩	الموسيو چول كيريني
١٨٨٧	الموسيو سادي كرنو
١٨٩٤	كازيمير بيري
١٨٩٥	فيلكس فور
١٨٩٩	اميل لوبه
١٩٠٦	ارمان فالير
١٩١٣	ريمون بونكاري
١٩٢٠	پول دي شانيل
١٩٢٠	الكساندر ميلران

— اهم ما كان من الشؤن في مدة هؤلاء الرؤساء —

اهم الشؤن التي كانت في مدة هؤلاء الرؤساء هي : الاتحاد الفرنسي الروسي وسن قانون التعليم الابتدائي المجاني الاجباري ونقض معاهدة الكونكرده التي كان عقدها ناپليون الاول بين فرنسا والبابا واستيلاء فرنسا على مستعمرات في افريقيا واسيا فاستولت على تونس سنة ١٨٨٠ م ١٢٩٨ ه وعلى مراكش سنة ١٩٠٧ م ١٣١٥ ه وعلى بلادسنيكاك والكونغو ومدغسكر في افريقيا والهندوشين الفرنسية وطوكين وانام في اسيا سنة ١٩١٠ م ١٣٢٨ ه وتحسنت العلاقات بين فرنسا وانكلتره سنة ١٨٩٨ وفي سنة ١٩٠٤ م ١٣٢٢ ه قصدت التقوي على المانيا المنتصرة في حرب السبعين

— نوابغ الرجال في مدة هؤلاء الرؤساء —

نوابغ الفرنسيين الذين اشتهروا في مدة هؤلاء الرؤساء من الشعراء ويكتور هوغو ومن المؤلفين والممثلين الكسندر دوماس واميل اوجية ومن الروائيين كوستاف

فلوبر والفونس دودي ومن المصورين كوربه وكوره وهيبرو وميه وشافان ومن النقاشين كربو وفالكير ومن المهندسين كارنيه ومن الموسيقيين كونو والكيماويين والاطباء كاود برنار ودي شوفرل وبستور وبرتلو

— حالة فرنسا قبل الحرب العالمية —

كانت فرنسا قبل هذه الحرب اغنى جميع الدول بما كان عندها من الذهب وكانت على غاية النجاح في صناعتها وتجارتها الخارجية بحيث زادت مداخيلها على عشرة مليارات الا انهــا مع ذلك كله كانت قليلة المواليد اذ لم تزد مواليدهــا منذ سنة ١٨٧١ م ١٢٨٨ هـ حتى اول الحرب على ثلاثة ملايين بينما زادت مواليد المانيا في هذه المدة على خمسة وعشرين مليوناً

— الحرب العالمية العامة واسبابها —

لهذه الحرب اسباب اهمها تضخم مملكة المانيا وطمعها بالاستيلاء على العــالم ووعدها في سنة ١٩٠٥ م ١٣٢٣ هـ حكومة مراكش بالمساعدة على فرنسا وطلبها سنة ١٩٠٦ من فرنسا ان تتخلى عن حقوقهــا في تلك البلاد ومحاولتها في مؤتمر الجزيرة المنعقد سنة ١٩٠٧ بان تخرج فرنسا من مراكس ومساعدتها سنة ١٩٠٨ النمسا على اغتصاب البوسنة وهرسك ونقضها معاهدة برلين وتحرشها سنة ١٩١٠م ١٣٢٨ هـ بالفرقة التونسية وتعديها عليها وارسالها سنــة ١٩١١ الى فرنسا انذاراً ثانياً واسطولاً الى اغادير محتجة عليها بهجوم جيشها على مدينة فاس ومن تلك الاسباب ايضاً ان المانيــا اتفقت سنة ١٩١٢ م ١٣٣١ هـ مع بعض الوزراء الخونة في فرنسا على ان تأخذ المانيا مائتي الف كيلومتر من الاراضي الفرنسية في الكونغو ثم في سنة ١٩١٣ قصدت المانيا تقسيم المستعمرات البريطانية وزادت عدد عساكرها الى ٩٠٠ الف في وقت السلم وحينئذٍ اضطر باقي الدول الى ان يكونوا على اهبة الاستعداد وان تحذو حذوها وكانت دولة النمسا في سنة ١٩٠٨ قد طمعت بان تستولي على ممالك البلقان واغتصاب بلاد بوسنه وهرسك وفي سنة ١٩١٢ احتجت النمسا على زحف جيوش سربيا المتحدة مع اليونان والبلغار على بلاد تركيا وفي سنة ١٩١٣ م ١٣٣٢ هـ بينما كان ولي العهد الارشيدوق فرنسيس فردينان يزور ممالك السلاف التي كان اغتصبها والحقها بدولته اذ فاجأه الاغتيال فقتل وكانت هذه

الحادثة سبباً ظاهرياً للحرب العالمية الساحقة

— رجال العلم في فرنسا

من رجال القرن السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر كرتيزيوس وولتير الشهير في الفلسفة العصرية ولابروويير المعروف بالفلسفة الادبية ودي مولان ودي لابيتال في علم الحقوق ومابيون الراهب البندكتيان وافلوري وبرجيه وكينه وغيرهم في التاريخ وبسويت المنفرد في الخطابة وماليرب وكونيل وراسين في الشعر ولابواري الكيماوي الشهير وبوفون في علم النبات والحيوان : ومن رجال القرن التاسع عشر توبريان في التاريخ ودي ميستر في الفلسفة وكوفيه بعن الجيولوجيا (فن طبقات الارض) وامبير في العلوم الرياضية وكوشي في الهندسة ودوما وباستور الشهير مكتشف الميكروب وداء الجرب وترديلون المتشرع وغيرهم من الخطباء والشعراء والفلاسفة والصحافيين الذين يضيق المقام بعدهم : انتهى الكلام على التاريخ الفرنسي

وهذا جدول في بيان الاعمال العمرانية التي تجددت في حلب واعمالها بعد ان دخلت اليها الحكومة الفرنسية المنتدبة على سوريا اخذنا هذا الجدول من دائرة مصلحة النافعة بواسطة وجيه بك الجابري رئيس مهندسي النافعة

(١) طريق معبدة مفروشة بالرصاص مدحرجة بالدحروجة اولها من محلة السليمانية بحلب وآخرها مقبرة المسيحين والفرنسيين الحديثة طولها نحو ١٥٠٠ متر وعرضها عشرون متراً

(٢) جسر على هذا الطريق مرفوع على نهر قويق عرضه عشرة امتار قواعده بناء بالحجارة وظهره من الحديد والخشب

(٣) طريق محطة قرية المسلمية طوله خمسة الاف متر اوله في شمالي قرية حيلان من طريق البيره (بيره‌جك) الاصلي ثم يأخذ غرباً الى المحطة المذكورة

(٤) طريق معبدة اولها قرب نهر الفيض في محلة الجميلية بحلب آخذاً الى حارم وانطاكية ماراً على قرية منيان وخان العسل واورم الكبرى واورم الصغرى والاثارب وعين دلفي والبركة ودير الرهبان وهناك يخرج منه فرع يمتد الى مدينة حارم ثم يأخذ الطريق الاصلي الى جسر الحديد ثم الى انطاكية : وقد تم

انتظام هذا الطريق الى حارم والهمة مبذولة باتمامه الى انطاكية

(٥) طريق معبدة من محلة الجميلية بحلب الى قرية الانصاري طولها ثلاثة آلاف متر وعرضها ثمانية امتار

(٦) فرع يخرج من الطريق عدد (٤) من قرية اورم الصغرى فيمر على كفر حلب والمعارة وتفتناز ونبش وادلب وريحا والروج وفريكه وجسر الشغر متجهاً منها على الاستقامة الى اللاذقية . وقد تم تعبيد هذا الفرع الى قرب ادلب والهمة مبذوله باتمامه الى جسر الشغر : طوله مئة وعشرة كيلومتر

(٧) العناية مصروفة الآن الى اخراج فرع صغير من قرية تفتناز الى سراقب وخان السبل ومعرة النعمان وخان شيخون وحماه

(٨) جسر على نهر قويق في كل من قريـة فافين وحاسين ودابق ويحورته مع ترميم جسر السموقة وتجديد جسر دويبق

(٩) جسر الناعورة في حلب ظاهر باب الفرج عرضه ثمانية عشر متراً بني بالحمنتو المسلح وهو بدل الجسر القـديم الذي كان لضيقه يطغى نهـر قويق في بعض السنين فيغرق ما حاوره من البساتين والمنازل

(١٠) العناية مصروفـة الآن الى اكمال جسر على نهر الساجور ذي ثلاث قناطر سعة كل قنطرة عشرة امتار يبنى بالبرتون المسلح

(١١) العناية مصروفة الآن الى اكمال جسر على النهر الابيض شمالي مدينـة جسر الشغر على بعد خمسة اميال منها وهو يشتمل على ١٢ قنطرة ويبنى بالبرتون المسلح

(١٢) حديقة عمومية تبلغ مساحتها نحواً من خمسة عشر الف ذراع في ساحة برية المسلخ في حلب وهي فسيحـة محاطـة بدربزون من الحديد النشئ في غربيها مستوصف حافل مشتمل على تسع عرف ومدرسة جميلة تشتمل على اربع عشرة عرفة ولها فناء واسع معد للالعاب التريضية

(١٣) بناية في فسحة الناعورة خارج باب الفرج فخمة ضخمة معدة لاجتماع المجلس النيابي تشتمل على اثنتي عشرة غرفة عليا وسفلى وعلى بهو طوله عشرون متراً وعرضه اثنا عشر متراً مفروشة ارضه بالرخام الايطالي ، قد رفع تجـاه هذه البناية من غربيهـا نصب تذكاري على نسق المسلات الحجرية ذكرى للجنرال بيوت

(١٤) بناية للدرك والشرطة تجاه مخفر الكتاب يشتمل على اثنين وعشرين غرفة وبهو عظيم وذلك في ارض مقـبرة كان جمال باشا درس ما فيهـا من القبور

وجعلها قاعاً صفصفاً وسمح بها للبلدية تعويضاً لها عما ينقصها من قيمة الدار التي ابتاعها منها وسماها باسم سليمان الحلبي وجعلها داراً للمعلمات

(١٥) حديقة بديعة واسعة تربو مساحتها على عشرة آلاف ذراع انشئت في ارض مقبرة العبارة الصغيرة بعد ان جردت من القبور وجعلت قاعاً صفصفاً وقد ابتاعتها البلدية من دائرة الاوقاف كل ذراع مربع منها بذهب عثماني على ان هذه الحديقة وان تكن مساحتها دون مساحة حديقة برية المسلخ الا ان البلدية اعتنت بشأنها اكثر مما اعتنت بشأن حديقة برية المسلخ حتى صارت تعد من اعظم حدائق سورية بحسن مناظرها وبدائع تقاسيمها الهندسية وانواع زهورها واشجارها

(١٦) دار حكومة تشتمل على بهو و ٢٤ غرفة عليا وسفلى في كل من مدينة عزاز وجرابلس وقرية الزيادية قرب نهر عفرين ومعرة النعمان وجسر الشغر وحارم

(١٧) مدرستان احداهما في مدينة ادلب والاخرى في مدينة حارم

(١٨) طريق بين قاطمه وبين ميدانكي طوله ١٢ كيلومتر

(١٩) جسر جديد على نهر عفرين في الطريق الممتد بين حلب واسكندرونه

(٢٠) طريق بين حارم وسلقين طوله ١٣ كيلومتر

(٢١) جر ماء عين في قرية مرتين الى مدينة ادلب بواسطة مضخة ومواسير حديدية

(٢٢) العناية مصروفة الان الى اكمال انشاء مدارس في كل من مركز قضاء منبج وجرابلس وعزاز وقضاء عفرين

(٢٣) فروع عديدة تتفرع من طريق عربات اسكندرونة الى قرى على جانبي هذا الطريق

— خاتمة هذا الجزء —

نذكر في خاتمة هذا الجزء ما فاتنا ذكره من الاماكن القديمة التي يقصدها السياح في مدينة حلب وبعض جهات ولايتها

الاماكن المقصودة في حلب وضواحيها

في مدينة حلب اماكن قديمة يقصدها السياح للاطلاع على ما هي عليه من عظمة البناء والآثار المعمارية وبداعة الطرز وهي : الجامع الاموي الكبير، المدرسة الحلوية، المدرسة الرضائية المعروفة بالعثمانية، المدرسة السلطانية تجاه باب قلعة حلب، العمارة

الخسروية، جامع العدلية، جامع الاطروش، جامع الطونبغا، جامع قراسنقر في محلة المقامات وفيها عدة اثار قديمة، عمارة ضيفة خاتون وهي المعروفة باسم الفردوس، عمارة الهروي، الدرويشية في تلك الجهة، مقبرة الخليل المعروفة بمقبرة الصالحين، كنيسة اليهود المعروفة بالكنيسة الصفراء، قلعة حلب الشهيرة المعدودة من عجائب الدنيا، ابواب الخانات الثلاثة وهي خان الوزير وخان الكمرك وخان العلبية، دار الجانبلاط في البندره، دور آل قطاراغاسي في الفرافره، مدرسة ابي الرجاء في محلة الكلاسة، المشهد، الشيخ محسن، الشيخ سعيد، مشهد الانصاري، مشهد الشيخ فارس، مشهد الشيخ مقصود، تكية الشيخ ابي بكر الوفائي، الثكنة العسكرية، المسجد الذي في داخلها، مستشفى الرمضانية، المكتب السلطاني في محلة الجميلية، مقام مقر الانبيا المعروف باسم قرنبا، بعض ابواب مدينة حلب، جامع القيقان في العقبه والحجر الاسود الذي في ظاهر جواره الجنوبي المحرر بقلم الهيروكليف، دور بني غزاله وبني صادر في الجديده مغاير الحوار في محله المقامات وضاحية الكلاسه،

— الاماكن القديمة المقصودة للسياح في بعض الجهات التابعة لحلب —

هي

قصر البنات في الطريق المتوسطة بين حلب وانطاكيه، سور انطاكية المعدود من عجائب الدنيا، دفنه المعروفة باسم طواحين بيت المال في ضاحية انطاكية، السويدية المعروفة قديماً باسم سلوقية، جبل موسى المستمل على قرية كابوسيه وحاج حبيلو وخضر بك وغيرها، عين موسى حيث التقى مع الخضر في هذا الجبل على طريق قرية كابوسيه. كل هذه القرى من اعمال انطاكية مما يلي السويدية، جبل الزاوية، قرية كفرلاثا، خربة الباره في قضاء ادلب، قرية كفرنابو، قلعة سمعان العمودي في جبل ليلون المعروف ايضاً بجبل سمعان، اورم الكبرى في هذا القضاء، قرية الشيخ خروز في قضاء كلز، خرابة افامية وقلعة المضيق من اعمال قضاء جسر الشغر، مقام اهل الكهف في جبل بناخيلوس قرب مدينة باريوز المعروفة قديماً باسم افسوس من قضاء البستان في لواء مرعش، مغائر الصابئية في حران ومدينة الرها (اورفه)، يرابوليس المعروفة باسم جرابلس وهي قاركمش، بتيه، قاب لوزه، قلعة حارم

— الاماكن التي هي مظنة لوجود العاديات والذخائر النفيسة —

مما يوجد من هذه الاماكن مواقع متعددة في ضاحية حارة الكلاسة التي من القسم المعمور من الحاضر السليماني حيث وجد عاديات زجاجية واخرى خزفية، مغائر الحوار التي تلي هـذه المحلة ، خان في تصرف ورثة المرحوم اسعـد باشا الجابري في جهـة باب النيرب فقد ظهر في بعض اسسه مغـار وجد فيه ظروف زجاجية قديمـة ، قرية النيرب ظهر فيها بعض نواويس تشتمل على قطع ذهبيـة وفضية ، قريه مسطومة بين ادلب وريحا ظهر فيها بعض ظروف فضية ، خرابة الرقة من الجزيرة التي لم يزل يظهر فيهـا عاديات قديمة عربية وغيرهـا ، رصافة هسام التي لم يزل يظهر فيها آثار فضية وزجاجية ، خرائب جراباس التي نقل منها ومن اطرافها ما يعسر عده من العاديات

جميع هذه الآثار اشرنا اليها في محالها من الجزء الثاني من كتابنا هذا فلتراجع

انتهى الجزء الثالث من كتـاب نهر الذهب في تاريخ حلب

ويليه الجزء الرابع المشتمل على الباب الثالث المفتتح بقولي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام

على من لا نبي بعده

(تم طبعه في ١٩ صفر الخير سنة ١٣٤٥ هـ وفي ٢٨ آب سنة ١٩٢٦ م)

[المطبعة المارونية في محروسة حلب]

اصلاح غلط

صفحة	سطر	خطأ	صوابه
١١	٥	ورؤساءهم	ورؤسائهم
١٣	١٣	ثقاة	ثقات
٢٥	٩	هلال	هلالا
٢٥	١١	واخوه	واخيه
٢٥	١٥	خيار	حيار
٢٥	١٦	الفايا	الغايا
٣٢	٦	جنادين	جناد بن
٣٢	١٢	مسج	مسح
٣٥	٧	وغيرها	وغيرهما
٣٥	٨	اعمال	عمال
٣٥	١٣	احدهما	احداهما
٣٥	١٤	واحد	واحدى
٣٧	١٨	الفسكر	العسكر
٣٩	١٦	المكفى	المكتفى
٤٠	١٩	وصيف	وصيفاً
٤٢	٩	يزداد	يزداذ
٤٣	١	يزداد	يزداذ
٤٤	٥	خمسة عشر	خمس عشرة
٤٥	١٦	واستيلاؤ	واستيلاؤه
٥٢	١٨	لاحد عشر	لاحدى عشرة
٥٢	١٩	الخيار	الحيار
٦٢	١١	عصا	عصى

صفحة	سطر	خطأ	صوابه
٦٤	١٣	سعد	سعيد
٨٢	٢	مسعود	مسعوداً
٨٧	١١	عمادالدين محمود زنكي	عماد الدين زنكي
٨٧	١٨	قيمازا	قيماز
٩٢	٨	دهاأيهم	دهاتهم
٩٦	٦	اخد الدين	اخد نور الدين
١٠٠	١٠	وازع	وارعا
١٠٦	٧	وعفر	وعى
١٢٨	٧	مؤرخوا	مؤرخو
١٣١	١٤	شاه ومحمد	شاه محمد
١٣٥	٤	الدية	الدين
١٤٠	٦	فاوقفت	فوقفت
١٤٥	١٥	الطروس	الضروس
١٨٢	٨	اليجبادي	اليحياوي
٢٠٦	١٦	سطى	سطا
٢٠٩	١٨	فاوقفهم	فوقفهم
٢١٣	٧	تقلد من القضاء	تقلد القضاء من
٢١٤	٧	الثقاة	الثقات
٢٢٣	١٥	٧١١	٨١١
٢٣٥	١٧	باحجار	بالاحجار
٢٦٣	٢	ثقاة	ثقات
٢٦٣	٦	مظلومين	مظلومون
٢٦٤	١	يدخل حصر	يدخل تحت
٢٦٥	١	٩٤٤	٩٩٤
٢٦٩	٣	وعفى	وعفا
٢٧٤	٣	سيما	لاسيما

صفحة	سطر	خطأ	صوابه
٢٧٤	٤	ونحترق	وتحرق
٢٧٧	٣	العصان	العصيان
٢٨٩	١	ملحم	ملحماً
٢٩٤	٩	٩٩٢٥	١١٢٥
٢٩٥	١٩	اسيت	اسيت
٢٩٦	٧	ساحدارا	ساحدار
٣٠٠	١٥	الصاره	الصدارة
٣١٨	١٨	دا	ذو
٣٢٤	٢٠	السياس	الساسة
٣٣٥	٧	الخندري	الجدرى
٣٣٦	٧	يسيميه	يسميه
٣٣٦	٧	ويدعوا	ويدعو
٣٥٤	١٩	حفظا	حفظها
٣٦٤	٣	المعرف	المعروف
٣٦٩	١٧	سيما	لاسيما
٣٩١	٢٠	فارص	فارس
٤٠٤	١٢	١٢٨٤	١٢٩٤
٤٠٤	٢٠	١٢٨٥	١٢٩٥
٤١٦	١٣	والفسيان	والغثيان
٤٢٤	١١	بسعف	بشعف
٤٢٦	٢	الثقاة	الثقات
٤٣٤	٨	رجل	رجلا
٤٤٥	١٣	اوقفتها	وقفتها
٤٥٥	١٧	سيما	لاسيما
٤٦١	٢	ثلاثاً وعشرين	ثلاثة وعشرين
٤٦٤	٨	عود	عدد

صفحة	سطر	خطأ	صوابه
٤٧٨	١٠	نتهاء	انتهاء
٤٩٠	٨	النذر	النزر
٤٩٢	١٦	متجسس	متجسساً
٤٩٦	٢٠	السطان	السلطان
٥٠٣	٢	بقاد	نقاد
٥٠٦	١١	السواح	السياح
٥١١	٢٠	ووجهة	ووجهه
٥٢٦	٤	سيما	لاسيما
٥٢٩	١٥	كباراًوصغاراً	كبار وصغار
٥٣٤	٨	للمشروع	للشروع
٥٤٧	٦	١٢٨٨ هـ	١٣٠٦ هـ
٥٤٧	١٨	بمعامهيلتي اا	بمعاملها الي
٥٦١	١٥	قرؤا	فرؤا
٥٦٣	٣	المبائعة	المبايعة
٥٦٩	١٦	واحداً	واحد
٥٦٩	١٧	واحد	واحداً
٥٧٤	٦	بثلاثمائةالف	بثلاثمائةالف ليرا
٥٧٩	١٨	وفشى	وفشا
٥٨٢	١١	اعجب	عجيب
٥٩٠	٥	١٩٢٦	١٩١٥
٥٩٣	١٥	ثقاة	ثقات
٦١٨	١٩	ذهبة	ذهبية
٦٢٧	١٤	اضرر	اضر
٦٣٢	٧	خمسة	خمس
٦٣٣	٩	الساطة	السلطنة
٦٣٣	١٥	يوصل	يصل

صفحة	سطر	خطأ	صوابه
٦٧٦	١	عصا	عصى
٦٨٢	٩	مركزاً	مراكز
٦٩٠	١٨	عفى	عفا
٦٩٣	١٧	واليا	والبا
٦٩٧	٧	فتبدوا	فتبدو
٧٥٧	٧	كررلس	كرلس
٧٧٠	٤	١٧٧١	١٨٧١
٧٧٦	٢	التي من	التي هي من



